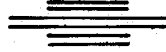


ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد

للسيدالعلامة بدر الاسلام والمسلمين

محمد بن اسماعيل الامير الصناعي صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام

المتوفى سنة ١١٨٢ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ذلل صعاب علوم الاجتهاد لعلماء الامة * وحفظها بأساطين
الحفاظ وجهابذة الائمة * فتبعموها من الافواه والصدور * وخلدوها للمتأخرين
من الامة في الاوراق والسطور * واستنبطوا من القواعد ما لا يزول بمرور
الدهور * وأطلعوا من أنوار علم الكتاب والسنة على أنوار البصائر نوراً
على نور

وأشهد أن لا إله إلا الله المتكفل بحفظ علوم الدين * وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي يحمل علمه من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين
واتحال المبطلين * صلى الله عليه وعلى آله قرناه القرآن * صلاة وسلاماً يدومان
مادارت الافلاك واختالف الملوان^(١)

وبعد فان السيد قاسم بن محمد الكبسي رحمه الله سأل عن المسائل العلمية
والابحاث العملية * نزلت علينا نزول النيث على الرياض * بل العافية على

الاجسام المراض * وخلاصة ما اشتمل عليه انه هل يكون العمل من المتأخرين بتصحيح الائمة من أهل الحديث للحديث أو تحسينه أو تضعيفه تقليداً لا اولئك الحفاظ من الائمة والاعيان من الامة فيما وصفوا به الحديث من تلك الصفات ويكون القائل لذلك والعامل به مقلداً أو يكون فيما قبله من كلامهم في ذلك وعمل به مجتهداً

فانه قال السيد الامام محمد بن ابراهيم في الروض الباسم ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة في التصحيح معلومة الفساد ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد وليس ذلك بتقليد بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات هذا كلامه ولكنه خالف كلام القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام فانه قال من لم يكن أهلاً للنقد والتصحيح فله أن يقلد في ذلك من صحح أو حسن ممن هو أهله فان لم يكن أحد من الائمة تكلم بذلك على الحديث وليس هو بأهل للنقد لم يجز له الاحتجاج بالحديث إذ لا يأمن من أن يحتاج بما لا يحل الاحتجاج به قال ولهذا أحال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح * والتقليد في التصحيح يخرج عن القصد وهو الاجتهاد قال ولم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض بالنظر الى قوة الدلالة أو الى كثرة من صحح أو جلالته والواجب الرجوع الى الظن القوي بحسب الامكان رأيت السائل دامت افادته جنح الى ترجيح كلام القاضي قائلانه قد يفرق بين التصحيح والتضعيف وبين الرواية فان تصحيح الحديث وتضعيفه مسألة اجتهادية ونظرية قد يختلف الامان العظيمان في الحديث الواحد فأحدهما يذهب الى صحته أو حسنه والآخر الى ضعفه أو وضعه باعتبار ما حصل لهما من البحث والنظر وليس حال الرواية كذلك فان مدارها على الضبط والعدالة * ومدار التصحيح والتحسين ونحوهما على قوة اليد في معرفة الرجال والعامل المتعلقة بالاسانيد والمتون ومعرفة الشواهد والمتابعات والقاضي قد جزم بان قول الحفاظ

في التصحيح تقليد وإذا نظرتم إلى تصرف العلامة الحسن بن أحمد الجلال في ضوء النهار لم يجد الإنسان في يده غير ما أشار إليه القاضي من الترجيح بقوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالة ولم يكن ممن يعرف الأسانيد والعلل مثل المنذرى وابن حجر والنووي ومن في طبقتهما من المتأخرين دع عنك الائمة السكار مثل الحاكم والدارقطني مع تصريحه في غير موضع من كتبه بالاجتهاد المطلق وكذا العلامة القبلي سلك هذا المسلك ولم يزل هذا السؤال يخطر بالبال فافضلوا بالجواب انتهى ما حرره السائل لازال مفيداً ولا يبرح في أنظاره العلمية سديداً * وأقول : الجواب يظهر ان شاء الله تعالى بذكر فصول تشمل على ايضاح المسئلة بمشيئة الله تعالى وهدايته .

فصل

رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه نخبه الفكر الحديث الصحيح بأنه ما نقله عدل تام الضبط متصل السند غير معطل ولا شاذ وقال وهو الصحيح لذاته وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بأنه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قاذحة اذا عرفت هذا فهذه خمسة قيود ثلاثة وجودية واثنان عدميان وكلها أخبار : كأنه قال الثقة حين قال حديث صحيح هذا الحديث رواه عدول مأمون الضبط متصل اسنادهم لم يخالف فيه الثقة مارواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرأت عليه تقدر في صحته وحينئذ نقول الثقة صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس وقد تقرر بالبرهان الصحيح ان الواجب أو الراجح العمل بخبر العدل والقبول له وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره فالتصحيح مثلاً والرواية للخبر قد اتفقا أنهما اخبار إما بالدلالة المطابقة أو التضمنية أو الالتزامية * أما قبول خبره الدال بالمطابقة فلا كلام فيه كقوله زيد قائم وأما قبول خبره الدال بالتضمن أو الالتزام فيدل على قبوله أنهم جعلوا من طرق التعديل حكم مشروط العدالة

بالشهادة وعمل العالم المشترط لها رواية من لا يروى الا عن عدل فانهم صرحوا في الاصول وعلوم الحديث ان هذه طرق التعديل ومعلوم ان دلالة هذه الصور على عدالة الراوى والشاهد التزامية فقول الثقة حديث صحيح يتضمن الاخبار بالقيود الخمسة والرواية لها ولا يقال ان اخباره بانه صحيح اخبار على ظنه بمحصل شرائط الصحة عند ظنه كما يدل له انه صرح زين الدين وغيره بان قول المحدثين هذا حديث صحيح اى فيما يظهر لنا عملاً بظاهر الاسناد لا انه مقطوع بصحته في نفس الامر لانا نقول اخبار الثقة بان زيدا عدل اخبار عن ظنه بانه آت بالواجبات مجتنب للمقبحات بحسب مارآه من ذلك وأخبر مع جواز انه في نفس الامر غير مسلم لكن هذه التجويزات لا يخاطبها المكلف فان قلت من شروط الصحيح السلامة من الشذوذ والعلل وليس مدرك هذين الامرين الاخبار بل تتبع الطرق والاسانيد والمتون كما أشار اليه السائل * قلت أما اولاً فالشذوذ والاعلال نادران والحكم للغالب لالنادر ألا ترى ان الراجح العمل بالنص وان جوز انه منسوخ عملاً بالاعراب وهو عدم النسخ ويرهان ندورها يعرف من تتبع كلام أئمة الحديث على طرق الاحاديث من مثل البدر المنير وتلخيصه فانهم يتكلمون على ما قيل في الحديث فتجد القدر بالشذوذ والاعلال نادراً جداً بل قال السيد محمد بن ابراهيم في التنقيح ظاهر الحديث المعل السلامة من العلة حتى تثبت العلة بطريق مقبولة وأما ثانياً فقول الثقة هذا صحيح أى غير شاذ ولا معلل اخبار بأنه لم يقع في رواه راو ثقة خالف الناس فيه ولا وجدت فيه علة تقدر في صحته وهذا اخبار عن حال الراوى بصفة زائدة على مجرد عدالته وحفظه أو حال المتن بأن ألفاظه مصونة عن ذلك وليس هذا خبراً عن اجتهاد بل عن صفات الرواة والمتون فانه اخبار بانه تتبع أحوال الرواة حتى علم من أحوالهم صفات زائدة على مجرد العدالة وفي التحقيق هي عائدة الى تمام الضبط وتتبع مروياتهم حتى أحاط بالفاظها فالكل عائد الى الاخبار عن الغير لاعتناء الاجتهاد الحاصل عن دليل ينقدح له منه رأى : وأنت

اذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالحاكم أبي عبدالله وأبي الحسن
 الفارقطي وابن خزيمة ونجوم كالمندري ونصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم
 لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستنداً الى كلام من تقدمهم كيحيى بن
 معين واحمد بن حنبل وأبي عبدالله البخاري ومسلم وغيرهم من ائمة هذا الشأن
 وانه ثبت له عنهم أو عن أحدهم انه قال فلان حجة أو ثبت أو عدل أو نحوها
 من عبارات التعديل وانهم قالوا في غيره انه ضعيف أو كذاب أو لاشيء أو
 نحوها ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث أو ضعفه باعتبار ماقاله من
 قبلهم فانه ينجب ابن اسحاق من نجبه من أهل الصحاح بقول مالك فيه مع ان
 ابن اسحاق أمام أهل المغازي وقدحوا أيضاً في الحارث الاعور بكلام الشعبي
 فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولا الحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة
 واذا حققت علمت ان تصحيح البخاري ومسلم وغيرهما مبني على ذلك وكذلك
 تضعيفها فانها لم يلقيا إلا شيوخهما من الرواة وبينهم وبين الصحابة وسائط
 كثيرون اعتمدوا في ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا
 عدالتهم وضبطهم الا من اخبار أولئك الائمة فاذا كان الواقع من مثل البخاري
 في التصحيح تقليداً لانه بناه على اخبار غيره عن أحوال من صحح أحاديثهم
 كان كل قابل لخبر من تقدمه من الثقات مقلداً وان كان الواقع من البخاري
 من التصحيح اجتهاداً مع ابتناؤه على خبر الثقات فليكن قولنا بالصحة لخبر
 البخاري المتفرع عن اخبار الثقات اجتهاداً فانه لا فرق بين الاخبار بان هؤلاء
 الرواة ثقات حفاظ وبين الاخبار بان الحديث صحيح الا بالاجمال والتفصيل
 وكانهم عدلوا عن التفصيل الى الاجمال اختصاراً وتقريباً لانهم لو أعقبوا كل
 حديث بقولهم رواه عدول حافظون روه متصلاً ولاشذوذ فيه ولا علة
 لطالت مسافة الكلام وضاق نطاق الكتاب الذي يؤلفونه عن استيفاء أحاديث
 الاحكام فضلاً عما سواها من الاخبار على ان هذا التفصيل لا يخلو عن الاجمال
 إذ لم يذكر فيه كل راو على انفراده بصفاته بل في التحقيق ان قولهم عدل

معدول به عن آت بالواجبات مجتنب للمقبحات محافظ على خصال المروءة متباعد عن أفعال الخسة فعدلوا عن هذه الاطالة الى قولهم عدل فقولهم عدل خبر انطوت تحته عدة أخبار كما انطوت تحت قولهم صحيح * اذا عرفت هذا تبين لك صحة قول صاحب الروض الباسم وانه الصواب فيما نقله السائل عنه ومثله قوله في التنقيح انه ان نص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين للمؤمنين فيقبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الادلة الدالة على قبول خبر الآحاد ذلك مبين في موضعه ولا يجوز ترك ذلك متى تعلق الحديث بحكم شرعي

فصل

اذا عرفت ماقررناه فاعلم انه لا مانع لمن وجد في هذه الاعصار حديثاً لم يسبق عليه كلام امام من الائمة بتصحيح ولا غيره فتنبع كلام أئمة الرجال في أحوال روايته حتى حصل له من كلامهم ثقة روايته أو عدمها فجزم بايهما على الحديث كما جزم من قبله من أئمة التصحيح والتضعيف من مثل البخارى وغيره ومستنده في ذلك مستند من قبله كما أوضحناه * غاية الفرق انه كثر الوسائط في حقه لتأخر عصره فكانوا أكثر من الوسائط في حق من تقدمه لقرب عصرهم وهذا موجب لمشقة البحث عليه لكثرة الرواة الذين يبحث عن أحوالهم ولكن ربما كان ثوابهم أكثر لزيادة مشقة البحث هذا إن كانت طريق المتأخر هي الرواية وأراد معرفة أحوال شيوخه وتحقيقتها حتى يبلغ الى مؤلف الكتاب الذي قرأه وأما اذا كانت طريقه الاجازة أو الوجادة فانه لاكثر للوسائط أصلاً بل هو كالتقدماء في ذلك وحينئذ فيكون مجتهداً فيما حكم بصحته مثلاً فانه كما انه لا يحمي عن القول بان تصحيح الائمة الاولين اجتهاد فانه إنما بنوه على ما بلغ اليهم من أحوال الرواة ففرعوا عليه التصحيح وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم كذلك لا يحمي عن القول بان ما صححه من بعدم الى يومنا هذا أو ضعفه أو حسنوه حكمه حكم ما قاله الاولون من الائمة اذ الاصل في

الكل واحد وهو قبول اخبار من سلف عن احوال الرواة وصفاتهم والا كان القول بخلاف هذا تحكما لا يقول به عالم واذا عرفت هذا عرفت ضعف ما قاله ابن الصلاح بل بطلانه من انه ليس لنا الجزم بالتصحيح في هذه الاعصار وقد خالفه النووي ورجح زين الدين كلام النووي وهو الحق ولعل القاضي شرف الدين اغتر بكلام ابن الصلاح في هذا الطرف: واما قول القاضي ان القول بتصحيح الائمة الماضين والعمل عليه تقليد لهم فلا اعلم فيه سلفا بل الحق ما قرناه لك من قول الامام صاحب العواصم رحمه الله :

فصل

واما قول القاضي رحمه الله انه احال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح والاهلية لذلك فكلام لا يليق صدوره عن مثله فانه علل الاحالة بالتعسر وغير خاف على ناظرانه لو سلم التعسر لبعض طرق لا يصير محالا غاية انه يصير متسرا لا محالا ولكن قد اطبقت عامة اهل المذاهب الاربعة في هذه الاعصار وما قبلها على ما قاله القاضي شرف الدين واشتد منهم التكبير على مدعى الاجتهاد من علمائهم قائلين انه قد تعذر ذلك من بعد الائمة الاربعة وضاق مجال الاجتهاد لم يبق فيه لمن بعدهم سعة واطالوا ذلك بما لا طائل نحته فانه غير خاف على من له نباهة ان هذا منهم تهويل ليس عليه تعويل ومجرد استبعاد لا نهول فعاقة الاذكياء. النقاد وكان اولئك المستبعدين لما رأوا كثرة اتباع الائمة المتقدمين وعظمتهم لما وهب الله لهم من العلم والدين في صدور الاعيان من المتأخرين ظنوا انهم غير مخلوقين من سلالة من طين ولو نظروا بعين الانصاف وتبعوا احوال الاسلاف والاخلاف لعلموا يقيناً ان في المتأخرين عن اولئك الائمة من هو اطول منهم في المعارف باعا واكثر في علوم الاجتهاد اتساعا قد قبضهم الله لحفظ علوم الاجتهاد من كل ذى همة صادقة ونية سالحة

من العباد قد قربوا للتأخرين منها كل بعيد ومهدوها لهم كل تمهيد فنهج من قيضه الله لتتبع علم اللغة من انواء الرجال ومن السنة النساء والصبيان في بطون الاودية ورؤوس الجبال فرحل الى بواديه ونزل معهم في موارد مياههم ومراعي مواشيهم وتتبعهم في البوادي والقفار وواصلهم تحت الاشجار والاحجار ولازمهم في الليل والنهار وصاحبهم في الاوطان ورافقهم في الاسفار وقام باقامتهم في المضارب والخيام وبيوت الشعر والتلول والاكام يعرف ذلك من نظر في رحلة الاصمعي والازهرى وغيرهما من كل ذى همة سري حتى جمعوا فنونها واناطوا معانيها واجروا عيونها واظهروا مخزونها حتى اصبحت بحارا ذاخرة ورياضا ناضرة وانواعا متكاثرة ومؤلفات فاخرة قد فاق من عرفها من لاقى قس بن ساعدة وسحبان وصار دونهم اختلط بالعرب العرباء في كل مكان وعلم اللغة بانواعه هو عمدة علوم الاجتهاد وبالتبحر فيه وعدمه تفاوتت النقاد والتمني الله في قلوب اقوام محبة السنة النبوية والاثار السلفية ورزقهم هما تناطح السماء وتناول الاطلس من الافلاك فارتحلوا لطلبها من الاقطار وفارقوا الاوطان والاورطار وطوروا في حبا الفياق والقفار وقنعوا من الدنيا بالكفاف وتركوا لغيرهم اللذات والارترف واتخذوا الزهد شعارا والقناعة دثارا فسهر الاجفان الذ اليهم واطيب من المنام والجوع اشعى من الامتلاء من نفيس الطعام يرتحلون لسماع الحديث الواحد من الاقطار الشاسعة ويطلبون من الاقاليم المتباعدة الواسعة ففي مثلهم يقال

طوراً ترام في الصعيد وتارة في أرض آمد
 فينتفون من العلوم بكل أرض كل شارد
 يدعون أصحاب الحديث بهم تجملت المشاهد

فهذا ابو عبد الله البخارى رحل بعد احاطته بمحدث شيوخ بلده الى الشام والكوفة والبصرة وبلغ وعسقلان وحمص ودمشق وكتب عن الفشيخ وثمانين شيخا وجمع للسليين هذه الاحاديث التي تتبعها من الافاق وصحب في طلبها

الرفاق بعد الرفاق في كتابه الجامع الصحيح بقراءة المحدث قراءة بتحقيق واثقان في أشهر شهرة الزمان (١) وغيره من أئمة هذا الشأن لهم أكل منة على أهل الايمان فانهم تعبوا في جمع الاحاديث للمتأخرين وورعوا أوقاتهم في تحصيل ما فيه نفع المسلمين حتى لم يبق لهم وقت لغير نسخ الحديث أو السماع ففي النبلاء في ترجمة الامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب التفسير والجرح والتعديل والمسند الذي الفه في الف جزء قال كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا نقيم بمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة قال فاتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا انه عليل فرأينا في طريقنا سمكة اعجبتنا فاشتريناها فلما وصلنا الى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكننا اصلاحه ومضينا الى المجلس ولم نزل حتى مضى عليه ثلاثة أيام وكاد ان يتغير فاكلناه نيا لم يكن لنا فراغ ان نمطيه من يشويه ثم قال لا يستطيع العلم براحة الجسم وفي مثلهم يقال :

ان علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فاذا جن ليلهم كتبوه واذا اصبحوا غدوا للسماع

فأئمة الحديث جعل الله غذاهم ولتتهم قراءة الحديث وكتابته ودراسته وروايته ورزقهم حفظا يبير العقول ويكاد ان لا يصدقه من يسمع ما حكى عنهم في ذلك من المنقول حفظ الله تعالى بهم السنة. وبهم يتم على عباده كل منة قد حفظوا الفاظ الاحاديث كحفظ القرآن واحرزوا كل لفظ منه بتحقيق واثقان والفوا فيها الجوامع النافعة والمسانيد الواسعة ثم تعبوا في احوال الرواة وصفاتهم ورحلتهم ومواليدهم وبلدانهم ووقلتهم حتى صار من عرف تراجمهم واحوالهم كأنه شاهدهم وزاجهم بل صار أعرف باحوالهم من المشاهد لهم والمعاصر لانه قد يخفى على من عاصرهم بعض احوال من عارضه وشاهده وأما من طالع تراجمهم وتلقى عن الثقات اخبارهم فانه يراهم قد جمعوا من احوالهم وصفوا من

(١) قوله بقراءة المحدث الخ هكذا الاصل ولعل صواب العبارة هكذا يقرأه المحدث قراءة بتحقيق واثقان في أشهر من الزمان والله أعلم

تعيين آثارهم ورحلهم ويقظتهم ومنامهم وتتبعوا احوالهم من كل عارف موافق ومخالف حتى اجتمع لمن قرأ أخبارهم ما لم يجتمع لمن شاهدهم من الاوصاف وهذا أمر لا ينكره الا من حرم الانصاف

الآثرى ان من عرف تراجم الائمة الستة أهل الامهات من كتب أئمة التاريخ عرف احوالهم وواصفهم كأنه لا قام وراهم لقاء خبرة وروية مخالفة وحصل له من الاطمئنان باقوالهم ويقرفي قلبه من اسامتهم في الدين وعظم نصيحتهم للمسلمين ما لا يحوم حوله قدح قاذح ولا جرح جارح حتى لو جاءه من ينازعه في حفظ البخاري وتقوا ملأفت ذلك في عضديقينه بحفظه وهداه وكذلك غيره من الائمة ومثلهم الرواة فان الله يسر أقواماً جعل همهم العالية وافكارهم الصافية مصروفة الى تتبع احوال رجال الحديث ورواته في القديم والحديث ثم الفوا في الرجال ما يطلع الناظر على كل ما يقال من جرح وتعديل . قال وقيل فذلوا للمتأخرين ما كان صعباً وصبروا بهجتهم ما كان ضيقاً واسماً رحباً جمعوا ما كان متفرقاً ولفقوا ما كان ممزقاً قد قربوا العلوم الحديثية ثم تقربوا باكمال وتقريب وتهذيب فاجتمع للمتأخرين من احوال المتقدمين اجتماعاً لم يكن للاولين فانها اجتمعت لهم معارف العارفين واقوال المتخالفين وكل من الائمة ما زال حريصاً على تقرب المعارف للمسلمين حتى الفوا الكتب على حروف المعجم في الرجال والمتون واتوا بما لم يأت به الاولون فلم يبق للمتأخرين الا الاقتطاف لثمرات المعارف والارتشاف بكمؤوس قد اترعها لهم كل امام عارف ابقاء لحجة الله على العباد وحفظاً لعلوم الدين الى يوم المعاد

فصل

اذا عرفت هذا فكيف بحال في حق المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر بعده هذه الاشياء التي ساقها الله الى ائمة الاجتهاد على ايدي اهل الحفظ والورع والانتقاد الآثرى انك لو وجدت حديثاً في مسند ابن ابي شيبة أو عبد الرزاق أو غيرها

ولم نجد فيه كلاما لاحد ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ورأيت من رواية الحجاج بن ارطاة. مثلا فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة في الحجاج كما يحكم بذلك الدارقطني والمنذري مثلا وما لاقاه الدارقطني ولا رآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام ائمة الجرح * غاية الفرق انها قد تكون طريق الدارقطني في ذلك السماع وطريقك الوجدادة وهذا لا يخرجك عن جواز التكلم بما تكلم به أو وجدت حديثا كذلك ثم نظرت كلام ائمة التعديل في رجاله فوجدتهم موثقين فإى مانع لك عن تصحيحه مثلا كما يفعله الحافظ المنذري وابن حجر فانها يتكلمان على عدة من الاحاديث تصحيحا وتحسينا وتضعيفا وطريقهما في ذلك تتبع اقوال ائمة الجرح والتعديل في رجاله كما انها طريقة الناظر في هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخيها كما انك لم تلق الا من رويت عنه أو قرأت عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجدادة او الاجازة

فصل

قد علمت مما سبقناه ان الله وله الحمد والمنة قد قيص للتأخرين أئمة من المتقدمين جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثية من الافواه والصدور وحفظوها لهم في الاوراق والسطور وذلكوا لهم صعاب المعارف وقادوها الى كل ذكى عارف ودونوا الاصول واللغة بأنواعها مع انتشارها واتساعها وادخلوا علوم الاجتهاد لاهلها من كل باب تارة بايجاز وتارة باسهاب واطناب وهذا شيء لا شك فيه ولا ارتياب ولا يجبهه الا من ليس من اولى الالباب الذين نحوم يساق هذا الخطاب

وبعد هذا فالحق الذى ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه اسهل منه في الاعصار الحالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله

فهما صافيا وفكرا صحيحا ونباهة في علمي السنة والكتاب فان الاحاديث في
الاعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال وعلوم اللغة في افواه سكان
البوادي ورؤوس الجبال حتى جمعت متفرقاتها ونفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج
طالب العلم في هذه الاعصار الى الخروج من الوطن والى شد الرحل والظعن
فياعجابه حين تفضل الله بجمعها من الاغوار والانجاد وسهل سبيلها للعباد حتى
اينعت رياضها واترعت حياضها واجريت عيونها وتهدلت بشمراتها غصونها
وقاض في ساحات تحقيقها معينها واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها
تقول تعذر الاجتهاد ما هذا والله الا من كفران النعمة وجحودها والاخلاد
الى ضعف الهمة وركودها الا انه لا بد مع ذلك اولا من غسل فكرته عن ادرا
المصيبة وقطع مادة الوسوس المذهبية وسؤال للفتح من الفتح العليم وتعرض
لفضل الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد في هذه الاعصار وانه محال
ما هذا الا منع لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من
يديه واستصعاب لما لم يكن لديه وكم للائمة المتأخرين من استنباطات راتقة
واستدلالات صادقة ما حام حولها الاولون ولا عرفها منهم الناظرون ولا دارت
في بصائر المستبصرين ولا جالت في افكار المفكرين

فصل

ومن هنا تعرف انه لا فرق بين اجتهاد من ذكره السائل من العلامة الجلال
والمقبلي واجتهاد من تقدمهما من الائمة الاربعة الذين اتفقت الامة على اجتهادهم
وان مرجعها في تصحيح الاحاديث ليس بتقليد لائمة التصحيح بل قبول رواية
وهذا الشافعي رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده ومرجعها في صحة الاحاديث
وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول في مواضع اذا لم يعمل بالحديث انه لم يرتض

رواية هذا الحديث ونحو هذه العبارة في محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرها من الكتب المجموعة لسرد الأدلة والتفتيش عن احوال رجالها كقوله في حديث بهزبن حكيم في الزكاة وهذا الحديث لا يثبتته اهل العلم بالحديث وهذا هو بعينه ما يقوله الجلال والمقبلي وكل من تقدمهما وقدمنا لك ان البخارى نفسه انما يمتد ويضرع في التصحيح وغيره على أقوال من تقدمه من الرجال وانه لم يلق الا شيوخه والذين رواه عنهم وصحح لهم اضعاف اضعاف شيوخه وحينئذ يعرف الناظر أنه لا فرق بين المتقدمين والتأخرين الا بكثرة الوسائط وقلتها وسيلان الاذهان وجمودها وحركات المهمل وركودها والفضل بيد الله لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع

وأما قول القاضى رحمه الله انه لم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض باعتبار قوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالة جوابه ان هذا الذى سماه ترجيحا هو الاجتهاد المطلق انما ذنب المتأخر انه تأخر زمنه عن زمان من قال بالقول الراجح والمرجوح فنظر كنظر من قبله من المجتهدين وجزم باحد القولين نظرا الى الدليل فسميتوه ترجيحا لقول غيره وليس كذلك ففرضوا انه لم يتقدمه أحد فانه لو كان زمانه سابقا ورأيتم ما ادعاه وما اقامه من البراهين على دعواه لقلتم أنه مجتهد مطلق ولا يخفى ان تقدم الزمان وتأخره لا اثر له في جميع الأدلة والاستنباط منها قطعا بل قد أوضحنا لك ان الله قد جمع شمل الأدلة للمتأخرين ولكنكم نظرتم الى تأخر زمانه وانه قد قال بما جرح اليه قائل قبله فقلتم ان هذا المجتهد الآخر جرح ما قاله من قبله بقوله الدلالة أو نحوها قلنا هو عين الاجتهاد ولا يضرننا تسميتكم له ترجيحا

فصل

وأما ما أشار اليه السائل دامت افادته من انه قد يختلف كلام امامين من أئمة الحديث فيصنف هذا حديثا وهذا يصححه ويرمي هذا رجلا من الرواة

بالجرح وآخر يعدله فهذا مما يشعر بان التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء فجوابه ان الامر كذلك أي انه قد تختلف أقوالهم فانه قال مالك في ابن اسحاق انه دجال من الدجاجة وقال فيه شعبة انه أمير المؤمنين في الحديث وشعبة أمام لا كلام في ذلك وامامة مالك في الدين معلومة لا تحتاج برهاناً فهذان امامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الاحاديث ويتفرع على هذا الاختلاف في صحة حديث من رواية ابن اسحاق وفي ضعفه فانه قد يجد العالم المتأخر عن زمان هذين الامامين كلام شعبة وتوثيقه لابن اسحاق فيصح حديثا يكون من رواية ابن اسحاق قائلاً قد ثبتت الرواية عن امام من أئمة الدين وهو شعبة بان ابن اسحاق حجة في روايته وهذا خبر من شعبة يجب قبوله وقد يجد العالم الآخر كلام مالك وقدحه في ابن اسحاق القدر الذي ليس وراه وراه ويرى حديثاً من رواية ابن اسحاق فيضعف الحديث لذلك قائلاً قد روى لي امام وهو مالك بان ابن اسحاق غير مرضى الرواية ولا يساوى فلما فيجب رد خبر فيه ابن اسحاق فبسبب هذا الاختلاف حصل اختلاف الائمة في التصحيح والتضيف المتفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع الى الرواية لا الى التراية فهو ناشئ عن اختلاف الاخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي ولا استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت ان الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي ولا هو من ادلة ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد نعم وقد يأتي من له فعولة وقادة ودراية بمقتائق الامور وحسن ذو وسعة اطلاع على كلام الائمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر في مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاماً خرج مخرج الغضب الذي لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا يطاره فبلغ مالكا فقال تلك

الكلمة الجافية التي لولا جلاله من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلتات اللسان عند الغضب لكان القدح بها فيمن قالها أقرب الى القدح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا في ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح في مالك ولا في علمه غاية ما أفاد كلامه انه أعلم من مالك وانه يطار علومه وليس في ذلك قدح على مالك : ونظرنا كلام شعبة في ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك وأما الجامد في ذهنه الابله في نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجرح أولى وان كثر المعدل وهذه القاعدة لو أخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من أئمة الدين كما قيل

فاسلم صديق من رافض ولا نبجا من ناصبي على

وما سلم الله من بريته ولا رسول الله فكيف انا

القاعدة ظاهرية يعمل بها فيما تعارض فيه الجرح والتعديل من المجاهيل على ان لك ان تقول كلام ما لك ليس بقادح في ابن اسحق لما علمت انه خرج مخرج الغضب لا مخرج النصح للمسلمين فلم يعارض في ابن اسحق جرح وأعلم ان ذكرنا لابن اسحق والكلام فيه مثال وطريق يسلك منه الى نظائره واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ما ذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا في حال هذا الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر فهو من باب قبول الاخبار فهكذا يلزم الناظر البحث عن حقائق الاحوال وعن الباعث عن صدورهما من افواه الرجال فانه يكون كلامه بعد ذلك اقوم قبلا واحسن دليلا ووافق نظراً واجل قدرا فن عمل برواية التعديل والتزكية ومن يعمل برواية القدح والتجريح وان كان الكل قابلين لاخبار العدول عاملين بما يجب عليهم من قبول خبر المنقول فالكل مجتهدون

ولكن تخالفت الآثار وتفاوتت الانظار ومن هنا ونحوه وقع اختلاف المجتهدين في عدة مسائل من امهات الدين والكل مأجورون بالنص الثابت منهم من له اجر ومنهم من له اجران

ومن هنا علمت ان اختلاف الائمة في تصحيح خبر من امام وتضمينه من امام آخر ناشىء عما تلقوه من اخبار العدول عن الرواة فهذا لامام لم يبلغه عن الرواة هذا الخبر الذى حكم بصحته الا العدالة والضبط فصحيح اخبارهم ولهذا نجد من يتعقب بعض الاحاديث التى صححها امام بقوله كيف تصحيحه وفيه فلان كذاب ونحو هذا ومعلوم ان من صحح هذا الحديث لم يبلغه ان في رجاله كذابا وهذا لامام بلغه من احوال رواة ذلك الخبر أو بعضهم عدم العدالة وسوء الحفظ أو انقطاع الخبر أو شذوذه حكم عليه بعدم الصحة وهذا معروف من جملة العباد وطبايعهم فمن الناس من يغلب عليه حسن الظن في الناس وتلقى اقوالهم بالصدق ومن الناس من له نباهة وفطنة وطول خبرة لاحوال الناس فلا يكتفى بالظاهر بل يفتش عن الحقائق فيقع على الحق والصواب ولذا اطبق النقاد ان ما صححه الشيخان مقدم على ما صححه غيرها في غير ما انتقد عليهما كما يأتى عند التعارض ثم ما انفرد البخارى بتصحيحه مقدم على ما انفرد به مسلم ماذك الا الحذاقة البخارى ونقاده ومعرفة باحوال الرواة وغيره ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجهلون في رتبة اعلى من رتبة ما صححه البخارى (١) فهذا التفاضل نشأ من زيادة الاتقان لاحوال المهجرين الا ترى ان الشافعى رضي الله عنه مع امامته يروي عن ابن ابي يحيى ويعبر عنه بالثقة وغيره يقدحون فيه ويتجنبونه في الصحاح وذلك من الاختلاف في اخبار المهجرين عنه فالشافعى رضي الله عنه ثبت له عدالته وضبطه ويأتى فيه ما اسلفناه من انه لو عمل برواية احد الراويين لترجيح قوي عنده عضد ما يعرفه من حال الراوي جاز

(١) هكذا الاصل ولعل صوابه هكذا: وغيره أى البخارى ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجهلون ما صححه البخارى في رتبة اعلا من رتبة هذا الخ

ذلك فوثقه وغيره ثبت له غير ذلك فتجنبوه والكل عائد الى اختلاف المخبرين

فصل

واذا تقرر لك ماحققناه من ان المصححين والمحسين والمضعفين رواية احوال رجال الاسناد يعبرون عن تفهم وضبطهم واتصال مارووه وسلامته من الشذوذ والعلة بقولهم صحيح ويعبرون عن خلافه بضعيف: وعمما بين الامرين بحسن كما عرف ذلك من علم اصول الحديث فهم رواية مخبرون عن احوال الرواة للحديث فلا بد حينئذ من معرفة احوالهم كمعرفة احوال رجال المتن وقد اختلفوا في ما يروونه كاختلاف رواية المتون فمنهم من يصحح الحديث فيأتي من يتبع رجال ذلك الحديث فيجد في رجاله من ليس بصفة رواية الصحيح ولذا ترى النقاد من أئمة هذا الشأن يقولون في الاعتراض على بعض المصححين كيف يجزم بصحته وفي رواته فلان كذاب وكذا وكذا من التي لا يصح معها تصحيح روايته وهذا كثير جداً فيما يصححه الحاكم ويوجد قليلاً فيما يصححه الترمذي وحينئذ فلا بد من التفطن لاحوال المخبرين بالصحة ونحوها وانه لا بد فيهم من النباهة وعدم التغفيل وصدق الديانة والنصيحة للمسلمين فان كان المخبر بالصحة مثل أبي عبدالله البخارى ومسلم ومن في طبقتها ومن خرج على كتابيها فخره بالصحة مقبول قد تتبع أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ما صححه الشيخان فوجدوه مبنياً على أساس صحيح وخبرة بالرواية ومعرفة واقفان وان وجد الشيء اليسير في رجالها مما انتقده الحفاظ من بعدهما كانتقاد الحفاظ أبي الحسن المرلقطى على الشيخين فان مجموع ما انتقده عليهما من الاحاديث مائة حديث وعشرة انفراد البخارى منها بثلاثة وسبعين حديثاً واشترك هو ومسلم في اثنين وثلاثين حديثاً وقد اجاب عنه غيره من الحفاظ بأجوبة فيها الفث والسمين وجملة من قدح فيه من رجال البخارى ثلثمائة وثمانية وتسعون وقد دفع الحفاظ ابن حجر ما قدح به فيهم بعضه فيه تكلف وبعضه واضح لكن اذا عرفت عدة

ما اشتمل عليه الكتابان من الاحاديث الصحيحة والرجال الموثقين علمت ان صحة ما فيها الاغلب هي فالحكم له فيعمل بما فيها مالم يظن أو يعلم انه من المغلوب وذلك لان العمل بالظن والظن يحصل باخبار من غالب اخباره الصدق ولا يفت فيه نجوز انه غير صادق فيما اخبر به من الصحة مثلاً وقد صرح ائمة اصول الحديث بانه لا يترك الا من كثر خطأؤه ومعلوم ان خطأ صاحبي الصحيحين في الاخبار بالصحة قليل جداً محصور كما ذكرناه فيما أهل اصول الفقه فانهم قائلون انه لا يترك الا من كان خطأؤه اكثر من صوابه كما عرف

وبهذا التحقيق علمت مزية الصحيحين لا بما ادعاه ابن الصلاح من تلقي الامة لها بالقبول فانه قول غير مقبول قد حققنا في ثمرات النظر في علم الاثر بطلانه بما لا مزيد فيه ومثله في البطلان قول العلامة الجلال في ديباجة ضوء النهار انه يجب العمل بما حسنه أو صححوه كما يجب العمل بالقرآن فانه كلام باطل قد بينا وجه بطلانه في منحة الفغار حاشية ضوء النهار مع ان دعواه اعم من دعوى ابن الصلاح نعم وان كان المخبر بالصحة مثل ان عبد الله الحاكم فقد تكلم الناس فيما اخبر به من الصحة واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ولهم في الاحاديث التي صححها في مستدركه ثلاثة اقوال افراط وتفریط وتوسط فافترط ابو سعيد الماليني وقال ليس فيه حديث على شرط الصحيح وفترط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح وضمه اليهما في كتاب الجامع الكبير وجعل العزو اليه مهملًا بالصحة كالعزو الى الصحيحين وتوسط الحافظ ابو عبد الله الذهبي فقال فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه من اكبر وعجائب واذا عرفت هنا عرفت ان الاحوط الوقف في قبول خبر الحاكم بالصحة لانه صار كتابه غير غالبه عليه الصحة بل الصحيح فيه مغلوب وان كان المخبر بالصحة مثل ابي عيسى الترمذي فقد اثبت عليه الأئمة وقالوا في كتابه ربع مقطوع (١) وربع على شرط ابي داود والنسائي وفيه غيرها قد بين علته في كتابه

وهذا ذكرناه لك معياراً ومقياساً وتمثيلاً لأحوال رواة الصحة وانهم كرواة المتون فيهم الحجة الامام وفيهم من فيه لين و مسارعة الى الاخبار بالضعف والوضع كابن الجوزي فانه يسارع الى الحكم بالوضع في احاديث عالية الرتبة عن صفة الوضع وانتقده الأئمة قابن الجوزي والحاكم أبو عبد الله في طرفي نقيص هذا يسارع الى الاخبار بالصحة وهذا يسارع الى الاخبار بالوضع فمن هنا يتعين على الناظر ذى المهمة الدينية البحث عن احوال الأئمة كالبحت عن احوال رواة المتون ويطيل مراجعة التاريخ فانه بذلك يطلع على حقائق احوال أئمة هذا الشأن ويرى ما يوجب التوقف تارة والمضى أخرى والرذ حيناً ما :

فصل

قد يصعب على من يريد درك الحقائق وتجنب المهاوى والمزالق معرفة الحق من اقوال أئمة الجرح والتعديل بعد ابتداء هذه المذاهب التي طال فيها القال والقبل وفرقت كلمة المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم الدين وقدح بعضهم في بعض وانتهى الامر الى الطامة الكبرى العظمى من التفسير والتكفير وشب على ذلك من اهل المذاهب الصغير وشاب عليه الكبير كل هذا من آثار هذه الاعتقادات المبتدعة في الاسلام والمجانبة لما جاء به سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام فترى اماما من العلماء العالمين يقدح في راو من حفاظ علوم الدين بانه كان يقول بخلق القرآن وتجدد اماما آخر يقدح في راو آخر بانه كان يقول بقدم القرآن وكذلك يقدحون بامور ليست عمدة في الدين ولا يخرج المتصف بها عن زمرة المتقين ويقدحون بالقول بالقدر والارجاء والنصب والتشيع ثم ترام يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموم بتلك القوادح الا ترى ان البخاري اخرج لجماعة رمومهم بالقدر كهشام بن عبدالله الدستواثي اخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد كان حجة الا انه كان يرى القدر واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر في أنه سئل

مالك كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن يزيد وذكر له جماعة كيف رويت لهم ولقد كانوا يرون القدر قال كانوا لان ينجروا من السماء على الارض اسهل من أن يكذبوا وكم في الصحيحين من جماعة صححوا احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة.

اذا عرفت هذا فهو من صنيع أئمة الدين قد يعمد الواقف عليه تناقضاً وبراه لما قرروه معارضاً ويفت عنده في عضد عظمة أئمة هذا الشأن ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير اتقان وليس الامر كذلك فإنه اذا حقق صنيع القوم وتبع طرائقهم وقواعدهم نفى عنهم اللوم وعلم أنهم أجل من ذلك قدراً وأدق نظراً وأنصح لاهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين وأنهم لا يمتدون بعد ايمان الراوي الا على صدق لهجته وضبط روايته وقد أقنأ برهان هذه الدعوى في رسالة ثمرات النظر في علم الاثر برهاناً لا يدفعه الا من ليس من الاذكياء ذوي التباهة والحظر

فصل

اذا عرفت هنا فاعلم ان هذه القوادح المذهبية والابتداعات الاعتقادية ينبغي لناظر أن لا يلتفت اليها ولا يعرج في القدح عليها فلن القول بقدم القرآن مثلاً بدعة كما ان القول بمخلقه بدعة وقد اختار الحافظ ابن حجر رحمه الله لنفسه وحكاه عن الجماهير غيره أن الابتداع بفسق لا يقدر به في الراوي الا أن يكون داعية وهذه مسألة قبول فساق التأويل وكفار التأويل وقد تقل في العواصم اجماع الصحابة على قبول فساق التأويل من عشر طرق ومثله في كفار التأويل من أربع طرق واذا عرفت ورأيت أئمة الجرح والتعليل يقولون فلان ثقة حجة الا انه قدرى أو يرى الارزاء أو يقول بمخلق القرآن أو نحو ذلك أخذت يقولهم ثقة وعلت به والمرحت قولهم قدرى ولا يقدر به في الرواية غلبة ذلك انه مبتدع ولا يضر الثقة بدعته من قبول روايته لما عرفت من كلام ابن حجر

ومن كلام مالك فان قولهم ثقة قد أفاد الاخبار بانه صدوق . وقولهم يقول بخلق القرآن مثلا اخبار بأنه مبتدع ولا تضرنا بدعته في قبول خبره
ومن هنا يتضح لك اختلال رسم العدالة الذي اتفق عليه الاصوليون والفروعيون وأئمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وفسروا التقوى باجتنب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة وقد أوضحنا اختلاله في ثمرات النظر وفي المسائل المهمة وفي منحة الغفار بما يعرف به انه رسم دارس وقول لا يعول عليه من هو لدقائق العلوم ممارس وان أطبق عليه الاكابر فكم ترك الاول والآخر وقد ناقضوه مناقضة ظاهرة بقبول فساق التأويل وكفاره والحوارج وغيرهم من أهل البدع المتكاثرة وبعد هذا فقد تقرر لك بما سقناه واتضح لك بما حققناه ان للناظر في هذه الاعصار أن يصحح ويضعف ويحسن كما فعله من قبله من الائمة الكبار فان عطاء ربك لم يكن محظوراً وافضاله الممدود ليس على السابق مقصوراً وان علوم الاجتهاد في هذه الاعصار أقرب تناولاً منها فيما سلف من أزمنة الائمة النظار الا انه لا يخفى ان الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد فما كل من أحرز الفنون أجرى من قواعد الميوز ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يقتدر الى تطبيقها على الادلة والشواهد

وما كل من قاد الجياد بسوسها ولا كل من أجرى يقال له مجري
سكن على العبد طلب المعارف والتماسها من كل عارف وسهر الجفون في احراز دقائق الفنون واخلاص النية وطلب الفتح من باري البرية فالحير كله بيده ولا يلمس الا من عنده وكم قدر رأينا وسمعنا من زكي عارف أمام يضيق عطن بحشه عند ورود حادثة من الاحكام فيتبع أقوال الرجال تقليداً ويعود عندها مقلداً مبدلاً كأنه ما عرف من بحار الفنون ولا عرف شيئاً من تلك الشئون نسأل الله أن يعلنا ما جهلناه ويذكرنا ما نسيتناه وبرزقنا العمل بما علنا ويهنا الى العلم بما جهلنا انه ولي كل خير واليه تعالى بالعلم والعمل القصد والسير وهو

المقصود في النهاية والابتدا وان الى ربك المنتهى * ومنه نستمد الهداية والتوفيق في كل بداية ونهاية وقد طال المقال وخرج عن مطابقة مقتضى السؤال وان لم نخرج عن مطابقة مقتضى الحال فالمقام جدير بالاطالة والاسباب حقيق بالزيادة على هذا الاطناب اذ الكلام في قواعد دينية ومباحث حديثة وخوض فيما هو من أساس الدين وعليه دوران فلك اجتهاد المجتهدين وكما قال

وقد أطال ثنائي طول لابته ان البناء على التنبال تنبال

اذا عرفت ماقررناه فاعلم ان الذي سهل الاجتهاد والان منه الصعاب الشداد هو ماقلعنا لك من سعي أئمة الدين في جميع علوم الاولين وجمعها بمد الشتات في نفائس المصنفات فلنكثر لهم الدعاء ولنحسن عليهم الثناء ولانكن من كفار النعم وأشياء النعم: وانما يعرف الفضل لاولى الفضل من هو منهم واليه أشار من قال :

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا

وقل فلان جزاء الله صالحة أفادنيها واخل اللؤم والحسدا

وبهذا يبطل تشيع الجهال بأن من خالف الاوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال انه أعلم منهم وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلا لزم ان التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين الاولين من الانصار والمهاجرين وان الائمة المتأخرين قد ادعوا ان لهم الفضل على المتقدمين وهيئات مازال الفضل للمتقدم معروفاً ومبارح السابق بالتميز موصوفاً :

ولو قبل مبكها بكيت صباية بسعدى شفيت النفس بعدالتندم

ولكن بكت قبل فهيجل البكا بكها فقلت الفضل للمتقدم

ثم اعلم ان هنا زيادة افادة لطالب الرشاد الحقنها بارشاد النقاد وهو انه قد ظهر لك بما قررناه سهولة الاجتهاد وتيسره لاهل الهمة الامجاد فلنذكر شرائطه وكيفية تحصيله لاهل الدكاء من العباد فنقول قال الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير صاحب كتاب العواصم والقواصم في النب عن سنة ابي القاسم

في كتاب القواعد ما لفظه اعلم انه قد كثر استعظام الناس في هذا الزمان الاجتهاد واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم وما كان السلف يشددون هذا التشديد العظيم وليس هو بالهين ولكنه قريب مع الاجتهاد أي في تحصيله وصحة الذوق والسلامة من آفة البلادة ثم ذكر خمسة شروط بعد ان ابطل شرطية معرفته علم الكلام وانه علم مبتدع لم يهد في عصر النبوة ولا عهد الصحابة ثم عد خمسة ولم يرتبها كما نسوقه

الاول معرفة علم العربية قال ويكفي فيه قراءة كتاب مثل مقدمة الشيخ ابن الحاجب قراءة فهم واقتان وهذا على الاحتياط لاعلى الايجاب وذلك لان في العربية مالا بد من معرفته وفيها مالا يحتاج الى معرفته مثال مالا يحتاج الى معرفته كلامهم في عامل المستثنى ما هو ولم ارتفع الفاعل وانتصب المفعول ونحو ذلك مما لم يعرفه العرب بل قد نقل عن ابي الحسين البصرى انه قال ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنة الا اصول الفقه وان اهل اصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعاني والبيان ما يحتاج اليه المجتهد انتهى كلام ابي الحسين

الشرط الثاني معرفة اصول الفقه وهو رأسها وعمودها بل اصلها واساسها بل سمعت عن ابي الحسين البصرى صاحب كتاب المعتمد في اصول الفقه انه لا يشترط سواه بعد معرفة الكتاب والسنة

الشرط الثالث معرفة علم المعاني والبيان وقد اختلف فيه هل هو شرط أم لا قال السيد محمد والحق ان فيه ما هو شرط في بعض المسائل كالعربية وفيه ما ليس بشرط البتة وقد نقل اهل الاصول اكثر ما يحتاج اليه وقد تختلف عبارتهم والمعنى واحد

الشرط الرابع معرفة الآيات القرآنية الشرعية وقد قيل انها خمسمائة آية وما صح ذلك وانما هي مائتا آية أو قريب من ذلك ولا اعرف احداً من العلماء أوجب حفظها غيباً بل شرطوا ان يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها فمن نقلها الى كراسته وافردها كفاه ذلك

الخامس معرفة جملة من الاخبار النبوية ويكفي فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذى وسنن ابى داود والبخارى ومسلم وفيها ما لا يجب معرفته على مجتهد لأنها جامعة لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وبعوثه ولماورد من تفسير القرآن الكريم من كلامه ولذكر الرقائق والجنة والنار واحوال القيامة والفن والاداب والفضائل وقصص الانبياء المتقدمين وغير ذلك مما لا يحتاج اليه المجتهد: والذي يدل على ان جملة من الاخبار تكفيه ولا يجب الاحاطة بها ان الصحابة قد صح اجتهادهم في احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعى رضى الله عنه علمان لا يحيط بهما احد الحديث والفتنة وهذا صحيح وهو قول الجماهير والخلاف فيه شاذ قال والاولى من مرید الاجتهاد ان يعرف كتابا من كتب الاحكام التى اقتصر اهله على ذكر احاديث التحليل والتحريم وجمعوا جميع ما فى الكتب الصحاح من ذلك وبينوا الصحيح من السقيم وعد كتباً من ذلك ثم قالوا نعمها كتاب تلخيص المختصر للمحافظ ابن حجر فلا شك في كفايته للمجتهد وزيادة الكفاية انتهى كلامه رحمه الله: ويأتيك قريبا من اقوال الائمة الاربعين وغيرهم ما ينادى على أنهم لم يحيطوا بالاحاديث النبوية وأنهم صرحوا بان قولهم اذا خالف الحديث رددنا قولهم وعلمنا بالحديث قلت وقد منع ائمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين باقوال غيره من الائمة المجتهدين اولهم خير الامة وبمر علم الكتاب والسنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه فانه روى الاعمش عن فضل ابن عمرو عن سعيد بن جبیر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى ابو بكر وعمر عن التمتع قال ابن عباس ارام سيهلكون: اقول قل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال ابو بكر وعمر رضى الله عنهما: وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ايوب قال عروة لابن عباس رضى الله عنهما الا تمتنى الله ترخص فى التمتع فقال ابن عباس سئل أمك يا عروة فقال عروة أما ابو بكر وعمر فلم يفتلا قال ابن عباس رضى الله عنه ما والله لراكم متبين حتى

يعذبكم الله احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن ابي بكر
وعمر: وفي صحيح مسلم عن ابن ابي مليكة ان عروة بن الزبير قال لرجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة في هؤلاء الاشهر وليس
فيها عمرة فقال الا نسأل امك عن ذلك فقال عروة ان ابا بكر وعمر لم يفعل ذلك
قال الرجل من ههنا هلكنم ما ارى الله الا يعذبكم احدثكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتخبروني بابي بكر وعمر: ومراد ابن عباس ان عروة بن
الزبير يسأل امه امة بنت ابي بكر فانها شهدت حجة الوداع وولدت في سفرها
محل الاستدلال قول ابن عباس لا تقدم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلام أحد من الناس كائنا من كان وناهيك بالشيخين رضى الله عنهما فانه لو
جاز تقدم كلام أحد على سنته صلى الله عليه وسلم لكان احق الناس بذلك كلام
صاحبه رضى الله عنهما وليس كلامنا في المتعة اثباتاً ولا نفياً فالكلام على ذلك
في غير هذا اللوضعا مما مرادنا ما ذكرنا واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه
سأل سائل عن متعة الحج هي حلال فقال له الرجل ان اباك قد نهي عنها فقال ارايت ان
كان ابي نهي عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ابي اتباع امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي صحيح
مسلم ان ابن عمر لما حدث انه صلى الله عليه وسلم امرنا بالاذن للنساء في الخروج
الى المساجد قال بعض اولاده والله لا نأذن لمن وعلل كلامه بما يخشى من النساء
اذا خرجن فاقسم ابن عمر ان لا يكلمه: ولما روى ابو هريرة حديث انه لا يدخل
احدكم يده في الاناء اذا استيقظ حتى يغسلها ثلاثاً قال له قائل فكيف تصنع
بالمهراس فقال لا تضربوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال:
واخرج الترمذى انه قال ابو السائب كنا عند وكيع فقال رجل قدى وعن
ابراهيم النخعي ان الاشعار مثله قال فرأيت وكيعاً غضب غضباً شديداً وقال
اقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول قال ابراهيم ما احقك بان
تجسس نم لا تخرج حتى تنزع عن قولك: هذا ولو تتبعنا اقوال الصحابة والتابعين

لطال المقال واتسع نطاق الاقوال على انه معلوم من آرائهم انهم لا يقدمون على سنته صلى الله عليه وسلم قول احد من الرجال كيف وهذا عمر رضی الله عنه لما اراد ابو بكر رضی الله عنه قتال مانعي الزكاة لم يساعده اولا على ذلك واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاستدل عليه ابو بكر بقوله صلى الله عليه وسلم لا يجتهدوا في الزكاة من حقها فانشرح صدر عمر لما أمر به ابو بكر من قتال مانعي الزكاة فلم يقبل عمر قول ابي بكر حتى أقام الدليل من السنة

وأما الائمة الاربعة فان كلا منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم * أما أبو حنيفة رحمه الله فانه قال الشيخ العلامة محمديا السندي نزيل طيبة رحمه الله في رسالته المسماة تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام مالفظة في روضة العلماء في فضل الصحابة : سئل أبو حنيفة اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال أتركوا قولي لحبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل له اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة رضی الله عنهم وقال انه روى له البيهقي في المدخل باسناد صحيح الى عبد الله بن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس واذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمنا انتهى

وأما الشافعي رحمه الله فقال الشيخ محمد بن حياة روى البيهقي في السنن عند الكلام على القراءة بسنده قال الشافعي اذا قلت قولاً وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدوني ونقل امام الحرمين في نهايته عن الشافعي اذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا انه مذهبي وقال مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدري ذكره البيهقي أيضاً

وأما احمد بن حنبل رحمه الله فقال ابودارد قلت لاحد الاوزاعي هو أتبع أم مالك كأنه يريد أكثر اتباعاً من مالك فقال لا تقلدني دينك أحد أمن هؤلاء. ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير وقال احمد أيضاً لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا الثوري ولا الاوزاعي وخذ من حيث احسبوا وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال (١) وقال الشافعي أجمع الناس على ان من استبانته له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وقال اذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا قولي بالمخاطب واعملوا بحديث الضابط نقل هذا الشيخ محمد بن حياة في رسالته التي تقدم ذكرها وعند ما صح لنا هذا عن هؤلاء الائمة جزاهم الله أفضل الجزاء عن الائمة قلنا في آيات

علام جعلتم ايها الناس ديننا
 لاربعة لا شك في فضلهم عندي
 هم علماء الدين شرقاً ومغرباً
 ونور عيون الفضل والحق والزهد
 ولكنهم كالناس ليس كلامهم
 دليلاً ولا تقليد في غد يجدي
 ولا زعموا حاشاهم ان قولهم دليل
 فيستهدى به كل من يهدى
 بلى صرحوا انا تقابل قولهم
 اذا خالف المنصوص بالقدح والرد
 وهذه نصوصهم رضى الله عنهم كما سمعته وأقوال ائمة العلم في هذه كثيرة
 جدا على انه معلوم من صفات العالم انه لا يرتضي ان يقدم على قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعد صحته أو حسنة قول نفسه ولا قول غيره والا لم يكن
 عالماً متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت واذا عرفت تصريح الائمة بانه
 اذا صح الحديث بخلاف ما قاله فانه لا يقدم أحد في قولهم المخالف للحديث
 عرفت ان الأخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلد لهم لان التقليد حقيقة هو
 الأخذ بقول الغير من غير حجة وهذا القول الذي خالف الحديث ليس قولاً

(١) قال ابن القيم ولاجل هذا لم يؤلف الامام احمد كتاباً في الفقه وانما دون اصحابه
 مذهبه من اقواله وافعاله وأجوبته وغير ذلك

لهم لانهم صرحوا بانهم لا يتبعون فيما خالف الحديث وان قولهم هو الحديث وقد كثرت جنائات المقلدين على انتمهم في تعصبهم لهم فمن تبين له شئ من ذلك أى من الاحاديث النبوية فلا يعذر في التقليد فان ابا حنيفة و ابا يوسف قالوا لا يحل لاحد من أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه وان كان الرجل متبعاً لاحد الائمة الاربعة ورأى في بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه فاتبعه كان قد احسن في ذلك ولا يقدح ذلك في عدالته ولا دينه بلا نزاع وهذا اولى بالحق واحب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن تعصب لواحد معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الائمة الاخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافراً يستتاب فان تاب والا قتل فانه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الائمة رضى الله عنهم دون الاخرين فقد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر انتهى نقله الشيخ محمد حياة رحمه الله قلت وقوله من هؤلاء الاربعة بيان لواقع اذم في نظره المتبعون والا قال بالاطلاق من غير تقييد بالاربعة ثم من هنا يعرف بطلان قولهم وبعد الالتزام يحرم الانتقال الا الى ترجيح نفسه فانا نقول بل يحرم الالتزام اذ معناه تقليد معين من العلماء وعدم الرجوع الى تقليد غيره فانا نقول هذا الالتزام للمعين هل كان ايثار التزام للقلد لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له ارجحية مذهب على غيره التزاماً أو كان عن غير نظر بل تقليداً في تعيين التزام مذهب ان كان لاول فدل على انه مجتهد عارف بالنظر في الادلة راجحها ومرجوحها وهذا لا يحل له التقليد فضلاً عن الالتزام وان كان الثاني وان تبعه سهواً وخطأً فلا اعتبار بالتزامه فان شهوته ليس بدليل وما احسن قول ابن الجوزي في تليس ابليس اعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلده وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن اعطى شمعة ان يطفئها ويمشى في الظلمة انتهى

فان قلت القائلون بجواز التقليد طائفة من العلماء ولهم ادلة على جوازه قلت القائلون بتحريمه طائفة أيضاً من الامة ولهم ادلة على ذلك ولا يهولك القائلون وكثرتهم من الفريقين بل ارجع الى الادلة فهي معيار الحق من الباطل وبها تبين الحالى جوده من العاطل واقدم لك مقدمة نافعة قبل سرد الادلة من الجانبين وهو ان لا شك ان لنا اصلاً متفقاً عليه وهو انه لا يثبت حكم من الاحكام الا بدليل يشر علماء أو امارة تشرظنا وهذا امر متفق عليه بين العلماء قاطبة بل بين كافة العقلاء من أهل الايمان ومن أهل سائر الملل والاديان وان هذا عام لاحكام الدنيا والدين شامل للموحدين والملحدين فانه مغرور في العقول انه لا يقدم أحد على فعل من الافعال أو ترك من التروك الا بعد اعتقاده عن علم أو ظن ان هذا الفعل ترك أو فعل لما يترتب عليه فائدة دينية أو دنيوية من جلب نفع أو دفع ضرر وهذا الاعتقاد ملزوم بعلم أو ظن عن دليل وامارة: وقال ملا على قاري رحمه الله تعالى وان اشتهر بين الخنفية ان الخنفي اذا انتقل الى مذهب الشافعي يعزز واذا كان بالعكس فانه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع وقال ملا على قاري في رسالته في اشارة المسبحة وقد اغرب الكيداني حيث قال والعاشر من الحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم منشؤه الجهل بقواعد الاصول ومراتب الفروع من المنقول ولولا حسن الظن به وتاويل كلامه حينئذ لكان كفره صريحاً وارتياده صحيحاً فهل لمؤمن أن يجرم ما ثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم بما كاد نقله أن يكون متواتراً ويمنع ما عليه عامة العلماء كإبراهيم عن كابر مكابراً^(١) فكل عاقل لا يقدم على فعل أو

(١) الى هنا هو من كلام ملا على القاري وتمامه كما هو في غير موضع : والحال ان الامام الاعظم والهام قال لايجل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام لكان من المتعين على أتباعه من العلماء الكرام فضلا عن العوام أن يعملوا بما صح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكذا لو صح عن الامام فرضاً تقي الاشارة وصح اتباعها عن

يُحجم عنه الا لاعتقاده نفعاً أو دفعاً والاعتقاد لا يكون الا عن علم أو ظن والعلم لا يكون الا عن دليل والظن لا يكون الا عن أمانة ثم ان العقول مجبولة على أن لا تقبل قولاً من الاقوال الا لظن صدقه أو العلم به ولا ترده الا لظن كذبه أو العلم بكذبه وظنها صدق القول أو كذبه أو علمها بهما يتوقفان على الدليل والامارة واذا تقرر هذا فالعقلاء قاطبة وأهل الملل والنحل المختلفة متفقون على انه لا يجب تصديق أحد واتباع قوله حتى يأتي يبرهان على ماقاله من دعواه أو اخباره عن أي أمر * ألا ترى ان موسى عليه السلام لما قال لفرعون (اني رسول من رب العالمين) ^(١) الى قوله (قد جاءتكم بيينة) ^(٢) الى قول فرعون (فانت بها ان كنت من الصادقين) ^(٣) وفي سياق قصصه في القرآن كلها نحو هذا وقال صالح (قد جئتكم بيينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) بعد قولهم (فأت باية إن كنت من الصادقين) ^(٤) وسائر قصص الانبياء كذلك * وأما قوم هود (ما جئتنا بيينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) ^(٥) فمن تمنهم في كفرهم وجعلهم البيئة غير بيينة واذا عرفت هذا عرفت ان كل عاقل لا يقبل قول قائل مدعياً ومخبراً ولا يصدقه حتى يقيم البيينة على ماقاله فان هذا فرعون مع غلوه في كفره وكبريائه طلب من موسى البيينة على دعواه انه رسول من رب العالمين ولم يقابله بالرد لدعواه بصد واعراض عن ماقاله وادعاه ولم يقل له صدقت ولا كذبت بل طلب

١ - الاعراف ١٠٤ - ١٠٦

٢ - الاعراف ٧٣

٣ - الشعراء ١٥٤

٤ - هود ٥٣

صاحب البشارة فلاشك في ترجيح التثبت المستند اليه صلى الله عليه وآله وسلم وكيف وقد وجد قوله المرصع بما ثبت بالاسناد الصحيح فمن أنصف ولم يتعسف عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المماند المكابر ولو كان عند الناس من الاكابر : اه أقول وردت الاشارة بالسبابة في الصلاة من حديث وانزل بن حجر عند أبي داود والنسائي والامام احمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي : قال اصحاب الشافعي تكون الاشارة بلاصبع عند قوله الا الله من الشهادة : قال النووي والسنة أن لا يجاوز بصره لشارته : وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود « ويشير بها موجة الى القبلة » ونوي بالاشارة التوحيد والاخلاص : قال ابن رسلان والحكمة في الاشارة بها الى ان المعبود سبحانه وتعالى واحد ليجمع في توحيد بين القول والفضل والاعتقاد : وروي عن ابن عباس في الاشارة انه قال هي الاخلاص : وقال مجاهد مقصدة للشيطان : واهه أعلم .

منه البرهان كقوم صالح وكل أهل ملة من الملل الكفرية تطالب رسوماً بالبيئة على دعواه النبوة والرسول جميعاً لانكر عليهم طلبها بل منهم من يعرف دعواه بأن عنده البرهان عليها قبل أن يطالبوه به * ألا ترى ان موسى عليه السلام قال لفرعون في بعض محاورته (حقيق أن لأقول على الله الا الحق قد جتكم بيينة من ربكم^(١)) الآية واذا أقام النبي عليه السلام البيئة على دعوى النبوة فمن قومه من يصدقه وينقاد له كما كان من سحرة فرعون فلهم لما شاهدوا تلقف عصاه لما أتوا به من سحر عظيم كما وصفه الله (وألقى السحرة سحدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وتغادى فرعون ومن تبعه على كفرهم وتكذيبهم بصد علمه وعلم من بقي معه على كفره بصدق موسى كما قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)^(٢) فأخبر الصادق في اخباره المطلق على إضمار القلب وأسارره بأنهم جحدوا بما يأنه المبصرة وأنفسهم بها متيقنة وقال موسى عليه السلام لفرعون (فقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض)^(٣) واعلم ان سر هذه الاخبار منه تعالى بأنهم جحدوا بها عن يقين ان الله تعالى كما جبل العقول على أن لا تنبل دعوى ولا تصدق خبراً الا عن بيينة تقام عليهما كذلك جبلها على قبولها وانقيادها واذاعتها لقبول القول اذا أقيمت البيئة عليه والبرهان وتصديقها للدعوى والخبر في أي شأن كما جعل الشيع عند الاكل قن لم يقبل بعد اقامته فليس الا مكابرة وظلماً وعلواً وعدواناً ولوبسطنا الاستدلال لطال المقال الا ان المسئلة معلومة بالضرورة عند العقلاء مبسوط في دواوين الاسلام فلا حاجة الى الاطالة ويدل لذلك (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا)^(٤) وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)^(٥) وقوله (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)^(٦) ومعلوم انه تعالى لم يبعث الرسل الا لتقوم الحجة على العباد ولا تقوم الا ببرهان ينقاد اليه عقول من أرسل اليهم والا لم يكن ذلك برهاناً في حقهم والمفروض انه برهان فمن أنكره وجحد به فلا يجحد به الا عناداً وجهلاً ومكابرة ولتلك انه تعالى بعد ارسال رسوله وانبايهم

١ - الاعراف ١٠٥

٢ - الاعراف ١٢٠ - ١٢٢

٣ - النمل ١٤

٤ - الاسراء ١٠٢

٥ - الاسراء ١٥

٦ - النساء ٦٦٥

٧ - الثلاثة ١١

للأمم بالبراهين على صدقهم وهي المعجزات يهلك من لم يتبعهم ويرسل عليهم المصائب السماوية والارضية كما قال تعالى (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)^(١) فصرح بأنه تعالى لم يظلمهم باهلاكم بأنواع العقوبات لانه قد أقام عليهم براهين خفية رسله وعلموا صدقهم ولكنهم عاندوا وجحدوا بآياته ورسله وقد كانت قريش تعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى به من البيئات ولكنهم جحدوا بآياته وتعتوا في طلب معجزات اقترحوها باهوائهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) فهذا تعنت وتشدد في الكفر مع ان لو جاءهم بكتاب من السماء زادوا طغياناً كما قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين)^(٢) فاقترحوا ما تراه من أهواءهم وعنادهم وجهلهم ولا يجب على الرسل الا الاتيان بالبرهان الدال على صدقهم من المعجزات التي يعجز عنها قديم وقوام لا انه يجب عليهم ان يأتوا بمعجزة يقترحونها بتعتهم ولو اتوا بها لتعتوا ثانية وثالثة بل لو ادخلوا النار وردوا لعادوا لما نهوا عنه ولذا قال تعالى (ولو اتبع الحق أهوائكم لفسدت السموات والارض ومن فيهن)^(٣) بل حكى الله عن عنادهم فقال (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون)^(٤) فليس على رسول الله بعد دعواهم الرسالة الا اقامة البرهان على صدقهم كما حكى الله تعالى في كتابه عن كل نبي مع امة ورسوله مع قومه ولو تأمل الناظرون والمناظرون تأدييات القرآن وكيفية اقامة البرهان الذي هو في غاية البيان لاستغنوا به عن تاليف اليونان وتعلم اداب البحث لفلان ولفلان والمقصود ان من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اقامة

١ - العنكبوت ٤٠

٢ - الاسراء ٩٠ - ٩٣

٣ - الأنعام ٧

٤ - المؤمنون ٧١

٥ - الحجر ١٤ - ١٥

البرهان زادم هدى وآ تام تقوام ومن عانده وكابره ووجد ما انى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره كما قال تعالى (وتقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة)^(١) وكما قال تعالى (وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت منة الاولين)^(٢) أي سلكتنا الذكر ادخلناه في قلوب المجرمين الذين قد اجرموا بتكذيب ما عملوه حقاً من النبوة والكتاب أي ادخلناه مكذباً به مستهزئاً به: وقوله لا يؤمنون به» بيان لذلك أو حال وهو اخبار انه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين لأنها قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغيا وحسداً وعدواناً فعاقبهم الله بأن لا يهتدوا للايمان بعد ذلك ولا يزيدم آياته الا طغياناً كبيراً — كما قال تعالى في القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)^(٣) ومراده بالذين لا يؤمنون هم من أنكروا وجددوا وكابروا الرسول صلى الله عليه فيما أتى به في اول دعواه من البرهان * فالغنى والذين لا يصدقون بما يجب عليهم تصديقه * وكما قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً)^(٤) فالظالمون هم الذين ردوا آيات الرسل بعد علمهم بصدقها فعوقبوا بأن لا يهتدوا بكلام الله الذي هو شفاء ورحمة ولا يزدادون الا خساراً بخلاف من قبل ماجات به الرسل أول مرة زادم الله هدى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً)^(٥) فهؤلاء لما قبلوا براهين الرسل بالقبول والتصديق لهم والاذعان زادتهم آياته ايماناً وأولئك لما قبلوها بالجحود والتكذيب والكابرة والمصيان زادتهم آيات الله خساراً: هذا ومقصودنا انما هو بيان ان الاصل الاصيل والاساس الذى يبنى عليه التأصيل انه لا يقبل كلام أحد من دعوى يدعيها . أو قصة برويها إلا بافاضة الدليل على دعواه والبرهان على صدق مارواه فاذا قام البرهان وبينه بما تقبله العقول والاذهان وجب قبول قوله وتصديق منقلبه

واذا عرفت هذا الاصل الجليل عرفت ان المقلد قبل قول من قلده من غير

١ - الأنعام ١١٠

٢ - الحجر ١١

٣ - فصلت ٤٤

٤ - الاسراء ٨٢

٥ - الأنفال ٢

أمانة ولادليل فان حقيقة التقليد قبول قول الغير من دون حجة: مثاله أن يقول لك العالم مثلا المنى طاهر ويقول لك عالم آخر بل هو نجس فان قبلت قوله فهذا قول صدر من العالم ولم يأت لك بدليل عليه • وماقبولك لقول من قال انه نجس بأولى من قبولك لمن قال انه طاهر لان القائلين عالمان وكلاهما قال لك قولاً لازماً ما لم يتبين لك دليله وكون القائل بأنه طاهر من ديار الشافعية وعلماهم لا يصير احد القولين أرجح من الآخر عقلاً وشرعاً فان الديار والانتساب والاعتزاز الى أى عالم من علماء الامة لا يصير به أحد القائلين محقاً والآخر مبطلا: ضرورة عقلية وشرعية ان الاوطان لا اثر لها في ترجيح الادين وان الانتساب والاعتزاز الى أى عالم من علماء الامة لا يصير كلام من انتسب اليه حقاً وكلام من لم ينسب اليه باطلا

فان قلت العالم انما روي له معنى الاحاديث النبوية فالقائل انه نجس روى لنا معنى الاحاديث الواردة بغسله والقائل بأنه طاهر روى لى معنى الاحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه • وقبول رواية الاخبار النبوية قد قام الدليل عليه واتفق الناس عليه وان اختلفوا في قدر نصاب مايجب قبوله من الواحد أو الاثنين أو الاربعة

قلت نعم نحن قائلون بقيام الدليل على قبول خبر الآحاد بشروطه وانه تجوز الرواية بالمعنى ولكنك واهم في جعل قول العالم رواية لك بالمعنى فان القائل لك انه نجس انما أخبرك بالذي رجح عنده والقائل انه طاهر انما أخبرك بالذي رجح عنده اذ كل من العالمين قد عرف تعارض الادلة في المسألة ورجح عنده نظره احد الحكمين والآخر رجح عنده خلافه فهما مخبران لك عن رأيهما اذ الترجيح رأي محض يحصل لكل واحد من تعارض الادلة وكل منهما يجب عليه اتباع ما رجح له ولا يجب على غيره أن يتبعه في رأيه لا المجتهد ولا المقلد • أما الاول فبالاجماع وأما الثاني فحل النزاع فاننا الآن في البحث في جواز التقليد للعالم في قوله من غير ذكره لدليله

فان قلت قد قام الدليل على جواز التقليد قلت لمن قام هل للمقلد بالفرض انه مقلد لا يعرف الادلة ولا كيفية تطبيقها على المدعى ولا شرائط الاستنباط اذ لو كان كذلك لما كان مقلداً وهو خلاف المفروض أو قام دليل جواز التقليد للمجتهد فلا ينفع المقلد قيامه لغيره

فان قلت قام للمجتهد وقلده فيه المقلد قلت يمنع ذلك اتفاقهم ان مسألة جواز التقليد من مسائل الاصول ولا يجوز التقليد فيها وذلك لان المطلوب فيها العلم ولا يحصل الا بالدليل ولا يعرف الدليل الا المجتهد

فان قلت لانسلم انه لا بد في مسائل الاصول من أن يكون عن علم ولا يجوز أن يكون عن ظن قلت ان سلم هذا فالظن بالحكم الشرعي لا يكون الا عن أمانة شرعية ولا يعرفها الا المجتهد

فان قلت اذا أمليت أدلة جواز الاجتهاد على المقلد فهم المراد منها وعرفه واستند اليها وكان من املاها راوياً له قلت فانك اذا أمليت عليه قوله تعالى (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)^(١) فهم ان هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لا يعلمه واخذ هذا الحكم من الآية فان هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ولا يحتاج الى نحو ولا أصول ولا معاني ولا بيان ولا غيرها وصار مجتهداً في وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلم لان المفهوم عرفاً من الاوامر هو الوجوب * ومعلوم عقلاً ان الله تعالى اذا أمر بسؤالهم انه قد أذن بقبول قولهم والا لم يكن للامر بسؤالهم فائدة قلت اذا قلتم تكلفه هذا في الاجتهاد فما أحسن هذا المراد وهذا هو ما اراده من يقول بوجوب الاجتهاد على جميع الافراد مما له أهلية في فهم ما يراد وأحد الوجوه في الآية ان المراد فاستلوا من الآيات والاحاديث ان كنتم لاتعلمون فالآية أمر بسؤالهم عن الآيات والاحاديث والآية الى هذا المعنى اقرب لانه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر فالأظهر اسألهم عن البينات والزبر التي لاتعلمونها لاتسألهم عن آرائهم وما ترجح لهم حتى تكون الآية دليلاً على جواز التقليد * واذا فهم المقلد من

هذه الآية هذا المعنى فأى مانع ان يفهم من غيرها ما يعمل به في غيرها من الاحكام ويجتهد

واعلم انه ليس مع المانعين لذلك الا مجرد الاستبعاد واستعظام من وارته اللحدود من العلماء الامجاد وانه لا يكون الا لهم الاجتهاد وليس للمتأخرين الا جعل أقوال القداما، لاذهانهم كالاصفاد لا يخرجون عنها وان ناطحت علومهم الافلاك وجاوزت معارفهم أهل الكمال والادراك وما أرى هذا والله الا من كفران النعمة وجحود المنة فان الله سبحانه كمل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه وما اراد * وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ تعالى كتابه وسنة رسوله الى يوم التناد بأن كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لا يحتاج في معناها الى علم النحو والى علم الاصول بل في الافهام والطباع والعقول ماسارع به الى معرفة المراد منها عند قرعها الاسماع من دون نظر الى شيء من تلك القواعد الاصولية والاصول النحوية فان من قرع سمعه قوله تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)^(١) يفهم معناه من دون أن يعرف ان ما كلمة شرط وتقدموا مجزوم بها لانه شرطها ويجدوه مجزوم بها لانه جزاؤه ومثلها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً)^(٢) ومثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)^(٣) يفهم من الكل ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الاصولية ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الاغلب بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويكون لقوارعه وما حواه ولا يعرفون اعرابا ولا غيره مما سقناه بل ربما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والاعياد ويدوقون الوعظ ويفهمونه ويفتت منهم الاكباد وتدمع منهم العيون ويدركون من ذلك ما لا يدركه العلماء المحققون ويسمعون احاديث

١ - البقرة ١١٠

٢ - الزمل ٢٠

٣ - آل عمران ٣٠

٤ - النحل ١٠

الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب وأنت تراهم يقرؤون كتباً مؤلفة من الفروع الفقهية كالازهار للهدوية والمنهاج للشافعية والكبير للخلفية ومختصر خليل للمالكية ويفهمون ما فيها ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات اليها فليت شعري ما الذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والاعراض عن استخراج ما فيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات في الخيام قد ضربت دونها السجوف ولم يبق لنا اليها الا ترديد الفاظها والحروف وان استنباط معانيها قد صار حجراً محجوراً وحرماً محرماً محصوراً

وقال بعض العلماء المتأخرين في شرح بلوغ المرام في شرح حديث « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ما لفظه : انه اشتغل بالحديث عن اشتراط أن يكون الحاكم مجتهداً قال وهو المتمكن من أخذ الاحكام من الادلة الشرعية قال ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلداً مجتهداً في مذهب إمامه ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لا يجده منصوصاً في مذهب إمامه انتهى

وقد نقلناه في شرحنا سبل السلام وتعقبناه بقولنا : قلت ولا يخفى ما في هذا الكلام من البطلان وان تتابع عليه الاعيان وما أرى هذه الدعوى التي تطابق عليها الانظار الا من كفران نعمة الله عليهم فانهم أعنى المدعين لهذه الدعوى وهى دعوى عزة وجود المجتهدين في الاحكام بالكلية : أو كيدودة عدمه مجتهدون يعرف أحدهم من القواعد التي يمكن بها الاستنباط واستخراج الاحكام الشرعية من الادلة النبوية ما لم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ولا ابو موسى الأشعري قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن ولا معاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ولا شريح قاضي عمر وعلى رضي الله عنهم في الكوفة شيئاً من هذه الشروط التي أفادها قول ذلك الشارح

المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة مذاهبيهم الذين تبرؤا عن إثبات مقال لهم يخالف نصاً نبوياً فإنها اذا وردت بخلاف ماقرره من قلدوه حرفوها عن مواضعها وحملوها على غير ما اراده صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المعتزلة في حديث «شفاعتي لاهل الكبائر من أمي» وقد اعتقد ذلك المعتزلي انه لا شفاعاة للعصاة فقال مراده صلى الله عليه وسلم بأهل الكبائر المؤمنون أهل الصلاة لان الصلاة كبيرة قال الله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فانظر أرى تحريف أعجب من هذا الذي قاده اليه مذهبه واعتقاده ان لا شفاعاة لاهل الكبائر وكونه تحريفا لا يحتاج الى دليل: ومثل قول بعض من اعتقد ندب صوم يوم الشك لانه مذهب امامه في حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » انه مراده بابي القاسم عمار نفسه قال قد عصاني وانما وضع الظاهر موضع المضمحل ولا يخفى ما في هذا الحل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية عمار أبو اليقظان: ومثله قول ابن القيم في المهدي النبوي أن مراد عمار بيوم الشك آخر يوم من شعبان ولفظه والمنقول عن عمر وعلى وعمار النهي عن صوم آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا هو الذي قال فيه «عمار من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»

قلت وهذا من التحريف رعاية للمذهب لان احمد بن حنبل قائل بصوم يوم الشك فحمله رعاية للمذهب على حمل حديث عمار على آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا اليوم لاشك فيه قطعا بل هو يوم يقين من شعبان: وكقدح بعض الحنفية في أبي هريرة رضى الله عنه كما ذكره الحافظ في فتح الباري لما روى حديث المصراة على خلاف ما يمتقدونه مذهباً

والحاصل ان من اعتقد مذهباً من المذاهب فانه يؤدي ذلك الى المحاماة عليه والى اخراج الآيات والاحاديث عن معانيها التي ارادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فان من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة وتحريم ذبائحهم حل

قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)^(١) على حل أخذ الحبوب منهم كالحنطة والشعير فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الأحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية وانى لاخاف ممن حرف الآيات والأحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كأسلفناه في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم)^(٢) الآية ولو تتبعت ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع لكن مرادنا النصيحة لا التشنيع وهي تحصل بأقل مما سقناه وأيسر مما رقناه

فان قلت قد ذكر العلماء أدلة لجواز التقليد واسعة وطرائق نافعة قلت نعم وقد ردها أئمة الاعتقاد وأوضحوا ما فيها من الفساد ولنذكر خلاصة كلام الفريقين فالدليل الأول قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)^(٣) قالوا فأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه فالجواب انا نقول أولا ان التزام مذهب امام معين في جميع أقواله بحيث أن لا يحل الخروج عنه بحال بدعة وكل بدعة ضلالة فما معنى الاستدلال على البدعة

أما كونه بدعة فلانكم يا أسراء التقليد وغيركم لا يمكنكم أن تدعوا أنه كان في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا من الصحابة يقلده في كل أقواله ولم يترك منها شيئا وأسقط أقوال غيره البتة فلم يأخذ منها شيئا ويتأول ما ورد من الآيات والأحاديث ليوافق مذهب من قلده هذا معلوم بالضرورة انه لم يكن في الصحابة ولا في تابعيهم ولا تابع التابعين وهذه هي القرون الثلاثة التي خیرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرن قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » الحديث وما حدثت بدعة التقليد الا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - الثالثة ٥

٢ - الأنعام ١١٠

٣ - النحل ٤٢

٤ - الأنبياء ٧

وأما الآية التي ذكرتم فإن الله تعالى أمر فيها من لا يعلم أن يسأل أهل الذكر والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » وآياته القرآن والحكمة السنة وكما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته) إلى قوله (والحكمة) فالامر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنها ليخبروه فإذا أخبروه وجب عليه اتباع ما أخبروه به وهنا على أظهر الوجوه في تفسير الآية لمن له أدنى الملم بالفسير فكيف يستدل على أعظم قواعد الاصول بوجه مجروح : ويؤيد هذا الوجه الرجح معنا أن هذا كان شأن أهل العلم في الصحابة والتابعين يسأل الجاهل العالم أي عالم عن الآيات والسنة وليس لهم مقلد معين يتبعونه في أقواله فكان ابن عباس رضى الله عنه يسأل الصحابة عن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله لا يسأله عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون نساءه صلى الله عليه وسلم عن ما يخفى عليهم من سنته سيما عائشة رضى الله عنها : وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وسنته وكذلك أئمة الفتى قال الشافعى رضى الله عنه لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث منى فإذا صح الحديث فأعلمنى حتى أذهب اليه شامياً كان أو كوفياً أو بصرياً ولم يكن أحد قط من أهل العلم يسأل الرجل عن رأى رجل بعينه فيأخذ به ويطرح ما سواه

الثاني من أدلة جواز التقليد أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة صاحب الشجة « الا تسألوا اذا لم تعلموا انما شفاء العبي السؤال » فإرشدهم الى السؤال والجواب انه صلى الله عليه وسلم انما أرشد المفتين لصاحب الشجة الى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته فقال قتلوه قتلهم الله يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد فان الافتاء به ليس علماً باتفاق الامة وما دعا رسول

١ - الأخراب ٢٤

٢ - الجمعة ٢

الله صلى الله عليه وسلم على فاعله فانه حرام وهو أحد أدلة التحريم فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه

الثالث من أدلتهم قالوا قال أبو العسيف الذي زنى بامرأة مستأجره « واني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم » أخرجه البخاري قالوا فلم ينكر صلى الله عليه وسلم تقليد من هو أعلم منه والجواب أن هذا سأل أهل العلم فأفتوه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها سأل فهو يصلح عاضداً للآية وان المراد سؤال أهل الذكر عن الكتاب والسنة لا عن رأيهم

الرابع من أدلتهم قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقدم تابع لهم فهو ممن رضى الله عنه : والجواب صدق المقدمة الاولى وكذب الثانية فان الاولى ضرورية الصدق وأما كذب الثانية فان تفسير اتباعهم بالتقليد من تحريف الكلم عن مواضعه كيف وهذا التقليد الذي يريدونه بدعة حادثة لا يفسر بها كلام الله: واتباعهم انما هو سلوك طريقهم ومنهجهم وقد نهوا عن التقليد فلم يكن في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار مقلد بالاتفاق فكيف يقال من اتباعهم تقليد بل التابعون لهم باحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأياً ولا قياساً ولا يحملون كلام أحد عياراً على القرآن والسنن فالذي اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ولم يتخذ رجلاً بعينه اماماً يقتدى باقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فأمر تعالى باتباع المنزل خاصة والمنزل هو الكتاب والسنة قال الله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فالتقليد لا يكون اتباعاً فان الاتباع سلوك طريقة المتبع والآيتان

١ - التوبة ١٠٠

٢ - الأعراف ٢

٣ - المشر ٧

بمثل ما أتى به : وقد عقد أبو عمر بن عبد البر باباً في الفرق بين الاتباع والتقليد وقال قال عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع عنه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة

والخامس من ادلة المقلدين الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم فأبهم اقتديتم » والجواب ان الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شيء . قال البزار واما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وان صح فالإقتداء غير التقليد فان الاقتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله بالدليل الذى فعله فلذلك قلنا من آيات

وستان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدى فالضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان أصبح شاربا نبذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى اضحى امام معارف وكان اويسا في العبادة والزهد
فمقتدياً في الحق كن لا مقلداً وخل اخا التقليد في الاسر باتمد

فالقلد لا ي حنيفة وهو المراد بالنعمان يجوز عنده شرب النبيذ و ابوحنيفة لن يشربه فالإقتداء به ان لا يشربه بل المقتدى به يكون اماما في العلم والزهد كابي حنيفة ومثله قول الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير مؤلف العواصم والقواصم في الذب عن ابي القاسم من آيات :

هم قلدوم فاقديت بهم وم بين المقلد في الهدى والمقتدى
من قلد النعمان أصبح شاربا لثلث رجس خبيث مزبد
ولو اقتدى بابي حنيفة لم يكن الا اماما راكعا في المسجد

وقال الله تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان عد من الانبياء

عليهم السلام محوا من بضعة عشر نبيا (فيهداهم اقتده) قال في الكشاف المراد بهداهم طريقهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين انتهى . ومعلوم يقينا ان الله تعالى لم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتقليد رسله في اديانهم فعرفت أن الاقتداء والاتباع ليسا من التقليد في ورود ولا صدر

السادس من ادلة المقلدين قالوا حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ابو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد: والجواب ان الاهتداء بهم اتباع السنة والكتاب والقبول لما فيها والثناء اليهما وتحريم التقليد اذ لم يؤثر عنهم وقد صح عن ابن مسعود وهو ابن ام عبد النهي عن التقليد وقال لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له ثم من المعلوم ان احدا منهما لم يكن يدع السنة بقول اي قائل ثم ان سنة الخلفاء الراشدين وطريقتهم اتباع السنة والكتاب فالأخذ بسنتهما اتباع السنة النبوية والقرآن ثم يقال لكم أيها المقلدون انكم لا تقلدون ابا بكر وعمر ولا تجعلون قولهما حجة بل قلدم أئمة من اتباع الائمة وحرمت تقليد غيرهم فأين انتم من العمل بهذا الحديث لو كان مسوقا للتقليد فاتم اول تارك له

السابع من ادلة التقليد ان في كتاب عمر رضى الله عنه الى شريح انه يقضي بما قضى به الصالحون ان لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به: والجواب ان كتاب عمر رضى الله فيه دليل على عدم التقليد بل امره باتباع الكتاب والسنة والمقلدون لا يقولون بذلك بل لا ينظرون في كتاب الله ولا سنة انما ينظرون في كتب شيوخهم واقوالهم ثم انه قال اذا لم يجد فيها قضاء بما قضى به الصالحون فاباح له عند تعذر وجدان الدليل من الامرين الرجوع الى ما قضى به الصالحون الذين لا يقضون الا عن دليل من كتاب او سنة او قياس جلي فاجاز له هنا الاخذ في القضاء برأى الصالحين في الحالة الراهنة لا انه يجعل رأيهم مقدما على الكتاب والسنة كما جعل المقلدون ثم هذا كلام عمر رضى الله عنه وليس بحجة

الثامن قالوا كان الصحابة يفتون في عصره صلى الله عليه وسلم باطلاعه وهذا تقليد للمفتين * والجواب ان فتوهم كان تبليغاً عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن افتاءً بآرائهم ولذلك لما أفتوا صاحب الشجة بخلاف سنته قال قتلهم الله كما عرفت

التاسع من أدلتهم قالوا قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فأوجب قبول انذارهم وذلك تقليد لهم * والجواب ان هذا جهل للفظ الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أنذر كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بالحجة لم يكن نذيراً وحينئذ فالمراد لينذروا قومهم باخبارهم أيام بالحجج والبراهين على ما يفقهونهم به من الاحكام الأتري ان خزنة النار من الملائكة يقولون لمن فيها (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) الى قوله (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) قال الله تعالى (فاعترفوا بذنوبهم) فأنهم أقروا انه أتاهم النذير ولا يكون الا حجة فكذبوا ضللاً وعناداً وقالوا متأسفين (لو كنا نسمع) أي نعمل بما سمعناه (أو نعقل) أي نعمل بما عقلناه والا فمن المعلوم أنهم سمعوا وعقلوا لكن ما عملوا فكأنهم لاسمع لهم ولا عقل فهم الذين يقولون سمعنا وعصينا ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم فعرفت انه لا دليل في الآية للمقلدين

العاشر من أدلتهم قالوا قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له * والجواب ان هذا من أبطال الأدلة فانا ما قبلنا قولهم الا بنص ربنا وقول نبينا واجماع أمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل قبلناه لان الله أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فان سميت ذلك تقليداً فلا يضرنا وأما أنتم فقبلتم قول من قلتموه وتركتم قول من عداه ولو كان آية من الله وحديثاً نبوياً لتأولتموها وأرجعتموها ناكسين على أعقابكم الى قول امامكم وكذلك قبولنا اقرار من أقر على نفسه بشيء وحكمتنا به عليه لا يسمى تقليداً

١ - التوبة ١٢٢

٢ - الملك ٨ - ٩

٣ - الملك ١٠

بل اتباعاً لقول الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) واجماع الامة وعمله صلى الله عليه وسلم في قبول اقرار ماعز والقامدية ورجهما باقرارهما ولا يقول أحد انه صلى الله عليه وسلم قلدهما

الحادي عشر من أدلتهم قالوا قد جعل الله في فطر العباد تقليد المتعلمين للعالمين والاستاذين في العلوم والصنائع ولا تقوم مصالح الخلق الا بهذا وذلك عام في كل علم وصناعة وقد فاءت الله بين الازهان كما فاءت بين القوى في الابدان فلا يحسن في حكمته وعدله ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله * والجواب ان هذا حق لا ينكر ولا ينكر أخذ العلم عن العلماء وينكر أخذه من الصحف والقراطيس بغير تعلم ولكننا نفتدى بالعالم ونهتدي بتعليمه ونستعين بفهمه ونستضيء بانوار علومه وفرق بين تقليد العالم في جميع ما قاله وبين الاستعانة بفهمه فان الاول يأخذ بقوله من غير نظر في دليل من كتاب ولا سنة والاستعانة بفهمه وهو الثاني بمنزلة الدليل في الطريق والخريت الماهر لابن السبيل فهو دليل الى دليل فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره ونظيره من استدل بالنجم على القبلة فاذا شاهد القبلة لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى وأما قوله تعالى انه فاءت بين الازهان فهذا مسلم وكلامنا فيمن له أهلية الخطاب وفهم ادلة ما يحتاجه من أدلة السنة والكتاب وهو بحمد الله الواحد الوهاب أمر ليس بالخفي ولا بالالغاز الذي لا يعرفه الا الذكي بل قد منالك ان الفاظهما أقرب تناولاً وأسهل أخذاً وأوضح معنى ولا بد للمكاف من تفهم معاني ما كلف به اما من كلام شيوخه أو من كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا يتم له التكليف الا بالفهم والا كان معنوراً غير مخاطب بشيء من الشرعيات فالفهم الذي يصرفه في حل عبارات شيوخه وبيان معانيها يصرفه في تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقدر الذي كلف

الله به عباده وقد سهله وما جعل في الدين من حرج لافي فهم المراد ولا في الافعال التي خاطب العباد : وقد قدمنا ان الواجب على كل عبد ما يخصه من الاحكام وما يدعوه اليه حاجة وهو امر سهل يسير فان أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه العلم نقطة كثيرها الجهال فهذه زبدة أدلة مجوزى التقليد وأجوبتها ومن له فهم أو القى السمع وهو شهيد لا يخفاه بعد ذلك اذا كان له مطلباً وإياه يريد وقد ذكرنا أدلة سماعها شغل الاسماع بغير فائدة تعود على سامعها ولا انتفاع تركناها لا نشغل بها الاوقات ويستغنى بها عن ما هو أولى بالنظر بالاتفاق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وعليه تعالى في كل فعل التعويل ومنه نستمد الهداية في البكرة والاصيل الى ما يقربنا الى جانبه وينزلنا في ظل رحمة الظليل وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل وصحابته خير صحاب وقبيل

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

رفع الريبة

﴿ عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة ﴾

تأليف

« شيخ الاسلام قاضي القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني البجائي »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وآله فانه قد اتفق أهل العلم جمع على تحريم الغيبة للمسلم وذلك لنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما الكتاب فقوله تعالى (ولا يغتب بعضهم بعضاً) يجب احكامهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتهوه) فهذا نهى قرآني عن الغيبة مع ايراد مثل بذلك يزيد شدة وتقليظاً ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره فلن أكل لحم الانسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعاً ولو كان كافرأ أو عدواً مكلفاً فكيف اذا كان أخاً في النسب أو في الدين فلن الكراهة تتضاعف بذلك ويزداد الاستقذار فكيف اذا كان ميتاً فلن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت لا يشتهي الطبع ولا تقبله النفس: وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة بعد النهي الصريح عن ذلك وأما السنة فأحاديث النهي عن الغيبة وهي ثابتة في الصحيحين وفي غيرها من دواوين الاسلام وما يلحق بها مع اشتغالها على بيان ماهية الغيبة وايضاح

فانه لما سأله صلى الله عليه وسلم سائل عن الغيبة فقال «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت اذا كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته» وهذا ثابت في الصحيح فعرفت تحريم الغيبة كتاباً وسنة واجماعاً ولكنه قد وقع في كلام جماعة من العلماء الاستثناء لصور صرحوا بأنه يجوز فيها الغيبة وكلماتهم في ذلك متفاوتة وما ذكروه من الاعداد المستثناة مختلف فلنقتصر هنا على ذكر ما أورده النووي في شرح مسلم له ثم نذكر بعد ذلك تصحيح ما هو صحيح من كلامه وتمقب ما هو محل التعقيب ونستدل على ما لم يذكر الدليل عليه حتى يكون هذا البحث تاماً شاملاً كاملاً فانه من المهمات الدينية لعظم خطر الوقوع فيه مع تساهل كثير من الناس في شأنه ووقوعهم في خطره الا من عصمه الله من عباده

قال النووي في شرح مسلم عند ذكر ما ورد في تحريم الغيبة ما لفظه تباح الغيبة لفرض شرعي وذلك ستة أسباب: أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرها ممن له ولاية وقدرة على انصافه من ظالمه ويقول ظلمي فلان أو فعل بي فلان كذا: الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يبرج قهرته فلان يعمل كذا فازجره أو نحو ذلك: الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقتي في الخلاص منه ورفع ظله عنى ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول في رجل أو زوج أو ولد أو والد كان من أمره كذا ولا يعين ذلك والتعيين جائز لحديث هند وقولها ان أبا سفيان رجل شحيح: الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجرحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صوتاً للشريعة: ومنها الاخبار بغيبة عند المشاورة في مواصلة: ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو شارباً أو زانياً أو نحو ذلك تذكر للمشتري اذا لم يعلمه نصيحة لا لتقصد الايذاء أو الافساد: ومنها اذا رأيت

متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحتته بيان حاله قاصداً للنصيحة : ومنها ان يكون له ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله ولا يفتر به أو يلزمه الاستقامة : الخامس أن يكون مجاهراً بنفسه أو بدعته كالحخر والمصادرة للناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر : السادس التعريف فان كان معروفاً بلقب كالأعمش والاعرج والازرق والقصير والاعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه ويحرم ذكره بها منتقاصاً ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى انتهى كلامه بحروفه

وأقول مستعينا بالله ومتوكلاً عليه قبل التكلم على هذه الصور اعلم انا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والصفة الواردة في الكتاب والثابتة في السنة عامة عموماً شمولياً يقتضى تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع لفرد أو أفراد الا بدليل يخص هذا العموم فان قام الدليل على ذلك فيها ونعمت وان لم يقم فهو من القول على الله بما لم يقل ومن تحليل ما حرم الله بغير برهان من الله عز وجل : اذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الاولى من الصور التي ذكرها وهي جواز اغتياب المظلوم لظلمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التي يجتمع الناس بها أما اذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته ورفع ما نزل به من ذلك الظالم كمن له منهم قدرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم فالامر ظاهر وأما اذا كان لا يرجو منهم ذلك وانما أراد كشف مظلمته وانتهازها في الناس فظاهر الآيه الكريمة يدل على جوازه لانه لم يقيد بقيد يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول الا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة وان كان ما قدمنا

من كلام النووي يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظالم لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع مما عدها

وها هنا بحثان الاول لا يخفاك ان الادلة الدالة على تحريم الغيبة تشمل المظلوم وغيره والآية الدالة على جواز الجهر بالسوء لمن ظلم تفيد جواز ذلك في وجه الظالم وفي غيبته فأدلة تحريم الغيبة أعم من وجهه وهو شمولها لغير المظلوم وأخص من وجهه وهو عدم تناولها لما يقال في وجهه من يراد ذكره بشيء من قبيح فعله وآية جواز ذكر المظلوم للظالم أعم من وجهه وهو جواز ذكر ذلك في وجه الظالم وفي غيبته وأخص من وجهه وهو عدم تناولها لغير المظلوم وظالمه ولا تعارض في مادتين وهما دلالة أدلة تحريم الغيبة على عدم جوازها لغائب غير ظالم ودلالة آية جواز الجهر بالسوء على انه يجوز للمظلوم في وجه الظالم وانما التعارض في مادة واحدة وهو ذكر المظلوم للظالم بظلمه له في غيبته فأدلة تحريم الغيبة قاضية بالمنع من ذلك والآية قاضية بالجواز للمظلوم ولا يخفاك ان أدلة تحريم الغيبة أقوى لصراحة دلالة الآية على تحريمها مع اعتضادها بالادلة من السنة واشتداد عضدها بوقوع الاجماع عليها: وآية ذكر المظلوم للظالم وان كانت قطعية المتن فهي ظنية الدلالة وقد عارضها ما هو مثلها من الكتاب العزيز في قطعية متنه وظنية دلالاته وانضم الى ذلك المعارض ما شد عضده وشال بصيغة من السنة والاجماع فتصير دلالة آية جواز ذكر المظلوم للظالم على ذكره بالسوء الذي فعله من الظلم الذي اوقعه على المظلوم في وجهه ولا يجوز له ذكره في غيبته ترجيحاً للدليل القوي ومشياً على الطريق السوي فلا تكون هذه الصورة التي جعلها النووي عنواناً للصورة المستثناة صحيحة لعدم قيام مخصص صحيح صالح للتخصيص يخرجها من ذلك العموم

البحث الثاني هل جهر المظلوم بالسوء الذي اصابه من ظالمه جائز فقط أم له رتبة أرفع من رتبة الجواز لان الاستثناء من قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء) يدل على ان جهر للمظلوم بالسوء الذي وقع عليه محبوب لله تعالى واذا كان محبوباً لله تعالى كان فعله من فاعله يزيد تحريقه رائدة على الجواز ورتبة أرفع منه وهنا على تقدير ان الاستثناء متصل حتى

يثبت للمستثنى ما نفى عن المستثنى منه أما اذا كان منقطعا فلا دلالة في الآية على انه مما يحبه الله بل لا يدل على سوى جوازه لكن على تقدير الاتصال ههنا مانع من ان يكون لذكر المظلوم لظلمه بالسوء رتبة زائدة على رتبة الجواز وهو ان الله سبحانه قدر غب عباده بالعمو وندبهم الى ترك الانتصاف والتجاوز عن المسئى حتى ورد الارشاد للمظلوم الى ترك الدعاء على ظالمه وانه اذا فعل ذلك انحط عليه من اجر ظلامته ما هو المذكور في الاحاديث : وقد صرح الكتاب في غير موضع بالامر بالعمو والترغيب فيه وعظم اجر العافين عن الناس وهكذا وقع من السنة المطهرة ما هو الكثير الطيب من ذلك : ومجموع هذا يفيد ان الانتصاف وترك العمو غاية ان يكون جائزا وهكذا ما في الآية من جواز ذكر المظلوم للظالم بالسوء الذى ناله منه للقطع بان الله يحب العمو عن الناس وذلك معلوم بالكتاب والسنة والاجماع والادلة على من كليات الشريعة وجزئياتها تحتاج الى طول وبسط

وأما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا وهي الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فاعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الاولى والاخرى فان كانا قائمين قام بقيامهما سائر الاعمدة الدينية والمصالح الدنيوية وان كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية: ويبان ذلك ان اهل الاسلام اذا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الاساس والقيام به هو شأن الكل أو الاكثر من الناس والمعروف بينهم معروفهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ورد غواية من فارقه والمنكر لديهم منكر وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية اليه متاصرة على الاخذ بيد فاعله وارجاعه الى الحق والحيولة بينه وبين ما فارقه من الامر المنكر فعند ذلك لا يبقى احد من العباد في ظاهر الامر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكر لاني عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع وتستطلع شمس العدل وتهب رياح الدين وتستعلن كلمة الله في

عباده وترتفع أوامره ونواهيه وتقوم دواعي الحق وتسقط دواعي الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع إليه المعول عليه وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هما المعيار الذي توزن به أعمال العباد وترجع إليهما في دقيق الأمور وجليلها وبذلك تنجلي ظلمات البدع وتنقسم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس أهل معاصي الله وتخفق رايات الشرع في أقطار الأرض ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل

وأما إذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين أو كانا قائمين قياماً صورياً لا حقيقياً فيالك من بدع تظهر ومن منكرات تستبين ومن معروفات تستخفي ومن جولان العصاة وأهل البدع تقوى وترتفع ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس ومن هرج تمرج في العباد ويبرز للعيان وتقر به عين الشيطان وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة والعاصي كالذئب المفترس وهذا بلا شك ولا ريب بمحورسوم هذا الدين وذهاب نور الهدى وانطلاس معالم الحق وعلى تقدير وجود أفراد من العباد يقومون بفرائض الله ويدعون مناهيه ولا يقدرون على امر بمعروف ولا نهى عن منكر فما أقل النفع بهم واحقر الفائدة العائدة على الدين منهم فانهم وإن كانوا ناجين بأعمالهم فائزين بتمسكهم بعروة الحق الوثقى لكنهم في زمان غربة الدين وانطلاس معالم وظهور المنكر وذهاب المعروف بين أهل السواد الأعظم وفيما يتظاهر به الناس وحينئذ يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ويعود الدين غريباً كما بدا

وإذا تقرر لك هذا وعرفت ما في قيام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الناس من مصالح المعاش والمعاد وفوائد الدنيا والدين فاعلم ان هذا الذي رأى منكراً ان كان قادراً على تغييره بنفسه أو بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به بان يقول جماعة من المسلمين في المكان الفلاني من يرتكب المنكر فهلوا إلى وقوموا معي حتى نكروه ونغيره فليس به الا الغيبة التي هي جهد من لا له جهد حاجة الآن وإن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان موجوداً في عباد

الله فلا يحتاجون الى تعيين فاعل المنكر وبيان انه فلان ابن فلان وان لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الاسلامية فهم لا ينشطون الى اجابته بمجرد التسمية والتعيين اذ لا فرق في مثل هذا بين الاجمال اللهم الا ان يكون سيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كليلاً وعضده ضعيفاً عليلاً ضئيلاً فانهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر فان كان قوياً جليلاً يتركونه وان كان ضعيفاً حقيراً قاموا اليه وغيروا ما هو عليه وهذا هو غربة الدين العظيمة ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض فاذا كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدرن الا على الانكار على المستضعفين المستبدلين فذلك فرضهم وليس عليهم سوء وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة التي هي غاية ما يقدر عليه المستضعفون ونهاية ما يتمكن منه العاجزون والله ناصر دينه ولو بعد حين : وجواز الغيبة في مثل هذا المقام هو بادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بحجبها دليل لا صحيح ولا عليل

فان قلت ههنا دليلان بينهما عموم وخصوص من وجه هما أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلة تحريم الغيبة فكيف لم تعمل ههنا كما عملت في الصورة الاولى ؟ قلت قد عملت ههنا كما عملت في الصورة الاولى فرجحت العمل بالراجح كما رجحت في الصورة الاولى العمل بالراجح وان اختلف موضعاً الترجيح ففي الصورة الاولى رجحت أدلة الغيبة لما تقرر من ان العمومين الواردين على هذه الصورة ان رجح أحدهما على الآخر باعتبار ذاته وجب المصير اليه وان لم يرجح باعتبار ذلك وأمكن الترجيح باعتبار أمر خارج وجب الرجوع اليه وقد وجد المرجح هنالك باعتبار الامر الخارجي وهو أدلة السنة والاجماع فانها أوجبت ترجيح أدلة تحريم الغيبة في تلك الصورة التي وقع فيها التعارض على أدلة جواز الجهر بالسوء للمظلوم على طريقة الاعتبار وههنا كان الترجيح في صورة التعارض بكون أحد الدليلين ثابتاً بالضرورة الدينية دون الآخر ولهذا قدمنا لك ما قدمنا في فوائد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعرفناك انه لاشيء من الامور الدينية يقوم مقامها ولا يفتى غناها
 وأما الصورة الثالثة وهي جواز الغيبة للمستفتى فأقول لا يخفناك ان أدلة تحريم
 الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع كما قدمنا فصار تحريمها من هذه الحيثية
 من قطعيات الشريعة وليس في تسويةها للمستفتى الا سكونه صلى الله عليه
 وسلم عن الانكار على هند لما قالت له ان أباسفيان رجل شحيح وهذا السكوت
 منه صلى الله عليه وآله وسلم عند سماع الغيبة من امرأة حديث عهد بجاهلية لرجل
 حديث عهد بجاهلية مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه ما يدل على خلوص
 اسلامه واستقامة طريقه وانما ظهر منه ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
 فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في مثل هذه الحالة بعد ثبوت
 تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وعلم الصحابة واجماعهم عليه
 لا ينبغي التمسك بمثله ولا يحمل القول بصلاحيته للتخصيص لان السامعين من
 المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها فلو لم يكن السكوت
 الا لكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشتهراً عندهم لكان ذلك بمجرد
 قادحا في الاستدلال به وتخصيص الادلة القطعية بمثله وهذا على تقدير ان أباسفيان
 لم يكن حاضراً في ذلك الموقف فان كان حاضراً كما قيل اندفع التعلق بسكونه
 صلى الله عليه وآله وسلم من الاصل ومع هذا فلا ضرورة ملجئة للمستفتى الى
 التعيين حتى يقال انه لا يتم مطلوبه من الاستفتاء الا بالتعيين فانه يحصل مطلوبه
 بالاجمال لان المقصود استفتاء الحكم الشرعي وهي حاصلة بمعرفة ما يقوله المفتى
 مع الاجمال كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين وهذا مما لا شك فيه
 ولا شبهة : وبهذا تعرف ان هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة
 لعدم انتهاض دليلها يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال

وأما الصورة الرابعة قد جعلها النووي رحمه الله في كلامه السابق على
 أقسام خمسة : القسم الاول الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود واستدل
 على جواز ذلك بل على وجوبه بالاجماع وكلامه صحيح واستدلاله بالاجماع

واضح فانه مازال سلف هذه الامة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا التلاعب بسنة المطهرة لكثر الكذابين واختلط المعروف بالمنكروم يتبين ماهو صحيح مما هو باطل وماهو ثابت مما هو موضوع وماهو قوي مما هو ضعيف للقطع بأنه مازال الكذابين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « انه سيكذب على من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار » وثبت عنه في الصحيح أيضاً انه قال « ان كذباً على ليس ككذب على احدكم » الحديث: وثبت عنه في الصحيح انه قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » ففيه دليل على ان الكذب قد كان قبل انقراض القرن الثالث ولكن من غير فشو ثم فشا بعده وبهذا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بانه سيكذب عليه خصوصاً ويفشو الكذب عموماً ثم وقع في الخارج ما اخبر به الصادق المصدوق فانه لم يزل في كل قرن من القرون كذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون الاكاذيب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثون بها فلولا تعرض جماعة من حملة الحجة لجرح المجرحين وتعديل العدول ونهيم عن السنة المطهرة وتنبههم لكذب الكذابين لبقيت تلك الاحاديث المكذوبة من جملة الشريعة وعمت بها البلوى فكان قيام الائمة بهذه العهدة من اعظم ما اوجبه الله على العباد ومن أم واجبات الدين ومن الحماية لسنة المطهرة فجزاهم الله خيراً وضاعف لهم المثوبة فلقد قاموا قياماً مرضياً وخلصوا عباد الله من التكاليف بالكذب وصفوا الشريعة المطهرة وأماطوا عنها الكدر والفسر وأخرسوا الكذابين وقطعوا ألسنتهم وغفلوا رقابهم والحمد لله على ذلك * وهكذا جرح الشهود وتعديلهم فانه لو لم يقع ذلك لارقت السماء وهتكت الحرم واستبيحت الاموال بشهادات الزور التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكباثر وحذر عنها *

والحاصل ان كليات الشريعة وجزئياتها وقواعدها واجماع أهلها تدل أوضح دلالة على ان هذا القسم لاشك ولا ريب في جوازه بل في وجوب بعض صورته صوتاً للشريعة وذباً عنها ودفعاً لما ليس منها وحفظاً لاموال العباد ودمائهم واعراضهم وهذا كله داخل في الضروريات الخمس المذكورة في علم الاصول * ومما يدل على ذلك دلالة بيّنة ماورد في النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم فان بيان كذب الكذابين من اعظم النصيحة الواجبة لله ورسوله ولجميع المسلمين وأدلة وجوب النصيحة متواترة وكذلك جرح من شهد في مال أو دم أو عرض بشهادة زور فانها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده واخدم بتأديتها وأوجب عليهم القيام بها

القسم الثاني الاخبار بالغيبة عند المشاورة ثم مشروعية المناصحة الثابتة بالتواتر وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم كما ثبت في الصحيح وفيه « واذا استصحك فانصحه » ولكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئة الى التعيين ما في القسم الاول فانه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح لأشير عليك بهذا أو لاتفعل كذا أو نحو ذلك وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا فالتعيين والدخول فيما هو من الغيبة فضول من الناصح لم يوجب الله عليه ولا تعبه به ولا ضرورة تلجئه اليه كما في القسم الاول فليس هذا القسم من الاقسام المستثناة من أدلة تحريم الغيبة وبهذا تستريح عن الكلام في تعارض الدليلين الذين بينهما عموم وخصوص من وجه

القسم الثالث قوله ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً الخ * أقول هذا القسم أيضاً كالقسم الذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله لأشير عليك بشراء هذا أو نحو هذه العبارة فله عن الدخول في خطر الغيبة منه وجه وعن الوقوع في مضيقها سعة

القسم الرابع قوله ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق الخ * أقول وهذا

القسم أيضا كالذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بالاجمال ولم يتعد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب بل يكفيه أن يقول لا اشير عليك بمواصلة هذا أو لأرى لك الاخذ عنه أو نحو هذه العبارة فالتصريح بما هو غيبة فضول لم يوجب الله عليه ولا طلبه منه

القسم الخامس قوله ومنها أن يكون له ولاية الخ * وهذا القسم أيضا كالأقسام التي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لانه اذا قال له لا تستعمل هذا أو لأرى لك الركوب عليه فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة والزيادة على هذا المقدار فضول ليس لله فيه حاجة ولا للنصوح ولا للناصح

وأما الصورة الخامسة وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به * فأقول ان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة وقد اوضحنا ما فيها فلانعيده ومع هذا فحصول المطلوب من التحذير يمكن من دون ذكر ما جاهر به بان يقول لمن ينصحه لاتعاشر فلاننا أو لاتدأخله أو لاتذهب اليه فان هذا الناصح المشير يقوم بواجب النصيحة بهذا المقدار من دون أن يذكر نفس المعصية التي صار العاصي يجاهر بها وما أقل فائدة التعرض بذلك وأحصه فانه لم يأت داليل يدل على جواز ذكره بما جاهر به بل ذلك غيبة محضة وأما ما يروى من حديث « اذكروا الفاسق بما فيه كما يحذره الناس » فلم يصح ذلك بوجه من الوجوه على انه انما يسمى مجاهراً بمجاهرته بتلك المعصية والاستظهار بها بين الناس وإيقاعها علانية وعند ذلك يعلم الناس منه ذلك ويعرفونه بمشاهدته فلا يبقى له ذكره به كثير فائدة وان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استغاثة الذاكرك على الإنكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب : فهذه الصورة داخلة في الصورة الثانية التي قدم النووي ذكرها وقدمنا الكلام عليها فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة فان استدل المستدل على

جواز مثل هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من قوله « بنس أخو العشيرة » فيقال له أولاً ان هذا القول الواقع منه صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا الاقتداء به فيه لان الله سبحانه قد حرم عليه الغيبة في كتابه العزيز وحرما رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بما تقدم ذكره من قوله الصحيح وابعام المسلمين فعلى تقدير ان هذا القول مما يصدق عليه اسم الغيبة يكون وقوعه منه صلى الله عليه وسلم في حكم المحصص له من ذلك العموم لكن على هذه الصورة الاجالية وبهذه الصفة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم وأيضا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما لم نعلم ويأتيه الوحي بما لم يأتنا ويبين الله له ما لم يبين لنا فلا يجوز لنا أن نقتدى به في قول صدر منه على هذه الصفة لجهلنا بالحقائق وعدم اطلاعنا على ما في باطن الامر ولهذا رد صلى الله عليه وسلم على من وصف رجلا في مقامه بأنه مؤمن فقال أو مسلم هو ورد على آخرين بما وصفوا رجلا بالتفاق فقال أشهد أن لا إله إلا الله وهذا كله ثابت في الصحيح وأيضا فذلك الرجل الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم بنس أخو العشيرة لم يكن اذ ذاك قد صلح اسلامه بل هو من جملة من كان يتبع الاسلام ظاهراً مع اضطراب حاله وبقي أثر الجاهلية عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتألف أمثال هذا ويعاملهم معاملة المسلمين الخالصين الاسلام مع علمه وعلم أصحابه بما هم عليه وكان يقول لمن يأتيه منهم هذا سيد بنى فلان هذا سيد قومه وهذا سيد الوبر ونحو ذلك بل كان يتألفهم بالكثير من المال والنصيب الوافر من المغنم ويكل خالص المؤمنين من المهاجرين والانصار الى ايمانهم ويقينهم: هذا معلوم لا يشك فيه عارف ولا يخالف فيه مخالف ولا يحل لاحدنا أن يعمد الى ما يعلم انه خالف (١) الاسلام صحيح النية فيه مؤمن بالله ورسوله وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فيغتابه بمصيبة فعلها أو خطيئة جاهر بها مستدلاً على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « بنس أخو العشيرة » لما أوضحنا لك وليس الخطر هنا ييسر ولا الخطب بقليل فان الاقدام على الغيبة

المحرمة بالكتاب والسنة والاجماع اذا لم يكن فيه برهان من الله سبحانه كان الوقوع فيه وقوعا فيما حرمه الله ونهى عنه والقول بجوازه بدون برهان من التقول على الله بما لم يقل وهو أشد من ذلك وأعظم وأخطر والهداية بيد الله عز وجل وأما الصورة السادسة وهي التعريف باللقاب فأقول قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل (ولا تنابدوا باللقاب) هذا النهي يدل على تحريم التلقب ولا يجوز شيء منه الا بدليل يخص هذا العموم فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان احدهما أدلة تحريم الغيبة والثاني دليل تحريم التلقب فان كان ذكر ذى القربى بلقبه في غيبته كان الذاكرا جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقب وان كان ذكر ذى القربى في وجهه كان الذاكرا واقعياً في التلقب المحرم فان قلت اذا علمنا ان المذكور بلقبه لا يكره ذكره به قلت اذا علمنا ذلك لم يكن غيبة محرمة لان الغيبة هو ذكرك أخاك بما يكره ولكن الذاكرا له بذلك القرب واقع في مخالفة النهي القرآني المصريح بالنهي عن التنابد باللقاب كما لا يخفى فان قلت ان ذكره باللقب أقرب الى تعريفه لمن يشتهر بالاعرج والاعمش والاعور ونحو ذلك قلت هذه الاقربى لا تحلل ما حرم الله فينبغي ذكره بالاوصاف التي لا تلقب فيها وان طالت المسافة وبعدت وانظر ما في مثل هذا من الخطر العظيم وهذا الوقوع في النهي القرآني وما يربك على هذا وأمثاله بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعها فذكرت امرأة اخرى انها قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » والحديث صحيح فان قلت هذه دواوين الاسلام ومسانيدها ومعاجمها وسائر المصنفات في السنة مشحونة بذكر الالقاب كالأعمش والاعرج والاعور ونحوها قلت لا يصح ايراد مثل هذا في مقابلة النهي القرآني المصريح بتحريم التنابد باللقاب وإنما يقتدى الناس باهل العلم في الخير فاذا جاؤا بما يخالف الكتاب والسنة فالقدوة الكتاب والسنة مع احسان الظن بهم وحملهم على محامل حسنة مقبولة فان قلت فان كان صاحب القربى لا يعرف إلا به ولا يعرف بغيره اصلا قلت

إذا بلغ الأمر إلى هذه النهاية ووصل البحث إلى هذه الغاية لم يكن ذلك القالب لقباً بل هو الاسم الذي يعرف به صاحبه إذ لا يعرف باسم سواه قط والتسمية للإنسان باسم يعرف به لا سيما من كان من رواة العلم الحاملين له المبلغين ما عندهم منه إلى الناس أمر تدعو إليه الحاجة والأبطل ما يرويه من العلم خصوصاً ما كان قد تفرد به ولم يشاركه فيه غيره وعلى هذا يحمل ما وقع في المصنفات من ذكر الألقاب فإن أهلها وإن كانت لهم أسماء ولا بأثم ولا جادام فغيرهم يشاركون فيها فقد يتفق اسم الرجل واسم أبيه مع أبيه واسم جده مع جده فلا يمتاز أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات إلا بذكر الألقاب ونحوها وحينئذ لم يبق لتلك الأسماء فائدة لأن المقصود منها أن يتميز بها صاحبها عن غيره ولم يحصل هذا الذي هو المقصود بها بل إنما حصل من القالب فكان هو الاسم المميز في الحقيقة فلم يكن ذلك من التناوب بالألقاب فأعرف هذا وتدبره فإنه نفيس وبه يندفع ما تقدم من إيراد ما جرى عليه عمل أئمة الرواية وهكذا يرتفع الإشكال عن القاري. لتلك الكتب فلا يقال له إنه يروي بالألقاب ويقتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة وفي هذا المقدر كفاية والله ولي التوفيق والحمد لله على ذلك

تمت الرسالة والحمد لله

شرح الصدور

في تحريم رفع القبور

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني اليماني »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين
وصحبه المكرمين: وبعد فاعلم اذا وقع الخلاف بين المسلمين في ان هذا الشيء بدعة
او غير بدعة او مكروه او غير مكروه او محرم او غير محرم او غير ذلك فقد اتفق
المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وهو القرن الثالث
عشر منذ البعثة المحمدية ان الواجب عند الاختلاف في أى أمر من أمور الدين
بين الائمة المجتهدين هو الرد الى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم التاطق بذلك الكتاب العزيز (فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله
والرسول) ومضى الرد الى الله سبحانه وتعالى الى كتابه ومضى الرد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرد الى سنته بعد وفاته وهذا في الاختلاف بين جميع
المسلمين

فانما قل مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال الآخر هذا حرام فليس
احدهما أولى بالحق من الآخر ان كل من اكثر منه علماً أو أكبر منه سناً أو أقدم منه

عصرا لان كل واحد منهما فرد من أفراد عباد الله متعبدا بما في الشريعة الطاهرة وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد او مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئا من الشرائع التي شرعها لعباده ولا يخرجها من جملة المكلفين من العباد بل العالم كلما ازداد علما كان تكليفه زائداً على تكاليف غيره ولو لم يكن من ذلك الا ما اوجبه الله عليه في البيان للناس كما كلفه به من الصدع وايضاح ما شرعه الله لعباده (واذ أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ان الذين يكتبون ما انزلنا من الينيات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فلم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم الا كونه مكافئاً بالبيان للناس لكان كلفياً فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف بل يزيدون بما علموه تكليفاً واذا اذنبوا كان ذنبهم اشد من ذنب الجاهل واكثر عقاباً كما حكاه الله سبحانه عن من عمل سوءاً بجهالة ومن عمله بطم وكأحكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود حيث أقدموا على مخالفة ما شرعه الله لهم مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسونه ونفى ذلك عليهم في مواضع متعددة وبكثمتهم اشد تبيكيت وكما ورد في الحديث الصحيح « ان اول ما تسعربه جهنم العالم الذي يأمر الناس ولا يأتمر وينهاهم ولا ينتهي » وبالجملة فهذا أمر معلوم ان العلم وكثرته وبلوغ حاله الى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية بل يزيداها عليه شدة ومخاطب بأمر لا يخاطب بها الجاهل ويكلف بتكاليف غير تكاليف الجاهل ويكون ذنبه اشد وعقوبته أعظم وهذا لا ينكره أحد ممن له أدنى تمييز بعلم الشريعة والآيات : والاحاديث الواردة في هذا المعنى لو جمعت لكانت مؤلفاً مستقياً ومصنفاً حافلاً وليس ذلك من غرضنا في هذا البحث بل غاية الغرض من هذا ونهاية القصد هو بيان أن العالم كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبين رتبة العالم ورتبة الجاهل في كثير من التكاليف

واختصاص العالم منهما مالا يجب على الجاهل وبهذا يتقرر لك ان ليس لاحد من العلماء المختلفين أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول الحق ما قاله فلان دون فلان أو فلان أولى بالحق من فلان بل الواجب عليه ان كان ممن له فهم وعلم وتميز أن يرد ما اختلفوا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو الحق وهو الاولى بالحق ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لاله كان هو المخطئ ولا ذنب عليه في هذا الخطأ ان كان قد وفي الاجتهاد حقه بل هو معذور بل مأجور كما ثبت في الحديث الصحيح انه « اذا اجتهد فأصاب فله أجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر » فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله ولكن هذا انما هو المجتهد نفسه اذا أخطأ ولا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كاجره بل واجب على من عدها من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع الى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة

واذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم الى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق وواقفه وان كان واحدا والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق بل أخطأه وان كان عدداً كثيراً فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وان كان مقصراً أن يقول ان الحق بيد من يقتدى به من العلماء ان كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره فان ذلك جهل عظيم وتمصّب شديد وخروج من دائرة الانصاف بالمرّة لان الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق وليس أحد من العلماء المجتهدين والائمة المحققين بمعصوم ومن لم يكن معصوما فهو يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب فيصيب تارة ويخطئ أخرى ولا يتبين صوابه من خطئه الا بالرجوع الى دليل الكتاب والسنة فان وافقهما فهو مصيب وان خالفهما فهو مخطئ ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم كبيرهم وصغيرهم

وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم وأحقر نصيب من العرفان ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه ويعلم أنه قد جنى على نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه والسخول فيما لا تبلغ إليه قدرته ولا ينفذ فيه فهمه وعليه أن يمسك قلبه ولسانه ويشغل بطلب العلم ويفرغ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها إلى معرفة الكتاب والسنة وفهم معانيها والتمييز بين دلائلها وبجتهد عن البحث في السنة وعلومها حتى يتميز عنده صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها وينظر في كلام الأئمة الكبار من سلف هذه الأمة وخلفها حتى يهتدى بكلامهم إلى الوصول إلى مطلوبه فإنه إن فعل هذا وتقدم الاشتغال بما قدمنا ندم على ما فرط منه قبل أن يتعلم هذه العلوم غاية الندم وتمنى أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه وسكت عن الخوض فيما لا يدريه

وما أحسن ما أدبنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في قوله «رحم الله امرأه أقال خيراً أو صمت» (١) وهذا في الذي تكلم في العلم قبل أن يفتح الله عليه بما لا بد منه وشغل نفسه بالتمصّب للعلماء وتصدر للتصويب والتخطئة في شيء لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ولم يقل خيراً ولا صمت فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذ قد تقررتك من مجموع ما ذكرناه وجوب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العزيز واجماع المسلمين أجمعين عرفت أن من زعم من الناس أنه يمكن معرفة الخطأ من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسأله من المسائل فهو مخالف لما في كتاب الله ومخالف لاجماع المسلمين أجمعين فانظر أرشدك الله إلى أي جنابة جنى على نفسه بهذا الزعم الباطل وأي مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش وأي بلية جلبها عليه القصور وأي محنة شديدة ساقها إليه التكلم فيما ليس من شأنه

(١) الذي في الجامع الصغير رحم الله امرأه تكلم فتم أوسكت فسلم اه عن أنس وعن الحسن مرسلًا

وها أنا أوضح لك مثال ما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم ومن كيفية الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتبين المصيب من الخطي. ومن يده الحق ومن ييده غيره حتى يعرف لك حق معرفته ويتضح لك غاية الاتضاح فان الشيء اذا ضربت له الامثلة وصورت له الصور بلغ من الوضوح والجلالة الى غاية لا تخفى على من له فهم صحيح وعقل رجيح فضلا عن من لم يكن له في العلم نصيب وفي العرفان حظ ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالا لما ذكرناه وأيضا كما أملينا هي المسئلة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا خصوصا في هذه الايام لاسباب لا تخفى وهي مسئلة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور فنقول

اعلم أن قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لئن الصحابة رضى الله عنهم الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعها كما يأتي بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روى عن أحد سواه: ومن ذكر من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتدوا به ولم نجد القول بذلك لا حد من عاصره أو تقدم عصره عليه لا من أهل البيت ولا من غيرهم وهكذا اقتصر صاحب البحر الذي هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذاهيبهم ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم وللخلاف بينهم وبين غيرهم بل اشتمل على غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية وصار هو المرجوع اليه في هذه الاعصار وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل وأقوال القائلين باثباتها أو نفيها من المجتهدين فان صاحب هذا الكتاب الجليل ما نسب هذه المقالة أعنى جواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء الا الى الامام يحيى وحده فقال مانصه : مسئلة قال الامام يحيى ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملك

لا استعمال المسلمين ولم ينكر انتهى : فقد عرفت من هذا انه لم يقل بذلك الا الامام يحيى وعرفت دليله الذى استدل به وهو استعمال المسلمين مع عدم التكرير ثم ذكر صاحب البحر هذا الدليل الذى استدل به الامام يحيى في الفيث واقتصر عليه ولم يأت بغيره : فاذا عرفت هذا تقرر ان هذا خلاف واقع بين الامام يحيى وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرها ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم ولا يعترض هذا بحكاية من حكى قول الامام يحيى في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين فان كان مجرد حكاية القول لا يدل على أن الحاكى يختاره ويذهب اليه فان وجدت قائلاً من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه فان كان مجتهداً كان قائلاً بما قاله الامام يحيى ذاهباً الى ما ذهب اليه بذلك الدليل الذى استدل به وان كان غير مجتهد فلا اعتبار بموافقه لانها انما تعتبر أقوال المجتهدين لا أقوال المقلدين فاذا أردت أن تعرف هل الحق ما قاله الامام يحيى أو ما قاله غيره من أهل العلم فالواجب عليك رد هذا الاختلاف الى ما أمرنا الله بالرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فان قلت بين لى العمل في هذا الرد حتى تم الفائدة ويتضح الحق من غيره والمصيب من الخطى . في هذه المسئلة * قلت افتح لملك وله سمعاً واتخذ له فهماً وأرهم له ذهنأوها انا اوضح لك الكيفية المطلوبة وابين لك ما لا يبقى عندك بعده ريب ولا يصاحب ذهنك وفهمك عنده لبس فأقول

قال الله سبحانه (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)
فهذه الآية فيها الايجاب على العباد بالاتمار بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخذ به والالتفاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه * وقال الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله)
ففى هذه الآية تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده باتباع رسوله صلى

الله عليه وآله وسلم وان كان ذلك هو المعيار الذي يعرف به محبة العبد لربه على الوجه المعبر: وانا أبنا السبب الذي يستحق به العبد أن يحبه الله: وقال الله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ففى هذه الآية ان طاعة الرسول طاعة لله * وقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) فواجب هذه السعادة لمن أطاع الله ورسوله وهي ان يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجة وأعلام منزلة * وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) * وقال سبحانه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وقال سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) وانزل الله على رسوله ان يقول (فاتقوا الله واطيعون): والآيات الدالة على هذا المعنى فى الجملة أكثر من ثلاثين آية

ومستفاد من جميع ما ذكرناه ان ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجبا بأمر الله سبحانه وكان الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك طاعة لله وكان الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرأ من الله وسنوضح لك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث من النهى عن رفع القبور والبناء عليها ووجوب تسويتها وهدم ما ارتفع منها ولكننا هنا نبتدىء بذكر اشياء فى حكم التوطئة والتحبير لذلك ثم تنتهى الى ذكر ما هو المطلوب حتى يعلم من اطلع على هذا البحث انه اذا وقع الرد على ما قاله الامام يحيى وما قاله غيره فى القباب والمشاهد الى ما أمر الله بالرد اليه وهو كتاب الله سبحانه وسنقرسوله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك ما يشفى ويكفى ويقنع ويفنى ذكر بعضه فضلا عن ذكر جميعه وعند ذلك نبين لكل من له فهم ما فى رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التى كادهم الشيطان بها وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة كما حكى الله سبحانه

١ - النساء ٨٠

٢ - النساء ٦٩

٣ - النساء ١٣ - ١٤

٤ - النور ٥٢

٥ - المائدة ٩٢

٦ - آل عمران ٥٠

الشعراء ١٠٨

وتعالى ذلك في كتابه العزيز وكان أول ذلك من قوم نوح قال الله سبحانه (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خساراً ومكراً ومكراً كباراً وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعاً ولا يعقوث ويعوق ونسراً) كانوا قوماً صالحين من بنى آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك: وقد حكى معنى هذا في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه: وقال قوم من السلف ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ان ام سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله » وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى « افرايتم اللات والعزى » قال كان يلت لهم السويق فعكفوا على قبره: وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يقول « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنا أنها كم عن ذلك » وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خبيصة على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » بحذر ما صنعوا . وفي الصحيحين مثله أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنه . وفيها أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لا برز قبره غير انه خشى أن يكون مسجداً . وأخرج الامام احمد في مسنده باسناد جيد من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من شرار الناس من تدر كم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وأخرج احمد وأهل السنن من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدى قال قال لي علي بن أبي طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرقاً الا سويته : وفي صحيح مسلم أيضاً عن ثمامة بن شفي نحو ذلك : وفي هذا أعظم دلالة على ان تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد فان ذلك من المذمى عنه بلا شك ولا شبهة . ولهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين رضى الله عنه ثم ان أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدى في أيام خلافته . وأخرج احمد ومسلم وابوداود والترمذى وصححه النسائى وابن حبان من حديث جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يوطأ » وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم « أن يكتب عليه » قال الحاكم النهى عن الكتابة على شرط مسلم وهي صحيحة غريبة وفي هذا التصريح بالنهى من البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه لانه لا يمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً فذلك مما يدل على ان المراد بعض ما يقربه مما يتصل به . ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد

الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لا يخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا أو قرية كذا سوراً وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجداً مع ان سمك البناء لم يباشر الا جوانب المدينة أو القرية أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع وضع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ومن زعم ان في لغة العرب ما يمنع من هذا الاطلاق فهو لا يعرف لغة العرب ولا يفهم لسانها ولا يدري بما استعمله في كلامها وإذا تقرر لك هذا علمت ان رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد مثلها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم وتارة قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية وذلك ثابت في الصحيح وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال « لاتتخذوا قبوري وثناً » وتارة قال « لاتتخذوا قبوري عيداً » أى موسماً يجتمعون فيه كما صار يفعلونه كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون عند قبورهم ويكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبداً من عبادة الله صار تحت أطباق النرى لا يقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله أن يقول (قل لأملك نفسي ضرراً ولا نفعاً) فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه في انه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً وكذلك قال فياصح عنه « بافاطمة بنت محمد لا أعني عنك من الله شيئاً » فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم اليه فما ظنك بسائر الاموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلاً مرسلين

بل غاية ما عند أحدهم انه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية وواحد من أهل هذه
الملة الاسلامية فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضرراً وكيف لا يعجز
عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه
وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئاً من ضرر ولا نفع وأنه لا يقضى عن
أخص قرابته من الله شيئاً فيا عجباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم
أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول
عن نفسه هذه المقالة والحال انه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه فهل سمعت
أذنك أرشدك الله بضلال عقل اكبر من هذا الضلال الذي وقع في أهل القبور
انا لله وانا اليه راجعون: وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سمينها
السر النضيد في اخلاص التوحيد وهي موجودة بأيدي الناس فلا شك ولا ريب
ان السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الاموات هو مازينه الشيطان
للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتخصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها
بأكل تحسين فان الجاهل اذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه
قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسبرج المتلألئة وقد ضدعت
حواله مجامير الطيب فلا شك ولا ريب انه يمتلىء قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق
ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في
قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد
وسائله الى اضلال العباد وما يزرله عن الاسلام قليلاً قليلاً حتى يطلب من صاحب
ذلك القبر ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين وقد يحصل
له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول
زورة له لان يخطر بباله ان هذه الغاية البالغة من الاحياء بمثل هذا الميت لا يكون
الا لفائدة يرجوها منه إما دنيوية أو أخروية ويستصغر نفسه بالنسبة الى من يراه
زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه و متمسحاً بأركانه وقد يجعل الشيطان طائفة من
اخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتي اليه من الزائرين

يهولون عليهم الامر ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها الى الميت على وجه لا يظن له من كان من المغفلين وقد يصنعون أكاذيب مشتتة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويثونها في الناس ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات ويقبل عقله ما يروى عنهم من الاكاذيب فيروها كما سمعها ويتحدث بها في مجالسهم فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد ويندرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها الى قلوبهم لاعتقادهم أنهم يتلون بذلك بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجرأً بليغاً ويعتقدون ان ذلك قرينة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة مقبلة فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من اخوانه من بنى آدم على ذلك القبر فانهم انما فعلوا تلك الافعال وهولوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الاكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغمام الاعتام : وبهذه الطريقة الملعونة والوسيلة الابليسية تكاثرت الاوقاف على القبور وبلغت مبلغاً عظيماً حتى بلغت غلاتها ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاتها أهل قرينة كبيرة من قرى المسلمين ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء وكلها من النذر في معصية الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لانذر في معصية الله » وهي أيضاً من النذر الذي لا ينتهي به وجه الله بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تنقض بصاحبها في الغالب الى ما يفرض به الاعتقاد في الاموات من تنزيل قدم الدين اذ لا يسمح بأحب أمواله والصقها بقلبه الا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر وصاحبه والمغالاة في الاعتقاد فيه ، ما لا يعود به الى الاسلام سالماً نعوذ بالله من الخذلان

ولا شك ان غالب هؤلاء المفرورين المخذوعين لو طلب منهم طالب ان ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقرينة من

القربات لم يفعل ولا كاد فانظر الى اين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء. فكيف فرمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب فهذه مفسدة من مفاسد رفع القبور وتشيدها وزخرفتها وتخصيصها

ومن المفاسد البالغة الى حد يرقى بصاحبه الى وراء حائط الاسلام ويلقيه على ام رأسه من اعلى مكان من الدين انه يأتي كثير منهم باحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من المواشى فينخره عند ذلك القبر متقرباً به اليه راجياً ما يضر حصوله له منه فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان بانه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثناً وبين قبر لميت يسمونه قبراً ومجرد الاختلاف في التسمية لا يفنى من الحق شيئاً ولا يؤثر تحليلاً وتحريماً فان من اطلق على الحجر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين اجمعين ولا شك ان النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا والفتايا والضحايا المتقرب بها الى القبر والتاحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه والتبى صلى الله عليه وسلم يقول: « لا عقر في الاسلام » قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعنى بقرة أو شياها رواه ابو داود باسناد صحيح عن انس بن مالك ومستدفع الشر به وهذه عبادة وكفاك من شرماعه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانا لله وانا اليه راجعون: وبعد هذا كله تعلم ان ما سقناه من الدلالة وما هو كالتوطيد لها وما هو كالخاتمة نختم بها البحث يقضى ابلغ قضاء وينادى ارفع نداً ويبدل اوضح دلالة ويفيد اجلى مفادان مارواه صاحب البحر عن الامام يحيى غلط من اغالط العلماء وخطأ من جنس ما يقع للمجتهدين وهذا شأن البشر والمعصوم من عصمه الله وكل عالم يؤخذ من قوله ويترك مع كونه رحمة الله من أعظم الائمة انصافاً وأكثرهم تحريماً للحق وارشاداً وتأثيراً ولكننا لمارأيتاه قد خاف من عداه بما قاله من جواز بناء القباب على القبور رددنا هذا الاختلاف الى ما اوجب الله الرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا في ذلك ما قيمنا ذكره من الأدلة الدالة أبلغ دلالة والمنادية بأعلى صوت بالمنع من ذلك والنهي عنه واللعن لفاعله واللعن عليه واشتداد غضب الله عليه مع ما في ذلك من كونه ذريعة إلى الشرك ووسيلة إلى الخروج عن الملة كما أوضحناه فلو كان القائل بما قاله الإمام يجيب بعض الأئمة أو أكثرها لكان قولهم رداً عليهم كما قدمناه في أول هذا البحث فكيف والقائل به فرد من أفرادهم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » ورفع القبور وبناء القباب عليها ليس عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عرفناك بذلك فهو رد على قائله أي مردود عليه والذي شرع للناس هذه الشريعة الإسلامية هو الرب سبحانه بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لعالم وإن بلغ من العلم إلى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون بحيث يقتدي به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجراً ولا يجوز لغيره أن يتابعه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما يأتي التكرار له بزيادة (قائدة) وأما ما استدلل به الإمام يجيب حيث قال لاستعمال المسلمين ومدارسهم ومجالس حفاظهم يرد بها الآخر عن الأول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لئن أيام الصحابة إلى هذه الغاية أوردها المحدثون في كتبهم المشهورة من الامهات والمسندات والمصنفات وأوردها المفسرون في تفسيرهم وأهل الفقه في كتبهم الفقهية وأهل الاخبار والسير في كتب الاخبار والسير فكيف يقال ان المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يروون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفا عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الاسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الامة وخلفها أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح أصحاب احمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم

احساناً لظن بهم وأن لا يظن بهم أن يجوزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه انتهى
فانظر كيف حكى التصريح عن عامة الطوائف وذلك يدل على أنه اجماع من أهل العلم على اختلاف طوائفهم ثم بعد ذلك جعل أهل ثلاثة مذاهب مصرحين بالتحريم وجعل طائفة مصرحة بالكراهة وحملها على كراهة التحريم فكيف يقال أن بناء القباب والمشاهد لم ينكره أحد ثم انظر كيف يصح استثناء أهل الفضل برفع القباب على قبورهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا أنه قال « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم لعنهم بهذا السب فكيف يسوغ من مستثنى (١) أهل الفضل بفعل هذا المحرم الشديد على قبورهم مع أن أهل الكتاب الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر الناس ما صنعوا لم يعمروا المساجد الا على قبور صلحائهم ثم هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد البشر وخير الخليفة وخاتم الرسل وصفوة الله من خلقه ينهى أمته أن يجعلوا قبره مسجداً أو وثناً أو عيداً وهو القدوة لأئمة: ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر وهم أحق الامة بذلك وأولام به وكيف يكون فعل بعض الامة وصلاحه مسوغاً لفعل هذا المنكر على قبره وأصل الفضل ومرجمه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأى فضل ينسب الى فضله أدنى نسبة أو يكون له مجنبه أقل اعتبار فان كان هذا محرماً منهيّاً عنه ملموناً فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ظنك بقبر غيره من أمته وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخل في تحليل المحرمات وفعل المنكرات اللهم اغفر •

« تمت والحمد لله »

(١) كذا الاصل وهو غير ظاهر المعنى ولعل المبارة هكذا فكيف يسوغ من هذا استثناء أهل الفضل الخ

مسائل من الاصول^(١)

« للامام العلامة الاصولي المحدث الفقيه »

« ابي محمد علي بن حزم الاندلسي رحمه الله »

« المتوفى سنة ٤٥٦ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة

دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من القرآن أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما برواية جميع علماء الامة عنه عليه الصلاة والسلام وهو الاجماع واما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكفاة : واما برواية الثقات واحداً عن واحد حتى يبلغ اليه عليه السلام ولا مز يد : قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) وقال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) فان تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً لان طاعتها سواء في الوجوب

١ - النجم ٣ - ٤

٢ - الأعراف ٣

٣ - المائدة ٣

(١) ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المهلى بالآثار في شرح المهلى بالاختصار بعد ان ذكر مسائل التوحيد وقد رغب بعض الاصدقاء في نشرها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية فاحيب طله ولما كان للسيد الامير الصنعاني تعليق عليها احببنا نشره اماما للفائدة مع بعض تعليقات للادارة المنيرية مع التصريح بذلك باسمها لئلا يلتبس على القاريء بالتطبيق الآخر

فلا يحل ترك أحدهما للأخر ما دمتا تقدر على ذلك وليس هذا إلا بان يستثنى الأقل معاني من الأكثر فإن لم تقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكماً لأنه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون، ولا اشكال في الدين قد بين الله تعالى دينه قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال تعالى (تبياناً لكل شيء) ٢

مسألة

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة، وكذلك ما لم يروه إلا من لا يوثق بدينه وبحفظه، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن، والمرسل هو ما كان بين أحد رواه أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لا يعرف، والموقوف هو ما يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

- برهان بطلان الموقوف - قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه ظن وقد قال تعالى (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم):

١ - المائة ٣

٢ - النحل ٨٩

٣ - النساء ١٦٥

٤ - يونس ٣٦

٥ - الاسراء ٣٦

٦ - الحجرات ٦

وأما المرسل (١) ومن في رواه من لا يوثق بدينه وحفظه فلقول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فأوجب الله عز وجل قبول نذارة الناس للتفقه في الدين وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» وليس في العالم إلا عدل أو فاسق فحرم الله

(١) أي وأما بطلان الاستدلال بحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف : الإدارة

تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل فصح انه هو المأمور بقبول نذارته

وأما المجهول - فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهي التفقه في الدين فلا يجعل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا نقبه في الدين وحفظه لما ضبط من ذلك وبرائه من الفسق ؛ وبالله تعالى التوفيق ولم يختلف أحد من الأمم في ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى الملوك رسولا - رسولا واحداً الى كل مملكة يدعوهم الى الاسلام - واحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة كصنعاء الجند وحضرموت وتيماء ولجيران والبحرين وعمان وغيرها يعلمهم أحكام الدين كلها : وافترض على اهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن ترك القرآن او ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان راوى ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه لقول من لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه وهذا خلاف لامر الله تعالى ،

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله لانه تعالى لم يأمر بذلك لكن موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي اوجب الله تعالى

مسألة

والقرآن ينسخ القرآن والسنة : والسنة تنسخ السنة والقرآن (١)

(١) ما ذهب اليه من نسخ القرآن بالسنة حكى قولاً للشافعي وحكى كثيرون عنه انه لا ينسخ الكتاب بالسنة جزماً كما في المحلى على جمع الجوامع وقال ابن تيمية : يتوجه الاحتجاج بأية « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على انه لا ينسخ القرآن

قال الله تعالى عز وجل « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » وقال تعالى « لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وأمره تعالى ان يقول (ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لا أخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقول في آية او في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلاً غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب :

- ١ - البقرة ١٠٦
 - ٢ - النحل ٤٤
 - ٣ - النجم ٢ - ٤
 - ٤ - الأنعام ٥٠
 - ٥ - الحاقة ٤٤ - ٤٧
 - ٦ - النساء ٦٤
 - ٧ - ابراهيم ٤
 - ٨ - الشعراء ١٩٥
 - ٩ - البقرة ٧٥
 - ١٠ - النور ١٣
- برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به : وقوله تعالى

الا قرآن كما هو مذهب الشافعي وهو اشهر الروايتين عن الامام احمد وعليها طامة اصحابه اه ودليله جلي وهو ان الظني الدلالة لا يساوي قطعيها فلا يقوي على نسخه وقد نقل الرازي وغيره عن ابي مسلم الاصفهاني ان النسخ غير واقع في التنزيل ورد كل آية قيل بنسخها الى انها محكمة كما تراه مبسوطاً في مواضع من تفسيره والمسألة مبسولة في مواضع اخر

(أطيعوا الله) موجب طاعة القرآن ، ومن ادعى في آية أو خبر نسخا فقد أسقط وجوب طاعتها وهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية : فن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه وقال عليه عز وجل الباطل وخلاف قوله عز وجل ، ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وهذا قول على الله تعالى بالباطل ، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاختصار عليه من سائر ما يقتضيه ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) موجب للوعيد على من قال : لا تجب علي موافقة أمره وموجب حمل جميع النصوص على الوجوب ، ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المدة وهنا خلاف لامر الله عز وجل ، فاذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن أو سنة ثابتة إما باجماع أو نقل صحيح فقد صح قوله ووجب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحس لأنها فعل الله تعالى في النفوس والافعى أقوال مؤدية الى ابطال الاسلام وابطال جميع العلوم وابطال جميع اللغات كلها وكفى بهذا فساداً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والاجماع هو ماتيقن ان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا به وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقنا انهم كلهم رضى الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها أو علموا انه صلاها مع الناس كذلك وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس

١ - ابراهيم ٤

٢ - النور ٦٢

رمضان في الحضر وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين وهذا مالا يختلف أحد في انه اجماع وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لامؤمن في الارض غيرهم ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له اليه

مسألة

وماصح فيه خلاف من واحد منهم رضى الله عنهم أو لم يتيقن ان كل واحد منهم رضى الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعاً لان من ادعى الاجماع ههنا فقد كذب وقفا مالا علم له به والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

مسألة

ولو جاز أن يتيقن اجماع أهل عصر بعدم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضى الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون اجماعاً :

أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا انه لا يجوز ألبتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ولا بد من قائل بالحق فيهم : وأما انه ليس اجماعاً فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا اجماع بعضهم ولو جاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عن الجملة واحد لا يعرف أوافق سائرهم أمخالفهم لجاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة واربعة وهكذا أبداً الى أن يرجع الامر الى أن يسمى اجماعاً ماقاله واحد وهذا باطل ولكن لا سبيل الى

تيقن اجماع جميع أهل عصر بهد الصحابة رضى الله عنهم لكثرة أعداد الناس بعدم ولا نهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم كذلك بلى كانوا عدداً مكمناً حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسئلة وبالله تعالى التوفيق . وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا اصحاب مالك وأصحاب ابى حنيفة وأصحاب الشافعى بأقوال هؤلاء . « قال على » (١) وهذا خطأ لانه لا سبيل الى أن يكون مسائلة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء إلا وفي اصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله

مسألة

والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا الى شىء غيرهما ولا يجوز الرجوع الى عمل اهل المدينة ولا غيرهم * برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصح انه لا يحل الرد عند التنازع الى شىء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله لاسيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم ، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم كابى بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعماهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام ومن الباطل المتيقن الممتنع الذى لا يمكن أن يكونوا رضى الله عنهم طووا

(١) وقوله قال على يعنى به المصنف نفسه لان اسمه ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم اللندلسي : أه ادارة الطباعة المنيرية

علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء. قد أعاذهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصح انه لاحجة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة

ولايجل القول بالقياس في الدين ولا بالرأى (١) لان أمر الله تعالى عند التنازع بالرد الى كتابه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد صح فمن رد الى قياس والى تعليل يدعيه أو الى رأى فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالايمان ورد الى غير من أمر الله تعالى بالرد اليه وفي هذا ما فيه (قال على) وقول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) : وقوله تعالى (تبياناً لكل شيء) : (لتبين للناس ما نزل اليهم) وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) إبطال للقياس والرأى لانه لا يختلف أهل القياس والرأى في انه لا يجوز استعمالها مادام يوجد نص : وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرض فيه شيئاً وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل ما نزل اليهم وان الدين قد كل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فاذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بأحد الى قياس (٢) ولا الى غيره :

١ - الأنعام ٣٨

٢ - النحل ٨٩

٣ - النحل ٤٤

٤ - اللثة ٣

ونسأل من قال بالقياس هل كل قياس قامه قانس حق أم منه حق ومثله باطل فلن قال كل قياس حق أحال (٣) لان المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضاً ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقاً معاً وليس

(١) قال السيد فر المصنف الرأى في بعض رسائله بأنه الحكم في الدين بنبر نص بل بما يراه الفتى أحوط وأعدل في التحليل والتحريم والايجاب (قال) ومن وقف على هذا الحد وعرف مامنى الرأى اكتفى في ايجاب المنع منه بنبر برهان اذ هو قول بلا برهان أه وكان حدوث الرأى في القرن الاول قرن الصعابة والقياس في القرن الثاني أه

(٢) في بعض النسخ ولالى رأى وهو غير ظاهر ولعل الاصل هكذا : ولالى رأى تبه أه

(٣) أى أتى بالمحال الذي لايجل

هذا مكان نسخ ولا تخصيص كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضاً، وإن قال منها حق ومنها باطل قيل له فعرفنا بماذا نعرف القياس الصحيح من الفاسد ولا سبيل لهم الى وجود ذلك أبداً وإذا لم يوجد دليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه فقد بطل كله وصار دعوى بلا برهان، فإن ادعوا ان القياس قد أمر الله تعالى به سئلوا أين وجدوا ذلك فإن قالوا قال الله عز وجل (فاعتبروا يا أولي الابصار) قيل لهم ان الاعتبار ليس هو في كلام العرب الذي نزل به القرآن إلا التعجب قال الله تعالى عز وجل (وإن لكم في الانعام لعبرة) أي لعجباً وقال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) أي عجب : ومن العجب أن يكون معنى الاعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا فاعتبروا قيسوا ثم لا يبين لنا ماذا تقيس ولا كيف تقيس ولا على ماذا تقيس هذا ما لا سبيل اليه لانه ليس في وسع أحد أن يعلم شيئاً من الدين إلا بتعليم الله تعالى له إياه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فإن ذكروا أحاديث وآيات فيها تشبيه شيء بشيء وان الله تعالى قضى وحكم بأمر كذا من أجل أمر كذا قلنا لهم كل ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فهو حق لا يحل لاحد خلافه وهو نص به نقول وكل ما ترددون أن تشبهوه في الدين وأن تعلوه مما لم ينص عليه الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام فهو باطل وإفك وشرع لم يأذن الله تعالى به وهذا يبطل عليهم تهويلهم بذكر آية جزاء الصيد وأرايت لومضمضت : و (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) وكل آية وحديث موهوا بايراده وهو مع ذلك حجة عليهم على ما قد بيناه في كتاب الاحكام لاصول الاحكام : وفي ; كتاب النكت : وفي كتاب الدررة : وفي كتاب النبذة

١ - الحشر

٢ - النحل ٦٦

٣ - يوسف ١١١

٤ - البقرة ٢٨٦

٥ - اللثة ٢٢

(قال علي) وقد عارضناهم في كل قياس قاسوه بقياس مثله او صح منه على اصولهم ليرهم فساد القياس جملة فوه منهم موهون بأن قالوا انتم إذا تطلعون القياس بالقياس وهذا منكم رجوع الى القياس واحتجاج به وانتم في

ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل ليبطل حجة العقل وبديل من النظر
ليبطل به النظر (قال علي) فقلنا هنا شغب يسهل افساده وقه الحد ونحن لم
نحتج بالقياس في ابطال القياس ومعاذ الله من هذا لكن اريناكم ان اصلكم
الذي اثبتوه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم ولا أظهر باطلا
من قول أ كذب نفسه وقد نص تعالى على هذا فقال تعالى (وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فليس هذاتصحيحا
لقولهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ولكن الزاماً لهم ما يفسد به قولهم ولسنا في ذلك
كن ذكرتم ممن يحتج في ابطال حجة العقل بحجة العقل لكن فاعل ذلك
مصصح لقضيته العقلية التي يحتج بها فظهر تناقضه من قريب ولا حجة له غيرها
فقد ظهر بطلان قوله ، واما نحن فلم نحتج قط في ابطال القياس بقياس نصحه
لكن نبطل القياس بالنصوص وبراهين العقل ثم نزيد يائناً في فساد منه
نفسه بان نروى تناقضه جملة فقط والقياس الذي يعارض به قياسكم نقر بفساده
وفساد قياسكم الذي هو مثله او اضعف منه كما نحتج على اهل كل مقالة من
معتزلة ورافضة ومرجئة وخوارج ويهود ونصارى ودهرية من اقوالهم التي
يشهدون بصحتها فريهم تفاسدها وتناقضها وانتم تحتجون عليهم معنا كذلك
ولسنا نحن ولا انتم ممن يقر بتلك الاقوال التي تحتج عليهم بها بل هي عندنا
في غاية البطلان والفساد وكاحتجاجنا على اليهود والنصارى من كتبهم التي
بأيديهم ونحن لا نصححها بل نقول انها محرفة مبذلة لكن لريهم تناقض
اقوالهم وفروعهم لا سيما وجميع أصحاب القياس مختلفون في قياساتهم لا تكاد
توجد مسألة الا وكل طائفة منهم تأتي بقياس تدعى صحته تعارض به قياس
الأخرى وهم كلهم مقرون مجتمعون على انه ليس كل قياس صحيحا ولا كل رأى
حقاً فقلنا لهم فهاتوا حد القياس الصحيح والرأى الصحيح الذي نميز به من
القياس الفاسد والرأى الفاسد وهاتوا حد العلة الصحيحة التي تقيسون عليها من

العلة الفاسدة فلجلجوا (١)

قال علي — وهذا مكان أدرم عليهم فيه ظهر فساد قولهم جملة ولم يكن لهم الى جواب يفهم سبيل أبدأ وبالله تعالى التوفيق ، فان أتوا في ذلك بنص قلنا النص ، والذي تريدون انتم إضافته الى النص بأرائكم باطل وفي هذا خولفتم وهكذا أبدأ ، فان ادعوا ان الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على القول بالقياس قيل لهم كذبتهم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله .

برهان كذبهم انه لا سبيل لهم الى وجود حديث عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أطلق الامر بالقول بالقياس إلا في الرسالة المكذوبة الموضوعه على عمر رضي الله عنه فان فيها : فاعرف الاشياء والأمثال وقس الأمور ، وهذه رسالة لم يروها إلا عبد الملك بن الوليد بن معدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف (٢) وأبوه أسقط منه ومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر رضي الله عنه منها قوله فيها : والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب ، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفية ومالكية وشافعية وإن كان قول عمر لو صح في تلك الرسالة في القياس حجة فقله في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد حجة وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة لو صح فكيف ولم يصح

(١) قال الامير الصناني العلة الصحيحة ما دل عليها التليل للحكم بها في نص الكتاب أو السنة بأي حروف التليل المرروفة بالافنة أو بتطبيق الحكم على الوصف المناسب للتليل . والعلة الفاسدة ما لم يأت تليل الحكم بها في كتاب ولا سنة كالشبه والدوران ونحوهما من مسالكها الباطلة اه وقوله ادرم عليهم اي خفي واشتب

(٢) في الميزان عبد الملك بن الوليد بن معدان عن عاصم بن ابي النجود قال يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ضعيف وقال ابن حبان يظن الاسانيد لا يجمل الاحتجاج به وقال البخاري فيه نظر اه منى حاشية الاصل وكتب فيها أيضاً : تأمل القول بأن كتاب عمر الى ابي موسى كتاب مكذوب وقد شرحه ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين اه ولا يلزم من شرحه صحته فان المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح

وأما برهان صحة قولنا في إجماع الصحابة رضى الله عنهم على إبطال القياس فإنه لا يختلف اثنان في ان جميع الصحابة مصدقون في القرآن وفيه (اليوم أكلت لكم دينكم وأمتت عليكم نعمتى) وفيه (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عند التنازع الى قياس أو رأى (١) هذا مالا يظنه بهم ذو عقل فكيف وقد ثبت عن الصديق رضى الله عنه انه قال : أي أرض تقلتى أو أي سماء تظلتى إن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لأعلم (٢) وصح عن الفاروق رضى الله عنه انه قال : اتهموا الرأى على الدين وإن الرأى منا هو الظن والتكلف . وعن عثمان رضى الله عنه في فتيا أتت بها إماما كان رأياً فمن شاء أخذ ومن شاء تركه ، وعن على رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه (٣)

١ - المائة ٣

٢ - النساء ٥٩

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا رأىكم على دينكم

(١) قال السيد يقال عليهم هم اذا ردوه الى قياس له علة منصوبة في كتاب أو سنة فقد ردوه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ان عمل الصحابة بالقياس والرأى متواتر تواتراً منوياً في عدة قضايا ذكر منها شطراً ولساً اه

(٢) هذا أمر خاص بتفسير القرآن والنزاع في الاحكام أخرج ابو عبيد في فضائله وعبد ابن حميد ابراهيم التميمي قال سئل ابو بكر عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلتى وأي أرض تقلتى اذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم : فكلامه في تفسير لفظة لنوية جهل معناها فليس محل النزاع في الحاق فرع بأصل في حكمه لمشاركته في علة منصوبة لاني تفسير لفظة لنوية وقد اتفق لسركما اتفق لاني بكر في الاية فأخرج عبد بن حميد وابن الانباري في المصاحف عن أنس قال قرأ عمر (وفاكحة وأبأ) قال هذه الفاكحة قد عرفناها فاذا الاب قال : قد نهيتم عن التكلف امعن الامير الصنعاني : اتقول والقصة اتى بها الشاطبي في كتابه الاعتصام ورجعه (٣) تلمحه ولكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلاه فكأنه قال : لولا اننى لمسحت برأىنا أسفل الخف تقيت اثبات للرأى لولا اننى امسحت به

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من جهنم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه : سأقول فيها بمجهود رأبي فان كان صواباً فمن الله
وحده وإن كان خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بري، وعن معاذ بن جبل
في حديث : فليدع كلاماً ليس من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فأياكم وإياه فانه بدعة وضلالة : وعلى هذا النحو كل
رأى روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم لا على انه إزام ولا انه حق
لكنه إشارة بعفو أو صلح أو نوع (١) فقط لا على سبيل الإيجاب (٢) وحديث
معاذ الذي فيه أجتهد رأبي ولا آلو لا يصح لانه لم يروه أحد إلا الحرث بن عمر
وهو مجهول لاندري من هو عن رجال من أهل مصر (٣) لم يسمهم عن معاذ
وقد تصدينا أسانيد هذه الاحاديث كلها في كتابنا المذكور والله تعالى الخد ،

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا ابي قاسم بن محمد حدثنا جدي قاسم بن اصبح
اخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذي حدثنا نعيم بن حماد اخبرنا عبد الله بن المبارك
اخبرنا عيسى بن يونس بن أبي اسحق السبيعي عن جرير بن عثمان عن عبد
الرحمن بن جبير عن نفيير عن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم « تفرق امتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة
على امتي قوم يقديسون الامور بأرائهم (٤) فيحلون الحرام ويحرمون الحلال »
(قال على) والشريعة كلها اما فرض يعصى من تركه واما حرام يعصى من
فعله واما مباح لا يعصى من فعله ولا من تركه وهذا المباح ينقسم الى ثلاثة

(١) كذا في الاصل

(٢) يقال قد وقع للصحابة الخلاف في ميراث الجد والمكتم بالرأى لانهم لم يجدوا فيه نصاً
وغير ذلك من الادراء التي حكموا بها اه أمير (٣) في نسخة : حمس

(٤) هذا في قوم يخالفون صرائح النصوص بقياساتهم فان قولهم فيحلون الحرام ويحرمون
الحلال دال على انهم يفعلون ذلك فيما ثبت النص فيهما على خلاف ما قالوه لانه كان حلالاً وحراماً
ولا يتصف بذلك الا عن نص وكون الاصل الحل هو عن نص وهو ما ذكره المصنف عن قوله
تعالى « خلق لكم ما في الارض جميعاً » اه وقد حكم المصنف في الفصل بوضع هذا الحديث

أقسام اما مندوب اليه يؤجر من فعله ولا يعصى من تركه واما مكروه يؤجر من تركه ولا يعصى من فعله واما مطلق لا يؤجر من فعله ولا من تركه ولا يعصى من فعله ولا من تركه وقال عز وجل (خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) فصح ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد حدثنا احمد بن علي حدثنا مسلم بن الحجاج اخبرني زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام بارسول الله . فسكت حتى أعادها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فعدوا »

(قال علي) فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين او لها عن آخرها فيه ان ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراماً ولا فرضاً وان ما أمر به فهو فرض وما نهى عنه فهو حرام وان ما أمرنا به فانما يلزمنا منه ما نستطيع فقط وان نفعنا مرة واحدة تؤدى ما لزمنا وما يلزمنا تكراره فاي حاجة بأحد الى قياس أو رأي مع هذا البيان الواضح (١)

١ - البقرة ٢٩

٢ - الأنعام ١١١

(١) قال السيد الامير قلت اما مع النص على الحكم فلا تأمل بالقياس ولكنه من المعلوم يقيناً انه لم يأت في كل حادثة نص يحكمها فانه من المعلوم يقيناً انها اتفقت قضايا اختلف فيها الصحابة لعدم النص وهم اعرف الناس بالنصوص فانهم اختلفوا في مسائل من الموارث كبريات الجد ومسائل العول ومسألة بيع امهات الاولاد وعدة مسائل لا تنحصر في البيوع والطلاق والامد وحكوا فيها تحيلاً وتحريماً بالأراء وقد صرح المصنف رحمه الله انه وقع الرأي في انقرن الاول وهو قرن الصحابة فكيف يقول فاي حاجة بأحد الى القياس على انا حققنا لك ان القياس على العلة المنصوصة هو من النص فالرجوع اليه عند التنازع رجوع الى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هذا القياس من ضرب الامثال في الدين بل هو من الدين اه

ونحمد الله تعالى على عظم نعمه

فان قال قائل منهم لا يجوز ابطال القول بالقياس حتى توجدونا تحريم القول به نصاً في القرآن قلنا لهم قد اوجدناكم البرهان نصاً بذلك وبأن لا يرد التنازع الا الى القرآن والسنة فقط وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقال تعالى (فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) والقياس ضرب امثال في الدين لله تعالى . ثم يقال لهم ان عارضكم الروافض يمث هذا فقالوا لكم لا يجوز القول بابطال الالهام ولا بابطال اتباع الامام الا حتى توجدونا تحريم ذلك ايضاً أو قال لكم ذلك أهل كل مقالة في تقليد كل انسان بعينه بماذا تنفصلون بل الحق انه لا يحل ان يقال على الله تعالى انه حرم أو حلل أو اوجب الا بنص فقط وبالله تعالى التوفيق

مسألة

وافعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فرضاً الا ما كان منها بياناً لأمر فهو حينئذ امر لكن الا يتساء به عليه الصلاة والسلام فيها حسن برهان ذلك هذا الخبر الذي ذكرته آنفاً من انه لا يلزمنا شيء الا ما امرنا به او نهانا عنه وان ماسكت عنه فمفوض ساقط عنا وقال عز وجل « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »^٢

مسألة

ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل
 (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)^١
 حدثنا احمد بن محمد حدثنا الحسور حدثنا وهب بن ميسرة حدثنا محمد بن
 وضاح حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا هشيم اخبرنا يسار عن يزيد الفقير
 ١ - الأعراف ٢
 ٢ - النحل ٧٤
 ٣ - الأحزاب ٢١
 ٤ - اللآلئ ٤٨

اخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي العنائم ولا تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة فاذا صح ان الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا الى قومه خاصة فقد صح ان شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط واذا لم يبعثوا اليها فلم يخاطبونا قط بشئ ولا أمرونا ولا نهونا ولو خاطبونا لما كان لنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة عليهم في هذا الباب ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وابطل هذه الفضيلة التي خصه الله تعالى بها فاذا صح انهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشئ فقد صح يقيناً ان شرائعهم لا تلزمنا أصلاً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يحمل لاحد ان يقلد احداً لاحيا ولا ميتاً وعلى كل احد من الاجتهاد حسب طاقته فمن يسأل عن دينه فانما يريد معرفة ما لزمه الله عز وجل في هذا الدين ففرض عليه ان كان اجمل البرية ان يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دل عليه سألته فاذا اقتضاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فان قال نعم اخذ بذلك وعمل به ابدأ فان قال له هذا رأى أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أو قصباً قديماً أو حديثاً أو سكت أو انتهره أو قال له لا أدري فلا يحمل له ان يأخذ بقوله ولكن يسأل غيره

برهان ذلك قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض اولي الامر فمن قلده عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اولي الامر واذا لم يرد الى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض

اولي الامر دون بعض (أ)

فان قيل فان الله عز وجل قال (فاسألوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون) (ب) وقال تعالى (ليتفقہوا فی الدین ولینذروا قومہم) قلنا نعم ولم یأمر الله عز وجل ان یقبل من النافر لتفقہ فی الدین رأیہ ولا ان یطاع اهل الذکر فی رأیہم ولا فی دین یشرعونہ لم یأذن بہ الله عز وجل وانما أمر تعالی بان یسأل اهل الذکر عما یعلمونہ فی الذکر الوارد من عند الله تعالی فقط لا عن من قالہ من لاسمع لہ ولا طاعة : وانما أمر الله تعالی بقبول نذارة النافر لتفقہ فی الدین فیما تفقہ فیہ من دین الله تعالی الذی اتی بہ رسول الله صلی الله علیہ وآلہ وسلم لا فی دین لم یشرعہ الله عز وجل ، ومن ادعی وجوب تقلید العامی للمفتی فقنادعی الباطل وقال قولاً لم یأت بہ قط نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا قیاس وما کان هكذا فهو باطل لانه قول بلا دلیل بل البرهان قد جاء بابطاله ذاماً لقوم (انا اطعنا ساداتنا وکبرائنا فاضلونا السبیلاً) والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد فی طلب دین الله عز وجل الذی اوجبه علی عباده وبالضرورة یدری کل ذی حس سلیم ان

١ - التحل ٤٣

٢ - التوبة ١٢٢

٣ - الأحزاب ٦٧

(أ) قال السيد محمد الامير كلام المصنف رحمه الله مبني على ان المراد بأولي الامر العلماء وهو احد اقوال السلف في تفسير الآية ولكنه اخرج ابن ابي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى امري فقد عصاني » وفي الآية احاديث مرفوعة بنحوه وآثار عن السلف مختلفة منهم من فسرههم بالعلماء ثم على كلام المصنف المراد استرووا العلماء عن احكام الكتاب والسنة وان الفتيا منها رواية الكتاب والسنة وقبول رواية العالم ليس تقليداً له بل من العمل بتجرب الاحاد الذي تمجد الله بالعمل به العباد وهو العمل بالظن المستفاد من اخبار الاحاد : وفي قوله لم يأمر الله بطاعة بعض اولي الامر دون بعض ايهاً أنه لا يقبل فتوى العالم الواحد حتى تكون اجماهاً وهو خلاف ما قرره كما لا يخفى اهـ

(ب) قال بعض الحققين والمختار ان المراد بسؤال اهل الذکر السؤال عن الرسل هل كانوا بشر أم لا لان ذلك هو المذكور في أول الآية والعرف المرئي يقضي بان ذلك هو المراد والقارئ تنوق الفهم اليه بانہ تعالی لنا قال (وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحی اليہم فاسألوا اهل الذکر) فان السابق الى الاتهام فاسألوہم عن كوننا ما ارسلنا الا رجالاً : كما لو قال قائل واجبت اليوم الخليفة واسأل وزراءہم كان المفہوم واسألہم عن كونی واہتہ : وبهذا تعرف ان هذه الآية لا تصلح للاستدلال علی جواز التقليد كما ذهب اليه الاكثر من محبي التقليد اهـ الادارة

المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بان الله تعالى الهه لا اله غيره وان محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين اليه والى غيره فاذا لا شك في هذا فكل سائل في الارض عن نازلة في دينه فانما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة فاذا لا شك ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتياً أهذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يعجز عنه من يدري ما الاسلام ولو انه قد جلب من قوقو(١) وبالله تعالى التوفيق

مسألة

و اذا قيل له اذا سأل عن أعلم اهل بلده بالدين هذا صاحب حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا صاحب رأي بقياس فليسأل صاحب الحديث ولا بجمل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً:

برهان ذلك قول الله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهنا هو الدين لا دين سوى ذلك والرأي والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الحسور حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث» (حدثنا) يونس بن عبد الله حدثنا يحيى بن مالك بن عاتق اخبرنا ابو عبد الله ابن ابي حنيفة اخبرنا ابو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي اخبرنا سعيد بن منصور اخبرنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال: السنة لم توضع بالمقاييس (حدثنا) محمد بن سعيد بن بيان اخبرنا اسمعيل بن اسحق البصرى اخبرنا احمد بن سعيد بن حزم اخبرنا محمد بن ابراهيم بن حيون المجازى اخبرنا عبد الله بن احمد بن

حنبل قال سمعت ابي يقول : الحديث الضعيف أحب اليانا من الرأي (حدثنا) هام بن احمد اخبرنا عباس بن اصبح حدثنا محمد بن عبد الملك بن ايمن حدثنا عبد الله ابن احمد بن حنبل قال سألت ابي عن الرجل يكون يبلا لا يجد فيه الا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به النازلة من يسأل فقال ابي يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي : ضعيف الحديث أقوم من رأي فلان

مسألة

ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن أو السنة لما حكم قال تعالى (ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا)

مسألة

وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه وان عجز عن جميعه سقط عنه وان قوى على بعضه وعجز عن بعضه سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء أقله أو أكثره :

برهان ذلك قول الله عز وجل (لا يكلف الله فسا الا وسعها) : وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل باسناده وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يجوز أن يعمل أحد شيئاً من الدين موقفاً بوقت قبل وقته فان كان الاول من وقته والآخر من وقته لم يجوز أن يعمل قبل وقته ولا بعد وقته لقول الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله

١ - الأحزاب ٥

٢ - البقرة ٢٨٦

٣ - الطلاق ١

فلا تقعدوها) والاقوات حدود فمن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدى حدود الله .

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد أخبرنا احمد بن علي أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا اسحق ابن ابراهيم هو ابن راهويه عن أبي عامر العقدي حدثنا عبدالله بن جعفر الزهري عن سعيد بن ابراهيم عن عبدالرحمن بن عوف قال : سألت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال أخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » — قال علي ومن أمره تعالى أن يعمل عملا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعالى ولا أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود باطل غير مقبول وهو غير العمل الذي أمر به فان جاء نص بأنه يجزىء في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لانص فيه وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والمجتهد المخطئ أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب هذا في أهل الاسلام خاصة وأما غير أهل الاسلام فلا عندهم اجتهاد المستدل ولا للمقلد وكلاهما هالك برهان هذا ما ذكرناه آنفاً باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التلديد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه فعل ما لم يأمره الله تعالى به ، وأما غير الاسلام فان الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) :

مسألة

والحق من الأقوال في واحد منها وسائرهما خطأ وبالله تعالى التوفيق: قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وذم الله تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا) وقال تعالى (تبياناً لكل شيء) فصح ان الحق من الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه وهو واحد لا يختلف وان الخطأ ما لم يكن من عند الله عز وجل ، ومن ادعى ان الأقوال كلها حق وان كل مجتهد مصيب فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا مقول وما كان هكذا فهو باطل ، ويطلبه أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه الصلاة والسلام ان المجتهد قد يخطئ ، ومن قال ان الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إلينا وأن لا تتبع غيره وأن لا تتعدى حدوده وانما أجر المجتهد المحطى أجرأ واحداً على نيته في طلب الحق فقط ولم يأثم اذا حرم الاصابة ، فلو أصاب الحق أجر أجرأ آخر ثانياً (حدثنا) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد أخبرنا ابراهيم بن احمد الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبدالله بن زيد المقرئ حدثنا صوبة بن شريح حدثنا يزيد بن عبدالله بن الهادي عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »

١ - يونس ٣٢

٢ - النساء ٨٣

٣ - آل عمران ١٠٥

٤ - الأنفال ٤٦

٥ - النحل ٨٩

٦ - الأعراف ٣

ولا يحل الحكم بالظن أصلاً (١) لقول الله تعالى (إن يتبعون إلا الظن

(١) قال السيد محمد الأمير أقول هذا النفي في انه لا يحل الحكم بالظن مشكل غاية الاشكال وقد أنان محقق البحث للناظرين دفماً للاغترار بكلام هذا المحقق رحمه الله فنقول الظن لفظ مشترك بين معان يطلق على الشك كما صرح أئمة اللغة قمي القاموس : الظن التردد والراجع بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم انتهى فهذان اطلاقان . ويطلق على اليقين « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » مع قوله في صفة المؤمنين « وهم بالأخرة هم يوقنون » لانه لا بد من اليقين في الايمان بالأخرة ويطلق على التهمة كما في قوله تعالى « وما هو على الغيب بضين » فيمن قرأ، بالظن المشالة أي بمتهم كما قال أئمة التفسير واذا عرفت هذا عرفت ان المذموم من الظن هو ما كان بمعنى الشك وهو المتردد بين طرفي الامر فطرفاه مستويان لاراجح فيهما فهذا يحرم العمل به اتفاقاً وهو الذي هو كذب الحديث وهو الذي لا يفي من الحق شيئاً وهو بمض الام الذي أراد تعالى « ان بمض الظن اثم » وذلك لما تقرر في الفطرة وقرره الشريعة ان لا عمل الا براجح مستفاد من علم أو ظن . وأما الظن الذي بمعنى الطرف الراجح فهو معتد به قطاً بل اكثر الاحكام الشرعية دائرة عليه فهو البض الذي ليس فيه اثم المفهوم من قوله تعالى (ان بمض الظن اثم) — فان خبر الآحاد معمول به في الاحكام وهو لا يفيد بنفسه الا الظن . والمصنف (ابن حزم) تقدم له ان الجاهل يسأل العالم عن الحكم فيما يرض له فاذا أفتاه وقال هذا حكم الله ورسوله عمل به أبداً ومعلوم ان هذه رواية آحادية من العالم بالمعنى ولا تهيد الا الظن وقد أوجب قبولها وكذلك أمر الله باشهاد ذوي عدل فان شهدا وجب على الحاكم الحكم بما شهدا به وشهادتهما لا تهيد الا الظن بل كونهما ذوي عدل لا يكون الا بالظن بل قال صلى الله عليه وآله وسلم : انكم تختصمون إلى الي قوله فانما أقطع له قطعة من نار : وهذا صريح انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بالظن الحاصل عن البيئة اذ لو كان بالعلم لما كان المحكوم به قطعة من نار لانه يجوز ان البيئة التي حكم بها باطلة في نفس الامر وفي حديث ابن مسعود في سجود السهو اذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث أو أربع وأكثر ظنك

١ - البقرة ٤٦

٢ - لقان ٤

٣ - التكوير ٢٤

٤ - الحجرات ١٢

« وإن الظن لا يثبت من الحق شيئاً » ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق
 هذا آخر مسائل الاصول للامام ابن حزم رحمه الله تعالى

على أربع الحديث فاعتبر الظن في أشرف العبادات وحديث الطبراني والحاكم :
 قال الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء : وحديث : لا يموتن أحدكم إلا
 وهو يحسن الظن بالله رواه احمد ومسلم وأبوداود وابن ماجه فهذا كله عمل
 بالظن الراجح الصادر عن أمانة صحيحة ، وأما ما صدر لاعتن أمانة صحيحة
 نحو ظن الكفار انه لن يتقلب الرسول والمؤمنون الآية وظنتم ظن السوء
 وكنتم قوما بوراً . فهذا ظن باطل مستند الى أن الله تعالى لا ينصر رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومثل ظنتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون الذي
 حكاه الله تعالى عنهم بقوله (ولكن ظنتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم
 ظنكم الذي ظنتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين) فظنهم هذا مستند الى
 الجهل بلم الله واحاطته ، ومنه في قصة الاحزاب في ظن المنافقين (واذا زغت
 الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) فانهم ظنوا غلبة
 الاحزاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا
 غروراً) وعكسهم أهل الايمان فانهم قالوا (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
 ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) فهذا البحث بحمد الله تعالى لا يتجدد في
 كتاب ، وانما هو من فتح الكرم الوهاب وبه يزول الاشكال والاضطراب ،
 وتعلم ان المصنف أوجز في محل الاطنباب ، فاخل بما يذكره هو في هذا الكتاب ،
 فانه لا يزال يستدل فيه بأخبار الآحاد وبمجموع ألفاظها وألفاظ القرآن والكل
 لا يخرج عن الأدلة الظنية ، فاعرف قدر هذه الفائدة السننية اه

١ - النجم ٢٨

٢ - فصلت ٢٢ - ٢٣

٣ - الأحزاب ١٠

٤ - الأحزاب ١٢

٥ - الأحزاب ٢٢

مسألة القدر

سؤال أورده أحد علماء الذميين والجواب عليه

« للامام ابن تيمية »

« (سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلا :) »

أيا علماء الدين ذي دينكم تحبب دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفرى بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب عنى فهل الى دخولى سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذى فيه شقوتي
فان كنت بالمقضى يا قوم راضياً فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فهل لى رضا ما ليس برضاه سيدي فقد حرت دلونى على كشف حيرتى
إذا شاء ربي الكفر منى مشيئة فهل أنا عاص باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلاً ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب الخلق بارى البرية
وهذا سؤال خاصم الملائع قديماً به ابليس أصل البلية
ومن يك خصماً للمؤمن يرجع على أم رأس هارياً في الخفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادم الى النار طراً فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الآله بطله
فان جميع الكون أوجب فعله مشيئة رب الخلق بارى الخليفة

وذاًت الله الخلق واجبة بما
مشيته مع علمه ثم قدرة
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه
وفي الكون تخصيص كثير يدل من
واصداره عن واحد بعد واحد
ولاني تعلق لكل مسبب
بل الثاني في الاسباب اسباب ماترى
وقولك لم شاء الاله هو الذي
قان المجوس القائلين بخالق
سؤالهم عن علة الشر أوقعت
وان ملايد الفلاسفة الاولى
بغوا علة للكون بعد انعدامه
وان مبادى الشر في كل أمة
بخوضهم في ذا كم صار شركهم
ويكفيك نقضاً ان ما قد سألته
فأنت تعيب الطائعين جميعهم
وتنحل من والاك صفو مودة
وحالمهم في كل قول وفعلة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر
فيلزمك الاعراض عن كل ظالم
فلا تقضين يوماً على سافك دمًا
ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا
ولا قاطع لناس نهج سبيلهم

لها من صفات واجبات قديمة
لوازم ذات الله قاضى القضية
يقول فلم قد كان في الازلية
وتحريره قد كان في كل شرعة
له نوع عقل انه ارادة
أو القول بالتجويز رمية حيرة
بما قبله من علة كل خية
ومصدرها عن حكم محض المشيئة
أزل عقول الخلق في قعر حفرة
انفع ورب مبدع للمضرة
رؤوسهم في شبهة التوبة
يقولون بالفعل القديم لعلة
فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
وجاء دروس الينيات بفترة
من العذر مردود لدي كل فطرة
عليك وترميهم بكل منمة
وتبغض من عاداك من كل فرقة
كحالك يا هذا بأرجح حجة
وكل غوى خارج عن محجة
على الناس من نفس ومال وحرمة
ولا سارق مالا لصاحب فقة
ولا ناكح فرجا على وجه غية
ولا مفسد في الارض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور افكاً وفرية
 ولا مهلك للحرث والنسل عامداً
 وكف لسان اللوم عن كل مفسد
 وسهل سبيل الكاذبين تعمداً
 وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم
 وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى
 وكل كفور مشرك بالله
 كهاد وفرود وقوم لصالح
 وخاصم لموسى ثم سائر من أتى
 على كونهم قد جاهدوا الناس إذ نبؤوا
 وإلا فكل الخلق في لفظه ولو
 وبطشة كف أو نخطي قديمة
 ثم تحت أقدار الآله وحكمه
 وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل
 فهل يمكن رفع الملام جميعه
 وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
 فلا يضمن نفس ومال بمثله
 وهل في عقول الناس أوفى طباعهم
 ويكفيك نقضا ما يجسم ابن آدم
 من الألم المقضى من غير حيلة
 إذا كان في هذا له حكمة فما
 وكيف ومن هذا عذاب مولد
 كأكل لسم أو جب الموت أكله
 فكفرك يا هذا كم أكلته

ولا قاذف للمحصنات بزنية
 ولا حاكم للعالمين برشوة
 ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
 على ربهم من كل جاء بفرية
 بروم فساد النوع ثم الرياسة
 فأهلك في اليم انتقاماً بفضبة
 وآخر طاغ كافر بالنبوة
 وقوم لنوح ثم أصحاب ليكة
 من الانبياء محيياً للشريعة
 ونالوا من العاصي بليغ العقوبة
 ظ عين وتحريك لشعرة
 وكل حراك بل وكل سكينه
 كما أنت فيما قد أتيت بحجة
 فعال ردى طراً لهذا المقيسة
 عن الناس طراً عند كل قبيحة
 وترك الورى الانصاف بين الرعية
 ولا يمتقن عاد بمثل الجرعة
 قبول قول النذل ما وجه حياتي
 صبي ومجنون وكل بهيمة
 وفي ما يشاء الله أكل حكمة
 يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
 من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
 وكل بتقدير رب المنية
 وتعذيب نار مثل جرعة عضة

ألت ترى في هذا العار من جنى
ولا عذر للجاني بتقدير خالق
وما كان من جنس المتاب لرفعه
كخير به نعى الذنوب ودعوة
وتقديره للفعل يجلب تقمة
وقول حليف الشرائي مقدر
فهل ينفعن عذر الملووم لانه
أم الدم والتعذيب أوكد للذي
فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى
فدونك رب الخلق فاقصده خارعا
وما بان من حق فلا تتركه
وذلل قياد النفس للحق واسمعن
ومن ضل عن حق فلا تقفونه
هناك تبدو طالعات من المهدي
بملة ابراهيم ذاك إماننا
فلا يقبل الرحمن دينا سوى الذي
فقد جاء هذا الخاتم الحاشر الذي
وأخبر عن رب العباد بأن من
فهذي دلالات العباد الخائر
وقد المهدى عند الورى لا يفيد من
وحجة محتج بتقدير ربه
وأما رضانا بالقضاء فأما
كسقم وذل ثم فقر وغربة
فأما الاقاعيل التي كرهت لنا

يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
كذلك في الاخرى بلا مثنوية
عواقب أفعال العباد الخبيثة
تجانب من الجاني ورب شفاعة
كتقديره الآثار طراً بصلة
على كقول الذيب هذى طبيعنى
كذا طبعه أم هل يقال لعنوة
طبيعته فعل الشرور الشنيعة
ينجيك من نار الاله العظيمة
مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
وعج عن سبيل الامة الغضبية
ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة
وزن ما عليه الناس بالمعدلية
ببشير من قد جاءنا بالخيفة
ودين رسول الله خير البرية
به جاءت الرسل الكرام السجية
حوى كل خير في عموم الرسالة
غدا عنه في الاخرى بأقبح خيبة
وأما هداه فهو فصل الربوبية
عما عنه بل يجرى بلاوجه حجة
تزيد عذاباً كل احتجاج مريضة
أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
وما كان من مؤذ بلون جريمة
فلا نص يأتى في رضاها بطامة

وقد قال قوم من أولي العلم لارضى
فان إله الخلق لم يرضها لنا
وقال فريق يرتضى بقضائه
كما أنها للرب خلق وأنها
فرضى من الوجه الذي هو خلقه
ومعصية العبد المكلف تركه
فان إله الخلق حق مقاله
كما انهم في هذه الدار هكذا
وحكته العليا اقتضت ما قضت من ال
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي
ويهدى أولي التنعيم نحو نعيمهم
وأمر إله الخلق تبيين ما به
فن كان من أهل السعادة أرت
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل
ولا يخرج للعبد عما به قضى
فليس بمجبور عديم إرادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة
وقولك هل أختار ترك الحكة
وأختار أن لا اختار فعل ضلالة
وذا ممكن لكنه متوقف
فدونك فانهم ما به قد أجبت من
أشارت الى أصل يشير الى الهدى

بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فلا يرتضى مسخوطة بمشيئة
اليه وما فينا فيلقى بسخطة
لمخلوقه كسب كفعل الفرزة
ونسخط من وجهه اكنساب الخطيئة
لما أمر المولى وإن بمشيئة
بأن العباد في نعيم وجنة
بل البهم في الآلام أيضاً ونعمة
فروق بعلم ثم أيد ورحمة
يقدره نحو العتاب بعزة
بأعمال صدق في خشوع وخشية
يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
أوامره فيه بتدبير صنعة
بأمر ولا نعي بتقدير شقوة
ولكنه مختار حسن وسوأة
ولكنه شاء بمخلق الارادة
بها صار مختار الهدى والضلالة
كقولك هل أختار ترك المشيئة
ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
على ما يشاء الله من ذي المشيئة
معان اذا انحلت بفهم غريزة
ولله رب الخلق أدمل مدحتي

(تمت قصيدة الامام ابن تيمية)

عقيدة السلف واصحاب الحديث

« للامام المحدث المفسر شيخ »

« الاسلام ابي عثمان »

« اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا قاضي القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الصالح الحنبلي اجازة مشافهة أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد بن المحب المقدسي اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن ابن احمد بن عمر بن شكر وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسين : قال الاول أخبرنا اسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقي سماعاً أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقى اجازة وقال الثاني أخبرنا أحمد بن عبد الدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبى فى كتابه أخبرنا ابو عبد الله محمد ابن اسماعيل بن الخباز شفاهاً أخبرنا أحمد بن عبد الدائم اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى أخبرنا الخرقى سماعاً أخبرنا ابو بكر عبد الرحمن بن اسماعيل الصابونى حدثنا والذى شيخ الاسلام ابو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن فذكره (وأخبرنا) قاضى القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى اجازة مشافهة أخبرنا محمود

ابن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي اجازة اخبرنا الجلال عبد الرحمن بن احمد
ابن عمر بن شكر بنصه قال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام
(أما بعد) فاني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها الى بيت الله
الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام سألتني
اخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التي استمسك بها الذين
مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين وهدوا ودعوا الناس
اليها في كل حين ونهوا عما يضادها وينافيا جملة للمؤمنين المصدقين المتقين ووالوا
في اتباعها وعادوا فيها وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لانفسهم
ولمن دعوم اليها يركتها وخيرها وافضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها
واستمسكتم بها وإرشاد العباد اليها وحملهم اياهم عليها فاستخرت الله تعالى
وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار رجاء ان ينفع به اولو
الالباب والابصار والله سبحانه بمحقق الظن ويميز علينا المن بالتوفيق والاستقامة
على سبيل الرشاد والحق بمنه وفضله: قلت وبالله التوفيق

أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية
والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون زبهم عز وجل بصفاته
التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت
الاخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت
لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يمتدنون تشبيها
لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله
عز من قائل قال (يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) ولا يحرفون
الكلام عن مواضعه بحمل البيدين على النعمتين او القوتين تحريف المعتزلة
الجهمية أهل كهم الله ولا يكيفونها بكيف أو تشبيها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة
خلفهم الله وقد اعاد الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف ومن عليهم

بالتعريف والتفهم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والمظلة والارادة وامثيثة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضمنه عليه بتأويل منكر ومجروونه على الظاهر ويكلمون علمه الى الله تعالى ويقولون بان تأويله لا يعلمه الا الله كما اخبر الله عن الراسخين في العلم انهم يقولونه في قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب)

ويشهد اصحاب الحديث ويعتقدون ان القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيهه غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا كما قال عز من قائل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم امته كما أمر به في قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) فكان الذي بلغهم بامر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال صلى الله عليه وسلم آمنتموني ان ابليغ كلام ربي وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الالسنه ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارى. ولفظ لافظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أى موضع قرى. وكتب في مصاحف أهل الاسلام ألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فن زعم انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم . سمعت

- الشورى ١١

- آل عمران ٧

- الشعراء ١٧٢-١٧٥

- اللغمة ٢٧

الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد ان مرض ولا يصلى عليه ان مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فان تاب والا ضربت عنقه . فاما اللفظ بالقرآن فان الشيخ ابا بكر الاسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لاهل جيلان أن من زعم ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنفه لاهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بان القرآن كلام الله سبحانه ووجهه ونزليه وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبالسنتنا مقروء وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به ومن قال ان القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وانما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه فانه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبخره في الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله اه

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملي سمعت أبا عثمان سعيد بن اشكاب يقول سألت اسحاق بن ابراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال لا ينبغي ان يناظر في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق . وذكر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه وقال: أما القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي الا عن في قوله الفتي والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله فان ابا اسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله يقول اللفظية جهمية قال الله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) فمن يسمع . قال سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم

يذكرون عنه رضى الله عنه انه كان يقول من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع: قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه . هذه الفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها الى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه . قلت وهو أعنى محمد بن جرير قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب اليه وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل الى شيء من البدعة والذي حكاه عن احمد رضى الله عنه وارضاه ان اللفظية جهمية فصحيح عنه وانما قال ذلك لان جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به الى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به ان القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم احمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضاً انه قال اللفظية شر من الجهمية

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن احمد رحمه الله ان من قال لفظى بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فانما أراد ان السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال اليه وانما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الاسلام فقال الامام احمد هذا القول في نفسه بدعة ومن حق المتدين ان يدعه ولا يتفوه به ولا يمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الائمة المتبعة ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه الا تكفير من يقول بخلقه . اخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجي بمرور حدثنا يحيى بن سالوكه عن ابيه عبد الكريم السندی قال قال وهب بن زمعة اخبرني بالباساني قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لاؤمن بهذا الكلام فقد كفر . ويعتقد أهل الحديث ويشهدون ان الله سبحانه وتعالى

فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله عز وجل في سورة الاعراف (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقوله في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقوله في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش) وقوله في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) .
يثبتون له من ذلك ما أثبتته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلمون علمه الى الله ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الابواب) كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم فائتي عليهم به .

اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيى المعلى حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد اخبرني علي بن محمد بن عبيد ابو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا ابو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الاشرس الوراق ابو كنانة حدثنا ابو المغيرة الحنفي حدثنا قره بن خالد عن الحسن عن ابيه عن ام سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر . وحدثنا ابو الحسن بن اسحق المدني حدثنا احمد بن الخضر بو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن انس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعه وما اراك الا ضالا وأمر به ان يخرج من مجلسه . اخبرنا ابو محمد المجلدي العدل حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن

١ - يونس ٣

٢ - الرعد ٢

٣ - الفرقان ٥٩

٤ - السجدة ٤

٥ - طه ٥

٦ - آل عمران ٧

عبدالله قال جاء رجل الى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قال فما رأيت وجد من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرضاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الامر به فيه ثم سرى عن مالك فقال الكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة وانى لاخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج * أخبرنا به جدى أبو حامد احمد بن اسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن احمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبدالله قال جاء رجل لمالك بن أنس فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال فإريت مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته وذكر بنحوه * وسئل ابو على الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال أنا لا أعرف من أبناء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا وقد أعلمنا جل ذكره انه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى * أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا ابو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد ابن عبدالرحمن السامي حدثني عبدالله بن احمد بن شبيب المرورزي سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بآثنا منه خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار الى الارض . وسمعت الحاكم أبا عبدالله في كتابه التاريخ الذي جمعه لاهل نيسابور وفي كتابه معرفة الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلها يقول سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه والقي على بعض المزابيل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المماهدون بنتن رائحة جيفته وكان ماله فيثا لا يرثه احد من المسلمين إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف بل يثبتون ما أثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلمون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والايان المذكورين في قوله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الاسماعيلي الى أهل جيلان ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وتؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فصل قاتميننا الى ما أحكمه وكففتنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آما به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب) .

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت أبا حامد بن الشرقى يقول سمعت
احمد السلمي وأبادود الخفاجي يقولان سمعنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي يقول
قال لي الامير عبدالله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول
الله صل الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا كيف ينزل قال قلت
أعز الله الامير لا يقال لامر الرب كيف انما ينزل بلا كيف * حدثنا أبو يعقوب
اسحق بن ابراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي حدثني أبو بكر
بن احمد بن محبوب حدثنا احمد بن حمويه حدثنا ابو عبد الرحمن العباسي حدثنا
محمد بن سلام سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان فقال
عبدالله ياضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الله كيف

١ - البقرة ٢١٠

٢ - النجر ٢٢

٣ - آل عمران ٧

ينزل أليس يخلو ذلك المكان منه فقال عبد الله ينزل كيف شاء . وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل اذا جارك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابراهيم بن ابي طالب يقول سمعت احمد بن سميد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطي يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه فستل عن حديث النزول أصحیح هو قال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب انزع من ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل فقال له اسحق أثبتة فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبتة فوق فقال اسحق قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) فقال الامير عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحق أعز الله الامير ومن يحيى . يوم القيامة من نعم اليوم . وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد حدثنا ابو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا ابو بكر بن زكريا حدثنا ابو حاتم على بن عبيدان حدثنا محمد بن يحيى قال ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك رحمه الله وحدثنا ابو بكر بن زكريا أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن ابراهيم ابن باكويم حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له ومن يسألتني فاعطيه ومن يستغفرني فاعفر له »

ولهذا الحديث طرق الى أبي هريرة رواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ورواه يزيد بن هرون وغيره من الأئمة

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن الاعرج
 عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعبيد الله
 ابن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة وعبد الاعلى بن أبي
 المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبي حازم عن أبي هريرة . ورواه نافع بن جبير
 ابن مطعم عن أبيه وموسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى عن عبادة بن الصامت
 وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله وعبيد الله بن أبي رافع
 عن علي بن أبي طالب وشريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله
 ابن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيد عن ابى الورداء وابو الزبير عن جابر
 وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم .

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدھا في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار وفي
 رواية الاوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله الى
 السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من
 مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » . وفي رواية سعيد بن مرجانة عن
 أبي هريرة زيادة في آخره وهي « ثم يبسط يده فيقول من يقرض غير معدوم
 ولا ظلم » . وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « ان الله ينزل الى السماء الدنيا في ثلث الليل الاخير فينادى هل من سائل
 فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فلا يبقى شيء فيه الروح الا علم به الا الثقلان الجن
 والانس » قال وذلك حين تصبح الديكة وتنشق الحير وتنبج الكلاب . وروى
 هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار
 عن رفاعة الجهني حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مضى ثلث
 الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لا أسأل من عبادي
 غير من يستغفرني فأغفر له من يدعوني فأستجيب له من يسألني أعطيه حتى
 ينفجر الصبح » . أخبرنا ابو محمد المجلدي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا محمد

بن يحيى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الاول هبط الى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب هل من مستغفر هل من سائل هل من داع حتى تطلع الشمس» * أخبرنا أبو محمد المجلدي حدثنا أبو العباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شيبان بن ثوار عن يونس بن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء فتفتحت فقال هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من مضطراً كشف عنه ضره هل من مستغيث أغنيته فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا» * أخبرنا أبو محمد المجلدي أنبأنا أبو العباس يعنى الثقفي حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالوا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سهل عن أبي اسحق عن الاغر انه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فقال ألا هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤله ألا هل من تائب يتاب عليه» * حدثنا الاستاذ أبو منصور بن حماد حدثنا أبو اسماعيل بن أبي الظميا يفتاد حدثنا أبو منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول انا الملك انا الملك ثلاثاً من يسألنى فأعطيه من بدعوى فاستجيب له من يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» سمعت الاستاذ أبا منصور على أثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه فقال ينزل بلا كيف وقال بعضهم ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلى

والمتملى لانه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فجيئته واتيانه ونزوله علي حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف * وقال الامام أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنفه وسمعت من حامده ابى طاهر رحمه الله تعالى

باب

ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه متيقن بما في هذه الاخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله عز وجل ولي نبيه صلى الله عليه وسلم يسان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفه الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول * أخبرنا الحاكم ابو عبدالله الحافظ حدثنا ابو محمد الصيدلاني حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا احمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخزومة بن بكير عن ابيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الاصم واللفظ له حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن وهب عن مخزومة ابن بكير عن ابيه قال سمعت محمد بن المنكدر يزعم انه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم قالت يوم عرفة » * وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى في النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من القدر فيعشق من النار بعمد شعر معز بنى كلب ويكتب الحاج وينزل ارزاق السنة ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً او قاطع رحم او عاقاً او مشاحناً » * أخبرنا ابو طاهر بن خزيمة حدثنا جليي الامام حدثنا

الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا اسماعيل بن علي بن هشام الدستوائي (ح) قال الامام وحدثنا الزعفراني عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هرون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالاسكندرية حدثنا الوليد عن الازاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعه بن عرابة الجهني (ح) قال الامام وحدثنا ابو هشام بن زياد بن ايوب حدثنا بشر بن اسماعيل الحلبي عن الازاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعه بن عرابة الجهني قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي صلى الله عليه وسلم ابغض إليكم من الآخر فلا يرى من القوم إلا باكيًا قال يقول ابو بكر الصديق ان الذي يستأذئك بعدها لسفيه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واتى عليه وكان اذا حلف قال والذي نفسى بيده أشهد عند الله مامنكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد الاسك به في الجنة ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمي الجنة سبعين الفاً نفر حساب ولا عذاب واني لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من ازواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأجيبه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الاسلام قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه وعلما وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعللة علواً كبيراً ولعنهم لعنا كثيراً . وقرأت لابي عبد الله

ابن ابي حفص البخاري وكان شيخ بخاري في عصره بلا مدافعة و ابو حفص كان من كبار اصحاب محمد بن الحسن الشيباني قال ابو عبد الله اعنى ابن ابي حفص هذا عيد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول قال حماد بن ابي حنيفة قلنا لهؤلاء ارايت قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاصفا) قالوا اما اللانكة فيجيبون صفا صفا واما الرب تعالى فانا لاندرى ما عنى بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم ان تعلموا كيف جيئتم ولكننا نكلفكم ان تؤمنوا بمجيئه ارايتم من انكر ان الملك لا يجي صفا صفا ما هو عندهم قالوا كافر مكذب قلت فكذلك ان انكر ان الله سبحانه لا يجي فهو كافر مكذب * قال ابو عبد الله ابن ابي حفص البخاري ايضا في كتابه ذكر ابراهيم عن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا لا تؤمن برب ينزل عن مكانه قتل انت انا اؤمن برب يفعل ما يشاء * وروى يزيد بن هرون في مجلسه حديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم تنظرون الى ربكم كما تنظرون الى القمر ليلة البدر » فقال له رجل في مجلسه يا ابا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرد وقال ما اشبهك بصبيغ واحوجك الى مثل ما فعل به وبلك ومن يدري كيف هذا ومن يجوز له ان يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث او يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه الا من سفه نفسه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تتدعوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم: وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هرون للسائل ما اشبهك بصبيغ واحوجك الى مثل ما فعل به هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان صبيغا التميمي ابي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن (الذاريات ذروا) قال هي الريح ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته قال فاخبرني عن (الحاملات وقرا) قال هي السحاب ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته قال فاخبرني

١ - الذاريات ١

٢ - الذاريات ٢

عن (المقسمات أمراً) قال الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الجاريات يسرا) قال هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمر به فضرب مائة سوط ثم جعله في بيت حتى إذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قنبر كتب إلى ابني موسى الأشعري أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أباموسى الأشعري فحلف بالآيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً فكتب عمر إليه ما أخأه الا قد صدق خل بينه وبين مجالسة الناس * وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب سمعت رجلاً من بني عجل يقول له فلان خلت ابن زرة يحدث عن أبيه قال رأيت صبيغ بن عثل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الخلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين * وروى حماد ابن زيد أيضاً عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجبه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي * أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب العلاف التجيبي بمصر حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك ابن انس يقول إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون * أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله يقول لان القاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلى من أن القاه

بشيء من الأهواء. أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمرو الخيري حدثنا أبو الازهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جعفر برقان قال سألت رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء فقال الزم دين الصبي في الكتاب والاعرابي والله عما سوى ذلك. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه. أخبرنا أبو الحسين الحفاف حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا اسماعيل بن أبي الحرث حدثنا المهيم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية قال اروها كما جاءت بلا كيف. قال الامام الزهري امام الائمة في عصره وعين علماء الامة في وقته على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. وعن بعض السلف قدم الاسلام لا يثبت الا على قنطرة التسليم. أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام احمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحسن حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله من الغرباء قال الذين يحبون سنتي من بعدى ويعلمونها عباد الله. » أخبرنا عبد الله الحافظ سمعت أبا الحسن المسكاري يقول سمعت علي بن عبد العزيز يقول سمعت أبا القاسم بن سلام يقول المتبع للسنة كالتابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله. وروى عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) . أخبرنا عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقل حدثنا احمد بن عبد الجبار المطاردي حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عمرو عن محمد بن كعب القرظي

قال دخلت على عمر بن العزيز فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً فقال انك لتنظر الى نظراً ما كنت تنظره الى وأنا بالمدينة فقال تعجبى فقال وممّ تعجبى قال قلت وما حال من لونك ونحل من جسمك وتقي من شعرك قال كيف ولو رأيتى بعد ثلاثة في قبوري وقد سالت حدقتاي على وجتى وسال منخرأى في في صديداً كنتلى أشد نكرة ، حدثنى حديثاً كنت حدثنيه عن عبد الله بن عباس قال قلت حدثنى عبد الله بن عباس يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل شئ شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة لا تصلوا خلف نائم ولا محدث واقبلوا الحية والعقرب وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يجلد عبده ويمنع رفده وينزل وحده أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يفر ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى لا يرجى خيره ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أعنى الناس فليكن بما في يده أوثق منه بما في يد غيره ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله ان عيسى عليه السلام قام في قومه فقال يا بنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكاثروا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم الأمور ثلاثة أمر بين رشه فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل »

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالايان والشمائل والاجابة عن المسائل الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها ما قيل النر من الخير والشر وغيرها

ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للمذنبى أهل التوحيد

ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو سعيد بن حمدون أنبأنا أبو حامد بن الشرقي حدثنا أحمد بن يوسف السلمي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد ابن المسيب الاغنياني حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين » أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو (ح) وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدى الامام محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا علي بن حجر بن اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ان أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه »

ويؤمنون بالحوض والكوتر وادخال فريق من الموحدنين الجنة بغير حساب ومحاسبة فريق منهم حسبا يسيرا وادخلهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم وادخال فريق من مذنبهم النار ثم اعتاقهم أو إخراجهم منها والحاقهم بأخوانهم الذين سبقهم إليها ولا يخلدون في النار فاما الكفار فانهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبدا ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان احداً •

ويشهد أهل السنة ان المؤمنين يرونهم تبارك وتعالى بابصارهم وينظرون اليه على ماورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للعرشي

والاخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها
ويشهد اهل السنة ان الجنة والنار مخلوقتان وانها باقيتان لا يفنيان ابدأ
وان اهل الجنة لا يخرجون منها ابدأ وكذلك اهل النار الذين هم اهلها خلقوا لها
لا يخرجون ابدأ وان المنادي ينادى يومئذ يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل
النار خلود ولا موت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم *

ومن مذهب أهل الحديث ان الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سألت أبا عبد الله أحمد
ابن حنبل رحمه الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن
موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن
حبيب قال الإيمان يزيد وينقص فقليل وما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا الله
لحمدناه وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه: أخبرنا
ابو الحسن بن أبي اسحق المزكي حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الخيري حدثنا محمد بن
يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي وأحمد بن شداد الترمذي قالوا حدثنا الحميدي
حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا قول وعمل * وسألت
هشام بن حسان فقال قول وعمل * وسألت ابن جرير فقال قول وعمل * وسألت
سفيان الثوري فقال قول وعمل * وسألت المثني بن الصباح فقال قول وعمل *
وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال قول وعمل * وسألت فضيل فقال قول
وعمل * وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال قول وعمل * وسألت سفيان بن
عيينة فقال قول وعمل * وأخبرنا أبو عمرو الخيري حدثنا محمد بن يحيى ومحمد
بن إدريس سمعت الحميدي يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول الإيمان
قول وعمل يزيد وينقص فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة يا أبا محمد تقول
ينقص فقال اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء * وقال الوليد بن
مسلم سمعت الاوزاعي ومالك وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول

إقرار بلا عمل ويقولون لا إيمان إلا بعمل قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكمل إيماناً ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والاضاعة فإيمانه ناقص * (وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ) يقول سمعت أبا بكر محمد ابن احمد بن باكويه الحلاب يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول سمعت احمد بن سعيد الرباطي يقول قال لي عبد الله بن طاهر يا أحمد أنك تبغضون هؤلاء القوم جهلاً وأنا أبغضهم عن معرفة اولاً أنهم لا يرون للسلطان طاعة والثاني انه ليس للإيمان عندم قدر والله لا أستجيز أن أقول إيماني كما يمان يحيى بن يحيى ولا كما يمان احمد بن حنبل وهم يقولون إيماننا كما يمان جبرائيل وميكائيل * وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني يقول سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول سمعت اسحق بن ابراهيم الحنظلي يقول قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد الظن انه يذهب مذهب الخوارج فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الإيمان فقال يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً فقال لا تقبلني المرجئة للمرجئة تقول حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ولو علمت اني قبلت مني حسنة لشهدت اني في الجنة ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الارض لرجح * (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله) بن محمد بن زكريا الشيباني يقول سمعت يحيى بن منصور القاضى يقول سمعت محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول سمعت الحسين بن حرب أخا احمد بن حرب الزاهد يقول أشهد أن دين احمد بن حرب الذى يدين الله به ان الإيمان قول وعمل يزيد وينقص *

ويعتد أهل السنة أن المؤمن وان اذنب ذنوباً كثيرة صفائر وكبائر فانه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والاخلاص فان أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً

غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار واذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فانه لا يلقى فيها القاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك ان الكافر يسحب على وجهه الى النار ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والاعلال والانكال الثقال والمؤمن المذنب اذا ابتلى بالنار فانه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير القاء وتنكيس . ومعنى قوله لا يلقى في النار القاء الكفار ان الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلداً غيره لينوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها لينوقوا العذاب) : وأما المؤمنون فلا تفتح وجوههم النار ولا تحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله لا يبقى في النار بقاء الكفار ان الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً ولا يخلد الله من مذنب المؤمنين في النار أحداً . ومعنى قوله لا يشقى بالنار شقاء الكفار ان الكفار يأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعمهم من رحمة الله في كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلق لهم فضلا من الله ومنه

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا فكفره بذلك احمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الاسلام للخبر الصحيح « بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر » وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمه الله عليهم أجمعين الى انه لا يكفر مادام معتقداً لوجوبها وإنما يستوجب القتل كما يستوجب المرتد عن الاسلام وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال

(اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ولم يك تلبس بكفر فارقه ولكن نركه جاحداً له *

ومن قول أهل السنة والجماعة في اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء عنه لاجحة لمن أضله الله عليه ولا عنده له لديه : قال الله عز وجل (قل فله الحجة البالغة فلو شاء هداكم أجمعين) وقال (ولو شئنا لآتيننا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) الآية وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) الآية : سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة اليهم فجعلهم فرقتين فريقاً للنعيم فضلاً وفريقاً للجهنم عدلاً وجعل منهم غريباً ورشيداً وشقيماً وسعيداً وقريباً من رحمة وبعيداً لا يستل عما يفعل وهم يستلون * أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فوالذي نفسي بيده ان أحدكم لي عمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يلزكه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

ويشهد أهل السنة ويعتقدون ان الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنهما ولا يصيب للمرء إلا ما كتب له ربه ولو جهد الخلق أن ينفخوا للمرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ماورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الله عز وجل (وإن يمسك الله بضر فلا كشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية

١ - يوسف ٢٧

٢ - الأنعام ١٤٩

٣ - السجدة ١٣

٤ - الأعراف ١٧٦

٥ - يونس ١٠٧

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله
وبقضائه لا يضاف الى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فلا يقال يا خالق
القردة والخنازير والخنافس والجملان وان كان لا مخلوق الا والرب خالقه وفي
ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح «تباركت
وتعالت والخير في يديك والشر ليس اليك» ومعناه والله أعلم والشر ليس مما
يضاف اليك إفراداً وقصداً حتى يقال لك في المنادة يا خالق الشر او يا مقدر
الشر وان كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً لذلك أضاف الخضر عليه السلام
ارادة العيب الى نفسه فقال فيما أخبر الله عنه في قوله (أما السفينة فكانت
لما كين يعملون في البحر فأردت أن أعيها) ولما ذكر الخير والبر والرحمة
أضاف ارادتها الى الله عز وجل فقال (فأراد ربك أن يلبغا أشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك) ولذلك قال مخبراً عن ابراهيم عليه السلام انقال (واذا
مرضت فهو يشفين) فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وان كان
الجميع منه *

ومن مذهب أهل السنة والجماعة ان الله عز وجل يريد لجميع أعمال العباد
خيرها وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل
الناس أمة واحدة ولو شاء أن لا يعصى ما خلق ابليس : فكفر الكافرين وایمان
المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره و ارادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه
وقضاه ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل
(ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفروا ان تشكروا يرضه لكم) *
ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث ان عواقب العباد مبهمه لا يدري أحد بم
يختم له ولا يحكمون لواحد بعينه انه من أهل الجنة ولا يحكمون على أحد بعينه انه
من أهل النار لان ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الانسان
ولذلك يقولون انا مؤمنون ان شاء الله * ويشهدون لمن مات على الاسلام ان
عاقبه الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله انهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم

١ - الكهف ٧٦

٢ - الكهف ٨٢

٣ - الشعراء ٨٠

٤ - الزمر ٧

التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها فانهم يردون أخيراً الى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلاً من الله ومنه ومن مات والعياذ بالله على الكفر فردته الى النار لا ينجو منها ولا يكون لبقائه فيها منتهى . فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعد له لم يفتأ صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك والله تعالى أعلم برسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه وبيان ذلك في قوله عز وجل (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح وكذلك قال ثابت بن قيس بن شماس أنت من أهل الجنة قال أنس بن مالك فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول انه من أهل الجنة •

ويشهدون ويعتقدون ان افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وانهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلاقهم بقوله فيما رواه سعيد بن نهران عن سفيانة « الخليفة بعدي ثلاثون سنة » وبعد انقضاء أيامهم عاد الامر الى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم • ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم قاطبة رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فرضينا له لديننا وقولهم قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فن يؤخره وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصليتنا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخره بعد تقديمه إليك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة انه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليه واجتمعا فاتفقوا بمكانه والله وارتفعوا به وارتقوا حتى قال ابو هريرة رضي الله عنه والله

الذي لا إله الا هو لولا ان أبا بكر استخلف لما عبد الله: ولما قيل له مه يا أبا هريرة قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به * ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف ابي بكر رضي الله عنه اياه واتفاق الصحابة عليه بعده وانجاز الله سبحانه بمكانه في اعلاء الاسلام واعظام شأنه وعده * ثم خلافة عثمان رضي الله عنه باجماع اهل الشورى واجماع الاصحاب كافة ورضام به حتى جعل الامر اليه * ثم خلافة علي رضي الله عنه بيعة الصحابة اياه عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولام في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الاربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم للملحدين وقوى بمكانهم الاسلام ورفع في أيامهم للحق الاعلام ونور بضياتهم ونورهم وبيئاتهم الظلام وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية وفي قوله (أشداء على الكفار) فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم الى ما تنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله » وقال « من احبهم فبحبي احبهم ومن أبغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن سبهم فعليه لعنة الله »

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والبيدين وغيرها من الصلوات خلف كل امام مسلم برأ كلن أو فاجراً : ويرون جهاد الكفرة معهم وان كانوا جوررة فجرة ويرون النصارى لهم بالاصلاح والتوفيق والصلاح ولا يرون الخروج عليهم وان رأوا منهم العلول عن العدل الى الجور والحيف . ويرون قتال الفتنة الباغية حتى ترجع الى طاعة الامام العدل ويرون الكف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الالسنه عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم وتقصاً فيهم . ويرون الترحم على جميعهم والموالاته لكافهم . وكذلك يرون تعظيم قدر

١ - النور ٥٥

٢ - الفتوح ١١

أزواجه رضى الله عنهم والثناء لمن ومعرفة فضلهم والاقرار بأنهن أمهات المؤمنين * ويعتقدون ويشهدون ان أحداً لا تجب له الجنة وان كان عمله حسناً وطريقه مرتضى الا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله اذ عمل الخير الذى عمله لم يتيسر له الا بتيسير الله عز اسمه فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء) في آيات سواها *

ويعتقدون ويشهدون ان الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا وان نفساً لن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً واذا انقضى أجل المرء فليس الا للموت وليس له عنه فوت قال الله عز وجل (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً) * ويشهدون ان من مات أو قتل فقد انقضى أجله قال الله عز وجل (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) * ويتيقنون ان الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتدون استزلالهم ويرصدون لهم قال الله عز وجل (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون) ° . وان الله يسلمهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء قال الله عز وجل (واستغفر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان الا غروراً ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه) الآية

ويعتقدون ان في الدنيا سحراً وسحرة الا انهم لا يضررون أحداً الا باذن الله قال الله عز وجل (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) ومن سحرهم واستعمل السحر واعتقد انه يضر او ينفع بغير اذن الله تعالى فقد كفر . واذا وصف ما يكفر به استتيب فان تاب والا ضربت عنقه وان وصف ما ليس بكفر

١ - التور ٢١

٢ - الأعراف ٢٤

٣ - آل عمران ١٤٥

٤ - آل عمران ١٥٤

٥ - الأنعام ١٢١

٦ - الإسراء ٦٤ - ٦٥

٧ - النحل ١١٠ - ١١١

٨ - المجادلة ١٠

او تكلم بما لا يفهم نهي عنه فان عاد عزر . وان قال السحر ليس بحرام وانا اعتقد اباحته وجب قتله لانه استباح ما جمع المسلمون على تحريمه .

ويحرم اصحاب الحديث المسكر من الاشربة المتخذة من العنب او الزبيب او التمر او العسل أو الذرة او غير ذلك مما يسكر يحرمون قليله وكثيره ويحتنبونه ويوجبون به الحد * ويرون المسارعة الى اداء الصلوات واقامتها في اوائل الاوقات افضل من تأخيرها الى آخر الاوقات . ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الامام ويأمرون باتمام الركوع والسجود حتما واجبا ويعدون اتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدين مطمئين فيه من اركان الصلاة التي لاتصح الا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الارحام وافشاء السلام واطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والايتام والاهتمام بأمر المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار الى فعل الخيرات اجمع * ويتحاربون في الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه ويتجانبون اهل البدع والضلالات ويمادون اصحاب الالهواء والجهالات . ويقتنون بالسلف الصالحين من ائمة الدين وعلما المسلمين ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون اهل البدع الذين احدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع اباطيلهم التي اذا مرت بالأذان وقرت في القلوب ضرت وجرت اليها الوسواس والخطرات الفاسدة . وفيه انزل الله عز وجل قوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وعلامات البدع على اهلها بادية ظاهرة واظهرا ياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحجة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم ايام حشوية وجملة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم

في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بمنزل عن العلم وان العلم ما يليق به
الشیطان اليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهو اجس
قلوبهم الخالية من الخير وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أو ائلك
الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم . ومن بين الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء * سمعت الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا علي الحسين
ابن علي الحافظ يقول سمعت جعفر بن احمد بن مناف الواسطي يقول سمعت
احمد بن سنان القطاف يقول ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث
فاذا ابتدع الرجل نزعته حلاوة الحديث من قلبه * وسمعت الحاكم يقول
سمعت ابا الحسن محمد بن احمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت محمد بن اسماعيل
الترمذي يقول كنت انا واحمد بن الحسن الترمذي عند امام الدين ابي عبد الله
احمد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا ابا عبد الله ذكروا لابن ابي قتيلة بمكة
اصحاب الحديث فقال اصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد بن حنبل وهو
ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق حتى دخل البيت * وسمعت الحاكم
أبا عبد الله يقول سمعت ابا نصر احمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول سمعت ابا نصر
ابن سلام الفقيه يقول ليس شيء اثقل على اهل الاحاد ولا ابغض اليهم من سماع
الحديث وروايته باسناده وسمعت الحاكم يقول سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن
اسحق بن ايوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ ابو بكر حدثنا فلان فقال
له الرجل دعنا من حدثنا الى متى حدثنا فقال الشيخ له قم يا كافر فلاجل لك
ان تدخل داري بعد هذا ابدأ ثم التفت اليها وقال ما قلت لاحد ما تدخل داري
الا هذا * سمعت ابا منصور محمد بن عبد الله بن حماد العالم الزاهد يقول سمعت ابا
القاسم جعفر بن احمد المقرئ الرازي يقول قرأ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وانا
اسمع سمعت ابي يقول عنى به الامام في بلده اباه ابا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي
الرازي يقول علامة أهل البدع الوقعة في اهل الاثر وعلامة الزنادقة تسميتهم اهل
الاثر حشوية يريدون بذلك ابطال الاثر وعلامة القدرية تسميتهم اهل السنة مجبرة

وعلاوة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرفضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبية قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث . قلت أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم اقتسموا القول فيه فسلما بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفتر يا مختلفاً كذا باور كان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن إلا رسولاً لمصطفى نبياً قال الله عز وجل (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلاً فلا يستطيعون سبيلاً) كذلك المتبعدة خذلهم الله اقتسموا القول في حلة أخباره ونقله آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته فسام بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقية وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووجهه وخطابه والافتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منها وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لحجته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » واحدى علامات أهل السنة حبهم لائمة السنة وعلماؤها وانصارها واولياؤها وبفضهم لائمة البدع الذين يدعون الى النار ويدلون اصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلامته جل جلاله * أخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ اسكنه الله وايانا الجنة حدثنا محمد بن ابراهيم بن الفضل المزكي حدثنا احمد بن سلمة قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعد كتاب الايمان له فكان في آخره فاذا رأيت الرجل يحب سفیان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الاحوص وشريكا ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي

فأعلم انه صاحب سنة قال احمد بن سلمة رحمه الله فألحقت بخطي تحته ويحيى
واحد بن حنبل واسحق بن راهويه فلما انتبهنا الى هذا المرضع نظرنا الى اهل
نيسابور وقال هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى فقلنا له يا أبا رجاء ما يحيى
بن يحيى قال رجل صالح امام المسلمين واسحق بن ابراهيم امام واحد بن حنبل
اكبر من سميتهم كلهم وانا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ان من
أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة اهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهدمهم
يهتدون ومن جلتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة
آخرين منهم محمد بن ادريس الشافعي وسعيد بن جبير والزهرى والشعبي
والثيمي ومن بعدهم كالليث بن سعد والاوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة
للال وحامد بن سلمة وحامد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف
ونظرانهم : ومن بعدهم مثل يزيد بن هرون وعبد الرزاق وجريير بن عبد الحميد
ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج
القشيري وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم
ابن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن اسحق بن
خزيمة الذي كان يدعى امام الاثمة والمقرئ كان امام الاثمة في عصره ووقته وأبي
يعقوب اسحق بن اسماعيل البستي وجدى من قبل أبي أبوسعيد يحيى بن
منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني وولديه سيفى السنة أبي
هداه الصابوني وأبي عبدالرحمن الصابوني وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين
بها ناصرين لها داعين اليها والبن عليها وهذه الجمل الذى أثبتنا في هذا الجزء
كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا
مع ذلك على القول بقهر أهل البدع واذلالهم واخرانهم وابعادهم واقصائهم
والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب الى الله عز وجل بمجانبتهم
ومهاجرتهم قال الاستاذ الامام رحمه الله وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم
مستضىء بأنوارهم ناصح لاخوانى وأصحابى أن لا يزلقوا عن منارهم ولا يتبعوا
غير أقوالهم ولا يشتغلوا بهذه الهدئات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين

وظهرت وانتشرت ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك
الائمة لهجروه وبدعوه وكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ولا يفرن اخواني
حفظهم الله كثرة أهل البدع ووفور عددهم فان ذلك من أمارات اقتراب الساعة
اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « ان من علامات الساعة واقترابها
أن يقل العلم ويكثر الجهل » والعلم هو السنة والجهل هو البدعة ومن تمسك بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا اليها كان أجره أوفر
وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الاسلام والملة اذ الرسول
المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له « أجر خمسين قبيل خمسين منهم قال بل منكم » أما
قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته . وحدثني كتاب
الشيخ الامام جدي أبي عبد الله محمد بن عدى بن حمدويه الصابوني رحمه الله
أخبرنا ابو العباس الحسن بن سفيان الثوري ان العباس بن صبيح حدثهم حدثنا
عبد الجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد سمعت ابن شهاب الزهري يقول
تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة . أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن
محمد بن زكريا الشيباني أخبرنا ابو العباس محمد بن عبد الرحمن السنغولي سمعت
محمد بن حاتم المظفرى يقول كان أبو معاوية الطيرى يحدث هرون الرشيد فحدثه
بحديث أبي هريرة « احتج آدم وموسى » فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين
آدم وموسى ما بينهما قال فوثب به هرون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه
وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكت عنه هكذا ينبغي للمرء ان يعظم
أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد
الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هرون الرشيد رحمه الله
مع من اعترض على الخبر الصحيح الذى سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد
عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم .
جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتمسكون في دنياهم
مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الالهواء المضلة والآراء المضمحلة والاسواء
المثلة فضلا منه ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (تمت الرسالة)

تحذير اهل الايمان عن الحكم بغير ما انزل الرحمن

- تأليف -

الشيخ أبي هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسني
الاسعدي الأزهري السلفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه أستعين)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق المبين * والحبل
المديد المتين * الذي من اعتمص به فقد تمسك بالعروة الوثقى . وكان من
الناجين * ومن أعرض عنه ولم يرفع له رأساً فقد خاب وخسر ذلك الأبعد
الاشقى . وكان من النادمين الندامة الكبرى . الداعين على أنفسهم بالويل
والثبور حيث لا ينفع ندم ولا أنين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
جاءنا من ربه بتلك الشريعة الوافية . الكافية الشافية . الناجمة النافعة .
الجامعة المانعة . المغنية الغنى التام عن جميع الشرائع والقوانين * وعلى آله
وأصحابه . وأحبابه وأحزابه . الذين جاهدوا والذين مجاهدون في نصر دين الله .
وإعلاء كلمة الله . جميع المعارضين والمضادين * من المشركين والمارقين المنافقين
المعاندين المعادين * المحادين المشاقين * لله ولرسوله الصادق المصدوق الامين *

﴿ بيان أعظم أسباب التأخر والتقهقر ﴾

﴿ أما بعد ﴾ فاني ارى ان الجهل قد عم الحاضر والبادى . وخيم بأطنايه على القاصى والدانى . وعلم الكتاب والسنة . الذى هو من كل شر جنة . مع أن المنار الذى يهتدى به المجدون ويسترشده المسترشدون . ومن لا نصيب له وافر منه فهو راكب متن عمياء . وخابط خبط عشواء . وهو الى الضلال أقرب منه الى الهدى . والى الردى أدنى منه الى السلامة والنجا . قد خبت ناره . وولت الادبار أنصاره . ورأوا شيئاً هيناً أو فرياً . واتخذوه راءم ظهرياً . قد أهملوه وضيعوه وهجروه هجر القلى وقطعوه . وأولعوا بعلوم لا تسمن ولا تنفى من جوع ولا تنفع لظمان لاه . وأكبوا عليها إكباب المقامر على ملهاه . ووقفوا أعمارهم العزيزة على نحو كتب الفلاسفة وكتب القيل والقال . وفضول العلوم التى لا تأتى بطائل ونوال . لا فى دين ولا فى دنيا أصلاً وقطعاً . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فهم ولاشك من الاخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا فلذلك أظلمت منهم القلوب والبصائر . وعميت منهم السرائر . فلا يتنبهون للخطوب التى تحل بهم . وإن تنبهوا فقلما تجد فيهم من يفتدى نفسه فى سبيل دفع ذلك الملم المدلهم . فكل يقول أنا مالي . حسبي مراقبة حالي . والدين له رب يحميه . يحوطه ويعليه . وهذه كلمة حق أريد بها باطل أفما قرأ عمره القرآن هذا القائل . فيرى أمر ربه بالدفاع عن دينه وشرعته . وبذل الجهد للمستطاع فى إعلاء كلمته . نعم قال عبد المطلب البيت له رب يحميه . لما لم يجد عنده من الاسباب الظاهرية ما يقاوم به أبرهة الفيل ويكفيه . فالتجأ فى المعنى الى ربه . وأظهر له عجزه عن ذبه . حتى كان ما كان . أما والانسان يتمكن من نصر الحق أذى تمكن ولو بالبيان . بالقلم او اللسان . فلا يسوغ له التأخر عن ذلك كيف ما كان * لماذا اذا احتضم فى شئ . من حقوقه يسعى

أقصى جهده وينذل غاية وسعه في الحصول على مطلوبه . ويدأب الليل والنهار ويتوسل بكل الوسائل حتى البعيدة المتوهمة للوصول الى مرغوبه . ماذا الا لنقص وضعف في الايمان . وانحطاط في الهداية والعرفان . فلا يتألم أدنى تألم إذا أصيب بأكبر شئ . في دين الله . ويتألم أشد التألم إذا أصيب بأحق شئ . في دنياه . فهو لا . م كما قال القائل لابنه كما انشده في المدخل *

أبني إن من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيبَ بدينه لم يشعر
هذا حال أغلب خواصنا الا القليل الذي وفقه الله وقليل مام . فما بالك
بعوامنا فهم كما قال القائل *

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوم إلا هذه الصور
وكما قال الثاني *

واعلم بأن عصبة الجهال * بهائم في صور الرجال
وكما قال الثالث

لا تخدعك الاحى ولا الصور * تسعة أعمار من ترى بقر
ترام كالسحاب منشراً * وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرور منهم شبه * له رواء وما له نمر
وكما قال الرابع :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير
وأحسن من هذا كله قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
يقولوا نسمع قلوبهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
فاحذرهم) فلذلك ترى غالب الناس اليوم الى اوضاع القوانين البشرية الشيطانية
أميل وأطوع منهم إلى اوضاع الفنانون الالهى . والوحي السماوى . وترى
للتشدين المتخذقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الامة ولم شتمها . وضم
شملها . بأفكارهم الفاسدة . وآرائهم الكاسدة . وسياساتهم المخالفة للتأنيف

لسياسات الشريعة الحققة الصادقة . لا يقومون مقاما ولا يجلسون مجلسا الا حثوا فيه الناس اتباع كل صادق وناقد الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية . ومشتبهات أطباعهم البيهيمية الشيطانية . من قوانين أهل الكفر والصليب والتشبه بهم في الافعال والاقوال . فترى لذلك قلوب الناس من قريب وبعيد وحاضر وباد إلا من عصمه الله من الافراد مائة على قبولها غير مكترئين بالقانون الذي نزل من عند الله . وبينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن هوى . ان هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعلوا الحاكم اليها . والتحويل في الاحكام عليها . وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء . ليست من حقيقتها في شيء بل هي معها على طرفي تقيض . فسموا شرعية وعدلية وحقوقية وغير ذلك من الاسماء . التي لا حقيقة لها بل هي القول أو الصفاء . فالشرعية في الحقيقة هي الخدعية . والعادلة هي العدلية لكن عن نهج الشريعة المحمدية . والحقوقية هي الحقوقية لكن بمعنى كونها محل ضياع الحقوق الخالقية والمحلوقة . قد نسوا القرآن واطرحوه خلف ظهورهم بالكلية . واعتاضوا عنه بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولا على الشريعة الفراء الاحمدية . ولم يرضوا بحكم الله ورسوله فيهم ورضوا باحكام الكفار وآرائهم . فتمسسا لها من عقول . لا تشترى ولا باليقول . وهم مع هذا يزعمون أنهم من العقل على جانب عظيم . لا يلحقهم فيه الحديث ولا القديم . وليت شعري أى عقل يكون لمن لا يرضى بحكم أحكم الحاكمين . واعلم العالمين . وأعلل العادلين . ويرضى بحكم أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين *

وما أرى مثل هؤلاء القوم من ذوى الابصار المطموسة . والبصائر المعكوسة . الا مثل البطل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح . ويحيا بالعنرة والفاثط في المستراح . فسحقا لامثال هذه العقول سحقا . ومحققا لمن اللهم محقا . فلما تمادى بنا ذلك الحال . ومرت به علينا سنون وأحوال . حتى فتح الله تعالى لعباده

باب حرية المقال . بعد ما قد كانوا ألجهم الاستبداد المفرط بلبجوم السكوت على مر الاحوال . والقهم حجب الصمت على ما هو أعيان من الماء العضال . غير أنه وقع الناس في اضطراب وارتباك وجدال . وتفرق الناس فرقا مختلفة المسالك والمذاهب . وتحزبوا أحزاباً غير مؤتلفة للشارب . وكان من تلك الفرق جمعية الاتحاد المحمدي . للجمعية لطلب العمل بالشرع الاحمدي . قوى الله عضدها . وأيد ساعدها . وأخذ بأيديها . وبدد شمل أعادتها . ألهمني الله تعالى ان اكتب نبذة شافية صدور الذين اتوا العلم والذين يريدون أنهم بهدي ربهم يهتدون على شريطة الاختصار في المقال حفرا من السامة والملال . وأبين اضطراب الناس الى الشريعة جداً وأجمع بعض الآيات الدالة على اغناء القرآن بالسنة النبوية الميينة له عن جميع الشرائع السابقة . والقوانين البشرية الشيطانية اللاحقة . ليكونوا على بصيرة من أمرهم . ويحذروا من كيد عدوهم ومكرهم

﴿ فأقول ﴾ وانا ابرأ الى الله من القوة والحول وأستغفره من زلل العقل والقول . معلوم لكل من عنده أدنى مسكة من عقل ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً كما قال تعالى ﴿ أنخسبتم إنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون ﴾ وكما قال ﴿ أبحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ أى مهلاً مهلاً لا يؤمر ولا ينهى كما قال الشافعي - أو لا يشاب ولا يعاقب كما قال غيره والقولان واحد لان الثواب والعقاب غاية الامر والنهي فهو سبحانه خلقهم للامر والنهي في الدنيا والثواب والعقاب في الآخرة - وكما قال تعالى ﴿ وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون ﴾ ولا فرق بين إبقاء العبادة على ظاهر معناها أو تفسيرها بالمعرفة كما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فانهما متلازمان فالمعرفة لا تكون بدون عبادة والعبادة لا تكون بدون معرفة . وأما ما يستدل به بعض من لا الإمام له يعلم الحديث مما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال «كنت كنزاً لا أعرف فأحييت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي فعرّفوني» فقد قال حفاظ الحديث وتقاده إنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف . إذا تمهد هذا فنقول ليعلم أن حاجة الناس

١ - للؤمنون ١١٥

٢ - القيامة ٣٦

١ - الناريات ٥٦

إلى الشريعة ضرورية جداً فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها. — ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بنى آدم فلا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الادواء حتى ان كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم ونجارهم *

وأما الشريعة فبنيناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية. فبنيناها على الوحي المحض. بخلاف الطب فبناه على تعريف المنافع والمضار التي للبدن وعليه. بما قد لا نمس الحاجة إليه. وغاية ما يقدر في عدمه موت البدن وتعطل الروح عنه - وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الابد * وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور إلى هذا الجسر * ثم لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فإن هذا الشرع ليس لاحد من الخلق كائناً من كان الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر وبين الشرع الذى هو اقوال أئمة الفقه وآراؤهم التى أدى إليها اجتهادهم ووصلت إليها أفهامهم كأبى حنيفة ومالك بن أنس والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين فهؤلاء أقوالهم تعرض على الكتاب والسنة ويحتج بها لما هو معلوم من حديث الحاكم والثابت من طرق في الصحيح أن المجتهد يصيب ويخطئ. فان أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده

والله يفر له خطأه لكنه لا يتابع عليه . فما وافقها أو كان أشبه بهما فهو الصواب وما خالفها فهو خطأ لا يجوز لمن تبينه واطلع عليه متابعة من ذهب اليه . وإذا قلد المقلد أحدهم حيث يجوز له التقليد كان جائزاً وليس اتباع أحدهم بعينه واجبا على جميع الامة كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا يحرم تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم * . وأما ان اضاف أحد الى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبديل *

ولانحرفك هنا بقاعدة عظيمة . وفائدة جسيمة . تتعرف فيها حال كل قول يرد عليك ينسب الى الشرع وهي انه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون — والثاني إما أن يكون موافقا لشرع من قبله وإما ان لا يكون . وهذا الثالث إن كان لا عن شبهة دليل بل عن محض اتباع الهوى فهو المبديل كالاديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) — وإن كان عن شبهة دليل فهو المؤول وفي هذا كان الصحابة رضی الله اذا قل أحدهم برأيه شيئا مما لم يجد فيه نص كتاب أو سنة عن النبي واضطر لمعرفة الحكم الذي يرضاه الله ورسوله يقول ان كان صوابا فن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله يري منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر * وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت ومحرم كل ذى ظفر وشحم الثرب (١) والكليتين فان اتخذ السبت عيداً ومحرم هذه الطيات

١ - الشورى ٢١

٢ - الأنعام ١٢١

٣ - الأنعام ١١٢

(١) الثرب وزان فلس شحم رقيق على الكرش والامعاء له مصباح

قد كان شرعاً ثم نسخ . فالاقسام ثلاثة اجمالاً وأربعة تفصيلاً فاحتفظ كل الاحتفاظ على هذه القاعدة تنفعك *

ثم دين الانبياء كلهم الاسلام كما قد أخبر الله بذلك عنهم في غير موضع من القرآن - وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «انا مضر الانبياء ديننا واحد» . وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك فاستقبال الصخرة بيت المقدس مثلاً كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ *

وبالجملة فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) عام في كل زمان ومكان فنوح و ابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهراً وباطناً وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يضفوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)^٢

والله تبارك وتعالى قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة * ففي مسند احمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وفي البخاري ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان والاسلام والاحسان فن لم يبق بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع ان يحصل له حقائق الايمان الباطنة من حصوله

١ - آل عمران ٨٥

٢ - للأنبياء ٤٨

٣ - المجادلة ١٨-١٩

له حقائق الايمان الباطنة فلا بد ان يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة فان القلب ملك والاعضاء جنوده فمتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد الا وهي القلب » فاذا كان في القلب حقائق الايمان الباطنة فقد صلح فلا بد أن يكون سائر جسده صالحاً فان لم يكن جسده صالحاً امتنع ان يكون في باطنه حقائق الايمان كاخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه *

وأصل الايمان والتقوى الايمان برسول الله . وجماع ذلك الايمان بمخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالإيمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسوله *

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسول وبما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب الاكبر في الآخرة فان الله تعالى أخبر في كتابه انه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتيننا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كوة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

١ - الاسراء ١٥

٢ - القصص ٥٩

٣ - النساء ١١٢-١١٥

٤ - الزمر ٥٩

وقال تعالى في أهل النار (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) وقال تعالى فيهم (كلما التقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) فأنخبر انه كلما التقى في النار فوج وسئلوا عن النذير اقرؤا بأنه جاءهم فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقي فيها الا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (املأنا جهم منك وعن تبعك منهم اجمعين) فأنخبر انه بماؤها بابليس ومن تبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لا يدخل النار الا من تبع الشيطان وهذا يدل على انه لا يدخلها من لا ذنب له فان من لا يتبع الشيطان لا يكون مذنباً وما تقدم يدل على انه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسول . وهذا المعنى في القرآن كثير .

واذا أحطت علماً بهذه المقدمات التي مهدناها لك علمت علم اليقين أن الاعتياض عن القانون السماوي الذي جاء به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله بالقانون الارضي الانساني الشيطاني الذي لا يخلو مهما توافقت عليه الآراء . وتطابقت عليه الأملاء . من غلط وخطأ . لاسيما اذا كان ممن لا علم عندهم بمعاني كتاب الله . وسنة نبيه الداعي على بصيرة الى الله . بل غاية احدم أن يكون قد تعلم بعض العلوم الآلية . وفضول العلوم التي قد لا يحتاج اليها في الدين بالكلية . هو من أعظم أسباب المقت والحرمات . واكبر موجبات العقوبة والحذلان . كيف لا وهو اتخاذ لدين الله هزواً وهواً ولعباً وتبديل لنعمة الله بالنقمة وللشكران بالكفران وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله . وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه — الى غير ذلك من اللغاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت الحساب . ولا تضبطها أقلام الكتاب * قال الله تعالى (ألم تر الى الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) وقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبئس القرار)

- ١ - الزخرف ٧٦
- ٢ - اللك ١٨
- ٣ - ص ٨٥
- ٤ - الأنعام ٧٠
- ٥ - البراعيم ٣٤-٣٨

وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيراً) وقال تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) وقال تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فإذا كان هذا حكم الباغين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عرباً وعجماً مؤمنهم وكفرهم الى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الحيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة رسوله وحاربها وحادها وشاقها بمخالفة أمرها أليس هو أولى بذلك . بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله الا العالمون . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وقال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن قبيض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ومحسبون أنهم مهتدون) فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وأضله به انما كان بسبب اعراضه وعشوه عن ذلك الذي أنزله على رسوله فكان عقوبته هذا الاعراض أن قبض له شيطاناً يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى اذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعابن هلاكه وافلاسه قال (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة *

(فان قيل) فهل لهذا عنبر في ضلاله اذا كان يحسب أنه على هدى كما قال تعالى (ومحسبون أنهم مهتدون) - (قيل) لا عنبر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الاعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ظن

١ - الشورى ٢١

٢ - النساء ١١٥

٣ - الأنفال ١٣

٤ - المجادلة ٢٠

٥ - التوبة ٦٣

٦ - اللطائف ٣٣

٧ - الأنفال ٢٧

٨ - الزخرف ٣٦-٣٧

٩ - الزخرف ٣٨

١٠ - الأعراف ٣٠

انه مهتد فانه مفرط باعراضه عن اتباع داعي الهدى فاذا ضل آتى من تفریطه واعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول اليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن انما يتناول الاول المعرض. وأما الثاني فان الله لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه كما قدمنا *

وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدین فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) وقال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً) وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى) أى لم يتبع الذكر الذي أنزله وهو القرآن وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرنى بل هذا لازم المعنى فالذكر هنا مضاف اضافة الاسماء لا اضافة المصادر الى معمولاتها (فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فأخبر سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذى من اتبعه لا يضل ولا يشقى فان له معيشة ضنكاً عكس من حفظه فانه قد تكفل له أن يحية حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة بقوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) *

وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)

١ - طه ١١-١١

٢ - الجن ١٦-١٧

٣ - طه ١٢٤-١٣٦

٤ - النحل ٩٧

٥ - الطلاق ١

٦ - البقرة ٣٢٩

٧ - للأنبياء ٤٤

٨ - للأنبياء ٤٥

٩ - للأنبياء ٤٧

١٠ - النساء ٦٠-٦١

قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يعطونه فيما لا يملكون أنه طاعة لله *

قال المحقق ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين بعد هذه العبارة فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعتها وهؤلاء . لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد مما آهوا ولقد صدق الله فيما نطق هذا حال جننا ان لم يكن كئنا فلاحول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى من فساد قلوبنا ونياتنا وأحوالنا وأخلاقنا فقد بلغ الفساد بنا مبلغا لا يمكن ان ينهض بنا ناهض لشيء من معالي الامور الا من ساعدته يد التوفيق وما أقلمهم بل ما أعزهم من الكبريت الاحمر *

ثم لو لم يكن في القرآن المجيد في الزجر عن اتباع القوانين البشرية يتخير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اليبس الذي أوتى رشده واهم صلاح قلبه عن طلب غيرها فكيف والقرآن كله يدعو الى تحكيم ما أنزل الله . وعدم تحكيم ما عداه . اما تصریحا وأما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله للثقين من لئن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم تقوم الساعة . وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لا تزال طائفتان من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله » - وانه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . فعلنا بذلك ان من المتنع بالسمع ان يتألا العالم كله شرقا وغربا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع القوانين البشرية وعدم اللبالة بالقانون الالهي بل لا بد ان يكون فيهم ولو واحد ينكر على هؤلاء الكل إما بلسانه ان أمكنه ذلك ولم يفتكوا

به وإما بقلبه ان لم يمكنه وظن الفتك به كما قد كان أيام الاستبداد *
والغرض بيان أن طائفة الحق لا تزال تقاتل وتجاهد على تحكيم ما أنزل
الله باللسان والبيان . والبدن والسنان . والمال وكل ممكن لنوع الانسان وان به
يتم نظام العدل والملك والدين والدنيا وبه يستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل
لهم الراحة والأمن والحرية التامة . والسياسة العامة لجميع الملل والراعايا المختلفة
الاصناف والالسنة والامزجة . ومن شك في هذا فلينظر الفرق بين حال الاسلام
في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله في القرون
المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وارعى لها يجد
الفرق كما بين الثرى والثريا وكما بين الارض والسماء وكما قال الشاعر :

نزولوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ألا ترى ان الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله تعالى عليه
وأله وسلم فتحوا ما فتحوا من الاقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان
والقرآن . في مدة نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم . وضيق ذات يدهم .
ونحن مع كثرة عددنا . ووفرة عددنا . وهائل ثروتنا . وطائل قوتنا . لا نزداد
الاضعفاً وتقهرأ الى وراء . وذلا وحقارة في عيون الاعداء . وذلك لان من لا
ينصر دين الله لا ينصره قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم) فرتب نصره على نصره باقامة طاعته وطاعة رسوله
فأفهم أنه لا ينصر من لا ينصره وهو كذلك كما جرت به عادته وسنته في عبادته .
والمفهوم المخالف وان كان في حقيقته خلاف مبين في أصول الفقه ليس هذا موضع
بسطه فهذا المفهوم لا خلاف في صحته واعتماده لاعتماده بدلائل أخرى وشهادة
الواقع له * وهذا كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)
فأخبر تعالى بانه ينصر من ينصر دينه - ثم بين تعالى الذين ينصرون دينه بقوله
(الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونہوا عن المنکر) فمن لم يكن موصوفاً بهذه الصفات الأربع ممن مكنه الله تعالى

في الارض فلا حظ له في نصره الله تعالى - وقال تعالى لأهل بدر (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فعلق امداده لهم على شيتين هما عمادا النصر. الصبر وتقوى الله عزوجل - وقال تعالى (انا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) فوعد ووعد حقه بنصره الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالحجة والظفر والقلبة على مخالفينهم وأعادهم.. وهذا كقوله الآخر (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فوعد بعلوم على عدوم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوم عليهم في الآخرة كما قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) - وقال تعالى (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) فأخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب وجعل الغلبة له ورسله وأتباعهم - وقال تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) فخص المؤمنين بدفاعه عنهم ونصره لهم وجعل العلة في ذلك أنه لا يجب أضرارهم . فاذا كان قد كتبها له ورسله وأتباعهم وأوليائهم وخصهم بالدفاع عنهم وعلل ذلك بأنه لا يحب الخوان والكفراء. كان من الحال ان تكون الغلبة لاعدائه واعداء رسله وهم الخونة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله عليهم ويضطلونها *

ولا ينافي ذلك انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل في بعض الغزاي فان الغلبة كانت لهم ولن يعدم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها * وعن الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولا ن قاعدة أمرهم واسبابهم والغالب منه هو الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والحنة لرفع درجاتهم . وزيادة اجورهم ومشواتهم والحكم للغالب *

وبالجملة فقد ضمن الله تبارك وتعالى لكل من نصر دينه المين . وأطاع رسوله الامين . ان ينصره في الدنيا والآخرة . فن خذل دينه وخالف رسوله

١ - آل عمران ١٧٥

٢ - غافر ٥١

٣ - الصفات ١٧١-١٧٣

٤ - البقرة ٢١٢

٥ - المجادلة ٢١

٦ - الحج ٢٨

استحق أ كبر العذاب وأشد النكال في الدارين ولم يغن عنه لا مال ولا أحد من الله قتيلا . - ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتوا في مكانهم عند الجبل ولا يزيأوه سواء كانت العروة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى أنهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما فشلوا وتنازعوا اقتال بعضهم قد أنهزم المشركون فما موقفنا هنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في فردون العشرة ونفر ينيهون أعقابهم كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صباحاً حتى هزموا وقتل من قتل . وذلك كله بشؤم مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له . وذلك معنى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده إذا تحسبونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) - - وألا ترى أن أهل المدينة كانوا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا والآخرة لمتسكهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تغيروا بعض التغير فقتل عثمان . وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم - ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب ما لم يجر عليهم قبل ذلك *

والذى فعل بهم ذلك وان كان ظالماً متعدياً فليس هو أعظم من فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل وقد قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وكذلك الشام كان أعلاه في أول الإسلام في سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ثم سلب عليهم المناقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذى كان عليه وجعلوه كنيسة ثم صلح دينهم فأعزهم

١ - آل عمران ١٥٢

٢ - آل عمران ١٥٦

الله ونصرهم على عدوم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم - وكذلك أهل الاندلس كانوا رقاداً في ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فمطوا النعمة وقابلوها بالاشتر والبطر فاشتغلوا بمعاصي الله تعالى واكبوا على لهوم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم ما لا يحصره قلم كاتب . ولا يحصيه حساب حاسب . بتسليط عدوم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق وفرقهم أيادي سباً وارتد بعضهم على عقبه ركونا الى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة . ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه . وما صاروا اليه . وفي التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر * دعك من هذا ولا أطول عليك المسافة ففى كتاب ربنا ما فيه غنية عن كل شىء . بهم لمن تدبره وعقله وصرفه شطراً من عمره كما صرف في تلك العلوم التي لا طائل نحتها ولا محصل لها ولا تقوم على ساق * وسيرد عليك ان شاء الله . في هذا المعنى الذي حنا حول جملة آيات متعددة فانتظر قليلاً * والفرض المقصود لنا الآن هنا بيان أن الصلاح والنجاح والفوز والفلاح وسعادة الدين والدنيا معاً منوط ومربوط بنصرة دين الله لا سبيل له غير ذلك أبداً ولذلك قال سيدنا مالك بن انس امام دار الهجرة رضى الله عنه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها أو كما قال . والامر والله كما قال . وشاهد العيان . يفتى من له عينان . عن البيان (هذا) *

ثم لتذكر بعض الآيات الصريحة لمن له نظر . وفهم وتدبر . في التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله فنقول قال تعالى (ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يشرون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) فجعل ما خالف حكم الكتاب ضلالة - وقال تعالى: (ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) - وقال تعالى (ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) - وقال تعالى (أفتغير الله ابتغى حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً والذين آمنتم انهم يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) - وقال تعالى (أفمن

١ - النساء ٥١

٢ - آل عمران ٢٣

٣ - النساء ٥١

٤ - الأنعام ١١٤

يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الاباب) - وقال تعالى (ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) فجعل الله تعالى في الآيتين المنزل هو الحق واذا كان هو الحق لاغير كان ما عده هو الباطل بلامرية - وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فقسم الله تعالى الامرالى شيتين لاثالثهما. إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به وإما اتباع الهوى. فكل ما لم يأت به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الهوى - وقال تعالى (باداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس الى الحق وهو الوحي الذي أنزله على رسوله والى الهوى وهو ماخالفه - وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) قال الشافعي في الام: وأهواءهم يحتمل سبيلهم في أحكامهم ويحتمل ما يهونون. وأيهما كان فقد نهى عنه وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم اه ثم قال سبحانه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون - أتحكم الجاهلية يبعون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليه - ونهاه عن اتباع أهوائهم لما فيه من مخالفة المنزل اليه - وحذره أن يفتنوه فيحولوا بينه وبين بعض ما أنزله اليه وأعلمه أنهم ان تولوا عن الحكم الذي أنزله الله اليه فانما يريد أن يصيبهم ويتلهم بسبب بعض ذنوبهم. فعلم منه أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى حكم الاهواء سبب لاصابة الله بالمصائب . - وهذا كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) - وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله

١ - الرعد ٩

٢ - سبأ ٦

٣ - القصص ٥٠

٤ - ص ٢٦

٥ - المائدة ٤٨

٦ - المائدة ٥٠-٤٩

٧ - الروم ٤١

٨ - الشورى ٣٠

تعالى (فأصابهم سيآت ما كسبوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا) وقوله تعالى (وبدلهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله تعالى (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً . ومنهم من أخذناه الصيحة . ومنهم من خسفنا به الأرض . ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقوله تعالى (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) وقوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) وقوله تعالى (مما خطبوا هم أغرقوا فأدخلوا ناراً) وقوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تنسكن من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقوله تعالى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وأخرج الامام احمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكي بعضهم الى بعض فرأيت أبا اللرداء جالساً وحده يبكي فقلت يا أبا اللرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل اذا أضاعوا أمره فيما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم

١ - الزمر ٥١

٢ - الزمر ٤٨

٣ - المتكوير ٤

٤ - الأنفال ٥٤

٥ - النساء ١٥٢

٦ - نوح ٢٥

٧ - القصص ٥٨-٥٩

٨ - النحل ١١٢-١١٣

الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى » وأخرج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينه (١) واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » : ورواه أبو داود باسناد حسن - وفي سنن ابن ماجه في باب العقوبات من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال « يا معشر

(١) هي ان يبيع من رجل سلعة بشمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه قدماً باقل من الثمن الذي باعها به اه

المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركونهن . لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوراجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله الا سلبوا الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم نحكم أثمتهم بكتاب الله ويتخبروا بما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » - وفي شرح الموطأ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلبوا عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر . ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت . ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين . ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (قال) رواه ابن ماجه والطبراني وله شاهد (١) عن ابن عمر . رفوعا نحوه عند ابن اسحق اه

وفي نهج البلاغة من كلام سيدنا على كرم الله وجهه لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو أضرمنه - ومن كلام بعض السلف الصالح كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة - وفي المشهور على الالسنه الجارري مجرى المثل السائر قولهم لو استقمنا ما انتقمنا وقال القائل

بذا قضى الله بين الخلق منذ خلقوا
إن المحارف والاجرام في قرن
ولهذا المعنى الذي ألمنا الآن
بساحل بحره العميق شواهد من القرآن
والسنة وكلام السلف الصالح لا يحصى
لو ذهبنا الى تتبعها واستقصائها لطل
بنا الكلام •

والقصد هنا بيان أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله من أكبر الذنوب
وانه سبب لانصباب المصائب . وتتابع النوائب فان الجزاء يكون من جنس العمل
فمن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه . ومن تولى الله ورسوله

(١) أقول لله الذي قلناه عن سنن ابن ماجه قبل اه مولفه

عنه فبهيات ان يفلح ويمز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى (ان ينصرمك الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصرمك من بعده) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذنين) وفي مسند احمد من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكره الموت » فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه يوشك ان يتداعى عليكم من فرق الكفر وأمم الضلالة بعضهم بعضا ليقاتلوكم ويكسرون شوكتكم ويغلبوا على ممالككموه من الديار والاموال كما تتداعى الفئمة الآكلة بعضهم بعضا على قصعتهم التي يتناولونها من غير بأس ولا مانع فيأكلونها عفوا صفوا فيستفرغون ما في صحفتكم من غير تعب ينالهم او ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم - ثم لما سأله عن سبب ذلك هل هو من قلة عددهم أخبر بأنهم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل الذي هو ما يجي فوق السيل مما يحتله من البرورات والاورساح لقلته نفعهم وغنائهم ودناءة أقدارهم. وخفة أحلامهم - ثم أخبر بان الله ينزع المهابة من قلوب عدوهم ويجعل في قلوبهم الوهن وبين لهم سببه بانه حبهم البقاء في الدنيا وكرهتهم الموت يدعوهم ذلك الى اعطاء الدنية في الدين واحتمال اللذ عن المدون سأل الله العافية فقد ابتلينا به وكنا نحن المعنيين بذلك *

﴿ حكاية لطيفة ﴾ ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينوري في كتابه تاويل مختلف الحديث قال وحدثني رجل من اصحاب الاخبار ان المنصور سر ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأتهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكان مهمهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايتار الذات والسخول في معاصي الله عز وجل ومساخطه جهلانهم باستدراج الله تعالى وأمانا من مكره تعالى فسلبهم الله تعالى الملك والعز ونقل عنهم النعمة

فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فبمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بمحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور باحضاره وسأله عن القصة فقال يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي ففترشته بها وأقت ثلاثا فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طوال أقي حسن الوجه فقمعد على الأرض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا فقال انى ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم أقبل علي فقال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم في كتابكم . فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم . والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت يفعل ذلك جهالنا . قال فلم تلبسون الدياتج والحريير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا فاتصرتنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت في الأرض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله تعالى العز والبسكم اللذ بدنوبكم والله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصينى معكم وإنما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه وارتملوا عن بلدى ففعلت ذلك اه وفي هذه الحكاية منقح وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية . وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى باولئك الظالمين المستبدين . الخاسرين الابعدين . أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر :

مامر يوم على حي ولا ابتكرا (١) * الا رأى عبرة فيه إن اعتبر

(١) في القاموس بكر عليه واليه وفيه بكورا وبكر واجكر وأبكر وبأكره

أتاه بكرة اه

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التي نحن بصددنا فنقول : وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغفروا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) فقسم سبحانه الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها . وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالاول ونهى عن الثاني . وقال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء . قليلا ما تذكرون) فأمر باتباع المنزل منه خاصة ونهى عن اتباع أولياء من دونه فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء . وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بان طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير حاجة الى عرض ما أمر به على الكتاب بل اذا امر ووجب طاعته مطلقا سواء كلن ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فانه أوتي الكتاب ومثله معه * وقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي رافع انه قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » — بخلاف أولى الأمر فاتهم ايا كانوا العلماء والامراء . أو العلماء فقط . أو الامراء فقط لانجب طاعتهم الا تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول ووجب طاعته — ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمح له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق — وقال انما الطاعة في المعروف . وهو ما وافق ما جاء به الرسول ولهذا لم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً

١ - الجلية ١٤١٨

٢ - الأعراف ٣٠١

٣ - النساء ٥٩

٤ - المشرك ٧

٥ - النساء ٨٠

بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول . وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فأفاد ان آية محبة الله اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فمن لم يتحقق فيه هذه العلامة فهو ليس بمحب لله وهو كذلك فان دعوى المحبة مع المخالفة من الحماقات الظاهرة والا كاذيب التي لا تخفى على أحد . ولذلك يقول القائل وقد أجاد فيما أفاد *

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا العمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولا يزيغ عنه * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وللمواهل والناس اجمعين » * وفيها « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الله وان يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلتقى في النار » . وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة فخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) فلواجب على كل أحد آمن بالله واليوم الآخر محبة الله ورسوله المحبة الصحيحة الصادقة التي تقتضى التابعية والمواقفة في حب المحبوبات وبغض المكروهات

قال ابو يعقوب النهجوري كل من ادعى محبته تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ الرازى ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدود الله . فمن ادعى انه يحب الله ورسوله فيفترض عليه أن يبذل وسعه ويسمى جهده في إقامة حدود الله ونصرة دينه بالقول والفعل والمال وكل ممكن قلن علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوبات محبوه ويسئل

جهد وطاقته فيها والافلو رأى محارم الله تنتهك وهو ساكت لا يتار ولا يفضب
 كالو تعدى على أدنى حقوقه فهو حينئذ كذاب كذاب لانصيب له من الهبة
 إلا مجرد الدعوى . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن
 كان يرجو الله واليوم الآخر) أفادت الآية بطريق عكس التقيض الموافق
 للمعلوم عند أرباب فن المنطق أن من لأسوة له حسنة في رسوله صلى الله عليه
 وآله وسلم فهو ليس ممن يرجو الله واليوم الآخر . وكفى بهذا التهديد العظيم في
 التحذير للعاقل

وقال تعالى (لا تجملوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضاً قد يعلم الله
 الذين يتسللون منكم لو اذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
 يصيبهم عذاب أليم) ولا فرق في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على ما نحن بصده
 بين رجوع الضمير الى الله والى الرسول . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول فإن تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيموه تهتدوا وما على الرسول
 إلا البلاغ المبين) . وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر
 بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) فأقسم سبحانه
 بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكوا رسوله في كل ما شجر بينهم من
 العتيق والجليل . ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرد حتى ينتهي عن
 صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه . ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى
 يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً لحكمه فإياك بمن حكم بغير ما أنزل الله فانه أولى
 بسلب الايمان عنه . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
 أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)
 فأخبر سبحانه انه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله حيا او ميتا
 ومن تخير فقد عصى الله ورسوله . ومن عصاها فقد ضل ضلالاً مبيناً
 وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقبلوا بين يدي الله ورسوله واتقوا
 الله ان الله سميع عليم) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها لا تقولوا

١ - الأحزاب ٢١

٢ - النور ٦٣

٣ - النور ٥٤

٤ - النساء ٦٥

٥ - الأحزاب ٣٦

٦ - الحجرات ١

خلاف الكتاب والسنة . وقال مجاهد لا تقدموا لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى الله على لسانه . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا يجهروا له بالقول كجهر بمضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

فلينظر فانه اذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقدم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عاملين على ما جاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم بلى وربك . فالله عز وجل لولا انه علم ان نظام العالم في الدين والدنيا معاً لا يقوم إلا بهذه الشريعة الجامعة المانعة المعادلة تمام العدل لبعث رسولا ينسخ منها ما لا يوافق هذا الزمان بزعم المارقين كما قد كان يفعل قبل فلما جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فلم يرسل بعده من رسول كان ذلك دليلاً أي دليل على ان هذه الشريعة وافية كافية . كاملة شافية . كافلة بجميع المصالح ديناً ودنياً لا يحتاج معها الى شيء من آراء الرجال وسياساتهم إلا فيما يكون استيضاحاً للحق الذي يرضاه الله ورسوله بعد معرفة مقاصد الشارع تمام المعرفة

ولذلك كان تقديم آراء الغير وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة للمبادئ لسياسات الشريعة الحقة الصحيحة محبطاً للعمل ألبتة وربما كان ردة ومروقاً عن الامة الاسلامية والملة الحنيفية أعادنا الله تعالى .. قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) فليحذر السياسيون أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله فانهم مع انه لا يتم لهم أمر ولا يستقيم لهم حال ينحس عليهم من الردة والمروق من الدين فيكونون ممن خسروا الدنيا والآخرة .. وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه) فجعل من لوازم الايمان أن لا يذهبوا منهجاً اذا كانوا (م-٢١)

١ - الحجرات ٢

٢ - محمد ١

٣ - عم ٢٨

٤ - النور ٦٢

معه الا باستئذانه فما بالك بالذهاب في دين الله والحكم بين الناس فانه أولى أن يكون من لوازم الايمان ان لا يذهبوا ذلك المذهب إلا بعد استئذانه بدلالة ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم على انه أذن فيه .. وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) ثم قال تعالى (إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فبين ان المؤمنين ليس لهم إلا السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وانه ليس لهم الى المخالفة سبيل أبداً ..

وقال تعالى (وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . أخرج ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية « وقال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب بقتة وأنتم لا تشعرون) . فاذا كان قد أمرهم باتباع أحسن ما أنزل اليهم فيما يعرضهم فيه الأمان الوجوب والندب أو الندب والاباحة على ما قيل في التفسير وأنذرهم مفاجأتهم العذاب إن لم يفعلوا ذلك فما الشأن فيما سبيله القمع فيه بالافتراض والتحتيم قولاً واحداً كالحكم بين الناس بما أنزل الله . وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه مبارك فاتممه له منكرون) . وقال تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) فنبه على ان التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى غيره كفر . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) . وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالد فيها وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

١ - النور ٤٧-٤٨

٢ - النور ٥١

٣ - الأنعام ١٥٣

٤ - الزمر ٥٥

٥ - الأنعام ٥٠

٦ - الأنبياء ١٥٥

٧ - آل عمران ٣٣

٨ - النساء ٨٠

٩ - النساء ١٤

الانهار ومن يتول يمدبه عذاباً أليماً) وقال تعالى (وأطيعوا الرسول فإن توليتهم فأنما على رسولنا البلاغ المبين) وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) وقال تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) وقال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي صد الناس وصدفهم عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) فأمر بالآثار والانتهاه ثم حذر عن المخالفة

(هذا) وكم من أمثال هذه الآيات الجليلة المحذرة عن مخالفة الكتاب والسنة وكفى بواحدة منها لمن أوتي رشده . ومن لا فلا تفتنيه قراءة جميع الكتب الالهية عليه . ثم ليس العجب من قوم يدعون الاسلام يعلون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . غلب عليهم هواهم . فأصمهم وأعمامهم . حتى رفضوا العمل بقانون ربهم الذي انزله على نبيه وعلوا بقوانين اهل الكفر والصليب إقامة لرياساتهم وقضاء لشهواتهم . غفلة منهم عن اليوم للموعود الذي تجدد فيه كل نفس ما عملت من خير أو شر محضراً بين يديها . وإنما العجب العجيب عن يتزبون بزى أهل القرآن . ويتسمون بأسماء اهل الايمان . يخنقون الافك والفشار . ولا ينجشون المسبة والمار . بلغوا من الجهل مبلغاً دونه جعل اليهود والنصارى فيزعمون ان الشريعة المحمدية مانعة لهم من ترقبهم . او معوقة عن مرامهم ومرامهم . فلا تصلح لاهل هذا الزمان . وانقطع حكمها ووقع في حيز خبر كان . فنسخوها بآرائهم الكاسدة . وأهوائهم الفاسدة . ومشتبهات اطباعهم الخبيثة العاطلة . ومقتضيات أميالهم الخسيسة الباطلة . مسخهم الله تعالى ظاهراً كما قد مسخهم باطناً ليكونوا عبرة للنابرين ومثلة في الحاضرين . فهو لاء المردة للمارقون لادواء . أتبع فيهم من تمكن الصوارم البوارق من رقابهم وقطع دابرهم حتى لا يقوى حزيمهم . ولا يكثر جمعهم أبادهم الله ودمرهم وشنت شملهم ومزقهم كل ممزق .

١ - الفتح ١٧

٢ - التناجين ١٢

٣ - طه ١١-١٠

٤ - الكهف ٥٧

٥ - الأنتام ١٥٧

٦ - الأنتام ١٥٧

٧ - الحشر ٧

وهؤلاء الاوغاد لم يقدرُوا الشريعة حق قدرها ولم يملوا ان مبناها على الحكم ومصالح العباد . في المعاش والمعاد . وانها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه . وظله في ارضه وهي نوره الذي به أبصر المبصرون . وهداه الذي به اهتدى المهتدون . وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل . فهي قرة العيون وحياة القلوب وقلعة الارواح . فيها الحياة والغذاء والهواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها . وكل نقص في الوجود فسيبه من اضعائها . ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمكث الله السموات والارض أن تزولا . فاذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع اليه ما بقي من رسومها . فهي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والعجب ايضا من قوم لا يرون تمام الترقى إلا في التشبه بالكفار وعبدة الاصنام . لزعمهم انهم بلغوا من التمدن والترقى مبلغا لم يبلغه غيرهم من الانام فان هؤلاء ايضا قوم لا خلاق لهم قد قصرُوا نظرهم على النعيم الفاني العاجل . ونسوا النعيم للقيم الآجل . فهم أشبه بالانعام . بل هم أضل وان لبسوا ثياب الانام . دينهم ودينهم تقليد أو تلكم والتزيى بزيمهم والاحتذاء بهم في أقوالهم وأفعالهم ومطاعهم ومشاربهم وملابسهم فلم في اولئك الاسوة التامة لاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهم ليسوا بمن يرجو الله واليوم الآخر . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم التاب من طرق في الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاختتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن » فانا لله وانا اليه راجعون

فاياكم اياكم عباد الله ومخالفة الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عنده قيد شبر فان المخالفة والله الذي لا إله غيره عين الهلاك والعصى والحسران المبين • واياكم اياكم أن تظنوا ان الكتاب والسنة اللذين هما الشريعة

لم يفيا بجميع أحكام الحوادث فان هذا خطأ جسيم وبهتان عظيم فقد قال تعالى (اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال تعالى (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (أولم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا ما كنت تدري مال الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم)^١ أى للحالة اولملة أو للطريقة التي هي اقوم الحالات أو الملال أو الطرق وقال تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً) وقال تعالى (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)^٢

١ - المائدة ٣

٢ - يوسف ١١١

٣ - النحل ٨٩

٤ - العنكبوت ٥١

٥ - الأنعام ٢٨

٦ - الشورى ٥٢-٥٣

٧ - المائدة ١٥-١٦

٨ - الاسراء ٩

٩ - الأنعام ١١٤

١٠ - الأعراف ٥٢

١١ - الطلاق ١٠-١١

١٢ - النساء ١٧٤-١٧٥

إذا تأمل المتأمل قوله (فصلناه على علم) وعرف عظم موقعه وبلاغته وعلم ان علوم العالمين أجمعين كلها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح وما يضر ويفسد لم يشك ان القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح للمعاش والمعاد ونظام الدين والدنيا معا على اكل وجهه وأبلفه حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض مما كان أو يكون وقال تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الى النور) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً)^٣ وقال

تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) فيبين سبحانه للعباد جميع ما يتقونه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

قال أهل التفسير عموما الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد الى ذاته في حياته والرد الى سنته وهي أقواله وأفعاله وتقريراته بعد وفاته . فأمر الله بالرد الى الله والى الرسول ليس الا لأن كتاب الله ببيان الرسول فاصل للنزاع وقاطع للخلاف ولا بد . هذا فيما تنازع فيه المؤمنون . فما بالك بما اتفقوا عليه فلا رد فيه أوجب وأوجب وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) فأنتم ترون انه سبحانه أخبر في هذه الآيات أنه أنزل الكتاب لبيان حكم ما اختلف فيه الناس وجعله هدى وجعله رحمة وجعله شفاء للقلوب والصدور من الظلمات وجعله مخرجاً من الظلمات الى النور وجعله نوراً وجعل اليه التنازع والتحاكم الى غير ذلك من أوصافه التي لا تحصى فكيف يكون بهذه الاوصاف التي وصفه الله سبحانه بها وبالناس حاجة الى قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم فما دام بالناس حاجة ما في آية جزئية الى أى قانون ورأى لم يكن بتلك الاوصاف والله أصدق القائلين . فتبين بذلك أنه ما غادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد الا وتكفل بها واحدة واحدة عرف ذلك من عرفه وجهه من جهه قال الشرف البوصري في آيات القرآن

١ - البقرة ٢١٢

٢ - النحل ٦٤

٣ - الشورى ١٠

٤ - التوبة ١١٥

٥ - النساء ٥٩

٦ - يونس ٥٧

٧ - الاسراء ٨٢

لها معان كعوج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسام
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بجبل الله فاعتصم
ولكن الافهام والعقول متفاوتة فمن يصادف فهمه المحرز يطبق المفصل فهذا
هو الذي له اجران — ومن يخطئه ولا يصيبه بعد بذل الوسع وهذا هو الذي
له اجر واحد كما ثبت ذلك في الصحيح — ومن قام ومستنبط من آية حكا ومن
قام ومستنبط حكيم ومن قام ومستنبط أكثر فضل الله تعالى ليس بمحظور
عن أحد يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي »
وبالجملة فالقرآن متكفل بنظام المعاد والمعاش في التفرق والاجتماع على أكمل
وجه وأجمله لمن كحل بنور التوفيق بصيرته . وطهر بقاء الايمان سريره . ووجه
اليه همته . وصرف فيه مدته * قال الامام الشافعي في سورة العصر لو فكر الناس
كلهم في هذه السورة لكفتمهم — وفي لفظ عنه لو لم ينزل الله على خلقه حجة
الا هذه السورة لكفتمهم . وقد بين معناه وأوضح مغزاه الامام ابن القيم في
مفتاح دار السعادة بأبلغ وجه وأعلاه فقال ما نصه : ويبان ذلك أن المراتب
أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق . الثانية عمله به
الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر
تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر
ان كل أحد في خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه
مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى .
وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا
بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه
مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه
مكلا لغيره . وكلامه باصلاح قوته العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالايمان

وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكيله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بمخايفه . والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا إلى كل خير اهـ

وأخرج الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فنن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل . من تركه تجبرا (وفي رواية من جبار) قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين . ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذي لا تزيف به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ، ولا تشعب منه العلماء ، ولا تملأه الاتقياء . من علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم » . وفي مراسيل أبي داود السجستاني عن يحيى بن جعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف قال « كفى بقوم ضلالة أن يتفتروا كتابا غير كتابهم إلى نبي غير نبيهم فأنزل الله عز وجل أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - وعن أبي قلابة أن عمر مر بقوم من اليهود فسمعهم يذكرون دعاء من التوراة فاتسخته ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرؤه ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل يا ابن الخطاب ألا ترى ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عمر الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل بعثني خاتما وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الحديث اختصارا فلا يلينكم للمتوكون » فقلت لابي قلابة ما المتوكون قال المتحIRON اهـ

وأخرج البخاري في كتاب الاعتصام في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث (١) تفرؤنه محضاً لم يشب (٢) وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم *

وأخرج البخارى فيه ومسلم في الوصايا عنه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب قال «علم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله تعالى واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده . ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللفظ والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني * قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وانقطعهم *

فتأمل هذه الاحاديث وأعطها حقها من التأمل الصادق تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يحوجنا معشر أهل القرآن الى كتاب آخر من الكتب السماوية بل اشتمل كتابنا على جميع ما فيها من الحسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد فيها فلها كان مصداقاً لما بين يديه من الكتب ومهيئاً عليها يقرر ما فيها من الحق ويعدل ما حرف منها وينسخ ما نسخ الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويعدل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ منها *

وأما قول ابن عباس رضى الله عنهما ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وانقطعهم فقد قال المتكلمون في شرح هذا الحديث ان عمر رضى الله عنه كان أفتق من ابن عباس وأدق نظراً لا كتفائه بالقرآن وعلمه أن الله تعالى أكل دينه بقوله

(١) أي أقرب نزولاً إليكم من عند الله (٢) أي لم يخلط به غيره اهم

تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (اليوم اكملت لكم دينكم) وأمنه الضلال على الأمة . — ولا يقال ان عمر رضى الله عنه لم يرتض أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب فخالفه وعصاه لان رضى الله عنه فهم أن هذا الكتاب الذى أراد ان يكتبه لا يخرج عن كتاب الله لعله أنه معصوم في تبليغه عن ربه وتثبيت الله له لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) وعلمه أنه لم يترك بيان شيء مما أنزل اليه به فخرج ذلك الامر منه في حال اشتداد الوجع به صلى الله عليه وسلم مخرج كلام النصوص الحريص على هداية شخص فهو لا يزال ينصحه بالعبارات المختلفة والاساليب المتعددة حتى يرسخ في فؤاده ما يريد منه فلذلك رأى عدم الثقل عليه صلى الله عليه وسلم في كتابة ذلك الكتاب مع الاستغناء عنه بالقرآن ففهم هذا المعنى فقلعه أحسن شيء يندفع به الاعتراض على سيدنا عمر فيما صورته صورة المخالفة •

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دلالة على حسن فهم عمر وتيقظه لم راده صلى الله عليه وسلم الذى هو الاخذ بكتاب الله بعبده حتى لا يضلوا والا فلو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم ما لا يستقنون عنه مما لم يبينه لهم من قبل لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه كما أمرهم في تلك الحال بثلاث كما أخرجه مسلم عن سعيد بن جبير أمرم باخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو ذكرها ونسبها سعيد الراوي قالوا الثالثة هي تجهيز جيش اسامة رضى الله عنه ويحتمل أنها قوله « لا تتخنوا قبرى وثنا بعبده » فانظر قانه لم يرجعه تنازعهم واختلافهم ولعظم عندهم عن بيان هذه الثلاث التي ما كان بينها لهم قبل فلو كان مضمون الكتاب الذى أراد ان يكتبه لهم مما لم يسبق بيانه ما كان ليسكت عن بيانه بحال فرضى الله عن عمر ما أدق نظره وألطف فهمه وأصوب فكره •

١ - الأنعام ٢٨

٢ - الثالثة ٣

٢ - النجم ٤٢

٤ - الثالثة ٢٧

والقصد هنا ان الله لم يحوجنا بمنه وكرمه الى شيء آخر من الكتب السابقة كما كان أحوج أهل الانجيل لفهم التوراة واتباعها ليكون المسيح عليه السلام كان متبعاً في الاكثر لشريعة التوراة : ولذا قال (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فكيف يحوجنا الى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله * ومن ظن ذلك فان كان جاهلا بين له وفهم والا فهو كافر حلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولوا واحدا فان من ظن ان هذه الشريعة الكاملة التي ما طرقت العالم شريعة أكل منها ناقصة تحتاج الى سياسة خارجة عنها تكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة الى رسول آخر غير رسولهم الذي يحمل هم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث — وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التي يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعاً . ولا يظن ذلك الا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الفراء وأحكامها الحققة النقية البيضاء . اي أسفل سافلين * واما فرد ظن ذلك أو تخالجات الشك في صدره في حكم من أحكامها فليعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفضول العلوم حتى تتبين له حقيقة الحلال . وتنقش عن سماء قلبه سحائب الاوهام والضلال *

قل الحافظ ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانعه: وتأمل حكمته تبارك وتعالى في ارسال الرسل في الامم واحدا بعد واحد كلما ملت واحد خلفه آخر لحاجتها الى تابع الرسل والانبياء . لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه أرسله الى أكل الامم عقولا ومعارف وأصحاباً أذهانا وأغزرها علوماً وبعثه بأكل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا الى حين مبثته فأغنى الله الامة بكامل رسولها وكامل شريعته وكامل عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلمهم بها حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث

« أى ملهم » ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انه قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر » فجزم بوجود المحدثين في الامم وعلق وجودهم في أمة بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الامة عن قبلهم بل هذا من كمال أمتهم على من قبلها قاتها لكاملها وكمال نبيها وكمال شريعته لا يحتاج الى محدث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو الهام أو تحديث : وأما من قبلها فللا حاجة الى ذلك جعل فيهم المحدثون اه *

وإذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الايمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الافك والبهتان . فما وافقها فهو العدل كما قال تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) قال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) فأمره ان يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) . وما خالفها فهو عين الظلم والبغي والعدوان وإن ظن انه عدل ومصلحة قال الله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) * والله در البوصيرى حيث قال في آيات القرآن *

١ - المائة ٤٢

٢ - المائة ٤٨

٣ - الحديد ٢٥

٤ - البقرة ٢٢٩

٥ - الطلاق ١

٦ - المائة ٤٥

وكالاصراط وكالميزان . معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يتم

ثم الشرع الذي أنزل الله ويجب على حكام المسلمين العمل به كما انه عدل كله رحمة كله ومصلحة كله وحكمة كله فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى الفساد وعن الحكمة الى العبث فليست من الشرع وان أدخلت فيه بشبهة * فليس في الشرع ظلم أو قسوة أو عبث أصلا بل

حكم الله أحسن الاحكام كما قال تعالى (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)
فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل وكل من حكم بغيره فقد ظلم :
ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله واستحل ان يحكم بين
الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فانه لا عبرة بما يراه
عدلا من غير ان يكون موافقا لما أنزل الله إذ ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم
بالعدل لكن قد يكون العدل في دينها ماراه اكبرهم بل كثير من المنتسبين الى
الاسلام يحكمون بعاداتهم الجارية بينهم التي لم ينزلها الله كسوالف البادية وكوامر
المطاعين فيهم ويرون ان هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا
هو الكفر . فهو لا اذا عرفوا انه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل
استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفاروا الا كانوا جها لا ضلالا يعلمون *
والحاصل ان الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل
أحد ولكل احد : والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكل
أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل
من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ومن اعتقد ان يحكم بين الناس
يقول اي احد كان ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر وظالم لنفسه
وغيره من المحكوم له وعليه والله حسن الختام *

وجملة القول أمامعشر أهل الايمان والقرآن لا يجوز لنا أن نتبع قانونا سوى قانون
ربنا تبارك وتعالى ولا نرضاه ولا تقبله بل هو رد على ما جاء به بحكم الله ورسوله *
هذا ما واجب علينا كتابه شرعا بحكم وجوب أداء الامانة التي ائتمنا الله عليها
معشر أهل العلم وما علينا إلا البلاغ . ان أريد إلا الاصلاح ما استعظمت وماتو فبقى
إلا بالله عليه توكت واليه أنيب * وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
آمين والحمد لله رب العالمين *

(نمت الرسالة)

رسالة

في اثبات الاستواء والفوقية

- مسألة -

الحرف والصوت في القرآن المجيد

وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية

للشيخ العالم العلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني

والد امام الحرمين توفي سنة ٤٣٨ هـ^(١)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الحمد لله الذي كان . ولا مكان . ولا انس . ولا جان . ولا طائر . ولا
حيوان . المنفرد بوحدايته في قدم ازليته والقيام في فردانيته في قدس صمدانيته .

(١) اقول ترجمه العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته وأختصر منها ما بهم القراء فأقول
هو الشيخ ابو محمد الجويني والد امام الحرمين أوجد زمانه علماً وزهداً وتفتقاً زائداً ونحراً
في العبادات كان يلقب بركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والاصول والنحو والتفسير والادب
وكان لفرط الديانة لا يجري بين يديه الا الجود والكلام اما في علم أو زهد ونحريض على التحصيل :
قال الامام القشيري كان المتأخرون في عصره والحقون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال
والفضل والحاصل الحميدة انه لو جاز ان يميت الله نبياً في عصره لما كان الا هو من حسن طريقته
وزهده وكمال فضله : وقال شيخ الاسلام الصايوني في حقه لو كان الجويني من بني اسرائيل
قتل الينا شهماًه ولا تخروا به : وقد شرع في كتاب سماه المحيط عزم فيه على عدم التقيد بالذهب
وان يقف على مورد الاحاديث لا يتداها وتجنب جان العصبية للمذاهب : وقد صنف تفسيراً كبيراً
يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية : وهذه النسخة وجدت في رواق الشام بدون تاريخ نسخها

ليس له سمي ولا وزير. ولا شبيه ولا نظير. المتفرد بالخلق والتصوير. المتصرف بالمشيئة والتقدير. (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) له الرفعة والعلاء . والحمد والثناء والعلو والاستواء. لا تحصره الاجسام . ولا تصوره الاوهام ولا تقفه الحوادث ولا الاجرام ولا تحيط به العقول ولا الافهام . له الاسماء الحسنى والشرف الائم الاسنى والنعوام الذى لا يبيد ولا يفتى . نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التى توجب عظمته وقده . مما أنزله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه . ونؤمن بأنه الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العظيم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب متكلم شاء مرید فعال لما يريد يقبض ويبسط ويرضى ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدىن والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتان لم يزل كذلك ولا يزال . استوى على عرشه فبان من خلقه لا يخفى عليه منهم خافية . علمهم محيط وبصره بهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء . من مخلوقاته ولا يمثل بشيء . من جوارح مبتدعاته . هي صفات لا تفتق بجلاله وعظمته لا تتخيل كيفيتها الظنون ولا تراها في الدنيا العيون بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها ونفنى عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته الى الاله ليست له هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك بآله فكفر انه لا يغفر انه . ونشهدان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريئته وانزل عليه كتابه للمبين القدى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبها الى اخواني في الله أهل الصدق والصفاء والاخلاص الوفاء . لمتبعين على من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل

فان المرء لا يكفل ايمانه حتى يجب لآخيه ما يحبه لنفسه وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وعن نعيم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والدين النصيحة ثلاثا قال لمن قال لله ولكتابه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم اعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووقفهم لطاعته ومزيده اتي كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبثة بمحاثق هذه الصفات وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزل الامر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجد مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم

ومن ذهب الى هذه الاقوال وبعضها قوم لهم في صدرى منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخى ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلم وعلهم ثم اتى مع ذلك أجد في قلبى من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبى اليها واجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها فكنت كالتحير المضطرب في تحير المتامل من قلبه في قلبه وتغييره

وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاله بها وأعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي والجانبي ثم لا يجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لانصافاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الامر للنزول وغير ذلك ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدى وغيرها ولم يتقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معاني اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المربية (١) ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول (الرحمن على العرش استوى) (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (أنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أنتم أن يرسل عليكم حصاباً) (قل نزله روح القدس من ربك) (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قالوا اني لاظنه كاذباً وقوله تعالى (ذي الطارج تفرج للملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) الآية : ثم اجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قلب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية « أين الله فقالت في السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلاً (٢) يتوهوا ان الامر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقل اعتمها فلها مؤمنة : وفي حديث جبير بن مطعم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه

١ - طه ٥

٢ - الحديد ٤

٣ - النحل ٥٠

٤ - فلتر ١٠

٥ - الملك ١٧-١٦

٦ - النحل ١٠٢

٧ - غافر ٣٦-٣٧

٨ - الطارج ٤٢

(١) لله القبرية (٢) علة للنزول

وسلم بيده مثل القبة « وقوله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وعن معاوية بن الحكم السلى قلت يا رسول الله « أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها قال فقال لها ابن الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة» (١) رواه مسلم ومالك في موطنه . وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخاً لفيلق ربنا الله الذى فى السماء قدس اسمك أمرك فى السماء والارض كما رحمتك فى السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيراً » أخرجه ابوداود: وعن ابى سعيد الخدرى قال بعث على من اليمن بنهية في اديم مقروظ (٢) لم تحصل من ترابها قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة زيد الخير والاقرع بن حابس . وعينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض اصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تأمنونى وانا أمين من فى السماء يأتينى خبر من فى السماء صباحا ومساء » أخرجه البخارى ومسلم وعن ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى

(١) ونظ الحديث هكذا « كانت لي غنم بين احد والجوانية فيها جارية لي فأطلمتها ذات يوم فلذا الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بنى آدم فأسفت فمككتها فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فعمم ذلك علي فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها فقال لها أين الله قلت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى
 (٢) قوله « بنهية » تصغير ذهبه وفي رواية مسلم بنهية بنير تصغير : وقوله مقروظ أى مدبوخ بالقرظ : وقوله لم تحصل أى لم تحصل من تراب المدن فكانتها كانت تيراً ومخلصها باليبك .

تخرج ثم يمرج بها الى السماء فيستفتح لما فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون
مرجاً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخل حبيدة وابشرى بروح وريحان
ورب غير غضبان فلا يزال يقال ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله عز وجل «
الحديث (١) :— وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي
نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي في السماء
ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» أخرجه البخاري ومسلم: ابو داود حدثنا محمد بن
الصباح حدثنا الوليد ابن ابي نور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف
ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصاة فيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه
قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون
ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما إما واحدة وإما
اثنان أو ثلاثة وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عد سبع سموات ثم
فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك
ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش
أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك (٢) قال الامام
الحافظ عبد الغنى في عقيدته لما ذكر حديث الأوعال قال رواه ابو داود
والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه احمد والدارقطني: وعن ابي هريرة
قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب كتاباً قبل أن
يخلق الخلق ان رحمتى سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش» أخرجه البخاري
ومسلم: محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في
قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت حكماً حكى الله به من فوق

(١) رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط
البخاري ومسلم: (٢) الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف واعل مجها لعبد الله بن عميرة

سبع أرقعة (١) « وحديث المعراج عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليسة اسرى به وساق الحديث الى ان قال « ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشرأ فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت الى ربي فوضع عنى عشرأ خمس مرات في كلها يقول فرجعت الى موسى ثم رجعت الى ربي « اخرجه البخاري ومسلم: وحديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين بانوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى » متفق عليه : وعن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً وقل من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » (٢)

حسبنا وتسفلنا هو فوقنا فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به لا كما تنوهم في الفوقية المنسوبة الى الاجسام لكننا نعلمها من جهة الاجال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكليف والله للوقوف للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له الاجها العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم بينونة أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل الا للمركز وهو الوسط

(١) قال الحافظ الذهبي في كتابه العلو بسد ما اوردهنا الحديث هذا مرسل

(٢) هنا سقط في الاصل لم يهتد اليه من نسخ أخرى فن عثر على نسخة

اخرى فيها النص فليسته وله الفضل :

فصل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه نخلصنا من شبه التأويل وعمادة التعطيل وحقاقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون ان الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لتعرفه بها فوقونا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لثبته ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حقاقة وجهالة فمن وقفه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علي باهم ما فهموا في صفات الرب تعالى الا ما يليق بالخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بمظلمته بلا تكيف ولا تشبيه فذلك حرفو الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى

لاريب انا نحن واياهم متفقون على اثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدره والارادة والكلام لله ونحن قطعاً لانقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لانقل من السمع والبصر الا أعراضا تقوم بمجوارحنا فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعله كذلك وبصره

كذلك هي صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست كيفية وعلمه معلوم وليس كيفية وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة اعنى ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فانهما معلومان ولايكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير كيفية كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير كيفية بحركة أو انتقال يليق بالخلق بل كما يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمى من وجه مبصراً من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين ففي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته لنا لتعرفه به ونؤمن بمحافتها ونفني عنها التشبيه ولانعطلها بالتحريف والتأويل ولافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر الكل ورد في النص

فان قالوا لنا في الاستواء شبهتم نقول لهم في السمع شبهتم ووصفتم ربكم بالعرض فان قالوا الاعراض بل كما يليق به قلنا في الاستواء والفوقية لاحصر بل كما يليق به فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها هم اعراضا كذلك نحن لا يجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التأويل والتحريف

فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات للمخلوقين من الاعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية وما يبرزها ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها الى

التشبيه سواء بسواء ومن انصف عرف ماقلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله
بأثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميع التشبيه والتعطيل والتأويل
والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لان هذه الصفات وتلك جاءت في
موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنا تلك بلا تأويل وحرطنا هذه
وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاع وكفاية ان
شاء الله تعالى

فصل

واذا ظهر هذا وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي مسألة الصفات من
النزول واليد والوجه وأمثالها ومسئلة العلو والاستواء ومسئلة الحرف والصوت:
أما مسألة العلو فقد قيل فيها مافتح الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق
مسألة العلو ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما
يليق بجلاله وعظمته فنزل كما يليق بجلاله وبِعظمتِهِ وَيَدَاهُ كَمَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعِظْمَتِهِ
ووجهِه الكَرِيم كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعِظْمَتِهِ فَكَيْفَ نَكَرَ الْوَجْهَ الْكَرِيمَ وَنَحَرَفَ وَقَدْ
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعَائِهِ « أَسْأَلُكَ لِمَةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ » وَإِذَا ثَبَتَتْ صِفَةُ
الْوَجْهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَبِفَيْرِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّصُوصِ فَكَذَلِكَ صِفَةُ الْيَدَيْنِ
وَالضَّحْكِ وَالتَّعْجِبِ وَلَا يَفْهَمُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ إِلَّا مَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ وَعِظْمَتِهِ
لَا مَا يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا

وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْوَجْهِ فَكَذَلِكَ فِي الْيَدَيْنِ وَالتَّقْبِضَتَيْنِ وَالتَّسَدُّمِ
وَالضَّحْكِ وَالتَّعْجِبِ كُلِّ ذَلِكَ كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِظْمَتِهِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ
إثْبَاتُ مَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَيَحْصُلُ أَيْضًا نَفْيُ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ فِي صِفَاتِهِ وَيَحْصُلُ أَيْضًا تَرْكُ التَّأْوِيلِ
وَالتَّحْرِيفِ الْمُؤَدِّي إِلَى التَّعْطِيلِ وَيَحْصُلُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَدَمُ الْوُقُوفِ بِإثْبَاتِ الصِّفَاتِ

وحقائقها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على ما نعلقه نحن من صفات المخلوقين
وأما مسألة الحرف والصوت فنساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم
بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق) والقرآن
المجيد) وكذلك جاء في الحديث « فينادى يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما
يسمعه من قرب » وفي الحديث « لا أقول الم حرف ولكن الف حرف لام حرف
ميم حرف » فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى الا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا
ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح والهوات (١) وكذلك اذا
قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والخنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا
فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه
قادر والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به
يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والخنجرة كلام الله تعالى كما
يليق به وصوته كما يليق به ولا تنفى الحرف والصوت عن كلامه سبحانه
لافتقارهما منا الى الجوارح والهوات فانهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران
الى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التصف والتكلف
بقوله هنا عبارة عن ذلك

فلن قيل فهذا الذي يقرأه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه
هو « قلنا لا بل القارىء يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله
مبتدئاً لا الى من قاله مؤدياً بلغة ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق وفي القرآن
لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول
لفظي بالقرآن مخلوق لانه لا يتميز كلمنوعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ
العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى
القول بمخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق
القول بمخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق

(١) الهوات جمع هاة وهي اللحة المترفة على الحلق في أقصى القم : ويجمع ايضا على الهى وهوات :

فصل

العبد اذا ايقن ان الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية
وانه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه
ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة
معبوده لكن لو عرفه بسمه وبصره وقدمه وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف
من عرف ان إلهه الذي يعبده فوق الاشياء فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه
الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر مفرداً له كما افردته في قدمه وأزليته
عالمًا ان هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه
وأزليته الا بها لأننا محدثون والمحدث لا بدله في اشارته الى جهة فتقع تلك الاشارة
الى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه ويعتقد انه في علوه قريب من
خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيتته وذاته فوق الاشياء
فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار
وأضاء بأنوار المعرفة والایمان وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه
فانشرح لذلك صدره وقوى ایمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول
وذاق حينذاك شيئاً من اذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهة
معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فأنها قالت في السماء عرفته بأنه
على السماء فان في تأتي بمعنى على كقوله تعالى (يتبينون في الارض) أي على
الارض : وقوله (لاصلبنكم في جنوع النخل) أي على جنوع النخل فن تكون
الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده فإنه لا يزال مظلم القلب
لا يستنير بأنوار المعرفة والایمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر
الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه اعمى من وجه كما سبق مبصراً من
جهة الاثبات والوجود والتحقيق اعمى من جهة التحديد والحصر والتكليف فإنه اذا
عمل ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلاً وآجلاً
(ولا ينبؤك مثل خبير) والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لانه يبرهان لا يكابر المحس فيه بأن الارض في جوف العالم العلوى وأن كرة الارض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من جميع جوانبها وان سفلى العالم هو جوف كرة الارض وهو المركز ونحن نقول جوف الارض السابعة وهم لا يذكرن السابعة لان الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هى ضرورة لا يكابر المحس فيها ان المركز هو جوف كرة الارض وهو منتهى السفلى والتحت وما دونه لا يسمى تحتاً بل لا يكون تحتاً ويكون فوقاً بحيث لو فرضنا حرق المركز وهو سفلى العالم الى تلك الجهة لكان الحرق الى جهة فوق ولو نفذ الحرق جهة السماء من تلك الجهة الاخرى لصعد الى جهة فوق

وبرهان ذلك انا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الارض من جهة المشرق الى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على الكرة الى حيث ابتداء بالصير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم تبرح الارض تحته والسماء فوقه فالسماء التى يشهدا المحس تحت الارض هى فوق الارض لا تحتها لان السماء فوق الارض بالنات فكيف كانت السماء كانت فوق الارض من أى جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الارض النصف الاعلا منها ثقلة على المركز والنصف الاسفل منها ثقلة على النصف الاعلا أيضاً الى جهة المركز والنصف الاسفل هو أيضاً فوق النصف الاعلا كما أن النصف الاعلا فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الارض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الارض كيف كان وان كنا نرى الارض مدحبة على الماء فان الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهى فوقها واذا كان الامر كذلك فالسماء التى تحت النصف الاسفل

من كرة الارض هي فوقه لا تحته لان السماء على الارض كيف كانت فعلوها على الارض بالذات فقط لا تكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الارض بالذات فكيف من ليس كمثل شئ . وعلوه على كل شئ . بالذات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلا) وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (وهو القاهر فوق عباده) لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شئ . ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللاتفة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي الاكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه على بالذات وهو كما كان قبل خلق الاكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الامر اليه فيجبي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويمز هذا وينذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شئ . قائم به فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ولم يماجلها بالانكار وافتقر الى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى بها والتوجه اليه منها واثباتها له بمحقاتها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جهود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

(تمت الرسالة)

رسالة
نور اللمعة
في خصائص الجمعة
تأليف

العلامة المحدث الشيخ جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية بما ادخلها من الفضائل السنية والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية (وبعد) فقد ذكر الاستاذ شمس الدين ابن القيم في كتاب الهدى ليوم الجمعة خصوصيات بعضها وعشرين خصوصية وقاه اضافة ما ذكر: وقد رأيت استيعابها في هذه الكراسة منيها على أدلتها على سبيل الاجاز وتبعتها فتحصلت منها على مائة خصوصية والله الموفق *

﴿ الخصوصية الأولى انه عيد هذه الأمة ﴾

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الى الجمعة فليغتسل وان كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع « معاشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك »

﴿ الخصوصية الثانية انه يكره صومه منفرداً ﴾

لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضى الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة إلا ان يصوم قبله أو بعده» وأخرج جابر قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة» وأخرج البخاري عن جويرية ام المؤمنين رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال اصمت أمس قالت لا قال آرين ان تصومي غداً قالت لا قال فافطري » وأخرج الحاكم عن جنادة بن أبي امية الازدي قال « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الازد يوم الجمعة فدعانا الى طعام بين يديه فقلنا إنا صيام قال اصمت أمس قلنا لا قال أنتصومون غداً قلنا لا قال فافطروا لاتصوموا يوم الجمعة منفرداً» وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام إلا ان يكون في صوم يصومه أحدكم » قال النووي الصحيح من مذهبننا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً: وفي وجه انه لا يكره إلا لمن لو صامه منعه من العبادة وأضعفه لحديث احمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة» وأجاب الاول عنه بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس فوصل الجمعة به واختلف في الحكمة التي كره صومه لاجلها والصحيح كما قال النووي انه كره لانه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والثناء والقراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاستحب فطره ليكون اعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآ متوهو نظير الحاج بعرفات فان الاولى له الفطر لهذه الحكمة: قال فان قيل لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى المذكور فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر به ما قد يحصل من فنور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه : وقيل الحكمة خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتن به كما افتتن قوم بالسبت. قال وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع فيه من أنواع الشعائر والتعظيم مما ليس في غيره: وقيل الحكمة خوف

اعتقاد وجوبه قيل وهذا منتقض بغيره من الايام التي ندب صومها. وهذا ما ذكره
 النووي وحكي غيره قولاً آخر ان علته كونه عيداً والميد لا يصام واختاره ابن حجر
 وأيده بحديث الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً «يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم
 يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده» وروى ابن أبي شيبة عن علي قال «من كان
 منكم متطوعاً من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصوم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب
 وذكر» وقال آخرون بل الحكمة مخالفة اليهود فإنهم يصومون يوم عيدهم أي
 يفردونه بالصوم فهي عن التشبه بهم كما خوفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو
 بعده وهذا القول هو المختار عندي لأنه لا ينتقض بشيء.

﴿ الخصوصية الثالثة انه يكره تخصيص ليلته بالقيام ﴾

للحديث السابق لكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريق اسمعيل بن
 ابي أويس عن زوجته بنت مالك بن انس ان أباه مالكا كان يجي ليلة الجمعة
 ﴿ الخصوصية الرابعة قراءة الم تنزيل وهل أتى على الانسان في صباحها ﴾
 أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة
 الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان في الباب عن ابن
 عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم ولفظ ابن مسعود عند الطبراني يديم ذلك قيل
 والحكمة في قراءتها الاشارة الى ما فيها من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة
 لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية وقال غيره بل قصد السجود
 الزائد (١) وأخرج ابن أبي شيبة عن ابراهيم النخعي انه قال يستحب ان يقرأ في

(١) قال ابن القيم في الهدي ويظن كثير من لاعلم عنده ان المراد تخصيص هذه
 الصلاة بسجدة زائدة ويسونها بسجدة الجمعة واذا لم يقرأ احد هذه السورة استحب قراءة
 سورة اخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الائمة للدوام على قراءة هذه السورة في فجر
 يوم لجمعة دفناً لتوهم الجاهلين: وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم
 وآله وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا كل في يومها قاتما اشتملتا على خلق
 آدم وعلى ذكر المبدأ وحشر المبدأ وذلك يكون يوم الجمعة وكان في هذا اليوم تذكير للامة بما كان
 فيه ويكون والسجدة جاءت تيمناً ليست مقصودة حتى يقصد للمصلي قراحتها حتى اتقت :

صبح يوم الجمعة بسورة فيا سجدة» وأخرج أيضاً عنه انه قرأ سورة مريم» وأخرج ابن عون قال كانوا يقرؤون في الصبح يوم الجمعة بسورة فيا سجدة»
 ﴿ الخصوصية الخامسة ان صلاة صبحها أفضل الصلوات عند الله ﴾

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عمر انه فقد جهان في صلاة الصبح فلما جاء قال ما شغلك عن هذه الصلاة أما علمت ان أوجه الصلاة عند الله غداة الجمعة من يوم الجمعة في جماعة المسلمين» وأخرجه البيهقي في الشعب مصر حكاه بلفظ «ان أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة» وأخرج البزار والطبراني عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما احسب من شهدا منكم الا مغفوراً له
 ﴿ الخصوصية السادسة صلاة الجمعة ﴾

واختصاصها بركعتين وهي في سائر الايام اربع

﴿ الخصوصية السابعة انها تعدل حجة ﴾

أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال والحارث بن أبي أسامة في مستندة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج للمساكين» •
 وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال «للجمعة أحب الي من حجة تطوع» •
 ﴿ الخصوصية الثامنة الجهر فيها: وصلوات النهار سرية ﴾

﴿ الخصوصية التاسعة قراءة الجمعة والمناقين فيها ﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة واذا جاءك المناقون» وأخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ « بالجمعة يمرض بها المؤمنون» وفي الثانية « بسورة المناقين يفرح بها المناقون»
 ﴿ الخصوصية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ﴾

اختصاصها بالجماعة وبأربعين وبمكان واحد من البلد وبأذن السلطان ندباً واشترطاً لما هو مقرر في كتب الفقه:

وأقوى ما رأيتُه للاختصاص بأربعين ما أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال «مضت السنة أن في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة (١)»
 ﴿الخصوصية الرابعة عشرة اختصاصها بإرادة تحريق من تخلف عنها﴾
 أخرج الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»
 ﴿الخصوصية الخامسة عشرة الطبع على قلب من تركها﴾

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»
 وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي الجعد الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» وأخرج الحاكم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «من ترك ثلاث جمع من غير غلة طبع الله على قلبه وهو منافق» وأخرج عن ابن عمر «قال من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق» وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجمعة من غير عذر لم يكن لها كفارة دون يوم القيامة» وأخرج عن سمرة «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل يتخلف عن الجمعة فيتخلف عن الجنة وانه لمن أهلها»

(١) أقول أخرجه أيضاً البيهقي وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن قال الامام احمد اضرب على حديثه فانها كذب او موضوعة : وقال النسائي ليس بثقة وقال الدارقطني منكر الحديث : وقال ابن حبان لا يجوز ان يحتج به : وقال البيهقي هذا الحديث لا يحتج بمثله : واما ما ذكره من المكان الواحد وأذن السلطان ندباً أو أشد اما طالم يقيم عليه دليل من كتاب ولا سنة وانما هو اجتهاد الفقهاء في ذلك وليس هنا محل بسطه :

(الخصوصية السادسة عشرة مشروعية الكفارة لمن تركها)

أخرج احمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سيرة بن جنلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الجمعة من غير عذر فليصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار » وأخرج أبو داود عن قدامة بن وبرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته الجمعة من غير عذر فليصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع حنطة أو نصف صاع »

(الخصوصية السابعة عشرة الخطبة) (الخصوصية الثامنة عشرة الانصت)

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ان كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يبلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينها ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وأخرج ابن ماجه وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة سورة برآة وهو قائم يذكر بأيام الله وابو الرداء وأبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة اني لم أسمعها الا الآن فأشار اليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال أبي ليس من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وأخبره بالذي قال أني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي » وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال « لا تقل سبحان الله والامام يخطب يوم الجمعة » وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليس له الجمعة»

﴿الخصوصية التاسعة عشرة تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر﴾

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * وأخرج عن ثعلبة بن ابي مالك قال كنا على عهد عمر بن الخطاب يوم الجمعة نصلي فاذا خرج عمر تحدثنا فاذا تكلم سكتنا * قال النووي في شرح المهذب فاذا جلس الامام على المنبر حرم ابتداء صلاة الناقله وان كان في صلاة خففها بالاجماع نقله الماوردي وغيره * قال البغوي سواء كان صلى السنة أم لا * قال النووي ويمتنع بمجرد جلوس الامام على المنبر ولا يتوقف على الأذان نص عليه الشافعي والاصحاب

﴿قائدة﴾ قال سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر سليكا أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ منها

﴿الخصوصية العشرون * النهي عن الاحتباء وقت الخطبة﴾

روى أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن معاذ ابن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحيوة يوم الجمعة والامام يخطب * وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر * وقال أبو داود كان ابن عمر يمتحي والامام يخطب وكذلك أنس وجل الصحابة والتابعين قالوا لا بأس بها ولم يبلغني أن أحداً كرهه الا عبادة بن نسي * وقال الترمذي كره قوم الحيوة وقت الخطبة ورخص فيها آخرون وقال النووي في شرح المهذب لا تكره عند الشافعي ومالك واحمد والاوزاعي وأصحاب الرأي وغيرهم وكرهها بعض أهل الحديث للحديث المذكور وقال الخطابي والمعنى أنها تجلب النوم فيعرض طهارته لنقض وتمنع من استماع الخطبة

﴿ الخصوصية الحادية والعشرون * نهي كراهة النافلة وقت الاستواء ﴾
 أخرج أبو داود عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة
 نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة
 ﴿ الخصوصية الثانية والعشرون * لا تسجر جهنم في يومها ﴾ للحديث المذكور
 ﴿ الخصوصية الثالثة والعشرون استحباب الغسل لها ﴾

روى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاء
 منكم الجمعة فليغتسل» وأخرجنا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» وأخرج الحاكم عن أبي قتادة قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة
 الى الجمعة الأخرى» وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين
 قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه
 وخطاياها فاذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف
 من الصلاة أجزى بعمل مائتي سنة» وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول
 الشعر استللا»

﴿ الخصوصية الرابعة والعشرون ان للجماع فيه أجرين ﴾

أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «أبجز أحدكم ان يجامع أهله في كل جمعة فان له أجرين اثنين أجر غسله
 وأجر غسل امرأته» وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مكحول انه سئل عن
 الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

﴿ الخصوصية الخامسة والعشرون الى التاسعة والعشرين ﴾

(استحباب السواك والطيب والذهن وازالة الظفر والشعر)

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال اشهد على رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستن وان يمس طيباً ان وجد * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس من طيب ان كان » وأخرج البخارى عن سلمان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويتدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب لهم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له ما بينها وبين الجمعة الاخرى » وأخرج الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة « أيها الناس اذا كان هذا اليوم فاغتسلوا ولبس أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه » وأخرج البزار والطبرانى في الاوسط والبيهقي في الشعب « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يخرج الى الصلاة » وأخرج في الاوسط عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلم أظفاره يوم الجمعة وثق من سوء الى مثلها » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن راشد ابن سعد قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من اغتسل يوم الجمعة واستاك وقلم أظفاره فقد اوجب وأخرج عن مكحول قال من قص أظفاره وشاربه يوم الجمعة لم يمت من الماء الاصفره وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن الحميدي قال كان يقال من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء

﴿ الخصوصية الثلاثون استحباب لبس أحسن الثياب ﴾

أخرج احمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركب ماشاء الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها » وأخرج احمد عن ابي أيوب الانصارى وابى الرداء والحاكم نحوه عن

أبي ذر * وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال « كان للنبي صلى الله عليه وسلم برد يلبسه في العيدين والجمعة » وأخرج أبو داود عن ابن سلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما على أحدكم ان وجد ان يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهته » وأخرج ابن ماجه مثله من حديث عائشة والبيهقي في الشعب مثله من حديث أنس * وأخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما في جمعه فاذا انصرف طويتهما الى مثله » وأخرج في الكبير عن أبي الرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العائم يوم الجمعة »

﴿ الخصوصية الحادية والثلاثون تبخير المسجد ﴾

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة من مرسل حسن بن علي بن حسين ابن حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باجمار المسجد يوم الجمعة وأخرج ابن ماجه من مرسل مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم ورفع أصواتكم وسلاحكم وجروها في كل جمعة » وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر المسجد في كل جمعة

﴿ الخصوصية الثانية والثلاثون التبكير ﴾

روى الشيخان عن أنس قال كنا نبكر بالجمعة وتقبل بعد الجمعة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الامام طووا الصحف وجاموا يستمعون الذكر * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود انه أتى الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فقال رابع أربعة ومارابع أربعة يعيد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر وراحمهم الى الجمعات الاول والثاني والثالث » قال البيهقي قوله من الله أى من عرشه وكرامته * وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال باكروا في النداء بالدنيا الى الجمعات فان الله يبرز لاهل الجنة يوم الجمعة على كتيب من كافور أبيض فيكون الناس عنده في الدنيا كغدوم في الدنيا الى الجمعة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن القاسم بن مخمرة قال اذا راح الرجل الى المسجد كانت خطاه بخطوة درجة وبخطوة كفارة وكتب له بكل انسان جاء بعد قيراط قيراط

(الخصوصية الثالثة والثلاثون) الايستحب الابراد بها في شدة الحر
بمخلاف سائر الايام

أخرج البخارى عن أنس « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر ابرد بالصلاة بغير الجمعة »

(الخصوصية الرابعة والثلاثون تأخير النداء والقبولة عنها)

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال ما كنا نقبل ولا تغدى إلا بعد الجمعة وأخرج البخارى عنه قال كنا نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم تكون القائلة * وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن سيرين قال كان يكره النوم قبل الجمعة ويقال فيه قولاً شديداً أو كانوا يقولون مثله مثل سرية اخفقوا وتدرى ما اخفقوا لم يصيبوا شيئاً

(الخصوصية الخامسة والثلاثون)

تضعيف أجر الذهاب إليها بكل خطوة أجر سنة

أخرج أحمد والأربعة والحاكم عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» وأخرج أحمد بسند صحيح نحوه عن ابن عمر وأخرج أحمد ابن زنجويه في فضائل الأعمال عن يحيى بن يحيى النسائي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مشيك إلى المسجد وانصرافك إلى أهلك في الأجر سواء» وأخرج سعيد ابن منصور نحوه من مرسل الزهري ومكحول والطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق في حديث «وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة» وسنده ضعيف

(الخصوصية السادسة والثلاثون)

لها أذانان وليس ذلك لصلاة غيرها إلا الصبح

أخرج البخاري عن السائب عن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء فثبت الأمر على ذلك (الخصوصية السابعة والثلاثون الاشتغال بالعبادة حتى يخرج الخطيب)

تقدم فيه أر ثلثة بن مالك

(الخصوصية الثامنة والثلاثون قراءة الكهف)

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفا بلفظ «أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق»

وأخرج عن خالد بن معدان قال من قرأ سورة الكهف قبل ان يخرج الامام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة وبلغ نورها البيت العتيق * وأخرج مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وأخرج الضياء في المختارة عن علي قال قال رسول الله عليه وسلم « من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية أيام وان خرج الدجال عصم منه »

﴿ الخصوصية التاسعة والثلاثون قراءة الكهف ليلتها ﴾

أخرج الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق »

﴿ الخصوصية الاربعون قراءة الاخلاص والمودتين والفاتحة بعدها ﴾
أخرج أبو عبيد وابن الضريس في فضائل القرآن عن أسماء بنت أبي بكر قالت « من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد والمودتين والحمد سبعاً سبعاً حفظ من مجلسه ذلك الى مثله » وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال « من قرأ فاتحة الكتاب والمودتين وقل هو الله أحد سبع مرات يوم الجمعة قبل ان يتكلم كفر عنه ما بين الجمعتين وكان معصوماً » وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن ابن شهاب قال « من قرأ قل هو الله أحد والمودتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة »

الخصوصية الحادية والاربعون قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها
أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمتنافقين »

«الخصوصية الثانية والاربعون قراءة سورة الجمعة والمناقضين في عشاء ليلتها»

للحديث المذكور

«الخصوصية الثالثة والاربعون منع التحلق قبل الصلاة»

أخرج ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة قال البيهقي يكره التحلق في المسجد اذا كانت الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة. (١)

«الخصوصية الرابعة والاربعون تحريم السفر فيه قبل الصلاة»

أخرج ابن ابي شيبة عن حسان بن عطية قال من سافر يوم الجمعة دعى عليه ان لا يصاحب ولا يعان على سفره. وأخرج الخطيب في رواية مالك بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً «من سافر يوم الجمعة دعى عليه ملكاه ان لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة» وأخرج الدينوري في المجالسة عن سعيد بن المسيب ان رجلاً أتاه يوم الجمعة يودعه لسفر فقال له لا تعجل حتى تصلى فقال أخاف ان تفوتني أصحابي ثم عجل فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه ان رجلاً انكسرت فقال سعيد انى كنت أظن ان سيصيبه ذلك * وأخرج عن الاوزاعي قال كان عندنا صياد فكان يخرج في الجمعة لا يمنعه اداء الجمعة من الخروج فحسب به ويبغته فخرج الناس وقد ذهب بغلته في الارض فلم يبق منها إلا اذناها وذنبها * وأخرج ابن ابي شيبة عن مجاهد ان قوماً خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خيامهم ناراً من غير نار برونها

(١) وقال العراقي رحمه اصحابنا والجمهور على بابه لانه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتكبير والتراس في الصفوف الاول فالاول : وقد اختلف الائمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب والله اعلم

« الخصوصية الخامسة والاربعون فيه تكفير الآثام »

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر » وأخرج عن سلمان قال « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قال الله ورسوله اعلم قال هو اليوم الذي جمع الله فيه بين أبويكم لا يتوضأ عبد فيحسن الوضوء ثم يأتي المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى ، اجتنب الكبائر .

الخصوصية السادسة والاربعون الاما من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها أخرج ابو يعقوب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة وفي عذاب القبر » • وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد المحزومي قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بجنات الایمان ووفي عذاب القبر •

(الخصوصية السابعة والاربعون)

(الامان من فتنة القبر لمن مات يومها او ليلتها فلا يسأل في قبره)

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا رقاها الله فتنة القبر » وفي لفظ « إلا برى . من فتنة القبر » وفي لفظ « إلا وفي الفتان » قال الحكميم الترمذي وحكته انه انكشف الغطاء عما له عند الله لان جهنم لا تسجر في هذا اليوم وتطلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل في سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبداً كان دليلاً لسعادته وحسن ما به وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن

(الخصوصية الثامنة والاربعون رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه)

قال الياضي في روض الياحين بلغنا ان الموتى لم يمدبوا ليلة الجمعة تشریفاً لهذا الوقت قال ويحتمل اختصاص ذلك بمصاة المؤمنين دون الكفار

(الخصوصية التاسعة والاربعون اجتماع الارواح فيه)

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن رجل من آل عاصم الجحدري انه رأى عاصم الجحدري في النوم فقال له أنا في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فتتلاقى أخباركم قلت هل تعلمون بزيارتنا قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه

«الخصوصية الخمسون انه سيد الايام»

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وأخرجه الحاكم بلفظ «سيد الايام يوم الجمعة الى آخره» ولابي داود نحوه رزاد «وفيه تيب عليه وفيه مات وامن دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققاً من الساعة إلا الجن والانس» * وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي لباة بن عبد المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سما ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشققن من يوم الجمعة»

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال اذا كان يوم الجمعة فزغ البر والبحر وما خلق الله من شيء الا الانسان * وأخرج عبدالله بن احمد في فوائده الزهد عن أبي عمران الجوني قال بلغنا انه لم تأت ليلة الجمعة قط الا أحدثت لاهل السماء فرجة

﴿قائدة﴾ في بعض كتب الحنابلة: اختلف أصحابنا مل ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر فاختار ابن بطه وجماعة ان ليلة الجمعة أفضل وقال به أبو الحسن التيمي فيما عدا الليلة التي أنزل فيها القرآن وأكثر العلماء على ان ليلة القدر أفضل واستدل الاولون بحديث الليلة الغراء والغرة من الشيء خياره وبأنه جاء في فضل يومها ما لم يجيء ليوم ليلة القدر وأجابوا عن قوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) فان التقدير خير من الف شهر ليس فيها ليلة الجمعة كما ان تقديرها عند الاكثرين خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر وأيضاً فان ليلة الجمعة باقية في الجنة لان في يومها تقع الزيارة الى الله تعالى وهي معلومة في الدنيا بعينها على القطع وليلة القدر مظنون عينها انتهى ملخصاً *

«الخصوصية الحادية والخمسون انه يوم المزيد»

أخرج الشافعي في الام عن أنس بن مالك قال «اني جبريل براءة يضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فان الناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد قال ان ربك أنخذ في الفردوس واديا أفيحاً فيه كتب مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناساً من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب فيقول الله أنار بكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم

ولكم على ما عنيتم ولدى مزيد « فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير : وله طرق عن أنس وفي بعضها « انهم يمكثون في جلوسهم هذا الى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يرجعون الى غرفهم « أخرجه الآجري في كتاب الرؤية * وأخرج الآجري في كتاب الرؤية عن أبي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيبرز الله لهم عرشه ويتبدى لهم في رياضة من رياض الجنة وتوضع لهم مناير من نور ومناير من لؤلؤ ومناير من ياقوت ومناير من ذهب ومناير من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم أدنى على كسبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكرامى بأفضل منهم مجلسا الحديث وفيه الرؤية وسماع الكلام وذکر سوق الجنة * وأخرج أيضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة يزورون ربهم عز وجل في كل يوم الجمعة في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً « وعن أبي هريرة وعائشة رضی الله تعالى عنهما قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة ليقومون يوم الجمعة يكتبون الانسان الاول والثاني والثالث حتى اذا خرج الامام طويت الصحف «

(الخصوصية الثانية والخمسون * انه مذکور في القرآن دون سائر أيام الاسبوع)

قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)

(الخصوصية الثالثة والخمسون * انه الشاهد والمشهود في الآية وقد أقسم الله به)

أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعد يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال

الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة * وأخرج عن ابن الزبير وابن عمر قالوا يوم الذبح ويوم الجمعة * وأخرج عن أبي الورداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة »
 (الخصوصية الرابعة والخمسون * انه المدخر لهذه الامة)

روى الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن الآخرون الساخون يوم القيامة يبدأهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالتاس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» * ولمسلم عن أبي هريرة وحذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة »
 «الخصوصية الخامسة والخمسون * انه يوم المغفرة »

أخرج ابن عدي والطبراني في الأوسط بسند عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له »

«الخصوصية السادسة والخمسون * أنه يوم العتق »

أخرج البخارى في تاريخه وأبو يعلى عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة ليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة الا والله فيها سمائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار » وأخرجه ابن عدي والبيهقي في الشعب بلفظ « ان لله في كل جمعة سمائة الف عتيق »

«الخصوصية السابعة والخمسون * فيه ساعة الاجابة »

روى الشيخان عن أبي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً الا

أعطاه اياه وأشار بيده يقلها « ولمسلم عنه ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه اياه هي ساعة خفية *

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً فقيس لها انها رفعت أخرج عبد الرزاق عن عبد الله مولى معاوية قال قلت لابي هريرة أنهم زعموا ان الساعة التي في يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء رفعت فقال كذب من قال ذلك * قلت فهي في كل جمعة قال نعم وقيل انها في جمعة واحدة من كل سنة قاله كعب الاحبار لابي هريرة فرده عليه فرجع اليه أخرجه مالك وأصحاب السنن وقيل انها مخفية في جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر في العشر * أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي سلمة قال سألت أبا سعيد الخدري عن ساعة الجمعة فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قد أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر» * وأخرج عبد الرزاق عن كعب قال لو أن انساناً قسم جمعة في جمع لآتي على تلك الساعة قال ابن المنذر معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من أول النهار الى وقت معلوم ثم في جمعة يتدى من ذلك الوقت الى وقت آخر حتى يأتي على آخر النهار *

والحكمة في اخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة وقيل انها تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة بعينها ذكره بعضهم احتمالاً وجزم به ابن عساكر وغيره ورجحه الفزالي والمحب الطبري وقيل هي عند أذان المؤذن لصلاة الغداة أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة : وقيل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس رواه ابن عساكر عن ابي هريرة : وقيل عند طلوع الشمس حكاه الفزالي وقيل أول ساعة بعد طلوع الشمس حكاه الجيلي والمحب الطبري شارحاً التنبيه : وقيل في آخر الساعة الثالثة من النهار لحديث أبي هريرة مرفوعاً «وفي آخر ثلاث ساعات منه ساعة من دعا الله فيها استجيب له» أخرجه احمد وقيل اذا زالت الشمس حكاه ابن المنذر عن أبي العالية ورواه عبد الرزاق عن الحسن وروى ابن عساكر عن قتادة قال كانوا يرون الساعة المستجاب فيها

الدهاء اذا زالت الشمس: قال ابن حجر وكان مأخذاً في ذلك أنها وقت اجتماع
الملائكة وابتداء دخول الجمعة والأذان ونحو ذلك: وقيل اذا أذن المؤذن لصلاة
الجمعة * أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت يوم الجمعة مثل يوم عرفة فيه تفتح
أبواب السماء وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً الا أعطاه قيل أية ساعة
قالت اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة: وقيل من الزوال الى مصير الظل ذراعاً
أخرجه ابن المنذر عن أبي ذر: وقيل الى أن يخرج الامام حكاه القاضي ابو الطيب:
وقيل الى ان يدخل في الصلاة حكاه ابن المنذر عن ابى السور العدوى: وقيل
من الزوال الى غروب الشمس حكاه الدمارى في نكت التنبيه: وقيل عند خروج
الامام رواه ابن زنجويه عن الحسن: وقيل ما بين خروج الامام الى أن تمام
الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن والمروزي في كتاب الجمعة عن عوف بن
حصره: وقيل ما بين خروجه الى انقضاء الصلاة رواه ابن جرير عن موسى وابن
عمر وقوفاً وعن الشعبي: وقيل ما بين أن يحرم البيع الى أن يجلس رواه ابن أبي شيبة
وابن المنذر عن الشعبي: وقيل ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة رواه ابن زنجويه عن
ابن عباس: وقيل ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضي الصلاة روى
مسلم وأبو داود من حديث أبي موسى الأشعري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضي الصلاة: قال ابن حجر وهذا
القول يمكن ان يتخذ مع الذين قبله: وقيل من حين يفتح الخطبة حتى يفرغها
رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعاً: وقيل عند الجلوس بين
الخطبتين حكاه الطيبي: وقيل عند نزول الامام من المنبر رواه ابن المنذر عن
أبي بردة: وقيل عند اقامة الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن: وروى الطبراني
بسند ضعيف عن ميمونة بنت سعد أنها قالت « يارسول الله افتنا عن صلاة
الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه إلا استجاب له قلت أية ساعة هي
يارسول الله قال ذلك حين يقوم الامام » وقيل من بين اقامة الصلاة الى تمام
الصلاة لحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف « قالوا أية ساعة

يارسول الله قال حين تقوم الصلاة الى الانصراف منها « ورواه البيهقي في الشعب بلفظ « ما بين ان ينزل الامام من المنبر الى ان تنقضى الصلاة » وقيل هي الساعة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيها الجمعة رواه ابن عساكر عن ابن سيرين: وقيل من صلاة العصر الى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا والترمذي بسند ضعيف عن أنس بن مالك مرفوعا « التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر الى غيوبة الشمس » ولاين منده عن أبي سعيد مرفوعا « فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس » وقيل في صلاة العصر رواه عبد الرزاق عن يحيى بن اسحاق بن ابي طلحة مرفوعا مرسلا: وقيل بعد العصر الى اخر وقت الاختيار حكاها الغزالي: وقيل من حين تصفر الشمس الى ان تغيب رواه عبد الرزاق عن طاوس: وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه ابو داود والحاكم عن جابر مرفوعاً ولفظه « فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » وأخرج اصحاب السنن عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه » فقال كعب ذلك في كل سنة يوم قفلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال قد علمت اية ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة قفلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها قال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت بلى قال فهو ذلك وفي الترغيب للاصفهاني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل ما يكون عنه الناس » : وقيل اذا تلى نصف الشمس للغروب أخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم « انها قالت لاني صلى الله عليه وسلم اية ساعة هي قال اذا تلى نصف الشمس للغروب »

فهذه جملة الاقوال في ذلك قال المحب الطبري أصح الاحاديث فيها حديث أبي موسى في مسلم وأشهر الاقوال فيها قول عبد الله بن سلام قال ابن حجر وماعداها اما موافق لها أو لاحدها أو ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون توقيف ثم اختلف السلف أي القولين للذكورين ارجح فرجح كلا مرجحون فرجح حديث أبي موسى البيهقي وابن العربي والقرطبي وقال النووي انه الصحيح أو الصواب ورجح قول ابن سلام احمد بن حنبل وابن راهويه وابن عبد البر وابن الزمكاني من الشافعية

قلت وههنا أمر وذلك ان ما اورده ابو هريرة على ابن سلام من أنها ليست ساعة صلاة ولورد على حديث أبي موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة ويتميز ما بعد العصر بأنها ساعة دعاء وقد قال في الحديث يسأل الله شيئا وليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات وكذلك غالب الصلاة ووقت الدعاء منها أما عند الاقامة أو في السجود أو التشهد فان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قائم يصلى على حقيقته في هذين للموضين وعلى مجازه في الاقامة أي يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح رواية أبي موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على ظاهره من قوله « يصلى ويسأل » فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد وموم ان انتظار الصلاة يشترط في الاجابة ولانه لا يقال في منتظر الصلاة قائم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قائم يشعر بملابسة الفعل والذي استخير الله وأقول به من هذه الاقوال انها عند اقامة الصلاة وغالب الاحاديث للرفوعة تشهد له اما حديث ميمونة فصريح فيه وكذا حديث عمرو بن عوف ولا ينافيه حديث ابى موسى لانه ذكر أنها فيما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة وذلك صادق بالاقامة بل منحصر فيها لان وقت الخطبة ليس وقت صلاة ولا دعاء ووقت الصلاة ليس وقت دعاء في غالبها ولا يظن انه أراد استغراق هذا الوقت قطعا لانه خفيفة بالنصوص والاجماع ووقت الخطبة

والصلاة متسع وغالب الاقوال المذكورة بعد الزوال أو عند الاذان تحمل على هذا فترجع اليه ولا تتنافى وقد أخرج الطبراني عن عوف بن مالك الصحابي قال اني لارجو ان تكون ساعة الاجابة في احدى الساعات الثلاث اذا اذن المؤذن وما دام الامام على المنبر وعند الاقامة وأقوى شاهد له حديث الصحيحين وهو قائم يصلي فاحل وهو قائم على القيام للصلاة عند الاقامة ويصلي على الحال للمقدرة وتكون هذه الجملة الحالية شرطاً في الاجابة فانها مختصة بمن شهد الجمعة ليخرج من تخلف عنها هذا ما ظهر لي في هذا المحل من التدبير والله أعلم بالصواب :

وقال ابن سعد في طبقاته أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد بن جدعان أن عبد الله بن نوفل والمغيرة بن نوفل كانوا من قراء قریش وكانوا ييرون الى الجمعة اذا طلعت الشمس يريدون بذلك الساعة التي ترجى فنام عبيد الله بن نوفل فذبح في ظهره دحة فقبل هذه الساعة التي تريد فرفع رأسه فاذا مثل غمامة تصعد الى السماء وذلك حين زالت الشمس (فائدة) احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن في كل ليلة ساعة اجابة

كأثبت في الاحاديث الصحيحة وليس ذلك في النهار سوى في يوم الجمعة «الخصوصية الثامنة والخمسون الصدقة فيه تضاعف على غيرها من الايام» أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن كعب قال «الصدقة تضاعف يوم الجمعة» «الخصوصية التاسعة والخمسون الحسنة والسيئة فيه تضاعف»

أخرج ابن أبي شيبة عن كعب قال يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسيئة وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة مرفوعاً «تضاعف الحسنات يوم الجمعة» * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال من طريق الهيثم بن حميد قال أخبرني أبو سعيد قال بلغني ان الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسيئة تضاعف يوم الجمعة * وأخرج عن المسيب بن رافع قال من عمل خيراً في يوم الجمعة ضف بعشرة أضغافه في سائر الايام ومن عمل شراً فثقل ذلك *

« الخصوصية الستون قراءة حمّ السخان يومها وليلتها »

أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ السخان في ليلة الجمعة غفر له » وأخرج الطبرانى والاصبهانى عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ السخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة » • وأخرج العارمى عن أبي رافع قال « من قرأ السخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين » •

﴿ الخصوصية الحادية والستون • قراءة يسّ ليلتها ﴾

أخرج البيهقى في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة حمّ السخان ويسّ أصبح مغفورا له » وأخرجه الاصفهاني بلفظ « من قرأ يسّ في ليلة الجمعة غفر له »

﴿ الخصوصية الثانية والستون قراءة آل عمران فيه ﴾

أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تقيب الشمس »

﴿ الخصوصية الثالثة والستون • قراءة سورة هود فيه ﴾

أخرج العارمى في مسنده والبيهقى في الشعب وأبو الشيخ وابن مردويه في تفسيرهما عن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أقرأوا سورة هود يوم الجمعة » •

« الخصوصية الرابعة والستون • قراءة البقرة وآل عمران ليلتها »

أخرج الاصفهاني في الترغيب بسنده عن عبد الواحد بن أيمن تاجي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الاجر ما بين ليده وعروبه » فليداه الارض السابعة وعروبه السماء السابعة • وأخرج حميد بن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة

الجمعة سورة البقرة و آكل عمران كان له نوراً ما بين عرياء وعجيباً فعرياء
العرش وعجيباً أسفل الارضين»

«الخصوصية الخامسة والستون» جلب الذاكر والمغفرة قبل صبح يومها
أخرج الطبراني في الاوسط عن أنس قال «قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال قبل صلاة الفسداة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو المحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من
زبد البحر» *

«الخصوصية السادسة والستون» ما يقال ليلة الجمعة

أخرج البزار عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب
قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا شهر رمضان واذا كان ليلة الجمعة
قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر

﴿الخصوصية السابعة والستون﴾

الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها

أخرج ابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه عن اوس بن اوس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثرُوا من الصلاة على فيه فان
صلاتكم معروضة عليّ» * وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال
«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرُوا من الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم
الازهر فان صلاتكم تعرض على» * وأخرج البيهقي في الشعب عن ابي امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرُوا من الصلاة على في كل يوم جمعة فمن
كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم من منزلة» * وأخرج عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكثرُوا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة
فمن فعل ذلك كنت شهيداً او شافعاً له يوم القيامة» * وأخرج عن انس

مرفوعا « من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا » • واخرج عن علي « قال من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور » واخرج الاصبهاني في ترغيبه عن انس قال « قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم الجمعة الف مرة لم يميت حتى يرى مقعده في الجنة » • واخرج ابو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب قال « قال لي ابن مسعود لا تدع اذا كان يوم الجمعة ان تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي » •

﴿ الخصوصية الثامنة والتاسعة والستون والسبعون ﴾

(عيادة المريض وشهود الجنائز وشهود النكاح والعتق فيه)

اخرج الطبراني عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضا وشهد جنازة وشهد نكاحا وجبت له الجنة » • واخرجه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وزاد « وتصدق واعتق » ولم يذكر شهود النكاح: واخرج البيهقي في شعب الایمان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب » • واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة » قال البيهقي هذا يؤكد حديث ابي هريرة وكلاهما ضعيف •

﴿ الخصوصية الحادية والسبعون ﴾

اخرج البيهقي في الشعب عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال هذه الكلمات سبع مرات في ليلة الجمعة مات في تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة مات في ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم انت ربي

لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن امتك وفي قبضتك وناصيتي بيديك
أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك
وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت «

« الخصوصية الثانية والسبعون »

اخرج ايضا عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ظهر في الصيف استحباب أن يظهر ليلة الجمعة واذا دخل البيت في الشتاء استحباب
أن يدخل البيت ليلة الجمعة » وأخرج مثله عن ابن عباس

« الخصوصية الثالثة والسبعون »

اخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم « انه كان اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فقيل
له لم تفعل هذا فقال رأيت سيد المرسلين يفعله « قلت كأن حكته امتثال قوله
تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)

« الخصوصية الرابعة والسبعون انتظار العصر بعدها يعدل عمرة »

أخرج البيهقي في الشعب عن سهل بن سعد الساعدي قال « قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكم في كل جمعة حبة وعمرة فالحجة المهيبة الى الجمعة
والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والسبعون صلاة حفظ القرآن في ليلتها »

أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي في الدعوات عن ابن عباس ان علياً قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم « تغلت هذا القرآن من صدري فما أجديني اقدر
عليه فقال الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته وثبت ما تعلمت
في صدرك اذا كان ليلة الجمعة فلن استطعت ان تقوم في ثلث الليل الا آخر قاتها
ساعة مشهورة والساء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبيته سوف أستقفر
لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فلن لم تستطع

فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم السخان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان وقل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني وارحمي ان انكلف مالا يعينني وارزقي حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاکرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك ان تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني وارزقتني ان اتلوه على النحو الذي يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاکرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك ان تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وان تفرج به عن قلبي وتشرح به صدرى وان تعمل به بدنى فانه لا يعيننى على الحق إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبباً باذن الله تعالى والذي بعثى بالحق ما اخطأ مؤمن قط قال ابن عباس فوالله ما لبث على إلا خمساً أو سبباً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله انى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهم على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتها على نفسى فكأتما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم انس منها حرفاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة «

« الخصوصية السادسة والسبعون زيارة القبور يومها وليلتها »

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول والطبراني في الاوسط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برأ »

« الخصوصية السابعة والسبعون علم الموتى بزيارة الاحياء فيه »

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن محمد بن واسع قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده: وأخرجنا عن الضحاك قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

(الخصوصية الثامنة والسبعون عرض اعمال الاحياء على أقرابهم من الموتى فيه)

أخرج الترمذى الحكيم في نوادر الاصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرون بحسناتهم وتزداد وجوههم ياضوا واشراقاً» وأخرج احمد بسند جيد عن أبي هريرة قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن اعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»

« الخصوصية التاسعة والسبعون يقول الطير فيه سلام سلام يوم صالح »

أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي عن مطرف انه سمعه من الموتى يقولون ذلك كرامة له وهو بين النائم واليقظان * وأخرج الدينوري في المجالسة عن بكر بن عبد الله المزني قال ان الطير تلتقى الطير بعضها بعضاً ليلة الجمعة فتقول لها اشعرت ان الجمعة غداً

« الخصوصية الثمانون »

أخرج الطبراني في الاوسط عن انس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا سبعون رجلاً الى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفلوا الى ربهم او افضل»

« الخصوصية الحادية والثمانون »

أخرج الطبراني والبيهقي في الشعب والاصهباني في الترغيب عن ابن عمر قال

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام يوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعة بما قل من ماله او كثر غفر له كل عمله حتى يصير كيوم ولدته امه » وخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس انه كان يحب ان يصوم الاربعاء والخميس والجمعة ويخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهم وان يتصدق بما قل او كثر فان فيه الفضل الكثير * وخرج البيهقي وضعفه عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى له قصرأ في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار » وخرج البيهقي عن ابى قتادة العدوى قال ما من يوم اكره إلي ان اصومه من يوم الجمعة ولا احب ان اصومه من يوم الجمعة قيل وكيف ذلك قال يعجبني في ايام متابعات لما اعلم من فضيلته وكره ان اخصه من بين الايام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يخصه من بين الايام * وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم قال اخبرني رجل من جشم عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة ايام غراما من الآخرة لا يشاكلها ايام الدنيا »

﴿ الخصوصية الثانية والثمانون ﴾

اخرج البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم أزهر »

« الخصوصية الثالثة والثمانون »

اخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منها بقائمة الكتاب مرة واذا زلزلت خمس عشرة مرة هون الله عليه سكرات الموت واعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة »

« الخصوصية الرابعة والثمانون »

أخرج ابونعيم في الحلية عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلت يوم الجمعة سلت الأيام » •

« الخصوصية السادسة والثمانون »

أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتي الباب ثم قال اللهم اجعلني أوجه من توجه اليك وأقرب من تقرب اليك وأفضل من سألك ورجب اليك » قال النووي في الاذكار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من •

« الخصوصية السادسة والثمانون كرامة الحجامة فيه »

أخرج ابو يعلى عن الحسين بن علي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الجمعة ساعة لا يجتمع فيها أحد إلا مات » وقد ورد النهي عن الحجامة يوم الجمعة من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وابن ماجه وفي نسخة نبيط بن شريط من حديثه مرفوعاً « لا يجتمع أحدكم يوم الجمعة ففيها ساعة من احتجم فيها فأصابه وجع فلا يلومن إلا نفسه » •

« الخصوصية السابعة والثمانون حصول الشهادة لمن مات فيه »

أخرج حميد بن زنجويه من مرسل إياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر » • وأخرج من مرسل عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وقي عذاب القبر وفتنة القبر ولقى الله لأحساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له »

« الخصوصية الثامنة والثمانون »

أخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من صلى الضحى أربع ركعات في يوم الجمعة في دهره مرة واحدة يقرأ بفاتحة الكتاب عشر مرات وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وقل أعوذ برب الناس عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات وقل يا أيها الكافرون عشر مرات واية الكرسي عشر مرات في كل ركعة فإذا تشهد وسلم واستغفر سبعين مرة وصبح سبعين مرة قائلاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رفع الله عنه شر أهل السموات وأهل الأرض وشر الانس والجن »

« الخصوصية التاسعة والثمانون »

وقفة الجمعة تفضل غيرها من خسة أوجه فيما ذكره القاضى بدر الدين ابن جماعة (أحدها) موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فان وقفته كانت يوم الجمعة وانما يختار له الأفضل (الثانى) ان فيها ساعة إجابة (الثالث) ان الاعمال تشرف بشرف الازمنة كما تشرف بشرف الامكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل (الرابع) ان في الحديث أفضل الايام يوم عرفة اذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة أخرجه رزين (الخامس) اذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له قد جاء ان الله يغفر لجميع أهل الموقف مطلقاً فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في هذا الحديث فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفر لهم فيه بغير واسطة وفي غيره يهب قوماً لقوم *

« الخصوصية التسعون »

أخرج الاصبهاني في الترهيب عن عبد الله بن عمرو رضى عنهما قال من كانت له حاجة الى الله فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تظهر وراح الى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب

والشهادة الرحمن الرحيم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض الذي غنت له الوجوه وخشمت له الأصوات ووجلّت القلوب من خشيته إن تصلى على محمد وإن تمنى حاجتي وهي كذا وكذا فإنه يستجاب له • وأخرج ابن السني في عمل يوم وليلة عن عمرو بن قيس المزني قال بلغني أن من صام الأربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الإمام وقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ثم مد يده إلى الله عز وجل ثم قال اللهم اني أسألك باسمك الملى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى الأعلى إلا الله إلا الله إلا الله إلا الله إلا الله شيتا إلا أعطاه إياه عاجلاً وآجلاً ولكنكم تعجلون

« الخصوصية الحادية والتسعون »

(لا تفتح فيه أبواب جهنم وهذه غير الخصلة السابقة أنها لا تسجر فيه)

أخرج أبو نعيم عن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن جهنم تسمر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فإنها لا تفتح أبوابها ولا تسمر »
« الخصوصية الثانية والتسعون يستحب السفر ليلتها »

أخرج الطبراني عن أم سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسافر يوم الخميس » • وأخرج في الأوسط عن كعب بن سعد قال « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر ويبعث بعثاً إلا يوم الخميس » وأصله في الصحيح ومن الأوسط أيضاً عن بريدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً خرج يوم الخميس »

« الخصوصية الثالثة والتسعون »

أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ثابت البناني قال بلغنا أن الله ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يطوفون ويكتبون من صلى ليلة

الجمعة ويوم الجمعة في جماعة»

«الخصوصية الرابعة والتسعون»

أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق محمد بن عكاشة عن محمود بن معاوية ابن حماد الكرماني عن الزهري قال «من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله أحد ألف مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه»

(الخصوصية الخامسة والتسعون زيارة الاخوان في الله)

أخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) الآية قال ليس لطلب دنيا ولكن لزيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

(الخصوصية السادسة والتسعون)

(لاتكره فيه الصلاة بعد الصبح ولا بعد العصر عند طائفة)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن طاوس قال يوم الجمعة صلاة كله وان صح ذلك كان فيه تأكيد لكون ساعة الاجابة قبل الغروب ولا يرد انها ليست بساعة صلاة *

(الخصوصية السابعة والتسعون)

أخرج المارقلقي في الفرائب والخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة فذلك مائتا مرة في أربع ركعات لم يبت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له» *

«الخصوصية الثامنة والتسعون»

أخرج الديلمي عن عائشة مرفوعاً «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة» *

« الخصوصية التاسعة والتسعون »

أخرج ابن سعد في طبقاته عن الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة يقول عبادي جاؤني سعيًا يتعرضون لرحمتي فاشهدكم اني غفرت لمحسنهم وشغفت محسنهم في مسيئتهم واذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك »

« الخصوصية الموفية للمائة »

قال الخطيب في تاريخه أخبرني محمد بن احمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي حدثني ابو علي الحسين بن علي الحافظ حدثنا ابو جعفر احمد بن حمدان العابد حدثنا اسحاق بن ابراهيم القفصي حدثنا خالد بن يزيد العمري ابو الوليد حدثنا ابن ابي ذئب حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعي به على شيء من المشرق الى المغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا انت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام

« الخصوصية الحادية بعد المائة »

أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الايام يوم القيامة على هبتها ويبعث الجمعة زهرة منيرة أهلها يحضون بها كالعروس تهدي الى كريمها تضيء لهم بمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج يياضاً وريحهم بسطع كالسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد الا للؤذنون المحسبون • هذا آخر خصائص الجمعة والله أعلم •

(تمت الرسالة)

تفسير

سورة الكوثر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

« المتوفى سنة ٧٢٨ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • إن شانئك هو الأبتر •

قال شيخ الاسلام أبو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رحمه الله
سورة الكوثر ما أجلها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة
معناها تعلمها من آخرها فانه سبحانه تعالى يبتز شانيء رسوله من كل خير فيبتز
ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويبتز حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود
فيها صالحاً لمعاده فيبتز قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفة ومحبة والايان برسله
ويبتز أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتزه من الانصار فلا يجد له ناصرأ ولا عوناً
ويبتز جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة وان
بأشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء من شنأ ما جاء به الرسول
ورده لاجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شنأ آيات الصفات
وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وحملها على ما يوافق

مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن أقوى علامات شنأته لها وكراهته لها انه اذا سمعها حين يستند بها أهل السنة على ما دلت عليه من الحق اشماز من ذلك وحاد عن ذلك لما في قلبه من البغض لها فأبي شنأ للرسول أعظم من هذا وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد والمدفوف والشابات واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ في مجالسهم استطالوا ذلك واستنقلوه فأبي شيء اعظم من هذا وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب

وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى أن بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ويشغل بقول فلان وفلان ولكن من أعظم شنأه ورده من كفر به وجعله وجعله أساطير الاولين وسحراً يؤثر فهذا أعظم وأطم ابتتاراً وكل من شناه له نصيب من الابتتار على قدر شنيته له فهؤلاء شنؤه وعادوه جازاهم الله بأن يجعل الخير كله معادياً لهم فيترم منه وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذى آتاه الله فى الدنيا والآخرة فما أعطاه فى الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرة العين والنفس وانشرح الصدر ونعم قلبه بذكره ووجه بحيث لا يشبه نعيمه نعيم فى الدنيا البتة وأعطاه الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولايته باب الجنة وأعطاه فى الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم فى موقف القيامة الى غير ذلك وجعل للمؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم وهذا ضد حال الابتر الذى يشناه ويشنأ ما جاء به .

وقوله (شانئك) أي مبغضك والابتر المقطوع النسل الذى لا يولد له خير ولا عمل صالح فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح * قيل لابي بكر بن عياش ان بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن (م - ٢٩)

أهل السنة يموتون ويحيى ذكروهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكروهم لأن أهل السنة أحيوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البدعة أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم نصيب من قوله (إن شانئك هو الابتر) فالخدر الخدر أيها الرجل أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول أو ترده لاجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والاختذ بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله عن مخالفة أحداً ما فكان من اطيع أو يطاع تبعاً للرسول ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما اطيع

فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولا تتبدع تكن أبتر مردوداً عمك بل لاخير في عمل أبتر من الاتباع ولاخير في عامله : وقوله (إنا أعطيناك الكوثر) تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غنى واسع وانه تعالى وملائكته وجنده معه: صدر الآية بان الدالة على التأكيد وتحقيق الخبر وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق وانه أمر ثابت واقع ولا يندفعه ما فيه من الايذان بأن اعطاء الكوثر سابق بالفسد الاول حين قدرت مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين الف سنة وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين وأتى بالصفة أي انه سبحانه وتعالى قال (إنا أعطيناك الكوثر) والكوثر المعروف انما هو نهر في الجنة كما قد وردت به الاحاديث الصحيحة الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله إياه واذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات فما الظن بما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أعده الله له فيها فالكوثر علامة وامارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزيادتها وسمو المنزلة وارتقاعها وان ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأعلىها

وكذلك انه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى ونمامه كقوله زيد العالم زيد الشجاع أي لأعلم منه ولا أشجع وكذلك قوله (إنا أعطيناك الكوثر)

دل على انه اعطاه الخير كله كاملاً موفراً وان نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك ناله بركة اتباعه والاقتران به مع ان له صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء ففيه الاشارة الى ان الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينقص من أجورهم فانه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم فينبغي بل يجب على العبد اتباعه والاقتران به وأن يمثل ما أمره به ويكثر من العمل الصالح صوماً وصلاةً وصدقةً وطهارةً ليكون له مثل أجره فانه اذا فعل المحظور مع ترك المأمور قوى وزره وصعبت نجاته لارتكابه المحظور وتركه المأمور وان فعل المأمور وارتكب المحظور دخل فيمن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه ناله مثل أجر ما فعله من المأمور والى الله إياب الخلق وعليه حسابهم وهو أعلم بما لهم أي بأحوال عبادهم فان شفاعته لاهل الكبائر من أمته والمحسن انما أحسن بتوفيق الله له والمسيء لاجحة له ولا عنذر

والمقصود ان الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة وهذا غير ما يعطيه الله من الاجر الذي هو مثل أجور أمته الى يوم القيامة فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحاً أو علم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط أو تاب أو صبر أو توكل أو نال مقاماً من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك فله مثل أجره من غير أن ينقص من اجور ذلك العامل والله اعلم

وقوله (فصل لربك وانحر) أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك اللتان على القرب والتواضع وحسن الظن وقوة اليقين وطبأئنة القلب الى الله والى عدته وأمره وفضله وخلفه عكس حال أهل الكبر والتنفّر وأهل الفسنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم الى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر وتركاً لاعانة الفقراء واعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه والمقصود ان الصلاة والنسك وهو النحر هما أجل ما يتقرب به الى الله فانه أتى فيهما بالدالة على السبب لان فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة أفضل نهايات العبادة وغاية الغايات كأنه يقول (إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لاجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لانعامنا عليك وهما السبب لانعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فان الصلاة والنحر محفوفان بانعام قبلهما وانعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة وما يجتمع للبعد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب المهام العالية وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والثوق بما في يده أمر عجيب اذا قارن ذلك الايمان والاخلاص وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحرف في الأعياد وغيرها وفي قوله (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) إشارة الى انك لا تنأسف على شيء من الدنيا كما ذكر ذلك في آخر طه والحجرات وغير ذلك وفيها الإشارة الى ترك الالتفات الى الناس وما ينالك منهم بل صل لربك وانحر : وفيها التعريض بحال الابتغائي الذي صلته ونسكه لغير الله

وفي قوله (ان شانك هو الابتغائي) أنواع من التأكيد : أحدها تصدير الجملة بأن • الثاني الاينان بضمير الفصل الدال على قوة الاسناد والاختصاص • الثالث محيي الخير على افعال التفضيل دون اسم المفعول • الرابع تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وانه أحق به من غيره ونظير هذا في التأكيد قوله (لا تخف انك أنت الاعلى)

١- الكوثر ١- ٣

٢- سورة طه ٦٨

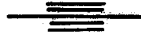
ومن فوائدها اللطيفة الالتفات في قوله (فصل لربك وانحر) الدالة على ان ربك مستحق لذلك وانت جدير بأن تعبدته وتنحرفه والله أعلم
(تمت الرسالة)

رسالة

في علم الباطن والظاهر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مسألة) في طائفة من المتفكرة يدعون أن القرآن باطناً وان لذلك الباطن باطناً الى سبعة أبطن ويروون في ذلك حديثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن» ويفسرون القرآن بغير المعروف عن الصحابة والتابعين والائمة من الفقهاء ويزعمون أن علياً قال لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حمل جعل ويقولون انما هو من علنا إذ هو اللذي ويقولون كلاماً معناه أن رسول صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم فانه امر قوماً بالامساك وقوماً بالانفاق وقوماً بالكسب وقوماً بترك الكسب ويقولون ان هذا ذكرته أشياخنا في العوارف وغيره من كتب المحققين وربما ذكروا أن حذيفة كان يعلم أسماء المناققين خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث أبي هريرة «حفظت جرابين من علم» ويروون كلاماً عن أبي سعيد الخراز أنه قال : للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة يتكلمون فيها بلسان الابدية يخبرون عنها بلسان الازلية ويقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان من العلم كهيئة الخزون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل

الغرة بالله» فهل ما ادعوه صحيحا أم لا . فسيدي يبين لنا مقالاتهم فان المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدى قال : ألف أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه حقائق التفسير ان صح عنه فقد كفر ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه الطائفة منه وما شابهه فما رأى سيدي في ذلك وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «للقرآن باطن» الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعا أفتونا مأجورين

أجاب الشيخ رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور فمن الاحاديث المختلة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفا أو مرسلا «أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعا» وقد شاع في كلام كثير من الناس : علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع لكن نذكر هنا جملا من ذلك فنقول : قول الرجل : الباطن اما أن يريد علم الامور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والاحوال والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل واما أن يريد العلم بالباطن الذي يظن عن فهم أكثر الناس أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك فاما الاول فلا ريب ان العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب ومنه ما هو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم ومنه ما يتعلق بالغييب وهو ما غاب عن احساسهم وأصل الايمان هو الايمان بالغييب كما قال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغييب) والغييب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الامور العامة ويدخل في ذلك الايمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بالغييب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما ذكر الله تعالى في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين) وقال

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً) والعلم بأصول القلوب كالعالم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والارادات الصحيحة والفاسدة والعلم بمعرفة الله ومحبته والاخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والانابة اليه والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمر باطلة في القلوب ونحوه قد يقال له علم الباطن أى علم بالامر الباطن فالمعلوم هو الباطن وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم بل غالبه أى القرآن هو من هذا العلم فان الله أنزل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين فان اعتقاد القلب أصل لقول اللسان وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن كما قال ابو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك حلأت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده * وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالايمان ودفع النفاق كان منافقاً ان ظهر الاسلام فان الاسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية ولكن الايمان في القلب كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وكلام الصحابة والتابعين والاحاديث والآثار في هذا أكثر منها في الاجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير ولكن هذا العلم ظاهر موجود مقول باللسان مكتوب في الكتب ولكن من كان بأمر القلب اعلم كان أعلم به وأعلم بمعاني القرآن والحديث وعامة الناس يجدون هذه الامور في أنفسهم ذوقاً ورجداً فتكون محسوسة لهم بالهس الباطن لكن الناس في حقائق الايمان متفاضلون تفاضلاً عظيماً فأهل الطبقة العليا يطولون أهل السفلى من غير

عكس كما ان أهل الجنة في الجنة ينزل الاعلى الى الاسفل ولا يصعد الاسفل الى الاعلى والعالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً فلهدا كان في حقائق الايمان الباطنة وحقائق أبناء الغيب التي اخبرت بها الرسل مالا يعرفه الا خواص الناس فيكون هذا العلم باطناً من جهتين من جهة المعلوم باطناً ومن جهة كون العلم باطناً لا يعرفه أكثر الناس ثم ان هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل مالا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة

فصل

وأما اذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لا يخالف فأما الاول فباطل فمن ادعى علماً باطناً أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً أما ملحدنا زنديقاً وإما جاهلاً ضالاً وأما الثاني فهو بمنزلة العلم الظاهر قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً فإن الباطن اذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فإن علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم وعن وافقهما من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين وشر هؤلاء القرامطة فأنهم يدعون ان للقرآن والاسلام باطناً يخالف فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج السفر الى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون أن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا بالذوات والنار هي التزام الشرائع والنحول تحت أبقالها ويقولون ان الدابة التي يخرجها الله هي العالم الناطق بالعلم في كل وقت وان اسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا وجبريل هو العقل الفعال

الذي تفيض منه الموجودات والقلم هو العقل الاول الذي تزعم الفلاسفة انه المبدع الاول وأن الكواكب والقمر والشمس التي رآها ابراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود وأن الانهار الاربعة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الاربعة وأن الاشياء التي رآها في السماء هي الكواكب قادم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وامثال هذه الامور فقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين المتصوفين لكن اولئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفروهم ولكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون علياً على أبي بكر وفيهم من يفضل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وامثاله ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن وأن هذا العلم أفضل من جهة: وأبو بكر كان أعلم بالظاهر وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم فانهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر أعلم الامة بالباطن والظاهر وحكى الاجماع على ذلك غير واحد وهؤلاء الباطنية قد يفسرون (وكل شيء أحصيناه في امام مبین) أنه على ويفسرون قوله تعالى (ثبت يدا ابي لهب وتب) بأنهما ابوبكر وعمر وقوله (فقاتلوا أئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير و(الشجرة الملعونة) في القرآن بأنها بنو أمية

وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى (اذهب الى فرعون) أنه القلب و (إن الله يأمركم ان تدبخوا بقرة) أنها النفس ويقول (اولئك) هي عائشة ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره ويجمعون (خلق النملين) ترك الدنيا والآخرة ويفسرون الشجرة التي كلم منها موسى والوادي المقدس ونحو ذلك بأحوال تعرض للقلب عند حصول المعارف له ومن سلك ذلك صاحب مشكاة الانوار وامثاله وهي مما أعظم المسلمون انكاره عايبه وقالوا أمرضه الشقاء وقالوا دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر . ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول انها

١ - يس ١٢

٢ - للسد ١

٣ - التوبة ١٢

٤ - الاسراء ٦٠

٥ - طه ٢٤

٦ - البقرة ٦٧

مكتوبة عليه وآخرون يقولون بل رجع عنها وهذا أقرب الأقوال فانه قد صرح بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم لا توصل الى المطلوب

وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والالم لا بآيات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها وقد وقع في هذا الباب من كلام كثير من متأخري الصوفية ما لم يوجد مثله من أئمتهم ومتقدميهم كما وقع في كلام كثير من متأخري أهل الكلام والنظر من ذلك ما لا يوجد من أئمتهم ومتقدميهم: وهؤلاء المتأخرون مع ضلالهم وجهلهم يدعون أنهم أعلم وأعرف من سلف الأمة ومتقدميها حتى آكل الأمر بهم الى أن جعلوا الوجود واحداً كما فعل ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله كأنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدعون مع ذلك ان الشيوخ المتقدمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم الخواص وغيرهم ماتوا وما عرفوا التوحيد وينكرون على الجنيد وأمثاله اذا ميزوا بين الرب والعبد كقوله التوحيد أفراد الحدوث عن القوم ولعمري ان توحيدهم الذي جعلوا فيه وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الالحاد الذي انكره المشايخ المهتدون وهم عرفوا أنه باطل وأنكروه وحذروا الناس منه وأمرهم بالتمييز بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث وأن التوحيد ان يعلم مباينة الرب لمخلوقاته وامتيازها عنها وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ثم أنهم يدعون أنهم أعلم بالله من المرسلين وان الرسل انما تستفيد معرفة الله من مشكأهم ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل كقولهم (عما خطبتهم) فهي التي خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وقولهم ان العذاب مشتق من العذوبة ويقولون ان كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان القم ويفسرون قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) أعلم

الظاهر بل ختم الله على قلوبهم فلا يعلمون غيره وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره فانه لا غير له فلا يرون غيره أو يقولون في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) ان معناه قدر ذلك انه ليس موجود سواه فلا يتصور ان يعبد غيره فكل من عبد الاصنام والعجل ما عبد غيره لانه ماتم غير وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً انها مخالفة لما جاءت به الرسل كوسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين : وجماع القول في ذلك ان هذا الباب نوعان أحدهما ان يكون المعنى المذكور باطلا لكونه مخالفاً لما علم فهذا هو في نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه إلا باطلا لان الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق : والثاني ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه اشارات : وحقائق التفسير لابي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير . وأما النوع الاول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين في اصول دينهم فان من علم ان السابقين الاولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه علم ان كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد اقرى : ومن علم ان الحر والفواحش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً يقتضى تحليل ذلك لبعض الناس انه مفتر : وأما النوع الثاني فهو الذي يشبه كثيراً على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحاً للدلالة الكتاب والسنة عليه ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دل عليه وهذا قسمان أحدهما ان يقال ان ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا اقرار على الله فمن قال المراد بقوله (تذبحوا بقرة) هي النفس وبقوله (اذهب الى فرعون) هو القلب (والذين معه) أبو بكر (أشداء على الكفار) عمر (رحماء بينهم) عثمان (ركعاً سجداً) على فقد كذب على الله أما متعمداً وأما مخطئاً

والقسم الثاني أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لان باب دلالة

١ - الاسراء ٢٣

٢ - البقرة ٦٧

٣ - طه ٢٤

٤ - الفتح ٢٩

اللفظ فهو من نوع القياس فالذي نسميه الفقهاء قياساً هو الذي نسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم الى صحيح وباطل كاتقسام القياس الى ذلك فمن سمع قول الله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) وقال انه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فعانى القرآن لا يدبرها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً؛ ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف قال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وأمثال ذلك : وكذا من قال لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) وأمثال ذلك

وكتاب حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع :
أحدها نقول ضعيفة عن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق فان أكثره باطل عنه والائمة فيه من موقوف ابن عبد الرحمن وقد تكلم أهل المعرفة في نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقي اذا حدث عنه يقول حدثنا من أصل سماعه : والثاني أن يكون المنقول صحيحاً لكن لعل الناقل أخطأ فيما قال والثالث منقول صحيح عن قائل مصيب فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره اذا فسر به الخطاب فهو خطأ وان ذكر على سبيل الاشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلا : وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مقرر على الله ما حدث في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والانحاد وهو معلوم

١ - الواقعة ٧٩

٢ - البقرة ٢٠١

٣ - آل عمران ١٢٨

٤ - اللائدة ١٦

٥ - اللائدة ٤١

٦ - الأعراف ١٤٦

البطلان بالاضطرار من دين الاسلام

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم لو شئت
 لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ فهذا اذا صح عن نقل عنه كعلي وغيره
 لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح
 الموافق للظاهر الصحيح وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر
 المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً ولكن ينبغي أن يعرف أنه كذب على
 علي واهل بيته لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة
 حتى ان الاسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم اليه وكذلك المعتزلة وكذلك
 خرقه التصوف يقولون ان الحسن البصري صحبه وانه دخل المسجد فرأى الحسن
 يقص مع القصاص فقال ما صلاح الدين قال الورع قال فما فسادك قال الطمع
 فأقره واخرج غيره: وقد اتفق اهل المعرفة بالمتقوليات ان الحسن لم يصحب علياً
 ولم يأخذ عنه شيئاً وانما اخذ عن اصحابه كالأحنف بن قيس وقيس بن سعد
 ابن عباد واماها ولم يقص الحسن في زمن علي بل ولا في زمن معاوية وانما
 قص بعد ذلك وقد كان في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه
 كما ثبت في الصحيحين «انه قيل له هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب
 يقرؤونه فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا هذه الصحيفة وفيها اسنان
 الابل وفكالك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر» وفي لفظ «هل عهد اليكم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يعهد الى الناس فقال لا» وفي لفظ «الا فهم يؤتبه
 الله لعبد في كتابه»

واما العلم اللذي فلا ريب ان الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين
 وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم بما يحبه ما لا يفتح به
 على غيرهم وهذا كما قال علي والافها يؤتبه الله عبداً في كتابه: وفي الأثر (من
 عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كتوله
 (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تبتيتاً واذا لا تيناهم من لدنا

اجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً) فقد اخبر انه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) وقال تعالى (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)^(١) واخبر ان اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) اى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وتقلب افئدتهم اى يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا اول مرة اى ما يدريكم انه لا يكون هذا وهذا حينئذ

ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال ان بمعنى العمل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ انها احسن من قراءة الكسر وهذا باب واسع والناس في هذا الباب على ثلاثة اقسام طرفان ووسط فقوم يزعمون ان مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر * وقوم يقولون لا اثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالادلة الشرعية او العقلية واما الوسط فهو ان ذلك من اعظم الاسباب معاونة على نيل العلم بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً بل لا بد من امر آخر اما العلم بالادلة فيما لا يعلم الا به واما التصور الصحيح لطرفي القضية بالعلوم الضرورية : واما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل الا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل قال تعالى (فاما يايتنكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل

١ - النساء ٦٦-٦٨

٢ - المائدة ١٦

٣ - عم ١٧

٤ - الكهف ١٣

٥ - البقرة ٢

٦ - المجاثية ٢٠

٧ - الاعراف ٢٠٢

٨ - الصف ٥

٩ - الانعام ١٠٩-١١٠

ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فتسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن) الخ وقال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين) ^٢ فمن ظن ان الهدى والايان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل : واضل منهما من سلك في العلم وللعرفة طريق اهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة والالعمل بموجب العلم أو سلك في العمل والزهد طريق اهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع وأعرض اولئك عن العمل والشرع فضل كل منها من هذين الوجهين وتباينوا تبايناً عظيماً حتى اشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم واشبه هؤلاء النصارى الضالين بل صار كل منها شراً من اليهود والنصارى كالقرامطة والامخادبة وامثالهم من الملاحدة الفلاسفة .

فصل

واما قول القائل ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم الخ فهذا الكلام له وجهان ان اراد به ان الاعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف احوالهم فهذا لا ريب فيه فانه ليس ما يؤمر به الفقير كما يؤمر به الغنى ولا ما يؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح ولا ما يؤمر به عند المصائب هو ما يؤمر به عند النعم ولا ما تؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة ولا ما تؤمر به الائمة كالذى تؤمر به الرعية فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع احوالهم كما قد يشتركون في اصل الايمان بالله وتوحيده والايان بكتبه ورسوله : وان اراد به ان الشريعة في نفسها تختلف وان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب زيدا بخطاب يناقض ما خاطب به عمراً او اظهر لهذا شيئاً يناقض ما اظهره لهذا كما يرويه الكذابون ان عائشة

١ - طه ١١٣ - ١١٧

٢ - الزخرف ٣٦

سألته هل رأيت ربك فقال لا وسأله أبو بكر فقال نعم وأنه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين فهذا من كلام الكذابين المفترين بل من كلام الملاحدة المنافقين فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما ينبغي لني أن تكون له خائنة الاعين » والحديث في سنن أبي داود وغيره وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سرح فجاء به عثمان ليبيع النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ثم قال أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أعرضت عن هذا فيقتله فقال بعضهم هلا أمضت إلي يارسول الله فقال « ما ينبغي لني أن تكون له خائنة الاعين » وهذا مثاله في استواء ظاهره وباطنه وسره وعلايته وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكابرين المنافقين ولأريب ان القرامطة وأمثالهم من الفلاسفة يقولون أنه أظهر خلاف ما أبطن وأنه خاطب العامة بأمر أراد بها خلاف ما أفهمهم لأجل مصلحتهم إذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق: وقد زعم ذلك ابن سينا وأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من الفلاسفة والقرامطة الباطنية فإن ابن سينا كان هو وأهل بيته من أتباع الحاكم القرمطي العبيدي الذي كان بمصر وقول هؤلاء كما أنه من أكره الأقوال فجهلهم من أعظم الجهل وذلك أنه إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يعلمه أهل العقل والدكاء من الناس وإذا علموه امتنع في العادة تو طوهم على كتمانهم كما يمتنع تو طوهم على الكذب فإنه كما يمتنع في العادة تو طوهم الجميع على الكذب يمتنع تو طوهم على كتمان ما تتوفر لهمم والشواهي على بيانه ألا ترى الباطنية ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤوا عليه ماشاء الله حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم ورفع أستارهم ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ولا ثقة بما يجربون به ولا التزام طاعة ما يأمرونه وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يجبر

به وبما يأمر به وحينئذ فينتفض عليه جميع ما خاطب به الناس فانه مامن خطاب يخاطبهم به الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلا يتقون بأخباره وأوامره فيختل عليه الامر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم لا تجرد أحداً من موافقيهم الا ولا بد أن يبين ان ظاهره خلاف باطنه ويحصل لهم بذلك من كشف الاسرار وهتك الاستار ما يصيرون به من شرار الكفار واذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر فاما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكناً لغيرهم واما أن لا يكون فان لم يكن ممكناً كان مدعي ذلك كذاباً مفترياً فبطل قول هؤلاء للملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم وان كان العلم بذلك ممكناً علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر وليس لمن يعلم ذلك حد محدود بل اذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر . ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وامره لا يعتقدون باطن ما أخبر به ولا مأمراً بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد ولا نجد في أهل الايمان من يحسن بهم الظن بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلاً عن خواصهم وأيضاً فن كانت هذه حاله كل خواصه اعلم الناس بباطنه والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن ومن علم حال خاصة النبي صلى الله عليه وسلم كابي بكر وعمر وغيرهما من السابقين الاولين علم انهم كانوا اعظم الناس تصديقاً لباطن امر خبره وظاهره ووطاعتهم له في سرهم وعلانيتهم ولم يكن احد منهم يعتقد في خبره وامره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ودلهم عليه وارشدهم اليه ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف ما دل عليه لا فيما أخبر به الله عن اسمائه وصفاته ولا فيما أخبر به عما بعد الموت وان ما ظهر من هذا ما ظهر الا بمن هو عند الأمة من أهل النفاق والائحاد كالقرامطة والفلاسفة والمجهمية نفاق حقائق الاسماء والصفات ومن تمام

هذا ان تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص احداً من اصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانه عن غيره ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التي لا يمكن جوابها فيجيب بما ينفعه كالأعرابي الذي سأله عن الساعة والساعة لا يعلم متى هي فقال « ما اعدت لها ؟ فقال ما اعدت لها من كثير عمل ولكني أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب » فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب اصحابه بخطاب لا يفهمونه بل كان بعضهم اكل فهماً لكلامه من بعض كما في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله قال « ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختر ذلك العبد ما عند الله فبكي ابو بكر وقال بل تفديك بأنفسنا واموالنا يا رسول الله فجعل الناس يعجبون أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخبير وابو بكر أعلننا به » فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبداً مطلقاً لم يعينه ولا في لفظه ما يدل عليه لكن ابو بكر لكامل معرفته بمقاصد الرسول علم انه هو ذلك العبد فلم يخص عنهم بباطن يخالف الظاهر بل يوافقه ولا يخفي مفهوم لفظه ومعناه:

وأما ما يرويه بعض الكنايين عن عمر أنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كلزنجي بينهما » فهذا من أظهر الأكاذيب المتعلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم وهو من أظهر الكذب فان عمر أفضل الأمة بعد أبي بكر وهو المحدث الملمم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو أفضل مخاطبين المحدثين من هذه الأمة فلذا كان هو حاضراً يسمع الألفاظ ولم يفهم الكلام كلزنجي فهل يتصور ان يكون غيره افهم منه لذلك فكيف من لم يسمع ألفاظ الرسول بل يزعم ان ما يدعيه من المعاني هي تلك المعاني بمجرد الدعوى التي لو كانت مجردة لم تقبل فكيف اذا قامت اليقظة على كذب مدعيها

وأما حديث حذيفة فقد ثبت في الصحيح ان حذيفة كان يعلم السر الذي

لا يعلمه غيره وكان ذلك ما أسره اليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين فإنه روى أن جماعة من المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط عن بعيره فيموت وأنه أوحى اليه بذلك وكان حذيفة قريباً منه فأسر اليه أسماء م : ويقال ان عمر لم يكن يصلى على أحد حتى يصلى عليه حذيفة وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر فإن الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ما ذكره حتى ان سورة «براءة» سميت الفاضحة لكونها فضحت المنافقين وسميت المعتمة وغير ذلك من الاسماء لكن القرآن لم يذكر فلاناً وفلاناً فاذا عرف بعض الناس ان فلاناً وفلاناً من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه ان فلاناً وفلاناً من المؤمنين الموعودين بالجنة فاخبره صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة كاخبره ان أولئك منافقون وهذا اذا كان من العلم الباطن فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق له المطابق له ونظيره في الامر ما يسمى بتحقيق المناط وهو ان يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فنعلم ثبوته في حق الممين كأمره باستشهاد ذوى عدل ولم يعين فلاناً وفلاناً فاذا علمنا ان هذا ذو عدل كنا قد علمنا ان هذا الممين موصوف بالعدل المذكور في القرآن وكذلك ما حرم الله الحمر والميسر فاذا علمنا ان هذا الشراب المصنوع من الترة والصل خمرأ علمنا انه داخل في هذا النص فعلنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هذا الباب وهذا هو من تأويل القرآن وهذا على الاطلاق لا يعلمه إلا الله فان الله يعلم كل مؤمن وكل منافق ومقادير ايمانهم ونفاقهم وما ينجم لهم وأما الرسول فقد قال تعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) والله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على ما يشاء من ذلك

وأما حديث أبي هريرة فهو صحيح قال «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين فأما أحدهما فبنته فيكم وأما الآخر فلو بنته لقطعتم هذا البلعوم»

ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء بل ولا فيه من حقائق الدين وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفن فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار والفن ما يكون بين المسلمين ولهذا قال عبد الله بن عمرو لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة وأظهار مثل هذا مما تسكره الملوك وأعوانهم لما فيه من الاخبار بتغير دولهم: وما يبين هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خير فليس هو من السابقين الاولين ولا من أهل بيعة الرضوان وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحديثه وغيره بالحديث فيسهره كهم ولكن أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديث «أيكم يبسط نوبه فلا ينسى شيئاً سمعه ففعل ذلك أبو هريرة» وقد روى انه كان يجزى الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً يصلي وثلثاً يتام وثلثاً يدرس الحديث ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية ولا حديثاً يخالف الظاهر المعلوم من الدين ومن المعلوم انه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه احد شيئاً منه بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين وقد روى من احاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق اصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان .

وأما ما روى عن أبي سعيد الخراز وأمثاله في هذا الباب ما يذكره أبو طالب في كتابه وغيره وكلام بعض المشايخ الذي يظن انه يقول بباطن يخالف الظاهر وما يوجد من ذلك في كلام أبي حامد الغزالي أو غيره فالجواب عن هذا كله ان يقال ما علم من جهة الرسول فهو قتل مصدق عن قاتل معصوم وما عارض ذلك فاما ان يكون قتل عن غير صدق أو قولاً لغير معصوم فان كثيراً ممن ينقل عن هؤلاء كذب عليهم والصدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة وأخطأوا فيها أخرى وأكثر عباراتهم الثابتة ألفاظ مجملة متشابهة لو كانت من الفاظ المعصوم

لم تعارض الحكم المعلوم فكيف اذا كانت من قول غير المعصوم - وقد جمع أبو الفضل السهلي كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء لا ريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه اشياء من غلط أبي يزيد رحمة الله عليه وفيه اشياء حسنة من كلام أبي يزيد وكل أحسن الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم بريء. فعارضه الآخر^(١) وقال قلت لريدي ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم بريء، فصدق هذا النقل عنه ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما اخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكباثر وان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح و ابراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدي أبي يزيد أو غيره يمتنعون احداً من الامة من دخول النار أو يخرجون هم كل من دخلها كان ذلك كفراً منه بما اخبر به الصادق المصدق بحكاية منقولة كذب ناقلها او اخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما اخبر به الرسول كان من اجمل الناس بأصول الايمان - فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجهد في ان يعرف ما اخبر به الرسول وامر به علماً يقيناً وحينئذ فلا يدع الحكم المعلوم للمشبه المجهول فان مثال ذلك مثل من كان سائراً الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف منهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك: واما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق للمعرفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذا حال من ترك

(١) هكذا الاصل فليراجع فان المعارضة غير ظاهرة

المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمرو وكائن من كان فان كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في هذا الباب من عجائب الامور مالا يحصيه إلا العليم بذات الصدور

وأما الحديث المأثور «ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» فهذا قد رواه أبو اسماعيل الانصاري شيخ الاسلام في كتابه الذي سماه الفاروق بين المثبتة والمعطلة وذكر فيه احاديث الصفات صحيحها وغيريها ومسندها ومرسلها وموقوفها وذكره أيضاً أبو حامد الغزالي في كتبه: ثم هذا يفسره بما يناسب أقواله التي يميل فيها الى ما يشبه أقوال نقاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم

وذكر شيخ الاسلام عن شيخه يحيى بن عمار انه كان يقول المراد بذلك احاديث الصفات فكان يفسر ذلك بما يناقض قول أبي حامد من اقوال اهل الاثبات: والحديث ليس اسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة ولم يرو في أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج الى الكلام في تفسيره واذا قدر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كلام مجمل ليس فيه تعيين لقول معين فحينئذ فما من مدع يدعي ان المراد قوله الا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك: ولا ريب ان قول يحيى ابن عمار وأبي اسماعيل الانصاري ونحوهما أقرب من قول النقاة ان هذا العلم هو من علم النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وعمام الصحابة: ومن المعلوم ان قول النقاة لا ينقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه لا باسناد صحيح ولا ضعيف بخلاف مذهب المثبتة فان القرآن والحديث والآثار عن الصحابة مملوءة به فكيف يحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم على علم لم ينقله عنه احد ويترك حمله على العلم المنقول عنه وعن اصحابه وكذلك ما ذكره البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما يكرهون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف وأمثاله

على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات وهذا تحريف ظاهر فان قول علي
 أحببون أن يكذب الله ورسوله دليل على ان ذلك ما اخبر به النبي صلى الله
 عليه وسلم وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها
 مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لاصحياً ولا ضعيفاً فكيف يكذب
 الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله بخلاف ما رواه أهل الاثبات
 من أحاديث صفات الرب وملائكته وجنته وناره فان هذا كثير مشهور قد
 لا تحتمله عقول بعض الناس فاذا حدث به خيف أن يكذب الله ورسوله: ومن
 هذا الباب قول عبد الله بن مسعود «ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا يبلغه عقولهم
 الا كان فتنة لبعضهم» وابن مسعود فيما يقول ذا كراً أو أمراً من أعظم الناس اثباتاً
 للصفات وأرواهم لاحاديثها واصحابه من اجل التابعين وابلغهم في هذا الباب
 وكذلك اصحاب ابن عباس فكل من كان من الصحابة اعلم كان اثباته واثبات
 اصحابه ابليغ: فعلم ان الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون ولا يظهرون
 الاثبات ويبطنون النفي ولا يظهرون الامر ويبطنون امتناعه بل هم اقوم الناس
 في تصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما امره وهذا باب واسع دخل فيه من
 الامور ما لا يتسع الموضوع لتفصيله ولكن نعلم جماع الامران كل قول وعمل
 فلا بد له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه
 ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حر كالت ابدان وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه
 ومقاصد الانسان

فالمتفق لما اتى بظاهر الاسلام دون حقائق الايمان لم ينفعه ذلك وكان من اهل
 الخسران بل كان في الشرك الاسفل من النار قال تعالى (ومن الناس من يقول
 آما بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون
 إلا انفسهم وما يشعرون) الآيات فان الله انزل في اول سورة البقرة اربع آيات
 في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين
 وقال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال تعالى (لا يمزك الذين يسارعون
 في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) الآية : والملاحظة
 يظهر من موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فان
 المنافقين نوعان نوع يظهر الايمان ويبطن الكفر ولا يدعى ان الباطن الذي يبطنه
 من الكفر هو حقيقة الايمان والملاحظة تدعى ان ما تبطنه من الكفر هو حقيقة
 الايمان وان الانبياء والاولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر
 وتمطيل فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان
 عند اهل العرفان فلا يظهرون للمستجيب لهم ان باطنه طعن في الرسول والمؤمنين
 وتكذيب له بل يجمعون ذلك من كمال الرسول وتمام حاله وان الذي فعله هو
 الغاية في الكمال وانه لا يفعله إلا اكل الرجال من سياسته الناس على السيرة
 العادة وعمارة العالم على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقاً باطنا
 وظاهراً فيؤول امرهم الى ان يكون النفاق عندهم هو حقيقة الايمان: وقد علم
 بالاضطرار ان النفاق ضد الايمان ولهذا كان اعظم الابواب التي يدخلون منها
 بلب التشيع والرفض لان الرفض اجمل الطوائف واكذبها وابعدها عن معرفة
 المنقول والمعقول وهم يجمعون التقية من اصول دينهم ويكذبون على اهل البيت
 كذباً لا يحصىه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق انه قال : التقية ديني ودين
 آبائي . والتقية هي شعار النفاق فان حقيقتها عندهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس في
 قلوبهم وهذا حقيقة النفاق ثم اذا كان هذا من اصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون
 عن علي أو غيره من اهل البيت مما فيه موافقة أهل السنة والجماعة يقولون هذا
 قالوه على سبيل التقية ثم فتحوا باب النفاق للقرامطة الباطنية الفلاسفة من
 الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به
 خلاف ما أبطن وأسر به خلاف ما أعلن فكان حقيقة قولهم ان الرسول هو امام
 للتائقين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المبين للناس منازل اليهم المبلغ لرسالة
 ربه للمخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان

١ - للناققون

٢ - آل عمران ١٧٦

قومه ليين لهم) وقال تعالى (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً) وقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الاباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقالت الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين) وقال (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حجل وعليكم ما حجلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين)^١ وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فامسوا على رسولنا البلاغ المبين) وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) فهذا ونحوه مما يبين ان الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين — يقال بان الشيء وأبان واستبان وتبين وبين كلها أفعال لازمة : وقد يقال أبان غيره وبينه وتبينه واستبانه —

- ١ - ابراهيم ٤
- ٢ - الزخرف ٣
- ٣ - القمر ١٧
- ٤ - مريم ١٧
- ٥ - النحل ١٠٢
- ٦ - النحل ٤٤
- ٧ - القيامة ١٧ - ١١
- ٨ - من ٢٩

ومعلوم ان الرسل فعلوا ما عليهم بل أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتموه وذم كاتميه فقال تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وقال تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فقد لعن كاتميه وأخبر انه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتمياً ومن نسب الانبياء الى الكذب والكتمان مع كونه يقول انبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبينهم تناقضاً وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر

- ٩ - محمد ٢٤
- ١٠ - النحل ٢٥
- ١١ - يس ١٦ - ١٧
- ١٢ - التور ٥٤
- ١٣ - الثغافين ١٢
- ١٤ - للأنفة ٦٧
- ١٥ - ال عمران ٨٧
- ١٦ - البقرة ١٤٠
- ١٧ - البقرة ١٥٩

من سلك طريق بعض الصوفية والفقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك
 مسلك الباطنية في بعض الامور لاني جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة
 عن بعض الخواص أو حل الحمر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقاً
 الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر
 ويظنون ان الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الاولياء ما جاز له من
 الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين : أحدهما ان الخضر لم يخرج
 عن الشريعة بل الذي فعله كان جائزاً في شريعة موسى ولهذا لما بين له الاسباب
 أقره على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الاسباب التي
 بها أبيضت تلك كالمالك الظالم فذكر ذلك له الخضر . والثاني ان الخضر لم يكن
 من أمة موسى ولا كان يجب متابعتة بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه
 الله لاتعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه وذلك ان دعوة
 موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه
 وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطناً وظاهراً فليس
 لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعتة لاني الباطن ولاني الظاهر لامن الخواص
 ولامن العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون
 الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل الطريق المقتدى بهم دع عنك
 سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب ختم
 الاولياء بكلام ذكر انه يكون في اخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة
 وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه
 من البلد بسبب ذلك ولاريب انه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لاريب فيه
 ومن هناك ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعة يدعي كل واحد انه خام
 الاولياء كابن عربي صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرها وصار
 بعض الناس يدعي ان في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر
 وعمر والمهاجرين والانصار الى امثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو

باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الامر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا ان من شهدها سقط عنه الامر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) وهؤلاء شر من القدرية المعترلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالتسدير فان اولئك يشبهون الجحوش وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس: وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً بخلاف ظاهره فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافق ظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما ان الانسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبو هريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأمدم بروج منه) وقال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء) وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن

١ - الأنعام ١٤٨

٢ - المائدة ٢٢

٣ - التفتح ٤

٤ - الأنعام ١٢٥

٥ - الزمر ٢٣

٦ - الأنفال ٢

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وأمثال هذا كثير في القرآن
وقال في حق الكفار (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال (ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وأمثال ذلك فنسأل الله
العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا بمنه
وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً

﴿ ختم الرسالة ﴾



١ - الرعد ٢٨

٢ - للأنبياء ٤١

٣ - البقرة ٧

وقد طبعت هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة
بعد مراجعتها على نسخة موجودة في المكتبة الإلهية المصرية نمرها ٢٤٣٦
فن التصوف .

رسالة

في رفع اليدين في الصلاة

« للشيخ الامام »

تقي الدين السبكي • المتوفى سنة ٨٧٥٦هـ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الاحاديث الواردة في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ملخصة لخصها الشيخ الامام العالم مفتي المسلمين قاضي القضاة تقي الدين ابو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي الشافعي احسن الله توفيقه آمين
عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك » رواه البخاري ومسلم • وفي رواية البيهقي « فما زالت تلك صلاته حتى لقي الله تعالى » • عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث « إذا صلى كبر ورفع يديه إذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا أراد رفع رأسه من الركوع رفع يديه وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع هكذا » رواه البخاري ومسلم • وفيه في سنن أبي داود عن مالك بن الحويرث قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع » • عن وائل بن حجر رضى الله عنه وهو من أولاد الملوك « أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبر وصفها حيا لآذنيه ثم

(١) أعد هذه الرسالة من مصنفات والده تاج الدين السبكي في طبقات النفعية

التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرجه يديه من الثوب ثم رفعها ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه « رواه مسلم في صحيحه ورواه البخارى في كتاب رفع اليدين » وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم قتادة وأبو أسيد وسهل بن سعد ومحمد بن مسلمة « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه » رواه جماعة منهم أبو داود والبخارى في كتاب رفع اليدين وغيرهما بأسانيد صحيحة وأصله في البخارى « عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه مرفوعا والبخارى في كتاب رفع اليدين موقوفا والبيهقي مرفوعا بعضهم يزيد على بعض وسنده صحيح * عن أبي هريرة رضي الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الصلاة حذو منكبيه حين يفتتح الصلاة وحين يركع وإذا رفع للسجود » رواه أبو داود والبخارى في كتاب رفع اليدين * عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الظهر يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له * عن أبي موسى رضي الله عنه « قال هل أريكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ورفع يديه للركوع ثم قال سمع الله لمن حمده ورفع يديه ثم قال هكذا فاصنعوا » رواه الدارمي * عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما « أنه صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم وحين يركع وحين يسجد وحين ينهض قال ميمون فانطلقت الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان أحبيت أن تنظر الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدوا بصلاة ابن الزبير » رواه أبو داود * عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصلي هكذا « يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا رفع رأسه من الركوع وقال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يفعل مثل ذلك »

رواه البيهقي وقال رواه ثقات عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع »
 رواه الدارقطني عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه « أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويصنعه إذا رفع من الركوع » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني والطحاوى والبخاري في كتاب رفع اليدين وقال الترمذي حسن صحيح *
 وسئل احمد عنه فقال صحيح عن عمر الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة » رواه ابن ماجه * عن البراء بن عازب رضى الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه وإذا أراد أن يركع وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه الحاكم ثم البيهقي * عن النضر بن كثير « قال صلى إلى جنبي ابن طاووس فكان إذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منه رفع يديه تلقاء وجهه فقال ابن طاووس رأيت أبي يصنعه وقال اني رأيت ابن عباس رضى الله عنهما يصنعه ولا أعلم الا أنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يصنعه » رواه أبو داود والنسائي * عن حميد بن هلال قال حدثني من سمع العرابي يقول « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يصلي يرفع » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين *
 حديث مرسل * عن قتادة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع » رواه عبد الرزاق في جامعه * حديث آخر مرسل عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يكبر رفع يديه لا تجاوز أذنيه وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه لا يجاوز أذنيه » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة: حديث عن سليمان « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه في الصلاة » رواه مالك في الموطأ
 عدة الصحابة الذين نقل عنهم رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومالك بن الحويرث وريد بن ثابت وإبي بن كعب وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس والحسين بن علي والبراء بن عازب وزباد بن الحارث وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة وسليمان وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وبريرة وأبو هريرة وعمار بن ياسر وعدى ابن عجلان وعمير الليثي وأبو مسعود الانصاري وعائشة وأبو الدرداء وابن عمر وابن الزبير وأنس ووائل بن حجر وأبو حميد وأبو أسيد ومحمد بن سلمة وجابر وعبد الله بن جابر البياضي واعرابي صحابي فمؤلا، ثلثة وأربعون صحابيا رضى الله عنهم رواه منهم الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة: العلماء القائلون برفع اليدين الصحابة لم يستثن منهم واحد ولم يصح عن أحد منهم تركه: ومن التابعين فمن بعدهم علماء أهل مكة والمدينة والحجاز واليمن والشام واكثر أهل العراق والبصرة واكثر أهل خراسان منهم سعيد بن جبير وعطاء ابن رباح ومجاهد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد العزيز والنعمان بن أبي عباس والحسن البصري وابن سيرين وطاوس ومكحول وعبد الله بن دينار ونافع والحسن بن مسلم وقيس بن سعد وابن المبارك وعامة أصحابه: ومحدثو أهل بخارى منهم عيسى بن موسى وكعب بن سعيد ومحمد بن سلام وعبد الله ابن محمد السندي والاوزاعي ومالك بن أنس في مشهور قوله والشافعي واحمد واسحق ويعقوب والحيمدي وابن المديني وابن معين وأهل الظاهر: وذهب الاوزاعي والحيمدي وجماعة غيرها الى أنه واجب وأنه يفسد الصلاة بتركه ومن الدليل لوجوبه أن مالك بن الحويرث رضى الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفعل في الصلاة وقال له ولاصحابه «صلوا كما رأيتموني أصلي» والامر للوجوب وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا رأى رجلا لا يرفع يديه رماه بالحصى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة

في الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

تأليف

« شيخ الاسلام »

الحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفى سنة ٨٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله غافر الذنوب وان عظمت كاشف الكرب ولو استحكمت احده
والحمد له من أوثق عرى الايمان واشكره واشكر له سبب مزيد الامتان وأشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله الى
الناس رحمة شاملة وبركة كاملة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هاجروا معه
والذين نصره والذين اتبعوا ما أنزل اليه من ربه فوازره ووافدوه وعلى
الذين اتبعوهم باحسان والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان صلاة وسلاماً دائماً ما تعاقب الملوان ومجدد الجديدان:
وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة
نحت معنى واحد رائق وهو العمل بما ورد الوعد فيه بقران ما تقدم من الذنوب
وما تأخر على لسان المصدوق الصادق وقد رتبنا على الابواب ليسهل كشفها

على الطلاب وسميتها بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والتأخرة: وقبل الشروع في ايراد الاحاديث فقد أردت ان أذكر شيئاً من كلام الأئمة هنالك في جواز وقوع ذلك فمن ذلك ان الأئمة رضى الله عنهم تكلموا على قوله صلى الله عليه وسلم في أهل بدر « ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » بالجزم والرواية الاخرى « لعل الله » وقوله اعملوا للتكريم والمراد ان كل عمل عمله البدرى لا يؤاخذ به وقيل ان افعالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع وقيل أنهم حفظوا فلا تقع منهم سيئة: ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة وانه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة وهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب

ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً طيب النفس فقلت يا رسول الله ادع الله لى فقال: اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت » الحديث « وقال لعمر رضى الله عنه « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما هو كائن الى يوم القيامة » فدعاء المعصوم بذلك لبعض امته دل على جواز وقوع ذلك واذا علم انه تعالى مالك كل شيء له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع ان يعطى من شاء ما شاء (ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فلنشرع في ايراد ما وعدنا به والله سبحانه أسأل ان ينفع به انه قريب مجيب لا إله الا هو عليه توكلت واليه أنيب

(من كتاب الطهارة) قال ابو بكر بن ابى شيبة في مصنفه ومسنده معا من رواية حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان قال « دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء في ليلة باردة وهو يريد الخروج الى الصلاة فجمته بماء فاكثر تردد الماء على وجهه ويديه فقلت له حسبك قد أسبغت الوضوء واليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ الوضوء عبد إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه ايضاً ابو بكر احمد بن علي

المروزي شيخ النسائي والبخاري في مسنده وأصل الحديث في الصحيحين لكن ليس فيهما « وما تأخر »

﴿ من كتاب الصلاة ﴾ قال أبو عوانة الاسفرائيني في مستخرجه الصحيح على مسلم من رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال « وفي رواية محمد بن عامر » من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد ان لا اله الا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » وفي رواية محمد بن عامر « رسولاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل يا سعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا الحديث أخرجه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى وليس عندهم « وما تأخر »

﴿ حديث صلاة التسبيح ﴾ قال ابو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عمه ألا أعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته ان تصلى اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركب فتقولها وانت راكع عشراً ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ثم تهوى ساجداً فتقولها وانت ساجد عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصلبها في كل يوم مرة فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك » هكذا اوردته ابو داود والترمذى وأورده ابن خزيمة وله شواهد أخر

(حديث في التأمين في الصلاة) قال ابن وهب في مصنفه ان أبا هريرة رضى الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أمن الامام فأمنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا روينا في المجلس الثاني من أمالي عبدالله الجرجاني وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه وليس فيه « ماتأخر »

(حديث في فضل الضحى) قال آدم بن اياس في كتاب الثواب عن علي كرم الله وجهه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ورفع له مائتي درجة وغفر له ذنوبه كلها ماتقدم منها وماتأخر الا القصاص » لكن اسناده ضعيف جداً

(حديث في فضل القراءة بعد الجمعة) قال أبو عبدالرحمن السلمى عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا سلم الامام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعمائة سبعمائة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطى من الاجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر » هكذا رواه أبو الاسعد القشيري وفي اسناده ضعف شديد جداً وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما « من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الاخرى » وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر فاتحة الكتاب وقال « حفظ وكفى من مجلته ذلك الى مثله »

(حديث في فضل الصيام) قال الامام احمد في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا أخرجه الامام احمد في مسنده : ورواه مسلم وغيره من طرق كثيرة من غير « وماتأخر » : وقال النسائي في السنن الكبرى له عن أبي هريرة

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية أبي قتيبة « غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه « وفي حديث قتبية « وما تأخر » كذا رواه النسائي عن قتبية وتابعه حامد بن يحيى رضى الله عنه (حديث في فضل قيام ليلة القدر) قال الامام احمد في مسنده عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتن فان الله يفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » هذا حديث رجاله ثقات : وفي طريق أخرى عن عبادة رضى الله عنه أيضاً « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها إيماناً واحتساباً ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وذكر الطبراني في المعجم نحوه

(حديث في صيام يوم عرفة) قال ابو سعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقد ثبت في صحيح مسلم انه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبله فلعل ذلك المراد من قوله « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (من كتاب الحج : حديث في فضل الالهلال من المسجد الاقصى) قال ابو داود في كتاب السنن له عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أنهى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » شك عبدالله ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال « فيه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة » هكذا نسخته بو او وليس قبلها الف : ورواه البخاري

في تاريخه الكبير ولم يذكر فيه « وما تأخر »

(حديث في فضل الحج الخالص) قال ابو نعيم في الحلية من رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في من دعا له » : (حديث في ذلك) قال ابو عبد الله بن مندة في أماليه عن عائشة رضي الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حوز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق درهم في ذلك الوجه يعدل الف الف في ماسواه في سبيل الله » ورويناه في الجزء السابع من كتاب الترغيب لابن حفص عمر بن شاهين * (حديث آخر في ذلك) أخرج احمد بن منيع في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير * كذلك حديث آخر ذكر القاضي عياض في الشفا « ان من صلى خلف مقام ابراهيم ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين »

(حديث في فضل قراءة آخر سورة الحشر) قال أبو اسحق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

(حديث في فضل تعليم الولد القرآن) قال أبو بكر بن لال في كتاب مكارم الاخلاق عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علم ابنه قرأ آناً فكلمها قرأ آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهي الى آخر ما معه من القرآن »

(حديث في فضل التسييح والتهيل والتكبير) قال أبو عبد الله محمد بن حيان في فوائد الاصفهانيين « عن أم هانيء رضي الله عنها وكانت تكثر الصيام

والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفا فقال سأخبرك بما هو عوض عن ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تمتقيها متقبلة وتحمدين الله مائة مرة فذلك مائة بدنة تهديها متقبلة وتكبرين الله مائة مرة وهناك يفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «من عد في البحر أربعين موجة وهو يكبر الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وان الامواج لتحت الذنوب حثا» (من كتاب الجهاد: حديث في فضل الرباط بمعكاه) قال أبو الحسن الربيعي في كتاب فضائل الشام عن أنس رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجليلين يقال لها عكاه من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملاً الله بطنه نوراً ومن أفاض منها كان طاهراً الى يوم القيامة» استاده مجهول

(حديث في فضل قود الاعمى) خرج أبو عبد الله بن مندة في أماليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» قال عبد الله هو غريب وقال الامام احمد وابن معين وأبو داود واهل ثقات

(حديث في فضل السعي في حاجة المسلم) أخرج أبو احمد عبد الله بن محمد والمفسر الناصح عن أنس رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجته قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة تان براءة من النار وبرائة من النفاق»

(حديث في فضل المصافحة) قال الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «قال ما من عبد من متحابين في الله» وفي رواية «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى يفرقهما ما تقدم منهما وما تأخر» أخرجه ابن حبان

(حديث في فضل الحمد عقيب الاكل) قال أبو داود في السنن عن سهل ابن معاذ بن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اسناده حسن وسهل بن معاذ بن أنس هو الجهني المصري تابعي مشهور بالصدق

(حديث في فضل التعمير في الاسلام) وقع لنا من حديث عبد الله بن ابى بكر الصديق ومن حديث عثمان بن عفان ومن حديث شداد بن أوس ومن حديث أبى هريرة ومن حديث ابن عباس ومن حديث عبد الله بن عمر ومن حديث أنس رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن أبى بكر الصديق رضي الله عنهما فقال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن عبد الله بن أبى بكر الصديق رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فإذا أبلغ سبعين سنة أحبته الملائكة » وفي رواية « أهل السماء فإذا بلغ ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته » وفي رواية غير البغوي « شفعه الله في أهل بيته يوم القيامة » وأما حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه فروى الترمذي عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله جل ذكره إذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلى الثلاث من الجنون والجذام والبرص فإذا أبلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً فإذا بلغ ستين سنة حببت اليه الانابة فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة فإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهل بيته » وأما حديث شداد بن أوس رضي الله عنه فقد أخرجه ابن حبان من طريق زيد بن

الحجاب فذكر نحو ماتقدم : وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال الترمذى الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ أربعين سنة وهو العبر منه الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة وهو في ادبار من قوته رزقه الله الانابة اليه فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة وهو الخرف أثبت حسناته ومحبت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة وهو الققد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله أن لا يعذب حبيبه » وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال يشغر القلام لتسع سنين ويحتلم في أربع عشرة سنة ويتم طوله لاحدى وعشرين سنة ويجمع له عقله لثمان وعشرين سنة ثم لايزداد بعد ذلك عقلا إلا بالتجارب فاذا بلغ أربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ ستين سنة حبيه الله الى أهل سمائه وأهل أرضه فاذا بلغ سبعين سنة أثبت حسناته ومحبت سيئاته فاذا بلغ ثمانين سنة استحبي الله تعالى منه أن يعذبه فاذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في أرضه فلم يخط عليه القلم بحرف » وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فله طرق كثيرة فمن أصحابها ما ذكره البيهقي في كتاب الزهد له عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وسمي أسير الله في الارض وشفع في أهل بيته »

وقال ابو يعلى في مسنده يرفع الحديث قال « المولود اذا لم يبلغ الحنث فما عمل من حسناته كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظاه ويسددها. فاذا بلغ أربعين سنة فكما تقدم » ومن شواهد هذا ما أخرجه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من بلغ الثمانين من هذه الامة يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » ومن شواهد أيضا ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي في أعدل خلق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى أرذل العمر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا واسناده صحيح : ومما يدل على شهرة هذا الحديث في المتقدمين ما قاله الحسن بن الضحاك في أبيات

أنا في الثمانين وفيتها	وعندي قبول ولم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه	عن ابن ثمانين دون البشر
وانى لمن أسراء الله في الا	رض نصيب صروف القدر
فان يقض لي عملا صالحا	أثاب وان يقض شرأعفر

وله أيضا

أصبحت من أسراء الله محتسبا	في الارض تحت قضاء الله والقدر
ان الثمانين إذ أوفيت عدتها	لم تبق باقية منى ولم تدر

قال المصنف :

يارب أعضاء السجود عتقتها	من فضلك الوافي وأنت الوافي
والعتق يسرى بالفتى ياذا الفتى	فامنن على الفتى بعتق الباقي

تمت الرسالة وتم بها المجلد الاول من المجموعة المنيرية والحمد لله أولا وأخرا

فهرست

المجلد الاول من المجموعة المنيرية

صفحة	صفحة
١٠ فصل - سهولة الاطلاع والتصحيح	١ الرسالة الاولى - ارشاد النقاد
١١ - « الاجتهاد اليوم عنه فيما سبق	الى تيسير الاجتهاد للعلامة الصنعاني
١٢ - تصحيح الشافعي والبخاري	٢ عمل المتأخر بتصحيح المتقدم الحديث
١٣ رد على من نفي الاجتهاد المطلق	تقليد أم اجتهاد والخلاف فيه
١٤ اختلاف الرأي في التصحيح دليل على	٣ تعريف الحديث الصحيح - الواجب
انه اجتهاد - التصحيح عمل بالرواية	أو الراجح العمل بخبر العدل وقبوله
١٥ و ١٤ التوفيق بين رأى مالك	ليس من التقليد
وشعبة في ابن اسحاق	٤ اشتراط السلامة من الشذوذ والعلة
١٦ اختلاف العلماء في تصحيح الاخبار	لا يمنع انه اجتهاد
ناشيء عن الرواة	٥ تصحيح البخاري تقليد أو اجتهاد
١٧ فصل مصحح الحديث راو فيجب	٦ فصل - جواز التصحيح للمتأخر -
معرفة حاله أيضاً	كونه مجتهداً فيه
١٧ فصل ما يجب في الخبرين بالصحة	٧ رد القول باحالة الاجتهاد
١٨ مزية الصحيحين	٨ ضرورة علم اللغة للحديث
١٩ معرفة الحق من أقوال أئمة الجرح	٩ فضل علماء الحديث

صفحة	صفحة
٤٦	والتعديل
الواجب على كل عبد ما يخصه من الأحكام - الأحكام	٢٠ القوادح المذهبية لا يلتفت إليها
٤٨	٢١ الاجتهاد موهبة من الله
الرسالة الثانية - رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للشوكاني	٢١ بيان ما سهل الاجتهاد
٤٩	٢٢ شروط الاجتهاد
جواز الغيبة في ستة مواضع	٢٤ المتعة وما جاء فيها
٥٠	٢٥ قول الشافعي واحمد وأبي حنيفة في أنه لا يقدم على السنة قول أحد
تحریمها ثابت بالكتاب والسنة والاجماع	٢٨ ما التقليد . حقيقته
٥١	٢٩ القول بموازاه
لا يجب الله الجهر بالسوء	٣٠ التوقف بتصديق الخبر حتى تقوم البينة
٥٢	٣١ إقامة البينة على المدعي
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٢ مكابرة المكابرين وتعنتهم
٥٣	٣٤ قبول خبر الآحاد مشروط
ذهاب الدين بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٥ سؤال أهل العلم
٥٤	٣٦ تأثير كلام الله ورسوله في العامة
ترجيح أدلة تحريم الغيبة	٣٧ حديث اجتهاد الحاكم
٥٥	٣٨ كلام الله ورسوله أقرب الى الافهام
ما جاء في اغتيال هند لأبي سفيان	٣٩ ما جاء في صيام الشك
٥٦	٤٠ رد الائمة لأدلة جواز التقليد
حديث خير القرون قرنه	٤١ سؤال الصحابة لسانه صلى الله عليه وسلم
٥٧	٤٢ رد أدلة المقلدين
الاخبار بالغيبة عند المشاورة	
٥٨	
ذكر المجاهر بالفسق ما جاهر به	
٥٩	
حديث « بنس أخو العشيرة »	
٦٠	
الغيبة ذكر ك أخاك بما يكره	
٦٢	
الرسالة الثالثة - شرح الصدور	
في تحريم رفع القبور للعلامة الشوكاني	
٦٣	
العالم كالجاهل في التكاليف والتعبد	
٦٦	
رفع القبور والبناء عليها بدعة منهي عنها	

صفحة	صفحة
عصر على حكم نص لا يقطع فيه	٦٧ قول الامام يحيى لابس بالقباب الخ
باجماع الصحابة يوجب القطع بأنه	٦٨ طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام
حق وحجة ولا يكون اجماعاً	طاعة الله
٨٣ وجوب الرجوع الى القرآن والسنة	٧٠ النهي عن اتخاذ القبور مساجد
٨٤ لا يحل القول في الدين بالقياس	٧١ حديث لا تتخذوا قبوري وثناً
٨٥ الاعتبار معناه التعجب لا القياس	٧٢ حديث يا فاطمة بنت محمد لا أغنى
٨٦ الحججة على ابطال القياس	عنك من الله شيئاً
٨٧ ما يضاف على النص للقول بالقياس باطل	٧٣ لا نذر في معصية
٨٩ حديث افتراق الأمة على بضع	٧٤ النحر من أنواع العبادة
وسبعين فرقة	٧٥ لا يقتدى بالعالم اذا خالف الكتاب
٩٠ حديث أيها الناس ان الله فرض	أو السنة
عليكم الحج فحجوا	٧٧ الرسالة الرابعة - مسائل من علم
٩١ الفرض من أفعال النبي ما كان بياناً	الأصول للامام ابن حزم
لأمر - لا يحل اتباع شريعة نبي	٧٨ الموقف والمرسل لا تقوم بهما حجة
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم	برهان البطلان
٩٢ حديث أعطيت خمساً لم يعطهن	٧٩ رواية المجهول - القرآن ينسخ القرآن
أحد قبلي	والسنة، والسنة تنسخ القرآن والسنة
٩٣ من قلد عالماً لم يطع الله ولا رسوله	٨٠ ما لا يحل قوله في الآية أوفي الحديث
الرأى والقياس ظن والظن باطل	٨١ الاجماع اليقين بأن جميع الصحابة
٩٥ ضعيف الحديث أقوم من الرأى	عرفوا به وقالوا به
٩٦ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»	٨٢ ما صح فيه خلاف آخر من الصحابة لم
٩٧ « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر»	يكن اجماعاً - يتعين اجماع أهل
٩٨ الحكم بالظن وتعليق الامير الصنعاني	

صحيفة	صحيفة
١٢١ الحديث الطويل « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة الخ »	١٠٠ الرسالة الخاصة - مسألة القدر للإمام ابن تيمية
١٢٢ الايمان بالحوض والكوثر والرؤية	١٠٥ الرسالة السادسة - عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني
١٢٣ الايمان قول وعمل ومعرفة	١٠٦ عقيدة أصحاب الحديث
١٢٤ الايمان يزيد وينقص	١٠٧ قول أهل الحديث في صفات الله عز وجل - عقيدتهم في القرآن
١٢٦ تكفير تارك الصلاة عمداً	١٠٩ تكفيرهم من قال بخلق القرآن
١٢٧ اعتقاد ان الخير والشر بقضاء الله وقدره	١١٠ قولهم في آية « الرحمن على العرش استوى »
١٢٧ عواقب العباد مبهمة	١١١ ماجاء في تفسير الاستواء
١٢٨ العشرة المبشرون بالجنة	١١٣ حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الخ
١٢٩ الصلاة خلف البر والفاجر	١١٥ النزول بلا كيف - « ان الله يهمل حتى اذا كان ثلث الليل الخ »
١٣٠ لكل مخلوق أجل - وسوسة الشيطان للآدميين	١١٦ ذكر أخبار ثابتة في نزول الرب من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول
١٣٢ من علامات أهل البدع تجنبهم سماع الحديث	١١٨ حديث « انكم تنظرون اليه بكم الخ »
١٣٥ قلة العلم من علامات الساعة	١١٩ قصة صبيغ بن عثل مع عمر بن الخطاب « رض »
١٣٦ الرسالة السابعة - تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن	١٢٠ أحاديث الصفات والرؤنة
١٣٧ بيان أعظم أسباب التأخر	
١٣٨ ترك الوحي السماوي والتمسك	

صفحة	صفحة
٢٣ بلاء»	بالقوانين
١٥٥ حديث « خمس بخمس الخ	١٤١ الحاجة الى الشريعة ضرورية جداً
١٥٦ « يوشك أن تداعى عليكم الامم »	١٤٢ الشرع المنزل والشرع المؤول
- « حكاية لطيفة »	والشرع المبدل
١٥٨ أمر الله بطاعة رسوله عليه الصلاة	١٤٣ دين الانبياء كلهم الاسلام
والسلام	١٤٤ ماجاء في معنى «وما كنا معذبين»
١٥٩ محبة الله بموافقة ما أمر به	الآية
١٦٠ القضاء ما قضى به الله ورسوله	١٤٥ لا يدخل النار من لا ذنب له -
١٦١ احباط اتباع القوانين للاعمال	لا يدخلها الا من قامت عليه الحججة
١٦٣ زعم أن اتباع الشريعة مانع من	بالرسل - الاعتياض عن القانون
الترقية	السمارى بالقانون الارضى
١٦٥ أدلة من الكتاب على تمام كفايته	١٤٦ الدعوة الى القانون الموضوع
دينا ودنيا	خروج عن طاعة الله عز وجل -
١٦٦ أمر الله بالرد اليه والى الرسول	لا عندر لمن ضل وحسب نفسه مهتديا
ورأى المفسرين في ذلك	١٤٧ وجوب التقييد بالاحكام المنزلة
١٦٧ تفسير سورة والعصر	١٤٨ تفسير «الطاغوت» - « لا يجتمع
١٦٨ « أحاديث في النهى عن ابتغاء	أمتى على ضلالة »
غير الكتاب	١٤٩ حال الصحابة وحالنا - « إن
١٦٩ حديث « هلم اكتب لكم كتابا	تنصروا الله ينصركم »
ان تضلوا بعده » وقول عمر إن	١٥٢ التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله
في الكتاب عنية	١٥٣ اتباع الاهواء منهي عنه -
١٧٠ حسن فهم عمر (رض) وتيقظه	وسبب للاصابة بالشدائد والبلاء
١٧٣ ختام الرسالة	١٥٤ « اذا ضن الناس . الخ أنزل الله

صفحة	صفحة
١٩٣	١٧٤
الخصوصية ١٨٤١٧٦١٦ الكفارة	الرسالة الثامنة في اثبات
والخطبة والانصات	الاستواء والفوقية- ومسألة الحرف
١٩٤	والصوت في القرآن المجيد وتزيه الباري
الخصوصية ٢٠٤١٩ تحريم الصلاة	عن المحصر والتمثيل والكيفية للجويني
عند جلوس الامام على المنبر والنهي	١٧٥
عن الاحتباء وقت الخطبة	سبب انشاء الرسالة للدين النصيحة
١٩٥	١٧٧
الخصوصية ٢٤٤٢٣ استحباب	عدم تحذير الرسول من الايمان
الفصل - للجماع اجران -	بظاهر الصفات
الخصوصيات من ٢٤ الى ٢٩	١٨١
استحباب السواك والطيب والدهن	وصف الله نفسه بهذه الاوصاف
وازالة الظفر والشعر	١٨٢
١٩٦	الفوقية والاستواء والنزول
استحباب لبس أحسن الثياب	١٨٣
١٩٧	ثبوت صفة الوجه
تبخير المسجد - التبخير	١٨٤
١٩٨	مسألة الحرف والصوت
لا يستحب الابراد بها - تأخير	١٨٥
الغداء والقبولة عنها	١٨٥
١٩٩	علوه تعالى على عرشه بلا كيف
تضعيف أجر الذهاب - لها	ولا انحصار
أذنان - قراءة الكهف	١٨٦
٢٠٠	تقريب مسألة الفوقية
قراءة الاخلاص والمعوذتين	١٨٧
والفائحة بعدها	ختم الرسالة
قراءة الكافرين والاخلاص من	١٨٨
مغرب ليلتها	الرسالة التاسعة نور اللمعة في
٢٠١	خصائص الجمعة للسيوطي
قراءة الجمعة والمنافقين في عشاء	١٨٩
ليلتها - منع التحلق قبل الصلاة -	كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً
تحريم السفر فيه قبل الصلاة	١٩٠
	كراهة تخصيص ليلته بالقيام
	١٩١
	صبحها أفضل الصلوات اختصاصها
	بركعتين - انها تعدل حجة
	١٩٢
	الطبع على قلب من ترك الجماعة

صفحة	صفحة
٢١٧ علم الموتى بزيارة الاحياء - عرض أعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى - صيام الأربعاء والخميس والجمعة - صلاة ركعتين بعد مغرب ليلتها بالفاتحة والزلزلة	٢٠٢ فيه تكفير الآثام - الامان من غتنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها - ولا يسأل في قبره
٢١٩ حصول الشهادة لمن مات فيه	٢٠٣ اجتماع الارواح فيه - هو سيد الايام
٢٢٠ فضل وقفة الجمعة	٢٠٤ هو يوم المزيد
٢٢١ تسجر فيه جهنم	٢٠٥ هو الشاهد والمشهود - أقسم الله به .
٢٢٤ الرسالة العاشرة - في تفسير سورة الكوثر للامام ابن تيمية	٢٠٦ هو المدخر لهذه الامة - يوم المغفرة يوم العتق - فيه ساعة الاجابة
٢٢٥ معنى الشانى، لغة واصطلاحا	٢٠٧ الاختلاف في تعيينها
٢٢٦ معنى الكوثر	٢١٠ رأى المصنف في ذلك - تضاعف الحسنة والسبئة
٢٢٨ ما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها وبه تنتهى الرسالة	٢١٢ قراءة المدخان يومها وليلتها ويس ليلتها وآل عمران وهود
٢٢٩ الرسالة الحادية عشرة - في علم الباطن والظاهر للامام العلامة تقي الدين بن تيمية	٢١٣ جلب الذكر للمغفرة قبل صبح يومها ما يقال ليلة الجمعة - الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها
٢٣٠ أصل الايمان هو الايمان بالغيب	٢١٤ عبادة المريض وشهود الجنائز والنكاح والعتق فيه
٢٣١ بيان علم الظاهر وعلم الباطن	٢١٥ صلاة حفظ القرآن في ليلتها
٢٣٢ بيان غلاة المتصوفة والمتكلمين	٢١٦ زيارة القبور يومها وليلتها
٢٣٣ تفسير باطنية الصوفية للقرآن	
٢٣٤ تفسير باطنية الفلاسفة للقرآن	

صفحة	صفحة
٢٤٧	٢٣٥
أحاديث الصفات وأقوال النفاة	الدليل على بطلان كلام القرامطة
٢٤٨	٢٣٦
النفاق والتقية	كتاب جقائق التفسير لابي
٢٥٠	عبد الرحمن السلمي وتقسيمه الى
بيان خطأ الاحتجاج بقصة موسى	ثلاثة أنواع
والخضر فحكها بخلاف الظاهر	٢٣٧
٢٥١	نفي قولهم ان حسنا البصرى
الظاهر لا بد له من باطن بحققه	صحب عليا
والعكس كذلك وفيه خاتمة الرسالة	٢٣٨
٢٥٣	الناس في هذا الباب على ثلاثة
الرسالة اثنان عشر - في رفع	أقسام طرفان ووسط الخ
البيدين في الصلاة للامام السبكي	٢٣٩
٢٥٥	ادعاء قوم ان النبي صلى الله عليه
عدة الصحابة الذين نقل عنهم الرفع	وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم
رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم	٢٤٠
٢٥٧	جهل الفلاسفة كابن سينا وأمثاله
الرسالة الثالثة عشر - في	من أعظم الجهل
الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة	٢٤١
والتأخرة للحافظ ابن حجر	بطلان ما يعتقد الباطنية
العسقلاني شارح صحيح البخارى	٢٤٣
٢٥٨	بحث حديث أبي هريرة «حفظت
حديث الغفران لأهل بدر	من رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٥٩	وسلم جرايين» الخ
حديث صلاة التسبيح	٢٤٤
٢٦٠	بيان عن أبي سعيد الخراز
القراءة بعد الجمعة	وأبي طالب المسكي وأبي حامد
٢٦١	الغزالي ممن يظن أنهم يقولون بباطن
صيام يوم عرفة	يخالف الظاهر والجواب عنه
٢٦٢	٢٤٥
فضل تعليم الولد القرآن	ما ينقل عن أبي يزيد البسطامي
٢٦٣	٢٤٦
قيادة الأعمى	رد حديث قولهم «ان من العلم
٢٦٤	كهيئة المكنون» الخ
التمهير في الاسلام	
٢٦٦	
ختام الرسالة	

مجموعتنا الرسائل المنيرة

الجزء الاول

يشتمل على ١٣ رسالة

- (١) ارشاد التقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعاني (٢) رفع الرية للامام الشوكاني
- (٣) شرح الصدور للشوكاني (٤) مسائل الاصول لابن حزم (٥) منظومة
- في القدر لابن تيمية (٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث للامام الصابوني
- (٧) تحذير اهل الايمان للاسعردي (٨) في الاستواء والفوقية والحرف والصوت
- لل امام ابي عبد الله الجويني والدامام الحرميين (٩) نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي
- (١٠) تفسير سورة الكوثر لابن تيمية (١١) في علم الظاهر والباطن لابن تيمية
- (١٢) في رفع اليدين للامام تقي الدين السبكي (١٣) الحصال المكفرة للحافظ ابن حجر

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

ادارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومديرها محمد بن عبد العزيز بن عبد الله دمشقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى: (واما بعد)
فان ادارة الطباعة المنيرية لم تزل باذلة جهدها في نشر الكتب العلمية
النافعة التي هي علي طريق سلفنا الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم وقد
اختارت رسائل مختلفة في علوم شتى هي من خيرة تأليف علماء المسلمين
المتقدمين وقد جعلتها اجزاء متفرقة تظهر تدريجياً كل جزء منها مستقل
في ذاته لا تعلق له بما تقدم ولا بما تأخر: وقد تم منها الجزء الاول قترفه
لطلاب العلوم النافعة ونبغاء النشئة الجديدة المتمسكة بدينها والعاملة بما
كان عليه سلفها وقتنا الله واياكم لتلك: وعن قريب سيظهر الجزء الثاني
ان شاء الله تعالى وبه تممتي وعليه اعماضى:

مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منير الرمشي

من علماء الازهر الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الصادق الأمين،
وعلى آله وصحابه ومن سار على هديه وإرشاده إلى يوم الدين . أما
بعد :

فقد كان لمجموعة الرسائل المنيرية من الأثر أبلغه في نشر ما كان عليه
السلف الصالح من صحيح العقيدة ، وقوة العزيمة ، وصدق الصلة بالله.
ونظراً لما لهذه الرسائل من المكانة عند المؤمنين المخلصين ، فقد رأينا أن
من الواجب علينا مراجعة الآيات القرآنية الكريمة ، وتخريجها ، لأن
منهج هؤلاء العلماء يقوم على الرجوع إلى كتاب الله أولاً ، وسنة نبيه
ثانياً . وقد تمكنا بفضل من الله من مراجعة الآيات آية آية ، فظهر لنا
وقوع الخطأ في أكثر من أربعين آية في المجلد الأول وحده ، فعمدنا إلى
تصحيحها وفقاً لكتاب الله سبحانه وتعالى ، كما أننا حاولنا تصحيح
بعض الكلمات والحروف التي جاءت غير صحيحه أو محرفة وذلك بالقدر
الذي تسمح به طبيعة النسخة التي بين أيدينا وبمقارنة هذه الطبعة
بالطبعة الأصلية أو ما صور عنها يتجلى الفرق واضحاً . والله نسأل أن
يسدد الخطأ لما يحبه ويرضاه . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ١١ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٤م

مروان كجك

الدواء العاجل

في دفع العدو الصائل

للامام المحقق شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك
نعبد وإياك نستعين * ونصلي على رسولك الأمين * وآله الطاهرين *
وصحبه الراشدين *

أما بعد فإنها قد دلت الأدلة القرآنية والأحاديث الصحيحة
النبوية ان العقوبة العامة لا تكون إلا بأسباب أعظمها التهاون
بالواجبات وعدم اجتناب المقبحات فان انضم الى ذلك ترك الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر من المكلفين به لاسيما أهل العلم والأمر
القادرين على إنفاذ الحق ودفع الباطل كانت العقوبة قريبة الحدوث ولا
حاجة بنا ههنا الى ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فهي
معروفة عند المقصر والكامل :

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على كل فرد أن ينظر في أحوال
نفسه وما يصدر عنه من أفعال الخير والشر فان غلب شره على حيره
ومعاصيه على حسناته ولم يرجع الى ربه ويتخلص من ذنبه فليعلم أنه بين

مخالب العقوبة وتحت أنيابها: وأنها واردة عليه وواصلت عن قريب إليه : وهكذا من كان له متعاقب بأمر غيره من العباد اما عموما أو خصوصا فعليه أن يتفقد أحوالهم ويتأمل ما فيهم من خير وشر فان وجدتم منهم كين في الشر واقمير في ظلمة المعاصي غير مستنيرين بنور الحق فقم واقموني في عقوبة الله لهم وتسلطه عليهم ولا سيما اذا كانوا الاياترون لمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذا على فرض أن داعي الخير لم يزل يدعوهم اليه والناهي عن الشر لا يزال ينهاهم عنه وهم مصممون على غيرهم سادرون^(١) في جهلهم: فان كان من يتأهل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معرضا عن ذلك غير قائم بحجة الله ولا مبلغ لها الى عباده فهو شريكهم في جميع ما اقترفوه من معاصي الله سبحانه مستحق للعقوبة للمعجلة والمؤجلة قبلهم كما صح في قصة من تعدى السبب من أتباع موسى عليه السلام فان الله تعالى ضرب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسخط عذابه ومسخهم قردة وخنازير^(٢) مع أنهم لم

(١) اي مستترون في جهلهم هكذا في القاموس

(٢) وحاصل القصة على ما حكاه ابن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس ان الله تعالى همى بني اسرائيل ان يصيدوا السمك يوم السبت فاحتلوا على صيدها سرا زمانا طويلا حتى صادوها علانية وصار القوم ثلاثة أصناف صنف منهم خالف الأوامر وانتكح حرمة الله وصره على المعصية : وصنف من اهل التقية قال ويحكم اتقوا الله ونهواهم عما كانوا يصنعون : وصنف لم يأكل الحيتان ولم يته عما صنعوا وقال لم تظنون يوما ان الله مهلككم او منزهكم عذابا شديدا قالوا : نذرة الى ربكم لسخط اعمالهم وللمهم يتقون فبينما هم على ذلك اصيبت تلك البقية الصالحة التي أسرت ونهت في أنديتهم ومساجدهم وقعدوا الناس فلا يرونهم فقال بعضهم لبعض ان للناس لنا ما نأظنوا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها جماعة عليهم قد دخلوا بلا ففلقوها على انفسهم فاصبحوا فيها قردة وخنازير وانهم يعرفون الرجل بينه وا

يفعلوا ما فعله المعتدون من الذنب بل سكتوا عن ابلاغ حجته والقيام بما أمرهم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والحاصل أنه لافرق بين من فعل المعصية وبين من رضى بها ولم يفعلها وبين من لم يرض بها لكن ترك النهى عنها مع عدم المسقط لذلك عنهم ومن كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذنبه أشد وعقوبته أعظم ومعصيته أفظع بهذا جاءت حجج الله وقامت براهينه: ونطقت به كتبه: وأبلغته الى عبادته رسلاً: ولما كان الأمر هكذا بلا شك ولا شبهة عند من له تعلق بالعلم وملازمة للشريعة المطهرة وكان ذلك من قطعيات الشريعة وضروريات الدين فكرت في ليلة من الليالي في هذه الفن التي قد نزلت بأطراف هذا القطر اليمنى وتأججت نارها وطار شررها حتى أصاب كل فرد من ساكنيه منها شواظ واقل ما قد نال من هو بعيد عنها ما صار مشاهداً معلوماً من ضيق المعاش وتقطع كثير من أسباب الرزق وعقر المكاسب حتى ضمعت أموال الناس ومجاراتهم ومكاسبهم وأفضى الى ذهاب كثير من الأملاك وعدم نفاق نفايس الأموال: وحبائس الذخائر ومن شك في هذا فلينظر فيه بعين البصيرة حتى تدفع عنه ريبُ الشكِ بطمأنينة اليقين هذا حال من هو بعيد عنها لم تطحنه بكلكها ولا وطنته

لقرد والمرأة بعينها وإنما لقردة والصبي بعينه وأنه لقرد فالشباب مسخو اقردة والشيخ خنازير
نعوذ بالله من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يحصل للائمة من التكليل بها والقيل لها
بسبب ترك ذلك وهذا متاهد لا يحتاج الى دليل :

بأخفافها * وأما من قد وفدت عليه وقدِمَت إليه وخبطته بأشواطها
 وطوته بأنيابها واناخت وقرت بناحيته كالقطر اليماني وما جاوره فيا لله
 كم من بحار دم أراقت : ومن نفوس أزهقت ومن محارم هتكت
 ومن أموال أباحت : ومن قرى ومدائن طاحت بها الطوائح وصاحت
 عليها الصوائح : بعد أن تعطلت وناحت بعصاتها المقفرات النوائح :
 فلما تصورت هذه الفتنة أكمل تصور وان كانت متقررة عند كل
 أحد أكمل تقرر ضاق ذهني عن تصور ما فانتقلت الى النظر في
 الأسباب الموجبة لنزول المحن وحلول النقم من ساكني هذا القطر
 اليميني على العموم من دون نظر الى مكان خاص أو طائفة معينة فوجدت
 أهلها ما بين صعدة وعدن ينقسمون الى ثلاثة أقسام * القسم الأول
 رعايا يأتمرون بأمر الدولة وينتهون بهيها لا يقدرّون على الخروج عن
 كل ما يرد عليهم من أمر ونهى كأن ما كان * القسم الثاني طوائف
 خارجون عن أوامر الدولة متغلبون في بلادهم * الطائفة الثالثة أهل
 المدن كصنعا وذيمار وهم داخلون تحت أوامر الدولة : ومن جملة من يصدق
 على غالبهم اسم الرعية ولكنهم يتميزون عن ساثر الرعايا بما سيأتي ذكره :
 فاما القسم الأول وهم الرعايا فأكثرهم بل كلهم إلا النادر الشاذ
 لا يحسنون الصلاة ولا يعرفون ما لا تصلح الا به ولا تم بدونه من
 أذكارها وأركانها وشرائطها وفرائضها بل لا يوجد منهم من يتلو سورة
 الفاتحة تلاوة مجزئة إلا في أندر الأحوال ومع هذا فالأخلاق بها
 والتساهل فيها قد صار دأبهم ودينتهم : فحصل من هذا أن غالبهم

لا يحسن الصلاة ولا يصلي : وطائفة منهم لا تحسن الصلاة وإنما تصلي صلاة غير مجزئة فلا فرق بينه وبين من تركها : وأما من يحسنها ويواظب عليها فهو أقل قليل بل هو الغراب الأبقع والكبريت الأحمر : وقد صح عن معلم الشرائع « أنه لم يكن بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » فالتارك للصلاة من الرعايا كافر وفي حكمه من فعلها وهو لا يحسن من أذكارها وأركانها ما لا تتم الا به لأنه أدخل بفرض عليه من أهم الفروض وواجب من أكد الواجبات وهو لا يعلم ما لاتصلح الصلاة^(١) الا به مع امكانه ووجود من يعرفه بهذه الصلاة وهي أهم أركان الاسلام الخمسة وآكدها : وقد صار الأمر فيها عند الرعايا هكذا : ثم يتلوها الصيام وغالب الرعايا لا يصومون وان صاموا ففي النادر من الأوقات وفي بعض الأحوال فرجما لا يكمل شهر رمضان صوما الا القليل ولا شك أن تارك الصيام على الوجه الذي يتركونه كافر : وكم يمد العادم من واجبات يخلون بها وفرائض لا يقيمونها ومنكرات لا يجتنبونها

(١) الحديث رواه مسلم والامام احمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ورواه ابو داود والنسائي ايضا ولفظه « ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » ورواه الترمذي ولفظه « قال بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « قال بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » وما يدل على ان ترك الصلاة كفر ما رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن بريدة رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ورواه ايضا ابن ماجه والامام احمد وابن حبان في صحيحه : والخامس وقال صحيح لانعرف له علة : والله اعلم :

وكثيرا ما يأتي هؤلاء الرعايا بالفاظ كفرية فيقول هو يهودى ليفعلن
كذا ليفعل كذا ومرتد تارة بالقول وتارة بالفعل وهو لا يشعر: ويطلق
امراته حتى تبين منه بالفاظ يديم التكلم بها: كقوله امرأته طالق ما فعل
كذا أو لقد فعل كذا: وكثير منهم يستغيث بغير الله تعالى من نبي أو
رجل من الأموات أو صحابي ونحو ذلك: ومع هذه البلايا التي تصدر
منهم والرزايا التي هم مصرون عليها لا يجدون من ينهاهم عن منكر
ولا يأمرهم بمعروف:

وقد صار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ولاية
متحصرا في ثلاثة أشخاص: عامل: وكاتب: وحاكم * فأما العامل فلا
عمل له الا في استخراج الأموال من أيدي الرعايا من حلها ومن غير
حلها وبالحق وبالباطل: وقد استعان على ذلك بالمشايخ الذين هم العرفاء
المنصوص عليهم من معلم الشريعة أنهم في النار فيتسلط كل واحد
منهم على من تحت يده من المستضعفين فيصنع به كما أراد وكيف أحب
وهو مفوض في أموالهم من طريق العامل فيأخذ ما يشاء ويدفع ما يشاء
وليس الأمر والنهي الا في هذه الخصلة على الخصوص ولم يسمع على
تطاول الأيام وتعاقب السنين أن فرداً من أفراد العمال أمر الرعايا بما
أوجب الله من الفرائض التي لا فسحة فيها كالصلاة والصيام أو نهاهم
عن شيء من المنكرات التي يرتكبونها بل قد جرت عادة كثير من
العمال أن يأخذ في مقابل الصلاة شيئا من السحت: وهكذا في الأشياء
التي هي منكرات يجمع على تحريمها كالزنا والسرقه وشرب المسكرات

إذا وقع بعض الرعية في شيء كان له العقوبة من العامل على ذلك أن يأخذ شيئاً من مال من فعل ذلك بل وقوع الرعايا في هذه للماصي أحب الأشياء إلى العامل لأنه يفتح له ذلك باب أخذ الأموال فيتكاثر عنده السحت ويتوفر له المقبوض فانظر أي فاقرة في الدين كانت ولاية مثل هذا العامل وأي قاصم لظهور الصالحين وأي شر في العالم وأي بلاء صب على دين الله تولية رجل لا يأمر بفعل ما أوجب الله ولا ينهى عن فعل ما حرم الله بل يَوَدُّ ذلك ويفرح به لينال حظاً من السحت ويصل إلى شيء من الحرام فهل أقلت الأرض مما اظلت السماء أفسد لدين الله وأجرأ على معاصيه من هذا: وهل ممن مشى على رجلين أخسر صفقة منه واخبث سمياً: وناهيك برجل لو كفر من تحت ولايته من الرعايا كفر فرعون لكان يرضيه من ذلك نذر حقير من السحت بل ذلك أحب إليه من صلاح الرعايا وتمسكهم بدين الإسلام وقبولهم الشريعة لأنه لا ينفق سوق ظلمه ويدر عليه ثدى سُحْتِهِ إلا بوقوع الرعايا في مخالفة الشرع وخروجهم عن سبيل الرشاد: وقد ينضم إلى هذه المخازي منه والفضائح له أن يرأى على رؤوس الأشهاد رباً مجماً على تحريمه: ويصحب جماعة من العاملين بالربا فيأخذ منهم عند الحاجة بالزيادة من الربا ويضيفها على الرعية ويسلط هؤلاء العاملين بالربا على الضعفاء: وهل أقبح من هذا الذنب وأشد منه فإنه الذنب الذي توعد الله عليه بالحرب لفاعله كما هو بين في كتابه^(١) وليس الحرب من الله نزول الحجارة من السماء بل تسليط بعض عباده على بعض حتى يسحتهم

بعذابه : ويزل بهم غضبه ويسلط عليهم من يسفك دماءهم ويهتك محارمهم : وقد يضم عامل السوء الى هذه المخازي مخازي آخر فينظر منه الرعايا محرمات يرتكبها ومحارم ينتهكها جرأة على الله فيسن للرعايا سنن الشر ويفتح عليهم أبواب الفجور :

واما الكاتب فليس له من الأمر الا جمع ديوان يكتب فيه المظالم التي يأخذها العامل من الرعايا ولا تحقيق عليهم بل المقصود من وضعه أن لا يكتم العامل من تلك الأموال التي اجتاحتها : والمظالم التي اختطفها حتى لا يشاركه فيها غيره ويشاركه بذنبه من ينال منها نصيبا ممن يده فوق يده :

وأما ثالث الثلاثة وهو القاضي فهو عبارة عن رجل جاهل للشرع إما جهلا بسيطا أو جهلا مركبا وان يشتغل بشيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور في مواقف الخصومات من مسائل تدور في الدعوى والاجابة وطلب اليمين والبيينة : وليس له في العلم غير هذا لا يعرف حقا ولا باطلا ولا معقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه اشتاق الى أن يدعى قاضيا ويشتهر اسمه في الناس ويرتفع بين معارضيه وأهله فعمد الى الثياب الحميدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالبرج وأطال ذيل كع حتى صار كالخروج ولزم السكينة

(١) وهذه العادة جارية في القطر المصري ايضا وقد علل بعضهم ذلك بأنه ينبغي للعالم ان يطول نيابه ويكظم عمامته ليعرف انه عالم فيسأل ويستفتي وهذا قول مزيف وتعليل فاسد فان معلم الشريعة نهى عن ذلك وتوعد فاعله والله اعلم :

والوقار: واستكثر من قول نعم ويعني: وجعل له سبعة طويلة يدورها في يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور في الأبواب ويتردد في السكك واستعان بالشفعاء بعد أن أرشام ببعض من ذلك للمال ليشتري له هذا المنصب الجليل الذي هو بعد النبوة في مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجاهل البائس الى قطر من الأقطار الوسيعة فيأتي اليه أهل الخصومات أفواجا فيحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو في الصورة حكم الشرع: لأن هذا القاضي المخذول لا يعرف من الشرع الا اسمه ولا يدري من الشرع بشيء بل يجهل حده ورسمه فتنتشر عنه في ذلك القطر الواسع من الطواغيت ماتبكي عيون الاسلام: وتتصاعد عنده زفرات الأعلام: وكيف يهتدي الى فصل الحكومات بالحق جاهل اشترى هذا المنصب كما يشتري ما يباع في الأسواق من المتاع فولاية مثل هذا المخذول وتحكمه في الشريعة المطهرة هي خيانة على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى العلم وأهله وعلى الدين والدنيا: ولا فرق بين من بعث مثله ليحكم لجهله وبين من بعث رجلا من أهل الطاغوت العارفين بالمسالك الطاغوتية كابن فرج وفصيله والغزى ونحوهم من حكام الطاغوت بل بعث هذا أعظم عند الله ذنبا وأشد معصية لأنه كان في الصورة قاضيا من قضاء الشرع الشريف وحاكما من حكمه مولى بمن اليه الولاية العامة فكان في ذلك تعريرا على الناس ومخادعة لهم: فأنجدوا اليه ليحكم بينهم بشرع الله فحكم بينهم بالطاغوت فقبلوه بناء منهم انه حكم الشرع بخلاف بعث

حاكم من حكام الطاغوت فانه وان كان من المعصية والجرأة على الله بالمكان
الذي لا يخفى لكنه لا تغرر في بعثه على العباد ولا مخادعة لهم وربما
يحتنبه من يحتسب اذا لم يحتنبوه كلهم جميعا وينفروا عنه ويأبوا عنه :
وكفى بهذا عبرة وموعظة يقشع منها من في قلبه " قوم يعقلون
(وَذَكَرْنَا فَاِنَّ الذِّكْرَ سِى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) هذا حال هذا القاضى الذى هو
من قضاة النار ومن عصاة الملك الجبار فيما يتولاه من الخصومات :
وأما سائر ما هو موكول الى قضاة الشرع من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم وإرشاد الضالّ وتعليم الجاهل
والدفع عن الرعية من ظلم من يظلمها والمكاتبة لامام المسلمين بما
يحدث في القطر الذى هو فيه مما يخالف الشريعة المطهرة فلا يقدر
هذا القاضى الشقى على شىء من هذه الأمور سواء أ كان حقيرا أم
كبيرا : بل غاية أمره ونهاية حله أن يبقى في ذلك القطر يشاهد المظالم
بعينه وقد ينفذها بقلبه ويمين عليها بفيه وهو تارك لما أوجب الله عليه
وعلى أمثاله من الأمر بالمعروف : والنهي عن المنكر : فهو في الحقيقة
ضال مضل شيطان يريد بل أضر على عباد الله من الشيطان ومن أين
للشيطان واني له أن يظهر للناس في صورة قاض ثم يفوض في قطر من
الأقطار فيه الوف مؤلفة من عباد الله فيحكم بينهم بالطاغوت بصورة
الشرع ثم يكون شهيدا على ما يحدث بذلك القطر ومعينا عايه : وموسعا
لداثرته من دون أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر بل لايجرى

(١) لعل هنا سقطا تقديره متقال خردلة من إيمان وترجف منه قلوب قوم الخ :

قله قط فيما فيه جلب خير للرعية أو دفع شر عنهم : بل هو مادام في هذا المنصب لاهمة ولا مطلب له الا جمع الحطام من الخصوم تارة بالرشوة وتارة بالهدية وتارة بما هو شبيه بالتلصص : ثم يدافع عن المنصب الذي هو فيه بيمض من هذا السعت الذي يجمعه ويتوسع في دنياه بالبعض الآخر فهذا أمر لا يقدر عليه الشيطان ولا يتمكن منه ولا يبلغ كيده لبي آدم اليه وهذا يكفى لمن كان له قلب أو التقى السمع وهو شهيد :

وإذا كان هذا حال حكام الشريعة * ومأم عليه هو ما قدمنا الاشارة اليه * وحال عاملهم وكاتبهم وقاضيه هذه الصفة فانظر بمقلك واعمل صافي ففكرك هل مثل هؤلاء متعرضون لسخط الله وعقوبته وحلول تقمه أم مستحقون للطفه وتوفيقه : وصرف العقوبة عنهم : ودفع الفتن الزاهية بالأموال والأنفس منهم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) والله الحجة البالغة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا أَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ) :
 وإذا قد تقرر لك أحوال هذا القسم الأول من الثلاثة الأقسام التي قدمنا لك ذكرها فلنبين لك حال القسم الثاني وهو حكم أهل البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها كبلاد القبلة والمشرق ونحو ذلك : اعلم رحمك الله أن جميع ما ذكرنا لك في القسم الأول وهم الرعايا من ترك الصلاة وسائر الفرائض الشرعية الا الشاذ النادر على تلك الصفة فهو أيضا كائن في البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها بل الأمر فيهم أشد وأقطع فانهم جميعا لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ومن كان

يقراً فيهم فقراءته غير صحيحة : ولسانه غير صالح : وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الاسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندم متروكة بل كلمة الشهادة التي هي مفتاح الاسلام لا ينطق بها الناطق منهم الا على عوج : ومع هذه ففهم من المصائب العظيمة والقبائح الوحشية : والبلايا الجسيمة أمور غير موجودة في القسم الأول :

منها أنهم يحكمون ويتحاكمون الى من يعرف الأحكام الطاغوتية منهم في جميع الأمور التي تنوبهم وتعرض لهم من غير انكار ولا حياء من الله ولا من عباده : ولا يخافون من أحد بل قد يحكمون بذلك بين من يقدرون على الوصول اليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم : وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على انكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم : ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التي أمر بها على لسان رسوله واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله : بل كفروا بجميع الشرائع من عند آدم عايه السلام الى الآن : وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متميز حتى يقبلوا أحكام الاسلام ويدعوا لها ويحكموا بينهم بالشرعية المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية : ومع هذا فهم مصرون على أمور غير الحكم بالطاغوت والتحاكم اليه وكل واحد منها على انفراده بوجوب كفر فاعله وخروجه من الاسلام وذلك اطباقهم على قطع ميراث النساء^(١)

(١) وهذه المادة الفبيحة جارية ايضا في القطر المصري ففهم من بمنع الاثني المتزوجة خوفا من ان يسطر الزوج على نصيبها من الميراث : ويورث الاثني البكر : وبمضمون بمنع

واصرارهم عليه وتعاضدهم على فعله : وقد تقرر في القواعد الاسلامية ان منكر القطعي واجده والعامل على خلافه تمردا أو عنادا أو استحلالا أو استخفافا كافر بالله : وبالشرعية المطهرة التي اختارها الله تعالى لعباده : ومع هذا فبالهم يستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا يحترمها ولا يتورع عن شيء منها وهذا مشاهد معلوم لكل أحد لا ينكره جاهل ولا عاقل ولا مقصر ولا كامل : ففيهم من آثار الجاهلية الجهلاء أشياء كثيرة يعرفها من تتبعها :

فن ذلك اقسامهم بالأوثان كما يسمع كثير منهم يقول قائلهم أي وثن اذا أراد أن يحلف والمراد بهذا الوثن هو الوثن الذي كانت الجاهلية تعبده : وقد ثبت عن الشارع صلى الله عليه وآله وسلم « أن من حلف بملة غير ملة الاسلام فهو كافر ^(١) »

وبالجملة فكم يعد العاد من فضائح هؤلاء الطاغوتية وبلاياهم وفي هذا المقدار كفاية ولا شك ولا ريب أن ارتكاب هؤلاء لمثل هذه الأمور الكبيرة من أعظم الأسباب الموجبة للكفر السالبة للإيمان التي

مطلقا ومنهم من يمتها ميراث الارض دون المنقولات ولا غرابة من وقوع ذلك في القطر اليمني او غيره لان الجهل ضارب أطنابه لفة العلماء العارفين وانما العجب من وقوع ذلك بين ظهراني العلم : والعلماء ساكتون انا لله وانا اليه راجعون

(٢) رواء البخاري ومسلم بأفظ « من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كافر » الحديث مطولا ورواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه : وفي رواية لابن داود عن ابن عمر « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك » ورواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حلف بغير الله فقد كفر واشرك » ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطها : وهو كبيرة من الكبائر :

يتعين على كل فرد من أفراد المسلمين انكارها ويجب على كل قادر أن يقاتل أهلها حتى يعودوا الى دين الاسلام : ومعلوم من قواعد الشريعة المطهرة ونصوصها أن من جرد نفسه لقتال هؤلاء واستعان بالله وأخلص له النية فهو منصور وله العاقبة فقد وعد الله بهذا في كتابه العزيز (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ) (إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿ فَإِنْ حَزِبَ اللَّهُ مَنَ الْغَالِبِينَ ﴾ (وَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الْمَنْصُورُونَ) (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ١

فان ترك من هو قادر على جهادهم فهو متعرض لنزول العقوبة مستحق لما أصابه فقد سلط الله على أهل الاسلام طوائف عقوبة لهم حيث لم ينتهوا عن المنكرات : ولم يحرصوا على العمل بالشرية المطهرة كما وقع من تسليط الخوارج في أول الاسلام : ثم تسليط القرامطة والباطنية بعدهم : ثم تسليط الترك حتى كادوا يطمسون الاسلام : وكما يقع كثيرا من تسليط الفرنج ونحوهم فاعتبروا يا أولى الأبصار ان في هذا لبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

والحاصل أنه لا خروج لمن كان قادرا على اصلاح هذا القسم والقسم الأول وهم الرعايا الا يبذل مال في اصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الاسلام والزمامم بها والأخذ على الولاية في الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية همهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا الى ما أوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه : وانتخاب القضاة في كل قطر أولا

١ - الحج ٤٠

٢ - عم ٧

٣ - الأعراف ١٢٨

٤ - المائدة ٥٦

٥ - المائدة ٥٠

٦ - البقرة ١١٢

من جمع الله لهم بين العلم والعمل : والزهد والورع : ويكونون ثانيا من الباذلين نفوسهم لاصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الله ودفع المظالم الواردة عليهم التي لاسبيل لها في الشريعة المطهرة ويقبضون ماوجب الله عليهم ويدفونه الى امام المسلمين فان في ذلك ما هو ارفع من الأشياء التي تؤخذ على وجه الظلم وعلى طريقة الجور : والخير كل الخير في موافقة الأمور الشرعية : والشرك كل الشرك في مخالفتها

ومن جملة ما يأخذون عليهم اصلاح عقائدهم وأن ينبؤهم أن الله هو الضار النافع القابض الباسط وأن لا ينفع ولا يضر غيره : ويزجروهم عن الاعتقادات الباطلة ويجعلون في كل قرية معلما صالحا يعلم أهلها العلوم على الوجه الشرعي ويأمرهم بالمواظبة على الصلاة في أوقاتها ويدعو ذلك المعلم أن يعلمهم سائر الفرائض التي أوجبها الله عليهم ويلزمهم ويحبسون من لم يأت بما فرض الله عليه أو لم يحتبب ما نهاه الله عنه ويكون ذلك عزيمة صحيحة مستمرة وأمرًا ضابطًا دائما : ولا يكون هذا مثل ما كان من الأمر لاهل ضلعا ثم بطل قبل مضي اسبوع فإن الامور الشرعية والفرائض الدينية هي التي شرع الله نصب الائمة والسلاطين والقضاة لها ولم يشرع نصب هؤلاء لجمع المال من غير وجهه ومصادرة الرعايا في اموالهم باضعاف ما اوجبه الله عليهم وترك الزامهم بفرائض الله تعالى التي من جملتها الصلاة والصوم والحج والزكاة واخلاص النية والتوحيد لله : وترك نهيبهم عما نهاهم الله عنه من المعاصي التي صاروا يفعلونها ويقرون عليها مما هو معلوم لكل أحد وليس على إمام المسلمين ووزرائه إلا

انتخاب المال والقضاة والزمامم بأن يكون معظم أشتغالهم بتدبير الرعايا بما شرعه الله في الأموال والأبدان وفي الدين والدنيا: ثم بعد الزمامم بذلك ينظرون من قام به من المال والقضاة فيحسنون الى من قام بهذا الأمر منهم: ويبذل فيه وسعه ويُقرُّونه على ولايته ويعزلون من لم يقم به ويبذل فيه وسعه: فبهذا يدفع الله الشرور عن البلاد والعباد ويحول بينهم وبين من قد صار في بعض اطراف من الطوائف التي تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق بل يتجاوزون ذلك الى مالا يبيحه الشرع كما بلغ أنهم يقتلون النساء الحوامل والصبيان ويشقون بطون الحوامل فان الشارع صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه ^(١) ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين ونساءهم: وأما المال والقضاة والذين صاروا يتولون البلاد في هذه الأعصار فهم من أعظم الأسباب الموجبة لنزول العقوبة وتسليط الأعداء وذهاب البلاد والعباد وسفك الدماء واستحلال الحرام: وكيف لا يقع هذا التسليط وعامل البلاد على هذه الصفة التي قدمنا ذكرها: ومن أول

«١» خرج ابو داود في سننه عن انس « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صبيا ولا امرأة ولا تظفوا وضفوا غنائمكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين » وروى الامام احمد في مسنده عن الأسود بن سريع « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتلوا الذرية في الحرب فقالوا يا رسول الله او ليس هم اولاد المشركين قال او ليس خياركم اولاد المشركين » وروى البخارى ومسلم واحباب السنن الأربعة عن ابن عمر « قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان » فانظر الى محاسن هذه الشريعة ومكارم اخلاق نبيها وافتد بذلك :

معاصيه ومساويه ومعاندته لله: وأمرضه لغضبه وسخطه انه يطالب تلك الولاية بالأموال يقدمها من أموال المرابين فيقع في الربا الذي هو من أعظم المعاصي الموجبة للحرب من الله قبل أن يخرج من يته ويقبض مرسوم ولايته وقد يكون الذي ولاء عالما بأن ذلك المال هو عين الربا فيقمان جيما في غضب الله ولعنته قبل المباشرة للولاية: وإذا كان هذا أول ما يفتتح به هذه الولاية للمعونة فما ظنك بما يحدث بعد ذلك من الظلم والجور والفساد وإهمال ما أخذه الله على الولاية من ارشاد الضال من الرعايا وهداية الجاهل: وهكذا ولاية القاضي الشيطان في هذه الازمان فانها تفتتح بشيء من السحت يدفعه هذا القاضي للمعون الذي هو من قضاة النار الى من ولاء بعد أن يستعين بالسفهاء فكيف يفلح هذا القاضي الجاهل للشرائع الذي اشترى هذا المنصب الديني بماله وقام في حصوله وقدم مع أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه نهى ان يتولى القضاء من طلبه^(١) فضلا عن اشتراء بماله

(١) الحديث أخرجه البخاري في غير موضع مطولا ومختصرا ولفظه «عن أبي موسى قال اقبلت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعي رجلان من الأشعريين قلت ما عدت انهما يطلبان العمل فقال لن اولا نستعمل على عملتنا من اراده» ورواه ايضا مسلم وابو داود والنسائي: قال القرطبي رحمه الله هذا نهى وظاهره التحريم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تسأل الامارة وانا والله لا تولى على عملتنا هذا احدا يسأله ويحرمس عليه» فلما عرضت عليهما ولم يولهما لحرصهما ولي ابا موسى الذي لا يحرمس عليهما: والسائل الحريص يوكل اليها ولا يمان عليهما: قال العلامة العيني فلان الذي يطلب العمل انما يطلبه غالباً لتحصيل الاجرة التي شرعت له وهذا كان في ذلك الزمان: واما الذي يطلب العمل في زماننا هذا فلا يطلبه الا لتحصيل الاموال سواء كان من الحلال او الحرام وللأسر والنهي بغير طريق شرعي بل غالب من يطلب العمل انما يطلبه بالبرطيل والرشوة ولا سيما في مصر فان الأسر قاسد جدا في المال فيها حتى ان أكبر القضاة يتولون بالرشوة وهذا غير خاف على أحد فمسأل الله العفو والعافية اه: فانظر

وكيف يصاح الرعايا كلا والله بل هو بلاء صبه الله على العباد صبا :
ومحنة امتحنهم الله بها: وسبب من أسباب تمجيل العقوبة لهم ولمن ولآه
عليهم من أهل الامر :

أما القسم الثالث من الاقسام الثلاثة التي ذكرناها وهم الساكنون
في المدن فهم وان كانوا أبعد الناس من الشر وأقربهم الى الخير
لكن غالبهم وجمهورهم عامة جهال يهلون كثيرا بما أوجبه الله عليهم
من الفرائض جهلا وتساهلا :

فن ذلك أنهم يصلون غالب الصلوات في غير اوقاتها فيأتون بصلاة
الفجر حال طلوع الشمس وبعدها وبصلاة العصر قرب الغروب: وبصلاة
المشائين اما جمعا في وقت الأولى أو في وقت الأخرى ومع هذا فهم
لا يحسنون أركان الصلاة ولا أذكارها الا الشاذلنادر منهم: ويتعاملون
في بيعهم وشراهم معاملات يخالفون فيها المسلك الشرعي وكثيرا
ما يقع منهم الربا ويتكلمون بالألفاظ الكفرية وينهمك كثير منهم في
معاصي صغيرة وكبيرة: وهم أقرب الناس الى الخير وأسرعهم قبولا
للتعالم اذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة غير منقوضة في

ايها القاريء الى كلام هذا الامام وقد كان في القرن التاسع وقد وجد في زمنه كثير من اهل
العلم والفضل العالمين كالحافظ العراقي وابن حجر العسقلاني وغيرهما من اهل الحل والقند
فايالك بهذا العصر عصر الانقلاب من الهدى الى الضلالة ومن الصلاح الى الفسق والنجورة:
ومن الورع الى أكل اموال الناس بانواع الخيل وجميع اصناف السكر والغداع: ومن اقامة
شأن الله في المساجد الى ترك الصلاة جورا علنا. ومن لباس التقوى الى التزين بلباس
الانثى والعنقبة المشكل من انواع المرير وضروب الذهب. وغير ذلك مما لا يحسن ذكره في
هذا المقام نسأل الله التوفيق لما جاء به الدين الحنيف والسلامة من مخالفته .

أقرب وقت كما يقع ذلك كثيرا : ومن عدا العامة فمن لم يكن منه اشتغال بالعلم ولا مجالسة لأهله حكمه حكم العامة في دينه بل هو واحد منهم وان كان له نسب شريف وبيت رفيع : وربما هذا الذي كان يظن في نفسه أنه خارج عن العامة وداخل في الخاصة متعلق بشيء من الولايات الدينية والدينية وهو يخبط خبط عشواء : ويظلم البلاد والعباد جهلا منه أو تجاهلا وجزاؤه على الله والواجب على امام المسلمين حَفِظَهُ اللهُ وعلى أعوانه افتقاد هؤلاء والبحث عن مباشراتهم : وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليه او يتوسطون له : وكون بعض هؤلاء المتولين للأعمال أو المتوسطين على شيء من العلم لا يكون موجبا لترك البحث عن أحواله والتفتيش على معاملته بمن هو متول عليهم أو متوسط لهم فان كونه عالما أو متعلما لا يوجب له العصمة ولا يسد عنه باب الاختبار والبحث فان كثيرا من العلماء من يكون علمه حجة عليه ووبالا له والدنيا مؤثرة وحبها رأس كل خطيئة والله المسئول أن يلهم امام المسلمين أقام الله به أركان الدين الى القيام بما أرشدناه اليه في هذه الرسالة وابلغ الجهد في احوال هذه الأحكام التي ذكرناها فانه اذا فعل ذلك صلحت له احوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة ولم يسلط عليهم غيره قط كائنا من كان وليس في هذا مشقة عليه ولا نقص في دينه بل هو الدواء المجرب لتوفر الخير : وتضاعف المدد : وصفو العيش وراحة القلب وطول العمر واتساع البلاد واذعان العباد : بهذا جاءت الشريعة المطهرة وقطعت كليتها وجزئياتها : وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق

رسالة في العقل والروح

للملاية تقى الدين ابن تيمية

للتوفى سنة ٧٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . سئل شيخ الاسلام الامام الملاية تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه عن العقل الذى للانسان هل هو عرض ؛ وما هى الروح المدبرة لجسده ؛ هل هى النفس وهل ها كيفية تعلم ؛ وهل هى عرض أو جوهر ، وهل يعلم مسكنها من الجسد ، ومسكن العقل ، فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . العقل فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعقل سواء سمي عرضاً أو صفة ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمي جوهرأ أو جسماً أو غير ذلك : وانما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التى هى جوهر قائم بنفسه فى كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون فى العقل والنفس ويدعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من

أتباع ارسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين : ومن تلقى ذلك عنهم من
للتنسبين الى الملل :

وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع وبين أن
ما يدكرونه من العقول والنفوس والمجردات والمفارقات والجواهر
العقلية لا يثبت لهم منه إلا نفس الانسان وما يقوم بها من العلوم
وتوابعها، فإن أصل تسميتهم لهذه الأمور مفارقات هو مأخوذ من
مفارقة النفس البدن بالموت وهذا أمر صحيح فإن نفس الميت تفارق
بدنه بالموت وهذا مبني على أن النفس قائمة بنفسها تبقى بعد فراق البدن
بالموت منعمة أو معدبة وهذا مذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم وهو
قول الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين ، وان كان كثير
من أهل الكلام يزعمون أن النفس هي الحياة القائمة بالبدن : ويقول
بعضهم هي جزء من أجزاء البدن كالريح المترددة في البدن أو البخار
الخارج من القلب :

ففي الجملة النفس المفارقة للبدن بالموت ليست جزءاً من أجزاء البدن
ولا صفة من صفات البدن عند سلف الأمة وأئمتها : وانما يقول هذا
وهذا من بقوله من أهل الكلام المبتدع المحدث من أتباع الجهمية
والمعتزلة ونحوهم : والفلاسفة والمشاؤون يقولون بأن النفس تبقى اذا فارقت
البدن لكن يصفون النفس بصفات باطلة فيدعون أنها اذا فارقت
البدن كانت عقلاً والعقل عندهم هو المجرد عن المادة وعلائق المادة ،
والمادة عندهم هي الجسم ، وقد يقولون هو المجرد عن التعلق بالهيولى

والهيولى في لغتهم هو بمعنى المحل : ويقولون المادة والصورة . والعقل
عندهم جوهر قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له
أحوال ألبتة :

فحقيق قولهم ان النفس اذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من
الأحوال لاعلوم ولا تصورات : ولا سمع ولا بصر ولا ارادات : ولا
فرح و سرور ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث بل تبقى عندهم على
حال واحدة أزلاً وأبداً كما يزعمونه في العقل والنفس : ثم منهم من
يقول ان النفوس واحدة بالعين : ومنهم من يقول هي متعددة : وفي
كلامهم من الباطل ما ليس هذا موضع بسطه :

وانما المقصود التنبيه على ما يناسب هذا الموضوع فهم يسمون ما اقترن
بالمادة التي هي الهيولى وهي الجسم في هذا الموضوع نفساً كنفس الانسان
المدبرة لبدنه : ويزعمون ان للفلك نفساً تحركه كما للناس نفوس لكن كان
قديماؤهم يقولون ان نفس الفلك عرض قائم بالفلك كنفس البهائم
وكما يقوم بالانسان الشهوة والغضب لكن طائفة منهم كابن سينا وغيره
زعموا أن النفس الفلكية جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان وما دامت
نفس الانسان مدبرة لبدنه سموها نفساً فاذا فارقت سموها عقلاً لأن
العقل عندهم هو المجرد عن المادة وعن علائق المادة : وأما النفس فهي
المتعلقة بالبدن تعاق التدبير والتصريف :

وأصل تسميتهم هذه مجردات هو مأخوذ من كون الانسان
يجرد الأمور العقلية الكلية عن الأمور الحسية المعينة فانه اذا رأى

أفراداً للانسان كزيد وعمر وعقلَ قدراً مشتركاً بين الاناسى وبين
الانسانية الكلية المشتركة المعقولة في قلبه : واذا رأى الخيل والبغال
والحمير وبهيمة الأنعام وغير ذلك من أفراد الحيوان عقل من ذلك قدراً
كلياً مشتركاً بين الأفراد وهى الحيوانية الكلية المعقولة : واذا رأى
مع ذلك الحيوان والشجر والنبات عقل من ذلك قدراً مشتركاً كلياً
وهو الجسم النامى المفتدى وقد يسمون ذلك النفس النباتية : واذا رأى
مع ذلك سائر الأجسام العلوية الفلكية والسفلية العنصرية عقل من
ذلك قدراً مشتركاً كلياً هو الجسم العام المطلق : واذا رأى ماسوى
ذلك من الموجودات عقل من ذلك قدراً مشتركاً كلياً وهو الوجود
العام الكلى الذى ينقسم الى جوهر وعرض وهذا الوجود هو عندم
موضوع العلم الأعلى الناظر فى الوجود ولواحقه وهى الفلسفة الأولى
والحكمة العليا عندم :

وهم يقسمون الوجود الى جوهر وعرض : والأعراض يعملونها
تسعة أنواع هذا هو الذى ذكره أرسطوا : وأتباعه يعملون هذا من
جملة المنطق لان فيه المفردات التى ينتهى اليها الحدود المؤلفة : وكذلك
من سلك سبيلهم ممن صنف فى هذا الباب كابن حزم وغيره * وأما ابن
سينا وأتباعه فقالوا « الكلام فى هذا لا يختص بالمنطق » فأخرجوها
منه وكذلك من سلك سبيل ابن سينا كابن حامد والسهروردي
المقتول والرازى والآمدى وغيرهم . وهذه هى المقولات العشر التى
يعبرون عنها بقولهم : الجوهر : والكم : والكيف : والابن : ومتى

والاصنافه : والوضع : والملك : وأن يفعل : وأن يتفعل : وقد جمعت

في ييتين وهي

زيد الطويل الأسود بن مالك * في داره بالامس كان متكى

في يده سيف نضاه فانتضا * فهذه عشر مقولات سوا

وأكثر الناس من أتباعه وغير أتباعه أنكروا حصر الأعراض في تسعة

أجناس وقالوا إن هذا لا يقوم عليه دليل : ويثبتون إمكان ردها الى

ثلاثة والى غير ذلك من الأعداد ، وجعلوا الجواهر خمسة أنواع : الجسم

والعقل والنفس والمادة والصورة ، فالجسم جوهر حسي والباقية جواهر

عقلية ، لكن ما يذكرونه من الدليل على إثبات الجواهر العقلية انما

يدل على ثبوتها في الأذهان لافي الأعيان ،

وهذه التي يسمونها «المجردات العقلية» ويقولون : الجواهر

تنقسم الى ماديات ومجردات فالماديات القائمة بالمادة وهي الهيولى وهي

الجسم ، والمجردات هي المجردات عن المادة ، وهذه التي يسمونها المجردات

أصلها هي هذه الأمور الكلية المعقولة في نفس الانسان كما أن المفارقات

أصلها مفارقة النفس البدن ، وهذان أمران لا ينكران لكن ادعوا في

صفات النفس وأحوالها أموراً باطلة ، وأدعوا أيضاً ثبوت جواهر

عقلية قائمة بأنفسها ويقولون فيها : العاقل والمقول والعقل شئ واحد

كما يقولون مثل ذلك في رب العالمين فيقولون : هو عاقل ومعقول

وعقل ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيد وملتذ ولذة : ويحملون

الصفة عين الموصوف ، ويحملون كل صفة هي الأخرى فيجعلون نفس

العقل الذى هو العلم نفس العاقل العالم ، ونفس العشق الذى هو الحب نفس العاشق المحب ، ونفس اللذة هى نفس العلم ونفس الحب ، ويجعلون القدرة والارادة هى نفس العلم فيجعلون العلم هو قدره وهو الارادة وهو المحبة وهو اللذة ، ويجعلون العالم المرید المحب المتذ هو نفس العلم الذى هو نفس الارادة وهو نفس المحبة وهو نفس اللذة ؛ فيجعلون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ويجعلون نفس الصفات المتنوعة هى نفس الذات الموصوفة ، ثم يتناقضون فيثبتون له علماً ليس هو نفس ذاته كما تناقض ابن سينا فى اشاراته : وغيره من محققيهم ، وبسط الكلام فى الرد عليهم بموضع آخر :

والمقصود أنهم يعبرون بلفظ العقل عن جوهر فاله بنفسه ويثبتون جواهر عقلية يسمونها المجردات والمفارقات للمادة ، واذا حقق الأمر عليهم لم يكن عندهم غير نفس الانسان التى يسمونها الناطقة وغير ما يقوم بها من المعنى الذى يسمى عقلاً . وكان أرسطو واتباعه يسمون الرب عقلاً وجوهراً وهو عندهم لا يعلم شيئاً سوى نفسه ولا يريد شيئاً ولا يفعل شيئاً ويسمونه المبدأ والعلة الأولى لان الفلك عندهم متحرك للتشبه به أو متحرك الشبه بالعقل ، فحاجة الفلك عندهم الى العلة الأولى من جهة أنه متشبه بها كما يتشبه المؤمن بالامام والتلميذ بالاستاذ ، وقد يقول انه يحركه كما يحرك المعشوق عاشقه ليس عندهم أنه أبداع شيئاً ولا فعل شيئاً ، ولا كانوا يسمونه واجب الوجود ولا يقسمون الوجود الى واجب وممكن ويجعلون الممكن هو موجوداً قديماً أزلياً كالفلك عندهم

وانما هذا فعل ابن سينا وأتباعه وهم خالفوا في ذلك سلفهم وجميع العقلاء وخالفوا أنفسهم أيضا فتناقضوا فانهم صرحوا بما صرح به سلفهم وسائر العقلاء من أن الممكن الذي يمكن أن يكون موجودا وان يكون معدوماً، لا يكون الا محدثاً مسبقاً بالعدم . وأما الأزلى الذي لم يزل ولا يزال فيمتنع عندهم وعند سائر العقلاء ان يكون ممكناً يقبل الوجود والعدم بل كل ما قبل الوجود والعدم لم يكن الا محدثاً وهذا مما يستدل به على ان كل ما سوى الله فهو محدث مسبق بالعدم كائن بعد ان لم يكن كما بسط في موضعه : لكن ابن سينا ومتبعوه تناقضوا فذكروا في موضع آخر أن الوجود ينقسم الى واجب وممكن وان الممكن قد يكون قديماً ازلياً لم يزل ولا يزال يمتنع عدمه ويقولون هو واجب بغيره وجعلوا الفلك من هذا النوع فخرجوا عن إجماع العقلاء الذين وافقوهم في اثبات شيء ممكن يمكن ان يوجد وأن لا يوجد وانه مع هذا يكون قديماً ازلياً بدياً يمتنع عدمه واجب الوجود بغيره فان هذا يمتنع عند جميع العقلاء . وذلك بين في صريح العقل لمن تصور حقيقة الممكن الذي يقبل الوجود والعدم كما بسط في موضعه :

وهؤلاء المتفلسفة انما تسلطوا على المتكلمين الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم لأن هؤلاء لم يعرفوا حقيقة ما بعث الله به رسوله . ولم يحتجوا لما نصره بحجج صحيحة في المقول فقصر هؤلاء المتكلمون في معرفة السمع والعقل حتى قالوا إن الله لم يزل لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بمشيئته ثم حدث ما حدث من غير تجديد سبب حادث : وزعموا دوام

امتناع كون الرب متكلاً بمشيئته ثم حدث ما حدث من غير تجديد سبب حادث وزعموا دوام امتناع كون الرب متكلاً بمشيئته فعلاً لما يشاء لزعمهم امتناع دوام الحوادث ثم صار أئمتهم كالجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف الى امتناع دوامها في المستقبل والماضي : فقال الجهم بفناء الجنة والنار : وقال أبو الهذيل بفناء حركاتها وانهم يقولون دائماً في سكون : ويزعم بعض من سلك هذه السبيل أن هذا هو مقتضى العقل وأن كل ماله ابتداء فيجب أن يكون له انتهاء . ولما رأوا الشرع قد جاء بدوام نعيم اهل الجنة كما قال تعالى (أَكُلُّهَا دَائِمًا وَظَلُّهَا) وقال (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) ظنوا انه يجب تصديق الشرع فيما خالف فيه اهل العقل ولم يعلموا ان الحجة العقلية الصحيحة لاتناقض الحجة الشرعية الصحيحة بل يمتنع تعارض الحجج الصحيحة سواء كانت عقلية أو سمعية أو سمعية وعقلية . بل اذا تعارضت حجتان دل على فساد إحداها أو فسادها جميعاً :

وصار كثير منهم الى جواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي وذكروا فروعاً عرف حذاقهم ضعفها كما بسط في غير هذا الموضع : وهو لزومهم أن يكون الرب كان غير قادر ثم صار قادراً من غير تجديد سبب يوجب كونه قادراً وانه لم يكن يمكنه ان يفعل ولا يتكلم بمشيئته ثم صار الفعل ممكناً له بدون سبب يوجب تجديد الامكان . واذا ذكر لهم هذا قالوا كان في الأزل قادراً على ما لم يزل فقيل لهم القادر لا يكون قادراً مع كون المقدور ممتعاً بل القدرة على الممتنع ممتنعة وانها يكون قادراً على ما يمكنه ان

يفعله فاذا كان لم يزل قادراً فلم يزل يمكنه أن يفعل :
ولما كان اصل هؤلاء هذا صاروا في كلام الله على ثلاثة أقوال :فرقة
قالت الكلام لا يقوم بذات الرب بل لا يكون كلامه الا مخلوقا لانه إما
قديم واما حادث ويمتنع أن يكون قديماً لانه متكلم بهشيئته وقدرته
والقديم لا يكون بالقدرة والمشيئة : واذا كان الكلام بالقدرة والمشيئة
كان مخلوقاً لا يقوم بذاته إذ لو قام بذاته كانت قد قامت به الحوادث
والحوادث لا تقوم به لانها لو قامت به لم يخل منها ومالم يخل من الحوادث
فهو حادث : قالوا اذ بهذا الأصل أثبتنا حدوث الأجسام : وبه ثبت
حدوث العالم (قالوا) ومعلوم ان مالم يسبق الحادث لم يكن قبله اما
معه واما بعده . وما كان مع الحادث او بعده فهو حادث :

وكثير منهم لم يتفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين
فان الحادث المعين والحوادث المحصورة يمتنع أن تكون أزلية دائمة :
ومالم يكن قبلها فهو إما معها وإما بعدها : وما كان كذلك فهو حادث
قطعاً . وهذا لا يخفى على أحد :

ولكن موضع النظر والنزاع نوع الحوادث . وهو انه هل يمكن
أن يكون النوع دائماً فيكون الرب لا يزال يتكلم أو يفعل بمشيئته
وقدرته أم يمتنع ذلك ؟ فلما تفطن لهذا الفرق طائفة قالوا : وهذا أيضاً
ممتنع لامتناع حوادث لأوّل لها : وذكروا على ذلك حججاً كعجبة
التطبيق وحجة امتناع انقضاء ما لانهاية له وأمثال ذلك : وقد ذكر عامة

ما ذكر في هذا الباب وما يتعاق به في مواضع غير هذا الموضع ولكل مقام مقال .

وأولئك المتفلسفة لما رأوا أن هذا القول مما يعلم بطلانه بصريح العقل وأنه يمتنع حدوث الحوادث بدون سبب حادث ويمتنع كون الرب يصير فاعلاً بعد أن لم يكن وأن المؤثر التام يمتنع تخلف أثره عنه - ظنوا أنهم إذا بطلوا هذا القول فقد سلم لهم ما ادعوه من قدم العالم كالأفلاك وجنس المولودات ومواد العناصر: وضلوا اضلالاً عظيماً خالفوا به صرائح العقول وكذبوا به كل رسول فإن الرسل مطبقون على أن كل ماسوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن . ليس مع الله شيء قديم بقدمه وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لا بد لها من محدث : فلولم تكن الأكلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها لم يكن في العالم شيء من الحوادث . فان حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع : فانه اذا كان معلولها لازماً لها كان قديماً معها لم يتأخر عنها فلا يكون شيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث وذهبوا الى أنها تحدث بغير محدث أصلاً لا قادر ولا غير قادر . فكان ما فروا اليه شرراً مما فروا منه : وكانوا شرراً من المستجير من الرمضاء بالنار :

واعتقد هؤلاء أن المفعول المصنوع المبتدع للمين كالفلك يفارق فاعله أزلاً وأبداً لا يتقدم الفاعل عليه تقدماً زمانياً : وأولئك قالوا بل

للمؤثر التام يتراخي عنه أثره ثم يحدث الأثر من غير سبب اقتضى حدوده فأقام الأولون الأدلة العقلية الصريحة على بطلان هذا كما أقام هؤلاء الأدلة العقلية الصريحة على بطلان قول الآخرين : ولا ريب أن قول هؤلاء أهل المقارنة أشد فسادا ومناقضة لصريح المعقول وصحيح المنقول من قول أولئك أهل التراخي * والقول الثالث الذي يدل عليه المعقول الصريح ويقرّ به عامة العقلاء ودل عليه الكتاب والسنة وأقوال الساف والأئمة لم يهتد له الفريقان : وهو أن المؤثر التام يستلزم وقوع أثره عقب تأثره التام لا يقترن به ولا يتراخي كما طلقت المرأة فطلقت . وأعتقت العبد فعتق . وكسرت الأناة فانكسروقطعت الجبل فانقطع : فوقوع العتق والطلاق ليس مقارنا لنفس التطبيق والاعتاق بحيث يكون معه ولا هو أيضا متراخ عنه بل يكون عقبه متصلا به : وقد يقال هو معه ومفارق له باعتبار أنه يكون عقبه متصلا به كما يقال هو بعده متأخر عنه باعتبار أنه إنما يكون عقب التأثير التام : ولهذا قال تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فهو سبحانه يكون ما يشاء تكوينه فاذا كونه كان عقب تكوينه متصلا به لا يكون مع تكوينه في الزمان ولا يكون متراخيا عن تكوينه بينهما فصل في الزمان بل يكون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض :

وهذا مما يستدل به على أن كل ماسوى الله حادث كائن بمدان لم يكن : وان قيل مع ذلك بدوام فاعليته ومتكلميته : وهذه الأمور

مبسوطة في غير هذا الموضوع . والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قول القرآن محدث ومن قال ان الرب لم يقم به كلام ولا ارادة بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شيء من الصفات : فلما ظهر فساد هذا القول شرعا وعقلا قالت طائفة ممن وافقهم على أصل مذهبهم هو لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تنزم ذاته الحياة : ثم منهم من قال هو معنى واحد لا امتناع اجتماع معاني لانهاية لها في آن واحد وامتناع تخصيصه بمدد دون عدد : وقالوا ذلك المعنى هو الأمر بكل ما مور والخبر عن كل مخبر عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : وقالوا : ان الأمر والنهي صفات للكلام لا أنواع له . فان معنى آية الكرسي آية الدين و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) معنى واحد : فقال جمهور المقلاء لهم : تصور هذا القول بوجب العلم بفساده وقالوا لهم : موسى سمع كلام الله كله أو بعضه . إن قائم كله لزم أن يكون قد علم علم الله . وإن قائم بعضه فقد تبعض : وقالوا لهم : اذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر وحقيقة النهى عن كل منهى عنه . والأمر بكل ما مور به هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه : فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة : وحقيقة القدرة هي حقيقة الارادة فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه : ولزمهم امكان أن تكون حقيقة الذات هي حقيقة الصفات وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجوب الممكن ، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا :

الوجود واحد، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق المحدث:

وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائي وابن سبعين وأتباعهما كما بسط في مواضع: ومن هؤلاء القائلين بأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته مع قيام الكلام به من قال: كلامه المعين حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال: وزعموا أن كلام القرآن والتوراة والانجيل حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، فقال لهم جمهور العقلاء: معلوم بالاضطرار أن الباء قبل السين والسين قبل الميم فكيف يكونان معاً أزلاً وأبدًا: ومعلوم أن الصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون أزليا لم يزل ولا يزال فقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين: بل تقول أنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة وان لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور في ذلك لاشراعا ولا عقلا بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء وعليه دلت النصوص الكثيرة: وأقوال السلف والأئمة. ويقول انه يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف لكن يقول انه لم يكن في الازل متكلمًا ويمتنع أن يكون لم يزل متكلمًا بمشيئته وقدرته لان ذلك يستلزم حوادث لأول لها. وهو أصل هؤلاء. فقيل لهم معلوم ان الكلام صفة كمال لا صفة نقص وأن من يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادرًا على الكلام بمشيئته وقدرته

وحيثذ فن لم يزل متكلماً بمشيئته أ كمل ممن صار قادراً على الكلام بعد ان كان لا يمكنه أن يتكلم : وقالوا لهم اذا قلم تكلم بعد أن كان الكلام ممتنعاً من غير أن يكون هناك سبب أو جب تجدد قدرته وتجدد امكان الكلام له قلم أنه لم يزل غير قادر على الكلام ولم يزل الكلام غير ممكن له ثم صار قادراً يمكنه أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء : وهذا مخالفة لصريح العقل : وسلب لصفات الكمال عن البارى وجعله مثل المخلوق الذى صار قادراً على الكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه :

والسلف والأئمة نصوا على أن الرب تعالى لم يزل متكلماً اذا شاء وكما شاء كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين وهم الذين قالوا بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . لم يقل أحد منهم أنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته . ولا قال أحد منهم أنه مخلوق بائن عنه . ولا قال أحد منهم أنه صار متكلماً أو قادراً على الكلام بعد ان لم يكن كذلك : وقد بسطت هذه الأمور فى موضع آخر . والمقصود أن هذه الأقوال التى قالها هؤلاء المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والكلاية والكرامية والسالمية : ومن وافقهم من المتأخرين الذين انتسبوا الى بعض الأئمة الأربعة وخالفوا بها اجماع السلف والأئمة : وما جاء به الكتاب والسنة وخالفوا بها صريح المعقول الذى فطر الله عليه عباده هى التى سلطت أولئك المتفاسفة

الدهرية عليهم لكن قول الفلاسفة أعظم فساداً في المعقول والمنقول:

فصل

والمقصود هنا أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائم بالعقل: وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) * وقوله (أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) * وقوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه: ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم: ولهذا قال أهل النار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال تعالى (أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا). والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره: فالجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس: ولا بين أيام الأسبوع: ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعقل: أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل:

١ - البقرة ٧٣

٢ - الحج ٤٦

٣ - البقرة ١١٨

٤ - الملك ١٠

ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية: ومنهم من يقول العقل هو العمل: بموجب تلك العلوم. والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الفريضة التي في الإنسان

التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر : وفي اللسان قوة بها يدوق : وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء :

ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبي الحسن ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم : وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضا ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها فيقولون ان الله لا يشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لابه : وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس فان الله قال في كتابه (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِمَعْلَمِكُمْ تَذَكَّرُونَ) فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء : وقال تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَتْ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) وقال (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) وقال (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) وقال (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) وقال (يَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) ومثل هذا في القرآن

١ - الأعراف ٥٧

٢ - البقرة ١٧٤

٣ - ق ٩

٤ - التوبة ١٤

٥ - المائدة ١٦-١٥

٦ - البقرة ٢٦

كثير ، والناس يعلمون بحسبهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعد : ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى : وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان كما قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالشيء ، ومثل ذلك كثير : ولبسط هذه المسائل موضع آخر :

فصل

والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التي تفارقه بالموت ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نام عن الصلاة « إن الله قبض ارواحنا حيث شاء ورددنا حيث شاء »^(١) وقال له بلال يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك : وقال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَبَضَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) *

قال ابن عباس وأكثر المفسرين : يقبضها قبضين قبض الموت وقبض النوم ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى حتى يأتى أجلها وقت الموت : وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا نام « باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه أن أمسكت نفسى فاغفر لها وأرحمها وأن أرسلتها فاحفظها بما

١ - الأنبياء ٣٠

٢ - الزمر ٤٢

(٢) الحديث رواه البخارى مطولا ومسلم وغيرهما الا انه بلفظ « ان الله قبض ارواحكم » الخ

تحفظ به عبادك الصالحين» وقد ثبت في الصحيح «أن الشهداء جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش» وثبت أيضا بأسانيد صحيحة «ان الانسان اذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجى راضية مرضيا عنك: ويقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجى ساخطة مسخوطا عليك* وفي الحديث الآخر « نسمة المؤمن طائر تماق من ثمر الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش» فسيماها نسمة. وكذلك في الحديث الصحيح حديث المراج «ان آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى» وان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم «هذه الاسودة نسمة بنيه. عن يمينه السعداء وعن يساره الأشقياء» وفي حديث علي «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة» وفي الحديث الصحيح «إن الروح اذا قبض تبعه البصر»^(١) فقد سمي المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا. وسمى المعروج به الى السماء روحا ونفسا. لكن تسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن وتسمى روحا باعتبار لطفه فان لفظ «الروح» يقتضى اللطف ولهذا يسمى الريح روحا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الريح من روح الله»^(٢) أى من الروح التي

(١) رواه مسلم وابن ماجه والامام احمد بن حنبل عن ام سلمة :

(٢) رواه البخارى في الادب وابو داود والحاكم عن ابن هريرة بلفظ «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتها فلا تسبها واسألوا الله خيرا واستعينوا بالله من شرها»

خلقها الله فاضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف اذ كل ما يضاف الى الله ان كان عيناً قائمة بنفسها فهو ملك له وان كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله :

فالاول كقوله « نَافَقَ اللهُ وَسُقِيَاهَا » وقوله « فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا » وهو جبريل « فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا » وقال « وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا » وقال عن آدم « فَأَذَا سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَمُوا لَهُ سَاجِدِينَ » والثاني كقولنا : علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياء الله وأمر الله : لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علماً والمقدور قدرة والأمر به أمراً والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقاً . كقوله « أَنِي أَمَرُ اللهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » وقوله « إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » وقوله « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي نَقَّاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ » ومن هذا الباب قوله « إِنْ اللهُ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ . انزل منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها عباده »^(١)

١ - الشمس ١٣

٢ - مريم ١٧-١٩

٣ - التحريم ١٢

٤ - الحجر ٢١

٥ - النحل ١

٦ - آل عمران ٤٥

٧ - النساء ١٧١

(٢) الحديث في صحيح البخارى وغيره عن ابى هريرة بلفظ « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من

ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي » كما قال للنار « أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها »

فصل

ولكن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان ، فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سوידاه السارى في المروق وهو الذى تسميه الأطباء الروح ويسمى الروح الحيوانى ، فهذان المعنيان غير الروح التى تفارق بالموت التى هى النفس ، ويراد بنفس الشئ ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه : وعينه : وقد قال تعالى « تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ » وقال « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » وقال تعالى « وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ » وفي الحديث الصحيح انه قال لأُمّ المؤمنين « لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله رضات نفسه ، سبحان الله مداد كلماته »^(١) وفي الحديث الصحيح الألهى عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه

١ - المائدة ١١٦

٢ - الأنعام ٥٤

٣ - آل عمران ٢٨

الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار» اقول الذى يشقى للماتل ان يكون بين الخوف والرجاء فلا يكون مفرطاً في الرجاء بحيث يصير من الرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الايمان شئ : ولا مفرطاً في الخوف كالغزاة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة في النار بل يكون وسطاً بينهما والله الموفق : (٦) الحديث في صحيح مسلم وغيره بالفاظ مختلفة :

ذكرته في نفسى وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم»^(١) فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته : ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات ، وطائفة من الناس يحملونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات : وكلا القولين خطأ . وقد يراد بلفظ النفس الدم الذى يكون في الحيوان كقول الفقهاء « ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة » ومنه يقال نَفِسَتِ المرأة اذا حاضت ، وَنَفِسَتِ اذا نَفَسَهَا ولِدُهَا ، ومنه قيل النفساء ومنه قول الشاعر

نسيل على حد الطباة نفوسنا * وليست على غير الطباة نسيل

فهذان المعنيان بالنفس ليساهما معنى الروح : ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين صفاتها المذمومة فيقال فلان له نفس ويقال اترك نفسك ومنه قول ابي مرثد « رأيت رب العزة في المنام فقلت اى رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك » ومعلوم أنه لا يترك ذاته وانما يترك هواها وأفعالها المذمومة ، ومثل هذا كثير فى الكلام ، يقال فلان له لسان ، فلان له يد طويلة ، فلان له قلب ، يراد بذلك لسان ناطق ويد عاملة صانعة وقاب حى عارف بالحق مريد له ، قال تعالى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبَانٌ فَاسْمَعُوا وَهُوَ شَهِيدٌ » كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ « النفس » يعبر به عن

النفوس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى بخلاف لفظ «الروح» فإنها لا يمبرعنها عن ذلك اذ كان لفظ «الروح» ليس هو باعتبار مدبرها للبدن : ويقال النفوس ثلاثة أنواع : وهي النفس الامارة بالسوء التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي ، والنفس اللوامة وهي التي تذب وتثوب فمعها خير وشر لكن اذا فعلت الشر تابت وأثبتت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تلوّم أى تتردد بين الخير والشر * والنفس المطمئنة وهي التي تحب الخير والحسنات وتريدته وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة : فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ، والا فالنفس التي لكل انسان هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الانسان من نفسه * وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء ان النفوس ثلاثة : نباتية محلها الكبد ، وحيوانية محلها القلب وناطقية محلها الدماغ : وهذا ان أرادوا به أنها ثلاثة قوي تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مسلم، وان أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بانفسها فهذا غلط بين :

فصل

وأما قول السائل « هل لها كيفية تعلم ؟ » فهذا سؤال مجمل ، إن أراد أنه تعلم ما يعلم من صفاتها وأحوالها فهذا مما يعلم ، وإن أراد أنها هل لها مثل من جنس ما يشهده من الأجسام أو هل من جنس شيء من ذلك ؟ فان اراد ذلك فليست كذلك فإنها ليست من جنس العناصر الماء والهواء والنار والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والاعدن ، ولا

من جنس الأفلاك والكواكب، فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود، ولهذا يقال انه لا يُعلم كيفيتها، ويقال انه «من عرف نفسه عرف ربه» من جهة الاعتبار ومن جهة المقابلة ومن جهة الامتناع، فاما الاعتبار فانه يعلم الانسان انه حي عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به عن نفسه من انه حي عليم قدير سميع بصير فانه لو تصور لهذه المعاني من نفسه ونظر اليه لم يمكن ان يفهم ما غاب عنه كما انه لولا تصوره لما في الدنيا من العسل والابن والماء: والخر: والحري: والذهب: والفضة لما امكنه ان يتصور ما اخبر به من ذلك من الغيب، لكن لا يلزم ان يكون الغيب مثل الشهادة فقد قال ابن عباس رضى الله عنه «ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء» فان هذه الحقائق التي اخبر بها انها في الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات في الدنيا بحيث يجوز على هذه ما يجوز على تلك ويجب لها ما يجب لها ويمتنع ما يمتنع عليها ويكون مادتها مادتها ويستحيل استحالتها فان علم أن ماء الجنة لا يفسد ويأسن: ولبنها لا يتغير طعمه، وحرها لا يصدع شاربها ولا ينزف عقله فان ماءها ليس نابعا من تراب ولا نازلا من سحب مثل ما في الدنيا، ولبنها ليس مخلوقا من أنعام كما في الدنيا وأمثال ذلك، فاذا كان ذلك المخلوق يوافق ذلك المخلوق في الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه فعلم به معنى ما خاطبنا به مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة: فخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته مما في الجنة لما في الدنيا فإذا وصف نفسه بأنه حي عليم سميع

بصير قدير لم يلزم أن يكون مماثلاً لخلقه اذ كان بعدها عن مماثلة خلقه أعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق، وكل واحد من صفات الحيوان لها حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف يماثل رب العالمين شيئاً من المخلوقين والله سبحانه وتعالى سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات فسمى نفسه حياً عليماً سميماً بصيراً عزيزاً جباراً متكبراً ملكاً رؤوفاً رحيماً وسمى بعض عباده عليماً: وبعضهم حليماً وبعضهم رؤوفاً رحيماً: وبعضهم سميماً بصيراً: وبعضهم ملكاً وبعضهم عزيزاً وبعضهم جباراً متكبراً، ومعلوم أنه ليس العليم كالعليم ولا الحليم كالخليم ولا السميع كالسميع وهكذا في سائر الأسماء، قال سبحانه وتعالى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» وقال «وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» وقال «أَنَّهُ كَانَ حَكِيماً غَفُوراً» وقال «فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» وقال «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ» وقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» وقال «إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيماً بَصِيراً» وقال تعالى «أَمْشِجْ نَبْتَيْهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيماً بَصِيراً» وكذلك سائر ما ذكر لكن الانسان يعتبر بما عرفه مالم يعرفه ولولا ذلك لانسدت عليه طرق المعارف للأموور الغائبة، وأما من جهة المقابلة فيقال من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية: ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالثنى: ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدره: ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم: ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز، وهكذا أمثال ذلك لأن العبد ليس له من نفسه إلا العدم، وصفات

١ - النساء ١١

٢ - الذاريات ٢٨

٣ - الاسراء ٤٤

٤ - الصافات ١٠١

٥ - الحج ٦٥

٦ - التوبة ١٢٨

٧ - النساك ٥٨

٨ - الإنسان ٢

النقص كلها ترجع الى العدم ، وأما الرب تعالى فله صفات الكمال وهي من لوازم ذاته يمتنع انفكاكه عن صفات الكمال أزلاً وأبداً ويمتنع عدمها لأنه واجب الوجود أزلاً وأبداً وصفات كماله من لوازم ذاته ويمتنع ارتفاع اللازم الآبارتفاع المزموم فلا يعد شيء من صفات كماله إلا بعد ذاته وذاته يمتنع عليها العدم فيمتنع على شيء من صفات كماله العدم ، :

وأما من جهة العجز والامتناع فانه يقال اذا كانت نفس الانسان التي هي أقرب الأشياء اليه بل هي هويته وهو لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علماً بحقيقته ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم بربه « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك »^(١) وثبت في صحيح مسلم وغيره « أنه كان يقول هذا في سجوده » وقد روى الترمذى وغيره « أنه كان يقوله في قنوت الوتر وان كان في هذا الحديث نظر فالأول صحيح ثابت :

فصل

وأما سؤال السائل هل هو جوهر أو عرض فالجواب فيه اجمال ، ومعلوم أنه لم يرد بالسؤال الجوهر في اللغة مع أنه قد قيل إن لفظ «الجوهر» ليس من لغة العرب وانه معرب ، وانما أراد السائل الجوهر في الاصطلاح من تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض .

(١) رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذى وابن ماجه

وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر التحيز فيكون الجسم التحيز عندهم
 جوهرًا ، وقد يريدون به الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ •
 والمقلاء منازعون في اثبات هذا وهو أن الأجسام هل هي مركبة من
 الجواهر المفردة أم من المادة والصورة أم ليست مركبة لا من هذا
 ولا من هذا على ثلاثة أقوال أصحها الثالث أنها ليست مركبة لا من
 الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وهذا قول كثير من طوائف
 أهل الكلام كالمشائية والضرارية والنجارية والكلائية وكثير من
 الكرامية وهو قول جمهور الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم
 بل هو قول أكثر المقلاء كما قد بسط في موضعه ،

والقائلون بأن لفظ « الجوهر » يقال على التحيز متنازعون هل
 يمكن وجود جوهر ليس بمتحيز ، ثم هؤلاء منهم من يقول : كل موجود
 فاما جوهر واما عرض ، ويدخل الموجود الواجب في مسمى الجوهر :
 ومن هؤلاء من يقول كل موجود فاما جسم أو عرض ، ويدخل الموجود
 الواجب في مسمى الجسم ، وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظائر المسلمين
 وغيرهم ، ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرًا ولا يسميه جسمًا ،
 وحكى عن بعض نظائر المسلمين أنه يسميه جسمًا ولا يسميه جوهرًا إلا
 أن الجسم عنده هو المشار إليه أو القائم بنفسه والجوهر عنده هو
 الجوهر الفرد .

ولفظ العرض في اللغة له معنى وهو ما يعرض ويزول كما قال تعالى
 « يَا خُدُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى » وعند أهل الاصطلاح الكلامي

قد يراد بالعرض ما يقوم بغيره مطلقا وقد يراد به ما يقوم بالجسم من الصفات، ويراد به في غير هذا الاصطلاح أمور أخرى . ومعلوم أن مذهب السلف والائمة وعامة أهل السنة والجماعة اثبات صفات الله وأن له علماً وقدره وحياة وكلاماً ، ويسمون هذه صفات : ثم منهم من يقول هي صفات وليست أعراضاً لأن العرض لا يبقى زمانين وهذه باقية ، ومنهم من يقول بل تسمى أعراضاً لان العرض قد يبقى ، وقول من قال « ان كل عرض لا يبقى زمانين قول ضعيف : واذا كانت الصفات الباقية تسمى اعراضاً جاز أن يسمى هذه اعراضاً : ومنهم من يقول « أنا لا أطلق ذلك بناء على أن الاطلاق مستنده الشرع »

والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والمقل والشرع وإن لم يرد باطلاقه نص ولا اجماع أم لا يطلق الا ما أطلق نص أو اجماع على قولين مشهورين ، وعامة النظار يطلقون ما لا نص في اطلاقه والاجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك ، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يُدعى بها وبين ما يخبر به عنه للحاجة فهو سبحانه انما يُدعى بالاسماء الحسنی كما قال « وَلَقَدْ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا » واما اذا احتيج الى الاخبار عنه مثل ان يقال : ليس هو قديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها : ونحو ذلك ففيل تحقيق الاسباب بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها ، وقيل ليس بشيء ففيل بل هو شيء فهذا سائق وان كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل : يا شيء اذ كان هذا

لفظاً يعم كل موجود وكذلك لفظ « ذات وموجود » ونحو ذلك الا اذا سمي بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله « وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ » فهذا اخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق . اذا تبين هذا فالنفس وهى الروح المدبرة لبدن الانسان - هى من باب ما يقوم بنفسه التى تسمى جوهرها وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الأعراض التى هى صفات قائمة بغيرها ، واما التعبير عنها بلفظ « الجوهر » « والجسم » ففيه نزاع بعبارة اصطلاحى وبعضه معنوى فن عنى بالجواهر القائم بنفسه فهى جوهر وهى عنى بالجسم ما يشار اليه وقال انه يشار اليها فهى عنده جسم ومن عنى بالجسم المركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة فبعض هؤلاء قال انها جسم أيضاً ومن عنى بالجواهر المتحيز القابل للقسمه ففهم من يقول انها جوهر ، والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة ، وليست من جنس الاجسام المتحيزات المشهودة المهودة ، وأما الاشارة اليها فانه يشار اليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية :

فصل

وأما قول القائل ، أين مسكنها من الجسد ؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هى سارية فى الجسد كما تسرى الحياة التى هى عرض فى جميع الجسد فان الحياة مشروطة بالروح فاذا كانت الروح فى الجسد

كان فيه حياة واذا فارقته الروح فارقته الحياة :

فصل

وأما قوله : أين مسكن العقل فيه ؟ فالعقل قائم بنفس الانسان التي تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى « أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُوكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا » وقيل لابن عباس : بماذا نلت العلم : قال « بلسان سؤال وقلب عقول » لكن لفظ « القلب » قد يراد به المضغ الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان في الجسد مضغاً اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد » : وقد يراد بالقلب باطن الانسان مطلقاً فان قلب الشيء باطنه كقلب الخنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمي القلب قلباً لانه اخرج قلبه وهو باطنه ، وعلى هذا فاذا اريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً ولهذا قيل : ان العقل في الدماغ : كما يقوله كثير من الاطباء ونقل ذلك عن الامام احمد ويقال طائفة من أصحابه : ان أصل العقل في القلب فاذا كمل انتهى الى الدماغ . والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا ، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الارادة في القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم والعمل الاختيارى أصله الارادة وأصل الارادة في القلب ، والمريد لا يكون مريداً الا بعد تصور المراد

فلا بد أن يكون القاب متصوراً فيكون منه هذا وهذا، وابتدىء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة الى الدماغ فنه المبتدأ واليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح؟ وهذا مقدار ما وسعته هذه الاوراق والله اعلم

تمت الرسالة والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن كان بشعره عاملاً :

نقلت هذه النسخة عن نسخة خطية مكتوب عليها هكذا: وقرئت على مصنفها شيخ الاسلام الامام العلامة تقي الدين أبي العباس احمد عبد الحلیم ابن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه . قرأها مسطر هذه الاحرف محمد بن عبد الله بن احمد سبط مرشق المالكي عفا الله عنه



قاعدة نافعة

في صفة الكلام

لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام العالم المتقن المحقق الزاهد الورع الحبر الكامل جامع الفضائل ومرجع الأفاضل معين السائل ومعين المسائل حجة الاسلام بركة الأنام ناصر السنة وقامع للبدعة تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ الامام العالم نخر الدين عبد الحلیم بن الشيخ الامام العالم العامل القطب مجد الدين عبد السلام بن الشيخ ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني أسبغ الله عليه ملابس نعمه الفاخرة: وورزقه فعل سعادتي الدنيا والآخرة:

(قاعدة نافعة)

(فصل) في بيان ان القرآن كلام الله ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد وغيرهما قال الله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ لَمْ أَكْذِبْكُمْ لَأَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ فَآمُرُهُ أَنْ يَقُولَ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَاذْهَبِ فِي قَوْلِهِ قُلْ نَزَّلَهُ عَائِدٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ بَمَا يُنزِلُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْقُرْآنِ : وَقَوْلُهُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ) فِيهِ إِخْبَارٌ أَنَّ اللَّهَ بَانَهُ أَنْزَلَهُ لَكِن لَيْسَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ بَيَانٌ أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَزَلَ بِهِ وَلَا أَنَّهُ مَنزِلٌ مِنْهُ وَلَفْظُ الْأَنْزَالِ فِي الْقُرْآنِ قَدْ يَرِدُ مَقِيدًا بِالْأَنْزَالِ مِنْهُ كَنَزُولِ الْقُرْآنِ وَقَدْ يَرِدُ مَقِيدًا بِالْأَنْزَالِ مِنَ السَّمَاءِ وَيُرَادُ بِهِ الْعُلُوقُ فَيَتَنَاوَلُ نَزُولَ الْمَطَرِ مِنَ السَّحَابِ وَنَزُولَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ يَرِدُ مَطْلَقًا فَلَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ مِنَ الْأَنْزَالِ بَلْ رُبَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَنْزَالِ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ كَقَوْلِهِ (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) وَالْأَنْزَالُ مِنْ ظُهُورِ الْحَيَوَانَاتِ كَأَنْزَالِ الْفَحْلِ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ : فَقَوْلُهُ (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) بَيَانٌ لِنَزُولِ جِبْرِيلَ بِهِ مِنَ اللَّهِ فَان رُوحَ الْقُدُسِ هُنَا هُوَ جِبْرِيلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ) وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ فِي قَوْلِهِ (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) وَفِي قَوْلِهِ الْأَمِينُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُؤْتَمَنٌ عَلَى مَا أُرْسِلَ بِهِ لِأَيُّزِيدَ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ فَان الرُّسُولُ الْخَائِنُ قَدْ يَغْيِرُ الرِّسَالَهَ كَمَا قَالَ فِي صِفَتِهِ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى (إِنَّهُ

١ - النحل ٩٨-١٠٢

٢ - الحديد ٢٥

٣ - البقرة ٩٧

٤ - الشعراء ١٩٢-١٩٥

لَقَوْلِ رَسُولِ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ
 آمِينَ (وفي قوله (منزل من ربك) دلالة على أمور منها بطلان قول من
 يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول
 الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية
 وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن
 مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جهميا فان جهما اول من ظهرت عنه
 بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية
 المبالغة في النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جهم
 سببه الى بعض ذلك فان الجعد بن درهم اول من احدث ذلك في الإسلام
 فضحى به خالد بن عبدالله القسرى بواسطة يوم النحر وقال أيها الناس
 ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم
 يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن
 درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما على بعض
 ذلك فهم مخالفوه في مسائل غير ذلك : كسائل القدر والايان وبعض
 مسائل الصفات ايضا ولا يبالغون في النفي مبالغته :

وجهم يقول ان الله تعالى لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز
 وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول
 جهم وجهم ينفي الأسماء أيضا كما نفى الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة
 واما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء والمقصود ان قوله (منزل من ربك)

فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اي هو الذي تكلم به لم يبتد من غيره كما قالت الخلقية * ومنها ان قوله (منزل من ربك) فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله * ومنها ان هذه الآية ايضا تبطل قول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل او محمد او جسم آخر غيرها كما يقول ذلك الكلالية والأشعرية الذين يقولون ان القرآن العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه للمعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الأجسام الهوائية او غيره او الهمة جبريل فمبعر عنه بالقرآن العربي او الهمة محمد فمبعر عنه بالقرآن العربي او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره : فهذه الأقوال التي تقال تفريع على هذا القول فن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل ان يصل الينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما ان اوائله يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون انه كلام الله لكن يسمونه كلام الله مجازا وهذا قول أثبتهم وجهورم : وقال طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة

بل يجعلون القرآن العربي كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه : فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى يوافقون هؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر : لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسرانية كان انجيلا : ومنهم من قال هو خمس معان :

وجهور المعتلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والمعتلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما في مخبر الاخبار المتواترة : واما مع التواطؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو يفهم حقيقة القول الذي يعتقدده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله : ولجه لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة :

وقال جمهور المعتلاء نحن اذا اعربنا التورية والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا وكذلك معنى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) يس هو معنى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) ولا معنى آية الكرسي هو

معنى آية الدين: وقال اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاغترف أئمة لهذا القول بان هذا الالتزام ليس لهم عنه جواب عقلي: ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت لها قائل بالتعدد واما ناف لها واما اثباتها واتحادها بخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي ابي بكر وابي المعالي وغيرهما: ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كابى الحسن الامدى وغيره: والمقصود هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تثبت بطلان غيره فان قوله (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ) يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربى لفظه ومعناه بدليل قوله (فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) وانا يقرأ القرآن العربى لا يقرأ معانيه المجردة: وايضا فضمير المفعول فى قوله نزله عائد على ما فى قوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) فالذى انزله الله هو الذى نزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شىء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه قال عقيب هذه الآية (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وهم كانوا يقولون انا يعلمه هذا القرآن العربى بشر لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) فانه تعالى ابطال قول الكفار بان

١ - النحل ١٠٢

٢ - النحل ٩٨

٣ - النحل ١٠١

٤ - النحل ١٠٣

لسان الذى الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذى يعلم
محمد القرآن لسان أعجمى والقرآن لسان عربى ميين وعبر عن هذا المعنى
بلفظ يلحدون لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم الى هذا الذى
أضافوا اليه القرآن فان لفظ الاحاد يقتضى ميلا عن شىء الى شىء
يباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم
فان الانسان قد يتعلم من الأعجمى شيئا بلغة ذلك الأعجمى ويعبر عنه
هو بمبارته وقد اشتهر فى التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو
تعلمه من شخص كان بمكة أعجمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمى
واذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله اطل
ذلك بان لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى ميين علم ان روح القدس
نزل باللسان العربى وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح
القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه لم يؤلفه
هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذى هو اللسان العربى سمعه روح
القدس من الله ونزل به منه : ونظير هذه الآية قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) الى قوله (مُقَرَّرُونَ)
وكذلك قوله (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُتَرَبِّينَ) والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان
الكلاية او بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله فيقول كلامه هو

١ - الأنعام ١١٢-١١٣

٢ - الأنعام ١١٤

وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي
نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى (أَلَمْ تَرَ تِلْكَ
آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) وقال (طُسِ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ
مُّبِينٍ) وقال (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)
الى قوله تعالى (قَالُوا يَا قَوْمِ مَنْ آتَانَا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ
مُوسَىٰ) فيزان الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب : وقال (بَلْ هُوَ
قُرْآنٌ مُّبِينٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) وقال (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ) وقال (يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ) وقال
(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) وقال (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) لكن لفظ الكتاب قد
يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال
تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ) وقال (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) والمقصود هنا ان قوله وهو الذي انزل
اليك الكتاب مفصلا يتناول نزول القرآن العربي على كل قول : وقد
اخبر (ان الذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) اخبار
مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه
او يقولونه والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن
الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله لا من
الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا

١ - الحجر ١

٢ - النحل ١

٣ - الأحقاف ٢٩

٤ - الأحقاف ٣٠

٥ - البروج ٢٢-٢١

٦ - الواقعة ٧٧-٧٨

٧ - البينة ٢-٢

٨ - الطور ٣-١

٩ - الأنعام ٧

١٠ - الاسراء ٢

غيرها واذا كان اهل الكتب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا يتنافى ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** انزل الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجبا مفرقا بحسب الحوادث ولا يتنافى انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى **(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)** وقال تعالى **(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)** وقال تعالى **(كَلَّا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ فَنَسَاءٌ ذِكْرَةٌ فِي صُفْحٍ مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ)** وقال تعالى **(وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ)** فان كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ : وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا يتنافى كون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فاذا كان ما يخافه باثنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف

١ - القدر

٢ - البروج ٢٢-٢١

٣ - الواقعة ٧٦-٧٧

٤ - عبس ١١-١٦

٥ - الزخرف ٤

نستبعد ان يكتب كلامه الذى يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم : ومن قال ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه : منها ان يقال فالله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب الذى كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فان كان محمد أخذ عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلا من محمد بدرجة : وكذلك من قال انه اتى الى جبريل المعاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربى فقله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما وهذا الالهام يكون لاحاد المؤمنين : وكما قال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ امْسُوا بِي وَبِرَسُولِي) وقال (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) وقد أوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذى يكون لاحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل لان جبريل الذى علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم ابن عربى ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم الانبياء وقال لأنه يأخذ من المعدن الذى يوحى به الى الرسول فجعل اخذه واخذ الملك الذى جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذه عن الله أعلى من اخذ الرسول للقرآن : ومعلوم ان هذا من أعظم الكفر وان هذا القول من جنسه : وايضا فالله تعالى يقول (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) الى قوله (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليه وهذا يدل على أمور على

١ - المائة ١١١

٢ - القصص ٧

٣ - النساء ١٦٣

٤ - النساء ١٦٤

ان الله يكلم عبده تكليماً زائداً عن الوحي الذي هو قسم التكليم الخاص فان اخص لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم العام هو المقسوم في قوله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) والتكليم المطلق هو قسم الوحي الخاص ليس هو قسماً منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحي العام الذى يكون لأحد العباد : ومثل هذا قوله في الآية الأخرى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) فيُوحَى بإذنه ما يشاء) فانه فرق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى بإذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الإيحاء : وأيضاً فقوله « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » وقوله « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » وقوله « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره : وكذلك قوله « بلغ ما أنزل إليك من ربك » فانه يدل على اثبات ان ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ ما مور بتبليغ ذلك : وأيضاً فم يقولون انه معنى واحد فان كان

١ - الشورى ٥١

٢ - طه ١٣

٣ - الزمر ١

٤ - غافر ٢

٥ - فصلت ٢

٦ - المائدة ٦٧

موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله وأنزل عليه شيئاً من كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة: وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم: وأيضاً فقوله « وكلم الله موسى تكليماً » وقوله « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » وقوله « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا » وقوله « فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » الآيات دليل على تكليم يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة: ومن قال انه يسمع فهو مكابر: ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتاً مسموعاً ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً وأيضاً فقد قال تعالى « فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وقوله « فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » وقال « هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى » وقال « فلما أناها نودي يا موسى انى أنا ربك » وفى

١ - النساء ١٦٤

٢ - الأعراف ١٤٣

٣ - مريم ٥٢

٤ - طه ١١-١٣

٥ - النمل ٨

٦ - القصص ٣٠

٧ - التارعات ١٥-١٦

٨ - طه ١١-١٢

هذا دليل على انه حينئذ نودى ولم يناد قبل ذلك : ولما فيها من معنى الظرف كما في قوله « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا » ومثل هذا قوله « ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين » (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) فإنه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء : ومثل هذا قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وقوله « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين فاز الكلاوية ومن وافقهم من أصحاب الأئمة الأربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته :

ثم من هؤلاء من يقول انه معنى واحد لان الحروف والأصوات متعاقبة يمتنع أن تكون قديمة : ومن قال بل الحروف والأصوات قديمة الأعيان وانها مترتبة في ذاتها متقاربة في وجودها لم تنزل ولا تزال قائمة بذاته والنداء الذي سمعه موسى قديم أزلي لم يزل ولا يزال : ومنهم من قال بل الحروف قديمة الأعيان بخلاف الأصوات وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال لأنه يكون هناك كلام بتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجوداً قبل سماعه

١ - الجن ١٩

٢ - القصص ٦٥

٣ - القصص ٦٢

٤ - البقرة ٣٠

٥ - البقرة ٣٤

بمنزلة ما جعل الأعمى بصيراً لما كان موجوداً قبل رؤيته من غير أحداث
 شيء منفصل عن الأعمى: فعندم لما جاء موسى لبيقات ربه سمع النداء القديم
 لانه حينئذ نودي: ولهذا يقولون انه يسمع كلامه خلقه بدل قول الناس انه
 يكلم خلقه وهو لا يردون على الخلقية الذين يقولون القرآن مخلوق ويقولون
 عن أنفسهم أنهم أهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا ان القرآن كلام الله
 غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم أقرب الى قول السلف
 من وجه وقول الخلقية أقرب الى قول السلف من وجه. أما كون
 قولهم أقرب فلأنهم يثبتون لله كلاماً قائماً بذاته بنفس الله وهذا قول
 السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه في غيره
 فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف: وأما كون قول الخلقية أقرب
 فلأنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف وهؤلاء
 عندم لا يقدر الله على شيء من كلامه وليس كلامه بمشيئته واختياره
 بل كلامه عندم كحياته وعم يقولون الكلام عندنا صفة ذات لا صفة
 فعل: والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات: ومذهب السلف انه صفة
 ذات وفعل معا فكل منهما موافق للسلف من وجه دون وجه واختلافهم
 في كلام الله تعالى شبيه اختلافهم في رضاه وغضبه واراادته وكرهته
 وجهه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك: فان هؤلاء يقولون هذه
 كلها أمور مخلوقة بائنة عنه ترجع الى الثواب والعقاب: والآخرون
 يقولون بل هذه كلها أمور قديمة الأعيان قائمة بذاته: ثم منهم من يجعلها
 كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات: ومنهم من

يقول بل هي صفات متعددة الأعيان لكن يقول كل واحدة واحدة العين قديمة قبل وجود مقتضياتها كما قالوا مثل ذلك في الكلام والله تعالى يقول «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَّهُوا رِضْوَانَهُ» فأخبر أن أفعالهم أسخطته : وقال تعالى « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ » أى أغضبونا : وقال تعالى « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » الى أمثال ذلك مما بين انه سخط على الكفار لما كفروا ورضى عن المؤمنين لما آمنوا: ونظير هذا اختلافهم في أفعاله ومسائل القدر فان المعتزلة يقولون انه يفعل لحكمة مقصودة وارادة الاحسان الى العباد لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود اليه: وأولئك يقولون لا يفعل لحكمة ولا المقصود أصلا: فأولئك أثبتوا حكمة لكن لا تقوم به : وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يعود اليه وكذلك في الكلام أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به : وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به لا يعود حكمته اليه والفريقان ينعون ان يقوم به حكمة مرادة له كما يمنع الفريقان ان يقوم به كلام وفعل يريد به : وقول أولئك أقرب الى قول السلف: والفقهاء اذا أثبتوا الحكمة والمصلحة في أحكامه وأفعاله أثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيبته : وقول هؤلاء أقرب الى السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه الذى لم يتم به اصلا ولا يعود اليه حكم من شيء لم يتم به فلا يكون متكلما بكلام لم يتم به ولا يكون حكما كريما ورحيما بحكمة ورحمة لم يتم به كما

١ - محمد ٢٨

٢ - الزخرف ٥٥

٣ - غافر ٦٠

لا يكون عليا بعلم لم يقم به وقدير ابقدرة لم تقم به ولا يكون محبا راضيا غضبانا بحب ورضى وعضب لم يقم به فكل من المعتزلة والأشعرية في مسائل كلام الله وافعال الله وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه وليس قول احدهما هو قول السلف دون الآخر لسكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات بل وسائر صفاته : والقدر أقرب الى قول السلف دون الآخر والأئمة من المعتزلة :

فان قيل فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) وهذا يدل على هذا ان الرسول أحدث الكلام العربي فقيل هذا باطل وذلك لأن الله ذكره في القرآن في موضعين فالرسول في أحد الموضعين محمد والرسول في الآية الأخرى جبريل قال تعالى في سورة الحاقة (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم : وقال في سورة التكوير (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ نَمَّ أَمِينٍ) فالرسول هنا جبريل فلو كان أضافه الى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين فانه ان كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع ان يكون الآخر هو الذي أحدثها وأيضا فانه قال لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول يستلزم مرسله

١ - الحاقة ٤٠

٢ - الحاقة ٤٠-٤٣

٣ - التكوير ١٩-٢١

فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله لانه أنشأ منه شيئاً من جهة نفسه : وهذا يدل على انه أضافه الى الرسول لانه بلغه وأداه لا لانه أنشأ منه شيئاً ولا ابتدأه وأيضاً فان الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدِّرْتُمْ نَظَرْتُمْ عِبْسَ وَإِبْسَ ثُمَّ أَدْرَأْتُمْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُوتَرُونَ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) ومحمد بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر: ومع هذا فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) فجعله قول الرسول البشرى مع تكفير من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم ويقول «الا رجل يحمانى الى قومه لأبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من قاله مبالغاً مؤدياً وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيّد بواسطة كما قال تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

١ - اللذشر ١٨-٢٥

٢ - الحاققة ٤٠-٤١

٣ - التوبة ٦

فِيُوحَى بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كالم
 موسى وبين التكليم بواسطة الرسول كما كالم الأنبياء بإرسال رسول
 اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم به
 بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يباغون كلامه
 بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع منا
 حديثا فبلغه كما سمعه » فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت
 نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ
 بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام
 المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك: ولهذا قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 « زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت
 الذي يقرأ به العبد صوت القارىء وأصوات العباد ليست هي عين الصوت
 الذي ينادى الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله
 ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله فليس علمه مثل علم
 المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه
 مثل نداءهم ولا صوته مثل أصواتهم فن قال عن القرآن الذي يقرؤه
 المسلمون ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال:
 ومن قال ان أصوات العباد والمداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي
 فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن وهو كلام الله وهو مثبت في

المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والانسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة ويراها في ماء أو مرآة فهذه رؤية مفيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام لم يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه في الموضوعين كما ان المقصود في الرؤية هو المرئي في الموضوعين

فن عرف ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة التي نصيب كثيراً من الناس في هذا الباب فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقاً ان يكون نفس الكلام مخلوقاً * وقالت طائفة هذا المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن ليس بمخلوق فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه * وطائفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا كلام الله فالشار اليه الكلام من حيث هو وهو الثابت اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ عنه واذا قيل المسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموعاً من المبلغ عنه لا مسموعاً منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق: وأما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها في غير هذا الموضوع:

فصل

فان قيل ما منشأ هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف *
 قيل منشأه هو الكلام الذي ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشبه
 المشتمل على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما يخالف العقل
 والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل وهؤلاء
 جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق وباطل وباطله هو المخالف للكتاب
 والسنة واجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف
 ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما تناظروا في مسألة
 حدوث العالم واثبات الصانع فاستدل الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم
 من طوائف أهل الكلام على ذلك بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم
 ان المستدلين بذلك على حدوث الأجسام قالوا ان الأجسام لا تخلو عن
 الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم في
 المقدمة الأولى فتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون
 وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق
 وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الأركان الأربعة
 الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وهي حادثة: وهذه طرق المعتزلة
 ومن وافقهم على ان الأجسام قد تخلو عن بعض أنواع الأعراض وتارة
 يثبتونها بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من الأعراض عن عرض
 منه ويقولون القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ويقولون ان الأعراض

يتمتع بقاؤها لان العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقة هي التي اختارها
الامدي وزيف ما سواها وذكر ان جمهور اصحابه اعتمدوا عليها وقد
واقفهم عليها طائفة من الفقهاء من اصحاب الأئمة الأربعة كالقاضي أبي
يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأمثالهم : وأما الهشامية
والكرامية وغيرهم من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم
ويقولون ان القديم تقوم به الحوادث فهو لاء اذا قالوا بأن ما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة
في هذا الأصل فانهم يقولون الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف
الاجسام المحدثه فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون في السكون
هل هو أمر وجودي أو عدمي فمن قال انه وجودي قال الجسم الذي
لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون
الوجودي وهذا قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث
المتصف بذلك ومن قال انه عدمي لم يلزم من عدم الحركة عن المحل
ثبوت سكون وجودي فمن قال انه تقوم به الحركة والحوادث بمد
ان لم يكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو قول الكرامية
وغيرهم ويقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بفنائها سكون وجودي
بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والأشعرية وغيرهم انه يفعل بعد
ان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان عدم الفعل أمر وجودي كذلك
الحركة عند هؤلاء وكان كثير من أهل الكلام يقولون ما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث بناء على أن

هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلا بد ان يقارنه أو يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث:

وهذا الكلام مجمل فاذا اريد ما لا يخلو عن الحادث المعين او ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ماله اول او ما كان بعده العدم ونحو ذلك واما اذا اريد بالحوادث الأمور التي تكون شيئاً بعد شيء لا الى أول: وقيل انه لا يخلو عنها وما لم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهراً ولا يئنا بل هذا مقام حار فيه كثير من الأفهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار المستدلون بقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا الدليل لا يتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لا أول لها فذكروا في ذلك طرقاً قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضوع:

وهذا الأصل تنازع الناس فيه على ثلاثة أقوال: فقيل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبامتناع حوادث لا أول لها مطلقاً وهذا قول المعتزلة ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل في ذلك من الفقهاء وغيرهم * وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقاً وليس كل ما قارن حادثاً بعد حادث لا الى اول يجب ان يكون حادثاً بل يجوز ان يكون قديماً سواء كان واجباً بنفسه او بغيره وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفة القائلين بقدم الأفلاك كارسطو واتباعه مثل ثامسطيوس : والاسكندر الافريديوسي : وبرقليس والفارابي وابن سينا وامثالهم :

واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون
بقدم الافلاك: ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء متنازعون في قيام
الصفات والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين لهم واثبت
ذلك قول كثير من الأساطين القدماء وبعض المتأخرين كابي البركات
صاحب المعتبر وغيره كما بسطت اقوالهم في غير هذا الموضع وقيل بل
ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وانه هو الذي يسمى مفعولا ومعلولا
ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا وان كان واجبا
بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا قول أئمة أهل الملل واساطين
الفلاسفة وهو قول جماهير أهل الحديث وصاحب هذا القول يقول
مالا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث او مالا يخلو عن
الحوادث وهو معلول او منمعلول او مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه
اذا كان مفعولا مستلزما للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم
المعلول لا يكون قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله
بحيث يكون معه ازليا لا يتأخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث
يتمتع ان يكون فاعلا موجبا بذاته يستلزم معلوله في الازل فان الحوادث
المتعاقبة شيئا بعد شيء لا يكون مجموعها في الأزل ولا شيء منها ازليا
بل الأزلى هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب بذاته والمستلزم
لمعلوله في الأزل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء سواء كان صادرا عنه
بواسطة أو بغير واسطة فان ما كان واحدا بعد واحد يكون متعاقبا
حادثا شيئا بعد شيء: فيمتنع ان يكون معلولا مقارنا لعلته في الازل

بمخلاف ما اذ قيل ان المقارن لذلك هو الواجب بذاته الذي يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير لا يكون في الأزل موجبا بذاته ولا علة تامة لشيء من العالم فلا يكون معه في الأزل من المخلوقات شيء لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته اذ المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التأثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو لم يكن مؤثرا تاما فوجود الاثر يستلزم وجود المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الاثر فليس في الأزل مؤثر تام فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديم بقدمه والأزل ليس هو حدا محدودا ولا وقتا مميئا بل كل ما يقدره العقل من الغاية التي ينتهي اليها فالأزل قبل ذلك كما هو قبل ما يقدره فالأزل لا اول له كما ان الأبد لا آخر له : وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فلو قيل انه مؤثر تام في الأزل لشيء من الأشياء لزم ان يكون مقارنا له دائما وذلك ينافي كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا في الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام للصفة كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة ايس المراد بذلك ان الذات مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبتدع امتنع في المقارن بصريح المعقول سواء سمي علة فاعلة او خالفا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالأثر شيء من الحوادث لان كل حادث يحدث لا يحدث الا اذا وجد مؤثره التام عند حدوثه وان كانت ذات المؤثرة موجودة قبل ذلك لكن لا بد من كمال وجود

شروط التأثير عند وجود الأثر والالزم الترجيح بلا مرجح وتختلف
المعلول عن العلة التامة ووجود الممكن بدون المرجح التام: وكل هذا
ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر الشيء من الحوادث في الأزل وامتنع ان
يكون مؤثرا في الأزل فيما يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون
اللازم محال فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما
واذا قيل ذاته مقتضية للحدث الثاني بشرط انقضاء الاول * قيل
فايس هو مقتضيا لشيء واحد دائما فلا يكون معه قديم من مفعولاته
* وقيل ايضا هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال متعاقبة تختلف
المفعولات لاجلها فاما اذا قدر ان لا يقوم بها شيء من الاحوال المتعاقبة بل
حالتها عند وجود الحادث كحالتها قبله كان امتناع فعله للحوادث المتعاقبة
البائنة أعظم من امتناع فعله لحادث معين فاذا كان الثاني ممتنعا عندهم
فالأول أولى بالامتناع ومتى كان للذات احوال متعاقبة تقوم بها بطلت
كل حجة لهم على قدم شيء من العالم وامتنع أيضا قدم شيء من العالم اذا
كان المفعول لا بد له من فعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله
الاحادثا وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع :

فصل

واذا عرف الأصل الذي منه تفرع نزاع الناس في مسألة كلام الله
فالذين قالوا مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا تنازعوا في كلام الله
تعالى: فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة المتكلم وقدرته

فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرّب لا يقوم به الحوادث
فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا كلامه مخلوقا من المخلوقات ولم
يفرقوا بين قال وفعل : وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها الخالق فلا
يتصف بما يخلقه في غيره . من الألوان والأصوات والروائح والحركة
والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من
الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات كلامه ومن علم
انه خالق كلام العباد وفعالهم يازم ان يقول كل كلام في الوجود فهو
كلامه كما قال بعض الاتحادية :

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا شره ونظامه
وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون
انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا :
وأما المعتزلة فلا يقولون ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب
القول بذلك : وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويتمنع ان
يكون كلامه مخلوقا في غيره وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه
حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية
وغيرهم ثم من هؤلاء من يقول كلامه كانه حادث لا يحدث : ومنهم من
يقول هو حادث ومحدث : وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع
حوادث لا أول لها مطلقا الكلام لازم لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو
متملقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته
ومشيئته لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او قائما

بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا التفرغ على هذا الأصل: ثم ان هؤلاء لما قالوا بقديم عيز الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا أصواتا لان الصوت يستحيل بقاءه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاءه امتنع قدم عينه بطريق الأولى والأخرى فيمتنع قدم شيء من الأصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة لان تلك لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا بغيره فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تمده لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لا يتناهي لزم وجود اعداد لانهاية لها في آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الأمر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والقرآن وهذا اصل قول الكلايسية والاشعرية: وقالت طائفة من اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال وهي مترتبة في ذاتها لاني وجودها كالحروف الموجودة في المصحف وليس باصوات قديمة: ومنهم من قال بل هو أيضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي لا توجد الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد كما يفرق بين الأصوات وللداد فان الأصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى واذا كان الصوت لا يبقى

امتنع ان يكون الصوت المميز قديماً لان ماوجب قدمه ازم بقاؤه
وامتنع عدمه والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد
او ما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع في حجر وورق بازالة بعض
اجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد : وأما الحروف المنطوقة فقد
يراد بها ايضا الأصوات المقطوعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات
وأطرافها كما يراد بالحروف في الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف الرغيف
وحرف الجبل ونحو ذلك : ومنه قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ
اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) وقد يراد بالحروف الحروف الخالية الباطنة وهو ما يتشكل
في باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به : وقد
تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون أصوات في الحى الناطق
على قولين لهم وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة بقديم أعيان
الحروف هل تكون قديمة بدون أصوات قديمة أم لا بد من أصوات
قديمة لم تزل ولا تزال :

ثم القائلون بقديم الأصوات المعينة تنازعوا في المسموع من
القارئ هل يسمع منه الصوت القديم فقبل المسموع هو الصوت القديم
وقيل بل المسموع صوتان أحدهما القديم والآخر المحدث فلا يبد منه
في وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث : وقيل بل
الصوت القديم غير المسموع من العبد وتنازعوا في القرآن هل يقال
انه حال في المصحف والصدور أم لا يقال ذلك على قولين فقبل هو
ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل بل القرآن حال في الصدور

والمصاحف فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية والاقترانية أصل قولهم ان ما لا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا : ومن قال بهذا الأصل فانه يلزم به بعض هذه الأقوال أو ما يشبه ذلك فان من الناس من يجعله حادثا يريد أن يكون بعد ان لم يكن ويجعل الحادثات ارادات وتصورات لاحروف وأصوات والداربي وغيره يميلون الى هذا القول فانه اما أن يجعل كلام الله حادثا أو قديما واذا كان حادثا فاما ان يكون حادثا في غيره واما أن يكون حادثا في ذاته واذا كان قديما فاما أن يكون القديم المعنى فقط أو اللفظ فقط أو كلاهما فاذا كان القديم هو المعنى فقط لزم أن لا يكون الكلام العربي كلام الله ثم الكلام في ذلك المعنى قد عرف : وأما قدم اللفظ فهذا لم يقل به أحد لكن من الناس من يقول ان الكلام القديم هو اللفظ : وأما في معناه فليس هو داخلا في مسمى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا في مسمى الكلام فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط أما الحروف المؤلفة واما الحروف والأصوات لكنه يقول ان معناه قديم : وأما الفريق الثاني الذين قالوا يجواز حوادث لا أول لها مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز أن يتعقب عليه الحوادث مطلقا إن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم الأفلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا انها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته وأما ارسطو وأتباعه فانهم قالوا ان لها علة

غائية تتحرك للتشبيه بها فهي تحركها كما يحرك المشوق عاشقه ولم يثبتوا لها مبدعا ولا موجبا بذاته وانما أثبت واجب الوجود بطريقة الوجود ابن سينا وأمثاله

وحقيقة قول هؤلاء وجود الحوادث بلا محدث أصلا: أما على قول من جعل الاول علة غائية للحركة فظاهر فانه لا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعلا لها فقولهم في حركة الأفلاك نظير قول القدرية في حركة الحيوان وكل من الطائفتين قد تناقض قولهم فان هؤلاء يقولون بأن فعل الحيوان صادر عن غيره لكون القدرة والداعي مستازمين وجود الفعل والقدرة والداعي كلاهما من غير العبد:

فيقال لهم فقولوا هكذا في حركة الفلك وقدرته وداعيه فانه يجب أن يكونا صادرين عن غيره وحينئذ فيكون الواجب موجبا بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئا بعد شيء وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذي يقوله ابن سينا وأتباعه وهو باطل أيضا لان الموجب بذاته التقديم الذي يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث بواسطة أو بلا واسطة فان صدور الحوادث عن العلة التامة الأزلية ممتنع لذاته * واذا قالوا الحركة متوسطة أي حركة الفلك * قيل لهم فالكلام انما هو في حدوث الحركة الفلكية فان الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكون المقتضى لها علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين إذ القول بمقارنة المعلول لمولته في الأزلية ووجوده معها يناقض ان يتخلف المعلول أو شيء من المعلول عن الأزل

بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء من الصفات والاحوال المقتضية لحدوث الحوادث المتماثلة المختلفة بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا موصوفة لا يقوم بها شيء من الأحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان التحدد والتعدد والموجود في العلولات لا يمتنع صدوره عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا يحدث لها وهؤلاء يقولون كلام الله ما يفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية فلا يثبتون له كلاما خارجا عما في نفوس البشر ولا ملائكة خارجة عما في نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة مع ان أكثرهم يقولون انها أعراض وقد بين في غير هذا الموضوع ان ما يثبتونه من المجرىات العقلية التي هي العقول والنفوس والمواد والصور انما وجوده في الاذهان لا في الأعيان :

وأما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والمخلوق والمخلوق والغنى الذي لا يفتقر الى غيره والفقير الذي لا قوام له بالغنى فقالوا ان ما قارن الحوادث من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع أن يكون فيما هو فقير ممكن مربوب شيء قديم فضلا ان يقارنه حوادث لا أول لها : ولهذا كانت حركات الفلك دليلا على حدوثه كما تقدم التنبيه على ذلك : وأما الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلمًا اذا شاء اولم يزل فاعلاما لما يشاء لم يكن دوام كونه متكلمًا بمشيئته وقدرته ودوام كونه فاعلاما بمشيئته وقدرته

ممتنعاً بل هذا هو الواجب لان الكلام صفة كمال لا تقص فيه قلب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا تقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به لان القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال ثبت للمخلوق فأما هو من الخالق وما جاز انصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعاً وهو محال بخلاف الفرض وأما ممكننا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطى الكمال أحق بالكمال فيلزم أن يكون غيره أكل منه لو كان غيره معطياً له الكمال وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلاً على غيره فيجب ثبوت كونه متكلاً وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته أكل ممن يكون الكلام لازماً له بدون قدرته ومشيئته والذي لم يزل متكلاً اذا شاء أكل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكناً له : وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قسم صوت معين واذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم ان يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والمعين وهذا الفرق ثابت في الارادة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات وبه تنحل الاشكالات الواردة على وجدة هذه الصفات وتمدها وقدمها وحدوثها وكذلك تزول به الاشكالات الواردة في أفعال الرب وقدمها وحدوثها وحدوث العالم

واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكناً بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ الذي نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا مكابرة للحسن والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجوده بنوعها : وأما نفس الصوت

المعين الذي قام به أو التقطيع أو التأليف المعين لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجوداً قبله والمنقول عن الامام أحمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا أنكروا على من زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق وأنكروا على من قال لما خلق الله الحروف سجدت له الا الالف فقالت لا أسجد حتى أوامر مع ان هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سرى السقطي وهو نقلها عن بكر بن خنيس العابد ولم يكن قصد أولئك الشيوخ بها الا بيان ان العبد الذي يتوقف فعله على الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذي يعبد الله بغير شرع فان كثيراً من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا مأمورين به قصد أولئك الشيوخ ان من عبد الله بالأمر ولم يفعل شيئاً حتى يؤمر به فهو افضل ممن عبده بما لم يؤمر به وذكروا هذه الحكاية الاسرائيلية شاهداً لذلك مع ان هذه لا اسناد لها ولا يثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن يذكرها بأس وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك مع ان هذا امر اصطلاحي وخط غير العربي لا يماثل خط العربي ولم يكن قصد أولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بئس عن الله بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها انها منتصبة ولا ساجدة فمن احتج بهذا من قولهم على انهم يقولون ان الله لم يتكلم بالقرآن العربي ولا بالتوراة العبرية فقد قال عنهم ما لم يقولوه : وأما الامام أحمد فانه أنكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة كما نقل عنه انه قال ومن زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقاً الى البدعة فانه اذا قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان القرآن مخلوق أو كما قال ولا ريب ان من جعل نوع الحروف بائناً عن الله كائناً بعد ان لم يكن لزم أن يكون كلام الله العربي والبري ونحوهما مخلوقاً امتنع ان يكون الله تكلم به بكلامه الذي أنزله على عبده فلا يكون شيء من ذلك كلامه فطريقة الامام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث الموافق

لصريح العقول وصحيح المنقول (١)

وقال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الأصول سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وقهواء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسوعاً من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن مقروءاً بالسنننا وفيها بين الدفتين وما في صدورنا مسوعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين : والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضوع وذكر ما يتعلق بهذا الباب من سائر الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام في تعدد الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها أو قدم النوع دون الأعيان أو اثبات صفة كلية عمومية متناولة الأعيان مع تحدد كل معين من الأعيان أو غير ذلك مما قيل في هذا الباب فان هذه مواضع مشككة وهي من مجارات العقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من أذكياء الناس ونظارهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم : تمت الرسالة والحمد لله

— — — — —

وقد وجد بخط ناسخها تاريخها هكذا : وقد تمت بحمد الله وعونه وحسن

توقيفه في جمادى الآخرة الذي هو من شهور سنة ١١٦١

من الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام

(١) المشهور ان الامام أحمد أنكر على من يقول لفظي بالقرآن مخلوق وبدعه وقال انه جهمي خوفاً من التطرق الى أن يقول القرآن بلفظي مخلوق لانه حكم بكفره فليجرح

التحفة في مذاهب السلف

لشيخ الاسلام القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني
رحمه الله تعالى آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضى
الله عن صحبه الاعلام ﴿وبعد﴾ فانه وصل سؤال من بعض الاعلام الساكنين
بيد الله الحرام وهذا لفظه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين ما يقول فقهاء الدين وعلماء
المحدثين وجماعة الموحدين في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب
العظيم وأفصحت عنها سنة الهادي الى صراط مستقيم هل اقرارها وامرارها
واجراؤها على الظاهر بغير تكليف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة
الموحدين وتصديق بالكتاب المدين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب
المجسبين وما حكم من أول الصفات ونفي ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه
وتأييد بالنصوص وانفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه في سمائه مستو على
عرشه بأن من خلقه وعلمه في كل مكان والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع
وقوله تعالى (أنتم من في السماء) ومن السنة حديث الجارية والنزول وعمران بن
حصين وقوله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » وغير ذلك

من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة في سائر نصوص الصفات وعاش في ظلام العقل في الجهل والشبهات واذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال أين الله الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهيمين والمريسين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنين أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الافهام وزلت الاقدام وكل يدعى الصواب بزخرف الجواب فأينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الاجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة الله

(وأقول) اعلم ان الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله وتشعبت أطرائه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت فيه النحل : وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شئ استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا وكانوا في البداية ومحاوله الوصول الى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد متبايني المطالب : فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه أتماً وأقلها عقوبة وجزماً وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت في طريقة متوعرة وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود لا يرجع من سلكها سالماً فضلاً أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ومع هذا أصلوا أصولاً ظنوها حقاً فدمروا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الاولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشع عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة نبوتاً أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق مطابقاً لما يريد الله

سبحانه فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها والطائفة الأخرى هي غلت في انبات القدرة غلواً بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ولا يود ذلك على عباده بمائدة : وجاؤا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكاتبوا كالتائفة الاولى في الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من الغلو القبيح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت انها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتمتق وتدقق في زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ماذهبت اليه (وكل حزب بما لديهم فرحون) وعند الله تلتقى الخصوص ﴿ ومع هذا ﴾ فهم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم ولكن زعموا ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ماظفروا به من هذه الاعلية لطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذ كياؤم في آخر أمرهم دين المعجزات وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر هذه الاعلية التي حاصلها أن يهني من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط ويتمنى انه في عدادهم ومن يدين بدينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه وينتهي عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته أن يكون جاهل به عاطلا عنه : ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها باديء بدءه وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تبعها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضى الى آخر * يصير آخره أولاً

وربحوا الخلوص من هذا التمنى والسلاية من هذه التهنئة للعامة فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهني لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل

البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقداراً بالنسبة إليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو قتل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكافأ وأقلها تبعاً فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كبار الإسلام وأهله والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم أن

خير الأمور السالفات على الهدى * وشر الأمور المحدثات البدائع
وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يبرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكفون علم ما لا يعلموا ولا يتأولون وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان نزغ بينهم نازغ او نجم في عصرهم نجم أو ضحوا للناس أمره وبينوا لهم انه على ضلالة وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل وحنروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقلوا ان الأمر أنف وبينوا ضلالتهم وبطلان مقاتله للناس فحنروه الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بلجمد بن درهم ومن قال بقوله وان تحمل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات ان يتظاهر ببذعته بل يكتبونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكننا تقتصر هنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها وهي مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه ويبان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من

أراد من نزاع المتكلمين وشذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الاسلام وسائر المبتدعين في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم الا مخدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلطين حتى نجم نجم الحنة وبرق برق الشر من جهة العباسية ومن لهم في الأمر والنهي والاصدار والايراد أعظم صولة وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد فعند ذلك أطلع المنكسون في تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجدلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمشرك واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وبمخفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم والله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة في نصر الدين وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى اليه كثير من التأويل وكاتوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلو عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فان اراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجره عن الخوض فيها لا يئيبه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما

حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه
من بعد التابعين عن التابعين

وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا
متفقة : وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكافهم القيام بفرائضه من
الايان بالله : واقام الصلاة : وايتاء الزكاة : والصيام : والحج : والجهاد : وانفاق
الأموال في انواع البر : وطلب العلم النافع : وارشاد الناس الى الخير على اختلاف
أنواعه : والمحافظة على موجبات الفوز بلجنة : والنجاة من النار : والقيام بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ
اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تمبدهم بالوقوف
على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قدر
التمذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابوهم : وبهدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال أنهم تلبسوا
بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات او في غيرها فقد أعظم عليهم الفرية
وليس بمقبول في ذلك فان اقوال الأئمة المطلعين على احوالهم العارفين بها
الآخذين لها عن الثقة الاثبات يرد عليه ويدفع في وجهه يعلم ذلك كل من له علم
ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هذا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمهذبات
في الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا
عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
واقفاها وقد واقفا الأصول المتقررة في زعمهم وان خالفها فقد خالفنا الأصول
المتقررة في زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم القبول والمحكم : والمخالف لها من
قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى او ألف
حديث مما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عدوه شيئا
ومن كان منكرا لهذا فليكتب هذه الطوائف المصنعة في علم الكلام فانه

سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها
ومن المعجب العجيب والنبأ الغريب ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة
من أهل الكلام التي جعلها من بدم أصولا لا مستند لها الا مجرد الدعوى على
العقل والفريية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم وتخالفت
عنده ادراكهم : فهذا يقول حكم العقل في هذا الكلام كذا : وهذا يقول حكم
العقل في هذا كذا ثم يأتي بدم من يجعل ذلك الذي بعقله من تقلده ويقننى
به أصلا يرجع اليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل
منهما ما وافقه ويرد ما خالفه في الله وللمسلمين وبالعلاء الذين من هذه الفواقر الموحشة
التي لم يصب الاسلام وأهله بعنلها

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد ان جعلوا هذه التمثلات
التي تمقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها أصولا ترد اليها أدلة
الكتاب والسنة جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى فما تعقله هذا من صفات الله
قال به جزماً وما تعقله خصمه منها قطع به فأنبتوا الله تعالى الشئ وتقيضه استدلالاً
بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به
نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه
جعلوه مؤيداً له ومقويماً وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل وان وجدوه
مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابهاً وغير معقول المعنى ولا
ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بتقيض قولهم فافتري على عقله بأنه قد تعقل
خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة وجعل
المتشابه عند أولئك محكما عنده والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده :
فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه وكفك هذا وليس
بعده شئ وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد
واستنكره مستنكر وقال ان في كلامي هذا مبالغة وتهويلا وتشنيعا وتطويلا وان
الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التي

أشرت اليها

فأقول خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصك سمك ولولا هذا
الالاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله هذا أبو علي وهو رأس من رؤسهم
وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى
عنه ذلك صاحب شرح القلائد (والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو) فخذ هذا
التصريح حيث لم تكف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى
التي ليس بعدها جرأة فيلأتم أبي علي الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه
في هذا المضيق وهل سمع السامعون يمين أئجر من هذه اليمين الملعونة أو تقل
الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر الى ما بلغ هذا
الختال الفخور أو وصل من يفجر في أيمانه الى ما تقارب هذا الفجور وكل عاقل
يعلم ان أحدنا لو حلف ان ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذباً
في يمينه فلجراً فيها لان كل فرد من الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يجب
ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف على شيء منها سواه ومن ذا الذي يدرى
بما يجول في خاطر غيره ويستكن في ضميره ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من
غيره من بنى آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا
ما يعلمه هذا المدعى فهو اما مصاب العقل يهذي بما لا يدرى ويتكلم بما لا يفهم
أو كاذب شديد الكذب العظيم الاقتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه
فهو الذي يجول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون
وما يظهرون وما يكتُمون كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع فقد
خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما يعلمه الا الله من عباده فاظنك من جاوز
هذا وتمدها واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو ولا يصح
لنا ان نحمله على اختلال العقل فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدى بقوله جماعات
من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون عنه في مقامات
الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد

قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً) وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)^١ وقال لهم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة لقالوا هذا ونحوه مما يدل دلالاته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة :

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للأوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات وليس مقصودنا هنا الا ارشاد السائل الى ان المذهب الحق في الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

(فان قلت) وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها فان أهل المذاهب الاسلامية يتزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا تصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع * (قلت) يا هذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ويدكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم ان الله سبحانه وتعالى وتزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فانشدك الله أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأى مبانة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل
فكنت كالساعي الى منعيب * موائلا من سبل الراعد

أو * كالمستجير من الرمضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ومن قرصة النملة الى قرصة الأسد

وقد يفنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلها على رسوله وهما (ولا يحيطون به علماً) * (ليس كئله شيء)^٢ فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا بما

١ - طه ١١٠

٢ - البقرة ٢٥٥

٣ - الشورى ١١

يبين أولى الألباب السالكين في تلك الشعاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هي منافية للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علماً فمن زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علماً فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن في غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها الا المرون الصفات على ظاهرها المربحون أنفسهم من التكلفات والتسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقيل

العلم للرحمن جل جلاله * وسواه في جهلته يتغنم

ما للتراب والعلوم وانا * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بانه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح الا بمجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال وسرحت طرفي بين تلك المعالم * فلم أر الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم *

وها أنا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسى فاني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك

من الاسباب التي حبيبت الى مذهب السلف على انى كنت قبل ذلك عليه
ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شففا وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب
وغاية ما حصلته من مباحثى * ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة * فاعلم من لم يلق غير التحير
على اننى قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسى بغير التبحر
﴿ وأما الكلمة ﴾ وهي (ليس كئله شئ) فيها يستفاد نفى الماثلة فى كل شئ
فيدفع بهذه الآية فى وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع
البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه
الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه الماثلة والمشابهة
للمخلوقات فيدفع به جانبي الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضية
الى التجسيم والمبالغة فى النفى المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو
الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبتته لنفسه من الصفات
على وجه لا يعلمه الا هو فإنه القائل (ليس كئله شئ وهو السميع البصير)
(ومن جملة الصفات) التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء
به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل
يقولون نحن نثبت ما أثبتته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها
الا هو وكيفية لا يدري بها سواه ولا تكلف أنفسنا غير هذا فليس كئله شئ
لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا تحيط عباده به علما وهكذا يقولون فى مسألة الجهة
التى ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها والأدلة فى ذلك طويلة
كثيرة فى الكتاب والسنة * وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث
طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف
بسيط فى مجلد جمه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه
دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب (١)

(١) هنا يباض فى الاصل ولعله هكذا أو قول صاحب مذهب

والمسئلة أوضح من أن تلتبس على عارف وأمين من أن يحتاج فيها الى التطويل
ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف
الاسلامية كثر الكلام فيها وفي مسئلة الاستواء وطال سببا بين الحنابلة وغيرهم
من أهل المذاهب فلم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكنا
في عصر بعد عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء
علي العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر
حصرها وبطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير
حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه : ونحسه في فطرته وتجذبه
اليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ اليه ووجه
أدعيته الي جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى الي السماء
بطرفه ويستوى في ذلك عند عروض أسباب الداء وحدث بواعث الاستغاثة
ووجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشي
على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بان الاستواء هو الاستيلاء
كما قال جمهور التأويلين والأقيال كما قاله أحمد بن يحيى نعلب والرجاج والفراء
 وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة في امرار
 ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة
 من دون تكيف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور في شئ من المقال فمن
 جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق
 النجاة ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما نقول
 هكندا في الاستواء والكون في تلك الجهة فكندا نقول في مثل قوله سبحانه
 (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة
 الا هو سادسهم) وفي نحو (ان الله مع الصابرين) * (ان الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون) الي ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه فنقول في مثل
 هذه الآيات هكندا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك

١ - الحديد ٤

٢ - المجادلة ٧

٣ - البقرة ١٥٢

٤ - النحل ١٢٨

كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فإن
هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه
الصحابة والتابعون وتابعوهم وإذا انتهت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله إلا هالك وعلى نفسها براقش تجنى
وفي هذه الجملة وإن كانت قليلة ما يغني من شح بدينه ومحرص عليه عن تطويل
المقال وتكثير ذبوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم *
انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت * والله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وأصلى
وأسلم على محمد النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم

تمت



انضاج الدلالة

في عموم الرسالة

للامام العلامة شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين
أبي العباس ابن تيمية المتوفى
سنة ٧٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها
للمره الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله المشققي
بمصر بشارع الكحكيين رقم ١

* حقوق الطبع بالتعليق محفوظة للإدارة المذكورة *

مطبعة الشروق
لصاحبها: عبدالعزیز فايد وأخيه
بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

الحمد لله الذي أمّن علينا برسال الأنبياء والرسل لبيان طريق الرشاد
والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث الى جميع الخلق عربها وعجمها : قاصيها
ودانيها : حضرها والباد : وآله وصحبه السالكين منبهج السداد
(أما بعد) فيقول العاجز الى مولاه التقدير الفنى محمد منير بن عبده أغا
النقلى الدمشقى الأزهرى لما كنت كثير التشوف الى سماع الأخبار عن الكتب
المؤلفة النافعة لا سيما ما كان على طريق السلف الصالح من تحقيق الحق بالأدلة
الثابتة فى القرآن الحكيم والسنة الفراء أسأل من أعرفه انه رحل الى بلد كذا
وزار مكتبة كذا عن الكتب العلمية الخطيبة التى رآها فى رحلته فيخبرنى بها
فلختار منها ما يناسب حالنا وزماننا فاستنسخه بواسطة طلاب العلم العاملين
ليكون أحرى وأضبط للنقل ولا أتق بالنساخين الذين لا دراية لهم بالعلم لعدم
أمن وقوع تحريف أو تصحيف كما هو الشأن فى ذلك : وقد رحل بعض طلاب
العلم الى البلاد الاسلامية الشاسعة البعيدة وزار كثيراً من المكاتب الأهلية
والمحلية فعثر على كتب كثيرة خطيبة فأنبت اسم ما استحسنته واعتقد أن نفعه
عظيم فى مذكرة له وقد اجتمعت به أخيراً وطلبت منه الاعلام عما استحسنته
من الكتب النافعة فاطلعنى على المذكرة فلخترت منها أسماء عدة مؤلفات
فارسلت استنسخها للاطلاع عليها فان كانت ملائمة للنشر فانشرها أولاً فاحفظها
عندى فى مكتبتى الخصوصية للافادة والاستفادة : وقد جاءنى بعض الرسائل
بعد النسخ والمقابلة على النسخة الأصلية فطالعتها فوجدت كثيراً منها يصلح
للنشر : ولما كانت لا تغلو الرسالة عن ايضاح بعض الكلمات أو بيان بعض
المجمل جعلت عليها تعليقاً وقت مطالعته اياها ليكون أنفع وأفيد للجهور : وقد
آثرت بالنشر هذه الرسالة وهى للامام العلامة شيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين
ابن تيمية الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ : لاتها أصغرها حجماً وأيسرها
مطالمة وأهمها موضوعاً : وقد ذكر هذه الرسالة الامام علاء الدين أبو الحسن
على بن الحسين بن عروة المشرقى فى كتابه الكواكب الدرارى فى ترتيب

مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ونسبها الى ابن تيمية : ولما لم يذكر لها اسما ولم أعثر على اسم لها سميها (ابضاح الدلالة في عموم الرسالة) والله أسأل حسن الختام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه
(فصل) يجب على الانسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً
صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين الانس والجن وأوجب عليهم الايمان
به وبما جاء به وطاعته : وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم
الله ورسوله : وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحجوا ما أحبه الله
ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله : وأن كل من قامت عليه
الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الانس والجن فلم يؤمن به
استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث
اليهم الرسول : وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين اهم باحسان
وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم
رضى الله عنهم أجمعين : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود
الجن (١) ولا في أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم اليهم وجمهور

(١) قال ابن دريد الجن خلاف الانس يقال جنه الليل واجنه وجن عليه وغطاه في معنى
واحد اذا ستره وكل شيء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن : وكان اهل الجاهلية
يسمون الملائكة جناً لاستتارهم عن العيون : والجن والجنة واحد : وقال ابن عقيل انما
سمى الجن جناً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون ومنه سمي الجنين جنيناً والجنة للعرب جنة
لسترها : ولا ينتقض هذا بالملائكة لان الاسماء المشتقة لاتناقض : والشياطين العصاة من
الجن وهم ولد ابليس والمردة اعتاهم واغواهم وهم اعوان ابليس : قال الجوهرى كل عات

طوائف الكفار على اثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد في المسلمين (١) من ينكر ذلك يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك (٢) وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار : ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة : فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسول أن تنكروهم كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسول انكار الملائكة ولا انكار معاد الأبدان ولا انكار عبادة الله وحده لا شريك له ولا انكار أن يرسل الله رسولا من

متعدد من الجن والانس والدواب شيطان قال جرير

إيام يدعوني الشيطان من غزل وهن يهوينني اذ كنت شيطانا

(١) هكذا في الاصل ولعله الكتائين

(٢) وهالك نص كلام بعض الأئمة في ذلك قال امام الحرمين في الشامل ان كثير من الفلاسفة وجهابرة القدرية وكافة الزنادقة انكروا الشياطين والجن رأساً ولا يبعد لولا نكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبه بالشرية - وأنا العجب من انكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار : ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة تركناها للاكتفاء بما ذكره المصنف في هذه الرسالة : وقال القاضي ابو بكر الباقلائي وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً ويثبتون وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لركة اجسامهم ونفوذ الشاع فيها ومنهم من قال انما لا يرون لانهم لا الوان لهم : قال امام الحرمين والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف مناهج اجاع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبهت بمسكة من الدين :

الانس الى خلقه ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الانبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى الى فرعون وغرق فرعون ومجيء المسيح الى اليهود وعداوتهم له وظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وهجرته الى المدينة ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب والأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة التي لا يعلمها بشر الا باعلام الله وغير ذلك : ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) فان من الكفار من أنكر أن يكون لله رسول بشر فأخبر الله أن الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا وأمر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك . وكذلك سؤلهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون قال تعالى (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقال تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) وقال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم) وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي أو من أخبره نبي وقد علموا أن محمداً لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعمته في كتبهم كقوله تعالى (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل)

١ - الأنبياء ٧

٢ - الرعد ٤٣

٣ - يونس ١٤

٤ - الأحقاف ١٠

٥ - الشعراء ١١٧

وقوله تعالى (والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)
وأمثال ذلك :

وهذا بخلاف ما تواتر عند الخاصة من أهل العلم كأحاديث الرؤية
وعذاب القبر وفتنته : وأحاديث الشفاعة والصراط والحوض فهذا قد
ينكره بعض من لم يعرفه من أهل الجهل والضلال ولهذا أنكر
طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في
بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن اذ لم يكن ظهور هذا في المنقول
عن الرسول كظهور هذا وان كانوا مخطئين في ذلك ولهذا ذكر
الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون ان الجنى يدخل
في بدن المصروع كما قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل
قلت لأبى ان قوما يزعمون أن الجنى لا يدخل في بدن الانسى فقال
يابنى يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا ان جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن
وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى
العرب وغيرهم من أولاد سام والهند وغيرهم من أولاد حام وكذلك
جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث : فجامهير الطوائف
تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم
والطلاسم سواء كان ذلك سائفاً عند أهل الايمان أو كان شركا فان
المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن

وتمظيم لهم : وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن :

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقي انها شرك : وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي « قال كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » (١) وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر « قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما أرى بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » وقد كان للعرب ولسان الأمم من ذلك أمور يطول وصفها وأخبار العرب في ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم اذ كان خير القرون كانوا عربا وكان قد عاينوا وسمعوا ما كانوا عليه في الجاهلية وكان ذلك من أسباب نزول القرآن

(٢) قوله في الحديث الرقى هو جمع رقية مثل مدية ومدى العوذة والحديث يدل على ان الرقى الموصوفة بكونها شركا هي التي يستعان فيها بغير الله وأما اذا لم يذكر فيها الا اسماء الله تعالى وصفاته وآياته والمآثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك حسن جائز او مستحب وليس بشرك : قال الخطابي كان عليه السلام قد رقى ورقق وأمر بها واجازها اذا كانت بالقرآن او بسماء الله تعالى فهي مباحة او مأمور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كلن منها بغير لسان العرب فانه ربما كان كفرا او تولا يدخله الشرك: وقال السيوطي قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : ان يكون بكلام الله او بسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى :

فذكر في كتب التفسير والحديث والسير والمغازي والفقہ فتواترت أيام جاهلية العرب في المسلمين والافسائر الأمم المشركين ثم من جنس العرب المشركين في هذا وبعضهم كان أشد كفراً وضلالاً من مشركي العرب وبعضهم أخف : والآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فيها خطاب لجميع الخلق من الانس والجن اذ كانت رسالته عامة للثقلين وان كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجوداً في العرب فليس شئ من الآيات مختصاً بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين ان آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربن وغير ذلك يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نزول الآية : وهذا الذي يسميه بعض الناس تنقيح المناط وهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حكيم في معين وقد علم ان الحكم لا يختص به فيريد أن ينقح لمناط الحكم ليعلم النوع الذي حكم فيه كما أنه لما أمر الأعرابي الذي واقع امرأته في رمضان بالكفارة وقد علم أن الحكم لا يختص به وعلم أن كونه أعرابياً أو عربياً أو للمطوءة زوجته لا أثر له فلو وطئ المسلم المعجمي سرية كان الحكم كذلك : ولكن هل الموثر في الكفارة كونه مجامعا في رمضان أو كونه مفطراً : فالأول مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه : والثاني مذهب مالك وأبي حنيفة وهو رواية منصوصة عن أحمد في الحجامة فغيرها أولى : ثم مالك يجعل للموثر جنس المفطر وأبو حنيفة يجعلها

المفطر كتنوع جنسه فلا يوجب في ابتلاع الحصة والنواة وتنازعوا هل يشترط أن يكون أفسد صوماً صحيحاً وأحد لا يشترط ذلك بل كل امسك وجب في شهر رمضان وجب فيه الكفارة كما يوجب الأربعة مثل ذلك في الاحرام الفاسد فالصيام الفاسد كالا حرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضى فيه والشافعي وغيره لا يوجبونها الا في صوم صحيح والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع ومن جامع وكفر ثم جامع

ومثل قوله لمن أحرم بالمرءة في جبة متضمناً بالخلوق « أتزع عنك الجبة واغسل عنك أثر الصفرة » هل أمره بالفسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك أو لكونه نهى أن يتزعفر الرجل فلا يمنع من استدامة الطيب كقول الثلاثة وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ بتطيب عائشة له في حجة الوداع :

ومثل قوله لما سئل عن فارة وقعت في سمن « القوها وما حولها وكلوا سمنكم » هل للؤثر عدم التغير بالنجاسة أو بكونه جامداً أو كونها فارة وقعت في سمن فلا يتعدى الى سائر المائعات : ومثل هذا كثير وهذا لا بد منه في الشرائع ولا يسمى قياساً عند كثير من العلماء كأبي حنيفة ونفاة القياس لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلي فينظر في ثبوته في بعض الانواع أو بعض الاعيان : كأمره باستقبال الكعبة : وكأمره باستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء : وكتحريمه الخمر

والميسر : وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة : وكتفريقه بين الفدية والطلاق وغير ذلك

فيبقى النظر فى بعض الانواع هل هى خمر ويمين وميسر وفدية أو طلاق : وفى بعض الأعيان هل هى من هذا النوع وهل هذا المصلى مستقبل القبلة وهذا الشخص عدل مرضى ونحو ذلك فان هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين بل بين العقلاء فيما يتبعونه من شرائع دينهم وطاعة ولاة أمورهم ومصالح دنياهم وآخرتهم : وحقيقة ذلك يرجع الى تمثيل الشيء بنظيره وادراج الجزئى تحت الكلى وذلك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول وهما متلازمان فان القدر المشترك بين الافراد فى قياس الشمول الذى يسميه المنطقيون الحد الأوسط هو القدر المشترك فى قياس التمثيل الذى يسميه الاصوليون الجامع والمناطق والملة والامارة والداعى والباعث والمقتضى والموجب والمشارك وغير ذلك من المبارات

وأما تخريج المناطق وهو القياس المحض وهو أن ينص على حكم فى أمور قد يظن انه يختص بالحكم بها فيستدل على ان غيرها مثلها إما لانتفاء الفارق أو للاشتراك فى الوصف الذى قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به فى الاصل فهذا هو القياس الذى تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس وانما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذى علق الشارع الحكم به وهو الذى يسمى سؤال المطالبة وهو مطالبة المعارض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الاصل والفرع هو

علة الحكم أو دليل العلة : فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة في الأصل ما ليس بعلة : ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد * فأما اذا قام دليل على الغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين الصورتين أو قام الدليل على أن المعنى الفلاني وهو الذى لأجله حكم الشارع بهذا الحكم فى الأصل وهو موجود فى صورة أخرى فهذا القياس لا ينازع فيه الا من لم يعرف هاتين المقدمتين وبسط هذا له موضع آخر :

والمقصود هنا ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للتقلين الانس والجن على اختلاف أجناسهم فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً بل انما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الاسماء المذكورة فى القرآن والحديث : وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن ذلك فى بعض الاحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف انه خص العرب بأن لا يسترقوا وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الاحاديث الصحيحة حيث استرق بنى المصطلق وفيهم جويرية بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها وأعتق بسببها من استرق من قومها : وقال فى حديث هو اذن « اختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال » وفى الصحيحين عن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء

قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل : وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة « أنه كانت سبية من سبي هوازن عند عائشة فقال أعتقها فانها من ولد اسماعيل » وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا وذكرا هذا يطول ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبي من العجم واستغناء الناس عن استرقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعي الذي يلزم الخلق كلهم فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر وكذلك ظن من ظن ان الجزية لا تؤخذ من مشركي العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين

وجهور العلماء على انه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها الا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من مشركي العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فن قال يؤخذ من كل كافر قال ان آية الجزية لما نزلت أسلم مشركو العرب فانها نزلت عام تبوك ولم يبق عربي مشرك محاربا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليفزو النصرارى علم تبوك بجميع المسلمين الا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ اليهود المطلقة وأبقى الموقته مادام أهلها موفين بالمهد كما أمر الله بذلك في أول سورة التوبة وأنذر الذين نبذ اليهم أربعة أشهر وأمر عند انسلاخها بفزو المشركين

كافة قالوا فدان المشركون كلهم كافة بالاسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لانه لم يكن لمشركى العرب من الدين بعد ظهور دين الاسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون اذ كان عامة العرب قد أسلموا فلم يبق لمشركى العرب عز يعتزون به فدانوا بالاسلام حيث أظهره الله في العرب بالحجة والبيان والسيف والسنان : وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول براءة يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبيذ اليهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدكم كما كان يعاهدكم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا فكان في تخصيص أهل الكتاب بالذكر تنبيهاً بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية كما كان يعاهدكم في مثل هدنة الحديبية

وغير ذلك من المعاهدات : قالوا وقد ثبت في الصحيح من حديث
 بريدة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش
 أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم
 قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا
 ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين
 فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال فأيتن ما أجابوك فاقبل منهم وكف
 عنهم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم
 الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك
 فلهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها
 فآخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي
 يجرى على اللوئيين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا
 مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم
 وكف عنهم فان هم أبوا فاستمن عليهم وقاتلهم واذا حاصرت أهل
 حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله
 ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا
 ذمتكم وذمة اصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله
 واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم
 على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أنصيب حكم
 الله فيهم أم لا قالوا ففي الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار الى
 الاسلام ثم الى الهجرة الى الامصار والا فالى أداء الجزية وان لم يهاجروا

كانوا كأعراب المسلمين والاعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا الى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب : والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذاً أن يأخذ من كل عالم دينارا أوعد له مغافر ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعاً ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية الى أن أجلاهم عمر لانهم كانوا مهادين له وكانوا فلاحين في الارض فأقرهم لحاجة المسلمين اليهم ثم أمر باجلائهم قبل موته وأمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب : فقيل هذا الحكم مخصوص بجزيرة العرب : وقيل بل هو عام في جميع أهل الذمة اذا استغنى المسلمون عنهم أجلوم من ديار الاسلام وهذا قول ابن جرير وغيره : ومن قال ان الجزية لا تؤخذ من مشرك قال ان آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم وان قيل انه خص جزيرة العرب التي هي حول المسجد الحرام كما خص المسجد الحرام بقوله

« انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »
وكذلك من قال من العلماء انه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه
العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور العلماء على خلاف هذا القول
كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم
وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة
لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحرير
لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخبائهم بل كانوا يستطيعون أشياء
حرمها الله كالدلم والميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة
السبع : وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم
يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه وقال
« لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » وقال مع هذا انه ليس بمحرم
وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه « لا آكله ولا أحرمه » وقال
جمهور العلماء الطيبات التي احلها الله ما كان نافعا لأكاه في دينه والخبيث
ما كان ضارا له في دينه : وأصل الدين العدل الذي بعث الله الرسل
بإقامته فأوردت الاكل بنيا وظلما حرمة كما حرم كل ذى ناب من
السباع لانها باغية عادية والعداى شبيهة بالمتعدى (١) فاذا تولد اللحم منها
صار في الانسان خلق البنى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس
من الشهوة والغضب فاذا اغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدى
ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لا يضر ولحم الخنزير

يورث عامة الاخلاق الخبيثة اذ كان اعظم الحيوان في أكل كل شئ لا يعاف
 شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات وانما حرم ذلك على أهل
 الكتاب كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
 أحلت لهم) وقال تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل نبي ظفر ومن
 البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا
 أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببيغيتهم وانا لصادقون)

وأما المسلمون فلا يحرم عليهم الا الخبائث كالدّم المسفوح فاما غير
 المسفوح كالذي يكون في العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا
 يصنعون اللحم في القدر فيرون آثار الدم في القدر ولهذا عني جمهور الفقهاء
 عن الدم اليسير في البدن والثياب اذا كان غير مسفوح واذا عني عنه في
 الأكل ففي اللباس والحمل أولى أن يعنى عنه وكذلك ريق الكلب يعنى
 عنه عند جمهور العلماء في الصيد كما هو مذهب مالك وأبي حنيفة واحمد
 في أظهر القولين في مذهبه وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي وان
 وجب غسل الأثناء من ولوغه عند جمهورهم إذ كان الريق في الولوغ كثيراً
 سارياً في المائع لا يشق الاحتراز منه بخلاف ما يصيب الصيد فانه قليل
 ناشف في جامد يشق الاحتراز منه :

وكذلك التقديم في امامة الصلاة بالنسب لا يقول به أكثر العلماء
 وليس فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الذي ثبت في الصحيح
 عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم القوم أقرؤم لكتاب الله قال فان كانوا

١ - النساء ١١٠

٢ - الأنعام ١٤٦

في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فقدمهم سنا « فقدمه صلى الله عليه وسلم بالفضيلة العلمية ثم بالفضيلة العملية : وقدم العالم بالقرآن على العالم بالسنة ثم الأسبق الى الدين باختياره ثم الاسبق الى الدين بسنة ولم يذكر النسب وبهذا أخذ احمد وغيره فرتب الائمة كما رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النسب وكذلك أكثر العلماء كمالك وأبي حنيفة لم يرجعوا بالنسب ولكن رجع به الشافعي وطائفة من أصحاب احمد كالخرفي وابن حامد والقاضي وغيرهم واحتجوا بقول سلمان الفارسي ان لكم علينا معشر العرب الانو ثمكم في صلواتكم ولانكح نساءكم :

والاولون يقولون انما قال سلمان هذا تقدما منه للعرب على الفرس كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه حقتك على لذا وليس قول سلمان حكما شرعياً يلزم جميع الخلق أتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله ولكن من تأس من الفرس بسامان فله به أسوة حسنة فان سلمان سابق الفرس وكذلك اعتبار النسب في أهل الكتاب ليس هو قول احد من الصحابة ولا يقول به جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة واحمد ابن حنبل وقدماء أصحابه ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين واختار بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعي والشافعي اخذ ذلك عن عطاء وبسط هذا له موضع :

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم انما علق الاحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض فامر بما يحبه الله ودعا اليه بحسب الامكان

ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الامكان لم يخص العرب بنوع من انواع الاحكام الشرعية اذ كانت دعوته لجميع البرية لکن نزل القرآن بلسانهم بل نزل بلسان قريش كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود أقرى الناس بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والانصار اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة هذا الحى من قريش فان القرآن نزل بلسانهم وهذا لاجل التبليغ لانه بلغ قومه اولاً ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله بتبليغ قومه اولاً ثم بتبليغ الاقرب فالاقرب اليه كما أمر يجاهد الاقرب فالاقرب: وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب في النكاح فهذه مسألة نزاع بين العلماء فمنهم من لا يرى الكفاءة الا في الدين ومن رآها في النسب أيضاً فانه يحتاج بقول عمر لا منعن ذوات الاحساب الامن الا كفاء لان النكاح مقصوده حسن الالفة فاذا كانت المرأة أعلى منصباً أشغلت عن الرجل فلا يتم به المقصود: وهذه حجة من جعل ذلك حقاً حتى أبطل النكاح اذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب ومن جعلها حقاً لا دمي قال ان في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها والامر اليهم في ذلك:

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون هي من الصفات التي تتفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك وهذه مسائل اجتهادية ترد الى الله والرسول فان جاء عن الله ورسوله ما يوافق أحد القولين فما جاء عن الله لا يختلف والا فلا يكون قول أحد حجة على

الله ورسوله وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح في هذه الامور بل قد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اذهب عنكم عيبة الجاهلية ونفخها بالآباء الناس رجلا ن مؤمن تقى وفاجر شقى » : وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها الفخر في الأُحساب والطعن في الأُنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم » وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفاني من بنى هاشم فأنا خيركم نفساً وخيركم نسباً » :

وجهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس بنى هاشم خير من غيرهم وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد فان في غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب : وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش : وفي غير بنى هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بنى هاشم : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني والثالث ومع هذا فلم يخص النبي

صلى الله عليه وسلم القرن الثاني والثالث بحكم شرعى كذلك لم يخص العرب بحكم شرعى بل ولا خص بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم : وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل وذلك لا يتعلق بالنسب :

والمقصود هنا أنه أرسل الى جميع الثقليين الانس والجن فلم يخص العرب دون غيرهم من الأمم بأحكام شرعية ولكن خص قريشاً بأن الامامة فيهم وخص بنى هاشم بتحريم الزكاة عليهم وذلك لان جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الامامة في أفضل الأجناس مع الامكان وليست الامامة أمراً شاملاً لكل أحد منهم وإنما يتولاها واحد من الناس * وأما تحريم الصدقة فخرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلاً لتطهيرهم ودفعاً للتهمة عنه كما لم يورث فلا يأخذ ورثته درهما ولا ديناراً بل لا يكون له ولن يمونه من مال الله الا نفقتهم وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله : وذوو قريبه يعطون بمعروف من مال الخمس : والفقير الذى يعطى منه فى سائر مصالح المسلمين لا يختص أصناف معينة كالصدقات : ثم ما جعل لذوى القربى قيل انه سقط بموته كما يقوله أبو حنيفة وقيل هو لقربى من بلى الأمر بعده كما روى عنه « ما أطمع الله نبياً طعمة الا كانت لمن بلى الأمر بعده » وهذا قول أبي ثور وغيره : وقيل ان هذا كان مأخذ عثمان فى اعطاء بنى أمية : وقيل هو لذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم دائماً :

ثم من هؤلاء من يقول هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس كما
يقوله الشافعي وأحمد في المشهور عنه : وقيل بل الخمس والنفي يصرف
في مصالح المسلمين باجتهاد الامام ولا يقسم على أجزاء مقدره متساوية
وهذا قول مالك وغيره وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيئاً وعلى هذا
القول يدل الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين وبسط هذه
الأمور له موضع آخر:

والمقصود هنا أن بعض آيات القرآن وان كان سببه أموراً كانت
في العرب فحكم الآيات عام يتناول ما تقتضيه الآيات لفظاً ومعنى في
أى نوع كان ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن: وجماهير
الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع بطول وصفها ولم ينكر الجن الا
شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم وأما أكبر القوم
فالماثور عنهم اما الاقرار بها واما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول: ومن
المعروف عن أبقرط أنه قال في بعض المياها انه ينفع من الصرع است
أعنى الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى يعالجه الأطباء
وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب المعجائز مع طبنا وليس لمن
أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي وانما معه عدم العلم اذ كانت
صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر في البدن من
جهة صحته وممرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس في هذا تفرض لما يحصل
من جهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من غير طبه أن
للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبيعية وكذلك

للجن تأثير في ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وفي الدم الذى هو البخار الذى تسميه الأطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن كما قد بسط هذا فى موضع آخر :

والمراد هنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل الى الثقلين الانس والجن وقد أخبر الله فى القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى (واذ صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) الى قوله (أولئك فى ضلال مبين) ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجيباً) الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الانس بأحوال الجن وأنه مبعوث الى الانس والجن لما فى ذلك من هدى الانس والجن ما يجب عليهم من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيره كما قال فى السورة (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) كان الرجل من الانس ينزل بالوادى والأودية مظان الجن فانهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعلى الأرض فكان الانسى يقول أعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه فلما رأت الجن أن الانس تستعيز بها زاد طغيانهم وغيرهم : وبهذا يجيبون المعزم والراقى بأسمائهم وأسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الانس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم

١ - الأحقاف ٢١

٢ - الأأناف ٢٢

٣ - الجن ١

٤ - الجن ٦

لا سيما وهم يعلمون أن الانس أشرف منهم وأعظم قدراً فاذا خضعت
الانس لهم واستماذت بهم كان بمنزلة أكبر الناس اذا خضع لأصاغرهم
ليقضى له حاجته

ثم الشياطين منهم من يختارون الكفر والشرك ومعاصي الرب
وابليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه
ومحرضون عليه بمقتضى خبث أنفسهم وان كان موجبا لعذابهم وعذاب
من يغفونه كما قال ابليس (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم
المخلصين) وقال تعالى (قال أرايتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرجتني
الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا) (١) وقال تعالى (ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) والانسان اذا فسدت
نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقا يفسد
عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان هو نفسه خبيث فاذا تقرب
صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك
اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم

١ - ص ٨٢

٢ - الاسراء ٦٢

٣ - سبأ ٢٠

(٦) قوله «لاحتنكن» بمجمل ان يكون مأخوذا من قولهم حنك الدابة واحتنكها اذا جعل
في حنكها الأسفل حبلا يقودها به وعلى هذا فمعناه لاحتنكن ذريته ولاستولين عليهم استيلاء
قويا واخرج هذا ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه : واليه ذهب الفراء : ويحتمل
ان يكون مأخوذا من احتنك الجراد الارض اذا اهلك نباتها وجرد ما عليها واحتنك فلان
مال فلان اذا اخذه واكله : وعلى ذلك قوله * تشكو اليك سنة قد اجحفت * جهدا الى جهد
بنا فاضفت * واحتنكت طولنا واجلقت * وعلى هذا فمعناه لاستأصلنهم واهلكنهم بالاغواء :
واختار هذا الجبائي والطبري وجماعة : وكأنه مأخوذ من الحنك وهو باطن اعلى الفم من داخل
فهو اشتقاق من اسم عين : والمراد بالقليل في الآية هم العلماء بالكتاب والسنة الماهلون
بهما المخلصون له فيهما جعلنا الله وإياكم منهم آمين :

فيقتضون بعض أغراضه كمن يعطى غيره ما لا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة:

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة وقد يقبلون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة واما حروف قل هو الله أحد واما غيرها بنجاسة اما دم واما غيره واما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فاذا قالوا أو كتبوا ما يرضاه الشياطين اعانهم على بعض أغراضهم اما تغوير ماء من المياه واما أن يحمل في الهواء الى بعض الأماكن واما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به : واما غير ذلك وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له بمن أعرفه ما يطول حكايته فانهم كثيرون جداً:

والمقصود أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقليين واستمع الجن لقراءته وولوا الى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل وهذا متفق عليه بين المسلمين ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون انهم جاؤوه بعد هذا وانه قرأ عليهم القرآن وبايعوه وسألوه الزاد لهم ولدوا بهم فقال لهم « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه أوفر ما يكون لحماً ولكم كل بكرة علف لدوا بكم » قال النبي صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهذا ثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود : وقد ثبت في

صحيح البخارى وغيره من حديث أبى هريرة نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالمعظم والروث فى أحاديث متعددة * وفى صحيح مسلم وغيره عن سلمان « قال قيل له قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراة قال فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجى بالميين وأن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع أو عظم » : وفى صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمسح بعظم أو بعر » وكذلك النهى عن ذلك فى حديث خزيمه بن ثابت وغيره :

وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود : فى صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم لحماً وكل بكرة علف لدوابكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم » وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم اداوة لوضوئه وحاجته فينما هو يتبعه بها قال من هذا قلت أباهريرة قال أتبعنى أحجاراً استنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة فأتيتته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها الى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت فقلت مابال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه أتانى وقد جن نصيبين ونم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يبروا بعظم ولا روثه الا وجدوا عليها طعاماً »

ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام دوابهم كان هذا تنبيهاً على النهي عما يفسد طعام الانس وطعام دوابهم بطريق الأولى لكن كراهة هذا والنفور عنه ظاهر في فطر الناس بخلاف العظم والروثة فإنه لا يعرف نجاسة طعام الجن فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعددة بالنهي عنه : وقد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه وقرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد * وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أنه كان يقول « ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولا خاطبهم ولكن أخبره أنهم سمعوا القرآن » وابن عباس قد علم ما دل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليه ومخاطبته ايام وأنه أخبره بذلك في القرآن وأمره أن يخبر به وكان ذلك في أول الأمر لما حرس السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء وملئت حرساً شديداً وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة كما قد بسط في موضع آخر: وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم القرآن « وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا ولا بشئ من الآلئك ربنا نكذب فلك الحمد »

وقد ذكر الله في القرآن من خطاب الثقلين ما يبين هذا الأصل كقوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتيكم رسول منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا

طرائق قديدا) أى مذاهب شتى مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة : وقالوا (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) والقاسط الجائر يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل : وكافرهم معذب فى الآخرة باتفاق العلماء : وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه فى الجنة وقد روى « أنهم يكونون فى ربض الجنة (١) ترام الانس من حيث لا يرونهم » وهذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد * وقيل ان ثوابهم النجاة من النار وهو مأثور عن أبى حنيفة : وقد احتج الجمهور بقوله (لم يطمئن (٢) انس قباهم ولا جان) قالوا فدل ذلك على تأتى الطمئ منهم لان طمئ الحور العين انما يكون فى الجنة .

فصل

واذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منبهين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله فى الانس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعاملهم اذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون فيدفع صولهم بما يدفع صول الانس .

١ - الجن ١١

٢ - الجن ١٤-١٥

٣ - الرحمن ٥٦

وصرعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق

(١) الربض بفتحين ماحول الجنة خارجا عنها (٢) أى لم يدمهن بالنكاح

للانس مع الانس وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف : وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكرهوا أكثر العلماء منا كحة الجن * وقد يكون وهو كثير أو الاكثر عن بنض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الانس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما يبول على بعضهم واما بصب ماء حار واما يقتل بعضهم وان كان الانسى لا يعرف ذلك وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه : وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الناس .

وحينئذ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التي حرماها الله تعالى كما حرم ذلك على الانس وان كان برضى الآخر فكيف اذا كان مع كراهته فانه فاحشة وظلم فيخاطب الجن بذلك ويمرّفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله الى جميع التقاين الانس والجن * وما كان من القسم الثاني فان كان الانسى لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة وان كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الانس بغير اذنهم بل لكم ما ليس من مساكن الانس كالخراب والفلوات ولهذا يوجدون كثيرا في الخراب والفلوات : ويوجدون في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر : والشيوخ الذين تقترف بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا الى هذه

الأمّا كن التي هي مأوى الشياطين :

وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين :
والفقهاء منهم من علل النهى بكونها مظنة النجاسات : ومنهم من قال
انه تعبد لا يعقل معناه : والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الابل
ونحو ذلك أنها مأوى الشياطين : وفي المقبرة أن ذلك ذريعة الى الشرك
مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى الشياطين : والمقصود أن أهل الضلال
والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعى ولهم أحياناً
مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيراً الى مواضع الشياطين التي نهى
عن الصلاة فيها لأن الشياطين تستنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين
ببعض الأمور كما تخاطب الكهان : وكما كانت تدخل في الأصنام
وتكلم عابدى الأصنام وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة وكما
تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب اذا عبدوها
بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير
ذلك فانه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب وقد تقضى
بعض حوائجهم اما قتل بعض أعدائهم أو امراضه واما جلب بعض
من يهوونه واما احضار بعض المال ولكن الضرر الذي يحصل لهم
بذلك أعظم من النفع بل يكون أضعاف أضعاف النفع :

والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان
كان يستخدم الجن بها (١) فانه قد ذكر غير واحد من علماء السلف

(١) قال ابن النديم في كتاب الفهرست في اخبار العلماء واسماء ما صنّفوه من الكتب في الفن الثاني

أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يستخدم الجن بهذه فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان بهذا السبب وآخرون قالوا لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فضل الفريقان هؤلاء بقدهم في سليمان : وهؤلاء باتباعهم السحر فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) الى قوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع اذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح والضرر هو الشر الخالص أو الراجح وشر هذا اما خالص واما راجح

والمقصود أن الجن اذا اعتدوا على الانس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما

١ - البقرة ١٠١

٢ - البقرة ١٠٢

ماحصله يقال والله اعلم ان سليمان بن داود صلوات الله عليهم اول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها : وقيل اول من استعبدها على مذهب الفرس جشيد بن اويخمان : وكان يكتب لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام : ومن استعبدهم آصف بن برخيان ويوسف بن عيصو والمهرزيان بن الكرذول : والذي فتح هذا الامر في الاسلام ابو نصر احمد بن هلال البكيل وهلال بن وصيف وكان مخدمًا ومناطقًا له وله افعال عجيبة وخواتيم مجربة وله من الكتب كتاب الروح الثلاثية وكتاب المفاخرة في الاعمال وغير ذلك : ومن الذين يعملون باسماء الله تعالى رجل يعرف بابن الامام وكان في ايام المعتضد : ومنهم عبد الله بن هلال : وصالح المدرى : وعقبة الأدرعى : وأبو خالد الحراساني : ومن هؤلاء من كان يترك الصلاة تقربًا الى ابليس وجنوده : ويجمع بين الرجال والنساء في الحرام : ولا شك ان من يستخدم الجن والشياطين يحصل له من المخالفات ضرورة لارضائهم والتقرب اليهم لاسيما في زماننا هذا زمان النذل والزندقة والاحاد حمانا الله واياكم من ذلك والله اعلم

يفعل بالانس لان الله يقول (وما كنا معـذيين حتى نبعث رسولا)
وقال تعالى (يا مشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثا كما في صحيح مسلم وغيره عن
أبي سعيد الخدري « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة
نفرأ من الجن قد أسلموا فن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا
فان بداله بعد فليقتله فانه شيطان » وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي
السائب مولى هشام بن زهرة « أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته
قال فوجدته يصلي فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته فسمعت تحركها
في عراجين في ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لأقتلها فأشار الى
أن اجلس فجلست فلما انصرف أشار الى بيت في الدار فقال أترى هذا
البيت فقات نعم فقال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال نخرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع الى أهله فاستأذنه
يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ عليك سلاحك فاني
أخشى عليك قريظته فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امرأته بين
الباين قائمة فأهوى اليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة فقالت أكفف
عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فاذا
بحية عظيمة منظوية على الفراش فأهوى اليها بالرمح فانتظمتها به ثم خرج
فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدري أيهما كان أسرع موتا الحية

ام الفتى قال فجننا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك
وقلنا ادع الله يحييه لنا قال استغفروا لصاحبكم ثم قال ان بالمدينة جنا قد
أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئاً فاذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك
فاقتلوه فانما هو شيطان « وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً » فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم شيئاً منها
فخرجوا عليه ثلاثاً فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر « وقال لهم اذهبوا
فادفنوا صاحبكم

وذلك ان قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الانس بلا
حق والظلم محرم في كل حال فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان
كافراً بل قال تعالى (ولا يجز منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا
هو أقرب للتقوى) والجن يتصورون في صور الانس والبهائم فيتصورون
في صور الحيات والعقارب وغيرها : وفي صور الابل والبقر والغنم
والخيل والبنغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى
الشیطان قريشا في صورة سراقبة بن مالك بن جشم لما أرادوا الخروج
الى بدر قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم) الى قوله (والله شديد العقاب) وكما
روى أنه تصور في صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة (١) هل

١ - المائة ٨

٢ - الأنفال ٤٨

(١) وحاصله على ما حكاه اصحاب السير: ان قريشا لما رأَت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
كانت له شيعَةٌ واصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا
انهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه

(١٧ - ايضاح الدلالة)

قد أجمع لمربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أسراً
 الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن اسحق
 لخدني من لانهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره
 عن لانهم عن ابن عباس قال لما اجتمعوا لذلك واتموا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا
 فيها في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى
 يوم الرحمة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل عليه بثلة فوقف على باب الدار فلما رأوه
 واتفأ على بابها قالوا من الشيخ فقال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم
 لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل وقد اجتمع فيها
 أشرف قريش : من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب
 :ومن بني نوفل بن عبد مناف طهية بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو بن نوفل :
 ومن بني عبد الدار بن قصى النضر بن الحارث بن كادة : ومن بني أسد بن عبد الزى أبو اليختري
 ابن هشام وزمنة بن الأسود وحكيم بن حزام : ومن بني مخزوم أبو جهل ابن هشام : ومن بني
 سهم بنيه ومنه ابنا الحجاج : ومن بني جح أمية بن خلف ومن كان منهم ومن غيرهم من لا يعد
 من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أسره ما ند رأينم وأنا والله لآئامن
 من الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجموا فيه رأيا قال فتشاوروا ثم قال فائل منهم احبسوه
 في الحديد وأغلقتوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير
 والثابتة ومن قصى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدى لا والله
 ما هذا لكم برأى والله ان حبسته وكم تقولون ليخرجن أسره من وراء الباب الذي اغلقتم
 دونه الى اصحابه فلا يوشك ان يذوا عليكم فينزعه من ايديكم ثم يكتروكم حتى يظفوك على
 أسركم ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا
 فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فواته ما نبالى اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا
 منه أصلحتنا أسرنا وآلهتنا كما كانت فقال الشيخ النجدى والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن
 حديثه وحلاوة منطقه وغلته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ماأمنت أن يحل
 على حى من العرب فيظلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يياومه عليه ثم يسير بهم اليكم
 حتى يظلمكم بهم فيخرج اسركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما أراد فاروا فيه رأيا غير هذا قال فقال
 أبو جهل بن هشام والله ان لى رأيا ماأراكم وقفتم عليه بعد قالوا وما هو ياأبا الحكم قال أرى
 أن تأخذنوا من كل قبيلة فتي شابا جلدأ نسيبا وسطا ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما ثم
 يمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في
 القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالقتل فمقتلاه لهم قال
 يقول الشيخ النجدى القول ما قال الرجل هذا الرأي لاأرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم
 مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت الليلة على فراشك الذي كنت
 تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابهم بعدونه حتى ينام فينبون عليه فلما
 رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب ثم على فراشى وتوشع بىردى
 هذا الاخضر قم فيه فانه ان يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتلوا الرسول أو يجسوه أو يخرجوه كما قال تبارك وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فإذا كان حيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا فان ذهبت والا قتلت فانها ان كانت حية قتلت وان كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للانسان في صورة حية تفزعهم بذلك والعمادى هو الصائل الذى يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلا وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز :

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض تارة يبرون قسمه وكثيراً لا يفعلون ذلك بان يكون ذلك الجنى معظما

١ - الأنفال ٣٠

ينام في برده ذلك اذا نام فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال لما أجمعوا له وفيهم أبو جهل ابن هشام فقال وهم على بابه ان محمداً يزعم انكم ان يأتوه على أمره كنتم ملوك العرب والمعجم ثم بتمتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بتمتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم انا اقول ذلك أنت أهدمهم وأخذ الله ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات يس الى فهم لا يعصرون ولم يبق رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا وانصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت من لم يكن معهم فقال وما تنتظرون هبنا قالوا محمداً قال قد خبيبتكم الله قد والله خرج عليكم محمد وما ترك أحدا منكم الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتظلمون فيرون علياً على الفراش متشحا ببرد النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا ل محمد نأتما عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقتنا الذى كان حدثنا فكان مما أنزل الله تعالى من القرآن في ذلك (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) وقول الله تعالى (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) وسبب اختيار ابليس للذى بشيخ نجدى هو ان قريشا قالوا لا يدخل معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هو اهم مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم

عندهم وليس المعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضى اعانتهم على ذلك اذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذى يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه وهذا يختلف أحواله فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا اليه وقد يكون ذلك منيما فاحوالهم شبيهة بأحوال الانس لكن الانس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهود : والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر :

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجن وكثيراً ما تسخر منهم الجن اذا طلبوا منهم قتل الجنى الصارع للانس أو حبسه فيخيلوا اليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخيلاً وكذباً هذا اذا كان الذي يرى ما يخيلونه صادقاً في الرؤية فان عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه اما بالكشفة والمخاطبة ان كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين يضلهم الجن والشياطين : واما ما يظهرونه لاهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه فاذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف انه مثال وقد يوهونه أنه نفس المرئي واذا أرادوا سماع كلام من يتناديه من مكان بعيد مثل من يشتغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين اذا استغاث به بعض محبيه فقال ياسيدى فلان فان الجنى يخاطبه بمثل صوت ذلك الانسى فاذا رد الشيخ عليه الخطاب اجاب ذلك الانسى بمثل ذلك الصوت وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة :

فصل

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به اذا كان ميتا وكذلك قد يكون حيا ولا يشمر بالذى ناداه بل يتصور الشيطان بصورة فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وانما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بمرجس وغيره من قداديسهم ويقع لاهل الشرك والضلال من المنتسبين الى الاسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشمر: واعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لى كل من الاشخاص انى لم أعرف ان هذا استغاث بى والمستغيث قد رأى ذلك الذى هو على صورة هذا وما اعتقد انه الا هذا: وذكر لى غير واحد انهم استغاثوا بى كل يذكرو قصة غير قصة صاحبه فاخبرت كلا منهم انى لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقيل هذا يكون ملكا فقلت الملك لا يغيث المشرك انما هو شيطان أراد ان يضلّه: وكذلك يتصور بصورة ويقف بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم حمله الشيطان الى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا احرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة وفيهم من لا يمر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمى الجمار الى أمثال ذلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان

حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع اما محرم واما مكروه ليس بواجب
ولامستحب وقد زين لهم الشيطان ان هذا من كرامات الصالحين وهو
من تليس الشيطان فان الله لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وكل
من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة او مستحبة فانما
زين ذلك له الشيطان وان قدرانه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده لكن
ليس هذا مما يكرم الله به اوليائه المتقين اذ ليس في فعل المحرمات
والمكروهات اكرام بل الاكرام حفظه من ذلك ومنعه منه فان ذلك
ينقصه لا يزيده وان لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد ان يخفضه عما كان
ويخفض اتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها فان مدح
المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله
وكما ازداد العبد في البدع اجتهادا ازداد من الله بعداً لانها تخرجه عن
سبيل الله سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين الى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين

فصل

اذا عرف الأصل في هذا الباب فنقول يجوز بل يستحب وقد
يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر فان نصر المظلوم مأثور به بحسب
الامكان : وفي الصحيحين حديث البراء بن عازب قال « أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعبادة المريض واتباع
الجنائز وتشميت العاطس وابرار القم أو المقسم ونصر المظلوم واجابة

الداعي وافشاء السلام ونهانا عن خواتيم أو نختم الذهب وعن شرب
بالفضة وعن المياثر وعن القسي ولبس الحرير والاستبرق والديباج «
وفي الصحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر
أخاك ظلما أو مظلوما فات يارسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره
ظلما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه » وأيضا ففيه تفريج كربة هذا
المظلوم : وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة
من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة
ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان
العبد في عون أخيه » : وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر « أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرقي قال من استطاع منكم أن ينفع أخاه
فليفعل » لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله مثل الأدعية والأذكار
الشرعية ومثل أمر الجنى ونهيه كما يؤمر الانسى وينهى ويجوز من ذلك
ما يجوز مثله في حق الانسى مثل أن يحتاج الى انتهاز الجنى وتهديده
ولعنه وسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء « قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة
الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول
الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك
بسطت يدك قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجهله في
وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة

فلم يستأخر ثلاث مررات ثم أردت أخذه ووالله لو لادعوة أخينا سليمان
لاصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة « في هذا الحديث الاستعاذة
منه ولعنته بلعنة الله ولم يستأخر بذلك فمد يده اليه . وفي الصحيحين عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الشيطان عرض لى
فشد على ليقطع الصلاة على فامكنتى الله منه فدعته واتقد همت أن
أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول أخى سليمان
رب هب لى ملكا لا يبنى لاحد من بعدى فرده الله خاسئا . فهذا
الحديث يوافق الأول ويفسره : وقوله « ذعته » أى خنقته (١) فيبين
ان مد اليد كان لخنقه وهذا دفع لعدوانه بالفعل وهو الخنق وبه اندفع
عدوانه فرده الله خاسئا :

وأما الزيادة وهو ربطه الى السارية فهو من باب التصرف الملكى
الذى تركه لسليمان فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يتصرف فى الجن
كتصرفه فى الانس تصرف عبد رسول يأمرهم بعبادة الله وطاعته لا
يتصرف لأمر يرجع اليه وهو التصرف الملكى فانه كان عبداً رسولاً
وسليمان نبي ملك والعبد الرسول أفضل من النبي الملك كما ان السابقين
المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين : وقد روى النسائي على

(١) قوله « ذعته » الفاء للعطف وذعته بالذال المعجمة فعل ماضى لامتحكم
وحده وهو الخنق كما فسره المصنف : وبرى ذعته من الدع بالذال واليمين
المهملتين وهو الدفع : ومنه قوله تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفون
والله أعلم

شرط البخارى عن عائشة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح موتقاً حتى يراه الناس » ورواه احمد وأبو داود من حديث أبي سعيد وفيه « فأهويت يدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها » وهذا فعله في الصلاة وهذا مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا في الصلاة وهو كدفع المار وقتل الأسودين والصلاة حال المسايقة : وقد تنازع العلماء في شيطان الجن اذا مر بين يدي المصلي هل يقطع على قولين هما قولان في مذهب احمد كما ذكرهما ابن حامد وغيره أحدهما يقطع لهذا الحديث وقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود فقال الكلب الأسود شيطان فعال بأنه شيطان : وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان الكلب الاسود شيطان الكلاب » والجن تصور بصورته كثيراً وكذلك بصورة القط الأسود لان السواد أجمع للقولى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة :

ومما يتقرب به الى الجن الذبائح فان من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذى حرمه الله ورسوله وروى أنه نهى عن ذبائح الجن واذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيمهم وانتهازم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود وان كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم اذا كان الراقى الداعى المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم

فياًمرون بقتل من لا يجوز قتله وقد يجلسون من لا يحتاج الى حبسه :
ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك ففيهم من يقتله الجن أو يمرضه : وفيهم
من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه :

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به
ورسوله فانه لم يظلمهم بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم واغاثة
الملهوف والتفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التى ليس فيها شرك
بالخالق ولا ظلم للمخلوق : ومثل هذا لا تؤذيه الجن اما لمعرفتهم بأنه
عادل واما لعجزهم عنه : وان كان الجن من العقاريت وهو ضعيف فقد
تؤذيه فينبغى لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسي
والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك مما يقوى الايمان ويجنب الذنوب
التى بها يسلطون عليه فانه مجاهد فى سبيل الله : وهذا من أعظم الجهاد
فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه وان كان الامر فوق قدرته فلا
يكلف الله نفساً الا وسمعها فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق :

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي فقد ثبت فى صحيح
البخارى حديث أبي هريرة قال « وكنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت
لا رفعتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى محتاج وعلى عيال (١)
ولى حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله صلى الله

(١) قوله « وعل عيال » أي نفقة عيال كما فى قوله تعالى (واسأل القرية)

وقيل على بمعنى لى :

عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكى
حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال اما أنه قد كذبتك
وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته
فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله
فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك
قلت يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما أنه
قد كذبتك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت
لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك
ترعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هن
قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم
حتى تحتم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان
حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات
ينفني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي اذا أويت الى فراشك
فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تحتم الآية الله لا اله الا هو الحي القيوم
وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح
وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما أنه قد
صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأبا هريرة قلت
لا قال ذلك شيطان .

ومع هذا فقد جرب الجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وابطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته فان لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الانسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب وأرباب السماع المسكاه والتصدية اذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان ويبطل ما عند اخوان الشياطين من مكشفة شيطانية وتصرف شيطاني اذ كانت الشياطين يوحون الى أوليائهم بامور يظنون الجهال من كرامات أولياء الله المتقين وانما هي من تليسات الشياطين على أوليائهم المنضوب عليهم والضالين والصائل المعتدى يستحق دفعه سواء كان مسلماً أو كافراً : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد فاذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادي فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمة فان الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه وقد يفعل معه فاحشة أنسى بأنسى وان لم يندفع الا بالقتل جاز قتله : وأما اسلام صاحبه والتخلي عنه فهو مثل اسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة : ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يظلمه» (١) فان كان عاجزاً عن

(١) وقوله «ولا يظلمه» بسين مهملة اي لا يتركه مع من يؤذيه ولا يباؤذيه

بل ينصره ويدفع عنه :

ذلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره لم يجب وإن كان قادرا وقد يمين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه وأما قول السائل هل هذا مشروع فهذا من أفضل الأعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فإنه مازال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقد روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعمق «قال حدثتني أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي عن أبيها أن جدّها الزارع انطاق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت قال جدّي فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قامتان معي ابنا لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به تدعو الله له قال أتتني به قال فانطلقت به اليه وهو في الركاب فانطلقت عنه والقيت عليه ثياب السفر والبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادنه مني اجعل ظهره مما يليني قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض ابطيه ويقول أخرج عدو الله أخرج عدو الله فاقبل ينظر نظر الصحيح ليس ينظره الا اول ثم أقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضل عليه» وقال أحمد في المسند ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم انا عبد الرحمن بن عبد العزيز

عن يعلى بن مرة « قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ماراها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدى لقد خرجت معه في سفر حتى اذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة قال ناولينيه فرفعتة اليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم ففر فراه فنفت فيه ثلاثا وقال بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ثم ناولها اياه فقال القينا في الرجمة في هذا المكان فاخبرينا ما فعل قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياء ثلاث فقال ما فعل صبيك فقالت والذي بعثك بالحق ما حسنا منه شيئا حتى الساعة فاجتزر هذه الغنم قال انزل خذ منها واحدة ورد البقية » وذكر الحديث بتمامه « ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال وكيع مرة يعنى الثقفى ولم يقل مرة عن أبيه « أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم معها صبي لها به لم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ قال فاهدت اليه ككشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وخذ أحد الككشين ورد عليها الآخر » ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفى قال « ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر الحديث وفيه قال « ثم سرنا فررنا بماء فأنته امرأة بابن لها به جنة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال اخرج انى محمد رسول الله قال ثم سرنا فلما

رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فامرها ان ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك « ولو قدر انه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الانبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند الانبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك : وقد ثبت في الصحيحين حديث الذين رقوا بالفأخة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « وما أدراك انها رقية » وأذن لهم في أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان الذى أراد قطع صلاته « أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله التامة ثلاث مرات » وهذا كدفع ظالمى الانس من الكفار والفجار فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وان كانوا لم يقرأوا (١) الترك ولم يكونوا يرمون بالقسى الفارسية ونحوها مما يحتاج اليه في قتال فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بقتالهم وأخبر أن أمته ستقاتلهم ومعلوم أن قتالهم النافع انما هو بالقسى الفارسية ولكن قوتلوا بالقسى العربية التى تشبه قوس القطن لم تغن شيئا بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم فلا بد من قتالهم بما يقهرهم : وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب ان العدو اذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا في قلوبنا روعة فقال وأنتم فالبسوا كما لبسوا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في عمرة القضية بالرمل والاضطباع ليرى المشركين قوتهم

(١) هكذا الاصل وهو غير ظاهر ولعله لم يروا الترك

وان لم يكن هذا مشروعا قبل هذا ففعل لاجل الجهاد مالم يكن مشروعا بدون ذلك ولهذا قد يحتاج في ابراء المصروع وودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب ضربا كثيراً جداً والضرب انما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبرانه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلثمائة واربعائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الانسى لقتله وانما هو على الجنى والجنى يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين (١)

(١) قال العلامة شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي: بعد ماورد الادلة مانصه وشاهدت شيخنا يرسل الى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول قال لك الشيخ اخرجي فان هذا لا يحل لك فيفوق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفوق المصروع ولا يحس بالأم وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا وكان كثيرا ما يقرأ في اذن المصروع (الحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) وحدثني انه قرأها مرة في اذن المصروع فقالت الروح نعم ومدد بها صوته قال فاخذت له عصا وضربت بهما في عروق عنقه حتى تخلت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بانه يموت لذلك الضرب ففي اثناء الضرب قالت انا احبه فقلت لها هو لا يحبك قالت انا اريد ان احب به فقلت لها هو لا يريد ان يحب معك فقالت انا ادعه كرامة لك قال قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله قالت فانا اخرج منه قال فقم المصروع بلفتت يميننا وشمالا وقال ماجاء بي الى حضرة الشيخ قالوا له وهذا الضرب كله فقال وعلى اي شيء يضرني الشيخ ولم اذنب ولم يشعر بانه وقع به ضرب ألبتة وكان يعالج بأية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه لها وبقراءة المعوذتين بالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والمقل

وأما الاستماعة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع لاسيما ان كان فيه شرك فان ذلك محرم : وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك وقد يقرؤن مع ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما ينفي عن الشرك وأهله والمسامون وان تنازعوا في جواز التداوى بالمحرمات كالميتة والخنزير (١) فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوى به

والمعرفة واكثر تسلط الارواح الخبيثة على اهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم والسنتهم من حقائق الذكر والتأريذ والتحصينات النبوية والايمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل اعزل لاسلح معه وربما كان عربا فبيؤثر فيه هذا ولو كشف الفطاء ارايت اكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمابينة فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة وبالله المستعان: وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل وان تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه ويستحضر اهل الدنيا وحلول المثولات والافات بهم ووقوعها خلال ديارهم كواقع القطر وم صرعى لا يفيقون وما اشد اعداء هذا الصرع ولكن لما عمت البليسة به بحيث لا يري الامصروعا لم يصبر مستغربا ولا مستنكرا بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه فاذا اراد الله بعبده خيرا افاق من هذه الصرعة ونظر الى ابناء الدنيا مصروعين حوله يمينا وشمالا على اختلاف طبقاتهم فمنهم من اطبق به الجنون ومنهم من يفيق احيانا قليلة ويمود الى جنونه ومنهم من يفيق مرة ويحين اخرى فاذا افاق عمل عمل اهل الافاقة والعقل ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبيط :

(١) وقد بسطنا الكلام عليه في تاملينا على احكام الاحكام شرح عمدة

بحال لان ذلك محرم في كل حال وليس هذا كالتكلم به عند الاكراه فان ذلك انما يجوز اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان والتكلم به انما يؤثر اذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالايمان لم يؤثر : والشيطان اذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده : وايضا فان المكره مضطر الى التكلم به ولا ضرورة الى ابراء المصاب به لوجهين أحدهما أنه قد لا يؤثر اكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شرا والثاني أن في الحق ما يفتنى عن الباطل

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف قوم يكذبون بدخول الجنى في الانس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالاله الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه فتدفع شياطين الانس والجن

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا ان كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسؤل فهو حرام كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال « قلت يا رسول الله اموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان » وفي صحيح مسلم أيضا عن عبيد الله عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال

الاحكام للامامة ابن دقيق العيد في البيوع واوردنا اقوال العلماء في ذلك وراجحها من مرجوحها فارجع اليه : والله أعلم

من أتى عرفا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»
 وأما إن كان يسأل المستول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده
 ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز كما ثبت في الصحيحين « أن النبي
 صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد فقال ما يأتيك فقال يا نبي صادق
 وكاذب قال ماترى قال أرى عرشا على الماء قال فاني قد خبأت لك خبيثا
 قال الدخ الدخ قال اخسأ فلن تعدو قدرك فانما أنت من اخوان الكهان» (١)
 وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع
 المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به وكما
 يسمع خبر الفاسق ويتبيز ويثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة
 كما قال تعالى (ان جاءكم بنبا فتبينوا) وقد ثبت في صحيح
 البخارى عن أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة ويفسرونها

١ - الحجرات ٦

(١) ابن صياد مشهور كان من اليهود وكان يدعي الكهانة في زمن النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قبل البلوغ ويتماطى كلام النيب فامتحنه النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم ليعلم حقيقة حاله ويظهر أمره الباطل للمصحابة وأنه كاهن
 ساحر يأتيه الشيطان فيلقم على لسانه ما يلقيه الشياطين للكهنة : وقول النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم خبأت لك خبيثا على وزن فعيل وبروى خبأت لك
 خبا على وزن فعل وكلاهما صحيح بمعنى الشيء الغائب المستور أى اضمرت لك
 سورة الدخان : فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدخ بضم الدال
 فلم يستطع ابن صياد ان يتم الكلمة ولم يهتد من الآية الكريمة الا لهذين الحرفين
 على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أولياتهم من الجن او من
 هواجس النفس ولهذا قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخسأ فلن تعدو
 قدرك أى لست بنبي ولن تتجاوز قدرك وانما انت كاهن : والله اعلم

بالعريية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون » فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه

وقد روى عن ابى موسى الاشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره انه ترك عمر يسم ابل الصدقة وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص الى المدينة فأخبر انهم انتصروا على عدوم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال هذا أبو الهيثم يريد المسلمين من الجن وسيأتى بريد الاس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام :

فصل

ويجوز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويفسل ويسقى كما نص على ذلك احمد وغيره قال عبد الله بن احمد قرأت على أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب بسم الله لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) * قال أبي ثنا أسود بن عامر بإسناده
بمعناه وقال يكتب في اناء نظيف فيسقى قال أبي وزاد فيه وكيع فتسقى
وينضح ما دون سرتها قال عبد الله رأيت أبي يكتب للمرأة في جام
أو شيء نظيف : وقال ابو عمر ومحمد بن احمد بن حمدان الحيرى انا
الحسن بن سفيان النسوى حدثنى عبد الله بن احمد بن شويه ثنا على
ابن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابن أبي
ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على
المرأة ولادها فليكتب بسم الله لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم والحمد لله رب
المالين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون
قال على يكتب في كاغدة فيعلق على عضد المرأة قال على وقد جربناه
فلم نر شيئا أعجب منه فاذا وضعت تحمله سريعا ثم يجعله في خرقة
أو نحره . آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور
ضريحه رضى الله عنه :

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

﴿ فائدة ﴾

ذكر ابن القيم في الطب النبوي ان المرض الذي يمتري الانسان منه ما يمتري
البدن ومنه ما يمتري القلوب قال . انصه

المرض نوعان مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران في القرآن
ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغى وكلاهما في القرآن
قال تعالى في مرض الشبهة (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال تعالى (وليقول
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وقال تعالى في حق من
دعى الى تحكيم القرآن والسنة فابى وأعرض (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض
أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) فهذا
مرض الشبهات والشكوك وأمراض الشهوات فقال تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد
من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) فهذا مرض
شهوة الزنا والله اعلم

(فصل) وأما مرض الأبدان فقال تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء
لسر بديع بين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه وذلك
ان قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحماية عن المؤذى واستفراغ المواد
الفاسدة فذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة فقال في آية
الصوم (فن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) فأباح الفطر للمريض
لعذر المرض وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته لثلاثا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع
شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذي يخلف ما يحلل فتخور
القوة وتضعف فأباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها . وقال في آية
الحج (فن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو

١ - البقرة ١٠

٢ - المدثر ٣١

٣ - النور ٤٨-٥٠

٤ - الأحزاب ٣٢

٥ - النور ٦١

٦ - البقرة ١٨٤

نسك) فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرها ان يملق رأسه في الاحرام استفراغا لمادة الابخرة الرديئة التي اوجبت له الاذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر فاذا حلق رأسه فتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤدي انجباسه: والاشياء التي يؤدي انجباسها ومدافعتها عشرة الدم اذا هاج والمني اذا سبغ والبول والغائط والريح والقيء والمطاس والنوم والجوع والمطش وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها وهو البخار المحتمن في الرأس على استفراغ ما هو أصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالادنى على الاعلى: وأما الحمية نقل تعالى في آية الوضوء (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فأباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذله من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده ونحن نذكر هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ونبين ان هديه فيه اكل هدى: فاما طب القلوب فسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم ولا سبيل الى حصوله الا من جهتهم وعلى ايديهم فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسماؤه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولحبابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة ألبتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فتلط ممن يظن ذلك واتما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمزمل: ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فانه من الاموات وعلى نوره فانه منغمس في بحار الظلمات اه والله اعلم

صحيفة	صحيفة
الفساد	٢ كلمة الناشر وسبب تسمية هذه
الذبح للجن غير مشروع	٣ تفسير الجن لغة
اجتماع ابى هريرة بالجنى	٤ اختلاف الملل في ثبوت الجن
علاج النبي عليه الصلاة والسلام	٧ ما يجوز من الرقى
الصرعى	١٠ الكلام على تخريج المناط
علاج ابن تيمية الصرعى	١٦ المحرم ما كان خبيثا
اختبار النبي صلى الله عليه وآله	١٨ تعليق الاحكام بالصفات المؤثرة
وسلم ابن صياد	فيما يحبه الله ويغضه
جواز كتابة شىء من القرآن	٢٠ جنس العرب خير من غيرهم
للمصاب	٢٤ تقسيم الشياطين
خاتمة الرسالة	٢٧ طعام الجن
فائدة عن ابن القيم الجوزية ذكر	٢٨ صرع الجن للانس قد يكون عن شهوة الخ
فيها اقسام الطب الى طب قلوب	٣١ اول من استعبده الجن والشياطين
وطب ابدان وفيه ما كان عليه	٣٣ قتل الجن بدون حق لايجوز
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم	٣٤ تزي ابليس بشيخ نجدى
من العلم بالطب الذى يعجز	٣٧ تصور الشياطين بصورة المستغاث
عنه اعظم علماء الطب الحديث	به الميت وما يترتب عليه من
وفلاسفته	

٩٨

٩٩

١٥٢ « تم الفهرس »

الإِنصَافُ

فِيمَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ

للأمام شيخ الإسلام حافظ المغرب
(أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر بن عاصم)
القمي القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

عنيت بنشره ونصحيحه سنة ١٣٤٣ هـ

إِدَارَةُ الطَّبَاعَةِ الْمُنِيرَةِ
لصاحبها ومديرها محمد منير عبد ربه أبا الدمشقي
بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

حق الطبع محفوظ لها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيتني الا بالله

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الصدر الكبير شيخ المسلمين
قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص عمر بن عبد الله بن صالح الحسني
اطال الله بقاءه قراءة عليه ونحن نسمع باوان تدرسه بالصالحية اخبرنا
الشيخ الامام العالم العامل الحافظ فخر الحقاظ مفتي الأمة قدوة الأئمة
شرف الدين ابو الحسن علي بن ابي المكارم الفضل بن علي المقدسي قراءة
عليه ونحن نسمع أنبأني الشيخ ابو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري
بقراءة عليه بحق اجازته عن ابي الحسن علي بن عبد الله بن موهب
الجدامي عن مصنفه الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
البر النمرى

قال الحافظ ابو الحسن المقدسى وأنبأ به اجازة ابو بكر محمد بن
عبد الله بن ميمون العبدي وآخرون عن ابي محمد عبد الرحمن بن محمد
ابن عتاب الجدامي وغيره اجازة عن مصنفه الحافظ ابي عمر يوسف بن
عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى المذكور رضى الله عنه * قال الحمد
لله رب العالمين الذى جعل العلم نورا للمهتدين وشفاء لصدور المؤمنين
وحجة على الجاهلين والمبطلين وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين

أما بعد فإن بعض اخواننا المعتنين بالعلم المقيدين له والحاملين لآثاره المتفقين فيه رغب أن اجمع له ما يقف به على ما كان عليه علماء السلف من الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب في الصلاة وهل كانوا يمدونها آية منها فيجهرون بها اذا قرؤوا فاتحة الكتاب او يخفونها عند قرائتهم لها او يسقطونها فلا يرونها آية منها ولا من أوائل سائر سور القرآن سواها وهل اختلفوا في ذلك او كانوا على وجه منه متفقين وما الذي اختاره أئمة الفقهاء الذين تدور على مذاهبهم الفتيا في امصار المسلمين من ذلك وما الآثار التي كانت سبب اختلافهم فيما اختلفوا فيه من اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم وفي اثباتها وفي الجهر بها واخفائها وما نزعته به كل فرقة لمذهبها من جهة الأثر واحتجت به من ذلك لاختيارها بما روته عن سلفها فاجبته بمون الله تعالى وفضله فيما رغب وسارعت الي ما طلب ابتغاء ثواب الله تعالى في نشر ما علمني الله وخوف الوعيد الوارد في كتمان ما انزل الله في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم . والى الله عز وجل اضرع مبتهلا في ان يهب لنا وللناظرين فيه علما نافعا وعملا يقرب منه متقبلا وهو حسبي عليه توكلت فيما له قصدت وما توفيقى الا بالله فأول ما بدأ به الاخبار عن جملة اقوال العلماء في ذلك

باب

ذكر اختلافهم في قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها

اختلف علماء السلف والخلف في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها فذهب مالك واصحابه الى انها لا تقرأ في اول فاتحة الكتاب في شيء من الصلوات المكتوبات سرا ولا جها وليست عندهم آية من أم القرآن ولا من غيرها من سور القرآن إلا في سورة النمل في قوله عز وجل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وان الله لم ينزلها في كتابه في غير هذا الموضع من سورة النمل : وروى مثل قول مالك في ذلك كله عن الاوزاعي وبذلك قال ابو جعفر محمد جرير بن يزيد الطبري : واجاز مالك واصحابه قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة النافلة في أول فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن للمتجهدين ولن يعرض القرآن عرضا على المقرئين : وأم القرآن عندهم سبع آيات يعدون (انعمت عليهم) آية وهو عد أهل المدينة من القراء وأهل الشام وأهل البصرة :

وقال اهل العراق والمشرق وسفيان الثوري وابن ابى ليلى والحسن ابن حى وابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام يقرأ الامام في اول فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ويختفيها عن خلفه وروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

على اختلاف في ذلك عن عمر وعلى ولم يختلف عن ابن مسعود في انه كان يخفيها وهو قول ابراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان وغيرهم : وهي آية من أول فاتحة الكتاب عند جماعة قراء الكوفيين وجمهور فقهاءهم الا ان السنة عندهم فيها اخفاؤها في صلاة الجهر تسليماً واتباعاً للأثر المرفوعة في ذلك : وقال الكرخي وغيره من أصحاب أبي حنيفة انه لا يحفظ عنه هل هي آية من فاتحة الكتاب أو لا قالوا ومذهبه يقتضى انها ليست آية من فاتحة الكتاب لانه يسر بها في صلاة الجهر قال داود بن علي هي آية من القرآن منفردة في كل موضع كتبت فيه في المصحف في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة من القرآن وليست من شيء من السور الا في سورة النمل وانما هي آية مفردة غير لاحقة بالسورة وزعم الرازي ان مذهب أبي حنيفة يقتضى عنده ما قال داود

ومذهب الشافعي وأصحابه الى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب جهراً في صلاة الجهر وسراً في صلاة السر وقال هي آية من فاتحة الكتاب اول آياتها ولا تتم سبع آيات الا بها ولا تجزيء صلاة لمن لم يقرأها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج » ومن لم يقرأها كلها فلم يقرأها : وقول أبي ثور في ذلك كله كقول الشافعي : وروى الجهر بها عن عمر وعلى رضي الله عنهما على اختلاف عنهما وروى ذلك عن عمار وابي هريرة وابن عباس وابن الزبير فلم يختلف في الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم عن

ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس أيضاً وعليه جماعة اصحابه سميد
ابن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وهو مذهب ابن شهاب الزهري
وعمر وبن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد وسائر أهل مكة

واختلف قول الشافعي وكذلك اختلف أصحابه في بسم الله الرحمن
الرحيم في غير فاتحة الكتاب هل هي من أوائل السور آية مضافة الى
كل سورة أم لا : ومحصل مذهبه انها آية من أول كل سورة على قول
ابن عباس « ما كنا نعلم انقضاء السورة إلا بنزول بسم الله الرحمن الرحيم
في أول غيرها » وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء
وطاوس ومكحول : واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ووافق الشافعي على
انها آية من فاتحة الكتاب احمد واسحق وابوعبيد وجماعة أهل الكوفة
وأهل مكة واكثر أهل العراق إلا أن احمد واسحق وأبا عبيد يخفونها في
صلاة الجهر فذهب سفيان وابن ابي ليلى والحسن بن حي وابن شبرمة
وجماعة أهل الكوفة على ما ذكرنا عنهم والحمد لله :

قال ابو عمر لكل فرقة من فرق القمهاء المذكورين آثار رووها
وصاروا اليها فيما ذهبوا اليه من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
اصحابه والتابعين نذكر منها ما حضرنا ذكره على حذف التكرار والايثار
بما عليه المدار بمون الله وفضله ان شاء الله : —

ذكر الآثار

(التي احتج بها من أسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب في الصلاة وكره قراءتها فيها ولم يبعدها آية منها)

فمن ذلك حديث عبدالله بن مفضل المزني وهو حديث يدور على ابي مسعود سعيد بن اياس الجريري عن ابي نعامة قيس بن عباية الخنفي عن ابن عبدالله بن مفضل عن ابيه وقد زعم قوم ان الجريري انفرد به وليس هو عندي كذلك لانه قد رواه غيره عن قيس بن عباية وهو ثقة عند جميعهم وكذلك الجريري محدث اهل البصرة ثقة روى عنه الجلة من ائمة اهل الحديث منهم شعبة وسفيان وابن علية والحماذان الا انه اختلط في آخر عمره : وأما ابن عبدالله بن مفضل فلم يرو عنه أحد إلا ابو نعامة قيس بن عباية فيما علمت ولم يرو عنه إلا رجل واحد فهو مجهول عندهم والمجهول لا تقوم به حجة :

فمن طرق حديث عبدالله بن مفضل ما حدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية عن الجريري عن قيس بن عباية حدثني ابن عبدالله بن مفضل عن ابيه قال « وما رأيت رجلا أشد عليه في الاسلام حدث منه فسمني وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال لي يا بني إياك والحدث فإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأها فاذا

قرأت فقل الحمد لله رب العالمين»

ورواه معمر عن الجريري قال أخبرني من سمع ابن عبدالله بن مفضل عن أبيه فذكر معناه : ورواه خالد بن عبدالله الواسطي الطحان فاختلف عليه فيه : ورواه سعيد بن منصور ووهب بن بقية عنه عن الجريري عن قيس بن عباية قال أخبرني ابن عبدالله بن مفضل عن أبيه وساق الحديث مثل رواية ابن عليه سواء ورواه اسماعيل بن مسعود عنه عن عثمان بن غيات عن أبي نعامه قيس ابن عباية لم يذكر الجريري فالحديث إنما يدور على ابن عبدالله بن مفضل وقد تقدم الخبر عنه : حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا احمد بن شعيب وأنبأنا اسماعيل بن مسعود أنبأنا خالد حدثنا عثمان بن غيات قال حدثني أبو نعامه الحنفى قال حدثني ابن عبدالله بن مفضل «قال كان عبدالله بن مفضل إذا سمع أحداً يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» قال أبو عمر فحدثني عبد الله بن مفضل في اسناده ما وصفنا وقد ذهب اليه من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أصلاً سرّاً ولا جهرّاً وذهب اليه من رأى أنها تقرأ سرّاً وقالوا مضاه انه لو صح أنهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم ويجهرون بالحمد لله رب العالمين واستدلوا على ذلك من الآثار بما يأتي ذكرها بمد في باب مفرد لها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

منها ما رواه سفيان الثوري وغيره عن خالد الخذاء عن أبي نعامه الحنفى

قيس بن عباية عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » قال سفيان كانوا يسرون بها وهكذا رواية أبي قلابة والحسن وعائذ بن شريح عن أنس وكذلك رواه جماعة من أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس وسند ذكر ما حضرنا من الاسانيد بذلك إن شاء الله تعالى : وحديث عائشة رضی الله عنها وهو حديث انفرد به بدیل بن میسرة عن أبي الجوزاء واسمه أوس ابن عبد الله الربيعي الأزدي هذا من ربيعة الأزدي بصري عن عائشة ليس له اسناد غيره وبدیل بن میسرة وأبو الجوزاء ثقتان رواه عن بدیل بن میسرة سعيد بن أبي عروبة وحسين المعلم وهذان ثقة من رواه عنه بدیل : حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو قلابة الرقاشي قراءة عليه حدثنا عبد الاعلى ومحمد بن حيان العجلي قالا حدثنا حسين المعلم عن بدیل بن میسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » * وحدثنا أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن أبي عروبة عن بدیل ابن میسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم : قال أبو عمر رجال اسناد هذا الحديث ثقات كلهم لا يختلف في ذلك الا أنهم يقولون أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحدثه عنها ارسال : وأما الفقهاء فيقولون أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يرى

اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب وإنما فيه الحجة على أن من رأى أن فاتحة الكتاب وغيرها سواء وأنه جازئ قراءتها وقراءة غيرها دونها في الصلاة ويجوز أن يفتح الصلاة بغيرها من القرآن فهذا الحديث حجة على من قال ذلك : وأما من قال إن الصلاة لا تجزئ إلا بأم القرآن وإنما التي يفتح بها القراءة في الصلوات دون ما سواها من سور القرآن وإن ما سواها من القرآن إنما يقرأ في الصلاة بعدها فلا حجة عليه بهذا الحديث ولا بما كان مثله قالوا وإنما قول عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين » يعني دون غيرها من سور القرآن : والحمد لله رب العالمين اسم لسورة أم القرآن : وفاتحة الكتاب اسم أيضا لها وإنما قالت عائشة يفتح بالحمد لله رب العالمين ولم تقل دون أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يقد (١) السامع فائدة لأن بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة مثبتة في المصحف وقد اختلفوا فيها هل هي آية من أول كل سورة أو آية مفردة في أوائل السور كماختلفهم هل هي آية من فاتحة الكتاب على ما تقدم ذكره والحمد لله : وإنما قصدت عائشة رحمة الله إلى الإعلام بالسورة التي يفتح بها الصلوات وأخبرت بأي السور يفتح قراءة الصلاة بكلام رفعت فيه الأشكال فقصدت إلى ما في فاتحة الكتاب مما ليس في غيرها لأن بسم الله الرحمن الرحيم في غيرها فكان قوله بالحمد لله رب العالمين كما لو قال قائل

(١) قوله لم يقد اعط هكذا الاصل والكلام غير منتظم ولعل التعليل

مخدوف تقديره لأنه لم يقد الخ والله اعلم

كان يفتح الصلاة (براءة من الله ورسوله) ولم يقل بسورة التوبة أو قال (بالم أحسب الناس) ولم يقل بالعنكبوت أو بق أو بيس أو ص أو بق والقلم ومثل هذا كثير: فكذلك قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم يقل بأم القرآن ولا بفاتحة الكتاب لأنها قصدت الى اعلام السامع بالسورة التي يفتح بها قراءة الصلاة فسمتها بذلك وليس فيه ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم ولا ما يثبتها كما لو قالت كان يفتح بص والقرآن ذي الذكر أو ق والقرآن المجيد أو الحاقه ما الحاقه أو ن والقلم: وما كان مثل ذلك وهذا كله لا يدفع احتمال فبطل أن يكون في حديث عائشة هذا حجة لمن نزع به سقوط بسم الله الرحمن الرحيم *

وحديث أبي هريرة

أما أبو هريرة فتروى عنه في هذا الباب أحاديث متغايرة مختلفة ومتضادة تأتي في أبوابها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فاما ما احتج به منها من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب فمن ذلك ما رواه بشر بن رافع أبو الاسباط الحارثي يمامي قال حدثني ابن عم أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » وبشر بن رافع عندهم منكر الحديث قد اتفقوا على انكار حديثه وطرح ما رواه وترك الاحتجاج به ولا يختلف علماء أهل الحديث في ذلك والذين

يروون عن بشر بن رافع حاتم بن اسماعيل وعبد الرزاق وصفوان بن عيسى ولو صح حديثه احتمل من التأويل ما ذكرنا في حديث عائشة قبل هذا رواه عبد الواحد بن زيد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت» وهذه رواية يعني ظاهرها عن الكلام فيها: وفيها دليل على أنه كان يسكت بعد التكبيرة في الأول على ما رواه سمره

ومنها حديث العلاء بن عبد الرحمن: وهو أصح حديث روى في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب وأبينه وأبعده من احتمال التأويل رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام ابن زهرة أنه سمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج خير تمام» قال قلت يا أبا هريرة اني أحيانا أكون وراء الامام قال فغمز ذراعي ثم قال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله عز وجل حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى فهذه الآية بيني وبين عبدي

ولعبدى ما سأل ويقول العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل « أدخل مالك هذا الحديث في باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه الامام بالقراءة لقول أبي هريرة فيه اقرأ بها في نفسك أى اقرأ بها سرا ولم يدخله في باب العمل في القراءة مع حديث حميد عن أنس « قال قلت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلمهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » وسأني هذا الحديث واختلاف الرواة في الفاظه ورفعه وتوقيفه في موضعه من هذا الكتاب بعد هذا إن شاء الله تعالى

وأما حديث العلاء بن عبد الرحمن هذا فرواه كبارواه مالك عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج ومحمد بن عجلان ومحمد بن اسحق والوليد بن كثير كلهم رووا عن العلاء بن عبد الرحمن ان أبا السائب مولى هشام ابن زهرة حدثه انه سمع ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا ان الليث بن سعد رواه عن ابن عجلان عن العلاء عن ابي السائب عن ابي هريرة بهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ايما رجل صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت اني لا استطيع ان اقرأ مع الامام قال اقرأ بها في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدى قال العبد الحمد لله رب العالمين قلت حمدني عبدى » ثم ذكر الحديث على هذا بمعنى ما تقدم فجعل قوله « قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدى » من قول أبي هريرة الى آخر الحديث لم يرفع منه الا قوله « خداج غير تمام » ومالك احفظ

واثبت وزيادة مثله مقبولة وحجة على من قصر عنها : ورواية ابن جريج عن العلاء في هذا الحديث كرواية مالك سواء

وروى هذا الحديث شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة فقالوا عن ابيه في موضع ابي السائب ولم يذكروا ابا السائب فمن اهل العلم بالحديث من جمل هذا اضطراباً يوجب التوقف عن العمل بحديث العلاء هذا ومنهم من قال ليس هذا باضطراب لان العلاء قد روى هذا الحديث عن ابيه وعن ابي السائب جميعاً عن ابي هريرة كذلك رواه ابو اويس عن العلاء عن ابيه وابي السائب جميعاً عن ابي هريرة وسأفه نحو سياقه مالك له : والقول عندي في ذلك ان مثل هذا الاختلاف لا يضر لان ابا السائب ثقة وعبد الرحمن ابا العلاء ثقة ايضاً فمن ايها كان فهو من اخبار العدول التي يجب الحكم بها و ابو اويس عندهم لا يحتجون به فيما انفرد به :

وحديثه حدثنا عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالوا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا اسماعيل بن اسحق واحمد بن زهير قالوا حدثنا اسماعيل بن ابي اويس قال حدثني ابي عن العلاء بن عبد الرحمن قال سمعت من ابي ومن ابي السائب جميعاً وكانا جليسين لابي هريرة قالوا قال ابو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاحة الكتاب فهي خداج هي خداج غير تمام » وذكر الحديث بتمامه كما رواه مالك قال اسماعيل بن اسحق قال علي بن المديني وكان هذا الحديث عن عباد بن صهيب عن الرجلين جميعاً يعني كما رواه ابو اويس :

قال ابو عمر لا أعلم حديثاً في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب ايبن من حديث العلاء هذا لان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ثم قال « يقول العبد مالك يوم الدين » فعدها آية ثم قال « يقول العبد اياك نعبد و اياك نستعين » فعدها آية فتمت اربع آيات ثم قرأ الى آخر السورة وقال « هؤلاء لعبيدي » ولم يقل هاتان لعبيدي وهؤلاء اشارة الى جماعة فلم انها ثلاث آيات وتقدمت اربع آيات تمة سبع آيات : وأجمع علماء المسلمين انها سبع آيات فدل هذا الحديث على ان « انعمت عليهم » آية وان « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من اول السورة وهذا عند اهل المدينة والشام والبصرة :

وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية من أم القرآن وليست « أنعمت عليهم » بآية عندهم فهذا حديث قد رفع الاشكال في سقوط « بسم الله الرحمن الرحيم » ورجاله ثقات * اما ابو السائب فقد روى عنه العلاء بن عبد الرحمن وشريك بن أبي نمر وبكبير الأشيخ وصيني مولى ابن أفلح ومحمد بن عمرو بن عطاء وعبيد الله بن عمرو وقيل انه روى عنه الزهري وصفوان ابن سليم والاسناد عن كل واحد من هذين عنه ليس بالقوى : وأصح ما قيل في أبي السائب هذا أنه مولى هشام بن زهرة كما قال مالك وما تابعه على ذلك وهو مولى الانصار وقيل مولى بني زهرة وقيل مولى

بني عبد الله بن هشام بن زهرة وقيل عبد الله بن هشام بن زهرة مولى هشام بن زهرة هكذا قال الحفاظ من أصحاب العلاء وكان ابو السائب هذا من جلساء ابي هريرة وروى عن ابي هريرة وعن المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص * وأما عبد الرحمن بن يعقوب مولى جبينه والدة العلاء فروى عنه ابنه العلاء وروى عنه محمد بن ابراهيم التيمي والله أعلم ولا أعلم احداً ذكره بجرحة * وأما العلاء فروى عنه جماعة من أئمة أهل الحديث واحتملوه ووثقه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال هو عندي فوق سهيل بن ابي صالح ومحمد بن عمرو * وأما ابن معين فقال العلاء بن عبد الرحمن ليس حديثه بحجة وهو وسهيل قريب من السواء هذه حكاية عباس عن ابن معين : وقال ابن ابي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول العلاء بن عبد الرحمن ليس بذلك لم يزل الناس يتقون حديثه : وقال أبو حاتم الرازي روى عن العلاء الثقات وأنا أنكر من حديثه أشياء قال ابو عمر العلاء ليس بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث ليس يوجد الا له ولا تروى الفاظه عن احد سواه والله اعلم :

وقد روى منصور بن ابي مزاحم وهو من أهل الصدق عندهم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابي هريرة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو عمر يعضد هذه الرواية رواية مالك وغيره من حديث العلاء هذا قول ابي هريرة : اقرأ بها في نفسك يافارسي : ومعنى قوله في حديث العلاء « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لعبدي ولعبدى ماسأل »

اي قسمت قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بيني وبين عبدى نصفين هذا معناه عند من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من اول السورة: ودليلهم على ذلك قوله بأثر ذلك « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » الحديث قالوا وجائز ان يعبر عن القراءة بالصلاة كما يعبر عن الصلاة بالقراءة: قال الله عز وجل (وقرآن الفجر) اي صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) اي صلاة الفجر

واما من رأى اثبات بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب فقالوا لا يجوز ان يحال اسم الصلاة الى القراءة الا بما لا اشكال فيه من المجاز وبالذليل الذي لا يحتمل التأويل قالوا ومعنى قوله عليه السلام عن الله تبارك اسمه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ان الصلاة دعاء وعبادة فمن العبد الدعاء ومن الله الاجابة: ومن العبد الطاعة بالركوع والسجود والقيام والقعود ومن الله تعالى الجزاء بالمغفرة والمهدي قالوا فهذا معنى السورة لانها تقتضى الدعاء بالهدى بعد التحميد والثناء ومن الله الاجابة والجزاء فهذا معنى قسم الصلاة بين العبد وبين ربه على ظاهر الكلام دون إحالة لفظه والله أعلم

وعلى هذا التأويل يكون المعنى في ابتداءه القراءة بالحمد لله رب العالمين في هذا الحديث بمعنى ما تقدم ذكره في حديث عائشة وغيره من الابتداء بالحمد لله رب العالمين * حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد أنبأنا احمد بن شعيب أنبأنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن

موسى ح وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن
وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة كلاهما عن عبد
الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن
أبي بن كعب قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في
التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة
بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل» هكذا قالوا جميعاً والمعنى من قوله أنها
مقسومة بين العبد وبين ربه وللعبد ما سأل

ومثل هذا حديث مالك أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي
سعيد مولى عامر بن كريز أخبره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نادى أبى بن كعب وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد
فقال انى لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل
الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال أبى جعلت أبطىء
في المشى رجاء ذلك قلت يا رسول الله السورة التى وعدتني فقال كيف
تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال قرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت
على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت » فقوله في هذا الحديث
« قرأت عليه الحمد لله رب العالمين » يحتتمل ان يكون كقوله لو قال قرأت
عليه يس والقرآن الحكيم يريد السورة أو قرأت عليه ق والقرآن
الحميد اذ ليس في ذلك ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أولها ولا

يثبتها والله أعلم : وقد مضى في ذلك ما يكفي فيما تقدم والآثار التي
تعضد هذا التأويل في ثبوت بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب
تأني بعد في بابها إن شاء الله تعالى

﴿ حديث أنس بن مالك ﴾

وأما حديث أنس في هذا الباب فرواه مالك في موطنه عن حميد
الطويل عن أنس بن مالك قال قلت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلمهم لا
يقروُن بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتحوا الصلاة هكذا رواه مالك عن
حميد الطويل عن أنس موقوفاً لم يسنده لم يذكر فيه النبي صلى الله
عليه وسلم لم يختلف في ذلك رواة الموطأ قديماً وحديثاً ابن وهب وغيره
الإما رواه ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف بيحشل
فانه رواه عن عمه عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يتابعه على ذلك أحد من رواة ابن وهب وابن أخي ابن
وهب عندهم ليس بالقوى قد تكلموا فيه ولم يروه حجة فيما انفرد به
ورواه الوليد بن مسلم عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم وهو عندهم خطأ والصحيح ما في الموطأ وقد ذكرنا
الأسانيد بما ذكرنا من اختلاف على ابن وهب وغيره عن مالك في التمهيد
وتابعه على ذلك هشيم وحماد بن سلمة : حديث هشيم ذكره أبو بكر بن
أبي شيبة عن هشيم وذكره أيضاً سعيد بن منصور عن هشيم هكذا موقوفاً
على أبي بكر وعمر وعثمان لم يذكروا النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه

حماد بن سلمة في كتابه عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » قال حماد إلا أن حميداً لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبي عدي هذا الحديث عن حميد الطويل عن قتادة عن أنس ولست أعلم أحداً ذكره عن حميد عن قتادة عن أنس إلا ابن أبي عدي فيما علمت ويقولون إن أكثر رواية حميد عن أنس إنما سمعها من قتادة وثابت عن أنس ومنها ما سمع من أنس : وأما قتادة فلا أعلم أحداً رواه عنه موقوفاً بل جماعة أصحابه ذكروا فيه عنه عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر » اختلفوا عنه في ذكر عثمان فيه وكلهم رفعه فذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلفوا في لفظه فمنهم من قال فيه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ومنهم من قال فيه « كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال فيه « كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال « فلم اسمع أحداً منهم جهر بيسم الله الرحمن الرحيم »

فمن أجل من رواه عن قتادة ايوب بن ابي تيمية السخيتاني * حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا حمزة بن محمد قال حدثنا احمد بن شعيب بن علي ابناً عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حدثنا سفيان عن ايوب عن قتادة عن أنس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر ومع عمر فافتتحوا بالحمد »

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن حدثنا محمد بن ابي بكر بن عبد الرزاق حدثنا ابو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام يعني الدستوائي عن قتادة عن أنس « ان النبي صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبح حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن هشام عن قتادة عن انس « ان النبي صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا حماد بن غالب حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن انس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم و ابو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا احمد بن قاسم بن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالوا حدثنا قاسم بن اصبح حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبح حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه حدثنا محمد بن بشر حدثنا سعيد حدثنا قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة

بالحمد لله رب العالمين « وبه عن أبي بكر حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن أنس مثله أخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أحمد بن شعيب أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

فهؤلاء حفاظ اصحاب قتادة ليس في روايتهم لهذا الحديث ما يوجب سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب على ما قدمنا ذكره الا ان فيه متعلقا لمن ذهب الى انهم كانوا يخفونها ولا يجهرون بها * وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد ابن عبد السلام حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر غندر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم »

وحدثنا احمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان عن قتادة قال سمعت انس ابن مالك يقول « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وخلف عمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح أنبأنا ابو بكر بن ابي شيبه وموسى بن معاوية قالا حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابى بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجبرون بيسم الله الرحمن الرحيم»
 اخبر عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد قالا
 حدثنا ابن حمدان ينفذنا حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي
 حدثني وكيع فذكره باسناده * ورواه عبيد الله بن موسى ان شعبة
 قال قلت لقتادة انت سمعت أنس بن مالك يقول « صليت خلف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمعهم يجبرون بيسم الله قال
 نعم » وبهذا اللفظ ايضا رواه الاسود بن عامر وعبد الرحمن بن زياد
 الرضاصي عن شعبة عن قتادة عن انس . وكذلك رواه حجاج بن ارطاة
 عن قتادة عن انس

حدثنا عبد الله حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب ابنا عبيد الله
 ابن سعيد قال حدثني عقبه قال حدثني شعبة وابن ابي عروبة عن قتادة عن
 انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر
 وعثمان فلم اسمع أحدا منهم يجبر بيسم الله الرحمن الرحيم »
 حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد
 ابن الهيثم ابو الاحوص حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن قتادة
 عن أنس « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان
 يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » ورواه محمد بن شعيب بن شابور
 عن الاوزاعي قال كتب الى قتادة قال حدثني انس بن مالك « ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد
 لله رب العالمين لا يقرأون بيسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا

في آخرها » * ورواه اسحق بن أبي طلحة عن انس حدثنا عبدالوارث
حدثنا قاسم حدثنا ابو الاحوص محمد بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير
حدثنا الاوزاعي عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك
قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكلهم
كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » * رواه الوليد بن مسلم
حدثنا الاوزاعي قال حدثني اسحق بن عبد الله بن طلحة قال سمعت انس
ابن مالك يقول (صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف
ابي بكر وعمر فكلهم كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين
لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا في آخرها »
رواه ثابت البناني عن انس وقد ذكرناه من رواية حماد بن سلمة
عن ثابت وقتادة وحديد عن انس ورواه عمار بن رزيق عن
الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس « ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم ، فأخطأ فيه ولا
يصح لشعبة عن ثابت لانه لم يروه الا الأحوص بن جواب عن عمار
ابن رزيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس ولم يروه اصحاب شعبة
الذين هم فيه حجة ولا يعرف للأعمش عن شعبة رواية محفوظة والحديث
لشعبة صحيح عن قتادة لا عن ثابت * ورواه ابو قلابة الجرمي عن انس
من حديث الثوري عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن انس قال « كان
النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون بيسم الله الرحمن
الرحيم ، هكذا رواه يحيى بن ادم وعبيد الله الاشجعي عن الثوري ورواه

القرىابى عن الثورى عن خالد الحذاء عن ابى نعامه عن أنس قال « كان
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم »
قال سفيان يعنى لا يجهرون بها قال ابو عمر يمكن أن يكون هذا الحديث
عن خالد الحذاء عن ابى نعامه الحنفى : وعن ابى قلابه فيكون عنده
باسنادين ولا يكون اختلافا على خالد الحذاء : ورواه مالك بن دينار عن
أنس بن مالك « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف
ابى بكر وخلف عمر وخلف عثمان فكانوا يفتحون القراءة بالحمد لله رب
المالين وكانوا يقرؤن مالك يوم الدين » * ورواه يزيد الرقاشى عن أنس
« أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر وعثمان
فلم يسمع احدا منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم »

ورواه منصور بن زاذان عن انس بهذا المعنى ايضا * أخبرنا محمد
ابن ابراهيم حدثنا محمد بن معاوية رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا
حمزة قال حدثنا احمد بن شعيب ابنانا محمد بن على بن الحسن بن شقيق
قال سمعت ابى يقول حدثنا أبو حمزة عن منصور بن زاذان عن انس
ابن مالك « قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا ابو بكر وعمر فلم نسمعها منهما » *
وروى هذا الحديث عن الحسن بن أنس فبعض رواه يقول فيه عن انس
« صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر فلم اسمعهم
يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » * وبمضمون يقول فيه عن أنس « كان
النبي صلى الله عليه وسلم يسر بيسم الله الرحمن الرحيم وابو بكر

وعمر» * ورواه عائذ بن شريح عن انس بن مالك قال «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا بيسم الله الرحمن الرحيم» * من حديث ابي الأحوص سلام بن سليم عن يوسف بن أسباط عن عائذ بن شريح

فهذا ما بلغنا من حديث انس بن مالك من اختلاف الفاظه وكلها قد نزع بما شاء منها من احتج لمذهبه من الفقهاء الذين ذكرنا مذاهبهم في صدر هذا الكتاب والتأويل سائغ فيه ولا حجة عندي في شئ منها لانه قال مرة «كانوا يفتحون بالحمد لله رب العالمين» ومرة قال «كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم» ومرة قال «كانوا لا يقرؤونها» ومرة قال لم أسمعهم يقرؤون بيسم الله الرحمن الرحيم» وقد قال مرة أو سئل عن ذلك «كبرت ونسيت» وقد روى شعبة وابن عليه عن أبي سلمة سعيد بن يزيد قال «سألت انس بن مالك اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح القراءة في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله رب العالمين فقال لقد سألتني عن شئ مما سألتني عنه احد» * قال ابو عمر الذى عندي انه من حفظه عنه حجة على من سأله في حين نسيانه وبالله التوفيق *

فن رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب سراً احتج بقول انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان «أنهم كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم» و «أنهم كانوا يسرون بيسم الله الرحمن الرحيم» وانه لم يسمهم يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم يعنى جهرًا عندهم : وروى منصور بن ابي مزاحم قال حدثنا ابو اويس

عن الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » وكذلك قول أبي هريرة في حديث مالك وغيره عن الملاء « إقرأ بها في نفسك » يريد لا يجهر بها وهذا مذهب سفيان وسائر الكوفيين وأهل الحديث أحمد وإسحاق وإبي عبيد ومن تابعهم : وقد روى هذا الحديث عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أسناده ضعيف ولا حجة فيه لأنه انفرد به محمد بن عبد الملك الأنصاري المدني الضرير وهو منكر الحديث عند متروك نزل بغداد فحدث بها بمناكير الأسناد ترك لذلك حديثه منها ما رواه عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبي بكر وعمر فلم اسمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لا يوجد عن جابر إلا بهذا الأسناد ومما احتج به من رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ما حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتان سكتة إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة إذا فرغ من القراءة » فأنكر ذلك عليه عمران بن الحصين فكتبوا إلى أبي فكتب إبي ان صدق سمرة *
وبما روى عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وكان المشركون يقولون زاه يدعو الله الإمامة يفضون مسيلة وكانوا يسمونه الرحمن

وكانوا يهزؤون فنزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسم الله الرحمن الرحيم بعده « قال ابو عمر هذه الرواية ضعيفة في تأويل هذه الآية لم يتابع عليها الذي جاء بها وفي هذه الآية أقاويل قد ذكرت في كتاب الاستذكار والحمد لله

وأما ما روى عن الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم سرّاً في أول فاتحة الكتاب في الصلاة فمن ذلك ما ذكره وكيع فيما حدثناه عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا وكيع • وما ذكره عبد الرزاق فيما حدثناه خلف بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن علي حدثنا احمد بن خالد حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق: وما ذكره ابو بكر بن أبي شيبة فيما حدثنا احمد بن عبد الله بن محمد بن دلي عن أبيه عن عبد الله ابن يونس عن بقى بن مخلد عن ابي بكر • ومن غير كتب هؤلاء أيضا نذكر منها ما حضرنا ذكره • منها ما روى عن عمر بن الخطاب من وجوه ليست بالقائمة انه قال « لا يخفي الامام اربعا التعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » • وروى ابو حمزة عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال « ثلاث يخفيهن الامام الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين » • وروى حصين وحماذ ومنيرة عن ابراهيم قال « يسر الامام اربعا الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » • وكذلك رواه ابو عوانة واسرائيل عن منصور عن ابراهيم • وروى الثوري عن منصور عن ابراهيم قال خمس يجهر بها الامام سبحانه

اللهم وبمحمدك والتعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا ولك الحمد
 ذكره وكيع وعبد الرزاق عن الثوري * وروى وكيع عن أبيه عن منصور
 عن ابراهيم قال أما أنا فأخفي الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم :
 وذكر ابو بكر حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي عن ابى سنان عن حماد
 عن ابراهيم عن الاسود قال صليت خلف عمر سبعين صلاة لم يجهر فيها
 بيسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر هذا كله من مذهب الكوفيين وأكثر
 العراقيين وكانوا يجمعون ما خالفه بدعة * وذكر ابن ابى شيبة حدثنا
 هشيم أنبأنا مغيرة عن ابراهيم قال الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم بدعة *
 قال وحدثنا وكيع عن ابيه عن مغيرة عن ابراهيم مثله * وأما أهل الحجاز
 فلي خلاف ذلك منهم من يرى السنة ان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
 سرا ولا جهراً ومنهم من رأى السنة ان يجهر بها وآمين ويجهر
 بالاستعاذة والتوجيه

ومن رأى من السلف ان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا ولا
 يجهر بها في أول فاتحة الكتاب في الصلاة عمر وعلي وعمار وقد اختلف عن
 بعضهم فروى عنهم الجهر بها ولم يختلف عن ابن مسعود فيما علمت انه كان
 يسرها * وبه قال ابو جعفر محمد بن علي بن حسين والحسن وابن سيرين
 وروى ذلك عن ابن عباس وروى عنه الجهر بها * وذكر عبد الرزاق
 عن اسراييل عن ثوبان بن ابي فاخنة عن ابيه ان طلياً كرم الله
 وجهه كان لا يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وكان يجهر بالحمد لله رب
 العالمين: وروى الهاربي وغيره عن ابى سعيد مولى حذيفة عن ابى وائل

شقيق بن سلمة ان علياً وابن مسعود كانا لا يجهران بيسم الله الرحمن الرحيم * وروى الثوري وشريك عن عبد الملك بن ابي بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قراءة الاعراب * وروى حماد بن زيد عن كثير بن شنظير ان الحسن سئل عن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فقال انما يفعل ذلك الاعراب * وذكر ابو بكر حدثنا هشيم انبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين انه كان يخفي بسم الله الرحمن الرحيم قال واخبرنا هشيم انبأنا حصين عن ابراهيم قال كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم * وروى وكيع عن اسراييل عن جابر عن ابي جعفر محمد بن علي قال لا يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم * اخبرنا قاسم بن محمد قراءة منى عليه ان قاسم بن اصبغ حدثهم حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا عبيد الله بن موسى قال أملى علينا سفيان الثوري قال فاذا قمت الى الصلاة المكتوبة فكبر وارفع يديك ثم قل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في نفسك ثم اجهر بالحمد لله رب العالمين يعني في صلاة الجهر: قال ابو عمرو وهذا قول سائر الكوفيين على ما قدمنا عنهم في صدر هذا الكتاب والله الموفق للصواب *

ذكر ما احتج به من رأى الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم من الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف والصحابة والتابعين ومن قال انها الآية الاولى من فاتحة الكتاب وانها لا تقرأ سراً إلا في صلاة السر وقد ذكرنا القائل بذلك في صدر هذا الكتاب :

اخبرنا احمد بن عبد الله بن محمد بن علي حدثنا ابي حدثنا الحسن بن عبد الله الزبيرى وحدثنا ح قال ثنا احمد بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن طفيل حدثنا عبد الله بن محمد بن الجارود النيسابورى بمكة أنبأنا محمد بن يحيى أنبأنا ابن ابي مريم قال اخبرني الليث بن سعد قال حدثني خالد بن زيد عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجر قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين وقال الناس آمين وكان يقول كلما ركع وسجد لله أكبر واذا قام من الجلوس قال الله أكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده انى لا شبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حديث محفوظ من حديث الليث عن خالد بن يزيد الاسكندراني عن سعيد بن ابي هلال وهما جيما من ثقات المصريين * وأما الليث فامام أهل بلده وقد رواه غير الليث على ما تراه في هذا الباب * وقال عمرو ابن هشام البيروتي صليت خلف الليث بن سعد فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وبآمين * وذكر ابو يحيى الساجي عن جعفر بن محمد القرطبي عن ميمون بن ابي الاصبع عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال اخبرني خالد بن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجر

قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أم الكتاب
وقال اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخبرني
عبد الرحمن بن يحيى أنبأنا احمد بن سعيد ح وحدثنا خلف بن
احمد حدثنا احمد بن مطرف قال انبأنا عبيد الله بن يحيى قال حدثني
ابي رحمه الله حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن
ابي هلال عن نعيم المجر قال صلى بنا ابو هريرة فوق سطح فقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ثم
كبر كلما خفض ورفع ثم قال والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول
الله صلى الله عليه وسلم *

وروى ابن وهب قال اخبرني حيوة بن شريح قال اخبرني خالد
بن يزيد عن ابن ابي هلال عن نعيم المجر قال صليت وراء ابي هريرة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين قال
آمين فقال الناس آمين فلما ركع قال الله اكبر وساق تمام الحديث قال
فلما سلم قال والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم

ورواه يحيى بن ايوب عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجر عن
ابي هريرة مثله بمنه مختصراً: قال ابو عمر حديث نعيم المجر هذا يعارض
حديث الملاة اقرأ بها في نفسك وابن ابي هلال الذي عليه يدور هذا
الحديث ليس بدون الملاومما يشهد لصحة حديث ابن ابي هلال عن نعيم
المجر عن ابي هريرة مارواه سعيد المقبري وصالح مولى التوتة عن ابي

هريرة انه كان يفتح بيسم الله الرحمن الرحيم : هذا لفظ رواية صالح عن أبي هريرة .

وذكر ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا هشيم ابنا ابو معشر عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة انه كان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وقد روي حديث ابي هريرة مرفوعا كما رواه سعيد بن ابي هلال عن نعيم الجمر عن ابي هريرة : العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة اخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا ابو يحيى بن ابي ميسرة فقيه مكة حدثنا النضر بن سلمة حدثنا اسماعيل بن ابي اويس عن ابيه عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاة جهر بها بيسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو يحيى قال لي موسى بن هارون الجمال هذا الحديث قد رواه عن ابي اويس عبد الله كما رواه عنه ابنه

ومما يدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول فاتحة الكتاب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كذلك ويجهر بها ما وصفت أم سلمة في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم * حدثنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبد العزيز حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا جريح عن عبد الله بن مليكة عن أم سلمة ام المؤمنين « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » * حدثنا (٢ - ٢٤ مجموعة الرسائل المنيرة)

سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن ابيه عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » * وذكر الساجي حدثنا محمد بن موسى الخزشي حدثنا عمر بن محمد المقدي حدثنا نافع بن عمر الجمحي قال سمعت ابن ابي مليكة يحدث عن ام المؤمنين انها سئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت او تقدرين على ذلك « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يرتل آية آية » ذكر عبد الرزاق انبأنا ابن جريج قال اخبرني عمرو بن دينار ان سعيد بن جبير أخبره « أن المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا ان السورة قد انقضت ونزلت الأخرى * وروى هذا الحديث جماعة عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابو داود حدثنا قتيبة بن سعيد واحمد بن محمد بن شبيب واحمد بن عمرو بن السرح قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير

قال قتيبة (١) عن ابن عباس « قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لفظ ابن السرح * اخبرنا عبد الله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا هناد بن السرى حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل قال سمعت أنس بن مالك يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على آ نفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي في الجنة » اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا علي بن حجر وحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالوا حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس قال « بينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغضي اغضاه ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما يضحكك يا رسول الله قال نزلت على آ نفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شئت هو الا بر ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي في الجنة آ نيته اكثر من عدد الكواكب ترد على آ متي فيخرج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك » واللفظ لحديث النسائي *

اخبرنا قاسم بن محمد حدثنا خالد بن سـعد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثني محمد بن احمد بن عبد الله عن أبي عون النسائي قدم

علينا بغداد حاجاً سنة سبع وثمانين ومأتين حدثنا علي بن حجر حدثنا
 عبيد الله بن عمرو الرقي عن عبد الكريم الجزري عن ابي الزبير عن عبد
 الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قام في الصلاة فأراد
 أن يقرأ قال بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر قد رفعه غيره ايضاً عن
 ابن عمر ولا يثبت فيه : الا انه موقوف على ابن عمر من فعله والله
 اعلم كذلك رواه سالم ونافع ويزيد الفقير عن ابن عمر وروى ابن شهاب
 عن سالم عن ابن عمر انه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة
 الكتاب ويقرأها كذلك في السورة التي يقرأ بعدها وكذلك رواه ابوب
 وابن جريج وعبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فعله : وذكر أبو بكر حدثنا
 ابو اسامة حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا افتتح
 الصلاة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم واذا فرغ من الحمد قرأ بسم الله
 الرحمن الرحيم وروى ابن وهب حدثنا عبد الله بن عمر واسامة بن زيد
 عن نافع عن ابن عمر انه كان يفتتح ام الكتاب بيسم الله الرحمن الرحيم
 ثم يفتتح السورة بعد بيسم الله الرحمن الرحيم : ذكر الساجي حدثنا جعفر
 ابن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا سعدان بن يحيى الحلبي
 حدثنا عمر بن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابري عن ابيه قال صليت
 خلف عمر بن الخطاب فسمعته يمجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قال وحدثنا
 جعفر بن محمد حدثنا ابو نعيم الحلبي عن ابي الزبير عن ابن عمر أنه كان
 يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب واذا فرغ من السورة
 ويمجهر فيها قال وحدثنا ابن المنثي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد حدثنا

بكر أن ابن الزبير كان يستفتح القراءة بيسم الله الرحمن الرحيم قال حميد
كان بكر يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين وروى وكيع عن شعبة
عن الازرق عن قيس قال سمعت ابن الزبير قرأ بسم الله الرحمن الرحيم والحمد
لله رب العالمين فلما ختمها قرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وروى اسحاق
ابن راهويه عن المعتمر بن سليمان قال سمعت اسماعيل بن حماد يذكر عن
ابي خالد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بيسم
الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن يحيى بن حبيب بن عربي عن
معتمر بن سليمان باسناده مثله الا انه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كان يفتح بيسم الله الرحمن الرحيم: قال ابو عمر الصحيح في هذا الحديث
أيضاً والله اعلم انه روى عن ابن عباس فعله لا مرفوعاً الى النبي صلى الله
عليه وسلم وروى وكيع عن سفيان عن عاصم بن ابي النجود عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس انه كان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وذكره
الساجي عن بندار عن ابن مهدي عن سفيان الثوري عن عاصم قال
سمعت سعيد بن جبير يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل ركعة: وروى
عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج قال اخبرني ابي ان سعيد بن جبير
اخبره عن ابن عباس قال في قول الله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني)
قال هي ام القرآن قال عبد الرزاق قرأها على ابن جريج بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد
واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المنضوب عليهم ولا الضالين آية آية وقال قرأها على ابي كما قرأتها عليك

وقال قرأها علي بن جبير كما قرأها عليك وقال ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم يعني فاتحة الكتاب السبع المثاني قال عبدالرزاق وابن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه يفتح بسم الله الرحمن الرحيم *

أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبدالعزيز أنبأنا علي بن عبدالعزيز أنبأنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا حجاج عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) قال هي أم القرآن استثنائها الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرها حتى أخرجها لهم ولم يعطها أحداً قبل أمة محمد قال سعيد ثم قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن جريج قلت لابي أخبرك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب قال نعم * وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم يقول هو شيء اختلسه الشيطان من عامة الناس *

وقد روي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر انهم كانوا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم والطرق عنهم ليست بالقوية وقد قدمنا الاختلاف عنهم في ذلك * روى عن عمر رحمه الله فيها ثلاث روايات أحدها انه كان لا يقرؤها والثانية انه كان يقرؤها سرا والثالثة انه جهر بها * وكذلك اختلف عن أبي هريرة من الجهر بها والاسرار ففي

حديث العلماء اقرأ بها في نفسك يا فارسي: وفي حديث نعيم الجهر انه كان يجهر بها ويقول أنا أشبهكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكذلك اختلف عن ابن عباس والأكثر عنه والاشهر الجهر بها وانها أول آية من فاتحة الكتاب وعليه جماعة اصحاب ابن عباس الفقهاء واهل العلم بتأويل القرآن ولا أعلم انه اختلف في الجهر بها في فاتحة الكتاب عن ابن عمر وشداد بن اويس وعبدالله بن الزبير وهو قول سميد بن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر ابن عبدالعزيز وابن شهاب الزهري ومحمد بن كعب القرظي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك وروى معاذ بن معاذ عن حميد الطويل عن بكر بن عبدالله المزني قال كان ابن الزبير يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم * أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر ابن عبدالعزيز حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا حسان بن عبدالله عن الفضل بن فضالة عن أبي صخر حميد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال فاتحة الكتاب سبع آيات بيسم الله الرحمن الرحيم قال الفضل وكان ابن شهاب يقول من ترك بيسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من فاتحة الكتاب أو قال من السورة * وبه عن أبي عبيد أنبأنا ابن أبي مريم عن عبد الجبار بن عمر انه سمع كتاب عمر بن عبدالعزيز يقول أن استفتحوا بيسم الله الرحمن الرحيم: وروى المعتمر بن سليمان أنبأنا أبو المقدم قال صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فسمعتة يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وعن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي قلابة انه كان

يقراً بسم الله الرحمن الرحيم وكان عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على عمل أهل المدينة

ومما يدل على انه كان من عمل اهل المدينة الجمهر بيسم الله الرحمن الرحيم ما ذكره الشافعي قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز حدثنا ابن جريج اخبرني عبدالله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد اخبره ان انس بن مالك اخبره قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يمجهر فيها بالقراءة فلم يقل بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والأَنْصار يا معاوية نقصت الصلاة ابن بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبيرة اذا خفضت ورفعت فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبره وذكر هذا الخبر عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال الشافعي واخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها : وذكر الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن زيد انبأنا ايوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم يمجهر بها وكان يقول انما ذلك شيء سرقه الشيطان من الناس : وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال لا ادع قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ابداً لام القرآن والسورة التي بعدها قال وانبأ معمر عن الزهري مثله قال وانبأ معمر عن الزهري في قول الله تبارك وتعالى (والزمهم كلمة التقوى) قال بسم الله الرحمن الرحيم حين لم يقرأ المشركون بسم الله الرحمن الرحيم : قال

ابو عمر حين لم يقرأ بها سهيل بن عمرو العامري واصحابه الذين عقدوا الصلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية في انصرافه عنهم الى العام القابل وابوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي ذلك نزلت سورة الفتح في قوله تعالى (والزمهم) يعني المؤمنين (كلمة التقوى) وكانوا أحق بها واهلها) وقد قيل في قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى) لا اله الا الله : وقول ابن شهاب في ذلك يعضده الآثار في صلح الحديبية ونزول سورة الفتح والله اعلم :

وكان مكحول يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فكلم في ذلك فأبى الا ان يجهر بها : وروى الوليد بن مسلم عن الهيثم بن جميل عن النعمان بن المنذر عن مكحول قال لا يقرأ بفاتحة الكتاب حتى يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وقال عطاء الخراساني الجهر بها حسن جميل : قال عكرمة لا يصلى خلف من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وكان طاوس يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ولا يقرأها في السورة التي بعدها وخالفه عطاء وأكثر اصحاب ابن عباس في ذلك فكانوا يقرؤها في فاتحة الكتاب وفي السورة التي يقرؤون بعدها : وكان مالك بن انس يرى قراءتها في النوافل في فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن وهو قول محمد بن الحسن : وكان الشافعي يرى قراءتها في الصلوات المكتوبات وفي النوافل فرضا لانها عنده آية من فاتحة الكتاب ولا صلاة عنده لمن لم يقرأها بتامها في كل ركعة ومن اسقط عنده منها حرفا واحدا لم تجزئته صلاته ولم تصح له الركعة منها اذا لم يقرأ أم القرآن كلها فيها :

ومذهب احمد بن حنبل الاسرار ببسم الله الرحمن الرحيم كذهب الكوفيين وقال لا يمجهر بها أحد الا في قيام رمضان في غير فاتحة الكتاب بين السورتين فانه من فعل ذلك فلا شيء عليه قال عبدالله بن احمد بن حنبل سمعت أبي يقول يقرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة في قيام رمضان والذي يحتم القرآن يقرأ كما في المصحف يعجبني ذلك :

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي ذليم حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى عن عبدالله بن نافع قال لا أرى لاحد أن يترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة . وروى أبو ثابث عن ابن نافع عن مالك قال لا بأس أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة والنافلة . ولا يصح هذا عندنا عن مالك والله أعلم وانما هو صحيح عن ابن نافع * أخبرنا أبو محمد قاسم بن محمد حدثنا خالد ابن سعدح وأنبأنا عبدالرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عثمان الاعناقى أنبأنا عبدالله بن محمد بن خالد أنبأنا أصبغ بن الفرح قال كان ابن وهب يذهب الى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم رجع الى الاسرار بها

﴿ آخر الكتاب والحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد واله

وصحبه وسلامه . حسبي الله ونعم الوكيل ﴾

قوبلت هذه الرسالة على نسخة محفوظة بمكتبة رواق المغاربة وعليها

اجازات من علماء القرن الثامن والله اعلم

الزهر النضر

في نبأ الخضر

تأليف

الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل

احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بالبقاء والموام * وعلى من خصه بمزيد التفضل والسيادة
مزيد الصلاة والسلام * وأنزل عليه في الكتاب المكنون (وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) * وعلى آله وصحبه الذين كانوا يأمرون
بالخير ويأثمرون * صلاة وسلاما دائماً الى يوم يبعثون .

(أما بعد) فقد تكرر السؤال قديماً وحديثاً عن الخضر صاحب موسى هل
هو نبي أو ولي وهل عمر الى أن أدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاش
بعده أو مات قبل ذلك أو هو حي باق وعن كثير من أخباره وكنت جمعت
في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القداماء أبو جعفر بن المنادي ومن المتأخرين
أبو الفرج بن الجوزي وأضفت اليهما أشياء ظفرت بها بطول التبع . ثم لما
التزمت في كتابي الاصابة في تمييز الصحابة أن أذكر كل من جاء في خبر من

الاخبار أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم لزم ذكرى للخضر عليه السلام لأنه من شرط الاصابة وان لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه على كل ما كنت قرأته وسمعته وجعلته أبو ابا والله أسأل النفع به أنه قريب محيب

باب نسبه

قيل هو ابن آدم من صلبه . وهذا قول رواه الدارقطني في الافراد من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما * ورواد ضعيف ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ القول الثاني ﴾ أنه ابن قاييل بن آدم : ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب المعبرين قال حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة فذكره . وهذا معضل . وحكي صاحب هذه المقالة ان اسمه خضرون وهو الخضر * ﴿ القول الثالث ﴾ جاء عن وهب بن منبه أنه بلبا بن ملكان بن قالم ابن شالح بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح . وبهذا قال ابن قتيبة وحكاه النووي وزاد وقيل كلان بدل ملكان * ﴿ القول الرابع ﴾ جاء عن اسماعيل ابن أبي أويس أنه المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الازد . وقيل اسمه عامر حكاه أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادي * ﴿ القول الخامس ﴾ هو ابن عمائل بن النور بن العيص بن اسحق حكاه ابن قتيبة أيضاً وكذا سمي أباه عاميل مقاتل ﴿ القول السادس ﴾ انه من سبط هرون أخى موسى روى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو بعيد واعجب منه قول ابن اسحق انه ارميا بن خلقيا وقد رد ذلك ابو جعفر بن جرير * ﴿ القول السابع ﴾ انه ابن بنت فرعون حكاه محمد بن ايوب عن ابن لميعة .

وقيل ابن فرعون لصلبه حكاة النقاش * (القول الثامن) انه اليسع حكى عن مقاتل ايضاً وهو بعيد ايضاً * (القول التاسع) انه من ولد فارس جاء ذلك عن ابن شوذب اخرجه الطبري بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب * (القول العاشر) انه من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل حكاة ابن جرير الطبري في تاريخه : وقيل كان ابوه فارسيا وامه رومية . وثبت في الصحيحين ان سبب تسميته الخضر انه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهنزت تحته خضراء . هذا افظ احمد من رواية ابن المبارك عن معمر عن همام عن ابي هريرة رضى الله عنه والفروة الارض اليابسة : وقال احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن همام عن ابي هريرة رضى الله عنه رفعه إنما سمي الخضر خضراً لانه جلس على فروة فاهتزت تحته خضراء والفروة الحشيش الابيض . قال عبد الله بن احمد أظنه تفسير عبد الرزاق : وفي الباب عن ابن عباس رضى عنهما من طريق قتادة عن عبد الله بن الحرث عنه ومن طريق منصور عن مجاهد . قال النووى كنيته أبو العباس . وهذا متفق عليه .

﴿ باب ما ورد في ذكر كونه نبياً ﴾

قال الله تعالى في خبره عن موسى حكاية عنه « وما فعلته عن أمرى » وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من الله والاصل عدم الوساطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل الى القول بأنه إلهام لان ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض النفس للفرق : فان قلنا انه نبي فلا انكار في ذلك وايضاً كيف يكون غير النبي أعلم من النبي وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن الله

تعالى قال لموسى « بلى عبدنا خضر » وأيضاً فكيف يكون النبي تابعا لغير نبي وقال الثعلبي هو نبي في جميع الأقوال : وكان بعض أكبر العلماء يقول . أول عقدة نحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لان الزنادقة يتدعون بكونه غير نبي الى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال أبو جعفر بن جرير في تاريخه كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك في قول عامة أهل الكتاب الاول . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وانه بلغ مع ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان ملتزماً نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو عندهم حي الى الآن : قال ابن جرير وذكر ابن اسحق ان الله تعالى استخلف على بنى اسرائيل رجلاً منهم وبعث الخضر معه نبياً قال ابن جرير بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام قال وقول من قال انه كان في أيام أفريدون اشبه الا ان يحمل على انه لم يبعث نبياً الا في زمن ذلك الملك . قلت بل يحتمل أن يكون قوله وبعث معه الخضر نبياً أى أيده لان ذلك الوقت كان وقت انشاء نبوته فلا يمتنع ان يكون نبي قبل ذلك ثم أرسل مع هذا الملك : وإنما قلت ذلك لان غالب اخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال انه كان نبياً ثم اختلف من قال انه كان نبياً هل كان مرسلًا فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان نبياً غير مرسل وجاء عن اسماعيل بن أبي زياد ومحمد ابن اسحق وبعض أهل الكتاب انه ارسل الى قومه فاستجابوا له ونصر هذا القول ابو الحسن الرمانى ثم ابن الجوزى وقال الثعلبي هو نبي على جميع الأقوال مضمرة محجوب عن الابصار وقال أبو حيان في تفسيره والجمهور على انه نبي وكان علمه معرفة بواطن أوحيت اليه وعلم موسى الحكم بالظاهر : وذهب الى انه كان

وليا جماعة من الصوفية وقال به أبو علي بن أبي موسى من الخنابلة وأبو بكر بن الانباري في كتابه الزاهر بعد أن حكى عن العلماء قولين هل كان نبياً أو ولياً: وقال أبو القاسم القشيري في رسالته لم يكن الخضر نبياً وإنما كان ولياً وحكى الماوردي قولاً ثالثاً أنه ملك من الملائكة يتصور في صور الآدميين مغيراً ذاتاً: وقال أبو الخطاب بن دحية لا ندري هو ملك أو نبي أو عبد صالح . وجاء من طريق أبي صالح كاتب الليث عن يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد ان كعب الاحبار قال ان الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتى بلغ بحر الترك وهو بحر الصين فقال لأصحابه دلوني فدلوه في البحر أياماً وليالي ثم صعد فقالوا له يا خضر ما رأيت فلقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك في لجة هذا البحر قال استقبلني ملك من الملائكة فقال لي فكيف وقد أهوى رجل من زمان داود النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ ثلث قعره حتى الساعة وذلك منذ ثلثة مائة سنة فخرجه أبو نعيم في ترجمة كعب من الحلية:

(باب ما ورد في تكميره والسبب في ذلك)

روى الدارقطني بالاسناد الماضي (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نسي للخضر في أجله حتى يكذب الدجال . وذكر ابن إسحق في المبتدأ قال حدثنا أصحابنا ان آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال ان الله تعالى منزل على اهل الارض عذاباً فليكن جسدى معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه ان آدم دعى الله ان يطيل عمر الذي يدفنه الى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله له ما وعده فهو

(١) تقدم ان في سنده رواد بن الجراح وهو ضعيف عن مقاتل بن سليمان وهو متروك

عن الضحاك عن ابن عباس والضحاك لم يلق ابن عباس

بجيا الى ما شاء الله ان بجيا * وروى ابن عساكر في ترجمة ذى القرنين من طريق
خيصة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة بن أخي هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا
ابن قال حدثنا معتمر بن سليمان عن أبي جعفر عن ابيه انه سئل عن ذى القرنين
فقال كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزل ضخيم وكان قد ملك ما
بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له رفايل وكان يزوره
فيما يتحدثان إذ قال له حدثني كيف عبادتكم في السماء فبكي وقال وما عبادتكم
عند عبادتنا . ان في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبداً يقولون رب ما عبدناك
حق عبادتك فبكي ذو القرنين ثم قال يارفايل اني أحب أن أمرحتي أبلغ عبادة
ربي حق طاعته قال ونحب ذلك قال نعم قال فان لله عينا تسمى عين الحياة من
شرب منها شربة لم يميت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت قال ذو القرنين
فهل تعلم موضعها قال لا غير انا تتحدث في السماء ان لله ظلمة في الارض لم
يطأها إنس ولا جن فنحن نظن أن العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء
الارض فسألهم عن عين الحياة فقالوا لا نعرفها قال فهل وجدتم في علمكم ان لله
ظلمة فقال عالم منهم لم تسأل عن هذا فاخبره فقال اني قرأت في وصية آدم ذكر
هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس فتجهز ذو القرنين وسار اثنتي عشرة سنة الى
أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي ليست بليل وهي تفور مثل الدخان فجمع العساكر
وقال اني أريد ان أسلكها فنعهه فسأله العلماء الذين معه ان يكف عن ذلك لئلا
يسخط الله عليهم فأبى فانتخب من عساكره ستة الاف رجل على ستة الاف
فرس أتى بكر وعقد للخضر على مقدمته في النى رجل فسار الخضر بين يديه
وقد عرف ما يطلب او كان ذو القرنين يكتبه ذلك فينا هو يسير إذ عارضه واد
فظن ان العين في ذلك الوادى فلما أتى شفير الوادى استوقف أصحابه وتوجه
فاذا هو على حافة عين من ماء فتزع ثيابه فاذا ماء أشد بياضاً من اللبن واحلى

من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج ولبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة . وذكر بقية الحديث

ويروى عن سليمان الأشج صاحب كعب الاحبار عن كعب ان المخضر كان وزير ذى القرنين وانه وقف معه على جبل الهند فرأى ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من آدم أبى البشر الى ذريته اوصيكم بتقوى الله واحذركم كيد عدوي وعدوكم ابليس فانه انزلنى هنا قال فنزل ذو القرنين ففسح جلوس آدم فكانت مائة وثلاثين ميلا *

ويروى عن الحسن البصرى قال وكّل الياس بالفيافي ووكلّ المخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد في الدنيا الى الصيحة الاولى وانهما يجتمعان في موسم كل عام . وقال الحارث بن أبى أسامة في مسنده حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثني محمد بن بهرام أخبرنا أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومججان ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل » * قلت وعبد الرحيم وأبان متروكان * وقال عبد الله بن المغيرة عن ثور عن خالد بن معدان عن كعب قال المخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية . ذكره العقيلي : وقال عبد الله بن المغيرة يحدث بما لا أصل له وقال ابن يونس انه منكر الحديث * وروى ابن شاهين بسند ضعيف الى خصيف قال أربعة من الانبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وادريس واثنان في الارض المخضر والياس فأما المخضر فانه في البحر وأما صاحبه فانه في البر : وسيأتى في الباب الاخير أشياء من هذا الجنس كثيرة وقال الثعلبي يقال أن المخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن : قال (٢٦ — مجموعة الرسائل المنيرية)

النووي في تهذيبه قال الاكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة أو مواطن الخير اكثر من ان تحصى وأشهر من ان تذكر: قال وقال ابن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامه معهم قال وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين .

قال السبيلي في كتاب التعريف والاعلام اسم الخضر مختلف فيه فذكر بعض ما تقدم وذكر في قول من قال أنه ابن عاميل بن سماطين بن أرما بن خالفا بن عيصو بن إسحق وأن أباه كان ملكا وأن أمه فارسية اسمها ألهاء وانها ولدت في مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل ورباه فلما شب طلب الملك كاتباً يكتب الصحف التي أنزلت على ابراهيم فجمع أهل المعرفة والنبالة فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتى عرف أنه ابنه فضمه الى نفسه وولاه أمر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي الى أن يخرج الدجال فهو الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه قال وقيل إنه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح قال وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة قال ونصر شيخنا أبو بكر بن العربي هذا لقوله صلى الله عليه وسلم « على رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد » يريد من كان حياً حين هذه المقالة قال وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم وتزيته لاهل بيته وهم مجتمعون بغسله عليه الصلاة والسلام فروى من طرق صحاح منها ما ذكره ابن عبد البر في التمهيد وكان امام أهل الحديث في وقته

فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم يسمعون القول ولا يرون القائل فقال لهم علي رضي الله عنه هو الخضر قال وقد ذكر ابن أبي الدنيا من طريق مكحول عن أنس رضي الله عنه اجتماع الياس بالنبي صلى الله عليه وسلم واذا جاز بقاء الياس الى العهد النبوي جاز بقاء الخضر انتهى ملخصاً وتعقبه عليه فيه أبو الخطاب بن دحية بأن الطرق التي أشار إليها لم يصح منها شيء، ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الانبياء الا مع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما قال وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وإنما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته اما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث قال واما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعامل أن يلقي شخصاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه . قال وأما حديث التعزية الذي ذكره أبو عمر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الاصم عن علي رضي الله عنه وابن محرز متروك وهو الذي قال ابن مبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه لما رأته كانت برة أحب الي منه ففضل رؤية النجاسة على رؤيته: قلت فقد جاء ذكر التعزية المذكورة من غير رواية عبد الله بن محرز كما سأذكره بعد قال وأما حديث مكحول عن أنس رضي الله عنه فهو موضوع ثم نقل تكذيبه عن احمد وبجي وإسحق وأبي زرعة قال وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من الخرافات انتهى كلامه ملخصاً . وسأذكر حديث أنس رضي الله عنه بطوله وان له طريقاً غير التي أشار إليها السهيلي

(ذكر شيء من أخبار الخضر قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم)

قد قص الله تعالى في كتابه ما جرى لموسى عليه السلام معه وأخرجه الصحيحان من طرق عن أبي بن كعب وفي سياق القصة زيادات في غير الصحيح قد نبهت عليها في فتح الباري بشرح البخاري وثبت في الصحيحين ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال «وددت أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما» وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجوداً إذ لو كان موجوداً لا يمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة رضى الله عنهم فيرى منه نحواً مما رأى موسى وقد أجاب عن هذا من ادعى بقاءه بان التمنى إنما كان لما يقع بينه وبين موسى عليهما السلام وغير موسى لا يقوم مقامه

(ومن أخباره مع غير موسى)

ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من وجهين عن بقية بن الوليد عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي أمامة الساهلي رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الا أخبركم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشى في سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال له تصدق عليّ بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون . ما عندي من شيء أعطيك فقال المسكين أسألك بوجهه لما تصدقت عليّ فاني نظرت السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندي شيء أعطيك الا أن تأخذني وتبيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لقد سألتني بأمر عظيم أما انى لا أخيبك بوجه ربي بنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له إنك إنما اشتريتني النحاس خير عندي فاوضني بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق عليّ قال فقم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة فقال أحسنت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال ثم عرض للرجل سفر فقال انى أحسبك أميناً خلفتى في أهلي خلافة حسنة قال نعم وأوضني بعمل قال انى

أكره ان أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك قال ومر الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد بناءه فقال أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك قال سألتني بوجه الله ووجه الله أو قفني في العبودية فقال الخضر سأخبرك أنا الخضر الذي سمعت به سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي ما أعطيه له فسألتني بوجه الله ومن سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس على وجهه جلد ولا لحم الا عظم تقعقع فقال الرجل آمنت بالله شقت عليك يا نبي الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأيقنت فقال الرجل بأبي أنت وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب ان نخلى سبيلي فاعبد ربي قال فخلى سبيله فقال الخضر الحمد لله الذي أو قفني في العبودية ثم نجاني منها» قلت وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنة بقية ولو ثبت لكان نصا ان الخضر نبي لحكاية النبي صلى الله عليه وسلم قول الرجل يا نبي الله وتقريره على ذلك

(ذكر من ذهب الى ان الخضر مات)

نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى وعن محمد بن اسماعيل البخارى ان الخضر مات وان البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث «ان على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد» وهذا أخرجه هو في الصحيح عن ابن عمر وهو عدة من تمسك بانه مات وانكر ان يكون باقياً : وقال أبو حيان في تفسيره الجمهور على انه مات ونقل عن أبي الفضل المرسي ان الخضر صاحب موسى مات لانه لو كان حياً لزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي » وأشار الى أن الخضر هو غير صاحب موسى وقال غيره لكل زمان خضر وهي دعوى لا دليل

عليها : ونقل أبو الحسن بن المنادى في كتابه الذي جمعه في ترجمة الخضر عن ابراهيم الحربي ان الخضر مات وبذلك جزم ابن المناوي المذكور : وذكر ابن الجوزي في جزئه الذي جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي قال سئل بعض اصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم وبلغني مثل هذا عن ابي طاهر ابن العبادي وكان يمتج بانه لو كان حيا لجا الى النبي صلى الله عليه وسلم : واستدل ابن الجوزي بانه لو كان حيا مع ما ثبت أنه كان في زمن موسى وقبل ذلك لكان جسده مناسباً لاجساد أولئك ثم ساق بسنده الى ابي عمر ان الجوني قال قال كان أنف دانيال ذراعاً ولما كشف عنه في زمن ابي موسى قام رجل جنبه فكانت ركة دانيال محاذية لرأسه والذين يدعون رؤية الخضر في سائر أخبارهم ما يدل على أن جسده نظير أجسادهم ثم استدل بما أخرجه احمد من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسى بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » قال فاذا كان هذا في حق موسى فكيف لم يتبعه الخضر لو كان حيا فيصلي معه الجمعة والجماعة ويجاهد تحت رايته كما ثبت ان عيسى يصلي خلف امام هذه الامة : واستدل أيضا بقوله تعالى (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

وقال ابو الحسن بن المنادى بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فاذا أكثر المغفلين مفترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك قال والاحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة ابن مصقلة كالخرافة : وخبر رياح كالرياح قال وما عدا ذلك كله من الاخبار كلها واهية الصدور والاعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين اما ان تكون ادخلت

على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد : وقد قال الله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) قال وأهل الحديث متفقون على أن حديث أنس منكر السند غير مستقيم المثن وان الخضر لو كان حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والهجرة اليه قال وقد اخبرني بعض اصحابنا ان ابراهيم سئل عن تعبير الخضر فانكر ذلك وقال هو متقدم الموت قال وروجع غيره فقال من احال على غائب حي او مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان اتعى

وقد ذكرت الاخبار التي أشار اليها وأضفت اليها أشياء كثيرة من جنسها وغالبها لا يخلو طريقه من علة . وبالله المستعان : واحتج ابن الجوزي ايضا بما ثبت في صحيح البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض »

(ذكر الاخبار التي وردت ان الخضر كان في زمن النبي)

(صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن)

روى ابن عدى في الكامل من طريق عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من ورائه فاذا هو يقول اللهم اغنى على ما ينجبني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك الا يضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك اذهب يا انس فقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي فجاهه انس فبلغه فقال الرجل يا انس انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الي فارجع فاستثبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل له نعم فقال له اذهب فقل له ان الله فضلك على الانبياء مثل ما فضل به

رمضان على الشهور وفضل امتك على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فذهب ينظر اليه فاذا هو الخضر « : كثير بن عبد الله ضعفه الاثمة لكن جاء من غير روايته *

قال ابو الحسين بن المنادى اخبرني ابو جعفر احمد بن النضر العسكري ان محمد بن سلام الميحيى حدثهم * واخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر عن محمد بن سلام الميحيى حدثنا وضاح بن عباد الكوفي حدثنا عاصم بن سليمان الاحول حدثني انس بن مالك رضى الله عنه قال « خرجت ليلة من الليالي أحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطهور فسمع مناديا ينادى فقال لي يا انس صه فسكت فاستمع فاذا هو يقول اللهم اغنى على ما يمنجيني مما خوفتى منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال اختها معها فكان الرجل لقن ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال وارزقنى شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي يا انس ضع لي الطهور وأنت هذا المنادي فقل له ادع الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتغته به وادع لامته ان يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق قال فأتيته فقلت رحك الله ادع الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتغته به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق فقال لي ومن أرسلك فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رحك الله ما يضرك من أرسلني ادع الله بما قلت لك فقال لا أو تخبرني من أرسلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله أبى أن يدعو لك بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلني فقال ارجع اليه فقل له أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت اليه فقلت له فقال لي مرحبا برسول رسول الله أنا كنت أحق ان آتبه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يا رسول الله الخضر يقرأ لك السلام ورحمة

الله ويقول لك يا رسول الله ان الله فضلك على الانبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المرشدة المتوب عليها *

وأخرجه الطبراني في الاوسط عن بشر بن علي بن بشر العمى عن محمد بن سلام وقال لم يروه عن أنس الاعاصم ولا عنه الاوضح تفرد به محمد بن سلام قلت وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس رضى الله عنه : وقال أبو الحسين بن المنادى هذا حديث واه بالوضح وغيره وهو منكر الاسناد سقيم المتن ولم يرسل الخضر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه : واستبعده ابن الجوزى من جهة امكان لقيه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماعه معه ثم لا يجىء اليه * وأخرج ابن عساكر من طريق أبي خالد مؤذن مسجد منسوبة حدثنا أبو داود عن أنس فذكر نحوه *

وقال ابن شاهين حدثنا موسى بن أنس بن خالد بن عبد الله بن طلحة ابن موسى بن أنس بن مالك حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حاتم بن أبي رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أنس رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه فسمعنا قائلا يقول اللهم انى أسألك شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أضاف اليها أختها فسمعنا القائل وهو يقول اللهم انى أسألك أن تعيننى بما ينجينى مما خوفتنى منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ورب الكعبة يا أنس أنت الرجل فأسأله أن يدعو لرسول الله أن يرزقه الله القبول من أمته والعون على ما جاء به من الحق والتصديق قال أنس رضى الله عنه فأتيت الرجل فقلت يا أبا عبد الله أدع لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لي ومن أنت فكرهت أن أخبره ولم أستأذن وأبى أن يدعوني
 أخبره فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخبره فرجعت
 فقلت له أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك فقال مرحباً برسول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فدعني له وقال أقرئه مني السلام وقل له أنا أخوك الخضر أنا كنت
 أحق أن آتيك قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة
 المتاب عليها •

وقال الدارقطني في الافراد حدثنا احمد بن العباس البغوي حدثنا
 أنس بن خالد حدثني محمد بن عبد الله به نحوه . ومحمد بن عبد الله هذا
 هو ابو سلمة الانصارى وهو واهي الحديث جداً وليس هو شيخ البخارى
 قاضي البصرة ذلك ثقة وهو أقدم من ابي سلمة • وروينا في فوائد ابى اسحق
 براهيم بن محمد المزني تخريج الدارقطني حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا
 محمد بن احمد بن زيد انا عمر بن عاصم حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج
 عن عطاء عن ابن عباس لا اعلمه الا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
 « يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم بخلق كل واحد منهما رأس صاحبه
 ويفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله . بسم
 الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة
 الا بالله » . قال الدارقطني في الافراد لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن
 ابن رزين : وقال ابو جعفر العقيلي لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ :
 وقال ابو الحسين بن المنادى هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى

وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً أخرجه ابن الجوزي من
 طريق احمد بن عمار حدثنا محمد بن مهدي حدثنا مهدي بن هلال حدثني ابن
 جريج فذكره بلفظ « يجتمع البرى والبحرى الياس والخضر كل عام بمكة قال

ابن عباس بلغنا انه يخلق احدهما رأس صاحبه ويقول احدهما الآخر قل بسم الله الى آخره » وزاد قال ابن عباس « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد قالها في كل يوم إلا أمن من الحرق والفرق والسرقة وكل شيء يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح » قال ابن الجوزي : احمد بن عمار متروك عند الدارقطني . ومهدى بن هلال مثله . وقال ابن حبان مهدي بن هلال يروى الموضوعات * ومن طريق عبيد بن إسحق العطار حدثنا محمد بن ميسر عن عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده عن علي رضي الله عنه « قال يجتمع في كل يوم عرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر فيقول جبريل ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد عليه ميكائيل ما شاء الله كل نعمة فمن الله فيرد عليهما اسرافيل ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله ثم يفرقون فلا يجتمعون إلا الى قابل في مثل هذا اليوم » وعبيد بن إسحق متروك الحديث .

وأخرج عبد الله بن احمد في زوائد كتاب الزهد لأبيه عن الحسن بن عبد العزيز عن السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر والياس بييت المقدس في شهر رمضان من أوله الى آخره ويفطران على الكرفس وامثال المومس كل عام — وهذا معضل * وروينا في فوائد أبي علي أحمد بن محمد بن علي الباشاني حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الدارياي حدثنا صالح عن أسد بن سعيد عن جعفر بن محمد عن لبائه عن علي رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الادهان « فقال فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلنا أهل البيت على سائر الخلق قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدهن به ويستعط » فذكر حديثا طويلا فيه الكراث والبازروج والجرجير والهندباء والكأمة والكرفس واللحم والحيتان —

وفيه — الكأه من الجنة ماؤها شفاء العين وفيها شفاء من السم وهي طعام الياس واليسع يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة من ماء زمزم يكتفيان بها الى قابل فيرد الله شباهما في كل مائة عام مرة وطعامهما الكأه والكرفس » قال ابن الجوزي لا يشك حديثي في ان هذا الحديث موضوع والمتهم به عبد الرحيم بن حبيب فقد قال ابن حبان انه كان يضع الحديث : وقد تقدم عن مقاتل ان اليسع هو الخضر » وقال ابن شاهين حدثنا محمد بن احمد بن عبدالعزيز الحراني حدثنا ابو طاهر خير بن عرفة حدثنا هاني بن المتوكل حدثنا بقية عن الازاعي عن مكحول سمعت وائلة بن الاسقع « قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك حتى اذا كنا بأرض جذام وقد كان أصابنا عطش فاذا بين أيدينا غيث فسرنا ميلا فاذا بغدير حتى اذا ذهب ثلث الليل اذا نحن بمنادى ينادى بصوت حزين اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها والبارك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حذيفة يا أنس ادخلا الى هذا الشعب فانظرا ما هذا الصوت قال فدخلنا فاذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضا من الثلج واذا وجهه ولحيته كذلك واذا هو أعلى جسما منا بذراعين أو ثلاثة فسلمنا عليه فرد علينا السلام ثم قال مرحبا أنما رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا نعم من أنت رحمتك الله قال أنا الياس النبي خرجت أريد مكة فرأيت عسكركم فقال لي جند من الملائكة على مقدمهم جبريل وعلى ساقهم ميكائيل هذا أخوك رسول الله فسلم عليه والقه . ارجعا اليه فأقرئاه مني السلام وقولاه لم يمنعني من الدخول الى عسكركم إلا أني تخوفت أن يذعرا لابل ويفزع المسلمون من طولي فان خلقتي ايس كخلقكم قولاه صلى الله عليه وسلم يأتيني قال حذيفة وأنس فصاغناه فقال لأنس يا خادم رسول الله من هذا قال هذا حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به ثم قال والله انه لفي السماء أشهر

منه في الارض تشبه أهل السموات صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة هل تلقى الملائكة قال ما من يوم الا وأنا القام يسلمون علىّ وأسلم عليهم قال فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج معنا حتى أتينا الشعب فاذا ضوء وجه الياس وثيابه كالشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكم فتقدمنا قدر خمسين ذراعاً فعاثقه ملياً ثم قعدا فرأينا شيئاً شبه الطير العظام قد أهدقت بهما وهي بيض قد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينها ثم صرخ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ويا أنس تقدمنا فاذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أر شيئاً قط أحسن منها قد غلبت خضرتها يابضاً فصارت وجوهنا خضراء واذا عليها جبن وتمر ورمان وموز وعنب ورطب وبصل ما خلا الكراث فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله فقلنا يا رسول الله أمن طعام الدنيا هذا قال لا قال لنا هذا رزقي ولى في كل اربعين يوماً وليلة أكلة يأتيني بها الملائكة فكان هذا تمام الاربعين وهو شىء يقول الله له كن فيكون فقلنا من أين وجهك قال خلف رومية كنت في جيش من الملائكة مع جيش من مسلمي الجن غزونا أمة من الكفار قلنا فكم مسافة ذلك الموضع الذي كنت فيه قال أربعة اشهر وفارقتة أنا منذ عشرة أيام وأنا أريد مكة أشرب منها في كل سنة شربة وهي ربي وعصمتي الى تمام الموسم من قابل قلنا واى المواطن اكثر مشواك قال الشام وبيت المقدس والمغرب واليمن وليس من مسجد من مساجد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وانا ادخله كبيراً وصغيراً فقلنا متى عهدك بالخضر؟ قال منذ سنة كنت قد التقيت انا وهو بالموسم وانا القاه بالموسم وقد كان قال انك ستلقى محمداً قبلى فآقرئه منى السلام وعانقه وبكى وعانقنا وبكى وبكىنا فنظرنا اليه حين هوى في السماء وكأنه حمل حملاً فقلنا يا رسول الله لقد رأينا عجباً اذ هوى الى السماء قال يكون بين جناحي ملك حتى ينتهي به حيث اراد * قال ابن الجوزى

لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلسه عن الاوزاعي قال وخير بن عرفة لا يدري من هو قلت هو محدث مشهور مصري واسم جده عبد الله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبو طالب الحافظ شيخ الدارقطني وغيره ومات سنة ٢٨٣ وقد رواه غير بقية عن الاوزاعي على صفة اخرى قال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يزيد بن يزيد الموصلي التيمي مولى لهم حدثنا ابو اسحق الحرشي عن الاوزاعي عن مكحول عن أنس رضي الله عنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا ببلخ الناقاة بهذا الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ماهذا الصوت قال فدخلت الجبل فاذا رجل أبيض الرأس والحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر إلى قال أنت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقرا عليه مني السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد بئقائك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى اذا كنت قريبا منه تقدم وتأخرت فتحدثنا طويلا فنزل عليهما شيء من السماء شبيه السفرة فدعواني فأكلت معهما فاذا فيها كآة ورمان وكرفس فلما أكلت قت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتمته فجعلت أنظر الى يياض ثيابه فيها هوى به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليك قال سألته عنه فقال أتاني به جبريل ولي كل أربعين يوما أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيت على الجب يمك الفلوفيشرب وربما سقاني ». قال ابن الجوزي يزيد وأبو اسحق لا يعرفان وقد خالف هذا الذي قبله في طول الياس « وأخرج ابن عساكر من طريق علي ابن الحسين بن ثابت السورى عن هشام بن خالد عن الحسين بن يحيى الحسنى

عن ابن أبي رواد « قال الخضر والياس يصومان بيوت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من قابل » * ثم وجدت في زيادات الزهد لعبد الله بن احمد بن حنبل قال وجدت في كتاب أبي بخطه حدثنا مهدي بن جعفر حدثني ضمرة عن السري بن يحيى عن ابن أبي رواد قال « الياس والخضر يصومان شهر رمضان بيوت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام » قال عبد الله وحدثني الحسن هو ابن رافع عن ضمرة عن السري عن عبد العزيز بن أبي رواد مثله * وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصري حدثنا محمد بن المتوكل حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم

وقال الفاكهي في كتاب مكة حدثنا الزبير بن بكار حدثني حمزة بن عتبة حدثني محمد بن عمران عن جعفر بن محمد بن علي قال كنت مع أبي بمكة في ليالي العشر وأبي قائم يصلي في الحجر فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحية من الاعراب فجلس الى جنب أبي فخفف فقال اني جئتك برحمك الله تخبرني عن أول خلق هذا البيت قال ومن أنت قال أنا رجل من أهل المغرب قال إن أول خلق هذا البيت ان الله لما رد عليه الملائكة حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) غضب فطافوا بعرشه فاعتذروا فرضى عنهم وقال اجعلوا لي في الارض بيتا يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم فقال له الرجل أي برحمك ما بقي من أهل زمانك أعلم منك ثم ولي فقال لي أبي أدرك الرجل فرده علي فخرجت وأنا أنظر اليه فلما بلغ باب الصفا مثل فكأنه لم يكن شيئاً فأخبرت أبي فقال تدرى من هذا قال قلت لا . قال هذا الخضر

(باب ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي «ص» ومن نقل عنه أنه رآه وكله)

قال ابن أبي حاتم في التفسير حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الاويسى حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه أن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه قال « لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فذقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب » قال جعفر أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه « قال تدرون من هذا . هذا الخضر » *

ورواه محمد بن منصور الجزار عن محمد بن جعفر وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين سمعت أبي يقول « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فذقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب فقال علي رضى الله عنه تدرون من هذا هذا الخضر » * قال ابن الجوزى تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف * ورواه الواقدي وهو كذاب ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر وابن أبي عمر مجهول قلت هذا إطلاق ضعيف فابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور به مروى وهذا الحديث فيه أخبرنا به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرني أبو محمد بن القيم أنا أبو الحسن بن البخارى عن محمد بن معمر أنا سمعت

ابن أبي الرجا أنا احمد بن محمد بن النعمان أنا أبو بكر بن المقرئ أنا اسحق بن احمد الخزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن جعفر قال كان ابي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه « انه دخل عليه نفر من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبي القاسم قالوا بلى » فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره « فقال جبريل يا احمد عليكم السلام هذا آخر وطني في الارض انما كنت أنت حاجتي من الدنيا: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر » انتهى ومحمد بن جعفر هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعى لنفسه بالمدينة وبمكة وحج بالناس سنة ٢٠٠ وبإيعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمل إلى أخيه المأمون بنجراسان فمات بمرجان سنة ٢٠٣ وذكّر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس اني كنت قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوا منه وعاش سبعين سنة : قال البخاري أخوه اسحق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثاً - قال الذهبي انه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليه السلام *

وقال سيف بن عمرو التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ابو بكر حتى دخل عليه فلما رآه قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى عليه فرفع أهل البيت عجباً سمعه أهل المصلى فلما سكن ما بهم (٢٨- مجموعة الرسائل النبوية)

سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جلد يقول السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة الا وان في الله خلفا من كل احد ونجاة من كل مخافة والله فارجوا وبه فتقوا فان المصاب من حرم الثواب فاستمعوا له وقطعوا البكاء. ثم طلعوا فلم يرو أحداً فعادوا لبيكاهم فناداهم مناد آخر يا أهل البيت أذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المحلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل هلكة فبالله فتقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف .

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا كامل بن طلحة اخبرنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في ازار ورداء. يتخطى أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بهضادى باب البيت فبكى ثم أقبل على الصحابة فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا وبنظرة اليكم في السلاء فانظروا فان المصاب من لم يجز بالثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر رضى الله عنه علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحداً فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه صلى الله عليه وسلم . عباد ضعفه البخارى والعقيلي : وقد أخرجه الطبراني في الاوسط عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس رضى الله عنه

وقال ابن شاهين في كتاب الجنائز له حدثنا ابن ابى داود ثنا احمد بن عمرو بن السراج ثنا ابن وهب عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر

قال بينما عمر بن الخطاب يصلى على جنازة اذا هاتف يهتف من خلفه الا لا نسبقنا
 لصلاة رحمة الله فانظره حتى لحق بالصف فكبر فقال ان تعذبه فقد عصاك
 وان تغفر له فانه فقير الى رحمتك فنظر عمر واصحابه الى الرجل فلما دفن الميت
 سوى الرجل عليه من تراب القبر ثم قال : طوبى لك يا صاحب القبر ان لم تكن
 عريفاً أو جابياً أو خازناً أو كاتباً أو شرطياً فقال عمر رضى الله عنه خذوا لى هذا
 الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فاذا أثر قدمه ذراع فقال
 عمر رضى الله عنه هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال
 ابن الجوزى فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر

وقال ابن ابي الدنيا ثنا ابي ثنا علي بن شقيق ثنا ابن المبارك انبأنا عمر بن
 محمد بن المنكدر قال بينما رجل يمشى يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال يا هذا بع
 ولا تحلف فعاد فحلف فقال بع ولا تحلف قال أقبل على ما يعينك قال هذا ما
 يعينى ثم قال آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فاذا
 انقطع علمك فاسكت وأهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك قال اكتب لى هذا
 الكلام فقال ان يقدر شىء يكن ثم لم يره فكانوا يرون انه الخضر : قال ابن الجوزى
 كأن هذا أصل الحديث

وقد رواه ابو عمر بن السمك في فوائده عن يحيى بن ابي طالب عن علي بن
 عاصم عن عبد الله بن عبد الله قال كان ابن عمر قاعداً ورجل قد أقام سلعته
 يريد بيعها فجعل يكرر الایمان اذ مر به رجل فقال اتق الله ولا تحلف به كاذباً
 عليك بالصدق فيما يضرك واياك والكذب فيما ينفعك ولا تزيدن فى حديث
 غيرك فقال ابن عمر لرجل : اتبعه فقل له اكتب هذه الكلمات فتبعه فقال ما
 يقضى من شىء يكن ثم فقده فرجع فاخبر ابن عمر فقال ابن عمر رضى الله عنه
 ذاك الخضر : قال ابن الجوزى على بن عاصم ضعيف سىء الحفظ ولعله اراد ان

يقول عمر بن محمد بن محمد بن المنكدر فقال ابن عمر

وقد رواه احمد بن محمد بن مصعب أحد الرضاعين عن جماعة مجاهيل عن
عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما - قلت وجدت طريقا جيدة غير هذا عن ابن
عمر رضي الله عنه قال البيهقي في دلائل النبوة أنا أبو زكريا بن ابي اسحق ثنا
احمد بن سليمان الفقيه ثنا الحجاج بن قراقصة أن رجلا كان يتبايعان عند عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما فكان أحدهما يكثر الحلف فبينما هما كذلك اذ مر بهما
رجل فقام عليهما فقال للذي يكثر الحلف يا عبد الله اتق الله ولا تكثر الحلف
فانه لا يزيد في رزقك ان حلفت ولا ينقص من رزقك ان لم تحلف قال امض
لما يعينك قال ان هذا مما يعنيني قالها ثلاث مرات ورد عليه قوله فلما أراد أن
ينصرف عنها قال اعلم أن من الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب
حيث ينفعك ولا يكن في قولك فضل على فعلك ثم انصرف فقال عبد الله بن
عمر الحقه فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال يا عبد الله اكتبني هذه الكلمات يرحمك
الله فقال الرجل ما يقدر الله يكن وأعادها عليه حتى حفظهن ثم مشى حتى وضع
إحدى رجليه في المسجد فما أدري أرض تحته أم سماء قال فكانوا يرون أنه
الخضر أو الياس

وقال ابن ابي الدنيا ثنا يعقوب بن يوسف ثنا مالك بن اسماعيل ثنا صالح
ابن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله عن شيخ من حضرموت عن محمد بن
يحيى قال « قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه بينما أنا أطوف البيت اذا أنا برجل
معلق بالاستار وهو يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه السائلون
يا من لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك قال قلت دعاؤك
هذا عافاك الله أعدده قال وقد سمعته ؟ قلت نعم قال فادع به في دبر كل صلاة
فو الذي نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى

الارض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين» * وأخرجه الدينوري في المجالسة من هذا الوجه

وقد روى احمد بن حرب النيسابوري عن محمد بن معاذ الهروي عن سفیان الثوري عن عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن علي ابن ابى طالب فذكر نحوه ولكن قال « فقلت يا عبد الله أعد الكلام قال وسمعتة قلت نعم قال والذي نفس الخضر بيده وكان الخضر يقولن عند دبر الصلاة المكتوبة لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر ورواه محمد بن معاذ الهروي عن ابى عبيد الخزومي عن عبد الله بن الوليد عن محمد بن حميد عن سفیان الثوري نحوه .

وأخرج البيهقي في الدلائل قال ثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو جعفر البغدادي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الصنعاني ثنا ابو الوليد الخزومي ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » :

وقال البيهقي ايضاً أنا أبو شعبة احمد بن محمد بن عمرو الاحمسي حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع النخعي ثنا عبد الله بن أبى زياد ثنا شيبان ابن حاتم ثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي ثنا الحسن بن علي عن محمد بن علي هو ابن الحسين بن علي قال « لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبرائيل » فذكر قصة الوفاة مطولة وفيه « فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية *

وروى سيف في الفتوح ان جماعة كانوا مع سعد بن أبي وقاص فأروا
أبا محجن وهو يقاتل فذكر قصة أبي محجن بطولها وانهم قالوا وهم لا يعرفونه
ماهو إلا الخضر : وهذا يقتضى أنهم كانوا اجازمين بوجود الخضر في ذلك الوقت.
وقال ابو عبدالله بن بطة العكبري الحنبلي ثنا شعيب بن احمد بن أبي العوام ثنا أبي ثنا
إبراهيم بن عبد الحميد الواسطي ثنا أيبن بن سفيان عن غالب بن عبدالله
العقيلي عن الحسن البصرى قال « اختلف رجل من أهل السنة وغيلان القدرى
في شىء من القدر فتراضيا بينهما على أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراها
فطلع عليهما أعرابى فطوى عباءة فجعلها على كتفه فقال له رضىناك حكما فيما بيننا
فطوى كساءه ثم جلس عليه ثم قال اجلسا فجلستا بين يديه فحك على غيلان قال
الحسن ذاك الخضر » * في اسناده أيبن بن سفيان وهو متروك

وروى حماد بن عمر النصيبى أحد المتروكين ثنا السرى بن خالد عن جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين ان مولى لهم ركب البحر فكسره به
فبينما هو يسير على ساحله إذ نظر الى رجل على شاطئ البحر ونظر الى مائدة
نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها ثم رفعت فقال له بالذى وفقك
بما أرى أي عبادة أنت قال الخضر الذي تسمع به فقال بماذا جاءك هذا الطعام
والشراب قال بأسماء الله العظام »

وأخرج احمد في كتاب الزهد له عن حماد بن أسامة ثنا مسعر عن معن بن
عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال
بينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً مكتئباً ينكث في الارض
بشىء اذ رفع رأسه فإذا بقى صاحب مسحاة قد سنج له قائماً بين يديه فرفع رأسه
فكأنه ازدراه فقال له مالى أراك مهموماً قال لاشىء قال أما الدنيا فان الدنيا عرض
حاضر يأكل منه البر والفاجر وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر حتى

ذكر ان لها مفصلاً كفاصل اللحم من أخطأ شيئاً أخطأ الحق قال فلما سمع ذلك منه اعجبه فقال اهتامي بما فيه المسلمون قال فان الله سينجيك بشفتك على المسلمين وسل من ذا الذي سأل الله فلم يعطه او دعاه فلم يجبه أو توكل عليه فلم يكفه أو وثق به فلم ينجه قال فطفقت أقول اللهم سلمني وسلم مني قال فتجلت ولم يصب فيها بشيء قال مسعر يرون انه الخضر

وأخرجه ابو نعيم في الحلية في ترجمة عون بن عبدالله من طريق ابى اسامة وهو حماد بن اسامة وقال بعده : ورواه ابن عيينة عن مسعر وقال ابراهيم بن محمد بن سفيان الراوى عن مسلم عقب روايته عن مسلم لحديث ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال يقال ان هذا الرجل الخضر : وقال عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال وفي آخره قال معمر بلغنى انه يجعل على حلقة صفيحة من نحاس وبلغنى انه الخضر وهذا عزاه النووى لمسند معمر فأرهم ان له فيه سنداً وانما هو قول معمر : وقال ابو نعيم في الحلية ثنا عبيد الله بن محمد هو أبو الشيخ ثنا محمد بن يحيى هو ابن منده ثنا احمد بن منصور المروزى ثنا احمد بن جميل قال قال سفيان ابن عيينة بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل مشرف على الناس حسن الشبه فقلنا بعضنا لبعض ما أشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم قال فاتبعناه حتى قضى طوافه فسار الى المقام فصلى ركعتين فلما سلم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا وماذا ؟ قال قال ربكم أنا الملك أَدْعُوكُم الى أن تكونوا ملوكاً ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا ؟ قال قال ربكم أنا الحي الذى لا يموت أَدْعُوكُم الى أن تكونوا أحياء لا تموتون ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا قال ربنا حدثنا يرحمك قال قال ربكم

أنا الذي إذا أردت شيئاً كان أدعوكم الى أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئاً كان لكم . قال ابن عيينة ثم ذهب فلم يره قال فلقبت سفيان الثوري فأخبر بعد ذلك فقال ما أشبه أن يكون هذا الخضر أو بعض هؤلاء الابدال : تابعه محرز بن أبي جدعة عن سفيان ورواها زياد بن أبي الاصبع عن سفيان أيضاً . وروى محمد بن الحسن بن أبي الازهر عن العباس بن يزيد عن سفيان نحوها . وأخرج أبو سعيد في شرف المصطفى من طريق احمد بن أبي ترة ثنا محمد بن الفرات عن ميسر بن سعيد (بن أبي عروبة) عن أيه بينما الحسن في مجلسه والناس حوله إذ أقبل رجل مخضرة عيناه فقال له الحسن : أهكذا ولدتك أمك أم هي بينة قال أو ماتعرفني يا ابا سعيد قال من أنت فانتسب له فلم يبق في المجلس أحد إلا عرفه فقال يا هذا ما قصتك فقال يا ابا سعيد عمدت الى جميع مالي فألقيته في مركب فخرجت أريد الصين فعصفت علينا ريح ففرقت فخرجت الى بعض السواحل على لوح فأقت أردد نحواً من أربعة اشهر آكل ما أصيب من الشجر والعشب وأشرب من ماء العيون ثم قلت لأمضين على وجهي فاما ان اهلك واما ان انجو فسرت فرفع لي قصر كأن سناه فضة فرفعت مصراعه فاذا داخله أروقة في كل طاق منها صندوق من لؤلؤ وعليها أقفال مفاتيحها رأى العين ففتحت بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة واذا فيه رجال مدرجون في ألوان الحرير فحركت بعضهم فاذا هو ميت في صفة حي فأطبقت الصندوق وخرجت واغلقت باب القصر ومضيت فاذا أنا بفارسين لم أر مثلهما جمالا على فرسين أغرين محجلين فسألاني عن قصتي فأخبرتهما فقالا تقدم امامك فانك تصير الى شجرة نحتها روضة هناك شيخ حسن الهيئة على دكان يصلي فأخبره خبرك فانه يرشدك الى الطريق فضيت فاذا أنا بالشيخ فسدت فرد على وسألني عن قصتي ثم قال ما صنعت قلت اطبقت الصناديق واغلقت الابواب فسكن وقال اجلس فمرت به سحابة فقالت السلام عليك يا ولي

الله فقال ابن ترديدن قالت اريد بلد كذا وكذا فلم تنزل تمر به سحابة بعد سحابة حتى اقبلت سحابة فقال ابن ترديدن قالت البصرة قال انزلى فنزلت فصارت بين يديه فقال احملى هذا حتى توديه الى منزله سالما فلما صرت على متن السحابة قلت اسألك بالذي اكرمك إلا اخبرتنى عن القصر وعن الفارسين وعنك قال اما القصر فقد اكرم الله به شهداء البحر ووكل بهم ملائكة يلقطونهم من البحر فيصيرونهم في تلك الصناديق مدرجين في اركان الحرير . والفارسان ملكان يغدوان ويروحان عليهم بالسلام من امر الله واما انا فالخضر وقد سألت ربي ان يحشرنى مع امة نبيكم قال الرجل فلما صرت على السحابة اسابنى الفزع من هول عظيم حتى صرت الى ماترى فقال الحسن لقد عاينت عظيما

وروى الطبراني في كتاب الدعاء قال ثنا يحيى بن محمد الخثمي ثنا المعلى بن حرمي عن محمد بن مهاجر البصرى ثنا ابو عبد الله بن التوم الرقاشى ان سليمان ابن عبد الملك اخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف الى منزل ذلك الرجل يطلبوه فلم يظفر به فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له قد كنت تطلب ههنا فلما طال عليه الامر عزم على ان يأتي بلدة لاحكم لسليمان عايبا فذكر قصة فيها فيينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء اذا هو برجل يصلى قال فخفته ثم رجعت الى نفسى فقلت والله مامعه راحلة ولادابة قال فقصدت نحوه فركم وسجدت ثم التفت إلى فقال لعل هذا الطاغى اخافك قلت اجل قال فما يمنعك من السبع قلت يرحمك الله وما السبع قال : قل سبحان الواحد الذى ليس غيره إلاه . سبحان القديم الذى لا يارى له . سبحان الدائم الذى لا ينفاد له . سبحان الذى هو كل يوم في شأن . سبحان الذى يحيى ويميت . سبحان الذى خلق ما يرى وما لا يرى . سبحان الذى علم كل شىء بغير تعليم . ثم قال قلبها فقاتها وحفظتها والتفت فلم أر الرجل قال والقي الله في قلبي الأمن ورجعت

راجعاً من طريق اريد اهلى فقلت لا تبين باب سليمان بن عبد الملك فأتيت بابه فاذا هو يوم اذنه وهو يأذن للناس فدخلت وانه لعلى فراشه فما غدا ان رآنى فاستوى على فراشه ثم أوماً إلى فما زال بدني حتى قعدت معه على الفراش قال سحرتنى او ساحرانت مع ما بلغنى عنك فقلت يا امير المؤمنين ما انا بساحر ولا اعرف السحر ولا سحرتك قال فكيف فاظننت انه يتم ملكى الا بقتلك فلما رأيتك لم استقر حتى دعوتك فأقعدتك معى على فراشى ثم قال اصدقنى امرك فأخبرته قال يقول سليمان : الخضر - والله الذي لا اله الا هو - علمكها . اكتبوا له اماناً واحسنوا جائزته واحملوه الى اهله .

وأخرج ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة رجاء بن حيوة من تاريخ السراج ثم من رواية محمد بن ذكوان عن رجاء بن حيوة قال انى لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لى منه منزلة إذ جاء رجل ذكر رجاء من حسن هيئته قال فسلم فقال يا رجاء انك قد ابتليت بهذا الرجل وفى قربه الزينغ يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف واعلم يا رجاء انه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة انسان ضعيف لا يستطيع رفعها لقي الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب واعلم يا رجاء انه من كان فى حاجة اخيه المسلم كان الله فى حاجته واعلم يا رجاء أن من احب الاعمال الى الله فرجا أدخلته على مسلم : ثم فقده وكان يرى أنه الخضر عليه السلام

وذكر الزبير بن بكار فى الموفقيات قال اخبرنى السري بن الحرث الانصاري من ولد الحرث بن الصمة عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان يصلى فى اليوم واليلة الف ركعة ويصوم الدهر قال بت ليلة فى المسجد فلما خرج الناس إذا رجل قد جاء الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسند ظهره الى الجدار ثم قال اللهم انك تعلم انى كنت أمس صائماً ثم أمسيت فلم افطر على شىء وظلت

اليوم صائماً ثم امسيت ولم افطر على شيء اللهم واني امسيت وأشتهى التريد فأطعمنيها من عندك قال فنظرت الى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس في خلقة الناس معه قصعة فأهوى بها الى الرجل فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبني فقال هلم فحمت وظننت أنها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فاذا طعام لا يشبه طعام الدنيا ثم احتشمت فعمت فرجعت مكاني فلما فرغ من اكله اخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء ثم قام الرجل منصرفاً فاتبعته لأعرفه فمثل فلا أدري أين سار فظننته الخضر: واخرج ابن عساكر من طريق ابراهيم بن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله حدثني ابي ان قوام المسجد قالوا للوليد بن عبد الملك ان الخضر يصلي كل ليلة في المسجد

وقال اسحاق بن ابراهيم الحنبلي في كتاب الرماح له ثنا عثمان بن سعيد الانطاعي ثنا علي بن العشم المصيصي عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوى عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبمسقلان قال بينا أنا اسير في وادى الاردن اذا انا برجل في ناحية الوادي قائم يصلى فاذا بسحابة تظله من الشمس فوقه في قلبي انه الياس النبي فأتيته فسلمت عليه فانفلت من صلواته فرد السلام فقلت له من انت يرحمك الله فلم يرد على شيئاً فأعدت عليه القول مرتين فقال انا الياس النبي فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي ان يذهب فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تدعولى ان يذهب الله عنى ما اجد حتى افهم حديثك قال فدعالي ثمان دعوات فقال يا برحيم يا حي يا قيوم يا حنان يا منان يا هيا شراً هيا فذهب عنى ما كنت أجد فقلت الى من بعثت قال الى اهل بعلبك قلت فهل يوحى اليك اليوم فقال اما من بعث محمد خاتم النبيين فلا قلت فكلم من الانبياء في الحياة قال اربعة انا

والخضر في الارض وادريس وعيسى في السماء قلت فهل تلتقي انت والخضر
قال نعم في كل عام بعرفات قلت فما حديثكما قال يأخذ من شعري وأخذ شعره
قلت فكم الابدال قال هم ستون رجلا خمسون ما بين عريش مصر الى شاطئ
الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بانطاكية وسبعة في سائر الامصار بهم يستقون
الغيث وبهم ينصرون على العدو وبهم يقيم الله امر الدنيا حتى اذا اراد ان يهلك
الدنيا اماتهم جميعا : في اسناده جهالة ومتروكون

وقال ابو الحسن ابن المنادي في الجزء المذكور ثنى احمد بن ملاعب ثنا
يحيى بن سعيد السعدي نى ابو جعفر الكوفي ثنى ابو عمر النصيبي قال خرجت
اطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال انه من الابدال فلقيته بوادى الاردن
فقال لى اخبرك بشيء رأيت اليوم في هذا الوادى قال قلت بلى قال دخلت اليوم
هذا الوادى فاذا انا بشيخ يصلى الى شجرة فألقي في روعي انه الياس
النبي فدنوت منه فسلمت عليه فركع فلما جلس سلم عن يمينه
وعن شماله ثم أقبل عليّ فقال وعليك السلام فقلت من أنت برحمك الله قال
أنا الياس النبي قال فأخذت رعدة شديدة حتى خررت على قفاى قال فدنا منى
فوضع يده بين يدي فوجدت بردها بين كتفى فقلت يانبي الله ادع الله أن يذهب
عنى ما أجد حتى أفهم كلامك عنك فدعاه بثمانية أسماء خمسة منها بالعريسة
وثلاثة بالسريانية فقال يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد يا وتر ودعا بالثلاثة الاسماء
الاخر فلم أعرفها ثم أخذ ييدى فأجلسنى فذهب عنى ما كنت أجد فقلت يانبي
الله ألم تر هذا الرجل ما يصنع ؟ - أعنى مروان بن محمد - وهو يومئذ يحاصر
أهل حمص فقال لى مالك وماله جبار عات على الله فقلت يانبي الله أما انى قد
مررت به فاعرض عنى فقلت يانبي الله اما انى وان كنت قد مررت بهم فانى
لم أهو أحد الفريقين وأنا أستغفر الله وأتوب اليه قال فأقبل على بوجهه ثم قال لى

قد أحسنت هكذا فقل ثم لا تعدد قلت يا نبي الله هل في الارض اليوم من
الابدال أحد قال نعم هم ستون رجلا منهم خمسون فيما بين العريش الى الفرات
ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بانطاكية وسائر العشرة في سائر أمصار العرب
فقلت يا نبي الله هل تلتقي أنت والخضر قال نعم نلتقي في كل موسم بمنى قلت
فما يكون من حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قلت يا نبي الله
انى رجل خلو ليست لى زوجة ولا ولد فان رأيت أن تأذن لي فأصحبك وأكون
معك قال انك لن تستطيع ذلك فانك لا تقدر على ذلك قال فبينما هو يتحدثني
اذ رأيت مائدة قد خرجت من أصل الشجرة فوضعت بين يديه ولم أر من
وضعها وعليها ثلاثة أرغفة فديده ليا كل وقال كل رسم وكل مما يليك فمددت
يدى فأكلت أنا وهو رغيفا ونصف ثم ان المائدة رفعت ولم أر أحدا رفعها وأتى
بأناء فيه شراب فوضع في يده ولم أر أحدا وضعه فشرب ثم ناولني فقال اشرب
فشربت أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ثم وضعت الاناء فرفع الاناء فلم
ار احدا رفعه ثم نظر الى اسفل الوادي فاذا دابة قد أقبلت فوق الحمار ودون
البغل وعليه رحالة فلما انتهى اليه نزل فقام ليركب ودرت لاأخذ بغرز الدابة
فركب ثم سار ومشيت الى جنبه وانا اقول يا نبي الله ان رأيت ان تأذن فأصحبك
وأكون معك فقال الم أقل إنك لن تستطيع ذلك فقلت فكيف لي بلقائك قال
انك اذا رأيتك رأيتني قلت على ذلك قال لملك تلقاني في رمضان معتكفا بييت
المقدس واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية ودرت من الجانب الآخر استقبله فلم
ار شيئا : قال ابن الجوزى مسلة والراوي عنه وابو جعفر والكوفي لا يعرفون
وروى داود بن مهران ثنى شيخ عن حبيب ابي محمد انه رأى رجلا فقال
له من انت قال انا الخضر * وعن محمد بن عمران عن جعفر الصادق انه كان مع
ايه فجاءه رجل فسأله عن مسائل قال فأمرني ان ارد الرجل فلم اجده فقال

ذاك الخضر * وعن ابي جعفر المنصور انه سمع رجلا يقول في الطواف اشكو اليك ظهور البغي والفساد فدعاه فوعظه وبالغ ثم خرج فقال اطلبوه فلم يجدوه فقال ذاك الخضر

وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد بن سعيد عن ابي طيبة عن كثير بن وبرة قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى الي هدية فقلت من اهداها اليك قال ابراهيم التيمي قلت ومن اهداها الي ابراهيم التيمي قال قال كنت جالسا في فناء الكعبة فأتاني رجل فقال انا الخضر واهداها الي و ذكر لي تسبيحات ودعوات

وذكر ابو الحسين بن المنادي من طريق مسلمة بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز انه لقي الخضر (ح) وفي المجالسة لابن بكر الدينوري من طريق ابراهيم بن خالد عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت الخضر وهو يمشي مشيا سريرا وهو يقول صبرا يا نفس صبرا لا يام تفقد لتلك ايام الابد صبرا لا يام قصار لتلك الايام الطوال

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه ثنا محمد بن عبد العزيز الرملي قال ثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السري بن يحيى عن رياح بن عبدة قال رأيت رجلا يمشى عمر بن عبد العزيز معتمدا على يده فقلت في نفسي ان هذا الرجل جاف فلما صلى قلت يا ابا حفص من الرجل الذي كان معك معتمدا على يدك آ نفا قال وقد رأيت يارياح قلت نعم قال اني لاراك رجلا صالحا ذاك اخي الخضر بشرني اني سألي واعل . قلت هذا اصلح اسناد وفتت عليه في هذا الباب ايضا وقد اخرج ابو عروبة الحراني في تاريخه عن ايوب بن محمد الوراق عن ضمرة ايضا * واخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن المقرئ عن ابن عروبة في ترجمة عمر بن عبد العزيز : وروينا في الجزء الاول من فوائد الحافظ ابي عبد الله محمد بن مسلم بن

زرارة الرازي ثنى الليث بن خالد ابو بكر عمرو وكان ثقة قال ثنا المسيب ابو يحيى وكان من اصحاب مقاتل بن حيان قال وفدت على عمر بن عبد العزيز فاذا انا برجل او شيخ يحدثه او قال يتكى عليه قال ثم لم اره فقلت يا امير المؤمنين رأيت رجلا يحدثك قال ورايته قلت نعم قال ذاك اخي الخضر يأتيني فيوقفتي ويسددنى

وقال ابو عبد الرحمن السلمى في تصنيفه سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواصى يقول كنت في تيه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت ثم أهملت أنه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر فقلت ما تقول في الشافعى قال من الاوتاد (الابدال) قلت فاحمد بن حنبل قال صديق قلت فبشر بن الحارث قال لم يخلف بعده مثله قلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لأمك وقال ابو نعيم في الحلية حدثنا ظفر بن محمد حدثنا عبد الله بن ابراهيم الحريرى قال قال ابو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال بلال الخواص رأيت الخضر في النوم فقلت له ما تقول في بشر قال لم يخلف بعده مثله قلت ما تقول في احمد قال صديق

وقال ابو الحسن بن جهضم حدثنا محمد بن داود قال حدثنا محمد بن الصلت عن بشر (ابن الحارث) الحافي قال كانت لى حجرة وكنت أغلقها اذا خرجت ومعى المفتاح فجئت ذات يوم وفتحت الباب ودخلت فاذا شخص قائم يصلى فراغنى فقال يا بشر لا تنزع أنا أخوك أبو العباس الخضر قال بشر قلت له علمنى شيئاً قال قل : أستغفر الله من كل سبب تبت منه ثم عدت اليه وأسأله التوبة وأستغفر الله من كل عقد عقدته على نفسى ففسخته ولم أف به

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يمنعكم ان تكفروا ذنوبكم بكلمات أخى الخضر فذكر نحو

الكلمات المذكورة في حكاية بشر. وروى أبو نعيم عن أبي الحسن بن مقسم عن أبي محمد الحريري سمعت أبا إسحق المرستاني يقول رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم اني أسألك الاقبال عليك والاصفاء اليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب في معاملتك والتسليم والتفويض اليك

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا الخلدی حدثنا ابن مسروق حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لي الخضر ما كنت أظن أن الله ولياً إلا وقد عرفته فكنت بصنعا، البين في المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث وشاب جالس ناحية المسجد فقال لي ما شأن هؤلاء قلت يسمعون من عبد الرزاق قال عمن قلت عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تسمعون عن الله عز وجل قلت فأنت تسمع عن الله عز وجل قال نعم قلت من أنت قال الخضر فعلمت ان الله أوليا. ما عرفتهم

وابن جهضم معروف بالكذب : وعن الحسن بن غالب قال حججت فسبقت الناس وانقطع بي فلقيني شاب فأخذ يدي فالحقني بهم فلما قدمت قال لي أهلى انا سمعنا انك هلكت فرحنا الى أبي الحسن القزويني فذكرنا له ذلك وقلنا أدع الله له فقال ما هلك وقد رأى الخضر قال فلما قدمت جئت اليه فقال لي ما فعل صاحبك قال الحسن بن غالب وكنت في مسجدى فدخل على رجل فقال غداً تأتيك هدية فلا تقبلها وبمدها بأيام تأتيك هدية فاقبلها قال فبلغني ان أبا الحسن القزويني قال عنى قد رأى الخضر مرتين : قال ابن الجوزي الحسن ابن غالب كذبه .

وأخرج ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح الى أبي زرعة أنه لما كان شاباً لقي رجلاً مخضوباً بالحناء فقال له لا تقش أبواب الامراء قال

ثم لقيته بعد أن كبرت وهو على حالته فقال لي ألم أنهك عن غشيان أبواب
الامراء قال ثم التفت فلم أره فكان الارض انشقت فدخل فيها قال فخيّل أنه
الخضر فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سألته حاجة * وذكر ابن أبي
حاتم في الجرح والتعديل : عبد الله بن بحر قال وروى كلاما في الزهد عن رجل
ترامى له ثم غاب عنه فلا يدري كيف ذهب فكان يرى أنه الخضر : روى نعم
ابن ميسرة عن رجل من محصب عنه :

وروي في اخبار ابراهيم بن ادم قال ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن
ادم صحبته بالشام فقلت يا ابا اسحق اخبرني عن بدء امرك قال كنت شابا قد
حبب إلي الصيد فخرجت يوماً فأثرت ارنبا أو ثعلبا فبينما انا اطرده إذ هتف بي
هاتف لا اراه : يا ابراهيم الهذا خلقت ابهذا امرت ففرغت ووقفت ثم تعودت
وركضت الدابة ففعل ذلك مرارا ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج والله
ما الهذا خلقت ولا بهذا امرت قال فنزات فصادفت راعيا لأبي يرعى الغنم فأخذت
جيبته الصوف فلبستها ودفعت اليه الفرس وما كان معي وتوجهت الى مكة فبينما
انا في البادية إذ انا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد فلما امسى وصلى المغرب
حرك شفتيه بكلام لم افهمه فاذا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب فأكلت معه
وشربت وكنت على هذا اياما وعلفني اسم الله الاعظم ثم غاب عني وبقيت
وحدي فبينما انا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا شخص أخذ
بمجزتي فقال لي سل تعطه فراغني قوله فقال لا روع عليك انا اخوك الخضر

وذكر عبدالمغيث بن زهير الحربي في جزء جمعه في اخبار الخضر عن احمد
ابن حنبل قال كنت ببيت المقدس فرأيت الخضر والياس : وعن احمد قال
كنت نائما فجاءني الخضر فقال قل لاحمد ان ساكن السماء والملائكة راضون
عك . وعن احمد بن حنبل انه خرج الى مكة فصحب رجلا قال فوقع في نفسي
انه الخضر قال ابن الجوزي في ما نقضه ما جمعه عبدالمغيث لا يثبت هذا عن احمد
قال وذكر فيه عن معروف الكرخي انه قال حدثني الخضر ومن أين يصح هذا
(م — ٣٠ مجموعة الرسائل التنبيهية)

عن معروف . وقال ابو حيان في تفسيره اولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح ان بعضهم يرى الخضر : وكان الامام ابو الفتح القشيري يذكر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقبل له من اعلمه انه الخضر ام كيف عرف ذلك فسكت قال ويرزعم بعضهم ان الخضر يقربته يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر ومنه قول بعضهم لكل زمان خضر . قلت وهو حيث سلم يدل على ان الخضر المشهور مات : قال ابو حيان وكان بعض شيوخنا في الحديث وهو عبد الواحد العباسي الحنبلي يعتقد اصحابه فيه انه يجتمع بالخضر . قلت واذكر لى الحافظ ابو الفضل العراقي شيخنا ان الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعي كان يعتقد ان الخضر حي قال فذكرت له ما نقل عن البخارى والحربى وغيرهما من انكار ذلك فغضب وقال من قال انه مات غضبت عليه قال فقلنا له رجمننا عن اعتقاد موته : وأدر كنا ممن كان يدعى انه يجتمع بالخضر منهم القاضى علم الدين البساطى الذى ولى قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق وكان كثير من أهل العلم ينكرون عليه ذلك

والذي تميل اليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يمتقده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للاخبار الدالة على استمراره فيقال هب ان اسانيدها واهية اذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يصنع فى المجموع فانه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذى مثلوا له بجمود حاتم فمن هنا مع احتمال التأويل فى ادلة القائلين بعدم بقاءه كاية (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وكحديث « رأس مائة سنة » وغير ذلك مما تقدم بيانه . واقوى الأدلة على عدم بقاءه عدم مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفراده بالتعبير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي . والذى لا يتوقف فيه الجزم بنبوته . ولو ثبت انه ملك من الملائكة لارتفع الاشكال كما تقدم والله أعلم . اه تم كتاب الزهر النضر فى نبأ الخضر للحافظ شهاب لدين أبى الفضل احمد بن على بن محمد بن حجر الكنانى العسقلانى

فرغ منه يوم الجمعة عشرين شوال سنة ٨٦٧ سبعم وستين وثمانمائة هجرية اه ١ - الأنبياء ٢٤

الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية

✦ للامام العلامة الحافظ ✦

(أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر المسقلاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض درجات * والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالآيات بينات * وعلى آله وصحبه الذين فازوا بنصرة دينه حتى حازوا الصفات المعلومات * وعلى التابعين لهم باحسان صلاة وسلاما دائمين الى يوم بعث الاموات *

﴿ أما بعد ﴾ فان جماعة من الاخوان التمسوا أفراد مختصر من أخبار فقيه الديار المصرية أبي الحرث الليث بن سعد أبي المكارم وشيئا من عوالى حديثه تذكرة لهده : وتبصرة لمن يخفى عليه حال من قبله اذا أتى من بعده : فأجبت طلبتهم . وصوبت رغبتهم . وجمعت في هذه الاوراق ما تيسر من ذلك لما فيه من نشر السنة وربتها على ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنة (الباب الاول) في ذكر نسبه ونسبته ومولده وبلدته (الباب الثاني) في ذكر طلبه العلم ورحلته وأسماء بعض شيوخه وصفة مبدأ أمره ونشأته (الباب الثالث) في مهارته في شبايه ونحريه أسباب المروءة ومكارم الاخلاق في جميع أسبابه (الباب الرابع) في ثناء الائمة عليه بالصفات الجميلة وبيان سعة حفظه وكثرة علومه الجزيلة (الباب الخامس)

في عظيم مقداره عند الخلفاء وغيرهم من الاحرار والخلفاء (الباب السادس) في معرفة بعض الاخذين للحديث عنه والاشارة الى بعض المقتبسين لفقته منه (الباب السابع) في بيان وقت وفاته ومقدار عمره عند مماته. (الباب الثامن) في سياق عوالي حديثه: الدال على رفيع قدره في قديم أمره وحديثه: والله أسأل أن لا يجعل ما علمنا علينا وبالآ وأن يسبل علينا ستر حلمه وكرمه سبحانه وتعالى

الباب الاول

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر العز الحنبلي في كتابه اليينا من دمشق غير مرة أخبرنا التقي ابو الفضل بن أبي طاهر الحاكم مشافهة عن أبي الحسن بن المقير أخبرنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ في كتابه اليينا أخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن الحافظ ابى عبد الله بن منده اذنا اخبرنا ابى اخبرنا ابو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الاعلى في تاريخ مصر قال الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث يقال انه مولى بنى فهم ثم لآل خالد ابن ناشر بن ظاعن الفهمي ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه في ديوان مصر في موالى بنى كنانة من فهم وأهل بيته يقولون نحن من الفرس من أهل اصبهان قال ابن يونس وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة يعنى كونهم من الفرس: فاما ان اصلهم من اصبهان فجاء عن الليث نفسه ذلك قرأت على أبي الحسن بن أبي المجد عن ابى بكر الدمشقي ان يوسف بن خليل الحافظ اخبرهم اخبرنا ابو الحسن الجمال اخبرنا ابو علي الحداد اخبرنا ابو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر سمعت ابا الحسن الطحان يقول سمعت عيسى بن حماد يقول سمعت الليث يقول نحن من اهل اصبهان فاستوصوا بهم خيراً وقال يعقوب ابن سفيان في تاريخه كان الليث يقول اصلنا من اصبهان وقال ابو احمد الحاكم في

الكنى ابو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس : وقال ابن يونس فيما اخرجته من طريق عمرو بن ابى الطاهر بن السرح سمعت يحيى بن بكير يقول سعد والد الليث كان من موالى قريش ثم اقترض في بنى فهم فنسب اليهم وتبعه الليث بعده : وقال البخارى الليث مولى بنى فهم : وقال خليفة بن خياط الليث مولى بنى قيس وظن ابو نصر الكلاباذى اختلاف النسبين فجعلها قولين وليس كذلك بل فهم من قيس والله اعلم

﴿ ذكر مولده ﴾ قال يعقوب بن سفيان في تاريخه قال يحيى بن بكير سمعت ابن الليث يقول كان الليث يقول لنا قال لى بعض أهلي اني ولدت سنة اثنتين وتسعين والذي أوقن اني ولدت سنة اربع وتسعين وقال ابو صالح كاتب الليث سمعت الليث يقول مات عمر بن عبد العزيز ولى سبع سنين

﴿ قلت ﴾ وكانت وفاة عمر سنة احدى ومائة فيكون مولده سنة اربع وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابيه ولد سنة اربع وقال بعضهم سنة ثلاث وكذا قال ابن سعد ولد الليث سنة ثلاث أو اربع وتسعين وقال البخارى في تاريخه قال يحيى بن بكير ولد الليث لاربع عشرة خلت من شعبان سنة اربع وتسعين وكذا قال ابن حبان وزاد يوم الجمعة

﴿ قلت ﴾ ومولده بقرقشندة على نحو اربع فراسخ من الفسطاط فيكون له منذ ولد سبعائة سنة واربعون سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً والله أعلم

الباب الثاني

قال أبو نعيم في الحلية أدرك الليث نيفاً وخمسين رجلاً من التابعين : وقال البخارى قال يحيى بن بكير قال سمعت من ابن شهاب الزهري بمكة سنة ثلاث عشرة وهي أول سنة حج : وروى ابن يونس من طريق ابن وهب عن الليث قال

خسفت الشمس ونحن بمكة سنة ثلاث عشرة: وسمع بيلده من يزيد بن ابي حبيب
وجعفر بن ربيعة والحريث بن يعقوب وعبيد الله بن ابي جعفر وخالد بن يزيد
وخير بن نعيم وسعيد بن يزيد بالحجاز من عطاء بن ابي رباح ونافع مولى ابن
عمر وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الانصارى وابى الزبير محمد بن مسلم المكي
وأيوب بن موسى الاموى وعبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة وعمرو بن شبيب
وعمر بن دينار وقتادة وسمع في رحلته الى العراق وهو كبير من هشيم وهو اصغر
منه : قال ابو صالح خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الاضحى
بيغداد فقال لى الليث سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له اخوك الليث المصرى
يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه شيئاً من كتبك فذهبت اليه ففعل
فكتبت ليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث : وروى غير واحد عن الليث
قال دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال من أين قلت من أهل مصر قال ممن
قلت من قيس قال ابن كم قلت ابن عشرين قال أما لحبتك فلحبة ابن أربمين : وروى
الخطيب من طريق الخضر بن عبيد حدثنا عيسى بن حماد سمعت الليث يقول
حججت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعاً مولى ابن عمر فدخلت معه الى دكان علاف
فحدثني فر بنا ابن لهيعة فقال من هذا قلت مولى لنا فلما رجعنا إلى مصر جعلت
أحدث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال أين لقيته قلت أمارأيت العبد الذي
في دكان العلاف هو ذاك

(قلت) وقعت لى نسخة الليث عن نافع فيها من الاحاديث المرفوعة
والموقوفة نحو المائة ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة
بالواسطة وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد فانه روى عن هقل بن زياد
عن الازاعي عن داود بن عطاء عن موسى بن عقبة عن نافع وقد سمع من ابن
شهاب الزهري كثيراً ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بو احد كعقيل ويونس

وغيرها وذلك في الصحيحين وبائنين كما روى عن ابراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب وبخمس كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهري وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من اصح الحديث فانه لم يسمع منه شيئاً دلس فيه : وقد روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن محمد ابن عجلان عن ابى الزبير ومامن هؤلاء الوسائط الا من سمع منه الكتب ولكنه كان لا يجب التدليس فكان لا يبالي اذا نزل في الرواية اذا لم يسمع فقد حدث عن هشام بن عروة وسمع من ربيعة وحدث عن يحيى بن أيوب عن أيوب بن موسى عنه وسمع من سعيد المصري وحدث عن يزيد بن ابى حبيب عن عبد الحميد ابن جعفر عنه : وكان من سعة علمه يحدث من لسانه بما عنده قال ابن يونس ان فرد الغراء عن الليث باحاديث لم يسمعها منه أهل مصر : وقد حدث عنه من شيوخه محمد بن عجلان وهشام بن سعد ومن أقرانه ابن لهيعة وقيس بن الربيع وهشام ابن سعد وعبد الله بن المبارك وغيرهم وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن بكير أخبرني من سمع الليث يقول كتبت من علم الزهري كثيرا يعنى عن غيره قال فأردت أن أركب البريد اليه الى الرصافة فحفت أن لا يكون ذلك لله فتركت ذلك يعنى فصار يروى عنه بالواسطة لذلك :

الباب الثالث

قال يعقوب بن سفيان في تاريخه سمعت يحيى بن بكير يقول قال عبدالعزيز ابن محمد هو الراوردي رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم في المسائل وقد فاق أهل الحلقة : وقال ابن يونس بالسند الماضى اليه حدثنا علي بن قديد سمعت

يحيى بن عثمان بن صالح يذكر أن يحيى بن بكير حدثه قال سمعت شرحبيل بن يزيد يقول أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر وجمفر بن ربيعة والحريث بن يزيد وابن هبيرة ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط والليث يومئذ حدث شاب وأنهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار إليه : وقال يعقوب بن سفيان سمعت يحيى بن بكير يقول سمعت الليث يقول رأيت يحيى بن سعيد الأنصاري وقد فعلت شيئاً من المباحات فقال لا تفعل فانك امام منظور اليك

(قلت) ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث وقال يحيى بن عمر بن صالح السهمي حدثنا عمر بن خالد قال قلت لليث بلغني انك أخذت بركاب بن شهاب الزهري قال نعم للعالم فاما لغير ذلك فلا والله ما فعلته بأحد قط . أخبرنا أبو محمد إبراهيم بن داود العابد اذنا مشافهة أخبرنا إبراهيم بن علي بن سنان أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم عن احمد بن محمد التيمي أخبرنا الحسن بن احمد المقرئ أخبرنا ابو نعيم حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي حدثني الحضرمي حدثنا علان بن المغيرة سمعت أبا صالح كاتب الليث يقول كنا على باب مالك ابن أنس فامتنع علينا أي احتجب قفلنا ليس يشبه هذا صاحبنا قال فسمع مالك كلامنا فامر بادخالنا عليه فقال لنا من صاحبكم قلنا الليث بن سعد قال تشبهوني برجل كتبت اليه في قليل عصفور نصبغ به ثياب صبيانا فانفذ الينا منه ما صبغنا به ثياب صبيانا و ثياب جيراننا وبعنا الفضل بالف دينار و به الى ابي نعيم حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا محمد بن اسحق هو السراج سمعت قتيبة بن سعيد يقول قفلنا مع الليث من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه : و به الى أبي نعيم حدثنا عبد الله بن جمفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح قال صحبت الليث

عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ولا يتعشى وحده الامع الناس وبه الى ابي
نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا احمد بن ابي يحيى حدثنا عبد الملك بن شعيب
ابن الليث سمعت أسد بن موسى يقول كان عبدالله بن علي يطلب بنى أمية فيقتلهم
فرحلت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة فدخلت على الليث فلما فرغ المجلس خرجت
فتبعني خادم فقال اجلس حتى أخرج اليك فجلست حتى خرج وأنا وحدي فدفعت
لى صرة فيها مائة دينار وقال يقول لك الليث اصلح بهذه النفقة أمرك ولم شمك
وكان معي في حجزني الف دينار فأخرجتها له وقلت له استأذن لي على الشيخ
فدخلت فأخبرته بنسبي فقال أنها صلة وليست صدقة واعتذرت اليه عن قبول
صلته وقلت أكره أن أعود نفسي عادة وأنا عنها غنى قال فادفعها الى بعض
أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة
ومن طريق منصور بن عمار قال كنت عند الليث جالسا فأتته امرأة ومعها قدح
فقلت يا أبا الحرث ان زوجي يشتكى وقد نعت لنا العسل فقال اذهبي الى الوكيل
فقولي له يعطيك مطراً^(١) فجاء الوكيل يساره بشي، فقال له الليث اذهب فاعطها مطراً
انها سألت بقدرها فاعطيناها بقدرنا قال والمطر عشرون ومائة رطل: وعن منصور
قال دخلت على الليث وعلى رأسه خادم فغمزه فخرج فضرب بيده الى مصلاه
فاستخرج منه كيسا فرمى به الى وقال يا ابا السرى لا تعلم به ابني فتنون عليه
فاذا فيه الف دينار: وقال ابو حاتم بن حبان كان الليث لا يتردد اليه أحد الا
أدخله في جملة عياله ما دام يتردد اليه ثم ان أراد الخروج زوده بالباقة الى وطنه
وقال عباس بن محمد الدوري سمعت يحيى بن معين يقول كان الليث يصلي
في المسجد كل صلاة يجي، على فرسه فكان له مجلس يجلس فيه فمر به يحيى بن
أيوب فغمزه فقام معه فسأله عن مسألة فأجابها فبعث اليه بمائة دينار وقال الترمذي
(١) قوله مطراً هو وعاء معروف عند بعض أهل مصر يسع نحو مائة رطل مصري تقريباً أهـ

سمعت قتيبة يقول كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلثمائة مسكين * وقال أشهب كان الليث لا يرد سائلا وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر: وبالسند الماضي قريبا إلى أبي نعيم حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا إسحاق بن إسماعيل سمعت محمد بن رمح يقول كان دخل الليث في كل سنة ثمانين الف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة: وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث سمعت أبي يقول قال الليث ما رجيت على زكاة قط منذ بلغت: وقال حرملة بن يحيى سمعت ابن وهب يقول كان الليث يصل مال الكاكل سنة بمائة دينار وكتب إليه مرة أن على دينا فبعث إليه بمخمسة دینار وبه إلى أبي نعيم حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا عبد الملك بن يحيى بن بكير سمعت أبي يقول وصل الليث ابن لهيعة لما احترقت داره بالف دينار وحج فأهدى إليه مالك طبقا فيه رطب فرد إليه علي الطبق الف دينار ووصل منصور بن عمار القاضي بالف دينار: وقال الحرث بن مسكين اشترى قوم من الليث نمرة بمال ثم أنهم ندموا فاستقاوه فاقاهم ثم استدعاهم فاعطاهم خمسين دينارا وقال أنهم كانوا أملا أملا فأحببت أن اعرضهم *

الباب الرابع

قال أبو بكر بن الأثرم سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث لاعمرو بن الحرث ولا غيره ما أصبح حديثه وجعل يثنى عليه: وقال يعقوب بن سفيان قال الفضل بن زياد قال أحمد بن حنبل الليث كثير العلم صحيح الحديث وقال حنبل بن إسحاق سئل أحمد فقيل له محمد بن عجلان وابن أبي ذئب والليث عن المقبري أيهم أحب إليك قال الليث * وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين الليث في يزيد بن أبي حبيب أثبت من محمد بن

اسحق وقال محمد بن احمد بن عياض حدثنا هرون بن يزيد سمعت ابن وهب يقول كل ما كان في كتب مالك وأخبرني من أرضي من أهل العلم فهو الليث بن سعد وقال شعيب بن الليث قيل لأبي إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك قال لو كتبت ما في صدرى في كتبى ما وسعته هذا المركب وقال يحيى بن بكير ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث وما رأيت أكمل منه كان فقيه البلد عربى اللسان يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر والمذاكرة إلى أن عد خمس عشرة خصلة ما رأيت مثله ﴿ ذكر ثنائهم عليه بالفقه ﴾ وبالسند الماضى الى أبي نعيم حدثنا محمد بن

عبدالرحمن بن سهل حدثنا احمد بن اسماعيل الصدفي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا حرملة بن يحيى سمعت الشافعي يقول الليث أنفع للأثر من مالك: وقال أبو احمد ابن عدى حدثنا ابراهيم بن اسحق سمعت احمد بن عبدالرحمن بن وهب يقول سمعت الشافعي يقول الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به: وفي رواية عن الشافعي ضيعة قومه وفي أخرى ضيعة أصحابه وقال أبو محمد بن أبي حاتم سمعت أبا زرعة يقول سمعت يحيى بن بكير يقول الليث أفقه من مالك ولكن كانت الخطوة للمالك: وقال أبو عبد الله البوشنجي سمعت يحيى بن بكير يقول أخبرت عن سعيد بن أبي أيوب انه كان يقول لو أن مالكا والليث اجتمعا كان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا فيمن يريد *

(قلت) ثناؤم عليه بحفظ الحديث وضبطه قال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة الليث يحتاج بحديثه قال أى لعمري وقال يحيى بن معين ثبت وقال يعقوب بن شيبه ومحمد بن سعد وآخر ثقة وقال ابن أبي مريم ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من ليث وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت تلك الخصلة في الليث: وقال أبو يعلى الخليلي كان امام وقته بلامدافعة وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه فقهياً وعلماً وحفظاً وفضلاً وكرماً: وقال النووي في تهذيبه أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث

الباب الخامس

وبالسند الماضي أول الجزء الى أبي سعيد بن يونس حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثنا أبي عن أبيه قال قال الليث قال لي أبو جعفر المنصور حين أردت أن أودعه قد رأيت ماسرني من سداد عقلك فاتق الله في الرعية أمثالك وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن بكير قال قال الليث قال لي أبو جعفر المنصور تلى لي قلت اني أضعف عن ذلك اني رجل من الموالي قال ما بك ضعف معي الا ضعف بدنك أتريد قوة أقوى مني فأما اذا أبيت فداني على رجل قالوا وكان الامراء بمصر لا يقطعون أمراً دون الليث * وقال أبو عبد الله البوشنجي سمعت يحيى بن بكير يحدث عن يعقوب ابن داود الوزير قال قال لي أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق ازم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين انه ما بقى أحد أعلم بما كان منه * وقال أشهب بن عبدالعزيز كان ليث أربع مجالس كل يوم مجلس لحوائج السلطان ومجلس لاصحاب الحديث ومجلس لاصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت وقال منصور بن عمار كان الليث اذا تكلم رجل في المسجد الجامع أخرجه قال فلما دخلت مصر تكلمت في الجامع فاذا رجلا قد دخلا فأخذا بي فقالا أجب أبا الحرث قال فذهبت وأنا أقول واسواتاه أخرج من البلد هكذا قال فلما دخلت على الليث سلمت فقال أنت المتكلم في المسجد قلت نعم قال أعد علي ما قلت قال فأعدته فزق الشيخ وبكى فقال ما اسمك قلت منصور بن عمار قال أبو السري قلت نعم قال فدفع إلي كيساً وقال صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ولا تمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ولك علي في كل سنة مثلاً: وبالسند الماضي الى أبي نعيم حدثنا محمد بن

احمد الجرجاني حدثنا أبو علي الطرائفي حدثنا لؤاؤ خادم الرشيد قال جرى بين هرون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس وهو الليث بن سعد قال فسأله قال اذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنيني أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فأحضر فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقراها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله قال فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملاك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل اني اخاف مقام ربي فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد احسنت وامر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر الا بأمره وصرفه مكرما : وقال يحيى بن بكير كتب الوليد بن رفاعة وهو أمير مصري وصيته قد أسندت وصيتي لعبد الرحمن ابن خالد بن مسافر والى الليث بن سعد وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فان له نصحا ورأيا وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة : وقال سعيد بن أبي مریم كان اسمعيل بن اليسع الكندي من خير قضاتنا غير انه كان يذهب مذهب أبي حنيفة في ابطال الحبس فأبغضوه فكتب الليث في أمره فعزل : وقال يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه جاء الليث الى اسمعيل فجلس بين يديه فرفع اسمعيل مجلسه فقال انما جئت اليك مخاصما قال فيماذا قال في أحباس المسلمين قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء وقام فكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزله فأناه الليث

فجلس الى جنبه وقال للقارىء، اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقال له اسمعيل يا أبا الحرث وما كنت تصنع بهذا والله لو أمرتني بالخروج لخرجت فقال له الليث والله انك لعفيف عن أموال الناس قال يونس بن عبدالاعلى كان في كتاب الليث الى الخليفة انا لم ننكر عليه شيئاً غير انه أحدث أحكاماً لا نعرفها؛ وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم عن أبيه قال كتب فيه يا أمير المؤمنين انك وليت علينا رجلاً ما تقمنا عليه في الدينار والدرهم الا خيراً الا انه يكيد السنة فعزله؛ وبالسند الماضي الى أبي نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا مطلب بن شعيب سمعت عبدالله بن صالح يقول سمعت الليث بن سعد يقول لما قدمت على هرون الرشيد قال لى يا ليث ما صلاح بلدكم قلت يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين قال صدقت يا أبا الحرث *

الباب السادس

تقدم انه روى عنه بعض شيوخه وأقرانه وأن قول مالك حدثني من أروى من أهل العلم يريد به الليث ومن روى عنه من أقرانه فمن دونهم عطاف بن خالد وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم وأبو النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وعبد الله بن وهب ويعقوب بن ابراهيم بن سعد ويحيى بن اسحق السيلحيني وعلي بن نصر الجهضمي وابوسلمة الخزازي والحسن بن سواده وحجين ابن المثنى وأبو نوح المعروف بقراة وعبد الله بن الحكم وبشر بن السري وشباية بن سواده وحجاج بن محمد وأشهب بن عبد العزيز؛ واكثر هؤلاء من شيوخ الامام احمد بن حنبل وسعيد بن سليمان وسعيد بن أبي مرجم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح وعبد الله بن يزيد

المقرى وعمرو بن خالد الحرائى وعمرو بن الربيع بن طارق وعلى بن عياش
 الحمصى وعبد الله بن يوسف التنيسى : وغالب هؤلاء من شيوخ البخارى : وأبو
 الوليد الطيالسى واحمد بن يونس ويحيى بن يحيى التميمى : وهؤلاء من شيوخ مسلم
 وأبي داود واكثر عنه قتيبة بن سعيد وهو من شيوخ الائمة الخمسة ومحمد بن
 ربح ومحمد بن الحرث وعيسى بن حماد وهو آخر من حدث عنه من الثقات وبين
 وفاته و وفاة محمد بن عجلان مائة سنة سواء فان ابن عجلان مات سنة ثمان
 وأربعين ومائة ومات عيسى سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل سنة تسع وأربعين
 وقال ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابورى سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت
 يونس بن عبد الأعلى يقول سمعت الشافعى يقول ما فاتنى أحد فأسفت عليه
 ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبي ذئب : وقال الحسن بن يوسف سمعت
 الربيع بن سليمان يقول قال عبد الله بن وهب لولا مالك والليث لضلنا
 (قلت) وأخذ عنه الفقه أيضاً مع ابن وهب عبد الرحمن بن القاسم وأشهب
 ويحيى بن بكير وأبو صالح وغيرهم لكنه ما صنف شيئاً من الكتب ولا دون
 أصحابه المسائل عنه ولذلك قال الشافعى ضيعه أصحابه يعنى لم يدونوا فقهه كما
 دونوا فقه مالك وغيره وان كان بعضهم قد جمع منها شيئاً وقد ذكر الشيخ أبو اسحق
 في الطبقات ان علم التابعين من أهل مصر تناهى الى الليث بن سعد قال وقال ابن
 وهب ومسائل الليث تقرأ عليه فمرت به مسألة فاستحسنوها فقال رجل ما أحسن ما
 قال الليث كأنه كان يسمع مالكا فيجيب فقال ابن وهب بل لعل مالكا كان يسمع
 الليث يجيب فيجيب والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحد أقط أفقه من الليث .
 (قلت) ولقد تبعت كتب الخلاف كثيراً فلم أقف فيها على مسألة واحدة
 انفرد بها الليث عن الائمة من الصحابة والتابعين الا في مسألة واحدة وهي أنه
 كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية والله
 سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السابع

قال خالد بن عبد السلام الصدفي جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبي فزاريت جنازة قط بعدها أعظم منها ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبي يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة فقال لي يا بني كان عالما كريما حسن العقل كثير الافضال يا بني لا ترى مثله أبداً: وقال خليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبخاري وغير واحد مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة زاد ابن سعد يوم الجمعة لاربع عشرة بقية من شعبان وقال ابن حبان مات في النصف من شعبان (قلت) فيكون له منذ مات الى الآن ستمائة سنة وستون سنة لم تنقص سنة واحدة وقد وقعت لنا من عوالي حديثه اليه جملة يني وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالسماع المتصل اليه وفي بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الاثمة واذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة وقد عاش هو احدى وثمانين سنة على ما بينت من مولده ووفاته فتناسب الامر ببعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب الثامن

والحديث الاول في قرأت علي الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد التنوخي البعلبكي ثم الدمشقي ثم القاهري بمنزله بالجامع الاقر غير مرة ان أحمد ابن ابي طالب بن ابي النعم الصالح اخبرهم سماعا عليه قال اخبرنا ابو المنجا عبد الله بن عمر ابن علي بن يزيد البغدادي قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق اخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب المروى قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد اخبرنا ابو عبد الله

محمد بن ابي مسعود عبد العزيز الفارسي اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن ابي شريح الانصاري اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا أبو الجهم الملاء بن موسى بن عطية الباهلي املاء حدثنا الليث بن سعد المصري عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزءاً من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم ابن القاسم: وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح ثلاثهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عالياً بدرجتين على طريقى المسند والصحيح *

﴿ الحديث الثانى ﴾ وبهذا الاسناد الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى اذا كان ثلاثة نفر ان يتناجى اثنان دون واحد » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح ثلاثهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً بدرجتين ايضا واخرجه عوانة عن ابي الاحوص عن قتيبة فوقع لنا بدلا عالياً على طريقه بدرجتين ايضا

﴿ الحديث الثالث ﴾ وبه الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يقيم احكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه » هذا حديث صحيح أخرجه احمد بن ابي النضر هاشم بن القاسم واخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح ثلاثهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عالياً

﴿ الحديث الرابع ﴾ وبه الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قام فقال لا يجلبن أحد ماشية أحد بغير اذنه يجب أحدكم أن تؤتى مشرته فيكسر باب خزائنه فينتقل

(م ٣٢ - مجموعة الرسائل المنيرية)

طعامه وإنما يخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمتهم فلا يجلبن ماشية امرى، بغير
إذنه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن ربح وأخرجه
مسلم أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث الخامس ﴾ قرأت على أبي الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب
الدمشقي قدم علينا القاهرة وكتب لنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد
المقدسي غير مرة كلاهما عن أبي الفضل سليمان بن أبي طاهر المقدسي قال الاول
كتابة والثاني سماعاً قال أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادي أخبرنا أبو القاسم سعيد
ابن أحمد البناء أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزيني أخبرنا أبو بكر محمد
ابن عمر بن دينور حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث
السجستاني حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب
عن أبي الخير هو يزيد بن عبدالله عن عقبه هو ابن عامر الجهني رضي الله عنه
«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً يصلي على أهل أحد صلواته على
الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لا نظر
الى حوضي الآن واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو مفاتيح الارض
واني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»
هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجاج بن محمد وابي النصر هاشم بن القاسم
وأخرجه البخاري عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمرو بن خالد
وأخرجه هو ومسلم وأبو داود والنسائي كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد
فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث السادس ﴾ قرأت على زينب بنت العمار أبي بكر بن أحمد بن
محمد بن أبي بكر بن جعوان الدمشقية بصاحبة دمشق وعلي بن ابراهيم بن أحمد
القاري. بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالحى سماعاً أخبرنا أبو المنجاء بن الليثي

أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو عبد الله بن أبي سعيد أخبرنا أبو محمد بن أبي شريح حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال إن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان: هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصي ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخاري عن أحمد بن يونس ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذي والنسائي عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا: وأخرجه ابوعوانة عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر وعن أبي أمية الطرسوسي عن أحمد بن يونس به *

﴿ الحديث السابع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد وفيهم عبد الله بن عمر وأن سبهم بلغت اثني عشر بعيرا ونقلوا سوى ذلك بعيرا بعيرا فلم يغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ذلك » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه أبو داود عن يزيد بن خالد بن موهب والقاضي اذ بعثهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا كلّمك راع وكلّمك مسؤل عن رعيتك فالامير الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيتك والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤل عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا فكلّمك راع وكلّمك مسؤل عن رعيتك » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم

عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه الترمذي عن قتيبة كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المنبر يقول « ألا ان الفتنة ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم جميعا عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح ثلاثهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وأخرجه أبو عوانة عن الحرث ابن أبي أسامة عن أبي النضر به *

﴿ الحديث العاشر ﴾ وبه الى الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله هو ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخليل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الحادى عشر ﴾ أنبأنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي اجازة أذن في كتابتها لنا غير مرة عن القاسم بن مظفر بن عساكر وأبي نصر بن الشيرازى سمعا عليهما ح وقرأت علي أم الحسن فاطمة بنت محمد بن احمد بن عثمان بدمشق عن أبي الفضل بن قدامة قالوا أخبرنا محمد بن عبد الواحد المدني اجازة مكاتبة أخبرنا اسماعيل بن علي الحمصي أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي النحوى حدثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم المقرئ ح أخبرنا أبو هريرة بن الذهبي اجازة من دمشق وقرأت علي أبي الحسن علي بن محمد بن أبي المجد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر أخبرهم قال الاول سمعا عليه وأنا أسمع في الرابعة واجازة أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبيد الله بن الزغوانى في كتابه أخبرنا أبو القاسم علي بن احمد البسرى أخبرنا

أبو طاهر محمد بن عبدالعزيز البغوي حدثنا كامل بن طلحة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقال بينا أنا قائم رأيتني في الجنة فإذا أنا بامرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبراً قال أبو هريرة فبكى عمر وقال بأبي وأمي عليك أغار» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبدالله بن بكير وأخرجه ابن ماجه عن محمد ابن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثاني عشر ﴾ قرأت على أبي عبدالله محمد بن بهادر المسعودى عن احمد بن أبي طالب بن الشحنة سماعاً أن عبسدا الله بن عمر بن على أخبرهم أخبرنا عبدالاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن احمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبدالله الانصارى قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ممن بايع تحت الشجرة النار» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه ابوداود والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة وأبوداود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنها «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمر بها الا وهو آخذ بنحوها» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن ربح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خير ما ركت اليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه النسائي عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبراني في الاوسط عن احمد بن علي الأبار عن أبي الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبراني لم يروه عن الليث الا العلاء بن موسى *

(قلت) ورواية احمد والنسائي واردة عليه وقد رواه أيضا عبد الله بن يزيد المقرئ عن الليث رويناها في الجزء الاول من فوائد أبي يحيى بن أبي مصرعة فهؤلاء الاربعة رووه عن الليث غير أبي الجهم:

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقعده قبل أن يصل «فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاركهما» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس عشر ﴾ أخبرنا أبو بكر بن احمد بن عبد الهادي وأبو هريرة الذهبي اجازة مكاتبة قالا أخبرنا عيسى بن عبد الرحمن المطعم ح وأخبرنا علي بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقي سليمان بن حمزة بن أي عمر قالا أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا أبو القاسم سعيد بن احمد بن البناء أخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبو بكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبري يعنى أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال في الجنة شجرة يسير الراكب في

ظلمها مائة سنة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي والنسائي كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري عن ابيه عن أبي هريرة فوقع لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله في السند عن أبيه ولا بد منه والله اعلم ﴿ الحديث السابع عشر ﴾ وبالسند الماضي الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأى في المنام فقد رأى فانه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المتني وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احتلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به في المنام » وبه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عرابي جاءه انى حلت ان رأسى قطع وأنا أتبعه فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح وأخرجه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والنسائي عن قتيبة وابو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح خمسهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث العشرون ﴾ وبه الى أبي الجهم قال حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر «ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ام مبشر الانصارية في نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم من غرس هذا النخل أمسلم ام كافر فقالت بل مسلم فقال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زراعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كان له صدقة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبدالمهادى المقدسية بصاحبة دمشق عن أبي نصر محمد بن العماد محمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن ابراهيم كتب اليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفي أخبرنا أبو عمر عبد الوهاب بن ابي عبد الله بن منده سمعا عليه أخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عمر الخفاف اجازة حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابوداود والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة واخرجه ابن ماجه عن بن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثانى والعشرون ﴾ وبهذا الاسناد الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة أنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهي خداج فهي خداج غير تمام قال قلت اني

لأستطيع أن اقرأ مع الامام قال اقرأ في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فأولها لى وأوسطها بيني وبين عبدي وآخرها عبدي وله ما سأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي قال الرحمن الرحيم قال أثنى علىّ عبدي قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي قال اياك نعبد و اياك نستعين قال اخلص العباد لى واستعانتى عليها فهذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وله ما سأل» هذا حديث صحيح اخرجه احمد ومسلم واصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرقة عن ابى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة ومبهم من قال عن ابيه وأبى السائب به *

﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس «قال خر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فبحش فصلى بنا قاعداً فصلينا معه قعوداً ثم انصرف فقال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا واذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون» هذا حديث صحيح اخرجه البخارى ومسلم والترمذي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابى الزبير عن جابر انه قال «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد و ابو بكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت الينا فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال ان كدتم آنا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا انتموا بأمتكم ان صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعداً فصلوا قعوداً» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ أخبرني الشيخ أبو اسحاق التنوخي أخبرنا أبو العباس الصالحي أخبرنا أبو المنجا الليثي أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو عبد الله الفارسي أخبرنا أبو محمد الشريجي أخبرنا أبو القاسم البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول «من صلى من الليل فليجعل آخر صلواته وترأ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن ربح كلاهما من الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس والعشرون ﴾ وبه إلى العلاء بن موسى حدثنا الليث ابن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء «فقال صلى الله عليه وسلم كان يوما تصومه اهل الجاهلية فمن أحب منكم ان يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السابع والعشرون ﴾ وبه إلى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فتأداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حائفاً فليحلف بالله والافليصمت» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾ وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أيامم لوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فانه يقوم في مال الذي يعتق قيمة عدل فيعتق ان بلغ ذلك ماله» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائي عن

قتيبة زاد مسلم ومحمد بن ربح ثلاثهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وعاقه البخارى لليث *

﴿ الحديث التاسع والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت ان شفاني الله لا اخرجن ولا صلين في بيت المقدس فبرئت وصحت ونجرت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها بذلك فقالت انطلقى وكلى ما صنعت وصلى في مسجد الرسول فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الكعبة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوي من طريق ابن وهب عن الليث وأخرجه النسائي من رواية ابن جريج فأدخل بين ابراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد أنه حدثه ان ابن عباس حدثه ان ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائي من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج وأخرجه احمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج كما قال الليث والله أعلم *

﴿ الحديث الثلاثون ﴾ قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عماد كتب اليهم أخبرنا القاسم بن أبي شريك إذنا وهو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبو القاسم عيسى بن الجراح قال قرى. على أبي بكر بن أبي داود وسليمان بن الأشعث السجستاني وأنا أسمع في سنة ٣١٢ اثنتي عشرة وثلاثمائة قيل له حدثكم عيسى ابن حماد قال أخبرنا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله » هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الاول للنسائي عن قتيبة وابن ماجه عن

محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وأخرجه احمد باللفظ الاول
بمعناه من طريق الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثاني
﴿ الحديث الحادى والثلاثون ﴾ أخبرنى ابن بهادر المسعودى وزينب
بنت العماد بن جعوان و ابراهيم بن احمد القارىء بقراءة عليهم متفرقين كلهم
عن احمد بن الشحنة مماعا أخبرنا أبو المنجا بن الليثى أخبرنا عبد الاول بن
عيسى أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا عبد الرحمن بن احمد أخبرنا عبد الله بن
محمد البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر
طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من
حيضها فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة
التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن ذلك
قال أما أنت ان طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرنى بهذا فإن كنت طلقته ثلاثا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجا غيرك
وعصيت الله تعالى فبأمرك من طلاق امرأتك هذا حديث صحيح أخرجه احمد
عن ابي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم و ابو داود عن قتبية
زاد مسلم ويحيى بن يحيى ومحمد بن رمح اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا
وزاد مسلم فى رواية عن محمد بن رمح القصة الاخيرة وعلقها البخارى فقال وقال
الليث وأخرجه الدارقطنى بتمامه عن البغوى فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الثانى والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابن عمر رضى
الله عنهما ان عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايرقد احدنا
وهو جنب قال نعم اذا توطأ احدكم فليرقد » هذا حديث صحيح أخرجه البخارى
عن قتبية عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال «سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل الضب فقال لا آكله ولا احرمه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن رمع كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يبيع بعضكم على بيع بعض» وبه قال «رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائي عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث جمعهما مسلم والترمذى وفرقهما النسائي واقتصر احمد على الاول فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما «ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع جبل الحبلية» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس والثلاثون ﴾ قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبي الفضل بن أبي الطاهر وهي آخر من حدث عنه مطلقاً أخبرنا محمد بن عماد الحراني في كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبي القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن المنقور البزار وهو آخر من حدث عنه بالسمع حدثنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود حدثنا عبد الله بن سليمان املاء حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه ان أباه ريرة قال «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحمل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة الا ومعها رجل ذو محر منها» هذا حديث صحيح

أخرجه مسلم وأبوداود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد الهمداني عن عيسى بن حماد فوق لنا بدلا عاليا : وأخرجه البخاري من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة لم يقل عن أبيه وفي بعض النسخ عن أبيه وحكى أبو داود الاختلاف فيه والاكثر لم يقولوا عن أبيه ﴿ الحديث السابع والثلاثون ﴾ قرأت على أبي محمد عمر بن محمد بن أحمد ابن سليمان البلسي ثم الصالحى بها عن زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية سماعاً عن عبد الخالق بن الأنجب الماردني أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفارقى اجازة عن أحمد بن نعمة سماعاً أخبرنا داود بن معمر بن الفاخر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادية ونحن نسمع كلامها عن أبي عثمان سعيد العيار سماعاً أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المجلدى حدثنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث فوق لنا بدلا عالياً وأخرجه مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي أربعهم عن قتيبة عن الليث فوق لنا موافقة عالية للجميع *

﴿ الحديث الثامن والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت الا الركنتين اليمانيين : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وأبوداود جميعاً عن أبي الوليد الطيالسى ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن الليث فوق

لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم أيضاً والنسائي عن قتبية فوافقناهما فيه بعلو وهذا من الامثلة التي قدمت الاشارة اليه في آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث في هذا عن ابن شهاب وحدث في الذي قبله عن عقيل عن الزهري وهو ابن شهاب و كلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم

﴿ الحديث التاسع والثلاثون ﴾ وبه الي السراج حدثنا قتبية حدثنا الليث وبكر بن مضر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبد الله بن أسامة عن محمد ابن ابراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن أبي هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم لو أن نهراً بياض أحدمكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى عن قتبية بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الاربعون ﴾ قرأت على الشيخ ابى إسحق التنوخى ان احمد ابن أبى طالب أخبرهم سمعا أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا عبد الله الفارصى أخبرنا أبو محمد الشريحي أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا أبو الجهم الباهلى حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فلم تلبث الا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم من طريق مطولا ومختصراً من حديث سبيعة الاسلمية وأخرجه النسائي عن محمد بن وهب الحراني عن محمد ابن سلمة الحراني عن أبى عبد الرحمن خالد بن يزيد الحراني عن زيد بن أبى أنيسة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عبيد عن زفر بن

أوس بن الحدثان عن أبي السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخاً سمعه
من النسائي وصاحفه وبين وفاتيهما أربعاً مائة سنة إلا يسيراً وهذا في غاية العلو
أنشدنا العلامة أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد فيما قرىء
عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبي الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد
الدين محمد بن أحمد بن الظهير لنفسه

أهل الحديث فلذ بهم أعل الورى قدراً وأغلا
نقلوا لنا سنن الرسو ل وأحسنوا عدلا فعدلا
جابوا لسعيهم لذا لك حسبة حزناً وسهلا
وسروا كما تسري النجو م فأرشدوا من كان ضلا
آيات فضلهم الميين بالسن الحساد تتلا
أنشدنا الشيخ أبو إسحق التنوخي أنشدنا يحيى بن فضل الله العدوي
أنشدنا القاضي أبو الفضل يحيى بن محمد القرشي لنفسه اجازة

ألهى ان عفوت بفضل جود وان عاقبت قد أوسعت فضلا
فقد خولتني نعماً جساما ولم أك ما علمت لذلك أهلا
ولم يمنعك تقصيري وجهلي وشر صناعي قولاً وفعلاً
من الاحسان بدأت عوداً مع الانفاس اسعافاً وفضلاً
فتممها بمغفرة بفسو ذنوباً جتتها خطأ وجهلاً
وأنشد الشيخ أبو إسحق قال أنشدنا يحيى بن فضل الله قال أنشدنا أبو
محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصاري شيخ الشيوخ بحماه اجازة
وكتبها عنه الحافظ اللمياطي رحمه الله تعالى فقال

لا تغفان أحاديث الرسول ولا تهمل تتبعها معنى وألفاظا
وعد عن تعداها وضيعها واجمل صحابك طلاباً وحفاظا

ولا تفيض في علم يخالفها فهي النجاة لراويها اذا فافها
اتمى ما جمعه الامام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني
رحمه الله تعالى وقال في آخره ما صورته: علقه احمد بن علي بن حجر
في يومين آخرهما الثالث عشر من شعبان سنة أربع
وثلاثين ومائتة وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

مما أنشده الامام العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني
في مرضه الذي توفي فيه هذه الايات
قرب الرحيل الى ديار الآخرة فاجعل إلهي خير عمري آخره
وارحم مبيتى في القبور ووحدي وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسكين الذي أيامه جاءت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم وبحار جودك يا إلهي زاخره

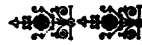


كتاب شرح الصدر

بذكر ليلة القدر

✽ تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ✽

✽ ولي الدين بن الحافظ الزين العراقي عليه الرحمة ✽



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نطقت بشكوه الالسة * وجل عن أن يأخذه نوم أو سنة *
وفضل أزمته كما فضل أمكنة * فجعل ليله القدر خيراً من ثلاث وثمانين سنة *
فقال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير
من الف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر * سلام هي
حتى مطلع الفجر) *

قال المفسرون ان الضمير في أنزلناه عائد على القرآن الكريم (١) وان لم
يتقدم ذكره لدلالة المعنى عليه كما قال تعالى (حتى توارت بالحجاب) ولم يتقدم
للمشمس ذكر ثم اختلفوا فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنها وجماعة آخرون
أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نجمة على محمد
عليه الصلاة والسلام في عشرين سنة فذاك قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم)

١ - سورة القدر

٢ - ص ٣٢

٣ - الوراقمة ٧٥

(٢) هذا قول الجمهور وادعى الامام الرازى في تفسيره انه اجماع المفسرين : ولعله لم
يعتد بقول من قال منهم ان الضمير راجع لجبريل عليه السلام وغيره لضعفه : والله اعلم

وقال الشعبي وجماعة انا ابتدأنا إنزال هذا القرآن اليك ليلة القدر ويؤيده ما ذكره جماعة ان ابتداء مجي جبريل الى النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان قيل في سابعه وقيل في سابع عشره * ومنهم من قال ابتداء مجيئه اليه في شهر رجب * ومنهم من قال في ربيع الاول : وقيل في هذه الآية انما جعل الانزال من رمضان لان جبريل كان يعارض النبي عليها الصلاة والسلام بالقرآن فيمحو الله ما يشاء ويثبت * وقال جماعة المعنى انزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها فجمعوا في للسببية كقول عمر رضى الله عنه ليلة نزول سورة الفتح لقد خشيت ان ينزل في قرآن * وقول عائشة رضى الله عنها في قصة الافك لانا احقر في نفسى من ان ينزل في قرآن : قالوا ولما كانت سورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتجبسا كقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) عبارة تفخيم لها كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) وقوله (القارعة ما القارعة) ثم ادراه تعالى بعد بقوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) * وقد ذكر البخارى في صحيحه عن سفيان بن عيينة انه قال ما كان في القرآن ما ادر الكفقداء علمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه (١) *

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها ليلة القدر على اقوال أحدها انها سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها الارزاق والآجال وحوادث العالم كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمثله كما قال تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم) روى ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما وعزاه النووي للعلماء : ومعناه انه يظهر للملائكة والافتقار الى الله تعالى قديم * ثانيها ان هذا من عظم القدر والشرف والشأن كما تقول فلان له قدر : روى عن الزهري * ثالثها سميت بذلك لانها تكسب من أحيائها قدراً عظيماً لم يكن له قبل ذلك وتزیده شرفاً عند الله تعالى * رابعها

١ - الحاقة ٢-١

٢ - القارعة ٢-١

٣ - الدخان ٤

(١) قال الحافظ في الفتح ومقصود ابن عيينة انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر : وقد تم هذا المحضر بقوله تعالى (لعله يزكى) فانها نزلت في ابن أم مكتوم وقد علم صلى الله عليه وآله وسلم بحاله وانه ممن تزكى وتعمته الذكرى :

لان العمل فيها له قدر عظيم : وقد خص الله تعالى هذه الامة بهذه الليلة
واختلف في سبب ذلك فروى مالك في الموطأ عن يثق بقوله من أهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله ^(١) أو ما شاء الله من
ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يباغوا من العمل مثل الذى باغ غيرهم في
طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر» روى الترمذى في جامعه
عن يوسف بن سعد قال « قام رجل الى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال
سودت وجوه المؤمنين أو يأسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤذنى رحمتك الله
فان النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزات (انا
أعطيتك الكوثر) يعنى نهر آفي الجنة ونزلت (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك
ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر) يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم
بن الفضل أحد رواته فمددناها فاذا هي الف شهر لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً ^(٢)
قلت نعم كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بنى أمية هذا
القدر أعنى الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلاث عام» وقال الترمذي
هذا حديث غريب ^(٣)

١ - سورة الكوثر ١

٢ - سورة القدر ١ - ٢

قوله (تنزل الملائكة والروح) فقيل هو جبريل عليه السلام وقيل هم صنف من

(١) قال الباجي في شرح هذا الحديث: يحتمل ان يريدانه رأى اعمار سائر الامم أطول
فخاف ان لا تبلغ امته من العمل في قصر اعمارها ما بلغه غيرها من الامم في طول اعمارها
فتفضل الله تبارك وتعالى على هذه الامة بليلة القدر وهي تقتضى اختصاص هذه الامة بهذه
الليلة : والله اعلم

(٢) في الاصل المنقول منه ما نصه قائدة نقل عن الخليل بن احمد انه قال القدر هو الضيق لانها

ليلة تضيق فيها الارض عن الملائكة الذين ينزلون وهذا قول خامس كذا بالهامش
(٣) وطمن القاضي عبد الجبار في كون الاية اشارة لما ذكر بان ايام بنى أمية كانت مذمومة

اي باعتبار الغالب فيبعد ان يقال في شأن تلك الليلة انها خير من الف شهر مذمومة

الم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف خير من العصا

اجيب بان تلك الايام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية :

الملائكة وعلى كلا القولين هو عطف خاص على عام وقيل هم صنف من الخلق سماوي حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على بني آدم وهم على صفة بني آدم ولا ترام الملائكة

وقوله « باذن ربهم » الى آخره من قال ان الارزاق تقدر في هذه الليلة جعل نزول الملائكة بسبب ذلك وجعل من سببية التقدير تنزل الملائكة بسبب كل أمر وجعل سلام هي ابتداء كلام اي هي سلام الى طلوع فجر يومها: ومن لم يقل بتقدير الارزاق في هذه الليلة جعل قوله (من كل امر) متعلقاً بقوله سلام اي انها سلام أي سلامة من كل امر * قال مجاهد لا يصيب احدأياها داء: وقال الشعبي ومنصور هي سلام بمعنى التحية اي تسلم فيها الملائكة على المؤمنين: وهذه الآيات مصرحة بشرفها ومنوثة باسمها وذكرها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي سنن النسائي الكبرى (وما تأخر) وكذا في مسند احمد ومعجم الطبراني من حديث عبادة « وما تأخر » وسيأتي ذكره وهذه فضيلة عظيمة حاضرة على طلبها *

وقد أجمع من يعتمد به من العلماء على بقائها وانها لم ترفع بل هي باقية الى آخر الدهر قال القاضي عياض رحمه الله وشك قوم فقالوا رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحي الرجلان « فرفعت » وهذا غلط من هؤلاء الشاكرين لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال « فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتسوية في السبع او التسع » هكذا هو في اول صحيح البخاري (١) وفيه تصريح المراد برفعها رفع بيان علم عينها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتساعها * قلت وحكاها ابن عطية عن ابى حنيفة وقوم اعنى القول برفعها قال وهذا قول مردود وانما رفع تعيينها انتهى

(١) هكذا الاصل وليس كذلك ولعله في أول باب ليلة القدر في صحيح البخاري

وقد اختلف العلماء في محلها فذهب جمع من العلماء الى انها تلزم ليلة بعينها واختلف هؤلاء في تعيين تلك الليلة على اقوال احدها انها في جميع السنة وهو المشهور عن ابي حنيفة رضى الله عنه ويشهد له قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ومن يقيم الحول يصيبها لكن في صحيح مسلم عن زر ابن حبيش قال سألت ابي بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقيم الحول يصيب ليلة القدر فقال رحمه الله أراد أن لا ينقل الناس أما انه قد علم انها في رمضان وانها في العشر الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين فبهذا فهم ابي من كلام عبدالله « ويشهد له ما في مسند احمد عن ابي عقرب قال «غدوت الى ابن مسعود ذات غداة في رمضان فوجدته فوق بيت جالساً فسمعنا صوته وهو يقول صدق الله وبلغ رسوله فقلنا سمعناك تقول صدق الله وبلغ رسوله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في السبع الاواخر تطلع الشمس غداة غدا صافية ليس لها شعاع فنظرت فوجدتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» ورواه البزار في مسنده بنحوه: وفي معجم الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال ابيكم يذكر ليلة القدر الصباوات فقال عبدالله أنا بأبي أنت وأمي يا رسول الله حين طلع الفجر وذلك ليلة سبع وعشرين» والحديث في عدة كتب لكن لم أر التصريح بليلة سبع وعشرين الا في معجم الطبراني الكبير فلذلك اقتصر على عزوه اليه :

الثاني انها في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة من الصحابة : وفي سنن ابي داود عن ابن عمر قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع قال هي في كل رمضان» قال ابي داود وروي موقوفاً عليه قلت الحديث محتمل للتأويل بأن يكون المعنى بأنها تتكرر وتوجد في كل سنة في رمضان لانها وجدت مرة في الدهر فلا يكون له دليل لهذا القول:

الثالث انها أول ليلة من شهر رمضان قاله ابو رزين العقيلي الصحابي رضى الله عنه

الرابع انها في العشر الاوسط والاخر ويرده ما في الصحيح عن ابي سعيد من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لما أن اعتكف العشر الاوسط « ان الذي تطلب أمامك »

الخامس انها في العشر الاواخر فقط ويدل له قول النبي صلى الله عليه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر » وقوله صلى الله عليه وسلم « انى أعتكف العشر الاوّل أتمس هذه الليلة ثم أتمس العشر الاوسط ثم آيت قيل لى انها في العشر الاواخر » السادس انها تختص بأوتار العشر الاواخر لقوله صلى الله عليه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر في وتر » وفي مسند احمد ومعجم الطبرانى الكبير عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها ابتغاءها إيماناً واحتساباً ثم وقفت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن يرويه عمر بن عبد الرحمن وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ليس بابن عوف: وقال الطبرانى أظنه ابن الحارث بن هشام * وفي هذا الحديث فائدتان حسنتان احدهما قوله وما تأخر وقد تقدم التنبيه عليها * الثانية انه انما يترتب الثواب على قيامها بقصد ابتغائها لا على مطلق القيام : وفيه اشكال لقوله « أو آخر ليلة » لانه قال أولاً فانها في وتر وآخر ليلة ليست وترآ ان كان الشهر كاملاً وان كان ناقصاً فهي ليلة تسع وعشرين فلا معنى اعطفها عليها لأن العطف يقتضى المغايرة * ويجاب عنه بأن قوله أو في آخر ليلة معطوف

على قوله فانها في وتر لا على قوله أو تسع وعشرين فليس تفسيراً للوتر بل معطوف عليه

السابع انها تختص باشفاعة لقول أبي سعيد الخدرى «وقد قيل له ما التاسعة والسابعة والخامسة اما^(١) واحد وعشرون فالتى تليها ثنتان وعشرون وهي التاسعة فاذا مضت ثلاث وعشرون فالتى تليها السابعة فاذا مضت خمس وعشرون فالتى تليها الخامسة

الثامن انها ليلة سبع عشرة وهو مروى عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً * ففى معجم الطبرانى عن زيد بن أرقم قال ما أشك وما امرى انها ليلة سبع عشرة ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان^(٢) * وعن زيد بن ثابت انه كان يحكى ليلة سبع عشرة فقيل له نحكى ليلة سبع عشرة قال ان فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيها مبتهج الوجه قلت : وحكى أيضاً عن الحسن البصرى

التاسع انها ليلة تسع عشرة وهو محكى عن على بن أبى طالب وابن مسعود أيضاً^(٣)

العاشر انها تطلب ليلة سبع عشرة بتقديم السين أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين حكى عن على وابن مسعود أيضاً ويشهد له ما فى سنن أبى داود عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت » والله أعلم

(١) أقول رواية ابى سعيد فى صحيح مسلم ليس فيها أما ونصها هكذا قال قلت ما التاسعة والسابعة والخامسة قال اذا مضت واحدة وعشرون فالتى تليها الخ ما ذكر هنا : تنبه (٢) ورواه ابن أبى شيبه عن زيد بن أرقم : وأخرجه أبو داود أيضاً عن ابن مسعود : (٣) قال الحافظ فى الفتح ورواه عبد الرزاق عن على وعزاه الطبرى لزيد بن ثابت وابن مسعود ووصله الطحاوى عن ابن مسعود :

الحادى عشر أنها ليلة احدى وعشرين يدل له حديث أبى سعيد الثابت في الصحيح الذي فيه وانى رأيتها ليلة وترو انى أسجد فى صبيحتها فى ماء وطين فأصبح من ليلة احدى وعشرين وقد قام الى الصبح فطمرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاته وجبينه وأنفه فيهما الماء والطين واذا هي ليلة احدى وعشرين من العشر الأواخر»

الثاني عشر انها ليلة ثلاث وعشرين وهو قول جمع كثير من الصحابة وغيرهم ويدل لها ما في صحيح مسلم عن عبد الله بن انيس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها واذا في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فطمرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء والطين على جبينه وانفه » وفي صحيح مسلم ايضا عن أبى هريرة « قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يذكر ليلة طلع القمر وهو مثل شق جفنة^(١) » وفي مسند احمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم « قال نظرت الى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيت أنه كأنه فلق جفنة » قال ابو اسحق السبيعي انما يكون القمر كذلك صبيحة ثلاث وعشرين: ورواه عبد الله بن احمد في زياداته عن على قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت ليلة حين بزغ القمر كأنه فلق جفنة فقال الليلة ليلة القدر » وكذا رواه ابو يعلى الموصلى في مسنده مرفوعا: وفيه ان الصحابي هو على رضى الله عنه * وفي سنن أبى داود عن عبد الله بن انيس قال قلت « يا رسول الله ان لى بادية أكون فيها وأصلى فيها بمحمد الله فرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين » وروى الطبرانى في معجمه الكبير مثله عن عبد الله بن جحش

(١) الشق بكسر الشين النصف والجفنة بفتح الجيم وسكون الفاء اناه معروف كالقصة وهو اشارة الى أنها موجودة متحققة الرؤية :

عن ابيه مرفوعا : وفي مسند احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتيت وانا نائم في رمضان فقبل لى ان الليلة ليلة القدر قال فقامت وانا ناعس فتعلقت ببعض أطناب النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يصلي فنظرت في تلك الليلة فاذا هي ليلة ثلاث وعشرين « ورجاله رجال الصحيح * ورواه الطبرانى في معجمه الكبير ايضا

الثالث عشر انها ليلة اربع وعشرين وهو مروى عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة : وفي صحيح البخارى عن ابن عباس موقوفا عليه « التمسوها ليلة القدر في اربع وعشرين » ذكره عقب حديثه الآتى « هي في العشر في سبع يمضين أو في سبع بقين » : وظاهره انه تفسير للحديث فيكون عمدة * وفي مسند احمد عن بلال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة اربع وعشرين » الرابع عشر انها تكون في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو محكي عن ابن عباس رضى الله عنه ويدل له ما في صحيح البخارى عن ابن عباس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو سبع بقين يعنى ليلة القدر » * وما في مسند البزار باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كنت أعلمتها ثم انفلتت منى اطلبوها في سبع بقين أو ثلاث بقين »

الخامس عشر انها ليلة سبع وعشرين وهذا عليه جمع كثيرون من الصحابة وغيرهم فكان أبو بن كعب رضى الله عنه يحلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين كما هو ثابت في الصحيح فقبل له بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها * وفي سنن أبي داود عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر « قال ليلة سبع وعشرين » * وفي مسند احمد باسناد

على شرط الشيخين عن ابن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان متحر بها فليتحراها ليلة سبع وعشرين وقال تحروها ليلة سبع وعشرين يعني القدر» ورواه الطبراني في معجمه الكبير : وفي معجم الطبراني الاوسط باسناد لا بأس به عن جابر بن سمرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » * واستدل ابن عباس على ذلك بأن الانسان خلق من سبع وجعل رزقه في سبع واستحسن ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه : واستدل بعضهم على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر ليلة القدر في السورة المتقدم ذكرها ثلاث مرات وعدد حروف ليلة القدر تسعة أحرف والمرتفع من ضرب ثلاثة في تسعة سبع وعشرون فتكريرها ثلاثاً دون غيره اشارة الى ذلك : واستدل أيضاً بأن عدد كلمات السورة الى قوله هي سبع وعشرون كلمة : وفيه اشارة الى ذلك *

ونقل أبو محمد بن عطية في تفسيره نظير ذلك في قول بعضهم ان ملائكة النار الذين قال فيهم الله (عليها تسعة عشر) عددهم كعدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فيها قوتهم واستغاثتهم: وفي قول بعضهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أنها بضعة وثلاثون حرفاً فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها » قال ابن عطية وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم

السادس عشر أنها في آخر ليلة من الشهر : وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن أنيس قال « كنت في مجلس نبي سلمة وأنا أصفرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب وقت يباب

بيته فمر بي فقال ادخل فدخلت فأني بعشائه فلقد كنت أ كف يدي عنه من قلته فلما فرغ قال ناوتني نعلي فقام وقتت معه فلما خرجنا قال كانت لك حاجة فقلت أجل أرساني اليك رهط من بني سلمة يستلونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة قلت اثنتان وعشرون قال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ليلة ثلاث وعشرين * وفي جامع الترمذي عن أبي بكره رضي الله عنه « قال ما أنا ملتمسها لشي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الأواخر فاني سمعته يقول التمسوها لتسع بقين أو لسمع بقين أو خمس بقين أو ثلاث أو اخر ليلة» * قالت حسن صحيح * وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت «قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة .» * وفي سنن أبي داود عن ابن عباس « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى» * وفي مسند احمد عن معاذ بن جبل «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر فقال هي في العشر الأواخر قم في الثالثة أو الخامسة» * وفي مسند احمد أيضاً باسناد جيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة عشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض اكثر من عدد النجوم» * وفي معجم الطبراني الاوسط عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين» وفيه أبو المهزم ضعيف

وقد تضمنت هذه الاحاديث أقوالا في ليلة القدر لم أر أحداً من العلماء

صرح بالقول فيها فان عددناها فيكون في المسئلة اثنان وعشرون قولاً تقدم بيان ستة عشر منها

السابع عشر ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين (١)
 الثامن عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع وعشرين أو آخر ليلة:
 التاسع عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس وعشرين دليله حديث عبادة المتقدم فان الظاهر ان المراد بالتاسعة تبقى لتقدمه التاسعة على السابعة وهي الخامسة.
 العشرون ليلة ثلاث أو خمس وعشرين دليله حديث معاذ المتقدم اذ الظاهر ان المراد قم في الثالثة بمعنى لتقدمه على الخامسة

الحادي والعشرون ليلة السابع أو التاسع والعشرين
 الثاني والعشرون انها في أوتار العشر الاخير أو في ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة هذا كله تفريع على القول بأنها تلزم ليلة بعينها كما هو مذهب الشافعي والصحيح من مذهبه أنها تختص بالعشر الاخير وانها في الاوتار ارجاها في الاشفاق وارجاها ليلة الحادي والعشرين والثالث والعشرين وهذا أيضاً يحسن أن يكون قولاً في المسئلة فيكمل به الاقوال ثلاثة وعشرين قولاً وتقدم قول من يرى أنها رفعت فيكون اربعة وعشرين قولاً

وذهب جماعة من العلماء الى أنها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى وهكذا : وهذا قول مالك وسفيان الثوري واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابي ثور وغيرهم وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا نعرفه عنه ولكن قال به من أصحابه المزي وأبن خزيمة وهو المختار عند النووي وغيره للجمع بين الاحاديث الواردة في ذلك فانها اختلفت اختلافاً لا يمكن معه الجمع بينها الا بما ذكرناه وبه يصير في المسئلة خمسة وعشرون قولاً

(١) لحديث عبد الله بن أنيس عند احمد .

وذهب ابن حزم الظاهري الى انحصارها في اوتار العشر الاخير لكن
 اول العشرين ليلة العشرين ان كان ناقصاً وليلة الحادي والعشرين ان كان
 تاماً فهي مترددة بين ليلة الحادي والعشرين وما بعدها من الاوتار ان تم الشهر وبين
 ليلة العشرين وما بعدها من الأشفاق ان نقص الشهر وهذا قول سادس وعشرون
 واعلم ان ليلة القدر موجودة ويربها الله تعالى لمن شاء من بني آدم بحيث
 يتحققها: واخبار الصالحين برويتهم لها كثيرة ولا يلتفت الى قول المهلكة (٢) أى
 صغيرة لا يمكن رؤيتها حقيقة فانه غلط فاحش كما قاله النووي رحمه الله * وقال بعض
 العلماء اخفى الله هذه الليلة عن عباده كيلا يتكلموا على فضلها ويقصروا في غيرها
 فأراد منهم الجدي في العمل ابدأ فانهم لذلك خلقوا كما قال الله تعالى (وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون) وبهذا يعبر في المسئلة سبعة وعشرين قولاً *

ويدل لهذا القول مافي معجم الطبراني الكبير باسناد حسن عن عبد الله بن
 انيس انه قال « يارسول الله اخبرني أى ليلة تنبغى فيها ليلة القدر فقال لو لا أن
 يترك الناس الصلاة الا تلك الليلة لاخبرتك * » وفي مسند البزار عن الاوزاعي
 حدثني مرثد او ابو مرثد عن ابيه « قال لقيت أبا ذر عند الجرة الوسطى
 فسأته عن ليلة القدر فقال ما كان احد باسأل لهذا مني قلت يارسول الله انزلت
 علي الانبياء بوحي اليهم ثم رفع قال بل هي الى يوم القيامة قلت يارسول الله
 اينها هي قال لو أذن لي لأنبأتك بها ولكن التمسها في التسعين او السبعين ولا
 تسألني بعدها قال نعم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدث قلت
 يارسول الله أي السبعين فغضب على غضبة لم يغضب على قبلها ولا بعدها مثلها ثم
 قال ألم أنك عنها لو أذن لي لأنبأتك بها وذكر كلمة ان تكون في السبع الاخره * »

فصل

قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر علامات ليلة القدر تقدم ذكر
 واحدة منها وهي كون الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها وهي اصح العلامات *

وفي مسند احمد باسناد جيد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امارات ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قرأ ساطعاً ساكنة ساجية لا يبرد فيها ولا حر ولا محل للكوكب يرمى بها حتى يصبح وان من اماراتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»

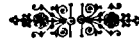
وقد ذكر القاضى عياض رحمه الله قولين في كونها تطلع لاشعاع لها احدها انها علامة جعلها الله تعالى ثانيهما ان ذلك لكثرة اختلاف الملائكة في ليلتها ونزولها الى الارض وصعودها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها : وفي معجم الطبراني الكبير عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ليلة القدر بلجة لاحارة ولا باردة ولا سحب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم ومن علامة يومها تطلع الشمس ولا شعاع لها » فيه بشر بن عون وبكار بن تميم وهما ضعيفان * وفي مسند البزار عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر طلقة لاحارة ولا باردة » فيه مسلمة بن حبان وغيره وتكلم فيه * فان قلت فقد روى الطبراني في معجمه الكبير من رواية شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة يرفع الحديث « قال قال رأيت ليلة القدر فأنسيتها فاطلبوها في العشر الاواخر وهي ليلة ربيع ومطر ورعد » ورواه البزار بنحوه ويوافق حديث أبي سعيد الذى فيه « فوكف المسجد فأبصرت عيناى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه أثر الماء والطين » قلت هذا تقرر عندك وما اخترناه من انها لا تلزم ليلة بعينها بل تنتقل فلعلها كانت في سنة ساكنة ليس فيها ريح ولا مطر والله أعلم

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه * وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وكان الفراغ من ذلك في يوم الاحد المبارك ثمانى وعشرين من شهر رمضان المعظم من شهر سنة الف ومائة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده

رسالة الحافظ البيهقي

الى

أبي محمد الجويني والد امام الحرمين^(١)



بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الى أبو عبد الله الحافظ وخلق من مشايخنا عن أبي الفضل بن عساكر عن أبي روح الهروي عن أبي المظفر السمعاني عن أبيه الحافظ أبي سعد قال أنا أبو نصر علي بن مسعود محمد الشجاعى اذنا قال حدثنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقي قال سلام الله ورحمته على الشيخ الامام وانى أحمد اليه الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد عصمنا الله بطاعته وأكرمنا بالاعتصام بسنة خيرته من بريته صلى الله عليه وسلم وأعاننا على الاقتداء بالسلف الصالحين من أمته وعاقانا فى ديننا ودنيانا وكفانا كل هول دون الجنة بفضله ورحمته انه واسع المغفرة والرحمة وبه التوفيق :

(١) المقصود من ادراج هذه الرسالة ضمن الجزء الثانى من مجموعة الرسائل المتبرية بيان ما كان عليه الاوائل من الاخلاص والرجوع الى الحق بعد ظهوره والافتقار بالصواب : وأرجو الله أن يوفق علماءنا الى ذلك : ولينظر القارىء الى كيفية الرد واستعمال الادب مع الاكابر ولين الجانب لهم : والحجة انما تكون بالدلائل الثقلية والبراهين العقلية لا كما يفعله أهل هذا الزمان من السباب والشتائم وغير ذلك من أنواع الفسوق نسأل الله التوفيق

والعصمة فقلبي للشيخ أدام الله عصمته وأيد أيامه مقتد ولساني له بالخير ذاكر
 والله تعالى على حسن توفيقه إياه شاكر والله جل ثناؤه بزيده توفيقاً وتأيداً
 وتسديداً وقد علم الشيخ أدام الله توفيقه اشتغالي بالحديث واجتهادي في طلبه
 ومعظم مقصودي منه في الابتداء، التمييز بين ما يصح الاحتجاج به من الاخبار
 وبين ما لا يصح حتى رأيت المحدثين من أصحابنا يرسلونها في المسائل على ما يحضرم
 من ألفاظها من غير تمييز منهم بين صحيحها وسقيمها ثم اذا احتج عليهم بعض
 مخالفينهم بحديث شق عليهم تأويله أخذوا في تعليقه بما وجدوه في كتب المتقدمين
 من أصحابنا تقليداً ولو عرفوه معرفتهم لميزوا بين صحيح ما يوافق أحوالهم من
 سقيمها ولأمسكوا عن كثير مما يحتاجون به وان كان يطابق آراءهم ولاقتدوا في
 ترك الاحتجاج برواية الضعفاء، والمجهولين بامامهم فشرطه فيمن يقبل خبره عند
 من يعنى بمعرفته مشهور وهو بشرحه في كتاب الرسالة مسطور وماورد من
 الاخبار بضعف روايته أو انقطاع اسناده كثير والعلم به على من جاهد فيه سهل
 يسير وقد احتج في ترك الاحتجاج بالمجهولين بما أنبأنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله
 الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا الربيع بن سليمان قال
 حدثنا الشافعي حدثنا سفيان عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وحدثوا
 عني ولا تكذبوا علي»

قال الشافعي أحاط العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر أحداً بحال
 أن يكذب علي بنى اسرائيل ولا علي غيرهم فاذا أباح الحديث علي بنى
 اسرائيل فليس أن يقبلوا الحديث الكذب علي بنى اسرائيل لانه يروى عنه
 صلى الله عليه وسلم انه قال «من حدث بحديث وهو يراه كذبا فهو أحد الكذابين»
 وانما أباح قبول ذلك عن حدث به ممن يحتمل صدقه وكذبه قال واذا فرق بين

الحديث عنه والحديث عن بنى اسرائيل فقال حدثوا عنى ولا تكذبوا على فالعلم ان شاء الله يحيط ان الكذب الذي نهام عنه هو الكذب الخفى وذلك الحديث عن لا يعرف صدقه ثم حكى الشافعى في رد حديث الضعفاء عن ابن عمر وعن عروة بن الزبير وسعد بن ابراهيم وحكاه في كتاب العمري عن عطاء بن ابي رباح وطاووس وابن سيرين و ابراهيم النخعي ثم قال ولا تقيت ولا علمت أحداً من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب قال الشيخ الفقيه احمد وانما يخالفه بعض من لا يعد من أهل الحديث فيرى قبول رواية المجهولين ما لم يعلم ما يوجب رد خبرهم وقد قال الشافعى رضى الله عنه في أول كتاب الطهارة حين ذكر ما تكون به الطهارة من الماء واعتمد فيه على ظاهر القرآن وقد روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا يوافق ظاهر القرآن في اسناده من لا اعرفه ثم ذكر حديثه عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن ابي بردة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البحر وعسى لم يخطر ببال فقيه من فقهاء عصرنا ريب في صحة هذا الحديث وامامه يقول في اسناده من لا اعرفه وانما قال ذلك لاختلاف وقع في اسم المغيرة بن ابي بردة ثم في وصله بذكر ابي هريرة مع ابداع مالك بن انس اياه كتابه الموطأ ومشهور فيما بين الحفاظ انه لم يودعه رواية من يرغب عنه الا رواية عبد الكريم بن أمية وعطاء الخراسانى فقد رغب عنهما غير مرة

وتوقف الشافعى في ايجاب الغسل من غسل الميت واعتذر بان بعض الحفاظ أدخل بين ابي صالح و ابي هريرة اسحق مولى زائدة وانه لا يعرفه ولعله ان يكون ثقة وتوقف في اثبات الوقت الثاني لصلاة المغرب مع احاديث صحاح رويت فيه بعد امامة جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يثبت عنده من عدالة روايتها من قبول خبرهم وكانه وقع لمحمد بن اسماعيل

البخاري رحمه الله بعده ما وقع له حتى لم يخرج شيئا من تلك الاحاديث في كتابه ووقف مسلم بن الحجاج على ما يوجب قبول خبرهم ووثق بمغظم من رفع المختلف في رفعه منها قبله وأخرجه في الصحيح وهو في حديث ابي موسى وبريرة وعبد الله بن ابي عمر واحتج الشافعي في كتاب احكام القرآن برواية عائشة في ان زوج بريرة كان عبدا وأن بعض من تكلم فيه قال له هل يروون عن غير عائشة انه عبد قال الشافعي في المعتقة وهي أعلم به من غيرها وقد روي من وجهين قد أثبت أنت ما هو أضعف منها ونحن إنما ثبت ما هو أقوى منها فذكر حديث عكرمة عن ابن عباس وحديث القاسم العمري عن عبد الله بن دينار عن ابي عمرو ان زوج بريرة كان عبدا وحديث عكرمة عن ابن عباس قد أخرجه البخاري في الصحيح الا ان عكرمة مختلف في عدالته كان أنس بن مالك رحمه الله تعالى وأبان لا يرضاه وتكلم فيه سعيد بن المسيب وعطاء وجماعة من أهل العلم بالحديث ولذلك ترك مسلم بن الحجاج الاحتجاج بروايته في كتابه والقاسم العمري ضعيف عندهم قال الشافعي لخصمه نحن إنما ثبت ما هو أقوى منها وقال في اثنتين ذكرهما في كتاب الحدود وهاتان الروايتان وان لم يخالفانا غير معروفين ونحن نرجو ان لا نكون ممن تدعوه الحجة على من خالفه الى قبول خبر من لا يثبت خبره بمعرفته عنده

وله من هذا أشياء كثيرة يكتفي باقل من هذا من سلك سبيل النصفة فهذا مذهبه في قبول الاخبار وهو مذهب القديما من أهل الآثار قال البيهقي رضي الله عنه وكنت اسمع رغبة الشيخ رضي الله عنه في سماع الحديث والنظر في كتب أهله فاشكر اليه واشكر الله تعالى عليه وأقول في نفسي ثم فيما بين الناس قد جاء الله عز وجل بمن يرغب في الحديث ويرغب فيه من بين الفقهاء ويميز فيما يرويه ويحتج به الصحيح من السقيم من جملة العلماء وأرجو من الله ان

يجي سنة إمامنا المطلي في قبول الآثار حيث أمانها أكثر فقهاء الامصار بعد من
مضى من الائمة الكبار الذين جمعوا بين نوعي العلم والاخبار ثم لم يرض بعضهم
بالجهل به حتى رأته حل العامل به في الوقوع فيه والازدراء به والضحك منه وهو
مع هذا يعظم صاحب مذهبه ويحمله ويزعم انه لا يفارق في منصوصاته قوله ثم
بدع في كيفية قبول الحديث ورد طريقته ولا يسلك فيها سيرته لقله معرفته بما
عرف وكثرة غفلة عما عليه وقف هلا نظر في كتبه ثم اعتبر باحتياطه في انتقاده
لرواة خبره واعتماده فيمن اشبهه عليه حاله على رواية غيره فترى سلوك مذهبه مع
دلالة العقل والسمع واجبا على كل من انتصب للفتيا فاما ان يجتهد في تعلمه أو
يسكت عن الوقوع فيمن يعلمه ولا يجتمع عليه ووزران حيث فاته الاجران والله
المستعان وعليه التكلان

ثم ان بعض اصحاب الشيخ أدام الله عزه وقع الى هذه الناحية
فعرض علي أجزاء ثلاثة مما أملاه من كتابه المسمى بالحيط فسررت به
ورجوت ان يكون الامر فيما يورده من الاخبار على طريقة من مضى من الائمة
الكبار لا ثقا بما خص به من علم الاصل والفرع موافقا لما ميزه من فضل العلم
والورع فاذا أول حديث وقع عليه بصرى الحديث المرفوع في النهي عن الاعتسال
بالماء الشمس فقلت في نفسي يورده ثم بضعفه ويضعف القول فيه فرأيته قد أملى
والخبر فيه ماروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقلت هلا قال
روى عن عائشة أو روى عن ابن وهب عن مالك أو روى عن مالك أو روى
عن اسماعيل بن عمرو الكوفي عن ابن وهب عن مالك أو روى خالد بن اسماعيل
أو وهب بن وهب ابو البحرى عن هشام بن عروة أو روى عمرو بن محمد
الاعسم عن فليح عن الزهرى عن عروة ليكون الحديث مضافا الى ما يليق به مثل
هذه الرواية ولا يكون في مثل هذا على مالك بن انس ما أظنه يبرأ الى الله تعالى

من روايته ظننا مقرونا بعلم
ثم انى رأيتُه أدام الله عصمته أول حديث التسمية وضعف ما
روى عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن في تأويله بحديث شهد به على
الاعمش انه رواه عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيمن توشأ وسعى وفيمن توشأ ولم يسم وهذا حديث تفرد به يحيى بن هاشم
السمسار عن الاعمش ولا يشك أحد في ضعفه ورواه أيضاً عبد الله بن حكيم عن
ابى بكر الزاهري عن عاصم بن محمد عن نافع بن عمر فروعا و ابو بكر الزاهري ضعيف
لا يحتاج بجزبه وروى من وجه آخر مجهول عن ابى هريرة ولا يثبت وحديث
التسمية قد روى من أوجه ما وجه من وجوها الا وهو مثل اسناد من اسانيد
ما روى في مقالته ومع ذلك فاحمد بن حنبل يقول لا أعلم فيه حديثاً ثابتاً فقلت في
نفسى قد ترك الشيخ حرس الله مهجته القوم فيما أحدثوا من المساهلة في رواية الاحاديث
وأحسبه سلك هذه الطريقة فيما حكى له عند مسح وجهه يديه في قنوت صلاة
الصبح واحسن الظن برواية من روى مسح الوجه باليدين بعد الدعاء مع ما
اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال اخبرنا ابو بكر الخراجى قال حدثنا سارية حدثنا
عبد الكريم السكري قال حدثنا وهب بن زمعة اخبرنا على النسائى قال سألت
عبد الله بن المبارك عن الذى إذا دعا مسح وجهه فلم يحب قال على ولم اره يفعل
ذلك قال وكان عبد الله يقنت بعد الركوع في الوتر وكان يرفع يديه في القنوت
واخبرنا ابو على الرويز بادي حدثنا ابو بكر بن داسة قال قال ابو داود السجستاني
روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب وهذا الطريق امثلها وهو
ضعيف ايضا يريد به حديث عبد الله بن يعقوب عن حدثه عن محمد بن كعب
القرظى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم «سلوا الله يبطون اكنفكم
ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» وروى ذلك من اوجه اخر

كلها اضعف من رواية من رواها عن ابن عباس وقال احمد بن حنبل ينكرها وحكى عنه انه قال في الصلاة ولا بأس به في غير الصلاة وقال هذا لما في استعماله في الصلاة من ادخال عمل عليها لم يثبت به اثر وقد يدعو في آخر تشهده ثم لا يرفع يديه ولا يمسحهما بوجهه اذ لم يرد بهما اثر فكذا في دعاء القنوت يرفع يديه لورود الاثر به ولا يمسح بهما وجهه اذ لم يثبت فيه اثر وبالله التوفيق

وعندي ان من سلك من الفقهاء هذه الطريقة في المساهلة أنكر عليه قوله مع كثير ممن روى هذه الاحاديث في خلافه واذا كان هذا اختياره فسبيله ادام الله توفيقه يلى في مثل هذه الاحاديث روى عن فلان ولا يقول روى فلان لثلا يكون شاهدا على فلان بروايته من غير ثبت وهو ان فعل ذلك وجد لفعله متبعا فقد أخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال سمعت ابا الوليد الفقيه يقول لما سمع ابو عثمان الخيري من ابى حنيفة ان كتابه المخرج على كتاب مسلم كان يديم النظر فيه فكان اذا جلس للذكر يقول في بعض ما يذكركم من الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول في بعضه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظرتا فاذا به قد حفظ ما في الكتاب حتى ميز بين صحيح الاخبار وسقيمها و ابو عثمان الخيري بحتاط في هذا النوع من الاحتياط فيما يورد من الاخبار في المواعظ وفي فضائل الاعمال فالذي يوردها في الفرض والنفل ويحتج بها في الحلال والحرام أولى بالاحتياط وأحوج اليه وبالله التوفيق وقال الفقيه قد رأيت بعضا مما أوردت عليه عليه شيئا من هذه الطريقة فزع في ردها الى اختلاف الحفاظ في تصحيح الاخبار وتصنيفها ولو عرف اختلافهم لعرف انه لا فرج له في الاحتجاج به كما لا فرج لمن خالفنا في أصول الديانات في الاحتجاج علينا باختلافنا في المتهتدات واختلاف الحفاظ في ذلك لا يوجب رد الجميع ولا قبول الجميع وكان من سبيله ان يعلم ان الاحاديث المروية على ثلاثة أنواع نوع اتفق أهل العلم

به على صحته ونوع اتفقوا على ضعفه ونوع اختلف في ثبوته فبعضهم يضعف بعض رواته بمجرد ظهر له وخفى على غيره أو لم يظهر له من عدالته ما يوجب قبول خبره وقد ظهر لغيره أو عرف منه معنى يوجب عنده رد خبره وذلك المعنى لا يوجبه عند غيره أو عرف أحدهما علة حديث ظهر بها انقطاعه أو انقطاع بعض الفاظه أو ادراج لفظ من الفاظ من رواه في متنه أو دخول اسناد حديث في اسناد غيره خفيت تلك العلة على غيره فاذا عرف هذا وعرف بمعنى رد منهم خبراً أو قبول من قبله منهم هذا الوقوف عليه والمعرفة به إلى اختيار أصح القولين قال الفقيه وكنت أدام الله عز الشيخ أنظر في كتب بعض أصحابنا وحكايات من حكى منهم عن الشافعي رضي الله عنه نصاً فانظر اختلافهم في بعضها فيضيق قلبي بالاختلاف مع كراهية الحكاية من غير ثبت فحملني ذلك على نقل مبسوط ما اختصره المزني على ترتيب المختصر ثم نظرت في كتاب التقريب وكتاب جمع الجوامع وعيون المسائل وغيرها فلم أر أحداً منهم فيما حكاه أو ثق من صاحب التقريب وهو في النصف الأول من كتابه أكثر حكاية لألفاظ الشافعي منه في النصف الأخير وقد غفل في النصفين جميعاً مع اجتماع الكتب له أو أكثرها وذهاب بعضها في عصرنا عن حكاية ألفاظ لا بد لنا من معرفتها لئلا نجري على نمطه المزني في بعض ما بخطه فيه وهو برى، ولنتخلص بهذا عن كثير من مخربجات أصحابنا

ومثال ذلك من الاجزاء التي رأيتها من كتاب المحيط من أوله إلى مسألة التفريق ان أكثر أصحابنا والشيخ أدام الله عزه معهم يوردون الذنب في تسمية البحر بالمالح إلى أبي إبراهيم المزني ويزعمون أنها لم توجد لشافعي رحمه الله تعالى: قد سمي الشافعي البحر مالحة في كتابين قال الشافعي في أماني الحج في مسألة كون المحرم في صيد البحر كالخلال والبحر اما العذب واما المالح

قال الله تعالى (هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) وقال في كتاب المناسك الكبير في الآية دليل ان البحر العذب والمالح وذكر الشيخ ابقاه الله حدثنا الشيخ الامام ابو بكر رحمه الله قول الشافعي في اكل الجلد المدبوغ على ما بنى عليه ثم ذكر الشيخ حفظه الله تصحيح القول بمنع الاكل عند نفسه بايراد حجته وقد نص الشافعي في القديم وفي رواية حرمة على ما هدها اليه خاطره المتين قال الزعفرانى قال ابو عبد الله الشافعي في كلام ذكره يحل ان تتوضأ في جلدها اذا دبغ وذلك الذى أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فابحناه كما أباحه ونهينا عن اكله بحمله انه ميتة ولم يرخص في غير ما رخص فيه خاصة ثم قال وليس ما حل لنا الاستمتاع ببعضه بخبر بالذى يبيح لنا ما نهينا عنه من ذلك الشيء بعينه بخبر الا ترى انا لا نعلم اختلافا في انه يحل شراء الحجر والهرا والاسماتع بها ولا يبيح اكلها وانما يبيح ما يبيح ونحظر ما حظر وقال في رواية حرمة يحل الاستمتاع به بالحديث ولا يحل أكله باصل انه من ميتة ورأيت ادم الله عصمته اختار في تحلية الدابة بالفضة جوازها وأظنه علم كلام الشافعي في كتاب مختصر البويطى والربيع ورواية موسى بن ابى الجارود حيث يقول وان اتخذ رجل أو امرأة آنية من فضة أو من ذهب أو ضربا بهما آنية أو ركبا على مشجب أو سرج فعليهما الزكاة وكذلك اللجم والركب هذا مع قوله في روايتهم لا زكاة في الحلوى المباح وحيث لم يخص به الذهب بعينه فالظاهر انه اراد به كليهما جميعا وان كانت الكناية بالتذكير يحتمل ان تكون راجعة الى الذهب دون الفضة كما قال الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فالظاهر عند اكثر اهل العلم انه اراد به كليهما معا وان كانت الكناية بالتأنيث يحتمل أن تكون راجعة الى الفضة دون الذهب

وقد علم الشيخ أبقاه الله ورود التحريم في الاواني المتخذة من الذهب والفضة عامة ثم وردت الاباحة في تحلية النساء بهما وتختم الرجال بالفضة خاصة ووقف على اختلاف الصدر الاول رضي الله عنهم في حلية السيوف واحتجاج كل فريق منهم لقوله بخبر فنحن وان رجحنا قول من قال باباحتها بنوع من وجوه الترجيحات ثم حظرتنا تحلية السيف والسرير وسائر الآلات ولم نقسها على التحريم بالفضة ولا على حلية السيوف فتصحيح اباحة تحلية الدابة بالفضة من غير ورود أثر صحيح مما يشق ويتعذر وهو أدام الله توفيقه أهل ان يجتهد ويتخير وما استدلل به من الخبر بان ابا سفيان أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا برته من فضة فقير مشتهر وهو ان كان فلا دلالة له في فعل ابي سفيان اذ لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تركه ثم ركه أو أركبه غيره وأما الحديث المشهور عندنا مرواه محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدية جمل لاني جهل في أنفه برة من فضة ليغيب به المشركين أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابي اسحاق الحديث وكان علي بن المديني يقول كنت أرى هذا من صحيح حديث بن اسحاق فاذا هو قد دله حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن اسحق قال حدثني من لا آثم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فاذا الحديث مضطرب أخبرنا بهذه الحكاية محمد ابن عبد الله الحافظ أخبرني محمد بن صالح الهاشمي حدثنا ابو جعفر السبيعي حدثنا عبد الله بن علي المديني قال حدثني أبي فذكرها وقد روى الحديث عن جرير بن حازم عن ابن ابي نجيح ورواه محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بالقوى وقد أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل

أخبرنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد المزني القاضي حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى جملاً لابي جهل يوم الحديبية كان استلبه يوم بدر وفي انفه برة من ذهب وكذلك رواه ابو داود السجستاني في كتاب السنن عن محمد بن المنهال برة من ذهب أخبرنا ابو علي الروذبادي أخبرنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود فذكره وقال عام الحديبية ولم يذكر قصة بدر وقد أجمعنا على منع تحلية الدابة بالذهب ولم ندع فيه ظاهر الكتاب بإيجاب الزكاة فيه وعدد اذا لم يخرجها من الكنوز بهذا الخبر وكذلك لاندع في الفضة وليس في الحديث ان ثبت في الفضة صريح دلالة في المسألة وبالله التوفيق والعصمة وقد حكى لى عن الشيخ أدام الله عزه انه اختار جواز المكتوبة على الرحلة الواقعة اذا تمكّن من الاتيان بشرائطها مع ما في النزول للمكتوبة في غير شدة الخوف من الاخبار والآثار الثابتة وعدم ثبوت ما روي في مقابلتها دون الشرائط التي اعتبرها وقد قال الشافعي رضى الله تعالى عنه في الاملاء ولا يصلى المسافر المكتوبة بحال أبداً الا حالاً واحداً الا نازلاً في الارض أو على ما هو ثابت على الارض لا يزول بنفسه مثل البساط والسريير والسفينة في البحر :

﴿ تمت الرسالة وبها تم المجلد الثاني من المجموعة المنبرية ﴾

﴿ والحمد لله أولاً وآخراً ﴾



﴿ فهرست الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل المنيرية ﴾

	نمرة الصفحة
الدواء العاجل في دفع العدو الصائل للعلامة الشوكاني	١
رسالة في العقل والروح للعلامة ابن تيمية	٢٠
قاعدة نافعة في صفة الكلام له أيضا	٣١
التحفي في مذاهب السلف للشوكاني	٨٤
ايضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية	٩٧
فهرس ايضاح الدلالة	١٥٢
الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف للحافظ ابن عبد البر القرطبي	١٥٣
الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ بن حجر العسقلاني	١٩٥
الرحمة الغيثة بالترجمة الليثية للعسقلاني	٢٣٥
شرح الصدر بذكر ليلة القدر للامام العلامة ولي الدين بن الحافظ الزين العراقي	٢٦٦
رسالة الامام البيهقي الى الامام ابي محمد الجويني والدايمام الحرمين	٢٨٠



إِحْكَامُ الْأَحْكَامِ

شَيْخ
سَيِّدُ

عَمْدَةُ الْأَحْكَامِ

﴿ للعالم العلامة الاصولي المجتهد أبي الفتح الشيرازي ابن دقيق العيد ﴾

المتوفي سنة ٧٠٢

عمدة الاحكام من تصانيف الامام الحافظ الفقيه الشيخ عبدالغنى المقدسى الجماعلى المتوفى سنة ٥٠٠ ، وهذا الكتاب من أجل كتب الحديث نفعا واصحها سندا ومتنا وهو من تخرىج الامامين الجليلين أغنى البخارى ومسلما ابن الحجاج رتبه على حسب أبواب الفقه . وقد شرحه الامام المجتهد الحافظ علامة المعقول والمنقول شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفتح الشيرازي ابن دقيق العيد وهو شرح لم يؤلف مثله ولم تر العيون أحسن منه بين فيه كيفية استنباط الاحكام من الاحاديث وأورد اشكالات عجيبة للعلماء ورد ما صح رده واعتمد من الاحكام ما شهد له الادلة الصحيحة وتصحبه الحكم العقائدية وبين ما أخذ أئمة المذاهب فيها وراجحها من مرجوحها غير متعصب ولا متعسف بل سلك طريق السلف الصالح في ذلك . وفي الجملة هو خير مؤلف ظهر للناس وفضل مؤلفه شهير وقد كتبها بحواشى نفيسة ادارة الطباعة المنيرية وعرضها للاشتراك وجعلت قيمة الاشتراك فيه أربعين قرشا صاغها من الورق الكتان العال وقد ظهر منه جزآن وعن قريب سيظهر الجزء الثالث والباقي تحت الطبع فنحث طلاب العلم والعلماء على اقتنائه والمبادرة الى الاشتراك فيه قبل نفاذ نسخته

مجموعتنا الرسائل المنيرة

الجزء الثاني

(يشتمل على ١٠ رسائل)



- (١) السواء العاجل في دفع العدو الصائل (٢) العقل والروح (٣) قاعدة نافعة في
- صفة الكلام كلاهما لابن تيمية (٤) التحف في مذاهب السلف للشوكاني (٥)
- ايضاح الدلالة (٦) الانصاف لابن عبد البر (٧) الزهر النضر في نبأ الخضر (٨)
- ترجمة حياة الامام الليث بن سعد المجتهد المطلق كلاهما لابن حجر العسقلاني
- (٩) شرح الصدر بذكر ليلة القدر للمراق (١٠) رسالة الامام البيهقي الى

الامام الجويني

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

ادارة الطباعة المنيرة

﴿ كلمة الناشر ﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله * والصلاة والسلام
على نبيه ورسوله ومصطفاه * وعلى آله وصحبه ومن عمل اسماعته في دنياه وأخراه *
اما بعد فهذا ما وعدت به ادارة الطباعة المنيرية من تتبع نشر اجزاء مجموعة
الرسائل المنيرية : وقد تم والحمد لله الجزء الثانى منها واشتمل على ١٠ رسائل
نزفه الى قرائها للافادة والاستفادة ونسأل الله التوفيق لاتمام نشر باقى الاجزاء
وهو حسبنا ونعم المعين :

مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منبر الرمسفى

من علماء الازهر الشريف



الرسالة الاولى

شرح حديث «ما ذئبان جائعان أرسلا في غم» النخ

للحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ﷺ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام بقية السلف الكرام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن الشيخ الامام ابن رجب البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى أخرجه الامام احمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الانصاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ما ذئبان جائعان أرسلا في غم بأفسدها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذي حسن صحيح وروى من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة واسامة بن زيد وجابر وأبي سعيد الخدري وعاصم بن عدى الانصاري رضى الله عنهم أجمعين وقد ذكرناها كلها والكلام عليها في كتاب شرح الترمذي ولفظ حديث جابر رضى الله عنه « ما ذئبان ضاربان باتا في غم غلب رعاؤها بأفسد للناس من حب الشرف والمال لدين المؤمن » وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه حب المال والشرف بدل الحرص فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا وان فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغم بذئبين جائعين ضاربين باتا في الغم قد غلب عنها رعاؤها لئلا فهما يأكلان في الغم ويفترسان فيها ومعلوم انه لا ينجو من الغم من افساد الذئبين المذكورين والحالة هذه الاقليل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان حرص المرء على المال والشرف افساد لدينه ليس بأقل من افساد الذئبين لهذه الغم بل إيمان أن يكون مساويا واما أكثر يشير

الى انه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا الا القليل كما انه لا يسلم من الغنم مع افساد الذئبين المذكورين فيها الا القليل فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا (فاما الحرص) على المال فهو على نوعين أحدهما شدة حبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة وقد ورد ان سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي رضى الله عنه قال اشترت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ما ذئبان ضاربان ضلا في غنم أضاعها ربهما بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه» قلت ولو لم يكن في الحرص على المال الا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له وقد كان يمكن صاحبه فيها اكتساب الدرجات العلى والتعمير المقيم فضيحه بالحرص في طلب رزق مضمون مةسوم لا يأتي منه الا ما قدر وقسم ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده ويقدم على من لا يعذره لكفاه بذلك ذما للحرص فالحرص يضع زمانه الشريف ويحاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الاخطار لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل

ومن ينفق الايام في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقير

قيل لبعض الحكماء ان فلانا جمع ما لا يقال فهل جمع اياما ينفقه فيها قيل لا قال ما جمع شيئا وفي بعض الآثار الاسرائيلية الرزق مقسوم والحرص محروم ابن آدم اذا أفنت عمرك في طلب الدنيا فتي تطلب الآخرة

اذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزا فما أنت في يوم القيامة صانع؟

قال ابن مسعود رضى الله عنه اليقين أن لا ترضى الناس به خط الله ولا تحسد أحدا على رزق الله ولا تلوم أحدا على ما لم يؤت الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره فان الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. وقال بعض السلف اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان القدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت لكل أحد راصدا فالطمأنينة الى الدنيا حق. كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدى أعدائه وكان يقول يا أخوتاه لا تنبسطوا حريصا على ثروته وسعته في مكسب ولا مال وانظروا له بين المقت له في اشتغاله اليوم بما يريد به عبدا في المعاد ثم يتكبر. وكان يقول الحرص حرصان حرص فاجع وحرص نافع فاما النافع فحرص المرء على طاعة

الله وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا فالحرص على الدنيا معذب صاحبه مشغول
لا يسر ولا يلد بجمعه لشغله فلا يفرغ من حبة الدنيا لاخرته لا لتفاته لما يقنى وغفلته عما
يدوم ويبقى ولبعضهم في هذا المعنى

لا تنبطن أحرص على سعة وانظر اليه بين الماقت القالي
ان الحرص لمشغول بثروته عن السرور بما يحوى من المال
ولا آخر في هذا المعنى

يا جامعا مانعا والنهر يرمقه مفكرا أى باب منه يفلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك الا يوم تنفقه
ان القناعة من يحل بساحتها لم يلق في ظلها ما يؤرقه

وكتب بعض الحكماء الى أخ له كان حريصا على الدنيا أما بعد فانك أصبحت حريصا على
الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالاعراض والامراض والآفات والعلل كأنك لم تر
حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا ولا ميتاعن كثير ولا متبلغا من الدنيا باليسير * عاتب اعرابي
أخاه على الحرص فقال له يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا نفوته وتطلب ما قد
كفيته كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا فهو قال بعض الحكماء أطول الناس
هما الحسود وأهنؤم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحرص وأخف ضمهم عيشا أرفضهم
للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط ولبعضهم في هذا المعنى

الحرص داه قد أضمر بمن ترى الا قليلا
كم من حريص طامع والحرص صيره ذليلا
غيره

كم أنت لاهجر ص والاماني عبد
ليس يجديك الحرص والسعى اذا لم يكن جد
مالا قدره الله من الامر بد

ولابى العتاهية يخاطب سلما الخاسر

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعتاق الرجال
ومن كلام المأمون الحرص مفسدة للدين والمروءة وانشد بعضهم
حرص الحرص جنون والصبر حصن حصين
ان قدر الله شيئا فانه سيكون

ونازح الدار لا ينفك مقربا عن الاحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرص على مال
ولو قنعت اناك الرزق في دعة ان القنوع النقي لا كثرة المال
وللمحمود الوراق

ايها المتعب جهدا نفسه يطلب الدنيا حريصا جاهدا
لالك الدنيا ولا أنت لها فاجعل الهمين هما واحدا

(النوع الثاني) من الحرص على المال ان يزيد على ما سبق ذكره في النوع الاول حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة وينزع الحقوق الواجبة فهذا من الشح المذموم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا » وفي صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » قال طائفة من العلماء الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الاشياء من غير حلها وينزع حقوقها. وحقيقته ان تشوف النفس الى ما حرم الله ومنع منه وان لا يقنع الانسان بما احله الله له من مال او فرج أو غيرهما فان الله تعالى احل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم تناول هذه الاشياء من غير وجوه حلها وابعاد لنادماء الكفار والمخربين واموالهم وحرم علينا ما عدا ذلك من الجبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم علينا اخذ الاموال وسفك الدماء بغير حقها فمن اقتصر على ما أبيض له فهو مؤمن ومن تعدى ذلك الى ما منع منه فهو الشح المذموم وهو مناف للايان ولهذا اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشح يأمر بالقطيعة والفجور والبخل والبخل هو امساك الانسان ما في يده والشح تناول ما ليس له ظلما وعدوانا من مال أو غيره حتى قيل انه رأس المعاصي كلها وبهذا فسر ابن مسعود رضى الله عنه وغيره من السلف الشح والبخل ومن هنا يعلم معنى حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يجتمع الشح والايان في قلب مؤمن » والحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « افضل الايتان الصبر والسماحة » وفسر الصبر بالصبر عن المحارم والسماحة باداء الواجبات وقد يستعمل

الشح بمعنى البخل وبالعكس ولكن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه ومتى وصل الحرس على المال الى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والايان نقصا بينا فان منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والايان بلا ريب حتى لا يبقى منه الا القليل ☆

(فصل) وأما حرص المرء على الشرف فهو شديد إهلاكا من الحرس على المال فان طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الارض اضر على العبد من طلب المال وضرره اعظم والزهد فيه أصعب فان المال يبذل في طلب الرياسة والشرف فهو الحرس على الشرف على قسمين احدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جدا وهو في الغالب يمنع خيرا الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها قال الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) وقل من يحرص على رياسة الدنيا يطلب الولايات فيوقبل يوكل الى نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه « يا عبد الرحمن لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » قال بعض السلف ما حرص أحد على ولاية فمدل فيها . وكان يزيد بن عبدالله بن موهب من قضاة العدل والصالحين وكان يقول من احب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها . وفي صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فتمت المرزعة وبئست الفاطمة » وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله أمرنا قال « انا لانولى أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه » واعلم ان الحرس على الشرف يستلزم ضررا عظيما قبل وقوعه في السعى في اسبابه وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذى يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد . وقد صنف ابو بكر الأجرى وكان من العلماء الربانيين في اوائل المائة الرابعة مصنفًا في اخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنف في ذلك (١) ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء والطرائق التى حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة . منها انه قال قد فتته حب الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء للدنيا ولا يحمل علمه بالعمل به وذكر كلاما طويلا الى أن قال فهذه الاخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم فيناهم ومقارب لهذه الاخلاق

اذ ذهب نفسه في حب الشرف والمنزلة فأحب مجالسة الملوك وابناء الدنيا وأحب ان يشاركهم فيام فيه من رضاء عيشهم من منظر بهي ومركب هني وخادم سرى ولباس لين وفراش ناعم وطعام شهى وأحب ان يفتشى بابه وان يسمع قوله ويطاع أمره فلم يقدر عليه الامن حبة القضاء فطلبه فلم يمكنه الا ببذل دينه فتذلل للملوك وأتباعهم فخدمهم بنفسه واكرمهم بماله وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في ابواناتهم وفي منازلهم من افعالهم ثم قدزين لهم كثيرا من قبيح فعلهم بتأوله الخطأ ليحسن موقفه عندهم فلما فعل هذا مدة طويلة واستحکم فيه الفساد ولوه القضاء فذبح بغير سكين فصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فألم نفسه لثلاثين نفضهم عليه فيعزلوه عن القضاء ولم يلتفت الى غضب مولاه فاقطع اموال اليتامى والارامل والفقراء والمساكين وأموال الوقف على المجاهدين وأهل الشرف بالحرمين واما الابدان فاعودنفعها على جميع المسلمين فارضى بها الكتاب والحاجب والحادم فأكل الحرام واطعم الحرام وكرر الداعي عليه فالويل لمن اورثه علمه هذه الاخلاق وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامر أن يستعاذ منه وهذا العالم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم «ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع» وكان عليه السلام يقول «اللهم انى أسئلك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع» هذا كله كلام الامام أبى بكر الا أجرى رحمه الله تعالى وكان في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايدا على ما ذكرناه اضعافا مضاعفة فلاحول ولا قوة الا بالله عز وجل ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها وهو باب غامض لا يعرفه الا العلماء بالله العارفون به المحبون له الذين يمدون له من جهال خلقه المزاحمين لربوبيته وإلهيته مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن رحمه الله فيهم انهم وان طقطقت بهم البغال وهلمجت بهم البراذين فان ذل المعصية في رقابهم أبى الله الا أن يذل من عصاه : واعلم ان حب الشرف بالحرص على نفوذ الامر والنهى وتديير أمر الناس اذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعاطم عليهم واظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم اليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلهيته وربما تسبب بعض هؤلاء الى ايقاع الناس في أمر يحتاجون فيه اليه ليضطرهم بذلك الى رفع حاجاتهم اليه وظهور افتقارهم واحتياجهم اليه وتعاطمهم بذلك

ويتكبر به وهذا لا يصلح الا لله وحده لا شريك له كما قال تعالى (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) وقال (وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) وفي بعض الآثار ان الله تعالى يبتلى عبده بالبلاء ليمسح تضرعه . وفي الآثار أيضا ان العبد اذا دعا الله تعالى وهو محبة قال الله تعالى يا جبريل لاتعجل بقضاء حاجته فاني أحب أن أسمع تضرع عبدي في الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى وأمر من الشرك والشرك أعظم الظلم عند الله . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « يقول الله تعالى الكبيرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيها عذبتة » . كان بعض المتقدمين قاضيا فرأى في منامه كأن قائل يقول له أنت قاض والله قاض فاستيقظ منزعا وخرج عن القضاء وتركه . وكان طائفة من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعواهم بقاضى القضاة فان هذا الاسم يشبه ملك الملوك الذى ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التسمية به وقال « لا مالك الا الله » وحاكم الحكام مثله أو أشد منه . ومن هذا الباب أيضا ان يحب ذوالشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لا يجيبه اليه وربما كان ذلك الفعل الى الذم أقرب منه الى المدح وربما اظهر أمرا حسنا في الظاهر وأحب المدح عليه وقصده به في الباطن شرا وفرح بتمويه ذلك وتروجه على الخلق وهذا يدخل في قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الاية فان هذه الآيات انما نزلت فيمن هذه صفاته وهذا الوصف أعنى طلب المدح من الخلق ومحبة والعقوبة على تركه لا يصلح الا لله وحده لا شريك له ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الاحسان الى الخلق ويأمرون باضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له فان النعم كلها منه . وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله شديد العناية بذلك وكتب مرة الى أهل الموسم كتابا يقرأ عليهم وفيه الامر بالاحسان اليهم وازالة المظالم التى كانت عليهم وفي الكتاب ولا تحمدوا على ذلك كله الا الله فانه لو وكلنى الى نفسى كنت كغيرى وحكايتي مع المرأة التى طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة فانها كانت لها أربع بنات ففرض لاثنتين منهن وهى محمد الله ثم فرض للثالثة فشكرته فقال انما كنا نفرض لهن: حيث كنت تولين الحمد أهله فرى هذه الثلاث يواسين الرابعة أو كما قال رضى الله عنه أراد ان يعرف ان ذا الولاية انما هو متعصب لتنفيذ أمر الله وأمر العباد بطاعته تعالى وناء

لهم عن محارم الله ناصح لمباد لله بدنائهم الى الله فهو يقصد ان يكون الدين كله لله وان تكون العزة لله وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضا فالجهد لله غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه ويفردوه بالعبودية والاهلية فكيف من يزاحم في شيء من ذلك فهو لا يريد من الخلق جزاء ولا شكورا وإنما يرجو ثواب عمله من الله كما قال الله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشكر على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الابد كما قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد » وقال لمن قال ما شاء الله وشئت « أجعلني لله ندا بل ما شاء الله وحده » فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم لا يدعون الى تعظيم نفوسهم التبتل الى تعظيم الله وحده وافراده بالعبودية والاهلية ومنهم من كان لا يريد الولاية الا للاستعانة بها على الدعوة الى الله وحده وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول الا أتولاه لاستعين به على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الاذى في الدعوة الى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك فان المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الاذى فيرضى محبوه كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لايه في خلافته اذا حرص على تنفيذ الحق واقامة العدل يا أبت لو ددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل * وقال بعض الصالحين وددت ان جسمي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل فعرض قوله على بعض العارفين فقال ان كان اراد بذلك النصيحة للخلق والا فلا ادري ثم غشي عليه به ومعنى هذا ان صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله وأحب ان يفنيهم من عذاب الله بأذى نفسه وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الاجلال والاکرام والطاعة والمحبة فود أن الخلق قاموا بذلك وان حصل له في نفسه غاية الضرر وهذا هو مشهد خواص المحبين العارفين بملاحظته فغشى على هذا الرجل العارف وقد وصف الله تعالى في كتابه ان المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم. وفي ذلك يقول بعضهم

أجد الملامة في هواك لذينة حبا لذكرك فيليني اللوم

(القسم الثاني) طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية كالعلم والعمل والزهد فهذا الخش من الاول واقبح وأشد فساداً وخطراً فان العلم والعمل والزهد انما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والتعميق المقرب منه والزلفى لديه . قال الثورى انما فضل العلم لانه يتقى به الله والا كان كسائر الاشياء فاذا طلب بشئ من هذا عرض الدنيا الفانى فهو ايضا نوعان * احدهما ان يطلب به المال فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالاسباب المحرمة وفي هذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم علما مما يتنى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا في الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » ينهى ربحها خرجه الامام احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبب هذا والله اعلم ان في الدنيا جنة معجلة وهى معرفة الله ومحبهه والانس به والشوق الى لقاءه وخشيته وطاعته والعلم النافع يدل على ذلك فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة ولهذا كان اشد الناس عذابا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه وهو من اشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آله يتوصل بها الى أعلى الدرجات وارتفع المقامات فلم يستعملها إلا في التوصل الى اخس الامور وادناها واحقرها فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها بعره او شئ مستقذر لا ينتفع به فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه بل أقبح واقبح من ذلك من يطلبها بانظار الزهد فيها فان ذلك خداع قبيح جدا . وكان ابو سليمان الداراني يعيب على من لبس عباءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوى اكثر من قيمة العباءة يشير الى ان اظهار الزهد في الدنيا باللباس الدينى انما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلق بها بحيث لا يتعلق قلبه بها باكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر حتى يستوى ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا وما أحسن قول بعض العارفين وقد سئل عن الصوفي فقال الصوفي من لبس الصوف على الصفا * وسلك طريق المصطفى * وذاق الهوى بعد الجفا * وكانت الدنيا منه خلف القفا * (النوع الثاني) من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعاطف عليهم وان يتقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم اليه وان يظهر للناس زيادة علمه على العلماء

ليعلو به عليهم ونحو ذلك فهذا موعده النار لان قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه فاذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأخشن من ان يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من طب العلم ليمارى به السفهاء أو يجارى به العلماء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار » خرج الامام أحمد والترمذى من حديث كعب بن مالك . وخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله عنه وحذيفة رضى الله عنه وعنده « فهو في النار » وخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحيزوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار » وخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه وزاد فيه « ولكن تعلموه لوجه الله والنار الآخرة » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال « لا تعلموا العلم لثلاث تماروا به السفهاء أو لتجادلوا به الفقهاء أو لتصرفوا به وجوه الناس اليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فانه يبقى ويفنى ما سواه » وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أول الخلق تسعيرهم النار يوم القيامة ثلاثة منهم العالم الذى قرأ القرآن ليقال قارىء وتعلم العلم ليقال عالم وانه يقال له قد قيل ذلك وامر به فسحب على وجهه حتى اتى في النار » وذكر مثل ذلك فى المتصدق ليقال انه جواد وفي المجاهد ليقال انه شجاع * وعن على رضى الله عنه قال يا حمة العلم اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ويخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقة حلقة فيباهى بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جلسه اذا جلس إلى غيره ويدعه او ائتك لاتصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله عز وجل * وقال الحسن لا يكون حظ احدكم من علمه ان يقول له الناس عالم . وفي بعض الآثار ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليحدث به ولا يطلبه ليعمل به : وقال بعض السلف باننا أن الذى يطلب الاحاديث ليحدث بها لا يجدر بريح الجنة يعنى من ليس له غرض في طلبها الا ان يحدث بهادون العمل بها . ومن هذا القيل كراهة السلف الصالح الجرة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة اليها والاكتار منها . وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن جعفر مرسل عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قال « اجروكم على الفتيا اجروكم على النار » وقال علقمة كانوا يقولون اجروكم على الفتيا اقلكم علما. وعن آبراه قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسئل أحدهم عن المسئلة مامنهم من رجل الاود أن اخاه كفاء . وفي رواية فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى يرجع الى الاول . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الذى يقى الناس في كل ما يستفتونه به لمجنون . وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسئلة فقال ما أتأ على الفتيا بجريه وكتب الى بعض عماله انى والله ما انا بجريص على الفتيا ما وجدت منها بدا وقال ابن عيينة ليس هذا الامر لمن ودأن الناس احتاجوا اليه انما هذا الامر لمن ودأنه وجد من يكفيه . وعنه انه قال اعلم الناس بالفتاوى اسكتهم وأجهلهم بها انطقهم . وقال سفيان الثورى ادركنا الفقهاء وهم يكرهون ان يجيوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدا من ان يفتوا واذا اعفوا منها كان احب اليهم . وقال الامام احمد من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لامر عظيم الا انه قد تلجىء اليه الضرورة قيل له فايما افضل الكلام ام السكوت قال الامساك احب الى قيل له فاذا كانت الضرورة فجعل يقول الضرورة الضرورة وقال الامساك اسلم له ولعلم المفتى انه يوقع عن الله امره ونهيه وانه موقوف ومستول عن ذلك . قال الربيع بن خثيم أيها المفتون انظروا كيف تفتون . وقال عمرو بن دينار لقتادة لما جلس للفتيا تدرى في أى عمل وقعت وقعت بين الله وبين عباده وقلت هذا يصلح وهذا لا يصلح . وعن ابن المنكدر قال ان العالم داخل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم . وكان ابن سيرين اذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذى كان . وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول ما وجدت احدا تسأله غيرى وقال قد تكلمت ولو وجدت بداما تكلمت وان زمانا اكون فيه فقيه اهل الكوفة لزمان سوء . وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال انكم لتستفتوننا استفته نود كأننا لانسئل عما نفتيكم به . وعن محمد بن واسع قال اول من يدعى الى الحساب الفقهاء وعى مالك رضى الله عنه انه كان اذا سئل عن المسئلة كأنه واقف بين الجنة والنار . وقال بعض العلماء لبعض المفتين اذا سئلت عن مسئلة فلا يكن همك تحليل المسائل ولكن تحليل نفسك أولا . وقال لا آخر اذا سئلت عن مسئلة فتفكر فان وجدت لنفسك مخرجا فتكلم والافاسكت . وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا يطول ذكره واستقصاؤه .

ومن هذا الباب أيضا كراهة الدخول على الملوك والدنومهم وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا الى نيل الشرف والرياسات فيها . وخرج الامام احمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلاطين افتتن » وخرج أحمد وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي حديثه « وما ازداد أحد من السلطان دنوا الا ازداد من الله بعدا » وخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان أناسا من أمتى سينفقون في الدين ويقرؤون القرآن ويقولون نأتى الامراء فنصيب من دنياهم ونعترلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يحتجى من القتاد الا الشوك كذلك لا يحتجى من قريهم الا الخطايا » وخرجه الطبرانى ولفظه « ان أناسا من أمتى يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يأتيتهم الشيطان يقول لو أتيتم الملوك فاصتتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم الا ولا يكون ذلك كما لا يحتجى من القتاد الا الشوك كذلك لا يحتجى من قريهم الا الخطايا » وخرج الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد في جهنم تتموذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرءون بأعمالهم » وخرج ابن ماجه نحوه وزاد فيه « وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة » . ويروى من حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه . ومن أعظم ما يخشى على من يدخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم ويعيبهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الانكار عليهم فان من يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يقدم على الانكار عليهم بل ربما حسن لهم بعض أفعالهم القبيحة تقربا اليهم ليحسن موقفه عندهم ويساعده على غرضه . وقد خرج الامام احمد والترمذى والنسائى وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس يوارى على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارء على الحوض » وخرج الامام احمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنه وخباب بن الارت وأبى سعيد الخدرى والتميمان بن بشير رضى الله عنهم . وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على

الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر أيضا. وعن نهى عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة. وقال ابن المبارك ليس الأمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم إنما الأمر الناهي من اعترضهم وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيدا عنهم أنه يأمرهم ونهاهم ويغفل عنهم فإذا شاهدهم قريبا مالت النفس اليهم لأن محبة الشرف كاملة في النفس له ولذلك يدهانهم ويلاطفهم ويربما مال اليهم وأحبهم ولا سيما لاطفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم. وقد جرى ذلك لعبد الله بن طاوس مع بعض الامراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه طاوس على فعله ذلك. وكتب سفيان الثوري الى عباد بن عباد وكان في كتابه اياك والامراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الاشياء واياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرء عن مظلوم أو ترد مظلمة فان ذلك خديعة ابليس وإنما اتخذها فجار القراء سلما وما كفت عن المسئلة والفتيا فاغتم ذلك ولا تنافسهم واياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع قوله فإذا ترك ذلك منه عرف فيه واياك وحب الرياسة فان الرجل يكون حب الرياسة أحب اليه من النهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره الا البصير من العلماء السامرة ففقد بقلب واعمل بنية واعلم انه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل ان يموت والسلام. ومن هذا الباب أيضا كراهة أن يشهر الإنسان نفسه للناس بالعلم والزهد والدين أو باظهار الاعمال والاقوال والكرامات ليزار وتلتبس بركنه ودعاؤه وتقبل يده وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة منهم أيوب والتخمي وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر. دخل رجل على داود الطائي فسأله ما جاء بك فقال جئت لازورك فقال اما أنت فقد أصبت خيرا حيث زرت في الله ولكن أنا انظر ماذا لقيت غدا إذا قيل لي من أنت حتى تزار من الزهاد أنت لا والله من العباد أنت لا والله من الصالحين أنت لا والله وعدد خصال الخير على هذا الوجه ثم جعل يوبخ نفسه ويقول يا داود كنت في الشبهة فاسقا فلما شئت صرت مرائيا والمرائى شر من الفاسق. وكان محمد ابن واسع يقول لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني. وكان ابراهيم التخمي إذا دخل عليه أحدهم يقرأ في المصحف غطاء. وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عرفوا في مكان ارتحلوا عنه. وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء ويقول لمن يسأله الدعاء

أى شئء أنا . وممن روى عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وكذلك مالك بن دينار . وكان النخعي يكره أن يسأل الدعاء وكتب رجل الى أحمد يسأله الدعاء فقال أحمد اذا دعونا نحن لهذا فمن يدعو لنا . ووصف بعض الصالحين اجتهاده في العبادة لبعض الملوك فزعم على زيارته فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق يأكل فوافاه الملك وهو على تلك الحالة فسلم عليه فرد عليه السلام وجعل يأكل أكلا كثيرا ولا يلتفت الى الملك فقال الملك ما في هذا خير ورجع فقال الرجل الحمد لله الذى رد هذا عنى وهو لائم . وهذا باب واسع جدا وهما نكتة دقيقة وهى ان الانسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى الناس انه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به وهذا من دقائق أبواب الرياء وقد نبه عليه السلف الصالح قال مطرف بن عبدالله بن الشخير كفى بالنفس اطراء أن تدمها على الملا^١ لأنك تريد بدمها زيتها وذلك عند الله سفة^٢

(فصل) وقد تبين بما ذكرنا ان حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه الا ماشاء الله كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى . قال وهب بن منبه من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم وهذا كلام حسن فانه حب يحمل المال والشرف على الرغبة في الدنيا وانما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى لان الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها والتقوى يمنع من اتباع الهوى وتردد عن حب الدنيا . قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه فقال تعالى (وأما من أتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أت كتابيه ولم أدر ما حسابيه باليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه)^٣ واعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكبر والحسد ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذى فيه رضوان الله وقربه وجواره ويرغب عن العلو القانى الزائل الذى يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبمده عن الله وطرده عنه فهذا العلو الثانى الذى يذم وهو العتو والتكبر في الارض بغير الحق .

١ - النزاعات ٢٧

٤٠ -

٢ - الحاقة ٢٥ - ٩

٣ - الطغين ٢٦

الحسن اذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة . وقال وهيب بن الوردان استطعت أن لا يسبقك لي الله أحد فافعل . وقال محمد بن يوسف الاصبهاني العابد لو أن رجلا سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه كان ينبغي له ان يجزئه ذلك وقال غيره لو أن رجلا سمع برجل أو عرف رجلا أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بمعجب . وقال رجل لمالك بن دينار رأيت في المنام مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل الا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه ففي درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسمي في أسبابه وان لا يقع الانسان منها بالدون مع قدرته على العلو وأما العلو الفاني المتقطع الذي يعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهو انا وصغارنا فهو الذي يشرع الزهد فيه والاعراض عنه وللزهد فيه أسباب عديدة . فمنها نظر العبد الى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والامارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة . ومنها نظر العبد الى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله رداء الكبرياء . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يشام الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس (١) تلومهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الحبال » وخرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث « يطوهم الناس بأقدامهم » وفي رواية أخرى من وجه آخر « يطوهم الجن والانس والدواب بأرجلها حتى يقضى الله بين عباده » واستأذن رجل عمر رضي الله عنه في القمص على الناس فقال له انى أخاف ان تقص عليهم فتترفع عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة ومنها نظر العبد الى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة فان من تواضع لله رفعه ومنها وليس هو في قدرة العبد ولكن من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يقضى من المال والشرف مما يجعله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة والايمان والطاعة في الباطن وهي الحياة الطيبة التي وعدنا الله لمن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وهذه الحياة الطيبة لم يذوقها الملوك في الدنيا

(١) بضم الباء وفتح اللام كذا ضبطه صاحب القاموس

ولأهل الرياسات والحرص على الشرف كما قال ابراهيم بن آدم رحمه الله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية. قال الله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) وقال (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل « انا العزيز فمن أراد العزة فليطع العز يزومن أراد عز الدنيا والآخرة وشرفهما فاعليه بالتقوى » وكان حجاج بن ارطاة يقول قتلى حب الشرف فقال له سوار لو اتقيت الله شرفت. وفي هذا المعنى شعر

أنا انما التقوى هي العز والكرم وحك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقصة اذا حقق التقوى وان حاك أو حجم

وقال صالح الباجي الطاعة امرة والمطيع لله أمير مؤمر على الامراء ألا ترى هيبته في صدورهم ان قال قبلوا وان أمر أطاعوا ثم يقول يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك ان تذلل له الحياجرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبه وكل الخير من عندك بأوليائك. وقال بعض السلف الصالح من أسعد بالطاعة من مطيع الا وكل الخير في الطاعة الا وان المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة. وقال ذو النون من أكرم وأعز بمن انقطع الى من ملك الاشياء بيده. دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له يا أبا سلمة مالي كلما نظرت اليك ارتعدت فرقا منك قال لان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء وان أراد ان يكثر به الكنوز خاف من كل شيء. ومن هذا قول بعضهم على قدر هيبتك لله يخافك الخلق وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق باشغالك. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما يمشى ووراءه قوم من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم يمشون على ركبهم هيبته فبكى عمر رضى الله عنه وقال اللهم انك تعلم انى اخوف لك منهم فاغفر لى. وكان العمري الزاهد قد خرج الى الكوفة الى الرشيد ليعظه وينهاه فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لو تزل بهم عدو مائة الف نفس لما زادوا على ذلك وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيبته له وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسئلة فاذا حضروا مجلسه لم يجسر واعلى سؤاله حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبته له. وكذلك كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل

يدع الجواب ولا يراجع هيبه والسائلون نواكس الاذقان

نور الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليه
بوجهه وأقبل بقلوب العباد عليه ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب
العباد عنه * وقال محمد بن واسع إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله
عليه بقلوب المؤمنين * وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله طلقت الدنيا ثلاثا
بتأ لا رجعة لي فيها وصرت الى ربي وحدي وناديت بالاستعانة الهى ادعوك دعاء من لم
يبق له غيرك فلما عرف صدق الدعاء من قلبى والياس من نفسى كان اول ما ورد على من اجابه
هذا الدعاء أن اسانى نفسى بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع اعراضى عنهم وكان
يزار من البلدان فلما رأى ازدحام الناس عليه قال

وليتى صرت شيئا من غير شىء اعد
اصبحت للكل مولى لاننى لك عبد
وفي الفؤاد امور ما استطاع تعد
لكن كتاب حالى احق بى واسد

كتب وهب بن منبه الى مكحول اما بعد فانك اصبت بظاهر علمك عند الناس شرفا ومنزلة
فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلنى واعلم ان احدى المنزلتين تمنع من الاخرى. ومعنى
هذا ان العلم الظاهر من تعلم الشرائع والاحكام والقناوى والقصاص والوعظ ونحو ذلك مما
يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة وشرفا والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة
الله وخشيته ومحبته ومراقبته والانس به والشوق الى لقائه والتوكل عليه والرضى بقضائه
والاعراض عن عرض الدنيا الفانى والاقبال على جوهر الآخرة الباقي كل هذا يوجب لصاحبه
عند الله منزلة وزلنى واحدى المنزلتين تمنع من الاخرى فمن وقف مع منزلته عند الخلق
واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا. وكان همه حفظ هذه المنزلة عند
الخلق وملازمتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى وانقطع به عنه
فهو كما قال بعضهم ويل لمن كان حظه من الله الدنيا. وكان السرى السقطى يعجبه ما يرى من

علم الجنيّد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوماً وقد سأله عن مسألة فاجاب وأصاب
أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانك فكان الجنيّد لا يزال يبكي من هذه الكلمة. ومن
اشتغل بتربية منزله عند الله تعالى بما ذكرن من العلم الباطن وصل الى الله فاشتغل به عما
سواه وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ومع هذا فإن الله يعطيه المنزلة في
قلوب الخلق والشرف عندهم وان كان لا يريد ذلك ولا يقف معه بل يهرب منه أشد الهرب
ويقر أشد الفرار خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله قال الله تعالى (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أي في قلوب عباده. وفي حديث «ان الله اذا احب
عبداً نادى يا جبريل اني احب فلان فاجبه جبريل ثم يجبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في
الارض» والحديث معروف وهو مخرج في الصحيح وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل
مع شرف في الدنيا وان لم يردده صاحبه ولم يطلبه وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة
ولا يجتمع معه والسعيد من آثر الباقي على الفاني كما في حديث ابي موسى رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «من احب دنياه أضرباً آخرته ومن احب آخرته اضرب
بدنياه فأثر واما يبقى على ما يفنى» خزجه الامام أحمد وغيره وهو ما أحسن ما قال ابو الفتح البستي

امران مقترقان لست تراها يتشوفان خلطة وتلاق

طلب المعاد مع الرياسة والعلی فدع الذي يفنى لما هو باقى

الى هنا تم كلام الحافظ زين الدين ابن رجب عن حديث ما ذئبان جائعان ارسلنا الخ

والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والعاملين بشرعه الى يوم الدين * ١ - مرم ٦٩

تمت الرسالة الاولى والحمد لله أولاً وآخراً



الرسالة الثانية

﴿ مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾

تصنيف الامام العلامة محيي السنة ناصر الحق شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن

ابن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه

المولود سنة ٥٩٦ المتوفى سنة ٦٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * ولا عدوان الا على الظالمين *
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين * سيدنا محمد النبي الامين * وعلى آله
الطيبين الطاهرين * وأصحابه نجوم الدين *

(وبعد) فهذا مختصر من كتاب ﴿ المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾ تصنيف

الامام العلامة محيي السنة شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن
ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه قال (أما بعد) فان العلم
قد درست أعلامه * وقل في هذه الازمان اتقانه وإحكامه * وأدب به الاهمال
الى أن عدم احترامه * وقل لإجلاله وإعظامه * وكاد يجهل حلاله وحرامه * هذا
مع حث الشارع عليه ووصف العلماء القائمين بخشيتهم اياه * ورفعه درجاتهم وضمه
لهم مع الملائكة في شهادتهم * قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)
وقال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم) وقل تعالى (يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة *
والاحاديث المستنيرة * وقد كان من مضى من الأئمة المجتهدين قائمين بنشر علوم
الاجتهاد في جميع الآفاق وهم في ذلك متفاضلون فمنهم المحكم لعلم الكتاب *
ومنهم القائم بامر السنة * ومنهم المبرز في العربية * ومنهم الممنع في استنباط

١ - فاطر ٢٨

٢ - آل عمران ١٨

٣ - المجادلة ١١

الاحكام وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك وكان من اجمعهم واقومهم به امامنا
ابو عبدالله القرشى المطلبى الشافعى رضى الله عنه جمع النسب الطاهر * والعلم
الباهر * وكثرة المآثر * وجل المفاخر * فكان فيه من المناقب والفضائل * ما فرق في
كثير من الائمة الافاضل * وشهدله بذلك من كل فن سادة افاضل * قال المزنى
سمعت الشافعى يقول ، حفظت القرآن وانا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وانا
ابن عشر * وقال يونس بن عبد الاعلى كان الشافعى اذا أخذ في التفسير كأنه
شهد التنزيل * وقال أحمد بن محمد بن بنت الشافعى سمعت أبى وعمى يقولان
كان سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يسئل عنها التفت الى الشافعى
وقال يقول سلوا هذا * وقال له شيخه مسلم بن خالد وهو مفتى مكة يا أبا عبد الله
أفت قد أن لك أن يفتي وهو ابن خمس عشرة سنة * وقال الربيع كان الشافعى
يفتي وهو ابن خمس عشر سنة * وكان يمحي الليل الى أن مات * وقال أبو نعيم
الحافظ سمعت سليمان بن احمد يقول سمعت أحمد بن محمد بن بنت الشافعى يقول
كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وبعده لمطاء ابن أبى رباح
وبعده لعبد الملك بن جريج وبعده لمسلم بن خالد وبعده لسعيد بن سالم * وبعده
لمحمد بن ادريس الشافعى وهو شاب * قال ابن مهدي سمعت مالكا يقول
ما يأتينى قرشى أفهم من هذا القى يعنى الشافعى * قال أبو عبيد بن سلام ما رأيت
قط أعقل ولا أورع ولا أفصح من الشافعى * قال هلال بن العلاء الرقى أصحاب
الحديث عيال على الشافعى فتح لهم الاقفال * قال اسحق بن راهويه لقينى أحمد
ابن حنبل بمكة فقال تعال أريك رجلا لم تر عينك مثله فارانى الشافعى قال فنناظرنا
فى الحديث فلم أر أعلم منه * ثم تناظرنا فى الفقه فلم أر أفقه منه * ثم تناظرنا فى
القرآن فلم أر أقرأ منه * ثم تناظرنا فى اللغة فوجدته بيت اللغة * وما رأيت عيناى مثله
قط * قال فلما فارقناه أخبرنى جماعة من أهل الفهم بالقرآن انه كان أعلم الناس فى
زمانه بمائى القرآن وانه قد كان أوتى فهما فى القرآن * قال أحمد بن حنبل كان
الفقهاء والمحدثون صيادلة نجاء الشافعى طبيبا صيدلانيا ما رأيت العيون مثاله * وقال
ان الله يقبض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلم السنن وينفى عن رسول الله

الكذب * فنظرنا فاذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي وقال اذا سئلت عن مسألة لأعرف فيها خيرا قلت فيها بقول الشافعي لانه امام عالم من قريش * وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (عالم قريش يملأ الارض علما) وقال كلام الشافعي في اللغة حجة * وقال أبو عثمان المازني الشافعي عندنا حجة في النحو * وقال أبو نور ابراهيم بن خالد كان الشافعي من معادن الفقه وجهابذة الالفاظ وتقاد المعاني * قال الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فيقظهم فتيقظوا * ومناقبه كثيرة قد الفت فيها المؤلفات العديدة *

﴿ فصل في صفة أهل العلم ﴾

قال عبد الله بن مسعود ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم الخشية * وقال مالك بن أنس ليس العلم بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في قلب من يشاء من خلقه * وفي رواية العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل * وقال الازاعي كان هذا العلم كريما يتلقاه الرجال بينهم فلما كتب ذهب نوره وصار الى غير اهله * وفي رواية كان هذا العلم سنيا شريفا اذ كان الناس يتلقونه بينهم الخ * وقال اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنهم العمل * وقال مالك ليس الجدل من الدين في شئ * وقال أيضا المرء في العلم يقسى القلوب ويورث الضغائن * وفي جامع الترمذي عن أبي أمامة عنه صلى الله عليه وسلم قال « ماض قوم بعد هدي كانوا عليه الا أتوا الجدل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماض بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون) قال حديث حسن صحيح قال بل كان العلماء من السلف الصالح أهل نسك وعبادة وورع وزهادة * أرضوا الله تعالى بعلمهم * وصانوا العلم فصانهم * وتدرعوا من الاعمال الصالحة بمازانهم * ولم يشنهم الحرص على الدنيا وخدمة أهلها بل أقبلوا على طاعة الله التي خلقوا لاجلها فؤلئك هم الذين عناهم الشافعي بقوله ما أحد أولى بخلقك من الفقهاء وفي رواية ان لم يكن الفقهاء أولياء الله فما لله ولي * قال ابن عباس لو أن

العلماء أخذوا العلم بحقه لاحبهم الله والملائكة والصالحن من عباده ولهاهم الناس
لفضل العلم وشرفه * قال وهب بن منبه ان الفقهاء فيما خلا حملوا العلم فأحسنوا
حملة فاحتاجت اليهم الملوك وأهل الدنيا ورغبوا في علمهم فلما كان بأجرة فشت
علماء فحملوا العلم فلم يحسنوا حملة فطرحوا علمهم على الملوك وأهل الدنيا فاهتضوهم
واحتقروهم * وقال أيضاً كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا
لا يلتفتون الى دنياهم وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم فاصبح أهل العلم
منا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد
زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم (اللهم) فجنبنا طريقة قوم لم
يقوموا بحق العلم وأرادوا به الدنيا وأعرضوا عما لهم به في الآخرة من الدرجة العليا
فلم يهنؤا بجلالوته * ولم يتمتعوا بنضارته * بل خلقت عندهم ديباجته * وورثت حاله *
وعرف مقداره جماعة من السادة فعظموه وبجلوه ووقروه واستغنوا به ورأوه بمد
المعرفة أفضل ما أعطي البشر * واحتقروا في جنبه كل مفتخر * وتولوا (فما آتاني الله
خير مما آتاكم) وكيف لا يكون الامر كذلك والعلم حياة والجهل موت فبينهما
كما بين الحياة والموت * ولقد أحسن من قال

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وان امراء لم يحيى بالعلم ميت وليس له حتى التشور نشور
وقال اسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمر من قرأ القرآن فكأنما أدرجت
النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه ومن قرأ القرآن فرأى ان أحدا من الخلق
أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله *

(فصل) وصح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا
فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) وما أعظم حظ من بذل نفسه وجهدها في
تحصيل العلم حفظا على الناس لما بقي في أيديهم منه فان في هذه الازمنة قد غلب

على أهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع الحريص منهم من علوم القرآن بحفظ سورة ونقل بعض قراءاته وغفل عن علم تفسيره ومآنيه واستنباط أحكامه الشريفة من مبانيه * واقتصر من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ أكثرهم أجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية * ومنهم من قنع بزبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم وبالنقل عن أهل مذهبه وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فاجاب ان معناه : دين مبدل : قال تعالى * (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) ألا ومع هذا يخيل اليه انه من رؤوس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من أجهل الجهل بل بمنزلة قسيس النصراني أو حبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بابتداعهم في الاصول والفروع * وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم « لتركبن سنن من كان قبلكم »^(١) الحديث

﴿ فصل ﴾ والعلم بالاحكام واستنباطها كان أولا حاصلًا للصحابه رضى الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة مجشوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياها غيره * وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها أ كان ذلك فان قال لا قالوا دعه حتى يقع ثم يجتهد فيه * كل ذلك يفعلونه خوفاً من المهجوم على مالا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم من العبادة والجهاد فاذا وقعت المسألة لم يكن بد من النظر فيها * قال الحافظ البيهقي وقد كره بعض السالف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة * وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل أن يقع لان الاجتهاد انما أبيض للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة فلا يقضيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه مالا يمينه »^(٢) وعن طاوس قال قال عمر بن الخطاب رضى الله

(١) وتمامه « شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفلتموه » رواه الحاكم عن ابن عباس

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه قال ابن عبد البر هذا الحديث محفوظ عن الزهرى بهذا الاسناد من رواية الثقات

عنه وهو على المنبر اخرج الله على كل امرئ مسلم سأل عن شيء لم يكن فانه قد بين ماهو كائن . وفي رواية لا يحل لكم أن تسألوا عما لم يكن فانه قد قضى فيما هو كائن **قلت** وهذا معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) الخ وعن عبد الرحمن بن شريح ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها ويفسرها **قلت** إنما يضطر الى الاجتهاد في الاحكام الحكامة ولم يأت الاجتهاد لغير الحكم لحديث معاذ ان لم أجد في كتاب الله تعالى فبسنة رسول الله وان لم أجد في سنة رسول الله اجتهد برأيي لانه كان حاكما وقوله عليه السلام « أقضى بينكم برأيي فيما لم ينزل على فيه شيء » وهو حاكم وكذلك قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرت) كانا حاكمين فلا جهاد بمنزلة الميتة قال الثعلبي والشافعي ولا يحل تناولها الا عند المحمصة والذي ليس بمحامي ويجتهد برأيه فثله كمثل رجل قعد في بيته ويقول انما جاز أكل الميتة لفلان ويجوز أكلها لي أيضا فكذلك لا يجوز لاحد أن يمتنع بقول المجتهد لان المجتهد يخطئ ويصيب فاذا كان شيء محتمل أن يكون صوابا وخطأ فتركه أولى مثل الشبهات من الطعام تركها لها أولى من تناولها (وعن) الصلت بن رشد قال سألت طاووسا عن شيء فقال أكان هذا قلت نعم قال الله الذي لا اله الا هو قلت الله الذي لا اله الا هو قال ان أصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال يا أيها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا وان لم تعجلوا قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من اذا سئل سدد * وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تستمعجوا بالبليّة قبل نزولها فانكم اذا فعلتم ذلك لا يزال منكم من يوفق ويسدد وانكم ان استعجلتم بها قبل نزولها تفرقتم » وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه اشارة الى أن الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة (قلت) بهذا السبب أخذوا سنن اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا اثنتين وسبعين فرقة وحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من أصحاب النار كما شهد للعشرة بانهم من أصحاب الجنة . وقال مسروق سألت أبا بن كعب

عن شيء قال أ كان بعد قلت لا قال فاصبر حتى يكون فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.
وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى أدركت مائة وعشرين من الانصار من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يحدث بحديث الا واد أن أخاه كفاه ايا دولا
يستقي عن شيء الا واد أن أخاه كفاه اياه . وفي رواية يسأل أحدهم المسألة فيردها
هذا الى هذا حتى ترجع الى الاول * ثم بعد الصحابة أراد الله أن يصدق نبيه في
قوله « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة على أمتي قوم يقبسون
الامور برأيهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال » رواه البزار في مسنده عن جبير
ابن نفير عن عوف بن مالك الأشجعي عنه صلى الله عليه وسلم فكثرت الوقائع
والنوازل في التابعين ومن بعدهم واجتهدوا بأرائهم لمن اضطر ومن لم يضطر
ووصلت الى من بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقاسوا واجتهدوا في الحاق غيرها
بها فتضاعفت مسائل الفقه وشككهم ابليس ووسوس في صدورهم * واختلفوا
اختلفا كثيرا من غير تقليد * فقد نهى امانا الشافعي عن تقليده وتقليد غيره
كما سنذكره في فصل وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى
وتعقب بعضهم بعضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وتوجيه الراجح
من أقوال السلف المختلفة بغير هوى ولم يزل الامر على ما وصفت الى أن استقرت
المذاهب المدونة * ثم اشتهرت المذاهب الاربعة وهجر غير هاقصرت همم أتباعهم
الا قليلا منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد لتفسير الرسل حراما بل صارت أقوال
أئمتهم عندهم بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى (اتخذوا أجباهم ورهبانهم
أرباباً من دون الله) فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا
بالرسول حيث قال « يبعث الله في كل مائة سنة من ينفي تحريف الغالين
وانتحال المبطلين » ^(١) وحجروا على رب العالمين مثل اليهود أن لا يبعث بعد

١ - التوبة ٣١

(١) قال المؤلف في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث ما نصه : روى عن

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرسلا ومرفوعا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضى الله عنهم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ولعله هنا نقله بمناه دون لفظه

(م ٤ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرية)

أئمتهم ولياجتهدا حتى آل بهم التعصب الى أن أحدهم اذا أورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويل البعيدة نصرة لمذهبه وقوله ولو وصل ذلك الى امامه الذي يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم وصار اليه وتبرأ من رأيه مستعينا بالله من الشيطان الرجيم وحمد الله على ذلك * ثم تفاقم الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون أن ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه فبدلوا بالطيب خبيثا وبالحق باطلا واشتروا الضلالة بالهدى فما رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين * ثم نبغ قوم آخرون صارت عقيدتهم في الاشتغال بعلوم الاصلين يرون ان الاولى منه الاقتصار على نكت خلافية وضعوها وأشكال منطقية الفوها وقد قال عمر بن الخطاب اتهموا الرأي على الدين * وقال سهل بن حنيف اتقوا الرأي في دينكم * وقال عبد الله بن مسعود * يتحدث قوم يقيسون الامور برأيهم فيهدم الاسلام (قلت) ما عبت الشمس والقمر الا بالرأي ولا قالت النصراني ثالث ثلاثة ولا أن الله هو المسيح ابن مريم ولا اتخذ الله ولدا الا بالرأي * وكذلك كل من عبد شيئا من دون الله انما عبده برأيه فانظر الى قول السامري (وكذلك سولت لى نفسى) وقال عبد الله بن عمر لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الاثر * وروى الشعبي عن عبد الله ابن عمر إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعينتهم الاحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا : وقال الاوزاعي عليك بأثر من سلف وان رفضك الناس وإياك ورأى الرجال وان زخرفوه لك بالقول وقال أيضا اذا بلغك عن رسول الله حديثا فإياك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تبارك وتعالى * وقال أيضا الملم ماجاه عن أصحاب محمد والم يجي عن أصحاب محمد فليس بعلم يعنى مالم يجيء أصله منهم * وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن أصحاب محمد فضمه على رأسك * واذا جاءك عن التابعين فاضرب به أقتنيتهم وقال سفيان الثوري العلم كله بالآثار * وقال ابن المبارك ليكن الذي تعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث * وقال أحمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات فكان أحسن أمر الشافعي عدي انه اذا سمع

الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله * وقال الشعبي القياس كالمينة اذا احتجت اليها
فشأنك بها * قلت ما أحسن قول القائل

تجنب ركوب الرأي فالرأي ريبة عليك بآثار النبي محمد
فمن يركب الآراء يعم عن الهدى ومن يتبع الآثار يهدى وبمحمد
* وقول بعض المغاربة *

لا ترغب عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار
* وقول القائل *

انظر بين الهدى ان كنت ذا نظر فأما العلم مبنى على الاثر
لا ترض غير رسول الله متبعا مادمت تقدر في حكم على خبر
ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم في ان قوله تعالى (فان تنازعتهم
في شيء فردوه الى الله والرسول) تقديره الى قول الله وقول الرسول * فيجبر
جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان أقرب اليه اعتمد صحته وأخذ به * ولذلك
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ردوا الجهالات الى السنة وفي رواية يرد الناس
من الجهالات الى السنة. وهذه كانت طريقة العلماء الاعلام أئمة الدين وهي طريقة
امامنا أبى عبد الله الشافعى ولهذا قال ابن حنبل مامن أحد وضع السكتب حتى
ظهر خطؤه ^(١) اتبع للسنة من الشافعى * ثم ان الشافعى رحمه الله احتاط لنفسه وعلم
ان البشر لا يخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة فصح عنه من غير وجه انه أمر
اذا وجد قوله على مخالفة الحديث الصحيح الذي يصح الاحتجاج به أن يترك قوله
ويؤخذ بالحديث * أنبأنا الفاضل أبو القاسم عن أخبره الحافظ أبو بكر احمد بن
الحسين البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال
سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنته ودعوا ما قلت * وقال صاحب
الشافعى المزني في أول مختصره * اختصرت هذا من علم الشافعى ومن معنى قوله
لا تروبه على من أراد مع اعلامى نهي عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه

ويحتاط فيه لنفسه أى مع اعلامى من أراد علم الشافعى نهى الشافعى عن تقليده
وتقليد غيره* قال الماوردى صاحب الحاوى قوله ويحتاط لنفسه أى كطلب السلف
الصالح يتبعون الصواب حيث كان ويجتهدون فى طلبه وينهون عن التقليد*

﴿فصل﴾ ثم ان المصنفين من أصحابنا المتصفين بالصفات المتقدمة من
الاتكال على نصوص امامهم معتمدون عليها اعتماد الأئمة قبلهم على الاصلين
الكتاب والسنة قد وقع فى مصنفاتهم خلل كثير من وجهين عظيمين (الاول)
أنهم يختلفون كثيرا فيما يقونه من نصوص الشافعى وفيما يصححونه منها وصارت
لهم طرق مختلفة خراسانية وعراقية قبرى هؤلاء ينقلون عن امامهم خلاف ماينقله
هؤلاء والمرجع فى هذا كله الى امام واحد وكتبه مدونة مروية موجودة أفلا كانوا
يرجعون اليها وينقون تصانيفهم من كثرة اختلافهم عليها وأجود تصانيف أصحابنا
من الكتب فيما يتعلق بنصوص الشافعى كتاب التقریب^(١) أتى عليه أخبر
التأخرين بنصوص الشافعى وهو الامام الحافظ أبو بكر البيهقى ﴿الوجه الثانى﴾
مايفعلونه فى الاحاديث النبوية والآثار المروية من كثرة استدلالهم بالاحاديث
الضعيفة على ما يذهبون اليه نصره لقولهم وينقصون من الفاظ الحديث وتارة
يزيدون فيه وما أكثره فى كتب أبى المعالى وصاحبه أبى حامد نحو اذا اختلف
المتبايعان وترادا ومن العجيب ما ذكره صاحب المذهب فى أول باب ازالة النجاسة
قال وأما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لمارأمانفسل ثوبك من الغائط
والبول والمني والدم والقيء ثم ذكر طهارة منى الآدمى ولم يتعرض للجواب عن
هذا الحديث الذى هو حجة خصمه ولم يكن له حاجة الى ذكره أصلا فان الغائط
لا ضرورة الى الاستدلال على نجاسته بهذا الحديث الضعيف المنتهض حجة عليه
فى أمر آخر ومن قبيح ماأتى به بعضهم أن يحتج بخبر ضعيف هو دليل خصمه
عليه فيوردونه معرضين عما كانوا ضمهوه وفى كتاب الحاوي والشامل وغيرهما شئء
كثير من هذا وهم مقلدون لامامهم الشافعى فهلا اتبعوا طريقته فى ترك الاحتجاج

(١) للشيخ الامام قاسم بن محمد الففال الشافعى قال ابن خلكان هو أجل كتب

الشافعية بحيث يستغنى من هو عنده عن غيره اه

بالضعيف وتعقبه على من احتج به وتبين ضعفه * ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط ولو ذكر سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابى وسقط من السند ذكر الصحابي كان مرسلًا ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بلا اسناد أصلاً فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة وأمامهم يري أنه لو سقط من السند الصحابي وحده لم يكن حجة وكذا لو سقط غير الصحابي من السند فليتهم اذ عجزوا عن أساسيد الاحاديث ومعرفة رجالها عزوها الى الكتب التي أخذوها منها ولكنهم لم يأخذوا تلك الاحاديث الا من كتب من سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثل حالهم فبعضهم يأخذه من بعض فيقع التغيير والزيادة والنقصان فيما صح أصله ويختلط الصحيح بالسقيم وهذا كله غير مستقيم بل الواجب في الاستدلال على الاحكام وبيان الحلال والحرام ان من يستدل بحديث يذكر مستنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به أو يعزوه الى كتاب مشهور من كتب أهل الحديث المعتبرة فيرجع من يطلب صحة الحديث وسقمه الى ذلك الكتاب وينظر في سنده ومقال ذلك المصنف أو غيره فيه * وقد يسر الله تعالى وله الحمد الوقوف على ما يثبت من الاحاديث وتجنب ما ضعف منها بما جمعه علماء الحديث في كتبهم من الجوامع والمسائيد فالجوامع هي المرتبة على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك فمنها ما اشترط فيه الصحة اذ لا يذكر فيه الاحاديث صحيح على ما شرطه مصنفه ككتابي البخاري ومسلم وما ألحق بهما واستدرك عليهما وكصحيح امام الأئمة محمد بن اسحق بن خزيمة وكتاب أبي عيسى الترمذي وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن والغريب والضعيف وفيه عن الأئمة فقه كثير * ثم سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه ومن بعدهم سنن أبي الحسن الدارقطني والتقاسيم لابن حاتم بن حبان وغيرهما * ثم مارتبه وجمه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه الكبير من الاوسط والصغير التي أتى بها على ترتيب مختصر المزني وقربها الى الفقهاء بجهد فلاح عذر لهم ولا سيما الشافعية منهم في تجنب الاشتغال بهذه الكتب النفيسة المصنفة في شروحا وغريبها بل أفنوا زمانهم وعمرهم بالنظر في أقوال من سبقهم من المتأخرين

وتركوا النظر في نصوص نبيهم المعصوم من الخطأ وآثار أصحابه الذين شهدوا الوحي وعابنوا المصطفى صلى الله عليه وسلم وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم بقرائن الاحوال اذ ليس الخبر كالمعاينة فلا جرم لو حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين * وقد كانت العلماء في الصدر الاول معذورين في ترك ما لم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث لم تكن حينئذ فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من أفواه الرجال وهم متفرقون في البلاد ولو كان الشافعي وجد في زمانه كتابا في أحكام السنن أكبر من الموطأ لحفظه مضافا الى ما تلقاه من أفواه مشايخه فلماذا كان الشافعي بالمرات يقول لاحمد بن حنبل أعلموني بالحديث الصحيح أصر اليه * وفي رواية اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا حتى اذهب اليه * ثم جمع الحفاظ الاحاديث المخرج بها في الكتب ونوعها وقسموها وسهلوا الطريق اليها فبوجوبها وترجموها وبيّنوا ضعف كثير منها وصحته وتكلموا في عدالة الرجال وجرح الجروح منهم وفي حال الاحاديث ولم يدعوا للمشتغل شيئا يتأمل به * وفسروا القرآن والحديث وتكلموا على غريبها وقهها وكل ما يتعلق بها من مصنفات عديدة جليلة فالآلات متبينة لطالب صادق ولذي همة وذكاء وفطنة * وأئمة الحديث هم المعتبرون القدوة في قيمهم فوجب الرجوع اليهم في ذلك وعرض آراء الفقهاء على السنن والآثار الصحيحة فما ساعده الاثر فهو المعتبر والا فلا يبطل الخبر بالرأي ولا نضمه ان كان على خلاف وجوه الضعف من علل الحديث المعروفة عند أهله أو باجماع الكافة على خلافه فقد يظهر ضعف الحديث وقد يخفى وأقرب ما يؤمر به في ذلك انك متى رأيت حديثا خارجا عن دواوين الاسلام كالموطأ ومسنده أحمد والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره فانظر فيه فان كان له نظير في الصحاح والحسان قرب أمره * وان رأيت شيئا يباين الاصول وارتبت به فتأمل رجال اسناده واعتبر أحوالهم من الكتب المصنفة في ذلك وأصعب الاحوال أن يكون رجال الاسناد كلهم ثقافتا ويكون متن الحديث موضوعا عليهم أو مقلوبا أو قد جرى فيه تدليس ولا يعرف هذا الا النقاد من علماء الحديث فان كنت من أهله فيها والا فاسأل عنه أهله * قال الاوزاعي كنا نسمع

الحديث فعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه أخذناه وما أنكروا تركناه * فالتوصل الى الاجتهاد بعد جمع السنن في الكتب المعتمدة اذا رزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان أسهل منه قبل ذلك لولا قلة همم المتأخرين وعدم المتبرين ومن أكبر أسباب تعصبهم تقيدهم برفق الوقوف وجمود أكثر المتصدرين منهم على ما هو المعروف الذي هو منكر مألوف *

﴿ فصل ﴾ فاذا ظهر هذا وقرر تبين ان التعصب المذهب الامام المقلد ليس هو باتباع أقواله كلها كيفما كانت بل الجمع بينهما وبين ما ثبت من الاخبار والآثار والامر عند المقلدين أو أكثرهم بخلاف هذا انما هم يؤولونه تنزيلا على نص امامهم ثم الشافعيون كانوا أولى بما ذكرناه لنص امامهم على ترك قوله اذا ظفر بحديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافه فالتعصب له على الحقيقة انما هو امتثال أمره في ذلك وسلوك طريقته في قبول الاخبار والبحث عنها والتفقه فيها وقد قلت ماروى عنه في ترجمته في تاريخ دمشق قال الربيع قال الشافعي قد أعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لا تدع لرسول الله حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله سنة صح الخبر فيها عند أهل النقل بخلاف ما قلت فتعمل بما قلت لك في الاحاديث اذا اختلفت * وفي رواية اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي فخذوا السنة ودعوا قولي فاني أقول بها * وفي رواية اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله دعوا ما قلت * وفي رواية كل مسألة تكلمت فيها بخلاف السنة فانا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي * قال وسمعت الشافعي يقول وروى حديثا قال له رجل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال ومتى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم ان عقلي قد ذهب وأشار بيده الى رأسه : وفي رواية روى حديثا فقال له قائل أتأخذ به فقال له أتراني مشركا أو ترى في وسطى زنارا أو تتراني خارجا من كنيسة نعم آخذ به آخذ به آخذ به وذلك الفرض على كل مسلم * وقال حرمة (قال الشافعي) كل ما قلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني * وفي كتاب ابن أبي حاتم عن أبي ثور قال سمعت الشافعي

يقول • كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعه مني •
 وفيه عن الحسين الكرايسي قال قال لنا الشافعي ان أصبتم الحججة في الطريق
 مطروحة فاحكوها عنى فاني القائل بها ^(١) وقال الربيع سمعت الشافعي يقول
 ما من أحد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمزب عنه
 فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خلاف ما قلت فاقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي : قال وجعل
 يردد هذا الكلام قال وقال الشافعي من تبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وافقته ومن غلط فتر كما خالفته صاحبي اللانزم الذي لا أفارقه الثابت عن رسول الله •
 وقال الزعفراني كنا لو قيل لنا میان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا مأخوذ وهذا غير مأخوذ حتى قدم علينا
 الشافعي فقال ما هذا اذا صح الحديث عن رسول الله فهو مأخوذ به لا يترك لقول
 غيره قال فنبهنا لشيء لم نعرفه يعنى نبهنا لهذا المعنى • قال أبو بكر الا نرؤم كنا
 عند البويطى فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحته من كتابه وجعله
 ضربة وقال هكذا أو صانا صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي قال المؤلف •
 قلت هذا من البويطى فعل حسن موافق للسنة ولما أمر به امامه • وأما الذين
 يظهرن التعصب لاقوال الشافعي كيف كانت وان جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين
 في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا ما أمر به امامهم بل دأبهم ودينتهم اذا ورد عليهم الحديث
 الصحيح الذي هو مذهب امامهم والذي لو وقف عليه لقال به أن يمتثلوا في دفعه
 بما لا ينفعهم لما نقل لهم عن امامهم من قول قد أمر بتركه عند وجدان ما يخالفه
 من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله •
 والمعجب ان منهم من يستجيز مخالفة نص الشافعي لنص له آخر في مسألة أخرى
 بخلافه ثم لا يرون مخالفته لاجل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن
 لهم الشافعي في هذا • قال البويطى سمعت الشافعي يقول لقد أفت هذه الكتب
 ولم آل فيها جهداً ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لان الله تعالى يقول (ولو كان من

(١) يشير الى قول: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فما وجدتم في كتبني هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه • وفي رواية أبي ألفت هذه الكتب مجتهداً بنحو ما قبله وفي آخره فاشهدوا علي أني راجع عن قولي إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بليت في قبري • وقال ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا يقول إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه • وذلك الظن بجميع الأئمة وقد كره الامام أحمد أن يكتب فتاويه وكان يقول لا تكتبوا عني شيئا ولا تقلدوني ولا تقلدوا فلانا وفلانا وخذوا من حيث أخذوا • وقال بعضهم لا تقلدوا دينكم الرجال ان آمنوا آمنتم وان كفروا كفرتم وكان أحمد لا يفتي في طلاق السكران شيئا ويقول ان أحلناه بقول هذا حرمناه بقول هذا • وقال نعيم بن حماد سمعت أبا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال • وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة انه قال أقلد من كان من القضاة من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي والمبادة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر وفي رواية أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر : أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب : فقيل له في ذلك فقال أما أنس فاختلف في آخر عمره وكان يفتي من عقله وأنا لأأقلد عقله • وأما أبو هريرة فكان يروى كل ماسمعه من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف النسخ والمنسوخ (١)

(١) قال في مرآة الوصول وشرحها مرآة الاصول - من أصول الحنفية رحمهم الله في بحث حال الراوي . وهو ان عرف بالرواية فان كان فقيها تقبل منه الرواية مطلقا سواء وافق القياس أو خالفه وان لم يكن فقيها كابي هريرة وأنس رضي الله عنهما فتزد روايته ان لم يوافق الحديث الذي رواه قياسا انتهى بحروفه • ولا ين القيم في اعلام الموقعين بحث كبير في أنه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس فراجعهم • لم يذ كر السبب المانع من أخذه عن سمرة ابن جندب قال الامام تقي الدين ابن السبكي وزعمهم ان أبا هريرة ليس بفقير كلام تقشعر منه الجلود بل هو فقيه كبير

وقال ابن المبارك سمعت أبا حنيفة يقول إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس وإذا جاء عن أصحابه نختار من قولهم وإذا جاء عن التابعين زاحناهم • وفي رواية قال آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله فان لم أجد في كتاب الله وسنة رسول الله آخذ بقول أصحابه ثم آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فأما إذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وعد رجالا من التابعين قوم اجتهدوا وأنا أجتهد كما اجتهدوا • قال سفیان الثوري لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة تهم رأينا لربهم وكان سوى بين الصحابة والتابعين في أنهم إذا أجمعوا في مسألة على قولين مثلا لم يميز احداث قول ثالث وجوز أبو حنيفة ذلك وأماما أجمع عليه الصحابة فلا كلام في انه لا يجوز مخالفته وقد وضع لك من أقوال الأئمة انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجب المصير الى ما دل عليه الظاهر مالم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذي لا يسمع أحداً غيره قال الله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ففي سبحانه الايمان عن لم يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه وقال عز وجل (وان طيعوه تهتدوا) فضمن الهداية سبحانه في طاعة رسوله ولم يضمنها في طاعة غيره وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) وأردع على مخالفته فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال تعالى (وما كان يؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضللا ميثنا) قال يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفیان بن هيينة عن أبي نجيح عن مجاهد قال ليس من أحد الا يؤخذ من قوله ويتحرك الا النبي صلى الله عليه وسلم • وروى أيضا عن مجاهد بإسناد آخر وروى معناه عن الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عتيبة وروى عن مالك بن أنس انه قال الا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم •

١ - النساء ٦٥

٢ - التور ٥٤

٣ - الأحزاب ٧١

٤ - الأحزاب ٣٦

﴿ فصل ﴾ كان العلماء من قدماء أصحابنا يعنون بمختصر المزني وسببه سهل تصحيح مذهب الشافعي على طلابه في ذلك الزمان وسمعه عن المزني خلق عظيم من الغرباء ورحل اليه بسببه وامتلات بنسخه البلدان حتى انه بلغني ان المرأة كانت اذا جهزت للدخول على زوجها حمل في جهازها مصحف ونسخة مختصر المزني * ويروي عن المزني انه قال بقيت في تصنيف هذا المختصر ست عشرة سنة وما صليت لله فريضة ولا نافلة الا سألت الله البركة لمن تعلمه ونظر فيه * وكان أبو العباس ابن سريج يقول في المختصر

لصيق فؤادي مذ ثلاثين حجة وصيقل ذهني والمفرج عن همي

عزيز على مثلي اضاعة مثله لما فيه من نسج بديع ومن نظم

وعلى ترتيبه وضعت الكتب المطولة في مذهب الشافعي * قال الحافظ البيهقي قايلت بتوفيق الله أقوال كل أحد من الأئمة بمبلغ علمي من كتاب الله ثم ماجمعت من السنن والآثار في الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام فوجدت الشافعي أكثرهم اتباعا وأقوامهم احتجاجا وأصحهم قياسا وأوضحهم ارشادا وذلك فيما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الاصول والفروع بأبين بيان وأفصح لسان (قلت) ثم اشتهر في آخر الزمان على مذهب الشافعي تصانيف الشيخين أبي اسحق الشيرازي وأبي حامد الغزالي فأكب الناس على الاشتغال بها وكثر المنصبون لها حتى صار المتبحر المرتفع عند نفسه يرى أن نصوصهما كنصوص الكتاب والسنة لا يرى الخروج عنها وان أخبر بنصوص غيرهما من أئمة مذهبه بخلاف ذلك لم يلتفت اليها وقد يقع في بعض مصنفاتهما ما قد خالف المؤلف فيه صريح حديث صحيح أو ساق حديثا على خلاف لفظه أو نقل اجماعا أو حكما عن مذهب بعض الأئمة وليس كذلك فان ذكر لذلك المنصب الصواب في مثل ذلك نادى وصاح وزجر وأخى العداوة وكان سبيله أن يفرح بوضوئه الى ما لم يكن يعرفه ولكن عى التقليد أصمه عن سماع العلم المفيد يقول المتحدلق منهم المتصدر في منصب لا يستحقه أما كان هؤلاء الأئمة يعرفون هذا الحديث الصحيح الوارد على خلاف نصهم فيرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الهذيان

الذي لو فكر فيه أسكته عنه لان خصمه في مثل هذا هو الله ورسوله لان الله تعالى افترض علينا طاعة رسوله فقد وصلنا الى حديثه فلا نرده بقول أحد * ثم إن في ذلك ابطالا لمذهبه وهدما لاصله الذي مهده امامه وأسنه وذلك ان الشافعي إنما تعصب على من كان قبله من الأئمة بمثل ذلك من دلالات الكتاب والسنة مما ظنه خفي على من سبقه وكان من الممكن أن يقال له أما كان أو أئمتك يعرفون هذا وأولئك المتقدمون أولى بذلك من المتأخرين فلو سمع مثل هذا الهذيان لبطلت المذاهب بل ينبغي للطالب أن يكون أبدا في طلب ازدياد علم ما لم يعلمه من أي شخص كان فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وعليه الانصاف وترك التقليد واتباع الدليل فكل أحد بخطيء ويصيب الا من شهدت له الشريعة بالعصمة وهو النبي صلي الله عليه وسلم * قال الشافعي في كتاب اختلاف الحديث حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله بن عمران عن عمر بن الخطاب نهى عن التطيب قبل زيارة البيت وبعد الحجرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله أحق قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر في امامته وقبل قول عائشة وسنة رسول الله أحق وذلك الذي يجب عليه (قلت) وما زال أكابر الصحابة مثل أبي بكر الصديق ومن بعده يخفي عليهم شيء من السنة كبريات الجدة وتوريث المرأة من دية زوجها ووضع اليدين على الركبتين في الصلاة خفي الاول على أبي بكر والثاني على عمر والثالث على ابن مسعود حتى نبههم على ذلك غيرهم ولذلك أمثلة كثيرة (ومن العجب) ان كثيرا منهم اذا ورد على مذهبه أثر عن بعض أكابر الصحابة يقول مبادرا بلا حياء ولا حشمة مذهب الشافعي الجديد ان قول الصحابي ليس بحجة ويرد قول أبي بكر وعمر ولا يرد قول أبي اسحق والغزالي ومع هذا يرون مصنفات أبي اسحق وغيره مشحونة بتخطئة المزني وغيره من الاكابر فيما خالفوا فيه مذهبهم فلا تراهم ينكرون شيئا من هذا فان اتفق أنهم سمعوا أحدا يقول أخطأ الشيخ أبو اسحق في كذا بدليل كذا وكذا ازرعجوا وغضبوا ويرون أنه ارتكب كبيرا من الاثم فان كان الامر كما ذكره واقلامه الذي ارتكبه أبو اسحاق

أعظم فما بالهم لا ينكرون ذلك ولا يفضون منه لولا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم
بمراتب السلف

﴿ فصل ﴾ قد تقدم ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما وذلك أنه كان اعتماداً
على كتاب الله وسنة رسوله والنظر الصحيح من الاجتهاد الراجع الى الكتاب
والسنة وترجيح أشبه المذاهب بالكتاب والسنة وهذا هو الاصل الصحيح القوي
الذي يتم البناء عليه الا أنه قد يعرض له ما يعرض لغيره من البشر من ليس بمعصوم من الغفلة
والنسيان فاحالتنا تصريح قوله على أن ما يصح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
فهو مذهبه فلم يترك لعائب عيباً ولا لمنتقد من حساده انتقاداً فرضى الله عنه *
ولهذا قال بعض العلماء لولا الشافعي لغير أصحاب الرأي ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم *

﴿ فصل ﴾ هذه الفصول التي ذكرناها حسنة كثيرة الفوائد مجموعة من
عدة مصنفات ينبغي لكل من يعنى بالعلم النظر فيها والاطلاع عليها وقد رأيت
ان أختها بفصل هو أهمها وأجلها وأعمها ففما وأولها ذكرها وهو ما اعتنى ببيانه
الامام أبو حامد رحمه الله في كتاب الاحياء من نصح أهل العلم وبيان العلوم النافعة
والتحذير من العلوم البضارة حيث قال (أدلة الطريق هم العلماء الذين هم وورثة
الانبياء وقد شغل عنهم الزمان ولم يبق الا المترسون وقد استحوذ عليهم الشيطان
واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يري المرفوف
منكراً والمنكر مرفوفاً حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار المهدي في أقطار الارض
منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق انه لا علم الا فتوي حكومة يستعين بها القضاة على
فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدفع به طالب المباهاة الى الغلبة
والاخم أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى
هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشكة للحطام * فاما علم طريق الآخرة وما درج
عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه قهها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية
ورشدا فقد أصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا) ثم أتى على علم المعاملة
وقال (هو علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضاء والزهد

والتقوى والتناعة والسخاء وحسن الخلق والصدق والاخلاص وما يندم كالفل
والحقد والحسد والغش والكبر والرياء والبخل والتزین للخلق والمداهنة والخيانة
وطول الامل والقسوة وقلة الحياء وقلة الرحمة * فهذه وأمثالها من صفات القاب
مفارس الفواحش والاخلاق المحمودة منبع الطاعات) الى أن قال (ولا ينبغي أن
يفتر الانسان بقول سفیان تعلمنا العلم لغير الله فإني أن يكون الا لله وكان
علمهم علم الكتاب والسنة وان القهاء يتعلمون لغير الله لان ما يشتغلون به غير
• أمورين به • وانظر الى أعمار الاكثرين منهم واعتبرهم فانهم ماتوا وهم هلكت
على طلب الدنيا وليس الخبر كالمدينة) وقال أبو سليمان الخطابي دع الراغبين في
صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال * اخوان العلانية أعداء السر
اذا لقوك تملقوا لك واذا غابت عنهم سلقوك * من اتاك منهم كان عليك رقيباً واذا
خرج كان عليك خطيباً • أهل نفاق وغميمة وغل وحقد وخديعة • ولا تقتر باجماعهم
عليك فإ غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلماً الى أوطانهم وجمارا الى
حاجاتهم ان قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد الأعداء عليك • ثم يمدون
تردهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا عليك ويمرضونك أن تبذل عرضك
ودينك وجاهك لهم فتعاديهم وتنصر قريبتهم وخدامهم ووليتهم • وتنهض لهم
سفيها وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا •
ولذلك قيل (اهتزال العامة مروءة تامة) •

(قال المصنف) وقد رأيت أن أخته من عبارات أهل المعرفة والتقوي
العاملين بالعلم الذي يورث الخوف والهيبه والخشوع والزهد في الدنيا • روي
عن عبد الله بن حنيف الانطاكى وهو أحد السادة العباد • قال سألت يوسف
ابن أسباط هل مع حذيفة المرعشي علم قال معه العلم الا كبر خوف الله • وذكر
في مجلس أحمد بن حنبل معروف الكرخى وقال بعض من حضر هو قليل العلم
قتال أحمد وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف • وقال عبد الله بن أحمد
ابن حنبل ذهب أبي ويحيى بن معين الى معروف قتال ابن معين أيش
لمنى في سجدتي السهو في الصلاة قتال معروف شرعنا عقوبه للقلب اذا سها

وهو بين يدي الله فقال له أبي يا أباز كريا هذا من علمك هذا في كتبك أو كتب أصحابك * وقال الجنيد بن محمد أتدرون ما فرض الصلاة قطع الملائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله تعالى * قيل له كيف تسخل في الصلاة قال بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر في ترسيل * وقال أبو حاتم محمد بن ادريس الرازي دخلت دمشق على كتبة الحديث فررت بحلقة قاسم الجرعي فرأيت نفرا جلوسا حوله وهو يتكلم عليهم فها لي منظر ثم فنقدت اليهم فسمعتهم يقول * اغتنموا من أهل زمانكم خمسا * ان حضرتكم لم تعرفوا وان غبتم لم تفقدوا وان شهدتم لم تشاوروا وان قلم شينا لم يقبل قولكم وان علمت شينا لم تعطوا به وأوصيكم بخمس أيضا ان ظلمتم لا تظلموا وان مدحتم لا تفرحوا وان ذمتم لا تجزعوا وان كذبتهم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا * قال فجعلت هذا فائدتي من دمشق ﴿ قال المصنف ﴾ رحمه الله تعالى * فهذا وأمثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون الله تعالى بطلب العلم النافع جعلنا الله منهم بمنه وفضله وكرمه ووقفنا لسلوك في منهاجهم برحمته واحسانه والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا وولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين *

﴿ تمت الرسالة الثانية بحمد الله تعالى ويتلوها الثالثة بعون الله تعالى وتوفيقه ﴾



الرسالة الثالثة

✽ استخراج الجدال من القرآن الكريم ✽

(تصنيف الشيخ الامام ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن الانصارى)

المعروف بابن الحنبلى المتوفى سنة ٦٣٤ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يسروا عنى يا كريم

قال الشيخ الامام ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب
الانصارى بن الحنبلى * الحمد لله الحاوى كتابه أنواع العلوم * الدال أمره على
الموجود والمعدوم * المشرف خطابه لذوى العقول والحلوم * الضارب الامثال لارباب
الالباب والفهوم * القاضى بالحق والفاصل بين الظالم والمظلوم يوم اجتمع الخصوم *
يبرم الامور بقضاء محتوم * منزل الماء بقدر معلوم * ومعلم الانسان البيان فى الامر
المظنون والحكم المجزوم * شارع السبيل المأمون من الكتاب المصون على لسان
النبي المصوم * أحمده حمدا غير مبغوض ولا مهضوم * وأؤمن به إيمانا غير مظنون ولا
موهوم * وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقي حر نار السموم *
وتقبيء بتكفير ذنب المأثوم * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الحاكم بشرته على
كل حاكم من البرية ومحكوم * المفضل جسمه على كل مفرد من الخلق وملموم *
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لا تحصى فضائلهم بمنثور ولا منظوم * ولا
تجهل ما نرجم الى يوم الوقت المعلوم *

✽ وبعد ✽ فان الفقهاء رضى الله عنهم أرباب النظر والمحريين أدلة المبرقد ألقوا
فى مذاهب الجدال ما يتضمن تحرير الاستدلال وتقرير الجواب والسؤال الا أن

الأمر الاصطلاحي منقوض بمثله وربما نسخ اصطلاحاً اصطلاحاً بوعره عند قوم أو بسهله . والمذهب الذى يرسخ ولا ينسخ ويملو فرعه ويشخ ما كان مجناه من حبات القلوب * وسقيه من الشراب الطهور المتقى من العيوب * الكاشف لاسرار الغيوب * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * وقد استخرت الله تعالى فى استنباط طريق من طريقه * واسكان بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه * وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية أبواب * لكل باب فضل فى فصل الخطاب * ولكنه وقف على ذوى العلوم والالباب * ومشارع هذه الابواب من الكتاب المعصوم من الزلل والارتياب *

(الباب الاول) فى ذكر الجدل فى الكتاب العزيز والمدوح منه والمنموم (الباب الثانى) أول من سن الجدل (الباب الثالث) جدال الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه للامم (الباب الرابع) ذكر الادلة وأنواعها على وجود الصانع سبحانه (الباب الخامس) ذكر الادلة على أنه واحد (الباب السادس) ذكر أدلة البعث (الباب السابع) ذكر الادلة على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن العزيز (الباب الثامن) فى السؤال والجواب ونكت من الجدل فهذه ثمانية أبواب * وعلى توفيق الله سبحانه وتعالى الاحالة بالصواب *

﴿الباب الاول فى ذكر الجدل والحجة﴾

لأعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها فى كتابه العزيز فى تسعة وعشرين موضعاً - ولفظة الحججة وما تصرف منها فى سبعة وعشرين موضعاً ولفظة السلطان أيضاً فى ثلاثة وثلاثين موضعاً الجميع المراد به الحججة سوى موضع واحد فى الحاقة * هلك عنى سلطانيه * وقيل المراد به الحججة فأما الجدل فهو منموم فى كل موضع ذكر الا فى ثلاثة مواضع (أحدها) فى النحل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (الموضع الثانى) فى المنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) (الموضع الثالث) فى المجادلة

١ - النحل ١٢٥

٢ - المنكبوت ٤٦

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)^١ وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الانصارية كانت تحت زوجها أوس بن الصامت والقصة مشهورة فيما قوله سبحانه (وجادلهم بالتي هي أحسن)^٢ فيحتمل أن يكون المراد بالاحسن الاظهر من الأدلة . ويحتمل التعجيز عن الاتيان بمثل القرآن لأنه أحسن الأدلة نظاما وبيانا وأكملها حسنا واحسانا وأرجحها من الثواب ميزانا، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفها وبرهانها * ويحتمل الاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها . ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكد وهي سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة والمجادلة . من ذلك لما قالوا لمحمد ﷺ مجنون قال (وما منى السوء)^٣ أي جنون من غير ان يقابلهم على ذلك بقول خشن من النخوة العريية والعزة الهاشمية وقالوا لنوح عليه السلام (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين . قال رب انصرني بما كذبون)^٤ وقالوا له (إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين)^٥ وقالوا لصالح (إن هو إلا رجل افتري على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون)^٦ وقالوا لهود (إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول . من رب العالمين)^٧ فلوقابلهم الأنبياء بغلظة لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التسديد لما قالوا والتدبر لما جاؤا به من البيئات فلم تنضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة وشاهد هذه الحالة قوله تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم)^٨ *

الباب الثاني

أول من سن الجدل الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا (أتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وتقديس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) وهذا منهم استدلال بالترجيح والاولوية أي من سبح وتقديس لك هو أولى بالايجاد والجمل فيه امن يفسد فيها ويسفك الدماء وكان جواب الله لهم بالترجيح أيضا من جهة أخرى ولهذا لم يرد عليهم قولهم اذ قد علم سبحانه أن الذي ظنوه

١ - المجادلة ١

٢ - النحل ١٢٥

٣ - الاعراف ١٨٨

٤ - المؤمنون ٢٥ - ٢٦

٥ - الاعراف ٦٠ - ٦١

٦ - المؤمنون ٢٨ - ٢٩

٧ - الاعراف ٦٦ - ٦٧

٨ - البقرة ٢٠٦

٩ - البقرة ٢٠

فيهم ووصفهم به كائن بل عدل الله سبحانه الى أمر مجمل فقال (انى أعلم مالا نعلمون) من ترتيب خلقى وتدبير صنعى المحوط بالحكمة الدال على القدرة فانى خلقت الملائكة من نور لا ظلمة فيه فكان منهم الخير المحض بارادتي وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم وهو المارج فكان منهم الشر المحض بارادتي وخلقت آدم وذريته من نور وظلمة فكان منهم الخير والشر بارادتي ووضعت فيهم عقلا يرشد الى المصالح ونفسا ميالة الى الهوى المؤذى وأمددت الفريقين بمجندين يسوقان العقل والنفس الى ماسبق من التقدير الناشئ عن علم التدبير وكان حكى في هذين الفريقين أن من غلب عقله على هواه فهو من الناجين ومن غلب هواه على عقله فهو من المالكين وهذا ما اشتمل عليه قوله تعالى (لانى أعلم مالا تعلمون) وما اشتمل عليه (انى أعلم مالا تعلمون) ان اختلاف الصنائع أول دليل على قدرة الصانع وما اشتمل عليه (انى أعلم مالا تعلمون) انى ركب فيهم من الشهوة ما لور كبتهم فيكم لفتنهم فلمهم أولم تطيقوا صبرهم على أنهم قد أحبوني محبة بدلوا فيها أبدانهم للتعزيز ودماءهم للاراقة وأرواحهم للذهاب ومنهم الصابرون على أنواع المكارة والصائمون فى المواجه والمابدون على ضعف القوى . والناهون نفوسهم مع قوة الهوى ويرون ذلك المرحوا فى رضاي وتسايما لقضائى وقدرى يسابق كل ولى منهم بالعبادة أجله يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة فظهرت حكمة الله عز وجل فى خلقهم ورجعت حجة الله سبحانه على الملائكة فى قدحهم *

فأما ابليس فهو أول من أظهر الخلاف وركب العناد وسار به فى البلاد . والفرق بينه وبين الملائكة أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان بل طلبوا بسؤالهم الايضاح والبيان . وابلis ألقى ودل فى مسألته فاقطع فى مجادلته وخسر فى كراته وبيان فساد تطلبه . وازاغته عن الصواب فى تأويله . أنه قال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) ومعناه أن النار جوهر لطيف شفاف له قوة الاشراق وسلطان الاحراق . والطين جسم مظلم كثيف . ليس باللطيف ولا الخفيف . والسجود خدمة ينضمّن تعظيم المسجود له والاولى بها الاعلى منهما هذا منتهى كلامه ومضمون قوله وهو مردود عليه من وجوه * منها أنه عارض النص بالقياس

وهو فساد في الاعتبار وعدم استنباط لان العمل بالنص مقدم على القياس لان سهام القياس تصيب مرة وتخطئ أخرى . وكلام المصوم المنزه عن الغلط والزلل لا يخطئ * ومنها أن الماء والتراب والهواء والنار أصول الاجسام ومواد المركبات فلا يقوم جسم الا باجماعها واذا كانت متكافئة في التأثير فاختصاص أحدها بالفضلية لا دليل عليه * ومنها أن الطين اشتمل على أصلين من الاصول الاربعة وهما الماء والتراب فكيف يكون أصل واحد خيرا من أصلين متكافئين . وعلى تقدير تسليم التفاضل فالله أفضل لان سلطانه يقهر سلطان النار اذا التقيا * ومنها على تقدير صحة قيامه فالترجيح للسجود من وجهين (أحدهما) أن مصلحة امتثال الامر راجحة على الامتناع لان امتثال الامر أمن من العقاب المرتب على المخالفة (الوجه الثاني) أن الامتناع من السجود بهذا التعليل المذكور من جهته يلزم منه تخطئة الامر ونسبته الى وضع الشيء في غير موضعه وذلك في غاية الجناية على الآله الحكيم . وقد قال بعض المتكلمين ان كل شبهة وقعت في الملل فاصلها من شبهة ابليس * قال المصنف بل هي شبهة واحدة مطردة في كل مذهب فاسد وقد ذكرنا ذلك في كتاب البروق *

وأما الخجة فهي عبارة عن دليل الدعوي وقد تطلق على الشبهة أيضا لانها مستند المخالفة . قال الله تعالى (حجنتهم داخضة عند ربهم) وقال تعالى (لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله تعالى (فله الحجة البالغة) أي الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض وذلك قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وقد قيل في قوله تعالى إخبارا عن ابليس (وما كان لي عليكم من سلطان) أي حجة وإنما غرهم بالشبهة فالحجة حقيقة في الدليل مجاز في الشبهة *

— الباب الثالث —

في جدال الانبياء عليهم الصلاة والسلام للامم أولهم جدال نوح عليه السلام قال (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم

١ - الشورى ١٦

٢ - النساء ١٦٥

٣ - الأنعام ١٤٩

٤ - الأنعام ٨٣

٥ - إبراهيم ٢٢

أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا (وقال تعالى) ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين (أجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى فقال (يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) الى هنا هي الحجة العظمى وهذه الحجة العظمى هي التي أضافها الله عز وجل الى نفسه في قوله (وتلك حججتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وقد أشبعنا القول فيها في كتاب الحجة العظمى (قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين)

جدال ابراهيم وحقايقه وله ثلاث مقامات الاول مع نفسه . الثاني مع أبيه . الثالث مع نمرود وقومه ﴿ الاول ﴾ رأى كوكبا قال هذا ربي الى آخر القصة . وجه استدلاله أنه رأى انارة الكوكب وحسنه وعلومكانه ولم ير قبله مثله فقال هذا ربي بناء على أن الرب لا ينبغي أن يكون له مثل فلما أفل أدرك تقصه وعيبه لان الافول تغير والتغير حدوث والكامل لا يجوز عليه الحدوث لانه صانع الحدوث وطرذا القياس في الانبات والنفي على باقي الكواكب بالاعتبار الاول ومن حيث علم انها مكونة مصنوعة علم انها لا بد لها من صانع هو أكل منها فقال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) ليدخل في ذلك الكواكب التي اعترضته في طريق الاستدلال ﴿ المقام الثاني ﴾ مع أبيه ﴿ قال الله تعالى (واذا كرفى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لايه يا أبت لم تعبدوا الا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت انى قد جاني من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أرأغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجنك واهجرنى مليا) فكان جواب أبيه جواب جاهل لانه قابله على نصحه له بالرجم والهجر أشبه جواب قومه (وما كان جواب قومه الا أن قالوا حرّوه وانصروا آلهتكم) ﴿ المقام الثالث ﴾ مع النمرود وقومه وهو

- ١ - نوح ١٠ - ٢٠
٢ - هود ٢٥ - ٢٧
٣ - هود ٦٣
٤ - الأنعام ٨٣
٥ - هود ٢٢
٦ - الأنعام ٧٩
٧ - مريم ٤١ - ٤٦
٨ - الأنبياء ٦٨

قوله تعالى (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحبى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) فالصادر من خصمه معارضة الا أنها فاسدة لان حقيقة الاحياء والامانة التى فسرها خصمه غير الذي قصده ابراهيم فلا يخلو حال مرور اما أن يكون ما فهم حقيقة الاحياء والامانة أوفهم الا أنه قصد المصادمة والمباهنة وكلاهما يوجب العدول الى دليل يفضح معارضته ويقطع حججه ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال الى دليل آخر أقرب الى الفهم وأفلج للحجة وسيأتى نظيره فى قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى (وحاجه قومه قال أتجاجونى فى الله وقد هدانى) وذكر الحجة العظمى فقال وكيف أخاف الى قوله (فأى الفريقين أحق بالامن) وقد شرحنا هذا فى كتاب الحجة العظمى * فان قيل ما الحكمة انه جادل الملك بالاحياء والامانة والاثنين بالشمس من المشرق وكل ذلك يمكن دعوى المعارضة له والى كلام عليه ولم يدعه بالحجة العظمى وجادل قومه بالحجة العظمى فاجاب أن الملك كان يدعى الربوبية فلا يقال انه لا يخلو اما أن يكون لنا إله أو لا بخلاف حال قومه فانهم لم يدعوا ربوبية * جادل موسى عليه السلام * قال الله سبحانه (فأتيا فرعون قولا إنا رسول رب العالمين) الى أن قال سبحانه (قال فرعون وما رب العالمين قل رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت لها غيري لاجملنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فأتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) والاشارة الى وجه الدلالة من ذلك ان فرعون لما قال (وما رب العالمين) علم موسى أنه سؤال عن ماهية رب العالمين ورب العالمين لا ماهية له لانه الاول فلا شيء قبله فيكون منه بل هو مكون ما تتكون الاشياء منه فلم يشتغل موسى برسؤاله ببيان فساده وكان المقصود تعريف الرب جل وعلا بصفته فقال (رب السموات والارض وما

١ - البقرة ٢٥٨

٢ - الأنعام ٨٠

٣ - الأنعام ٨١

٤ - الشعراء ١٦

٥ - الشعراء ٢٢

بينهما) فحصر الكائنات في ثلاث كلمات فلما قال (ألا تستمعون قال ربكم ورب آباءكم الاولين) ردا على فرعون قوله (أنار بكم الاعلى) فلما قال (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أردف ماذكر بشاهدين آخرين فقال (رب المشرق والمغرب وما بينهما) لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على ادعائهما فلما اندحصت حجته قال (لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) آيتان عظيمتان في انقلاب أعيانها وإنما كانت الآية في العصا لأنها أنزلت على آدم بسبب السكاب لما نبه عليه لما تعاطمت دعوى فرعون قوبل بها اهانة له واستحقاقا وكونها ظهرت في صورة ثعبان مناسب لحاله لان مسها لين وفعلها قاتل وفرعون باظهار كرمه وعدله لين وفعله قاتل لنفسه وغيره فأما يده البيضاء فالإشارة فيها جنتك بالشرع المنير الابيض الذى لاظلمة فيه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتكم بها بيضاء نقية » ولما كانت آية موسى عليه السلام حسية ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى لانه عقلية ولما هموا بقتله ألهم الله سبحانه مؤمن آل فرعون الحججة العظمى فقال (أتمتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) وقد شرحت ذلك في كتاب الحججة العظمى *

وأما جدال رسول الله صلى الله عليه وسلم للفرار قريش واليهود فسيأتى في ذكر الأدلة الدالة على صدق رسالته *

الباب الرابع في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه

١ - النازعات ٢٤

٢ - غافر ٢٨

٣ - الاسراء ٤٤

اعلم انها لا تحصى لان كل موجود عن عدم فهو دليل على وجود موجد كما قال سبحانه (وان من شيء الا يسبح بحمده) وذلك التسييح اذعان لموجده وعبادة لربه كما قيل

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فاما أدلة الكتاب العزيز فمنها قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر
 انما أنت مذكر) وقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم
 أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم
 سبعيا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من السماء ماءً أنجا لئلا نخرج به حبا
 ونباتا وجنات أفنانا) وصرف سبحانه هذه الكلمات في كتابه العزيز وصرف
 هذه الأدلة منها الدلالة على وجوده وقدرته وحكمته وانه لا مشارك له ولا معاضد
 ولا مغالب فقال (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها
 وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها
 متاعا لكم ولانعامكم) وقال تعالى (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي
 وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفتشى الليل النهار ان فى ذلك
 لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع
 ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل
 ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى (ان فى خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله
 من السماء من ماء فأحى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
 الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى
 (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
 والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال تعالى (تولج
 الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من
 الحي وترزق من تشاء بغير حساب) وقال تعالى (ان الله فائق الحب والنوى يخرج
 الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فأتى ذلكم الله فأتى تؤفكون فائق الاصباح
 وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو
 الذى أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومسنودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)

١ - العاشية ١٧ - ٢١

٢ - النبأ ٦ - ١٦

٣ - النازعات ٢٧ - ٣٣

٤ - الرعد ٤

٥ - البقرة ١٦٤

٦ - يونس ٥

٧ - آل عمران ٢٧

٨ - الأنعام ٩٥ - ٩٧

وقال تعالى (وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموت من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين) وقال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر - ل من تدعون الا إياه) وقال تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون وإن نشأ نفرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقون إلا رحمة منا ومتاعا الى حين) وقال تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) وقال تعالى (أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) وقال تعالى (أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) وقال (أفرايتم النار التى توردون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه) الى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا) الى قوله (متاعا لكم ولا ناماكم) فوجه الدلالة من هذه الآيات جلي لمن سبقت له السعادات • قال تعالى (أنظر كيف نصرف الآيات) وقدمدح الله تعالى فوما أدتهم الفكر الى معرفة العبر قال سبحانه وتعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخاقت هذا باطلا سبحانه ققنا عذاب النار)

﴿ فصل ﴾ وقد حصلت معرفة الله سبحانه لقوم مخصوصين من طريق اخر

مخصوص وهم الملائكة وما جرى لهم من سؤال وجواب * وفي قصة إبليس كفاية له عن التنويع فيما يقبس والتجنيس وحصل العلم اليقيني لآدم فيما حدث من أمره وتقادم فاستسلم وسالم . فالأنبياء مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي الكل عرفوا الصانع معرفة اليقين منهم المرسلون ثمانمائة وثلاثة عشر أغني عيان الآيات عندهم عن الخبير فني نوح ودعوته ونجاة أهل سفينته وفي إبراهيم وناره وحياة أطياره ويوسف وبرائه بشهادة غلامه واجابته في قضاء حاجاته واهلاك عدوه من جميع جهاته ويونس وحوته وزكريا وسكوته ومريم وابنها آيات بينات * ويتبع هذا الجمع جموع لا تحمد لهم كثرة كلهم أخبر عن وجود إله واحد قادر مريد عالم حي والانبيا وأتباعهم هم حجج الخلق وعلمائهم وأعيان العلماء ونبلاؤهم ولو لم يكن هناك دليل على وجود الآله سوى اتفاقهم على وجوده بالصفات المذكورة كان ذلك كافيا في حصول العلم واليقين بخبرهم اذ كانوا جميعا لا يتصور التواطؤ منهم على الكذب والله الهادي بفضله *

﴿ الباب الخامس ﴾

ذكر الأدلة على أنه واحد سبحانه ومن حيث ثبت أنه موجود بصفة الوجود ثبت أنه واحد لان الصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون لها مبدا قديما وأما أدلة الكتاب العزيز فكثيرة من ذلك قوله تبارك وتعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال نظرت في سبعين كتابا من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) دليل آخر (في سورة المؤمنين قوله تعالى) ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا ذهب كل إله بما خلق ولملا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وفي الكلام حذف وتقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف للإيجاز والايجاز مستحسن في كل مكان وهبنا أكل حسنا اثلا يشكر ذكر الآله لانه ابطال على تقدير وانما

ذهب كل إله بما خلق لاجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة وذلك منشأ المخالفة والمنافسة والتغالب والمغالوب لا يكون الها « دليل آخر » قوله في سبحان (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) ومعناه أن الآلهة تطلب المنازعة والمخالفة في المراد فحينئذ يقع الفساد اذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته أو اسعاده والآخر اشقاءه فان قيل الشبهة على هذه الأدلة من وجهين أحدهما يجوز أن يكون اثنان تنفق ارادتهما فلا يقع خلاف فلا يقع فساد * الشبهة الثانية قالوا لما رأينا وجود الشيء وضده من الموت والحياة والنور والظلمة والخير والشر وما يقتضى الحكمة وينافيهما من الانقض بعد البناء والمعجز بعد القوة جاز أن ينسب الى مدبرين اثنين والجواب عن الشبهة الاولى استحالة وجود اثنين لا تنفك ارادة أحدهما عن ارادة الآخر متكاثرين في العلم والقدرة والارادة والحكمة والتدبير على وجه لا تقدم صفة أحدهما على صفة الآخر في الاعيان والاذهان فاذا هما واحد سموه اثنين * والجواب عن الشبهة الثانية أن صدور الشيء وضده أدل على قدرة الصانع وقد نبه سبحانه على ذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى (تسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الاكل) *

﴿ الباب السادس ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز ﴾

وهي كثيرة من ذلك قوله تعالى (ويقول الانسان إذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) ومثله (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) المراد هاهنا أبي بن خلف . وقيل العاص بن وائل ثم ذكر سبحانه وتعالى شبهة فقال (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم) فجاء الجواب من وجهين أحدهما جدلا يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد إعادة الحياة في عظام وحش وترك نفسه وذلك أهم من احياء الحيوان البهيم لان إيجاد الحيوان البهيم كان لاجل الانسان * الوجه الثانى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) الى آخر السورة فان إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان الى ما كان على ما لا يخفى وقوله سبحانه

١ - الاسراء ٤٢

٢ - الرعد ٤

٣ - مريم ٦٦ - ٦٧

٤ - يس ٧٧

٥ - يس ٧٨

٦ - يس ٧٩

(الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) معناه إيجاد شيء مما ينافيه وينافره فلا بد من قوة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافين بفعل ذلك ثم قال سبحانه (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) معناه من قدر على خلق السموات والأرض قدر على خلق هذا النوع اللطيف والشكل الضعيف وإذا قدر على إيجاده قدر على رده بعد نفاذه ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا تخلق الأشياء وتكون فقال (أما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وفي موضع آخر (أما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وعند ذلك سبح نفسه فقال (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) فعم الموجود والمعدوم والابداء والاعادة وجعل الرجوع خاتمة الكلام لان الإنكار له والادلة أقيمت عليه * ومن أدلة البعث في سبحانه (فسيقولون من يعيدنا قلن الذي فطركم أول مرة) ومن أدله البعث قوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) وأما قال سبحانه وهو أهون عليه ضرب مثل لان المقدورات عندنا متفاوتة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقها ولما كان إيجاد شيء لا من شيء مستحيلاً منا وإيجاد شيء من شيء ممكناً فاستعار له كلمة أفضل ضرب ذلك مثلاً ولما استحال في حقه العجز والضعف عن إيجاد شيء لا من شيء قال (وله المثل الأعلى) وذلك مطرد في سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمة والرضا والغضب وكل صفة وصف بها الإنسان من ذلك مثاله قولنا عالم والواحد منا عالم ولكن يطلق على الخلق باعتبار معلوم ما وإن علمه من جهة جهله من جهات ثم علمه إما بطريق الخبر والنظر أو الاضطرار والله سبحانه عالم بما كان وما يكون على وجه لا يخفى عليه شيء ولا يداخله الشك ولا الذهول ولا النسيان ولا يتقدم أين ما ولا مكان ولا نظير ولا حين ولا اضطرار قال تعالى (ألا يعلم من خلق) فهذا معنى قوله (وله المثل الأعلى) ومن أدلة البعث قوله تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث قوله تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها

١ - يس ٨٠

٢ - يس ٨١

٣ - يس ٨٢

٤ - يس ٨٣

٥ - النحل ٤٠

٦ - الأسراء ٥١

٧ - الروم ٢٧

٨ - الملك ١٤

٩ - العنكبوت ٢٠

الماء اهتزت وربت ان الذي أحيها لحبي الموتى إنه على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث في سورة الواقعة قوله تعالى (أفرأيتم ماتموتون أفرأيتم الماء الذي تشربون أفرأيتم النار التي تورن) ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن في الشجر والحجر ثم تظهر بالقدح وتشب بالنفخ بالحجر والشجر كالقبر والقدح والنفخ كالنفخة في الصور وإنما ذكر الله سبحانه في هذه السورة هذه الأدلة الأربعة متواليه لانه بدأ السورة بالواقعة وهي القيامة وقال (ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة) وان الجاحدين كما قال كانوا يقولون (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أواباؤنا الاولون) فكان الجواب (قل ان الأولين والآخرين لمجدوعون الى ميقات يوم معلوم) ومن أدلة البعث في سورة الاحقاف (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يبي بخلقهن بقادر علي أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصبح الارض مخضرة) قال المصنف والاداة على البعث جوازا ووجوبا. أما الجواز فالنظائر الحسية وأما الوجوب فما وعد الله تعالى به من البعث والاعادة وأكرام الطائمين بجنته واهانة الجرمين بعقوبته وما اقتنع للخلق بتكرير وعده الصادق حتى حلف على ذلك في عدة مواضع من ذلك (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتنبؤن بهم علمهم) ومن ذلك (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ومن ذلك (ويستنبئوك أحق هو قل إى وربي انه لحق) *

﴿فصل﴾ ولم يكن لمنكر شبهة الجحد تعجب واستبعاد قال الله تعالى (وان تعجب فمعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) معناه ان كان لك عجب من شيء فن انكارهم البعث فاعجب لان العجب ماندر وجوده وخفى سببه وليس هذا مما ندر وهم يشاهدون احياء الارض بعد موتها واكتساء الاشجار بعد عريها وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه واخراج الحي من الميت والميت من الحي ولا مما خفى سببه فان الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته اظهر ما استتر عن خلقه من تدبيره وما الانشاء الثانية بأعجب من الاولى وقد قال بعض الحكماء ثبت أن الله عز وجل حكيم والحكيم لا ينقض ما بنى الا الحكمة آتم من حكمة

١ - فصلت ٢٩

٢ - الواقعة ٢ - ٣

٣ - الواقعة ٤٧ - ٤٨

٤ - الواقعة ٤٩ - ٥٠

٥ - الاحقاف ٢٣

٦ - الحج ٦٣

٧ - التغابن ٧

٨ - الناريات ٢٢

٩ - يونس ٥٣

١٠ - الرعد ٥

النقض ولا يجوز أن يكون أقص ولا مماثله على ما لا يخفى

﴿الباب السابع﴾

ذكر أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز والكتاب العزيز كله دليل على صدق رسالته بل كل سورة منه دليل عليه لما كان العجز عن الاتيان بمثلها وقد ورد التحدى بذلك في الكتاب العزيز في خمسة مواضع من ذلك قوله تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) الموضع الثاني قوله عز وجل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الثالث (أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مقتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) الموضع الرابع (أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) الموضع الخامس (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) *

﴿فصل﴾ قد توجه القرآن العظيم على مائة دليل وأربعة عشر دليلاً عدد سورته فالتحدى بالطول منه كالتحدى بالقصر فعلى هذا السور القصار اذا أخذت عدلها كلمات على ترتيبها كانت معجزة ويقع بهذا التحدى أو سورة سورة من القصار وعدلها من أى القرآن من أي سورة كان كانت معجزة فاذن تبلغ أدلة التعمير منه مبلغاً يزيد على الالف دليل وهذا من أسرار الكتاب العزيز وعجائب التنزيل « دليل آخر » قوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) أخبر أن المنكرين نبوته

- لم يقدروا على معارضته وكذلك جرى (دليل آخر) قوله تعالى (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) وهذا خبر لم يسمع الا من الرسول وكان الامر كما أخبر (دليل آخر) أخبر أنه (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فكان الامر كما أخبر بحمد الله ومنه (دليل آخر) (ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعدك) البقرة ٢٤ - ٢٣ - ٢٤
- ١ - البقرة ٢٣
- ٢ - الاسراء ٨٨
- ٣ - هود ١٣
- ٤ - يونس ٢٨
- ٥ - الطور ٢٣ - ٢٤
- ٦ - البقرة ٢٤
- ٧ - الحجر ٩
- ٨ - فصلت ٤٢
- ٩ - الروم ١ - ٢

محلقيين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا) فكان كذلك (دليل آخر) المياهلة قوله تعالى (فن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) الاية وهذا دليل يدل بسياقه وبمخصوصه على نصارى نجران « دليل آخر » يخص اليهود وهو قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا دليل واضح وحجة قاطعة على اليهود فلولم يعلموا أنهم إن تمنوه ماتوا والا كانوا تمنوه فيحاجوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبطلوا نبوته وكان ذلك أهم الاشياء عندهم « دليل آخر » (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) فلولم يعلموا أنه رسول الله وأن خبره حق وصدق لبادروا الى ما يبطل دعواه ويكذب خبره « دليل آخر » خاص باليهود والنصارى والعرب قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذي مجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) وقد عدلوا أنه لا يعرف الكتابة ولا النظر في الكتب ولم يكن من شأنه « دليل آخر » قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيئاتهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل) الى آخر الآية فالدلالة من ذلك من وجهين أحدهما ان هذه الصفات لا تكون الا في الصادقين اذ كانت أعدل السمات وأكمل الصفات الثانی ذكرهم في التوراة والانجيل كما سبق « دليل آخر » مختص باليهود قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممتزجين) فلولا يعلم أنهم يعلمون ذلك لما استجاز أن يخبرهم بأمر يدعى معرفتهم به وهم لا يعرفونه « دليل آخر » قوله تعالى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) قال ابن عبد البر كان بين الأوس والخزرج من العداوة ما لم يكن بين أحد من نبي ادم فألف الله

١ - الفتح ٢٧

٢ - آل عمران ٦١

٣ - البقرة ٩٤ - ٩٥

٤ - الجمعة ٦ - ٧

٥ - الاعراف ١٥٧

٦ - الفتح ٢٩

٧ - الأنعام ١١٤

٨ - الاة ٦٣

قلوبهم لاجل نصره نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فساروا يدا واحدة وقلبا واحدا
« دليل آخر » قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون) وهذا خبر عن الغيب وكان كما أخبر « دليل آخر »
قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) ومعلوم أن هذه سيرة أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فى خوفهم أولا وأمنهم ثانيا وتمكينهم واستخلافهم فى
الارض وهذا ظاهر الدلالة « دليل آخر » قوله تعالى (وإليك لتهدى الى صراط
مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) فنظرنا فيما دعا اليه
فكانت مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم صراط العقلاء ومختار النبلاء وهى الاخلاق
المأمور بها فى سبحان (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا إما
يبغض عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كرهما وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم
أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للوايين غفورا وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشیطان لربه كفورا واما تمرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قل لهم قولا
ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقدهم لو ما محسورا
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا
أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن
قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهدان المهديان المهديان
وأوفوا السكيل إذا كلم وزنوا بالتسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا
تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا ولا
تمس فى الارض مرحانك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان

سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) وكذلك قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ومثل هذه السير العادلة والمكارم المستحسنة لا تجرى على لسان نجران « دليل آخر » علي اليهود قوله تعالى (كل الطعام كان حلالني اسراييل الا ما حرم اسراييل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة ذفا تلوها ان كنتم صادقين فمن اقترى على الله الكذب من بعد ذلك فاؤائك هم الظالمون) روى أن اسراييل أخذه وجع العرق الذى يقال له النسا فنذر لان شفاه الله تعالى منه ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب ذلك اليه لحوم الابل وألبانها فشفي فوفى بنذره وادعت اليهود ان ذلك كان حراما على نوح حتى انتهى الامر اليهم فيبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمر أن يحاجهم بالتوراة فلم يجسروا على اخراجها وفي ذلك الدلالة الظاهرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم « دليل آخر » قوله تعالى (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) وهى السنون التى دعا النبي صلى الله عليه وسلم بها على أهل مكة والدخان الجذب سمي دخانا لان الغبار يزيد في الجذب فيكون كاللدخان « دليل آخر » قوله تعالى (قل للذخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وأصحاب البأس الشديد مسيلمة وأصحابه يوم اليمامة وقيل فارس والروم وأبما كان فقد أخبر عن الغيب فيه فكان الامر كذلك « دليل آخر » قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وفي هذا دليل ظاهر على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لانه من الغيب الذى لا يعلمه الا الله فانهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم « دليل آخر » قوله تعالى (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قيل هم من بعد الصحابة وقيل هم الاعاجم

وعلى كلا الأمرين فقد وقع الخبر موافقا للمخبر به « دليل آخر » قوله تعالى (والله يعلم من الناس) وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) وكان يحرس فقال اذهبوا فان الله قال قد عصمتي فاخبر بعصمته فما قدر احد على قتله مع كثرة أعدائه والقاصدين له بذلك كما عرف « دليل آخر » قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولا خلف في خبره صلى الله عليه وسلم وقد أخبر كما تقدم من القصص واليهود يعرفون صحة ما أخبر من كتابهم هذا ولم يكن صاحب كتابة ولا مشتغلا بالكتب وأخبر عن أمور منها ما كان ومنها ما سيكون ومن أنعم النظر في الكتاب العزيز استنبط من أدلة صدق محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما ذكرناه فلما أدلة رسالته من غير الكتاب العزيز فهي أكثر من أن تحصى وقد الف في دلائل النبوة جماعة من العلماء منهم أبو نعيم الحافظ الاصبهاني ومنهم أبو بكر ابن فورك ومنهم الحافظ أبو بكر البيهقي * فصل * ومن فهم مذهب الفصاحة والبلاغة وأرشده الله تعالى ووقه أمكنه أن يختار من الاخبار النبوية الصحاح الف حديث فما زاد تبلغ مرتبة التعجيز عن الاتيان بمثلها فيكون الف دليل على النبوة مستمرة التعجيز مشهودا لها بالتمييز واذا تقرر هذه الادلة التي ذكرناها فكل دليل دل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رسالة من سبقه من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فهو دليل على وجود الصانع سبحانه *

الباب الثامن

في ذكر الاسئلة والاجوبة الجدلوية من الكتاب العزيز سؤال المنع (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) معناه لانسلم انا مفسدون لان الاصلاح ضد الافساد فاذا ادعوا الاصلاح فقد أنكروا الافساد ثم منعوا هذه الدعوى بقوله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون) وفي هذا دليل على جواز المنع من طريق المعنى وفيه الرد على من يقول هذا بغير توجيه لاهمال مراعاة صيغة لفظ الجادل وهذا يطرد في كل موضع هذا سبيله ومثله قول الله تعالى عن الكفار

- ١ - المائدة ٧٧
- ٢ - الرعد ١١
- ٣ - محمد ٢٤
- ٤ - النساء ٨٢
- ٥ - البقرة ١١
- ٦ - البقرة ١٢

حيث قالوا لرسول عيسى بن مريم (انا تطيرنا بك) قالوا لهم طائر كم معكم أي شؤمكم منكم لامنا ودليله أنكم جعلتم التذكير بالله وعبادته علة الشؤم أي إن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون سؤال النقص في قوله تعالى (الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا تؤمن لرسول حتي يأتينا بقران تأكده النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) . معناه العلة التي توجب عندكم الايمان بالرسول قد وجدت فلم قتلتموهم فدل على أن التعليل بما ذكركم غير صحيح وهذا النقص وارد على معنى كلامهم فدل على جواز ايراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان * ومن صور النقص قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تابع ما ألفينا عليه آباءنا) النقص في قوله (أولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ومن صور النقص أيضا في قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) النقص بإبراهيم عليه السلام لانه استغفر لآبيه وهو مشرك في قوله تعالى (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفييا) فكان الجواب (وما كان استغفار إبراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لآواه حليم) ومن صور النقص قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا آوتني مثل ما آوتني موسى أولم يكفروا بما آوتني موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون) سؤال القول بالموجب في قوله تعالى (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) القول بالموجب (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تقديره (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) ولكن الله ين على من يشاء من عباددوما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) القول بالموجب في قوله تعالى (الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) « سؤال المارضة » في قوله تعالى (فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فليأتوا بحديث مثله) وذلك بأنه جعله دليلا على نبوته والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به

﴿ فصل ﴾ الحكم تارة يملل بعله واحدة منفردة كقوله تعالى (ولكي في القصص

- ١ - يس ١٨
- ٢ - آل عمران ٨٣
- ٣ - البقرة ١٧٠
- ٤ - التوبة ١١٢
- ٥ - مريم ٤٧
- ٦ - التوبة ١١٤
- ٧ - القصص ٤٨
- ٨ - إبراهيم ١٠
- ٩ - إبراهيم ١١
- ١٠ - التوبة ٦١
- ١١ - البقرة ٢٣
- هود ١٣
- الطور ٢٤

حياة) وثارة بعلتين كقوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا أناخذونه بهتاناً وانما ميبنا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) فان قيل بل هي علة واحدة مركبة من وصفين فلجواب أن الافضاء علة في استحقاق المهر في الصحيح من النكاح والفاسد لقول النبي صلى الله عليه وسلم «فلها المهر بما استحل من فرجها» والميثاق الغليظ هو عقدة النكاح وهي كلمة الله عز وجل وهو قوله بما استحلتم من كلمة الله فهو قد ثبت بمجرد دون الافضاء جميع المهر بالموت ونصفه بالطلاق ﴿فصل﴾ وقد يعلل الحكم بعلل كل علة تستقل بالحكم كقوله تعالى (وما منعمهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) *

﴿فصل﴾ تعليق الحكم على علة يقتضى النقيض كقوله تعالى (وتأتون في ناديك المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا إئتنا بمذاب الله ان كنت من الصادقين) وكقوله تعالى (أخرجوهم من قريتهم انهم أناس يتطهرون) وكقوله تعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بمذاب أليم) ومثله (فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) *

﴿فصل﴾ أجوبة الاسئلة على التفصيل كقوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين . وأما الجدار . وأما الغلام) *

﴿فصل﴾ وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس دلالة كقوله تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فالحكم المقيس عليه أمر وجودى وهو النطق والذى وعدهم به هو الحياة بعد الموت والبحث بعد الدفن وهو أمر معدوم وليس بينه وبين النطق مناسبة ومجرد وجود حقيقة شيء لا يدل على وجود حقيقة أخرى فبند ذلك يعلم أنه ما أراد الا تحقيق الوعد باليجاد علي وجه لا يشك فيه كوجود النطق كقول النبي صلى الله عليه وسلم «أنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضلمون في رؤيته» ومعلوم انه ما أراد أن رؤية القمر متضمنة لرؤية

- ١ - البقرة ١٧٩
- ٢ - النساء ٢٠ - ٢١
- ٣ - التوبة ٥٤
- ٤ - العنكبوت ٢٩
- ٥ - الاعراف ٨٢
- ٦ - الأنفال ٢٢
- ٧ - الشعراء ١٨٧
- ٨ - الكهف ٧٦
- الكهف ٨٢
- الكهف ٨٠
- ٩ - الذاريات ٢٢

الله تعالى بل أراد أنه كائن كوجود هذا القمر ورؤيته ولو قيل فإن فيه شبهة اقتضت القياس على النطق صح من جهة أن الكلام يغور ويعود فهو كالميت له غيبة بالدفن والبلى ثم حضور بالبعث فعلى هذا قياس الشبه صحيح*

﴿ فصل ﴾ ومثال قياس الشبه قوله تعالى (يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبايكم من الجنة) وفيه دلالة على جواز إقامة اللازم للحكم أو السبب مقام نفس الحكم لأن فتنته سبب الخروج من الجنة وهي سبب المنع من دخولها وذلك كله توسعة على المستدل*

﴿ فصل ﴾ في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب العزيز في مواضع من ذلك قوله عز وجل (ولا تمهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) ومعناه التحريض على القتال والتسلية لما أصاب من مكروه بالنسوى في الألم والمزية لكم عليهم بما ترجون من ثواب الله تعالى فأتم أولى بطلبهم وأحرى بالصبر على المكروه من جهتهم ومن الترجيح قوله تعالى (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فإلستم كيف تحكمون) ومن الترجيح أيضاً قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون) في خمس مرات أمن ومن الترجيح قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) ومن الترجيح قوله تعالى (يا صاحبي السجن أأرأيت متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وذلك لما تقرر أن الاثنين لا بد من وجود الفساد منهما لو قوع الاختلاف بينهما ومن الترجيح المذكور في الحجة العظمى (فأى الفريقين أحق بالأمن)

﴿ فصل ﴾ في المفهوم وهو ينقسم قسمين مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة فالموافقة متفق عليه لقوله تعالى (فلا تقل لها أف) فمفهومه تحريم الضرب والسب لأن التأفيف دون ذلك وكذلك قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) ولا يخفى أن من يؤدى القطار يؤدى مادونه ومن يخون في دينار يخون فيما فوقه

- ١ - الاعراف ٢٧
- ٢ - النساء ١٠٤
- ٣ - يونس ٣٥
- ٤ - النمل ٥٩
- ٥ - التوبة ١٠٩
- ٦ - يوسف ٣٩
- ٧ - الأنعام ٨١
- ٨ - الاسراء ٢٣
- ٩ - آل عمران ٧٥

ويسمى ذلك لغوى الخطاب . ومفهوم المخالفة كقوله تعالى (مادمت عليه قائما)
فمفهوما ان لم تكن عليه قائما لم يؤده اليك ومن الناس من يقول ليس هو بحجة
لقوله تعالى (فمن اقترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون)
ومعلوم أن من اقترى على الله الكذب فهو من الظالمين قبيل الرسالة وبمدها وقبل
نزول الكتاب وبعده *

﴿ فصل ﴾ وقد سمي الله سبحانه الشبه التي أوردها الكفار أمثالا فقال
تعالى (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن
تتبعون الا رجلا مسحورا) فكان الجواب (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا) وهذا جواب جدل يتضمن فساد ما تمسكوا به من الشبه
المدكورة لانهم قالوا انه مسحور والمسحور مبطل الفكر ذاهب الرأي فكيف
يكون معه ملك أو يلقى اليه كنز ثم جاء الجواب الآخر (وما أرسلنا قبلك من
المرسلين الا إنهم ليناكلون الطعام ويمشون في الأسواق) فأماما اقترحوه من الآيات
في هذا الموضوع وفي غيره فالجواب عنه مذكور في عدة مواضع منها قوله تعالى (وما
منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) وقال في موضع آخر (وقالوا
لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون) ومثله قوله تعالى
(ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك نبيا امراييل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم
بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين) والفرق بين الآيات الدالة على صدق الرسل عليهم السلام المقترحات
من الامم وبين الآيات التي تبشكرها الانبياء أن المقترحات لم تبق لهم عنذرا في
ترك الايمان بعد الايمان بها اذ هي بمنزلة المشاهد الذي أجاز الخصم شهادته عليه
فاذا رد وجحد فقد عاند وصد فاستحق تعجيل الانزال به بخلاف سائر الآيات
فانها وان كانت أدلة الا أن للناظر فيها فسحة النظر ومهلة التأمل فلهذا لم يعجل
عقابه وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعداب من قوله لقالوا

- ١ - ال عمران ٩٤
- ٢ - الفرقان ٧ - ٨
- ٣ - الفرقان ٩
- ٤ - الفرقان ٢٠
- ٥ - الاسراء ٥٩
- ٦ - الأنعام ٨
- ٧ - الأعراف ١٣٤

ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي) *
فصل * في ذم التقليد والمقلدين وقد عابهم الله عز وجل في كتابه العزيز في عدة مواضع منها قوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كانوا آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ومن ذلك في المائدة (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولوا كان آبؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) ومن ذلك في حم الزخرف (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ثم ذكر سبحانه أن هذه الشبهة تمسك بها جميع الامم قال سبحانه (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) فكان الجواب عن شبههم من وجهين أحدهما قوله تعالى (أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) الوجه الثاني (قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وههنا نكتتان احدهما قوله (بأهدى) ولا هداية لابائهم وإنما ذكر ذلك توطئة لاستماع حجته وتلطفا في الدعاية الى هدايته النكتة الثانية أعرضوا عن الجواب الملزم لهم الى استماع ما هو أهدى الى قولهم (انا بما أرسلتم به كافرون) *

فصل * في جواز النجوز وفي الكتاب العزيز من ذلك كثير من ذلك قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشنون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) وقد علم أنهم في الحالة الحاضرة لا يأكلون النار والشراء والصبر على النار

فصل * يجوز عطف الواجب على غير الواجب كقوله تعالى (كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) وكقوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) *

فصل * والانكار بعد الاعتراف لا يسمع دليله قوله تعالى (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم يكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين) فاعقبهم على ضلالهم الاول بضللال هو الانكار بعد الاعتراف
فصل * ومن لطائف الاجوبة الجدلية لما قال فرعون لموسى (ألم نريك فينا

١ - طه ١٣٤

٢ - البقرة ١٧٠

٣ - المائدة ١٠٤

٤ - الزخرف ٢٢

٥ - الزخرف ٢٣

٦ - البقرة ١٧٠

٧ - الزخرف ٢٤

٨ - الزخرف ٢٤

٩ - البقرة ١٧٤

١٠ - الأنعام ١٤١

١١ - البقرة ١٧٢

وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) كان جواب موسى عليه السلام (وتلك نعمة
 عنها على أن عبدت بني اسرائيل) فالذي اعده فرعون نعمة جعلها موسى تقمه
 هو جواب على معنى الكلام لا على لفظه *

﴿ فصل ﴾ ومن أنواع التجوز قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك يحملون)
 والانعام ثلاثة أنواع ابل وبقر وغنم والمركوب منها ابل خاصة *

﴿ فصل ﴾ في المباحة بالتشنيع منها قوله تعالى (يا أهل الكتاب هل تنعمون منا
 الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم
 بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه وجعل منهم القردة والخنازير
 وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) فاذا وقع التشنيع على
 مذهب بسبب حكم خالف فيه الفقهاء أو قول فيه نفرة مثل المخلوقة من ماء الزنا
 وجواز المخصصة على مذهب الامام أحمد أو ما كان للاخصم أن يشنع على مذهبه
 بما هو من هذا القبيل وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود يا اخوان القردة
 ﴿ فصل ﴾ ومما يجري مجرى المقابلة في الأذى والجناس في الجزاء (وقالت

اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) واللعن هو الطرد والبعد ولما
 كانت يد الله مبسوطة بالقدرة على الإيجاد والاعدام والاشقاء والاسعاد كان القول
 بغلول يده سبحانه أبعاد المحالات في نظر العقل فاستحقوا الأبعاد *

﴿ فصل ﴾ التخصيص بالذكري لا يدل على الاختصاص في الحكم كقوله
 سبحانه (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وقال سبحانه بعدها
 لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) *

﴿ فصل ﴾ يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها الاول أنه تارة تحدى بجملة
 القرآن وتارة بعشر سور وتارة بسورة والجواب انه ذكر الاحاد والعقود ونفاها
 ليعلم العجز عن كله وبعضه فان قيل القديم لا يوصف بكل ولا بعض قيل هذا
 كقولنا عالم مرید قادر هذه بعض صفات القديم ولا يريد ببعضه التجزى وكما قول
 القرآن مائة وأربع عشرة سورة والسورة كذا وكذا آية *

الشبهة الثانية ما الحكمة ان هذا الكتاب العزيز لم ينزل جملة واحدة وصائر

١ - الشعراء ١٨

٢ - الشعراء ٢٢

٣ - المؤمنون ٢٢

٤ - المائة ٥٩ ٦٠

٥ - المائة ٦٤

٦ - المائة ١٧

٧ - المائة ٧٢

الكتب نزلت جملة جملة قل تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جنتناك بالحق وأحسن تفسيراً) *

الجواب الثاني قال أهل المعاني القوم كانوا قبلنا عمالاً فكتبنا كتب عهدهم وصلت إليهم جملة وهذه الأمة احباب ورسائل الاحباب لا تنقطع *

الشبهة الثالثة شبهة القدرية قالوا كيف الجمع بين ارادة خلق الفعل والعقاب عليه والجواب ثبت بالاجماع انه حكيم عادل والحكيم العادل غير متهم كيف وقد ذكر الظلم في الكتاب العزيز في مائتي موضع وثمانين موضعاً ودمه ودم الظالمين ونفى الظلم عن نفسه في ثمانية وعشرين موضعاً منها ويستحيل أن يجرم شيئاً على نفسه ويقبحه من غيره ثم يفعله وهو أعدل العادلين وأجل النعمين والخوض في هذا منهي عنه لانه بحر مغرق ولكشفه ميماد يوم تبلى السرائر *

﴿ فصل ﴾ والدليل على أن توبة الزنديق لا تقبل قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) والمعنى فيه أن قليل الكفر وكثيره سواء في استحقاق القتل واستيجاب النار والتوبة مقبولة في قليله وكثيره فلا معنى لزيادة الكفر الا ابطان الكفر واظهار الايمان والله تعالى أعلم بكتابه وأسرار خطابه *

وجد باخر النسخة الخطية ما نصه .

علقه من خط نسخة مسممه أفضى القضاة شمس الدين عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم القرشي لشيخه العلامة مسممه صلاح الدين المرحوم عبد الله

١ - الفرقان ٢٢ - ٢٣
٢ - آل عمران ٩٠

تمت الرسالة الثالثة ويليهها الرسالة الرابعة

(م ٩ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)

الرسالة الرابعة

﴿ كفاية التعبد ونخبة الزهد ﴾

« للشيخ الامام الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين *
قال الشيخ الفقيه العالم المحدث بقية الحفاظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم
ابن عبد القوي المنذري رضى الله عنه * الحمد لله الموفق لصالح الاعمال المحقق
لرأيه نهاية الآمال * أحمده على نعمه في الحال والمآل * وأشهد أن لا آله الا هو
الكبير المتعال * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنقذ به من الضلال صلى الله عليه
وآله وأصحابه وأزواجه الجدراء بالاحسان والافضل دائماً الاتصال *

(وبعد) فان أخى أبا أحمد عبد الكريم صرف الله عنه كل شيطان رجيم
سألني أن أجمع له كتاباً في نواب الاعمال وفضائلها محذوف الاسانيد ليسهل عليه
حفظه ويقرب تناوله فأجبتة الى ذلك لما له من الحق اللازم وليكون باعثاً له ان شاء الله
تعالى على ملازمة ما نورده فيه فاستخرت الله تعالى وجمعت له هذا الكتاب
وسميتة « كفاية التعبد ونخبة الزهد » وجملته أربعة أبواب (الباب الاول) في
ذكر الصلاة (الباب الثاني) في الصيام (الباب الثالث) في الصدقة (الباب
الرابع) في الدعاء والذكر والله تعالى المستول في أن ينفعنا به وسائر المسلمين
ويجمله خالصاً لوجهه مقرباً من رحمته بفضله ومنه *

﴿ الباب الاول في الصلاة ﴾

روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث متفق عليه *
 (ما جاء في فضل الصلاة) * روى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم يغش
 الكبائر » وفي لفظ « رمضان الى رمضان » أخرجه مسلم * روى معمر بن أبي
 طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت « أخبرني بعمل
 عمله يدخلني الله به الجنة او قال قلت باحب الاعمال الى الله تعالى فسكت ثم
 سأله فسكت ثم سأله الثالثة فقال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال عليك بكثرة السجود لله تعالى فانك لا تسجد لله عز وجل سجدة الا رفك
 الله عز وجل بها درجة وحط عنك بها خطيئة » قال معمران ثم لقيت ابا الدرداء
 فسألته فقال لي مثل ما قال ثوبان أخرجه مسلم * وروى ربيعة بن كعب الاسلمي
 قال « كنت ابيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأبته بوضوءه وحاجته فقال لي سل
 قلت أسألك مرأقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعنى على
 نفسك بكثرة السجود » انفرد به مسلم وليس لربيعة بن كعب في الصحيح غيره .
 وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تطهر
 في بيته ومشي الى بيت من بيوت الله تعالى ليقضى فريضة من فرائض الله تعالى
 كانت خطواته احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة » أخرجه مسلم * وروى
 أبو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أرايتم لو أن
 نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا
 لا يبقى من درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق
 عليه . والدرن بفتح الدال والراء الوسخ * وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال « من غدا الى المسجد او راح أعد الله له في الجنة نزلاً
 كلما غدا أو راح » متفق عليه . والنزل بضم النون والزاى الطعام والنزل أيضا
 الريح والفضل * وروى أبو مالك الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال « الظهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله
 تملأن أو تملأ ما بين السموات والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر

ضياء القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»
 أخرجه مسلم واسم أبي مالك عمرو ويقال عبيد ويقال كعب *
 (ما جاء في فضل الصلاة لأول وقتها) روي عبد الله بن مسعود رضى الله
 عنه قال « سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله عز وجل قال
 الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال
 حدثني بهن ولو استزدته لزادني » متفق عليه *

(ما جاء في فضل الجماعة) روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين
 جزءا » متفق عليه * وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق
 عليه . قال أبو عيسى الترمذى رحمه الله تعالى وغامة من روي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم إنما قالوا خمسا وعشرين الا ابن عمر فانه قال بسبع وعشرين
 قلت واختلف العلماء في تأويله ف قيل الدرجة أصغر من الجزء . والفذ المنفرد
 المصلى وحده: ٥

(ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل) روى سعيد بن هشام عن عائشة رضى
 الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما
 فيها » انفرد به مسلم وروت عائشة رضى الله عنها قالت « مارأيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في شيء من النوافل أسرع منه الى الركعتين قبل الفجر »
 متفق عليه *

(ما جاء في فضل المحافظة على الفجر والمصر) روي ابو بكر بن عمارة بن
 رؤية عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لن يلج النار احد
 صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني الفجر والمصر » الحديث انفرد به مسلم *
 وروى أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال « من صلى البردين دخل الجنة » متفق عليه والبردان الفجر والمصر وقال
 علي بن المديني ابو بكر راوى هذا الحديث هو ابن عمارة رؤية والصحيح انه ابن

أبي موسى وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع *
 (ما جاء في صلاة الضحى) روي أبو الدرداء رضى الله عنه قال « أوصانى حبيبي بثلاث ان لا أدعن ماعشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبان لا أنام حتى أوتر » انفرد به مسلم * وروي ابو هريرة رضى الله عنه قال « أوصانى خليلي بثلاث بصيام ثلاثة ايام من كل شهر وركعتي الضحى وان أوتر قبل أن أرقد » متفق عليه * وروي ابو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » انفرد به مسلم واتفقا على نحوه من حديث أبي هريرة وقوله كل سلامى اى على كل عظم ومفضل . واصله عظام الكف والا كراع *

(ما جاء في عدد صلاة الضحى) قد تقدم انها ركعتان وروت معاذة عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى اربعا ويزيد ماشاء الله » انفرد به مسلم * وروي عبد الرحمن بن ابي ايلى قال ما اخبرنى احد انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى الا أم هاني فانها حدثت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فضلى ثمانى ركعات ما رأيتة صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود « متفق عليه *

(ما جاء في الصلاة ارتفاع الضحى واستحرار الشمس) روى القاسم بن عوف الشيبانى ان زيد بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى فقال اما لقد علموا ان الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الاوايين حين ترمض الفصال » انفرد به مسلم والاواب قيل هو الكثير الرجوع الى الله وقيل المطيع وقيل المسبح وقيل الراحم وقيل الفقيه . وقوله ترمض بفتح التاء والميم وضاد معجمة هو احتراق اظلالها بالرمضاء عند ارتفاع الضحى واستحرار الشمس . والرمضاء ممدود الرمل اذا استحر بالشمس . والفصال جمع فصيل وهو صغار الابل *

(ما جاء في الصلاة قبل الظهر وبعدها) روت أم حبيبة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح *

(ما جاء فيمن صلى في يوم نتي عشرة ركعة) روت أم حبيبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم نتي عشرة ركعة تطوعا من غير الفريضة الا بنى الله له بيتا في الجنة » انفرد به مسلم *

(جامع ما جاء في صلاة الليل) * روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » انفرد به مسلم * وروى أبو هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « يمدد للشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد اذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلى انحلت العقد فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه. قوله يمدد للشيطان اختلفت العلماء في تأويله فقيل هو مثل واستعاذة من عقد بني آدم وقيل بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها . وقوله قافية احدكم أى قناه ومنه قافية الشعر وهو آخر البيت * وروى مسروق قال قلت لعائشة أى الاعمال أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الدائم قلت فأى الليل كان يقوم قالت اذا سمع الصارخ : متفق عليه والصارخ الديك قاله أبو عبيد المهروى * وروى عبد الله بن عمرو قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » متفق عليه * وروت عائشة رضي الله عنها « قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدنى شهر رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا فقالت عائشة قلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر قال باعائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » متفق عليه * وروى

أبو القاسم قال سمعت عائشة رضی الله عنها تقول « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة » متفق عليه *

(دعاء الاستخارة) * روي جابر رضی الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كالسورة من القرآن اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمى حاجته » انفرد به البخاري *

﴿ الباب الثاني في الصيام ﴾

روي أبو هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني صائم والذي نفس محمد بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فراح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه » متفق عليه . وقوله فلا يرفث بضم الفاء وكسرها أي لا يأتي برفث الكلام وفحشه * قال الازهرى هي كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ويكون الرفث الجماع ويكون ذلك الجماع والحديث به وقيل هو منذا كرة ذلك مع النساء ولا يصخب الصخب الصياح واختلاط الاصوات ويقال بالسبن والصاد. وخلوف فم الصائم بضم الخاء هو ما يخاف به الطعام في الفم من ريح كريمة * روى سبيل بن سعد رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال

أبن الصائمون فيدخلون منه فاذا أدخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد « متفق عليه » قوله باب الريان واختصاص الصائمين به قيل هو مشتق من الري لا ينال الصائم من العطش فسمى هذا الباب بما أعد فيه من النعم المجازى به على الصوم •
 وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « مامن عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » متفق عليه والخريف السنة •

(ماجاء في صوم الحرم) روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انفرد به مسلم •
 (ماجاء في صيام عاشوراء) سئل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء فقال ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم يعنى يوم عاشوراء ولا شهراً إلا هذا الشهر يعنى رمضان . متفق عليه • روى أبو قتادة الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه فذكر الحديث الى قوله وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية انفرد به مسلم •

(ماجاء في صيام شعبان) روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيت في شهر أكثر منه صياماً في شعبان » متفق عليه • وفي مسلم قالت عائشة « ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه في شعبان كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلاً » • وروى عمران بن حصين رضى الله عنه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيئاً يعنى شعبان قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أفطرت من رمضان فعم يومين مكانه » متفق عليه . سرر الشهر سراره قال الفراء الفتح أجود وسرره ثلاث لثات قال ابو عبيد سرر الشهر آخره وقال غيره هو وسطه وقيل آخره •

(ماجاء في صيام رمضان) • روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » متفق عليه وقوله صفدت الشياطين أى غلقت وأوتقت باغلاق الحديد * وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه *
 (ماجاء فى صيام ستة أيام من شوال) روى أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » أفرد به مسلم *

(ماجاء فى العمل فى عشر ذي الحجة) روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله تعالى من هذه الايام العشر فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء » أخرجه البخارى *

(ماجاء فى صيام يوم عرفة وثلاثة ايام من كل شهر ويوم الاثنين) روى ابو قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه رضينا بالله رباً وبلاسلام ديناً وبمحمد رسولاً وببيعتنا بيعة قال فسئل عن صيام الدهر قال لا صام ولا افطر وما صام وما افطر قال فسئل عن صيام يومين وافطار يوم قال ومن يطيق ذلك قال وسئل عن صوم يوموا فطار يومين قال لبت الله عز وجل قوالا لذلك قال وسئل عن صوم يوموا فطار يوم قال ذلك صوم أخى داود قال وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت وانزل علي فيه قال فقال فصوم ثلاثة ايام من كل شهر ورمضان الى رمضان صوم الدهر قال فسئل عن صوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية * أفرد به مسلم. وروى معاذة رضى الله عنها انها سألت عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من أى شهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من أى ايام الشهر

يصوم « انفر دبه وسلم وقد تقدم في صلاة الضحى حديث أبي هريرة اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر « الحديث وهو متفق عليه وحديث أبي الدرداء في ذلك وهو من أفراد سلم *

﴿ الباب الثالث في الصدقة ﴾

روي ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا » متفق عليه وروى ابو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتصدق احدكم بتمرة من كسب طيب الا أخذها الله تعالى بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلو صه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » متفق عليه * الفلو المهر والقلاص فنيان الابل وأحدها قلو ص * وروى حارثة بن وهب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تصدقوا فيوشك الرجل بمشي بصدقته فيقول الذى أعطىها لو جئت بها بالامس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لى بها فلا يجرد من يقبلها » متفق عليه * وروى عندي ابن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه قوله أشاح أى جد وانكش على الوصية بألقاء النار وقيل حذر من ذلك والمشيح الحذر وقيل الهارب وقيل أشاح أقبل وقيل قبض وجهه قال الحربى أحسن ما قيل فيه التنحية وهو موافق للاعراض * وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يسرنى ان لى أحدا ذهباً أتى على ثالثة وعندي منه دينار الا ديناراً أرصد لدين علي » متفق عليه * وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام البادل وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق بيمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه * وروى

أبو هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال «يا رسول الله أى الصدقة أعظم قال أن تتصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنا ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان» متفق عليه * وروى أبو امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى» أخرجه مسلم واليد العليا هي المنفقة كذا جاء مفسرا في الحديث * وقال الخطابي يروى في بعض الحديث انها المتنفقة والسفلى السائلة * وروى عن الحسن انها الممسكة المانعة. وذهبت المتصوفة الى أن اليد العليا هي الآخذة لانها نائبة عن الله تعالى وما جاء في الحديث الصحيح أولى * وروى أبو موسى الاشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «على كل مسلم صدقة فقالوا يا رسول الله فن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليسك عن الشر فانها له صدقة» متفق عليه * وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله ما على أحد يدعي من تلك الابواب كلها من ضرورة فهل يدعي أحد من تلك الابواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأرجو أن تكون منهم» * متفق عليه. قوله من أنفق زوجين قال الحسن البصري يعنى اثنين من كل شيء درهمين دينارين ثوبين وقال غيره يريد شيتين درهما ودينارا درهما وثوبا خفا ولجاما ونحو هذا * قال الباجي يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين ^(١) * وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا طلحة كان أكثر الانصار

(١) المتبادر للذهن المعلوم من أحاديث أخر أن المراد بالزوجين هو مقدار ما يميل الأراخين

من قمح او شعير او ما اشبهها (قاله المصحح)

بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقول في كتابه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعبها يارسول الله حيث شئت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيح ذلك مال رابع ذلك مال رابع قد سمعت ما قلت فيها وانى أرى أن تجعلها في الاقربين قسمها أبو طلحة في أقاربه ونبي عمه « متفق عليه. قوله بيرحاء هو موضع بقرب المسجد وقيل حاء اسم رجل اليه نسب البئر واختاف في تقييده فروى بفتح الراء في كل حال وروى بضم الراء في الرفع وفتحها في النصب وكسرهما في الجر * وقوله بيح يقال بالتسكين وبانكسر مع التنوين قال الخليل يقال ذلك للشيء اذا رضيته ويقال ليعظم الامر وقوله مال رابع يروي بالباء الموحدة من الربح بالاجر وجزيل الثواب أي ذو ربح ويروي بالياء المثناة من الرواح عليه بالاجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره * وقال المروى رابع أى ذي ربح ومن رواه رايح أراد انه قريب الفائدة *

﴿ الباب الرابع في الدعاء والذكر ﴾

روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه * (ما يقال عند القيام من النوم) * روى ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله الا

أنت ولا إله غيرك « متفق عليه * قوله أنت نور السموات والارض معناه ذو نور اى خالقه قيل نور الدنيا فى الشمس والقمر وقيل منور قلوب عباده المؤمنين بالهداية والمعرفة وقوله قيوم السموات والارض أى القائم بامرهما * روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من تعار من الليل فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفرلى ودعا استجيب له فان تروا وصلى قبلت صلاته » اخرجه البخارى وقوله تعار بتشديد الواو قيل استتبط وقيل تكلم وتمطى وأن وقيل انتبه وقال بعضهم تمطى بصوت قال البعض وهو ابين وأشبه بالمعنى *

(ما يقال عند دخول الخلاء) روى أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال « اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث » متفق عليه . الخبث بضم الخاء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكور الشياطين وانائمهم وعامة المحدثين يسكنون الباء وغلطهم الخطا بى فيه وصبوب ذلك غيره (ما يقال بعد الفراغ من الوضوء) روى عقبة بن عامر رضى الله عنه قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يتحدث الناس فادركت من قوله « ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة قال فقلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يديه يقول الذي قبله اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قدر أيتك حين جئت آنفا قال ما منكم من أخذ يتوضأ فيبلغ او فيسبح الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » انفراد به مسلم *

(ما يقول عند الخروج الى الصلاة) روى على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم عن أبيه انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ رسول الله وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الايات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفتح ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل

ذلك يستاك ويتوضا ويقراً هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث فاذن المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن امامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم اعطني نوراً» انفرد به مسلم. قوله واجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً الحديث النور الهداية والبيان وضياء الحق وقيل يحتمل ان يريد الرزق الحلال وقوة هذا الاعطاء به الطاعة * روى الشعبي عن أم سلمة رضی الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال « بسم الله توكلت على الله اللهم انا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجمل أو يجهل علينا» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح * (ما يقال عند الصباح) روى شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيد الاستغفار اللهم انت ربى لا إله الا انت خلقتنى وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت اذا قلما حين يمسى فات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة واذا قلما حين يصبح فات بومه مثله» انفرد به البخارى وغيره وقوله ابوء لك بنعمتك قال الهروى اقربها والزما نفسى وأصل البوء اللزوم وأبوء لك بذنبي اى أعترف طوعاً اى رجعت الى الاقرار بعد الانكار * وروى ابان بن عثمان قال سمعت عثمان بن عفان رضی الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شىء» وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ماتنظر اما ان الحديث كما حدثتك ولكنى لم أقله يومئذ ليهضى الله على قدره»^(١) أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن

(١) قوله طرف فالج أى بعضه بفتح اللام علة معروفة وقوله فجعل الرجل ينظر اليه اى تعجبا وانكارا بانك كنت تقول هذه الكلمة فى كل مساء وصباح فكيف اصابك الفالج ان كان الحديث صحيحاً فقال له ابان رفعا لتجيه بطريق الاستفهام الانكارى ماتنظر الخ

صحيح * وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » انفراد به مسلم *

(ما يقال عند سماع الاذان) روى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام ديننا غفر الله ذنبه » انفراد به مسلم *

(ما يقال بعد التسليم من الصلاة) روى نوبان قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » * قال الوليد قلت للوزاعي كيف الاستغفار قال تقول استغفر الله استغفر الله انفراد به مسلم * وروى المنيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا قضى الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » متفق عليه * وقوله لا ينفع ذا الجد منك الجد بفتح الجيم اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه انما ينفعه العمل بطاعتك وقيل الجد والبخت الحظ ورواه بعضهم بكسر الجيم وحمله على الحرص في الامور وانكر ذلك ابو عبيد وروى عطاء بن زيد الليثي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياها وان كانت مثل زيد البحر * انفراد به مسلم واتفقا على معناه من رواية ابي صالح عن أبي هريرة وروى عبد الله بن الزبير انه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الاياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهليل بمنى في دبر كل صلاة

انفرد به مسلم *

(ما يسبح به في الايام وفضل التسبيح) روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حوزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت أحد يوم القيامة افضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر * متفق عليه قوله عدل عشر رقاب العدل بالفتح المثل وما عادل الشيء من غير جنسه وبالكسر ما عادله من جنسه وكان نظيره وقال البصريون العدل والعدل لغتان وهما المثل * وروى موسى الجهني عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أيجز أحدكم أن يكسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة أو يحط عنه الف خطيئة» انفرد به مسلم قال الحميدي هكذا هو في كتاب مسلم في جميع الروايات عن موسى أو يحط قال البرقاني ورواه شعبة وأبو عروانة ويحيى ابن سعيد القطان فقالوا ويحط بنير الف * وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» متفق عليه * وروى أبو صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس» انفرد به مسلم وروى أبو ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام الى الله تعالى فقال ان أحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده» انفرد به مسلم * وروى أبو موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «مثل الذي يذكر الله الذي لا يذكره مثل الحى والميت» متفق عليه *

(ما يقال عند القيام من المجلس) * روي أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجالس فكثرت فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أخرجه الترمذى والنسائى قال الترمذى حسن صحيح قلت وقال البخارى له علة وقد جمعت طرقة في جزء مفرد واللفظ اختلاف الاصوات في الكلام حتى لا يفهم *

(ما يقال عند المساء) * روي عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أمسينا قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله الا الله وحده لا شريك له اراه قال فيهن له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر واذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله » أخرجه مسلم وقوله وسوء الكبر روى بسكون الباء بمعنى التعظم على الناس وافتحها بمعنى كبر السن والخرف وذ كر الخطأى الوجهين ورجح الفتح * روى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال « أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك » انفرد به مسلم وقوله بكلمات الله قال الهروي هي القرآن والتامات قيل هي الكاملة وقيل هي النافعة الكافية الشافية مما يتعوذ منه *

(ما يقال عند النوم وأخذ المضجع) روى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت وأحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » انفرد به البخارى * وروى البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر رجلا اذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول اللهم أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى

(١١٢ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)

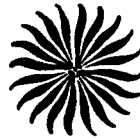
اليك والجات ظهري اليك وفوضت أمري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى الا اليك آمنت بكتابتك الذي أنزلت و برسولك الذي أرسلت فان مات مات على الفطرة» وروى بنبيك متفق عليه * وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أنه أمر رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسي فانت تتوفها لك بماتها ومحياها اذا حيينها فاحفظها وان أمتها فاغفر لها اللهم أسألك العافية فقال له رجل أسمعت هذا من أحد قال من عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم» انفرد به مسلم * وروى أنس بن مالك رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مأوى» انفرد به مسلم *

﴿ فصل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا » انفرد به مسلم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة والنبي عليهم السلام استغفار ودعاء قاله الهروي * وروى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال « كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم صل تعطه صل تعطه » أخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح * وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى لقيت كعب بن عجرة فقال الا أهديك هدية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قللنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال «قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه * روي أبو مسعود الانصاري رضي الله عنه أنانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سمع بن عبادة فقال له البشير بن سعد « أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم « افرد به مسلم. وأبو مسعود اسمع عقبة بن عمر وقوله كما قد علمتم يروى بفتح العين وتخفيف اللام وبضم العين وتشديد اللام ويعنى بذلك فى التحيات فى قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله الى آخره وقيل فى قوله تعالى وسلموا تسليما * وروى أبو حميد الساعدى رضى الله عنه « أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه وأبو حميد الساعدى اسمه المنذر وقيل عبد الرحمن بن سعد بن المنذر وقيل غير ذلك * روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » افرد به البخارى *

﴿ تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويلبها الرسالة الخامسة انشاء الله تعالى ﴾



الرسالة الخامسة

ارشاد السائل الى دلائل المسائل

للامامة خاتمة الحفاظ الحججة عز الانام القاضي البدر محمد بن علي الشوكاني
رحمه الله صاحب نيل الاوطار

المتوفى سنة ١٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده . وبه نستعين . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له * ومن يضل فلا هادي له * وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله *

(أما بعد) فانه أرسل الى بمض الاعلام بأسئلة يذكر انها من المخلاف
الليباني^(١) وانه حصل الاختلاف بين أهله في شأنها وحاصل السؤال الاول هل
الراجح جواز قضاء المقلد أم لا فاقول الاوامر القرآنية ليس فيها الا أمر الحاكم بان
يحكم بالعدل والحق وما أنزل الله وما أراه الله ومن المعلوم لكل عارف أنه لا يعرف
هذه الامور الا من كان مجتهدا اذ المقلد انما هو قائل بقول الغير دون حجته وليس
الطريق الى العلم بكون الشيء حقا أو عدلا الا بالحجة والمقلد لا يعقل الحججة اذا
جاءته فكيف يهتدي للاحتجاج بها . وهكذا لاعام عنده بما أنزل الله انما عنده
عام بقول من هو مقلده فلو فرض انه يعلم بما أنزل الله وما جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علما صحيحا لم يكن مقلدا بل هو مجتهد وهكذا لانظر للمقلد
فاذا حكم بشئ فهو لم يحكم بما أراه الله بل بما أراه امامه ولا يدري ذلك القول الذي
قاله امامه موافق للحق أم مخالف له وبالجملة فالقاضي هو من يقضى بين المسلمين بما

(١) قوله المخلاف الليباني هو من وادي حلي الى زييد ولفظ المخلاف مستعمل

في اليمن بمعنى القطر

جاء عن الشارع كما جاء في حديث معاذ عند أبي داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث ماعدا الى اليمن قال : كيف تقضى اذا اعترض لك القضاء قال اقضى بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله قال اجتهد رأيي ولا آلوه قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله . وهذا الحديث وان كان فيه مقال فقد جمع طرقه وشواهد الحافظ ابن كثير في جزءه وقال هو حديث حسن مشهور اعتمد عليه ائمة الاسلام وقد أخرجه أيضا أحمد وابن عدى والطبرانى ولائمة الحديث كلام طويل في هذا الحديث فبعضهم يقول باطل لا أصل له وبعضهم يقول حسن معمول به وبعضهم يقول ضعيف والحق انه من الحسن لتفسيره وهو معمول به وقد دل هذا الحديث على انه يجب على القاضي أن يقدم القضاء بكتاب الله ثم اذا لم يجد فيه قضي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا لم يجد اجتهد رأيه والمقلد لا يتمكن من القضاء بما في كتاب الله لانه لا يعرف الاستدلال ولا كفيته ولا يمكنه القضاء بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ولانه لا يميز بين الصحيح والموضوع والضعيف المل باى علة ولا يعرف الاسباب ولا يدري بالمتقدم والمتأخر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ بل لا يعرف مفاهيم هذه الالفاظ ولا يتعقل معانيها فضلا عن أن يمكن من أن يعرف اتصاف الدليل بشيء منها وبالجملة فقلقلد اذا قال صح عندي فلا عند له وان قال صح شرعا فهو لا يدري ما هو الشرع وغاية ما يمكنه أن يقول صح هذا من قول فلان وهو لا يدوى هل هو صحيح في نفس الامر أم لا فهو بلا ريب أحد قضاة النار لانه اما أن يصادف حكم الحق فهو حكم بالحق ولا يعلم انه الحق أو يحكم بالباطل وهو لا يعلم أنه باطل وكلا الرجلين في النار كما ورد بذلك النص عن المختار . وأما قاضى الجنة فهو الذي يحكم ويعلم أنه الحق ولا شك أن من يعلم بالحق مجتهد لا مقلد هذا يعرفه كل عارف فان قال المقلد أنه يعلم ان ما حكم به من قول امامه حق لان كل مجتهد مصيب فنقول له هل أنت مقلد في هذه

المسألة أعنى أن كل مجتهد مصيب أم مجتهد فان قال كنت مقلدا في هذه المسألة فقد جملت ما هو محل النزاع دليلا لك وهو مصادرة باطلة فانك لاتعلم بانها حق في نفسها فضلا عن أن تعلم بزيادة على ذلك وان كنت مجتهدا في هذه المسألة فكيف خفي عليك ان المراد بكون كل مجتهد مصيبا هو من الصواب لامن الاصابة كما أقر بذلك القائلون بتصويب المجتهدين وحرروه في مؤلفاتهم المعروفة الموجودة بأيدي الناس واذا كان ذلك من الصواب لامن الاصابة فلا يستفاد من المسألة ما تزعمه من كونه مذهب امامك حقا فانه لا ينافي الخطأ ولهذا صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان اجتهد فخطأ فله أجر » وهذا لا يخفى الا على أعمى واذا لم تتمتع بالفرق بين الصواب والاصابة فاستر نفسك بالسكوت ودع عنك الكلام في المباحث العلمية وتعلم ممن يعلم حتى تدوق حلالة العلم فهذا حاصل ما لدى في هذه المسألة وان كانت طويلة الذيل والخلاف فيها مدون في الاصول والفروع ولكن السائل لم يسأل عن أقوال الرجال انما سئل عن تحقيق الحق فان قلت اذا كان التخاصم يبطل لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصمين الترافع الى من بها من القضاة المقلدين قلت اذا كان يمكن وصولها الى قاض مجتهد لم يجوز للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما الى القاضي المجتهد أو يرفع القضية اليه ليحكم فيها بما أراه الله فان كان الوصول الى القاضي المجتهد متعذرا أو متعسرا فلا بأس بان يتولى ذلك القاضي المقاد فصل خصوماته ما لکن يجب عليه أن لا يدعى علم ما ليس فيه من شأنه فلا يقول صح له ولا صح شرعا بل يقول قال امامي كذا ويعرف الخصمين انه لم يحكم بينهما الا بما قاله الامام الغلاني وفي الحقيقة هو محكم لا حاكم وقد ثبت التحكيم في هذه الشريعة المطهرة كاجاء ذلك في القرآن في شأن الزوجين وأنه يوكل الامر الى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة كما في قوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) وكما وقع في زمن النبوة ومع الصحابة في غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب والرمدأهون من العمى ولا يفتقر العاقل بما يزرخه المقلدون وبموهون به على العامة من تعظيم شان من يقلدونه وينشر فضائله ومناقبه والموازية بينهم وبين من يبلغ رتبة الاجتهاد في عصر هؤلاء المقلدين

فان هذا خروج عن محل النزاع ومغالطة قبيحة مما أسرع نفاقها عند العامة لان أفهامهم قاصرة عن ادراك الحقائق والحق عندهم بالرجال وللأموات في صدورهم جلاله وفخامة وطبائع المقلدين قريية من طبائهم فهم الى قبول أقوالهم أقرب منهم الى قبول أقوال العلماء المجتهدين لان المجتهدين قد باينوا العامة وارتفعوا الى رتبة تضيق أذهان العامة عن تصورها فاذا قال المقلد مثلا أنا أحكم بمذهب الشافعي وهو أعلم من هذا المجتهد المعاصر له وأعرف بالحق منه كانت العامة الى تصديق هذه المقالة والاذعان لها أسرع من السيل المنحدر وتنفل أذهانهم كذلك اكل انفعال *

فاذا قال المجتهد مجيبا على ذلك المقلد إن محل النزاع هو الموازنة بيني وبينك لا بيني وبين الشافعي فاني أعرف العدل والحق وما أنزل الله واجتهد برأيي اذا لم أجد في كتاب الله وسنة رسوله نصا وأنت لا تعرف شيئا من ذلك ولا تقدر على أن تجتهد برأيك اذ لا رأي لك ولا اجتهاد لان اجتهاد الرأي هو ارجاع الحكم الى الكتاب والسنة بالمقاييس أو بملاحة يسوغها الاجتهاد وانت لا تعرف كتابا ولا سنة فضلا عن ان تعرف كيفية الارجاع اليها بوجوه مقبولة كان الجواب الذي جاء به المجتهد مع كونه حقا بحثا بميدا عن ان يفهم العامة أو تدعن لصاحبه *

ولهذا نرى في هذه الازمان القريبة الشان ما ينقله المقلد عن امامه أو وقع في النفوس مما ينقله المجتهد من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان جاء من ذلك بالكثير الطيب وقد رأينا وسمعنا ما لا يشك بانه من علامات قيام القيامة على أن كثيرا من المقلدين قد ينقل في حكمه أو فتواه عن مقلد مثله قد صار تحت اطلاق الثرى وأمامه عنه براء فيجول ويصول وينسب ذلك الى مذهب الامام وينسب من يأتي بما يخالفه من كتاب أو سنة الى الابتداع ومخالفة المذهب ومباينة أهل العلم وهو لو ارتفعت رتبته عن هذا الخضيض قليلا لعلم أنه هو المخالف لامامه لا الموافق له ولنوضح هذا بشيء يعرفه المقلدون في ديارنا هذه فنقول اذا قال الحاكم للمجتهد في مسألة من المسائل بخلاف ما في متن الازهار

فلا يعدم جماعة من المقلدين ينكرون عليه هذه المخالفة لما في الازهار ويتقربون الى العامة بانهم يحافظون على العمل بما في هذا الكتاب وانهم مشيدون للمذهب قائمون بنشره وإن ذلك المجتهد يخالف ولو اتصفوا لعلوا أنهم هم المخالفون لما في الازهار وان ذلك المجتهد أسعد منهم بموافقته فان في أول فصل من فصول الازهار ان التقليد جائز لغير المجتهد لاله ولو وقف على نصه أعلم منه وقاله بعد ذلك بعد الالتزام بجمرة الانتقال الا الى ترجيح نفسه فهذا الازهار مصرح في أوامله بان عمل المجتهد بما في مسائله تقليداً غير جائز له فالقلد المسكين يريد من هذا المجتهد أن لا يعمل بجتهاده ولا يرجع الى ترجيح نفسه بل يقلد مؤلف الازهار في المسائل الفرعية التي فيه فيوقفه فيما لا يجوز بنص الازهار ثم هذا المقلد الذي يريد أن يكون قاضياً ويعتقد صحة قضائه هو أيضاً مخالف للازهار فانه مصرح في باب القضاء أن من شروط القاضى أن يكون مجتهداً فانه قال والاجتهاد في الاصح فهذا المقلد ليس بقاض بنص الازهار كما انه مخطيء في انكاره على من يخالف الازهار من المجتهدين بنص الازهار فانه قال في كتاب السير في فضل انكار المنكر (ولا في مختلف فيه على من هو مذهبه) وهذا المقلد قد نصب نفسه لانكار اجتهادات المجتهدين

تلبساً على العوام وترويحاً لقصوره على غير ذوى الافهام *

وبيان ذلك أنه ان كان عالماً بهذه النصوص التي ذكرناها في الازهار فهو في انكاره وترسيخه لنفسه بما ليس من أهله مخالف لما يعتقد أنه الحق بل لما يقصر الحق عليه وان كان جاهلاً بهذه النصوص فهو تهمة لانه يدعو الناس الى ما لا يعرفه ويرشدهم الى ما ليس عنده وينصب نفسه للانكار على أكبر العلماء وهو لا يعرف التقليد فضلاً عن ان يعرف ما فوقه ومن كان بهذه المنزلة فهو صاحب الجهل المركب الذي لا يستحق أن يخاطب بل على كل صاحب علم أن يرفع نفسه عن مجادلته ويصون لسانه عن مقاولته الا أن يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله *

﴿السؤال الثاني﴾ حاصله ما حكم الاعراب سكان البادية الذين لا يفعلون شيئاً من الشرعيات الامجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا وهل على المسلمين غزوم أم لا . أقول من كان تاركا لاركان الاسلام وجميع فرائضه ورافضاً لما يجب

عليه من ذلك من الاقوال والافعال ولم يكن لديه الا مجرد التكلم بالشهادتين فلا شك ولا ريب ان هذا كافر شديد الكفر حلال الدم وصيانة الاموال انما تكون بالقيام باركان الاسلام فالذي يجب على من يجاور هذا الكافر من المسلمين في المواطن والمساكن أن يدعو الى العمل باحكام الاسلام والقيام بما يجب عليه القيام به على التمام ويبدل تعليمه ويلين له القول ويسهل عليه الامر ويرغبه في الثواب ويخوفه من العقاب فان قبل منه ورجع اليه وعول عليه أكدها أو يوصله الى من هو أعلم منه بأحكام الاسلام وان أصر ذلك الكافر على كفره وجب على من يبلغه أمره من المسلمين أن يقاتلوه حتى يعمل بأحكام الاسلام على التمام فان لم يعمل فزوا حلال الدم والمال حكمه حكم أهل الجاهلية وما أشبه الليلة بالبارحة وقد أبان لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا ما نتممه في قتال الكافرين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية في هذا الشأن كثيرة معلومة لكل فرد من أهل العلم بل هذا الامر هو الذي بعث الله سبحانه به رسوله وأنزل لاجله كتبه والتطويل في شأنه والاشتغال بنقل برهانه من باب ايضاح الواضح وتبيين البين فاذا صح الاصرار على الكفر فالدار دار حرب بلا شك ولا شبهة والاحكام الاحكام وقد اختلف المسلمون في غزو الكفار الى ديارهم هل يشترط فيه الامام الاعظم أم لا والحق الحقيق بالقبول أن ذلك واجب على كل فرد من أفراد المسلمين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية مطلقة غير مقيدة •

(السؤال الثالث) حاصله ما قيل في العصاة من أهل بيت النبوة أنهم لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب بل هم من أهل الجنة على كل حال تكريمًا وتشريفًا هل ذلك صحيح أم لا أقول لا شك ولا ريب أن أهل البيت النبوي المطهر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم وقد جاءت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصهم الله به من التشريف والتكريم والنبجيل والتعظيم. وأما القول برفع العقوبات عن عصاتهم وأنهم لا يخاطبون بما اقترفوه من المآثم ولا يطالبون بما جنوه من المظالم فهذه مقالة باطلة ليس عليها

أثارة من علم ولم يصح في ذلك عن الله ولا عن رسوله حرف واحد وجميع ما أورده علماء السوء المتقربون الى المتعلقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف فهو باطل موضوع أو خارج عن محل النزاع بل القرآن أعدل شاهد وأصدق دليل على زجر قول كل مكابر جاحد فانه قال عز وجل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) وليس ذلك الا لما هن من رفعة القدر وشرافة المحل بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته الاطهار هم أحق منهن بهذا المضمار فانهم أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرف قدرا وأعلى محلا وأكرم عنصرا وأفخم ذكرا ولو كان الامر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله تعالى (وأندر عشيرتك الاقربين) معنى ولا كبير فائدة واذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة البتول التي هي بضمة منه يفضيه ما يفضيها ويرضيه ما يرضيها « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا » فليت شعري من هذا من أولادها الذي خصه الله بما لم يخصها ورفعها الى درجة قصرت عنها فابعد الله علماء السوء وقلل عددهم فان العاقبة فأقل الاحوال أن يكون كسائر الناس فيما من شرفه الله بهذا النسب الشريف اياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف *

(السؤال الرابع) حاصله الاستفهام عن مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة في الخلافة وما يترتب عليها * أقول أن كان هذا السائل طالبا للنجاة مستفهما عن أقرب الاقوال الى مطابقة مراد مولاه كما يشعر بذلك تصرفه في سؤاله فليدع الاشتغال بهذا الامر ويترك المرور في هذا المضيق الذي تاهت فيه الافكار وتحيرت عنده أفكار أهل الانظار فان هؤلاء الذين تبحث عن حوادثهم وتتطلع لمعرفة ما شجر بينهم قد صاروا تحت أطباق الثرى ولقوا ربهم في المائة الاولى من البعثة وهانحن الآن في المائة الثالثة عشر فانا والاشتغال بهذا الشأن الذي لا يميننا ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه . وأى فائدة لنا في الدخول في الامور التي فيها ريبة وقد أرشدنا الى أن ندع ما يربينا الى مالا يربينا ويكفيننا من تلك القلائل

والزلازل أن نعتقد أنهم خير القرون وأفضل الناس وان الخارجين على أمير المؤمنين رضوان الله عليهم المحاربين له المصرين على ذلك الذين لم تصح توبتهم بغاة وانه الحق وهم المبطلون . وما زاد على هذا المقدار فهو من الفضول الذي يشتغل به من لا يبالي بدينه وقد تلاعب الشيطان بكثير من الناس فأوقعهم في الاختلاف في خير القرون الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم لبعض من هو من جملتهم لكنه تأخر اسلامه عنهم « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » فإذا كان مثل أحد ذهباً من المتأخرين من الصحابة المخاطبين بهذا الخطاب لا يبلغ مد أحد متقدميهم ولا نصيفه فما أظنه يبلغ بمثل أحد ذهباً من مقدار حبة من أحدهم ولا نصفها فرحم الله امرأ اشتغل بما أوجبه الله عليه وطلبه منه وترك ما لا يعود عليه بنفع لافي الدنيا ولا في الآخرة بل يعود عليه بالضرر ولولم يكن من الضرر الا مجرد ما أروشدنا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » لكفى فهذا والله مالا يعنيننا ومن ظن خلاف هذا فهو مغرور مخدوع قاصر الباع عن ادراك الحقائق ومعرفة الحق على وجهه كما ننا من كان والله لو جاء أحدهم يوم القيامة بما يملأ الدنيا من الحسنات ما كان لنا من ذلك شيء ولو جاء أحدهم (وصانهم الله) من السيئات بمثل ذلك ما كان علينا من ذلك شيء . فقيم التعب وعلام نضيق الاوقات في هذه الترهات *

(السؤال الخامس) حاصله الاستفهام عن المعاديات الجارية في بعض البلدان من الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن على الاموات وكذلك في البيوت وسائر الاجتماعات التي لم ترد في الشريعة هل يجوز ذلك أم لا * أقول لا شك ان هذه الاجتماعات المبتدعة ان كانت خالية عن معصية سليمة من المنكرات فهي جائزة لان الاجتماع ليس بمحرم في نفسه لاسيما اذا كان لتحصيل طاعة كالتلاوة ونحوها ولا يقدح في ذلك كون تلك التلاوة مجهولة للميت فقد ورد جنس التلاوة من الجماعة المجتمعين كما في حديث « اقرأوا على موتاكم يس » وهو حديث حسن ولا فرق بين تلاوة يس من الجماعة الحاضرين عند الميت أو على قبره وبين تلاوة جميع القرآن أو بعضه لميت في مسجده أو بيته . وبالجملة فالاجتماعات العرفية التي

لم يرد جنسها في الشريعة ان كانت لا تخلو عن منكر فلا يجوز حضورها ولا يحل ولا تطيب نفس مسلم بحضوره ووقف المنكرات والمعاصي وان كانت خالية عن ذلك وليس فيها الا مجرد التحدث بما هو مباح فهذا لانسلم انه لم يرد جنسه في الشريعة المطهرة فقد كان الصحابة الراشدون يجتمعون في بيوتهم ومساجدهم وبينهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون الاخبار ويأكلون ويشربون فن زعم ان الاجتماع الخالي عن الحرام بدعة فقد أخطأ فان البدعة هي التي تبتدع في الدين وليس هذا من ذلك *

(السؤال السادس) حاصله الاستفهام عن الحلف بغير الله كالحلف بالسلطان والاولياء والقرآن من دون قصد تعظيم المخلوق به بل لاجل الاعتياد بذلك في المحاورة * أقول هذا لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ورد النهي عنه في الاحاديث الصحيحة وورد أيضا في الاحاديث ما يفيد ان فاعل ذلك يكفر اذا كان حلفه باللات والعزى ونحو ذلك من الطواغيت وورد أن من فعل ذلك لم يرجع الى الاسلام سالما وهذه أحاديث صحيحة ثابتة في دواوين الاسلام فان سبق لسان الحالف الى شيء من ذلك لاجل تمرنه عليه فعليه أن يتدارك نفسه بالاستغفار ويعود لسانه ونفسه الخير . المستطاع ولا يقع فيها نهى عنه الشارع وتوعد عليه فان النفس قابلة للتعليم اذا عودت غير ما قد اعتادته عادت الى الموافقة ولو بعد حين *

(السؤال السابع) عن تبقية شعر الرأس هل هو مسنون اذا علم من نفسه النقص عن تخليبه بالماء عند وجوب الغسل أم يجب عليه ازالته «أقول»
وخير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع
قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمعة الى شحمة اذنيه وكذلك للمشاهير من الصحابة الذين نقلت اليها حليتهم وقد جاءت الاحاديث الصحيحة الصريحة بذلك فمن أراد الاقتداء بالهيئة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليترك له جمعة كالجمعة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من دون أن يخلق بعض شعر الرأس ويبقى بعضه كما يعتاده البدو في الجهات المتصلة بصنعاء فان ذلك منهى

عنه لان التحليق ان كان بموضع الخلاقة فقد ورد عنه النهى الصحيح وان كان بموضع من الرأس فهو القزع المنهى عنه بالحديث الصحيح وهكذا حلق البعض وترك البعض وأما حلق الرأس كله فلم يرد ما يدل على النهى عنه وان كانت خلاف السنة اذا كان لغير النسك وقد ثبت ان التحليق سيما الخوارج ولعلمهم يفعلون ذلك معتقدين مشروعيته نعم ورد الامر النبوي لمن أسلم بأن يحلق عنه شعر الكفر فمن دخل بالاسلام بعد الكفر فعليه أن يحلق شعره الذي كان على بدنه في الكفر وهو شعر الرأس لاشعر اللحية ونحوه مما لا يرد الشرع بحلقه هذا على تسليم أن أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الفرد من أفراد الكفار يكون أمراً لكل فرد منهم والخلاف في المسألة معروف في الاصول ولم ينتقل اليها أنه صلى الله عليه وسلم أمر أحداً ممن أسلم من أكابر الصحابة أن يحلق شعره ولا من غيرهم من متأخري الاسلام غير هذا الرجل ومع هذا فالحديث المذكور في حلق الرأس ضعيف كما أوضح ذلك علماء هذا الشأن *

(السؤال الثامن) حاصله الاستفهام عن أرض فيها آثار ملك متقدمة ولا يد عليها في الحال ولا يعرف مالكمها وبعض الناس أوضاع شرعية تفيد أن له ملكاً فيها ولكنه غير معين في جهة من جهاتها فهل يجوز احيائها أم لا *

أقول ان الارض التي فيها آثار ملك للمالك غير معروف ان كانت في البلاد الامامية فهي لبيت المال ويكون أمرها الى الامام يجعلها المصلحة من مصالح المسلمين أو يبيعها أو يؤجرها وان كانت في أرض غير امامية كان أمرها الى أصلح أهل تلك البلد يجعلها في مصالح المسلمين واذا كان لاحد الناس أوضاع صحيحة تفيد أنه يملك مقداراً معلوماً غير معين في جهة من جهاتها كان له ذلك المقدار من أوسط بقاعها الذي يكون متوسطاً بين أعلاها وأدناها اذا كانت مختلفاً وان كانت متحدة فللامام أو الحاكم عن جهة أو حاكم المصالح أن يعين لصاحب الوضع ما اشتمل عليه وضعه في أي جهة من جهاتها والمفروض أنه لا يثبت ليد عليها حتى تعارض تقوم معروفين وهي منسوبة اليهم نسبة تفيد الملك فان كان نصيب كل واحد منهم معلوماً غير معين في جهة قسمت بينهم على قدر الانصاء وان كان النصيب مجهولاً قسمت

بينهم على الرؤوس مع عدم البرهان الشرعي بوجه من الوجوه*
(السؤال التاسع) حاصله هل يجوز التأديب بالمال اذا حصل من أحد الرعايا قتل أو نحوه أو لا يجوز وان كانوا لا يقومون في الغالب بما أوجبه الله عليهم من صلاة وصيام ونحوهما وهل في أموالهم حق غير الزكاة* أقول قد شرع الله لعباده الشرائع وحد لهم الحدود وجعل لكل ذنب عقوبة فالقاتل يقتل أو يسلم الدية ان لم يكمل شروط التصاص أو كملت ورضى الورثة بالدية والجاني يقتص منه فيما يجب فيه القصاص ويسلم الارث في الجناية التي لاقتصاص فيها والزاني والسارق والقاذف والسكران قد جاءت الشريعة بعقوبات مقدرة في كل واحد منهم. وتارك أركان الاسلام أو بعضها اذا أصر على الترك ولم تنب وجب قتاله بحسب الاستطاعة وهكذا جاءت الشريعة المطهرة بما يلزم كل من فعل محرما أو ترك واجبا ولم يأت في شيء من هذه الامور الشرعية التأديب بالمال وان ورد شيء من ذلك في الشريعة كتضعيف الغرامة في بعض المسائل وأخذ شطر من لم يسلم الزكاة وأخذ ثياب من يقطع أشجار حرم المدينة ونحو ذلك فهو مقصور على محله لا يجوز مجاوزته الى غيره وقد استوفيت الكلام على ذلك في رسالة مستقلة وسردت فيها المواضع التي وردت وأوضحت هنا ان الاصل المعلوم بالضرورة الدينية هو تحريم مال المسلم وعصمته وعدم تسويفه الا بطيب من نفسه وان تلك المواضع التي فيها التأديب بالمال كالمخصصة لهذا العموم فيقتصر عليها ولا يجوز مجاوزتها الى غيرها وان لا يجوز ذلك في هذه المواضع التي وردت الا لأئمة المسلمين المتبحرين في معرفة أحكام الدين ولا يجوز لافرادهم كائنا من كان ولا يشك عالم أن تلك المواضع اليسيرة وارادة على خلاف الاصل في هذه الشريعة فان الاصل المعلوم بالضرورة هو ماورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من العقوبات المقدرة للعصاة وقد تهافت الظلمة في هذه المسألة تهافتا شنيعا حتى عطلوا الحدود الواجبة واستحلوا أموال المسلمين بغير حقها فأخذوا ما حرم الله عليهم أخذه وهو مال المسلم وأهلوا ما أخذ الله عليهم القيام به وهو الحدود فجمعوا بين خطيئتين شنيعتين هما استحلال أموال المسلمين وأكلها بالباطل وتمطيل حدود الله التي شرعها لعباده

وأعانتهم على ذلك علماء السوء فأفتوهم بما وجدوه في نصوص أهل العلم من الكلام على التأديب بالمال فضلوا وأضلوا وكانوا شركاء لهم في المظلمة مع أن نصوص أهل العلم مقيمة بقیود مشروطة بشروط وكذلك الأدلة الواردة في ذلك فإنها في مواطن خاصة مباحنة لما يفعله أهل الظلم مبنية على مصالح عامة وخاصة لا يقف على وجه الحكمة فيها إلا أفراد العلماء وأما ما سأل عنه السائل (هل في المال حق سوي الزكاة) فأقول قد تكلم علماء التفسير والحديث والفقه في ذلك بكلام طويل والراجح أن حديث ليس في المال حق سوا الزكاة عام مخصص بمنزل وجوب الضيافة وسد رمق محترم الدم كما وردت بذلك الأدلة الخاصة بمنزل قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ونحو ذلك مما وردت به الشريعة المطهرة لآمالا ترد به مما ابتدعه أهل الظلم وجملوه ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل *

(السؤال العاشر) عن العمائر المستجدة في الحرم الشريف كالمقامات والمنارات وكذلك التعلية في البيوت زيادة على الحاجة أقول عمارة المقامات بدعة باجماع المسلمين أحدثها أشرك ملوك الشراكة فرج بن برقوق في أوائل المائة التاسعة من الهجرة وأنكر ذلك أهل العلم في ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع وبالله العجب من بدعة يحدنهم من هو من شر ملوك المسلمين في خير بقاع الأرض كيف لم يفضب لها من جاء بعده من الملوك المائلين إلى الخير لاسيما وقد صارت هذه المقامات سببا من أسباب تفريق الجماعات وقد كان الصادق المصدوق ينهى عن الاختلاف والفرقة ويرشد إلى الاجتماع والائتمة كما في الأحاديث الصحيحة بل نهى عن تفريق الجماعات في الصلوات والجلسة فكل عاقل منشرع يعلم أنه حدثت بسبب هذه المذاهب التي فرق الإسلام فرقا مفسدة أصيب بها الدين وأهله وأن من أعظمها خطراً وأشدّها على الإسلام ما وقع الآن في الحرم الشريف من تفرق الجماعات ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات كأنهم أهل أديان وشرائع مختلفة فانا لله وانا إليه راجون واما رفع المنارات فاصل وضعها لمقصود صالح وهو اسماع البعيد عن محل الأذان وهذه مصلحة مسوغة إذا لم تعارضها

مفسدة فان عارضتها مفسدة من المفسد المخالفة للشريعة فدفع المفسد مقدم على جلب المصالح كما تقرر ذلك في الاصول . واما تشييد البنيان ورفعه فوق حاجة الانسان فقد ورد النهي عنه والوعيد عليه وثبت انه صلى الله عليه وسلم أمر بهدم بعض الابنية وليس ذلك مجرد بدعة بل خلاف ما ارشد اليه الشارع *

السؤال الحادى عشر  عن شجرة التنباك هل يجوز استعمالها على الصفة التى يستعملها كثير من الناس الآن ام لا * اقول الاصل الذى يشهد له القرآن الكريم والسنة المطهرة هو ان كل ما فى الارض حلال ولا يحرم شىء من ذلك الا بدليل خاص كالمسكر والسم القاتل وما فيه ضرر عاجل أو آجل كالتراب ونحوه ومالم يرد فيه دليل خاص فهو حلال استصحابا بالبراءة الاصلية ومسكا بالدلة العامة كقوله تعالى (خاق لكم ما فى الارض جميعا) (قل لأجد فيما أوحى الى محرمات) الآية وهكذا الراجع عندي أن الاصل فى جميع الحيوانات الحل ولا يحرم شىء منها الا بدليل يخصصه كذى التاب من السباع والمخالب من الطير والكلب او الخنزير وسائر ماورد فيه دليل يدل على تحريمه اذا تقرر هذا علمت ان هذه الشجرة التى سماها بعض الناس التنباك وبعضهم التوتون لم يأت فيها دليل يدل على تحريمها وليست من جنس المسكرات ولا من السموم ولا من جنس ما يضر آجلا أو عاجلا من زعم أنها حرام فعليه الدليل ولا يفيد مجرد القال والقيل وقد استدل بعض أهل العلم على حرمتها بقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وأدرج هذه الشجرة تحت الخبائث بمسلك من مسالك العلة المدونة فى الاصول وقد غلط فى ذلك غلطا بينا فان كون هذه الشجرة من الخبائث هو محل النزاع والاستدلال بالآية الكريمة على ذلك فيه شوب مصادرة على المطلوب والاستخبات المذكور ان كان بالنسبة الى من يستعملها ومن لا يستعملها فهو باطل فان من يستعملها هى عنده من الطيبات لامن المستخبات وان كان بالنسبة الى بعض هذا النوع الانسانى فقد وجد منهم من استخبت العسل وهو من أطيب الطيبات وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكل الضب وقال اجدنى أهافه . فأكله بعض الصحابة بمرأى ومسمع منه صلى الله عليه وسلم ومن أنصف

من نفسه وجد كثيرا من الامور التي أحلها الشارع من الحيوانات وغيرها وكانت حلالا بالبراءة الاصلية وعموم الأدلة في هذا النوع الانساني من يستخبت بعضها وفيهم من يستطيبها يستخبت غيره فلو كان مجرد استخبات البعض مقتضيا لتحريم ذلك الشيء عليه وعلى غيره لكان العسل ولحوم الابل والبقر والدجاج من المحرمات (١) لان في الناس من يستخبت ذلك ويمافه واللازم باطل فاللزوم مثله فنقرر بهذا ان الاستدلال على تحريم التوتون لسكون البعض يستخبت غلط أو مغالطة وقد انقضى الجواب على سؤالات السائل مع المبالغة في الاختصار ليسهل الانتفاع بذلك على طالب الفائدة ولو بسطنا الجواب بعض البسط لجاء جواب بعض هذه الاسئلة على انفراد في كراريس في الظن بجميعها والحمد لله أولا وآخرا وظهر اوابطانا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

(١) هذه مغالطة ظاهرة فان هذه الاشياء ثابت حلها بنص الكتاب والسنة وان عافها أكثر الناس وشجرة التباك ليست مما ثبت حله بل نص على تحريمه كافة علماء الحكمة من مسلم وغيره بسبب ضرره وأنه يحدث ضررا كثيرا في جميع جسم الانسان حتى ان من يشربه ويستعمله يقر على نفسه بانه يحصل عنده ضرر بسببه وان صحته تضعف وتأخذ في الانحطاط وليس يثبت أن كل حكم جزئي منصوص عليه نصا صريحا بخصوصه بل بعض الاشياء ثابت حكمه بدليل خاص وبعضه بدليل عام يندرج ذلك الجزئي تحته وهذا لا يخفى على من له أدنى ادراك بعلم الاصول وقواعد الشريعة * فيعلم العاقل أنه اسراف وقد قال تعالى (ولا تسرفوا) وتبذير وقال سبحانه (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) ومفتر وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل مسكر ومفتر فلذلك اذا استعمله الانسان في بادىء أمره يحصل عنده غيبان وتفتير يشربه ويشكو. ومهلك وقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وضرر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والله أعلم

﴿ تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويليها الرسالة السادسة ان شاء الله تعالى ﴾

الرسالة السادسة

معنى قول الامام المطلي اذا صح الحديث فهو مذهبي

✽ لشيخ الاسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله ✽

(المتوفى سنة ٧٥٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

✽ وبه نستعين وعليه التوكل ✽

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام بقية المجتهدين تقي الدين السبكي رحمه الله سألت وقتك الله عن قول امامنا الشافعي رضي الله عنه اذا صح الحديث فهو مذهبي وهو قول مشهور عنه لم يختاف الناس في أنه قوله وروى عنه معناه أيضا بألفاظ مختلفة * قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال سمعت حرمة يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني * وقال الاصم سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بها ودعوا ما قلته * قال وسمعت الشافعي روى حديثا فقال له رجل يا أبا عبد الله تأخذ بهذا فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وقال الحميدي روى الشافعي يوما حديثا قلت أتأخذ به فقال رأيتني خرجت من كنيسة على زنار حتى اذا سمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لا أقول به * وقال الربيع سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال له بروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كذا وكذا فقال له السائل تقول به فرأيت أنه أرعد وانتفض وقال يا هذا أي أرض تقاني وأي سما تظلني اذا رويت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلم أقل به نعم على السمع والبصر •
 وقال ابن أبي حاتم اخبرني أبو محمد السجستاني فيما كتب الي عن أبي ثور سمعت
 الشافعي يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعه مني •
 وقال دعلج حدثنا ابو محمد الجارودي قال سمعت الربيع قال سمعت الشافعي
 يقول اذا وجدتم سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فخذوا بها
 ودعوا قولي فاني أقول بها • وقال ابن أبي حاتم كتب الي عبد الله بن الامام احمد
 سمعت أبي يقول كان الشافعي اذا ثبت عنده الحديث قلده وخبر خصلة كانت
 فيه لم يكن يشتهي الكلام انما همته الفقه • وروى الطبراني عن عبد الله ابن
 الامام احمد قال سمعت ابي يقول قال محمد بن ادريس الشافعي أنت أعلم بالاخبار
 الصحاح منا فاذا كان خبر صحيح فاعلمني حتى اذهب اليه كوفيا كان أو بصريا
 أو شاميا فانظر انصاف الشافعي رحمه الله وقوله لأحمد واحمد من اصحابه وقد
 قال ابراهيم الحربي قال استاذ الأستاذين قالوا من هو قال الشافعي اليس هو استاذ
 احمد بن حنبل • وقال ابو أيوب حميد بن احمد البصري كنت عند احمد بن
 حنبل تنذا كرو في مسألة فقال رجل لأحمد يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث فقال
 ان لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي . وحجته اثبت شيء فيه ثم قل قلت
 للشافعي ما تقول في مسألة كذا وكذا قال فأجاب فيها فقلت من اين قلت هل فيه
 حديث أو كتاب قال فتزعم في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث
 نص • وروى البيهقي بسنده الى الربيع المرادي قال سمعت الشافعي يقول اذا
 وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ودعوا ما قلت • وعن الربيع بن سليمان أيضا قال سمعت الشافعي يقول كل
 مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف
 ما قلت فأناراجع عنها في حياتي وبعد موتي • وعن الربيع بن سليمان قال سمعت
 الشافعي يقول ما من احد الا ويندب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 وتعرف عنه فمها قلت من قول او أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وعلى آله خلاف ما قلت فالتقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم وهو قولى وجعل يردد هذا الكلام * ومثل ابو بكر بن خزيمة هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام لم يودعها الشافعى كتابه قال لا * وقال الشافعى لا تترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسخله القياس ولا موضع للقياس مع السنة * وقال الشافعى فى حديث بروع بنت واشق ان ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو أولى الأهور بنا ولا حجة فى قول احد دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا فى قياس ولا شىء فى قوله الا طاعة الله بالتسليم له ولم احفظه من وجه يثبت مثله هو مرة يقال عن معقل بن يسار ومرة عن معقل بن سنان ومرة عن بعض اشجع لا يسمى * وقال الشافعى فيما روى عن علي بن مبيد باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله انه اجاز بيع القمح فى سنبله امامه وفرر لانه مجهول دونه لا يرى فان ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا به وكان هذا خاصا مستخرجا من عام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الفرر و اجاز هذا وكذا اجاز بيع الشقص من الدار فجعل فيه الشفعة لصاحب الشفعة وان كان فيه غرر وكان خاصا مخرجا من عام * وللشافعى رضى الله عنه كثير من هذا * وقد روينا منها باسانيد شتى كثيرا لم نر التطويل بذكرها ولا بذكر الأسانيد * وقال أبو الوليد موسى بن ابي الجارود قال الشافعى اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قولا فانى راجع عن قولى وقائل بذلك * وقال الزعفرانى عن الشافعى اذا وجدتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول احد * وحكى الأمام فى النهاية عن الصيدلانى عن بعض اصحابنا المحققين القطع باستحباب التثويب وقال نحن نعلم على قطع انه لو بلغه يعنى الشافعى الحديث على خلاف ما اعتقده وصح على شرطه لرجع الى مواقة الحديث * وفى المهذب فى الغسل من غسل الميت ان الشافعى قال فى البويطى ان صح الحديث قلنا به * وفى البحر فى الاشرط عن الشافعى فى الجديد ان صح حديث ضباة قلت به * ورجح جماعة من اصحابنا ان وقت المغرب موسم والصوم عن الميت كذلك ولا جله قال الماوردي ان الصلاة الوسطى المصر مع نص الشافعى على انها الصبح قال ولا يكون فى ذلك قولان كهوهم بعض اصحابنا

* وقال في وطء الحائض فيه وجوب دينار أو نصف دينار * روى هذا الحديث الشافعي وكان اسناده ضعيفا فقال ان صح قلت به * وحكي الربيع عن الشافعي أنه قال ما ورد من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلاف مذهبي فتركوا له مذهبي فان ذلك مذهبي واختار ابن المنذر أن الصلاة الوسطى العصر كما اختاره الماوردي ونسبه ابن عبد البر والقاضي عياض الى الشافعي *

﴿فصل﴾ قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رضى الله عنه في كتاب الفتوى ممن حكي عنه أنه أوتي بالحديث في مثل ذلك أبو يعقوب البويطي وأبو القاسم الداركي وهو الذي قطع به أبو الحسن الكيا الطبري وليس هذا بالهين فليس كل فقيه يسوغ له أن يستقل بالعمل بما آتاه حجة من الحديث وفيمن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمدا على علم منه بصحته لما نفع اطاع عليه وخفي على غيره كابي الوليد موسى بن أبي الجارود من صحب الشافعي * روي أنه روى عن الشافعي أنه قال اذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث وقلت قولانا راجع عن قولي قائل بذلك * قال أبو الوليد وقد صح حديث أظفر الحاجم والمحجوم فرد على أبي الوليد ذلك من حيث أن الشافعي تركه مع صحته لكونه منسوخا عنده وقد دل على ذلك رضى الله عنه رتبته * وروينا عن ابن خزيمة الامام البارع في الحديث والفقه أنه قال قيل له هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه قال لا قال ابن الصلاح (١) وعند هذا قول من وجد من الشافعيين حديثا يخالفه مذهبه نظر فان كملت آلات

(١) هكذا عبارة ابن الصلاح في التسخين وفي التركيب ركائة . وقد ذكر الامام النووي كلام العلامة ابن الصلاح في مقدمة المجموع شرح المذهب وهالك نسه . قال الشيخ أبو عمرو فمن وجد من الشافعية حديثا يخالف مذهبه نظر أن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقا أو في ذلك الباب أو المسألة كان له الاستقلال بانعمل به وان لم يكمل وشق عليه مخالفة الحديث بعد ان بحث فلم يجد لمخالفته عنه جوابا شافيا فله العمل به ان كان عمل به امام مستقل غير الشافعي ويكون هذا عذرا له في ترك مذهب امامه هنا ه قال النووي وهذا الذي قاله حسن متعين

الاجتهاد فيه اما مطلقا وأما في ذلك الباب او في تلك المسألة كان له الاستقلال بالعمل بذلك الحديث وان لم تكمل فيه آتته ووجد حرارة في قلبه من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمن لفته عنه جوابا شافيا فلينظر هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل فان وجدته فله ان يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون ذلك عذرا له في ترك مذهب أمامه في ذلك وسكت ابن الصلاح عن القسم الآخر وهو ان لا يجحد من يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث وكأنه لان ذلك انما يكون حيث يكون اجماع ولكن قد يفرض مع الاختلاف وقد يفرض في مسألة لا نقل فيها عن غير الشافعي فإذا يصنع والاولى عندي اتباع الحديث وليفرض الانسان نفسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع ذلك منه ايسره التأخر عن العمل به لا والله وكل أحد مكلف بحسب فهمه وقد تبع النووي أبا عمرو بن الصلاح فيما قاله وقال مثله في خطبة شرح المذهب وقال انما هذا يعني كلام الشافعي فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب وشرطه ان يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم بصحته وهذا انما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب الاصحاب الاخذين عنه وما اشبهها وهذا شرط صعب قل من يتصف به وانما اشترطوا ما ذكرناه لان الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها لكن قام الدليل عنده على طعن فيها او نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك *

وحكى الذي قاله ابن الصلاح وقال انه حسن متعين وهذا الذي قاله رضي الله عنهما ليس ردا لما قاله الشافعي ولا لكونه فضيلة امتاز بها عن غيره ولكنه تبيين لصوبة هذا المقام حتى لا يفتخر به كل أحد والافتاء في الدين كه كذلك لا بد من البحث والتنقيح عن الادلة الشرعية حتى ينشرح الصدر للعمل بالدليل الذي يحصل عليه فهو صعب وليس بالهين كما قاله رضي الله عنهما ومع ذلك ينبغي الحرص عليه وطلبه * وأما قصة ابن الجارود فلقد ورد فيها على ابن الجارود لتقصيره في البحث لاعلى حسن كلام الشافعي في نفسه وامكان اتباعه * ومن وافق ابن الجارود عليه أبو الوليد النيسابوي حسان بن محمد من ذرية سعيد بن العاص من أكابر أئمة

أصحابنا توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة؛ كان يخالف بالله ان مذهب الشافعي أنه يفطر الحاجم والمحجم استنادا الى ذلك وغلطه الاصحاب بما سبق كما غلطوا ابن الجارود وهو كسألة يغلط فيها بعض المجتهدين لكن تغليب ذلك صعب لاتساع المدارك * وقد سهل تغليب هذا الرجل من جهة معرفة مدركه وغلطه فيه * وقد يمكن مثله في غيره وقد يتهياً معرفة صراب من يصيب فيه * وقد حكى عن أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي وكان فقيها محدثا أنه كان لا يقنت في صلاة الصبح يقول صح عندي ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك القنوت في صلاة الصبح وقال رأيت ليلة الشيخ أبا اسحق الشيرازي في النوم فسلمت عليه وأردت أن أقبل يده فأعرض عني وامتنع فقلت ياسيدي أنا من جملة غلمائك واذكر المذهب من تصنيفك في الدروس فقال لي لم تركت القنوت في صلاة الصبح . فقلت له ان الشافعي قال اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي وخذوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك قولي فهذا أيضا قول الشافعي وشرعت معه في شرح الحديث وهو يضمني الى أن تبسم في وجهي أو كما قال وذكر هذه الحكاية عنه ابن السمعاني وذكرها شيخنا الحافظ الدمياطي في الصلاة الوسطى ولما قرأتهما عليه تركت القنوت في صلاة الصبح مدة ثم علمت ان الذي صح من قوله صلى الله عليه وسلم القنوت في صلاة الصبح هو الدعاء على رعل وذكوان وفي غير صلاة الصبح أما ترك الدعاء مطلقا بعد القيام في صلاة الصبح ففيه حديث عيسى بن ماهان * وفيه من الكلام ما عرف وايس هذا موضع تحريره فرجعت الى القنوت وأما الآن أقنت وليس في شيء من ذلك اشكال على كلام الشافعي وأما قصور يعرض لنا في بعض النظر * ولما ذكر شيخنا الدمياطي محمد بن عبد الملك الكرجي قال انه من أكبر أصحاب الشيخ أبي اسحاق الشيرازي فقال لي ابني عبد الوهاب ليس من أصحاب الشيخ أبي اسحق ولكن من أصحاب أصحابه وكان يدرس كتابه * وأما قول ابن خزيمة انه لا يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتبه فقد يكون أودعها كتبه وفي بعضها لم يتبين له صحتها فيتبين بعد ذلك أولا يكون في الحلال والحرام كما في الصلاة

الوسطى أو يكون سنة لم يعلمها ابن خزيمة أو يكون الشافعي قال ذلك على سبيل
 الفرض والتقدير * وأما ما قام الدليل عند الشافعي على طعن فيها أو نسخها أو
 تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك فليس الكلام فيه وليس هذا تركا لها وإنما الترك
 للحديث أن لا يعمل به أصلا كما يقوله من يترك الحديث لعمد المدينة أو للقياس
 أو لعدم فقه الراوي أو لعمله أو عمل صحابي بخلافه ونحو ذلك هذا هو الترك *
 وأما الطعن في اسناد الحديث أو بسبب علة أو شذوذ فذلك يمنع من الحكم بصحة
 الحديث وكلامنا إنما هو اذا صح الحديث والنسخ ليس تركا فالنسخ قد يوجد في
 القرآن والتخصيص ليس تركا بل جمع بينه وبين العام * وقد تكلم الشافعي
 في الاحاديث المختلفة والجمع بينها في كتاب اختلاف الحديث أحسن كلام
 وكذلك العلماء كلهم فهذا ليس هو المراد هنا وإنما المراد الترك المطلق ولم يقع
 ذلك للشافعي أصلا ولا تقتضيه أصوله وقد تكلم الاصوليون في العمل بالعام قبل
 طلب المخصص والذي أقوله ان المبادرة الى امتثال الامر مطلوبه كمن سمعه من
 النبي صلى الله عليه وسلم لا رخصة له في تركه * والمبادرة الى طلب وجوه التأويل
 والتخصيص والتقييد وعدم النسخ مطلوبه فلا رخصة في ارتكاب الهويناء بل عليه
 المبادرة وبمهل بقدر ما ينظر غير مهمل ولا مؤخر عن الوقت الذي يتعين فيه العمل
 والا فينقضي العمر ولا يعمل والمكلف بذلك كل من هو من أهل الفهم بحسب
 ما تصل اليه قدرته من العلم والمبالغة في الطلب واشتراط رتبة الاجتهاد الكامل
 والتوقف عن العمل حتى يحصل الى أقصى غاية ليس مما يقتضيه سير السلف رضی
 الله عنهم * واذا كان لا بد من العمل فالعمل بما اقتضاه الحديث أولى من العمل
 بما اقتضاه كلام صاحب المذهب الذي يقلده اذا كان المقلد من أهل الفهم * أما
 العامي فلا كلام معه الا أن يقال له هذا حكم الله أو هذا مذهب فلان * وقال
 الربيع قال الشافعي قد أعطيتك جملة تقيك ان شاء الله لاتدع لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل
 بما قالت لك في الاحاديث اذا اختلفت * قال أبو نور سمعت الشافعي رضی الله
 عنه يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعه مني

وقال الزعفراني كنا ولو قيل لنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قلنا هذا مأخوذ هذا غير مأخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال لنا ما هذا اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مأخوذ لا يترك لقول غيره * وقال الانرم كناعند البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحتته من كتابه وصيره ضربة وقال هكذا أودى صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي * حكى ذلك أبو شاة في كتابه المؤمل في الرد الى الامر الاول *

﴿فصل﴾ قال معن سمعت مالكا يقول انما أنا بشر أخطى وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة نخذوا به وما لم يوافقهما فاتركوه قال نعم بن حماد سمعت أبا عصة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال * وقال نعم سمعت ابن المبارك يقول سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا واذا جاء عن التابعين زاحناهم * قال الثوري لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة منهم رأينا كرايمهم كأنه سوى بين التابعين والصحابة في أنهم اذا أجمعوا في مسألة على قولين مثلا لم يجوز لنا احداث قول ثالث * وجوز أبو حنيفة ذلك وهذه مسألة خلافية بين الاصوليين وهذا الكلام عن مالك وابي حنيفة رضى الله عنهم يقرب من كلام الشافعي ولكن ليس فيه تمليق القول بمقتضى كل حديث على صحته كما فعله الشافعي رضى الله عنه وانما قال مالك ان رأيه ينظر فيه فوافق الكتاب والسنة يؤخذ به وما لم يوافقها يترك ولا شك في ذلك عند كل امام وامتناز الشافعي بزيادة وهو ان قوله هو الحديث ففي كلام مالك زيادة على كلام ابي حنيفة بالامر بالترك وفي كلام الشافعي زيادة على كلام مالك بالقول به وأنه هو مذهب فيقلده فيه من يسوغ تقليده له ويريد به وكلهم مشتركون في أنه متى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثابت فواجب المصير اليه * قال مجاهد والسعي والحكم ومالك ليس من أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم *

(م ١٤ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرية)

﴿فصل﴾ قال أبو شامة رحمه الله تلميذ ابن الصلاح وشيخ النووي وهو من المبالغين في اتباع الحديث ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر الصحيح الراجح اليهما الا اني ليس بمعصوم من النسيان فاحالنا بصريح قوله على أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله وجميع ذلك مذهبه منه ما هو منصوص له وصحح الاصحاب خلافه لنص آخر له كصوم الولي عن الميت أو يكون النص لا خلاف عنه فيه لكنه على مخالفة حديث ثابت كاختياره قول الأماموم سمع الله لمن حمده كالامام قلت لا مخالفة في ذلك ﴿قال أو يكون علق قوله على ثبوت الحديث فوجد ثابتا كإخراج الاقط في الفطرة أو دل عليه حديث آخر ثابت أو يكون الشافعي تمسك في الباب بحديث وفي الباب حديث أثبت منه كحديث التيمم ضربة يمسح بها وجهه وكفيه أو يكون الحديث دل على حكم في مسألة لم يعلم فيها نص للشافعي بنفي ولا اثبات كرفع اليدين عند القيام من التشهد أو يكون تمسك بظاهر حديث ودل الدليل على أن ذلك ليس على ظاهره كالزام من يفرق زكاة نفسه بالاصناف الثمانية أو من قدر عليه منهم وكنقض الطهارة بمس الفرج فلانظر فيه مجال فلا نقوله ما لم يقل لكن ننبه على الدليل المتقضى خلافه ونرجح وكل ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودل على حكم لا نص للشافعي على خلافه فهو مذهبه لا شك فيه أخذنا من قوله ومما أمر به أما ماله نص على خلافه قسمان أحدهما ما لم يكن بلغه فيه الحديث فهذا كالتقسيم الاول يترك نصه ويصار الى الحديث وهو مذهبه هذا اذا وضحت دلالة الحديث على ذلك الحكم أما اذا خفيت وأمكن الجمع وتنزيل الحديث على قوله فلا والثاني ان يكون قد بلغه الحديث وعرف ثبوته وأوله وتكلم عليه فينظر في كلامه فان كان ظاهرا متوجها لادفع له لم يخالف وحمل الحديث على ما حمله هو عليه كاختياره الجهر بالبسملة وتأويله لحديث أنس رضي الله عنه الظاهر الدلالة على نفي الجهر ومن ذلك افطار الصائم بالحجامة فانه لم يره وقال حديث أفطر الحاجم والمحجوم منسوخ وان كان لكلامه مدفع صير الى الحديث لان ذلك يتناواه قوله ودعوا ما قلت كما في التيمم الى المرفقين ولا

يتأتى النهوض بهذا الامن عالم معلوم الاجتهاد وهو الذي خاطبه الشافعي بقوله اذا وجدتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف قولي فخذوا به ودعوا ما قلت وليس هذا لكل أحد فكم في السنة من حديث صحيح العمل على خلافه إما اجماعاً وإما اختياراً المانع منع نحو كان الثلاث واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر * صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا جميعاً وثمانيا جميعاً في غير خوف ولا مطر * غسل الجمعة واجب على كل محتلم * فالامر في ذلك ليس بالسهل * قال ابن عيينة الحديث مضلة الالفهاء قلت لسنا نوافق ابن عيينة ولا ابا شامة على ذلك وليس في الاحاديث الصحيحة ما أجمع العلماء على تركه وحديث كان الثلاث واحدة مؤول وكذلك صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا جميعاً وثمانيا جميعاً وليس هذا موضع تأويلها لاجل الطول وغسل الجمعة واجب معناه متأكد وام يجمعوا على عدم الوجوب ومما قاله أبو شامة ان الله يسر له الحمد الوقوف على ما ثبت من الاحاديث وتجنب ما ضف منها مما جمعه الحفاظ كالصحيحين والمستدرك عليهما وابن خزيمة والترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والدارقطني والبيهقي فلا عذر في ترك الاشتغال بها وكذلك المسائل المثبتة الفقهية المبنيّة على اللغة كل ذلك الى علماء اللسان فالتوصل الى الاجتهاد ليسور وأسهل منه قبل اليوم لولا قلة همم المتأخرين وعدم المعتبرين ومن أكبر أسبابه تعصبهم وتقيدهم برفق الوقوف * قلت وتضيق كثير من زمانهم بالتوسع في علوم غير علوم الشريعة أو في علوم الشريعة بالجدل والتعمق في التفريعات الدقيقة فيشغلهم ذلك عن فهم نفس الشريعة والاطلاع على قواعدها الكلية وأسرارها التي هي أكثر نفعاً وبذلك وصل المتقدمون الى الاجتهاد وبترك حرمة المتأخرون *

(فصل) قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي المالكي رحمه الله في كتابه التنقيح وشرحه * ومما شنع على مالك رضي الله عنه رده لحديث يبيع الخيار مع روايته له وهو مبيع متسع ومسلك غير ممتنع فلا نجد علماً الا وقد خالف من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أدلة كثيرة * ولكن لمعارض

راجح عليها عند مخالفتها * وكذلك رحمه الله ترك هذا الحديث لمعارض راجح عنده وهو عمل أهل المدينة * فليس هذا بابا اخترعه ولا بدعا اقترعه * ومن هذا الباب ما يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط فان كان مرادهم عدم المعارض فهو مذهب العلماء كافة وليس خاصا به وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع فليس هذا القول خاصا به كما ظنه بعضهم هذا كلامه في التنقيح وقال في شرحه كثير من فقهاء الشافعية يعتمدون على هذا ويقولون مذهب الشافعي كذا لان الحديث صح فيه وهو غلط لانه لا بد من انتفاء المعارض والعلم بعدم المعارض يتوقف على من له أهلية استقراء الشريعة حتي يحسن أن يقال المعارض لهذا الحديث * أما استقراء غير المجتهد المطلق فلا عبرة به فهذا القائل من الشافعية ينبغي أن يحصل لفسه أهلية الاستقراء قبل أن يصرح بهذه الفتيا لكنه ليس كذلك فهم مخطئون في هذا القول انتهى كلام القرافي رحمه الله تعالى * ومثل هذا الكلام الذي قاله القرافي قاله جماعة غيره وسير الى ابني أبو حامد بارك الله فيه يسألني عنه فقلت هيئات ولنا كلامان أحدهما مختصر مع كل من يقول مثل هذا الكلام * وهو منع ما قاله في طرفي الترديد الذي ذكره فان قوله ان كان مراده مع عدم المعارض فهو مذهب العلماء كافة وليس خاصا به ممنوع لان المعلوم من مذهب العلماء كافة اتباعهم للحديث رضي الله عنهم فانهم اذا بلغهم حديثا لمعارض له قالوا به واذا لم يبلغهم هم في أو سم المنذر فهم مشتركون في ذلك مع الشافعي ويمتاز الشافعي بانه عاق القول به على صحته * فاذا صح كان قائلا به وجازت نسبتة اليه بخلاف غيره لا يجوز أن ينسب اليه انه قاله ولكن لو اطلع عليه لقال به وشتان بين المقامين * وقوله وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع ان أراد مع وجود المعارض عنده فليس خلاف الاجماع لما سنين ان مالسكا وأبا حنيفة وغيرهما قالوا بمعارضته بأمر ولا يوافقهم عليها الشافعي وان أراد مع وجود معارض مجمع على انه معارض فسنين ان هذا القسم مستحيل وانه ليس في الاحاديث الصحيحة حديث أجمع العلماء على أنه معارض فهذا القسم منتف لانتهاء المعارض وبذلك يتبين ان كلام طرفي الترديد ممنوع *

الكلام الثاني مبسوط نشرح فيه ما أشرنا اليه في أول الكلام الاول فنقول في كلام الشافعي هذا فوائد قد امتاز بها . احداها الفائدة التي قدمناها من جواز نسبته اليه وفيها ثلاثة أشياء أحدها مجرد جواز نقله عنه والثاني انه اذا أراد أحد تقليده فيه جاز له ذلك اذا كان ممن يجوز له التقليد والثالث اذا كان العلماء كلهم الا الشافعي على مقتضى حديث والشافعي بخلافه لعدم اطلاعه فاذا صح صارت المسئلة اجماعية لانه لم يكن خالف فيها الشافعي ويبين بالحديث ان قوله مرجوع فيه واولا حقيقة له فلا ينسب اليه بل ينسب اليه خلافه . وواقفة لبقية العلماء فيكون اجماعا فينتقض قضاء القاضي بخلافه لمخالفة النص والاجماع ولو اتفق ذلك لغير الشافعي ممن لم يقل . مثل قوله كان تقض قضاء القاضي به لمخالفته النص فقط لا لمخالفته الاجماع فهذه أشياء في هذه الفائدة الواحدة ولا امتناع من تعليق القول بصحة الحديث مجملا ومفصلا فالمنفصل مثل قوله في حديث بروع ان صح قلت به والمجمل مثل قوله اذا صح الحديث فهو مذهبي وكما يصح الايمان بكل ما أنزل الله جملة كذلك يصح القول بكل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة فهذه فائدة قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي اذا لم يكن معارض ولا يقدر أحد أن ينسب هذا الى أحد من العلماء غيره وان كنا نعتقد فيهم أنهم لو اطلعوا عليه لقالوا به ولكن المعلق بالوعد عدم عند عدمه وهو معدوم والمعلق باذا وجود عند وجوده وهو موجود * واعلم ان في قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي ثلاثة الفاظ أحدها اذا وهي وان كانت مطلقة الا أن المراد بها العموم فيصح فيها على كل الاحوال وسنبين صحة العموم في ذلك وانه لا معارض له أصلا * والثاني صحة الحديث وعموم الالف واللام فيه سواء كان حجازيا أم كوفيا أم بصريا أم شاميا كما أشار اليه الشافعي في كلامه لا أحد لأن من الناس من لا يأخذ باحاديث العراق * الثالث قوله فهو مذهبي ودلالته على قوله به وبدل له ما قدمناه من رواية الربيع عليه من قوله فنحنوا بها ودعوا قولي فإني أقول بها فانظر تصريحه بقوله بها واذنه في الاخذ بها ولم يوجد ذلك لأمام غيره * الفائدة الثانية ان الاحاديث الصحيحة ليس فيها شيء له معارض متفق عليه والذي يقوله الأصوليون من ان خبر الواحد اذا عارضه خبر

متواتر او قرآن او اجماع او عقل انما هو فرض وليس شئ من ذلك واقعا ومن ادعى ذلك فليبينه حتى نرد عليه وكذلك لا يوجد خبران صحيحان من أخبار الآحاد متعارضان بحيث لا يمكن الجمع بينهما والشافعي قد استقرأ الاحاديث وعرف ان الامر كذلك وصرح به في غير موضع من كلامه فلم يكن عنده ما يتوقف عليه العمل بالحديث الا صحته فتمى صح وجب العمل به لانه لا معارض له فهذا بيان للواقع والذي يقوله الاصوايون مفروض وليس بواقع وهذه فائدة عظيمة واليها الاشارة بقوله اذا صح حيث اطلقه ولم يجعل معه شرطا آخر * الفائدة الثالثة ان العلماء رضوان الله عليهم لكل منهم اصول وقواعد بنى مذهبه عليها لاجلها رد بعض الأحاديث كما سنبين ذلك من مذهب مالك في عمل أهل المدينة وغيره ومنه مذهب ابي حنيفة في عدة مسائل واما الشافعي فليس له قاعدة يرد بها الحديث فتمى صح الحديث قال به والمعارض الذي لو وقع كان معارضا عنده وعند غيره هو المعتبر او الاجماع او القرآن او السنة المتواترة لم يقع أصلا وقد صان الله شريعته عن ذلك فكان في قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي اشارة الى ذلك * الفائدة الرابعة في عموم الألف واللام من قرأه الحديث سواء كان حجازيا أم عراقيا ام شاميا خلافا لمن لم يقبل الا احاديث الحجاز كما اشار الى ذلك في قوله الذي حكيناه فهذه اربع فوائد في الفائدة الأولى ثلاثة اشياء فصارت ستة لم توجد في كلام بقية الأئمة وها نحن ندين من كلام العلماء وقول الحنفية والمالكية ما ندين ان عندهم معارضات يرد بها الحديث الصحيح ليست عند الشافعي وليس عند الشافعي معارض لم يقولوا هم به بل لا معارض واقع عنده اصلا فلنذكر كلام الائمة من الحنفية والمالكية ليتبين به ذلك ونكتفي بكلام الائمة من المذهبيين عن كلام من وافقهم من بقية العلماء رضى الله عن الجميع فكلمهم قصد الخير والأجر وبذل الجهد والوسع اما الحنفية رضى الله عنهم فنقول *

﴿فصل﴾ من كلام الائمة الحنفية وهو مذهبهم نقلته من كتاب التحقيق في اصول الفقه اميد العزيز شرح الأخشيكى واختصرت منه * خبر الواحد وجوب العمل به متعلق بشروط ثمانية الأول ان لا يكون مخالفا للكتاب قال الشارح ان

ورد مخالفا لنص الكتاب ان أمكن تأويله من غير تعسف يقبل وان لم يمكن تأويله الا بتعسف لم يقبل بلا خلاف * قال علي السبكي (هو المصنف رحمه الله) هذا فرض ولكنه ليس بواقع والله اعلم * قالوا فان خالف خبر الواحد عموم الكتاب او ظاهره فكذلك عندنا حتى لا يجوز تخصيص العموم وعلى الظاهر على المجازية قال علي السبكي بل يجوز ومحل تقرير ذلك اصول الفقه والله اعلم * قالوا وعند الشافعي وعامة الأصوليين يجوز تخصيص الأصول به ويثبت التعارض بينهما وبين ظاهر الكتاب بناء على انها لا توجب اليقين عندهم * قال علي اما جواز التخصيص فهو الحق ونحن لا نسميه معارضا من سماه فعلى سبيل المجاز وانما هو بيان واليقين مع الظهور محال والله اعلم قالوا وعند العراقيين من مشايخنا والقاضي ابي زيد ومن تابعه في افادتها اليقين لا يجوز تخصيصها بمعارضتها به اما عند من جعلها ظنية من مشايخنا كابي منصور ومن تابعه من مشايخ سمرقند فيحتمل ان يجوز تخصيصها والاصح لا يجوز عندهم ايضا لأن الاحتمال في خبر الواحد فوق الاحتمال في العام والظاهر * قال علي السبكي لكن فيه ابطال دليل كامل والتخصيص انما فيه مخالفة ذلك القدر الزائد من الظهور والله اعلم * قالوا مسألة حديث مس الذكركم مخالفا للكتاب لأن الله مدح المتطهرين بالماء بقوله عز اسمه (يجنون ان يتطهروا) والاستنجاء بالماء لا يتصور الا بس الفرجين وثبت بالنص انه من التطهير فلو جعل المس حدثا لم يكن الاستنجاء تطهيرا * قال علي السبكي مثل هذا الكلام لا يرد عليه لعلم كل أحد بضعفه والله اعلم * قالوا مثل قوله عليه الصلاة والسلام الحرم لا يعيد عاصيا يخالف (ومن دخله كان آمنا) وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب يخالف (فاقرؤوا ما تيسر منه) (أى من القرآن) وحديث التسمية في الوضوء يخالف فاغسلوا ايديكم الآية قال علي السبكي لا مخالفة في ذلك وبتقدير تسليم المخالفة هي مخصصة والله أعلم قالوا الثاني أن لا يخالف السنة المشهورة فلا يترك الاقوى بالاضعف * قال علي السبكي ليس لنا خبر ان صحيحان متعارضان بحيث يكون العمل بأحدهما الغناء للآخر من كل وجه لا مشهور ولا غير مشهور ومن ادعى فليبرزه حتى نحاوره والله أعلم * قالوا وحديث قصى بشاهد وبين يخالف قوله البيهقي المدعى واليمين على من أنكروا

قالوا والمخالفة من وجهين أحدهما الشرع جعل الايمان كلها في جانب المنكر والثاني ان الشرع جعل الخصوم قسمين مدعيا ومنكرا والحجة قسمين بينة ويمينا والبينة على المدعي واليمين على المنكر والعمل بالشاهد واليمين يوجب ترك هذا « قال على السبكي الكلام في ذلك ليس هذا موضعه والمقصود انهم يتركون الحديث لمعارض بلا تخصيص ولا تأويل وهو الذي خالفهم الشافعي فيه ودعوى كون البينة على المدعي واليمين على من أنكر أشهر من القضاء بالشاهد واليمين ممنوعة والله أعلم • قالوا وثالثها أن لا يكون في حادثة تعم بها البلوى وهذا مختار الكرخي وجميع المتأخرين وهو ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة وحديث مس الذكر الذي يرويه صح ومذهب الشافعي وجميع أصحاب الحديث يقبل اذا صح سنده • قال على السبكي هذا وأمثاله الذي تميز به الشافعي والله أعلم ولا يجب اذا كان مما تعم به البلوى أن يرد فيه خبر متواتر ولا مشهور بل يكفي أن يكون صحيحا والله أعلم قالوا ورابعها أن متروك الحاجة به عند ظهور الاختلاف مثاله عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الطلاق بالرجال فان الصحابة اختلفوا ذهب عمر وعثمان وزيد وعائشة رضي الله عنهم الى أن الطلاق معتبر بحال الرجال في الرق والحرية كما هو قول الشافعي وذهب على وابن مسعود الى أنه يعتبر بحال المرأة كما هو مذهبهم وعن ابن عمر أنه يعتبر بمن رق منهما حتى لا يملك الزوج عليها ثلاث طلقات الا اذا كانا حرين ثم أنهم تكلموا في هذه المسألة بالرأي وأعرضوا عن الاحتجاج بهذا الحديث ورواية فيهم فدل على أنه غير ثابت أو منسوخ وان ثبت فهو مؤول بان يقال ان ايقاع الطلاق الى الرجال • قال على السبكي ان صح الحديث فالواجب تأويله ولا تقول انه متروك وأيضا من أين يثبت لنا انهم تكلموا بالرأي • ثم ذكروا الاربعة الاخرى التي ترجع الى حال الراوي لاجابة بنا الى ذكرها والله أعلم • قالوا ويسقط العمل بالحديث اذا ظهرت مخالفته قولاً وعلا من الراوي أو من غيره من أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تفصيل ذكره وهو أن المخالفة ان كانت قبل الرواية وقبل بلوغه اياه لم يوجب جرحاً في الحديث لان الظاهر أن ذلك كان مذهبه وانه تركه للحديث وكذا ان لم

يعرف التاريخ لان الحديث حجة بيقين في الاصل وشك فسقوه فوجب العمل بالاصل حملا على أحسن الوجوه واحسانا للظن وكذا ان كان بعد الرواية ولم يكن خلافا بيقين فان كان اللفظ عاما يعمل بخصوصه دون عمومه وان كان مشتركا أو بمعنى المشترك يعمل بأحد وجوهه لان ظاهر الحديث احتماله للمعاني لفة لا تتغير بتأويله وعمله وتأويله لا يكون حجة وان كان بعد الرواية أو بعد بلوغه اياه وهو خلاف بيقين أى لا يحتمل أن يكون مرادا من الخبر فذلك بوجب جرحا في الحديث لان خلافه ان كان لانه منسوخ أو غير ثابت بطل الاحتجاج به وان كان لقلة مبالاته سقطت روايته لانه لا يصير فاسقا ولا يقال انما صار فاسقا بالخلاف لانا نقول الحديث وصل الينا منه فاذا ثبت فسقه لم يقبل بخلاف ما اذا روى ثم مات أو جن لان الحياة والعقل كانا ثابتين بيقين والعدالة ليست كذلك ومثاله حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الفسل من الولوغ سبعا وكان يفسل ثلاثا وحديث عائشة رضى الله عنها ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل وصح انها زوجت حفصة بنت أخيها عبد الرحمن المنذر بن الزبير حين كان أخوها عبد الرحمن غائبا واذا انقعد بمبارة غير المروجة من النساء فبعبارتها أولى وأما اذا خالف غير الراوى وغير أئمة الصحابة فلا يضر الا اذا طمن بما يوجب الجرح بالاتفاق ممن هو معروف بالعدالة والنصيحة والاطمان فيقبل وهذا كله اذا كان الحديث ظاهرا فان كان مما يخفى على المخالف كالتريخيص للحائض في ترك طواف الصدر وصح عن ابن عمر رضى الله عنهما انها تقيم حتى تطهر فتطوف لانه قد يكون خفي عليه وحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب علم والثيب بالثيب جلد مائة والرجم من حديث عبادة وصح عن الخلفاء انهم لم يجمعوا بين الجلد والرجم فعرفنا انه انتسخ وصح عن عمر رضى الله عنه انه قال والله لا أنى أبداً بعد ما نفي رجلا فالحق بالروم مرتدا • قال على السبكي نلتلخص من هذا في القسم الذى يقولون بترك الحديث نحن لانواقفهم فيه ولا يلزم فسق الراوى ولا بطلان الاحتجاج لاحتمال أن يخالف لما ظنه دليلا وليس بدليل عندنا وكل أحد مكاف بظنه وما يمتقده دليلا واذا كان الراوى من

غير الصحابة وقد خالف فاطلاقهم وما سبق من كلام الحنفية يقتضى جريان الخلاف فيه وقال القرافي عندي ينبغي أن يخص بعض الرواة فيحمل على الراوى المباشر للنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحسن أن يقال هو أعلم بمراد المتكلم أما مثل مالك ومخالفته لحديث بيع الخيار الذى رواه وغيره من الاحاديث فلا يندرج في هذه المسألة وهذا الذى قاله القرافي فى كلام الحنفية الذى قدمناه يخالفه وقد عللوا بما لم يطل به فالخاص ان الراوى متى خالف اقتضى عند الحنفية رد الحديث سواء كان الراوى صحابيا أو غير صحابي ومخالفة غير الراوى لا توجب رد الحديث عند الحنفية الا اذا كان صحابيا فتوجب رده مطلقا أو كان غير صحابي وورده بما يقتضى الجرح على ما سبق *

﴿ فصل ﴾ وأما المالكية فقالوا بتقديم عمل أهل المدينة على الحديث فردوا حديث « المتبايعان بالخيار » وبذلك لم يوافقهم على هذا أحد غيرهم واشترط مالك رحمه الله قته الراوى مطلقا واشترط أبو حنيفة فيما يخالف القياس وقاله بعض الحنفية مطلقا كما قاله مالك ومثله الحنفية بحديث المصراة فردوه زعمهم انه مخالف للقياس ولانه من قول أبي هريرة وزعمهم ان أبا هريرة ليس بقتيه وهو كلام تقشر منه الجلود وأبو هريرة قتيه كبير وليس هذا موضع الكلام على هذا وإنما المقصود ان لكل واحد من الأئمة أصولا اقتضت له رد الاحاديث والشافعي ليس له كثير شئ من ذلك وقالت المالكية بقبول خبر الواحد وان كان مما نعم به البلوي كما قلنا نحن به وبان مخالفة الراوى لا تقدر فيه كما قلنا نحن به *

﴿ فصل ﴾ وقال آخرون اجماع أهل الكوفة حجة فعلى مقتضاه يرد من الاحاديث ما خالفهم *

﴿ فصل ﴾ قد بان بما ذكرناه امتياز الشافعي بقوله اذا صح الحديث فهو مذهبي وما واقعه من كلامه الذى هذا معناه وانه أمر ذخره الله وخصه به فلم يبلغنا ذلك عن غيره من الأئمة وان كان كلهم قائلا بالحديث غير خارج عنه ورضى الله عن الجميع والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين تمت الرسالة والحمد لله

الرسالة السابعة

﴿ خلاف الامة في العبادات ومذهب اهل السنة والجماعة ﴾

(لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام تقي الدين

احمد بن تيمية رضى الله عنه المتوفى سنة ٧٢٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قاعدة ﴾

في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون *

(أحدها) جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه والذي أمرهم باتباعه (الثاني) ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيبهم عليهم تارة بنهيبهم عما لم ينه الله عنه وبغيبهم على من لم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثره حتى يقدمون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك *

(الثالث) اتباع الظن وما تهوى الانفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة كالخوارج

والرواض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) *

(الرابع) التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضى الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والمهز والذلز وبعضهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح وبعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من اعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها رسوله وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) * وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة) وقال تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) وقال (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) وقال (الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وهذا

١ - ص ٢٦

٢ - للمائدة ٧٧

٣ - آل عمران ١٠٢ - ١٠٣

٤ - آل عمران ١٠٥ - ١٠٦

٥ - الأنعام ١٥٩

٦ - البقرة ٢١٣

٧ - البينة ٤ - ٥

٨ - آل عمران ١٩

٩ - الحائثية ١٧

١٠ - يونس ٩٣

١١ - الأنفال ١

١٢ - الحجرات ١٠

١٣ - النساء ١١٤

الاصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا يتفرق هو من أعظم أصول الاسلام
ومعظمت وصية الله تعالى به في كتابه ومعظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم وما
عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله «عليكم بالجماعة
فان يد الله على الجماعة» وقوله «فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»
وقوله «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة
قيد شبر فقد حلق ربة الاسلام من عنقه» وقوله «الأئمة لكم بافضل من درجة
الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟» قالوا بلى يا رسول
الله قال «صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر
ولكن تحلق الدين» وقوله «من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريدان
يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان» وقوله «يصلون لكم فان
أصابوا فلكم وان اخطوا فلكم وعليهم» وقوله «ستغرق هذه الامة على
ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار - قيل ومن الفرقة
الناجية قال - هي الجماعة يد الله على الجماعة» وباب الفساد الذي وقع في هذه
الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من
ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفورا
لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الملاحية أو توبته أو لغير ذلك
اسكن يعلم ان رعايته من أعظم أصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن
أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة ويذكرون في كثير من السنن
والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الاصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي
يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة *

(النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطمعهم في كثير مما أهل السنة
والجماعة عليه متفقون بل وفي بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه
سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة قلمهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم
ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذك الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج
نبيه بذلك حيث يقول (واذ كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)

حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الامة أن
تجتمع علي ضلالة فعصم حروف التنزيل ان يغير وحفظ تأويله ان يضل فيه أهل
الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه
الذين فحصوا عنها وعن نقاتها ورواتها وعلّموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا
مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لاسباب يطول
وصفها في هذا الموضوع وعلّموا هم خصوصا وسائر علماء الامة بل وعامتها عموما
ما صانوا به الدين عن ان يزداد فيه أو ينقص منه مثلما علّموا أنه لم يفرض عليهم
في اليوم والليلة الا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها ما بين الثنائي والثلاثي
والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الا شهر رمضان ومن الحج الا حج
البيت العتيق ومن الزكاة الا فرائضها المعروفة الى نحو ذلك وعلّموا كذب أهل
الجهل والضلالة فيما قد يأترونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكذب من يزعم من
الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخريين انه
نص على العباس وعلّموا أكاذيب الرافضة والناصبية التي يأترونها في مثل الغزوات
التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرووها المكذون الطريقة مثل أكاذيبهم
الزائفة في سيرة عنترة والبطل حيث علّموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان القتال فيها كان في تسعة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو في
شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية ليزيد بن معاوية ونحوه
والاحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الارجاء ونحوه والاحاديث التي
يرويها كثير من الساك في صلوات أيام الاسبوع وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة
والاحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه وتواجده
وسقوط البردة عن ردهائه وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وعوده به الى السماء
وقتل أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الاسراء والاحاديث المأثورة
في نزول الرب الى الارض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه
وسلم له في الارض بعين رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التي يطول

وصفها فان المكذوب من ذلك لا يخصه أحد الا الله تعالى لان الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وإنما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه (١) *

(أحدها) ان ما توفرت هم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته يتمتع في العادة كتمانته فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة وأخبر بحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وامسك أقوام في المسجد اذا لم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بعماد ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتر العقل وقياسه وضربه الامثال يعلم كذب ما ينقل من الامور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عبادته انهم لا يتواطؤون فيه على الكذب من الامور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جبل جهير الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الامور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الاكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق اذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الامور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون الى الاستخبار والاستفهام مما يقع وكل شخص له من يؤثر أن يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تضيق كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على انسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة يعلم أنهم لم يتواطؤا فيها على الكذب

(١) ذكر ابن تيمية عين هذا الكلام في رسالة له اسمها توحيد الملة وتعدد الشرائع

وتنوعها وتوحيد الدين وهي تنقل هذه الرسالة بالطبع ان شاء الله تعالى

والاخبار الشاذة يعلم أنهم لم يتواطؤوا فيها على الكتمان *
 (الوجه الثاني) ان دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه
 ويحرم عليهم كتمانها ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على
 كتمان ما يجب بيانه كتواطؤهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التي تحرم
 في دين الامة وذلك باعث موجب الصدق والبيان *

(الثالث) انه قد علم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ
 الدين واظهاره وعظيم مجانبتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب
 أعظم الدلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه
 وهذه العادة الحاجية الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر *
 (الرابع) ان العلماء الخاصة يملكون من نصوص رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل
 الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن
 عمرو وغيرهم يملكون علما يقينا لا يتخالجه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد
 الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يملكون امتناعهم من الكذب على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل
 الزهري وقتادة ويحيى ابن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة وحماد بن زيد
 وحماد بن سلمة وغيرهم أموراً يملكون معها امتناعهم من الكذب وامتناعهم عن
 كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في
 ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وانما الغرض التنبيه على
 ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء *

قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فانه كان يفعل على عهد النبي
 صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومنع هذا فقد وقع الاختلاف في صفته وكذلك
 الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع الاختلاف في نقلها
 وذكرها نحو هذه الامور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا
 معارضا لما تقدم ليسوغوا أن يكون من أمور الدين ما لم ينقل بل كم لاهواء وأغراض وأما جهة

الرأى والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويمبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء لما جملوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له وأصل من وضع ذلك لهم الزنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبا الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وانه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والاحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أو زاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكمية وغيرهم إنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والروافض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والمقل وتطمعن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعلمون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بهض أرباب الملة من أسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الامور الصغار ساعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار*

فصل

اذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ما هو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الاصابين للدين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال للضللال والشقاء*

اما الاصل الاول وهو الجماعة وابدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا

يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنونه من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات أما هي في أمور مستحبات ومكروهات لافي واجبات وعمرات فان الرجل اذا حج متمتعا او مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب او يمنع ذلك فن الشيعة من يوجب المنعة وبمحرّم ما عداها ومن الناصبة من يحرم المنعة ولا يبيحها بحال *

وكذلك الاذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في أوله أو نناه وأما يخالف في ذلك بعض شواذ المتفهمة كما خالف فيه بعض الشيعة فاجب له الحيلة بحج على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والثنية بأيتها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاماتنازع فيه شدوذ للناس *

وكذلك الجهر بالبسملة والخافئة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فللنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عامة العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والخافئة في موضعها هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل الخافئة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو الخافئة به فيها لا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة الخافئة يسمعهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقى قال كنا نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد جدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال « من المتكلم ؟ » قال أنا قال « رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتندرونها ايهم يكتبها اول » ومعلوم انه لولا جهره بها لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم أن المستحب للأمام الخافئة بمثل ذلك ، كذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاه

الاستفتاح . سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبية فيه المحافضة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنائز وقال لتعلموا أنهم السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فتلك مسألة أخرى *

وكذلك القنوت في الفجر انما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود السهو لتركه أو فعله والا فعامتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم * وكذلك القنوت في الوتر هل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده *

وكذلك التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن احمد رواية أن التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة اما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الاخرى الموافقة للجمهور وانها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب منها والافلا نزاع في أنه يجزىء ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائز ما أعلم في ذلك خلافا الا خلافا شاذا وانما النزاع في المستحب *

وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع في استحبابه وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولاً في مذهب الامام أحمد *

واذا كان النزاع اتما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وإجزائه
 ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من
 يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم ان ذلك
 جميعه جائز مجزيء في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضارا بل قد يكون النوعان
 سواء وان رجع بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجوز أن يظلم من يختار
 المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطيء لا يجوز ذمه باجماع
 المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الامة ولا أن يعطى المستحب فوق حقه فانه
 قد يكون من أتي بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير
 ولا يجوز أن تجمل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمنع الرجل من تركها ويرى
 أنه قد خرج من دينه أو عصي الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض
 راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الامة أعظم
 في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك
 حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذاك المستحب
 وقد أخرجا في الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها « لولا أن
 قولك حديثو عهد بجاهلية لنتقضت السكبة ولاصقتها بالارض ولجعلت لها بابا
 يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه » وقد احتج بهذا الحديث البخاري
 وغيره على ان الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأليف القلوب ودفعا
 لفترتها ولهذا نص الامام أحمد على انه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح فقال
 يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها
 للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤونها بحال فيجهر بها
 ليعلمهم أنه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة
 الجنائزة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك والظن فان الاتفاق
 اذا حصل على جوار الجميع واجزائه علم انه داخل في المشروع فالنزاع في
 الرجحان لا يضر كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض
 العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلاما من القراء أن يقرأ كما

يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله
فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك *

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها
من السمة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على
بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه
وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع ففي الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان
ويوتر الاقامة وفي صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة مثنى مثنى مثل الاذان فاذا
كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه
وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بحرف ولهشام بن حكيم
بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به *

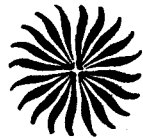
وكذلك الترجيع في الاذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو مخنوف
من أذان بلال الذي رووه في السنن وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة بهاصح الجهر
بها عن طائفة من الصحابة وصحت المخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران
جميعا وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضى
أنه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث
أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها وفي السنن أحاديث
أخر مثل حديث ابن مفل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر
جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث
ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحاح والسنن أحاديث
محملة وقد روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يجهر بها اذ كان بمكة وانه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه
أبو داود في النسخ والمسنوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان
الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجرون بها وكذلك أكثر
البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله
عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهرها خفيا اذا كان ذلك محفوظا واذا

كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة *
وأما القنوت فامر به بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحاح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قنت في الفجر مرة يدعو على رعدل وذكوان
وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا له لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد
ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين
ويدعو على مضر وثبت عنه أنه قنت أيضا في المغرب والعشاء وصائر الصلوات
قنوت استنصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من
الكوفيين أنه تركه ترك نسخ فاعتقد ان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من
المكيين انه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي
عليه أهل المعرفة بالحديث انه قنت لسبب وتركه لزال السبب فالقنوت من السنن
العوارض لا الرواتب لانه ثبت انه تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه
لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه
انه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن
شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما
ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجبر
به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فاتهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض
وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى أن ينقل دعاؤه فيه فاذا كان الذي نستجبه بما
يدعو فيه لقنوت الوتر علم انه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم علم النص على هذا وأمثاله فانه من الممتنع أن
يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فانه مما يعلم بطلانه قطعا وكذلك المأثور
عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعاء عمر
فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الخ يقضى انه دعا به عند قتله
للنصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن
أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وإنه ليس في السنن
انما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس انه قال لم يقنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الاشهر والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل
اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما
قد بيناه في غير هذا الموضوع *

وأما حجة الوداع وان اشبهت على كثير من الناس فانما أتوا من جهة الالفاظ
المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول انه تمتع بالعمرة الى الحج وهؤلاء أيضا
يقولون انه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف في ذلك
فانهم لم يخافوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه وانه كان قد ساق
الهدى ونحره يوم النحر وانه لم يعتمر بعد الحج في ذلك العام لاهو ولأحد من
أصحابه الا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التنعيم أدنى الحل وكذلك الاحاديث
الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفاء والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول
فالذين تقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة
كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سبعين ولم يتمتع تمتعا حل
به من احرامه كما يفعله المتمتع الذي لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه
الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة ويهلوا بالحج بعد
قضاء عمرتهم *

انتهت الرسالة السابعة والحمد لله رب العالمين ويليهما الرسالة الثامنة



الرسالة الثامنة

﴿ قاعدة ﴾

في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى دون الشرعى

﴿ لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ﴾

(المتوفى سنة ٧٢٨)

﴿ فصل ﴾

في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى دون الشرعى وما
في ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك في أهل الشريعة الواحدة بنوع من
الاعتبار قال الله تعالى (ولما ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك
للناس اماماً) فهذا نص في أنه امام الناس كلهم وقال (ان ابراهيم كان أمة)
وهو القدوة الذى يؤتم به وهو معلم الخير وقال (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من
سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنا فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه
أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى
لكم الدين فلا تؤمنن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق
إلهنا واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون) فقد بين أنه لا يرغب عن ملة ابراهيم الا من هوسفيه

١ - البقرة ١٢٤

٢ - النحل ١٢٠

٣ - البقرة ١٢٠ - ١٢٤

وانه أمر بالاسلام فقال أسلمت لرب العالمين وأن هذه وصية الى نبيه ووصية
اسرائيل الى بنيه وقد اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ثم
قال (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين) فأمر باتباع ملة ابراهيم ونهى عن اليهود والنصارى وأمر بالايان الجامع
كما أنزل على النبيين وما أو توه والاسلام له وأن نصبح بصبغة الله وأن نكون
له عابدين ورد على من زعم أن ابراهيم وبنيه واسرائيل وبنيه كانوا هودا أو نصارى
وقد قال قبل هذا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان
هدى الله هو الهدى ولن اتبع أهواءهم) الآية والمعنى ولن ترضى عنك اليهود
حتى تتبع ملتهم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقد يستدل بهذا على أن لكل طائفة
ملة لقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء) وقال تعالى في آخر السورة (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه)
الى آخر السورة كما قال في أولها (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من
قبلك وبالأخرة هم يوقنون) ففتحها بالايان الجامع وختمها بالايان الجامع ووسطها
بالايان الجامع ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطي فوانح الكلم وخواتمه وجوامعه
وقال تعالى في آل عمران بعد أن قص أمر المسيح ويحيى (قل يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشركه شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وهي التي
كتبها النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم لما دعاهم الى الاسلام وقال
(يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده
أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به
علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلمًا وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) الى قوله (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة الى قوله (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها)
فانكر على من يبغي غير دين الله كما قال في أول السورة (شهد الله أنه لا اله الا هو

البقرة ١٣٥

البقرة ١٢٠

البقرة ١١٣

البقرة ٢٨٥

البقرة ٤

آل عمران ٦٤

آل عمران ٦٥ - ٦٨

آل عمران ٨١

آل عمران ٨٣

والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فاخبر أن الدين عند الله الاسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان أن الدين واحد لا اختلاف فيه وقال تعالى (قل إني هدى ربي الى صراط مستقيم ديننا قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) هذا بعد أن ذكر الانبياء فقال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وذكر في الاعراف دعوة المرسلين جميعهم وانفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية وقال (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتنابه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمتدون) الى قوله (مشهد يوم عظيم) وقال في سورة الانبياء (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال بعد أن قص قصصهم (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وقال في آخرها (قل إنما يوحي الي أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) وقال في سورة المؤمنين (يأياها الرسل كوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتمقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال في آخر سورة الحج التي ذكر فيها الملل الست وذكر ما جعل لهم من المناسك والمعابد وذكر ملة ابراهيم خصوصا (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) الآية وقال (لم ينزلنا من أهل الكتاب) الى قوله (وذلك دين القيمة) وهذا في القرآن المذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الاحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين

- ١ - آل عمران ١٨
- ٢ - الأنعام ١٦١
- ٣ - الأنعام ٩٠
- ٤ - النحل ٣٦
- ٥ - النحل ١٢٠
- ٦ - مريم ٢٤
- ٧ - مريم ٣٧
- ٨ - الأنبياء ٢٥
- ٩ - الأنبياء ٩٢
- ١٠ - الأنبياء ١٠٨
- ١١ - المؤمنون ٥١
- ١٢ - الحج ٧٨
- ١٣ - الشورى ١٣
- ١٤ - البينة ١
- ١٥ - البينة ٥

الانبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انا معاشر الانبياء اخوة لعلات» ومثل صفته في التوراة ان أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا عميا وأذنا صما وقلوبا غلفا ولهذا وجد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ومثل قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما تتبعوه ولا تتبعوا السبل) ومثل قوله (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وجاهدوا في سبيل الله) وقوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والاسلام دين جميع المرسلين قال نوح عليه السلام (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال الله عن ابراهيم وبنيه ما تقدم * وقال الله عن السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وعن فرعون (آمنّت أنه لا اله الا الذي آمنّت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) وقال الحواريون (آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون) وفي السورة الاخرى (واشهد بأننا مسلمون) وقال يوسف الصديق (توفى مسلما وأخفى بالصلحين) وقال موسى (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقالت بلقيس (رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال في التوراة (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) قال شيخ الاسلام وقد قررت في غير هذا الموضوع الاسلام العام والخاص والايمان العام والخاص كقوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأما تنوع الشرائع وتعددتها فقال تعالى لما ذكر القبلة بمد الملة بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) الى قوله (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) فأخير أن لكل أمة وجهة ولم يقل جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق بخلاف ما ذكره في الشرع والمناهج فإنه قال

- ١ - الفاتحة ٥ - ٧
- ٢ - الأنعام ١٥٣
- ٣ - البقرة ٢٥٧
- ٤ - الأنفال ٣٩
- ٥ - يونس ٧٢
- ٦ - الاعراف ١٢٦
- ٧ - يونس ٩٠
- ٨ - آل عمران ٥٢
- ٩ - المائدة ١١١
- ١٠ - يوسف ١٠١
- ١١ - يونس ٨٤
- ١٢ - النمل ٤٤
- ١٣ - المائدة ٤٤
- ١٤ - البقرة ٦٢
- ١٥ - البقرة ١٤٤
- ١٦ - البقرة ١٤٨

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وهذه الآيات نزلت بسبب الحكم في الحدود والقصاص والديات أخبر أن التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا وهذا عام في النبيين جميعهم والربانيين والاحبار ثم لما ذكر الانجيل قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه فأمر هؤلاء بالحكم لان الانجيل بعض ماني التوراة وأقر الاكثر والحكم بما أنزل الله فيه حكم بما في التوراة أيضا ثم قل (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا فالشرعة الشريعة وهي السنة والمنهاج الطريق والسبيل وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة والمنهاج الى منهاج الله اليه فالاول نهي له أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته والثاني وان كان حكما غير الحكم الذي أنزل نهي له أن يترك شيئا مما أنزل فيها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجذبونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فمن لم يتبعه لم يحكم بما أنزل الله وان لم يكن من اهل الكتاب الذين أمروا أن يحكموا بما فيها مما يخالف حكمه وقال تعالى في الحج (ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) ولكل أمة جعلنا منسكاً لهم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر) وذكر في أثناء السورة (هدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) فبين أنه هو جعل المناسك وذكر مواضع العبادات كما ذكر في البقرة الوجهة التي يتوجهون اليها وقال في سورة الجاثية بعد أن ذكر بني اسرائيل (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الآية وقال في النسخ ووجوب اتباعهم للرسول (واذ أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الى قوله (وأنا معكم من الشاهدين) وقال (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الآية والتي بعدها وقد تقدم ماني البقرة وآل عمران من أمرهم بالايمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك في سورة النساء وهو كثير في القرآن *

١ - المائدة ٤٦

٢ - المائدة ٥٠

٣ - المائدة ٤٨

٤ - الحج ٢٤

٥ - الحج ٦٧

٦ - الحج ٤٠

٧ - الجاثية ١٨

٨ - آل عمران ٨١

٩ - الاعراف ١٥٦

* فصل *

قال الله تعالى لنا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) الى قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الى قوله (كنتم خير أمة اخرجت للناس) فامرنا بملازمة الاسلام الى المات كما أمر الأنبياء جميعهم بالاسلام وأن نعتصم بحبله جميعا ولا نفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وذكر انه تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وذكر انه يقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم) وهذا عائد الى قوله (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) فأمر بملازمة الاسلام وبين أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم وقد تأولها الصحابة في الخوارج وهذا نظير قوله للرسول (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) وقد قال في البقرة (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الآية وقال أيضا (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى (وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى (إن الدين عند الله الاسلام وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الآية وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة الآية ونظيرها في الجانية وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتن في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) *

- ١٠٢ - آل عمران
- ١٠٣ - آل عمران
- ١٠٤ - آل عمران
- ١٠٥ - آل عمران
- ١٠٦ - آل عمران
- ١٠٧ - الشورى
- ١٠٨ - البقرة
- ١٠٩ - الأنعام
- ١١٠ - المؤمنون
- ١١١ - آل عمران
- ١١٢ - البينة
- ١١٣ - النساء
- ١١٤ - الحشر

﴿ فصل ﴾

إذا كان الله تعالى قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الأمر منا وأمرنا عند التنازع في شيء أن نرده إلى الله وإلى الرسول وأمرنا بالاجتماع والانلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف وأمرنا أن نستغفر لمن سبقنا بالإيمان وسمانا المسلمين وأمرنا أن ندوم عليه إلى المات فهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الاجتماع في الدين كاجتماع الأنبياء قبلنا في الدين وولاية الأمور فيناهم خافاء الرسول قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « إن بني إسرائيل كانت قسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي قام نبي وأنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء ويذكرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أوفوا ببيعة الأول فالأول وأدوا لهم الذي لهم فإن الله سألهم عما استرعاهم » وقال أيضا « العلماء ورثة الأنبياء » وروى عنه أنه قال « وددت أنى قد رأيت خلفائى قالوا ومن خلفائك قال الذين يحيون سنتى يعلمونها الناس » فهؤلاء هم ولاة الأمر بعدهم وهم الأمراء والعلماء وبذلك فسرها السلف ومن تبعهم من الأئمة كالإمام أحمد وغيره وهو ظاهر قد قررناه في غير هذا الموضوع فالأصول النابتة بالكتاب والسنة والأجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض وهم أهل السنة والجماعة وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) والتنوع قد يكون في الوجوب تارة وفي الاستحباب أخرى فالأول مثل ما يجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم وهذا يقع في فروع الأعيان وفي فروع الكفايات ففروع الأعيان مثل ما يجب على كل رجل إقامة الجماعة والجمعة في مكانه مع أهل بقعته ويجب عليه زكاة نوع ماله بصرفه إلى مستحقه لجيران ماله ويجب عليه استقبال الكعبة من ناحيته والحج إلى بيت الله من طريقه ويجب عليه بر والديه وصلته ذوى رحمه والأحسان إلى جيرانه وأصحابه وممالئكم ورعيته ونحو ذلك من الأمور

١ - المنكوت ٦٩

٢ - المائدة ١٦

٣ - البقرة ٢٠٨

التي تنوع فيها أعيان الوجوب وان اشتركت الامة في جنس الوجوب وتارة تنوع بالقدرة والعجز كتنوع صلاة المقيم والمسافر والصحيح والمريض والآمن والخائف وفروض الكفايات تنوع بتنوع فروض الاعيان ولها تنوع يخصصها وهو انها تتعين على من لم يقيم بها غيره فقد تمعين في وقت ومكان وعلى شخص أو طائفة وفي وقت آخر أو مكان آخر على شخص آخر أو طائفة أخرى كما يقع مثل ذلك في الولايات والجهاد والفتيا والقضاء وغير ذلك وأما في الاستحباب فهو أبلغ فان كل تنوع يقع في الوجوب فانه يقع مثله في المستحب ويزداد المستحب بان كل شخص انما يستحب له من الاعمال التي يتقرب بها الي الله تعالى التي يقول الله فيها وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والافضل له من الاعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فأكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الافضل مطلقا اذا كثرهم لا يقدرون على الافضل ولا يصبرون عليه اذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون اذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق اذا طلب ذلك فانه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل «ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك» وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر لما سأله الامارة «يا أبا ذر انى أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لثمنى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» وروى عنه أنه قال للعباس عمه نفس تنجيتها خير من امارة لا تخصصها ولهذا اذا قلنا هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق ثم المفضول يكون أفضل في مكانه ويكون أفضل لمن لا يصلح له الافضل مثال ذلك أن قراءة القرآن أفضل من الذكر بالنص والاجماع والاعتبار أما النص فقوله صلى الله عليه وسلم «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر» وقوله صلى الله عليه وسلم «فضل القرآن علي سائر الكلام كفضل

الله على خلقه» وقوله عن الله «من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وقوله «ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه» وقول الاعرابي له اني لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمني ما يجزيني في صلاتي فقال «قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر» وأما الاجماع على ذلك فقد حكاها طائفة ولا عبرة بخلاف جهال المتعبدة وأما الاعتبار فان الصلاة يجب فيها القراءة فان عجز عنها انتقل الى الذكر ولا يجزيه الذكر مع القدرة على القراءة والمبدل منه أفضل من البديل الذي لا يجوز إلا عند العجز عن المبدل وأيضا فالقراءة يشترط لها الطهارة الكبرى كما يشترط للصلاة الطهارتان والذكر لا يشترط انه الكبرى ولا الصغرى فعلم أن أعلى أنواع ذكر الله هو الصلاة ثم القراءة ثم الذكر المطلق ثم الذكر في الركوع والسجود أفضل بالنص والاجماع من قراءة القرآن وكذلك كثير من العبادات قد ينتفع بالذكر في الابتداء مالا ينتفع بالقراءة اذ الذكر يعطيه ايمانا والقرآن يعطيه العلم وقد لا يفهمه ويكون الى الايمان أحوج منه لكونه في الابتداء والقرآن مع الفهم لاهل الايمان أفضل بالاتفاق فهذا وأمثاله يشبه تنوع شرائع الانبياء فأنهم متفقون على أن الله أمر كلا منهم بالدين الجامع وان نعبده بتلك الشريعة والمنهاج كما أن الامة الاسلامية متفقة على ان الله أمر كل مسلم من شريعة القرآن بما هو مأمور به اما ايجابا وأما استحبابا وان تنوعت الافعال في حق أصناف الامة فلم يختلف اعتقادهم ولا معبودهم ولا اخطأ أحد منهم بل كلهم متفقون على ذلك يصدق بعضهم بعضا •

﴿ فصل ﴾

وأما ما يشبه ذلك من وجه دون وجه فهو ما تنازعوا فيه مما أقروا عليه وساخ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والامراء والملوك كاجتهاد الصحابة في قطع النية وتركها واجتهادهم في صلاة العصر الا في بني قريظة فصلى قوم في الطريق في الوقت وقالوا انما أراد التمجيل لا تفويت الصلاة وأخرها قوم الى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكا بظاهر لفظ العموم فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم

واجدة من الطائفتين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها على أن اقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك وحكم عمر أول عام في الفريضة الحجازية بعدم التشريك وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى ولما سئل عن ذلك قال تلك على ما قضينا وهذه على ما قضى وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحى وتعذيب الميت ببكاء أهله ورواية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والالفة وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعاً ومنها ما المصيب في نفس الامر واحد عند الجمهور اتباع السلف والآخر مؤد لما وجب عليه بحسب قوة ادراكه وهل يقال له مصيب أو مخطيء فيه نزاع ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم في نفس الامر ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إمام على من اجتهد وإن أخطأ فهذا النوع يشبه النوع الأول من وجه دون وجه أما وجه المخالفة فلأن الانبياء عليهم السلام معصومون عن الاقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والامراء فانه ليس معصوماً من ذلك ولهذا يسوغ بل يجب أن نبين الحق الذى يجب اتباعه وإن كان فيه بيان خطأ من العلماء والامراء وأما الانبياء فلا يبين أحدهما ما يظهر به خطأ الآخر وأما المشابهة فلأن كلا مأمورٌ باتباع ما بان له من الحق بالدليل الشرعى كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ما أوحى إليه وليس لأحدهما ان يوجب على الآخر طاعته كما ليس ذلك لأحد النبيين مع الآخر وقد يظهر له من الدليل ما كان خافياً عليه فيكون انتقاله بالاجتهاد عن الاجتهاد ويشبه النسخ في حق النبي لكن هذا رفع للاعتقاد وذلك رفع للحكم حقيقة وعلى الاتباع اتباع من ولى أمرهم من الامراء والعلماء فيما ساء له اتباعه وأمر فيه باتباع اجتهاده كما على الأمة اتباع أى نبي بعث اليهم وان خالف شرعه شرع الاول لكن

(١٨٢ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرية)

تنوع الشروع لهؤلاء وانتقاله لم يكن لتنوع نفس الأمر النازل على الرسول ولكن تنوع أحوالهم وهو ادراك هذا لما بلغه من الوحي سمعا وعقلا وعجز الآخر عن ادراك ذلك البلاغ إما سمعا لعدم تمكنه من سماع ذلك النص وإما عقلا لعدم فهمه لما فهمه الأول من النص وإذا كان عاجزا سقط عنه الائتم فيما عجز عنه وقد يتبين لأحدهما عجز الآخر وخطاؤه وتعذره في ذلك وقد لا يتبين له عجزه وقد لا يتبين لكل منهما أيهما الذي أدرك الحق واصابه ولهذا امتنع من امتنع من تسمية مثل هذا خطأ قال لان التكليف مشروط بالقدرة فما عجز عنه من العلم لم يكن حكم الله في حقه فلا يقال اخطأه وأما الجمهور فيقولون اخطأه كما دلت عليه السنة والاجماع لكن خطؤه معذور فيه وهو معنى قوله عجز عن ادراكه وعلمه لكن هذا لا يمنع أن يكون ذلك هو مراد الله ومأموره فان عجز الانسان عن فهم كلام العالم لا يمنع أن يكون قد أراد بكلامه ذلك المعنى وأن يكون الذي فهمه هو المصيب الذي له الأجران ولهذا تنازع أصحابنا فيمن لم يصب الحكم الباطن هل يقال إنه مصيب في الظاهر لكونه أدى الواجب المقدور عليه من اجتهاده واقتصاره أولا يطلق عليه اسم الاصابة بحال وإن كان له أجر على اجتهاده وقصده الحق على قولين هما روايتان عن أحمد وذلك لانه لم يصب الحكم الباطن ولكن قصد الحق وهل اجتهد الاجتهاد المأمور به التحقيق أنه اجتهد الاجتهاد المقدور عليه فهو مصيب من هذا الوجه من جهة المأمور المقدور وإن لم يكن مصيبا من جهة إدراك المطلوب وفعل المأمور المطلق بوضع ذلك أن السلطان نوعان سلطان الحجية والعلم وهو أكثر ماسى في القرآن سلطانا حتى روى عن ابن عباس، أن كل سلطان في القرآن فهو الحجية والثاني سلطان القدرة: والعمل الصالح لا يقوم إلا بالسلطانين فإذا ضعف سلطان الحجية كان الأمر بقدره وإذا ضعف سلطان القدرة كان الأمر بحسبه والأمر مشروط بالقدرة على السلطانين فلا يتم ينتفى عن الأمر بالمعجز عن كل منهما وسلطان الله في العلم هو الرسالة وهو حجة الله على خلقه كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (ان هي الا اسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقال (أم أنزلنا

عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) ونظائره متعددة فالمناهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والامراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الاهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الامكان بعد الاجتهاد التام هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للانبياء وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له وهو الدين الاصلى الجامع كما يثاب الانبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به لامن شرعة رسوله ومنهاجه كما يثاب كل نبي على طاعة الله في شرعه ومنهاجه وينتمو شرعهم ومنهاجهم مثل أن يبلغ أحدهم الاحاديث بألفاظ غير الالفاظ التي بلغت الآخر وتفسر له بعض آيات القرآن بتفسير يخالف لفظه لفظ التفسير الآخر ويتصرف في الجمع بين النصوص واستخراج الاحكام منها بنوع من الترتيب والتوفيق ليس هو النوع الذي سلكه غيره وكذلك في عباداته وتوجهاته وقد يتمسك هذا بآية أو حديث وهذا بحديث أو آية أخرى وكذلك في العلم من العلماء من يسلك بالاتباع طريقة ذلك العالم فتكون هي شرعهم حتى يسموا كلام غيره ويروا طريقته فيرجح الراجح منهما فتنوع في حقهم الاقوال والافعال السالفة لهم من هذا الوجه وهم مأمورون بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه كما أمرت الرسل بذلك ومأمورون بان لا يفرقوا بين الامة بل هي أمة واحدة كما أمرت الرسل بذلك وهؤلاء آكد فان هؤلاء تجمعهم الشريعة الواحدة والكتاب الواحد وأما القدر الذي تنازعوا فيه فلا يقال ان الله أمر كلامهم باطنا وظاهرا بالتمسك بما هو عليه كما أمر بذلك الانبياء وان كان هذا قول طائفة من أهل الكلام فانما يقال ان الله أمر كلا منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وامكانه فان أصابه والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقال الله قد فعلت وقال تعالى (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به) فن ذمهم ولا مہم على مالم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى من الله فقد اعتدى

واتبع هواه بغير هدى من الله ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد اذ الامر مشروط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فعلى المسلم في كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو محسن ويدوم على هذا الاسلام فاسلام وجهه اخلاصه لله واحسان فعله الحسن فتدبر هذا فانه أصل جامع نافع عظيم *

﴿ قاعدة ﴾

في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها نزاع بين الامة في الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر اوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون أحدها جهل كثير من الناس او اكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمته والذي أمرهم باتباعه * الثاني ظلم كثير من الامة أو اكثرهم بعضهم لبعض وبعيهم عليهم تارة بنهبهم عما لم ينه الله عنه وبعضهم على ما لم يبغضهم الله عليه وتارة بتترك ما اوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤثرونه حتى يقدمون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرأ عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك * الثالث اتباع الظن وما تهوي الانفس حتى يصير كثير منهم متدينا بتابع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفهمة والمتعبدة من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والرافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال الله في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) * الرابع التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويماديه

ويجب بعضا وبواليه على غير ذات الله وحتى يفضي الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز وبعضهم الى الاقتتال بالأيدى والسلاح وبعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلح بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الأمور التي حرّمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (وما فرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة) وقال (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) وقال (إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) وقال (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا تفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » وقوله « فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أمره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبؤكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف

آل عمران ١٠٢ - ١٠٣

آل عمران ١٠٦

الأقسام ١٥٩

البقرة ٢١٣

البينة ٤ - ٥

آل عمران ١٩

الجانية ١٧

يونس ٩٣

الأنفال ١

١ - الحجرات ١٠

١ - النساء ١١٤

والنهي عن المنكر قالوا بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين « وقوله « من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم » وقوله « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية وثمان وسبعون في النار قيل ومن الفرقة الناجية قال هي الجماعة يد الله على الجماعة » و باب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشائخها وغيرهم من ذلك . والله به عليم وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطاؤه أو لحسناته الماحية أو لتوبته أو غير ذلك لكن يعلم الله أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة ويندكرون في كتب السنة والجماعة من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة التي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة (النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعضها ما عليه أهل الإسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم أن الله حفظ هذا الدين كما قال (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فحفظ الله الذكر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه به كدحيث يقول (واذكرونا ما تبلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) حفظه من أن يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة فقصم حروف التنزيل أن تغير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء الحديث وحفاظه الذين فحسوا عنها وعن نقلها ورواياتها وعلماها من ذلك ما لم يمله غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لأسباب يطول وصفها في هذا الموضوع وعلماها

خصوصا وسائر علماء الأمة بل وعامتها عموما ما صانوا به الدين عن أن يزداد فيه أو ينقص منه مثل ما علموا أنه لم يفرض عليهم في اليوم والليلة إلا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها ما بين الثلاثين والثلاثين والرابعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم إلا شهر رمضان ومن الحج إلا حج البيت العتيق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يؤثرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم بكذب من يزعم من الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخر بن أنه نص على العباس وعلموا أحاديث الرافضة والناصبة التي يؤثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذبون الطرقية مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنتره والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن القتال فيها كان في تسع مغاز فقط ولم يكن عدد المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية إيزيد بن معاوية ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الأرجاء ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الاسبوع وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة والأحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ظهره وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به إلى السماء وقتال أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الإسراء والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الأرض بعيني رأسه وأمثال هذه الأحاديث المكذوبة التي يطول وصفها فإن المكذوب من ذلك لا يحصيه أحد إلا الله لأن الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وإنما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الأنبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الأمور المكذوبة وغيرها وجوه * أحدها أن ما توفرت هم الخلق ودواعيهم على نقله وأشاعته يمتنع في العادة كتمانها فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم

الجمعة وأخبر بمحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد إذا لم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمادن ذهب وفضة ظاهرة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الأمثال يعلم كذب ما ينقل من الأمور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عبادته أنهم لا يتواطون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جبل جماهير الأمم على الصدق والبيان في مثل هذه الأمور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الأكل والشرب واللباس فالنفس يطبعها تختار الصدق إذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الأمور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم ويميلون إلى الاستخبار والاستفهام عما يقع وكل شخص له من يؤثر ان يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على أنسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة تعلم أنهم لم يتواطوا فيها على الكذب والاخبار الشاذة تعلم أنهم لم يتواصوا فيها على الكتمان * الوجه الثاني أن دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانهم ووجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على ما يجب بيانه كتواطئهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التي تحرم في دين الامة وذلك باعث يوجب الصدق والبيان * الثالث أنه قد علم من عهد سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين واظهاره وعظيم مجادبتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه العادة الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر * الرابع أن العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى

الله عليه وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينيا لا يتخالجه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل الزهري وقتادة وبجي بن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أمورًا يعلمون معها امتناعهم عن الكذب وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في ذلك الباب ما يطول شرحه وليس الغرض هنا تقرير ذلك وإنما الغرض التنبيه على ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بامر الاذان والاقامة فانه كان يفعل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف في صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع الاختلاف في نقلها وذكرها نحو هذه الاور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا أن تكون من امور الدين ما لم ينقل بل كتم لاهواء وأغراض وأما جهة الرأي والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا المتفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويمبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت كن لا وجود له وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وأنه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة

بذلك التوسل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والاحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرفض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل ويطنن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعلمون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أعداء الملة من أسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الامور الصغار داعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار *

فصل ﴿﴾ اذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ماهو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الأصلين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليها بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء أما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه أعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنونه من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات انما هي في أمور مستحبات ومكروهات لاقى واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا أو مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يمنع ذلك من الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ماعداها ومن الناصبة من يحرم المتممة ولا يبيحها بحال وكذلك الاذان سواء رجع فيه أولم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في أوله أو ثناه وانما يخالف في ذلك بعض شواذ المتفهمة كما خالف فيه بعض الشيعة فأوجب فيه الحيلة بحج على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والتثنية بأبيها أقام صححت اقامته عند عامة علماء الاسلام الا ما ينازع شذوذ الناس وكذلك الجهر بالبسلة والخافتة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب أحدها ويكره الآخر ويختار أن لا يقرأ بها فالمنازعة بينهم في المستحب والافلاصلاة بأحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا في الجهر والخافتة في موضعهما

هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك واحمد وغيرهما فهذا في الجهر والطويل بالقدر الكثير مثل المخافة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الصبح فأما الجهر بالشيء اليسير أو المخافة به فما ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما أعلم أحدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة المخافة يسمعون الآية أحيانا وفي صحيح البخارى عن رفاة ابن رافع الزرقى قال كنا نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال من المتكلم قال أنا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتدرونها أيهم يكتبها أول ومعلوم أنه لولا جهره بها لماسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوى ومعلوم أن المستحب للمأموم المخافة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر أنه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار. والسنة الراتبة فيه المخافة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة. وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنائزة وقال لتعلموا أنها السنة. ولهذا نظار. وأيضا فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن ازيير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى وكذلك القنوت في الفجر وانما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهته وسجود السهو تركه أو فعله والا فماتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وانه ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو طويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع ولو فعل ذلك في غير صلاة الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم وكذلك القنوت في الوتر هل هو في جميع الحول أو في النصف الاخر من رمضان انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده وكذلك التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في الكاملة فقط أم ليست مشروعة انما هو نزاع في

الاستحباب لكن عن أحمد رواية أن التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة إما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الأخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة في الصلاة الكاملة وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب فيها والا فلا نزاع في أنه يجزئ ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائز ما علم في ذلك خلافا الا خلافا شاذا وانما النزاع في المستحب وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع في استحبابه وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل يذكر قولاً في مذهب الامام احمد واذا كان النزاع انما هو في الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وأجزائه ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم أن ذلك جميعه جائز مجزئ في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان سواء وان رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه باجماع المسلمين ولا يجوز التفريق بذلك بين الامة ولا أن يعطي المستحب فوق حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبه أفضل بكثير ولا يجوز أن يجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الامة واجتماعهم أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لا ائتلاف القلوب كان ذلك حسناً وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب. وقد أخرجنا في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولا لصقتها بالارض ولجملت لها باين بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه» وقد احتج بهذا الحديث البخارى وغيره على أن الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأييد القلوب ودفعاً لغرتها ولهذا نص الامام احمد على أنه يجهر بالبسملة عند

المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤونها بحال فيجهر بها ليعلمهم أنه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنائز فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك والظن فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم أنه داخل في المشروع فالتنازع في الرجحان لا يصير كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء أن يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان من ذمه الله ورسوله فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك *

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع في الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة * وفي صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة منى منى مثل الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بن حفص وهشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به وكذلك الترجيع في الأذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو محذوف من أذان بلال الذي رووه في السنن وكذلك الجهر بالسلمة والخافتة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت الخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الأمران جميعا وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضى أنه لم يكن يجهر بها كما عليه أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها : وفي السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن معقل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنده كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في

أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحاح والسنن احاديث محتملة وقد روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها إذ كان بمكة وأنه لما هاجر إلى المدينة ترك الجهر بها حتى مات . ورواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة لم يكونوا يجهرون وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الأحيان أو جهرا خفيا إذا كان ذلك محفوظا وإذا كان في نفس كتب الحديث أنه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة * وأما القنوت فأمره بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فإنه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر ونبت عنه أنه قنت أيضا في المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا في الجملة فنقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين أنه تركه ترك نسخا فاعتقد أن القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكيين أنه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت لسبب ثم تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لا الرواتب لانه ثبت أنه تركه لما زال العارض ثم عاد اليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه لم يقنت بعد الركوع إلا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه انه قنت القنوت المتنازع فيه لا قبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجهر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى أن ينقل دعائه فيه فاذا كان الذي يستحبه إنما يدعو فيه بقنوت الوتر علم أنه ليس فيه

شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وأمثاله فإنه من الممتنع أن يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فإنه مما يعلم بطلانه قطعاً وكذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعا عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب إلى آخره يقتضى أنه دعا به عند قتاله للنصارى وكذلك دعا على عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذى فيه عن أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وانه ليس في السنن إماماً فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع إلا شهراً والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل إذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما قد بيناه في غير هذا الموضع وأما حجة الوداع وإن اشتهت على كثير من الناس فأما أتوا من جهة الألفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول إنه تمتع بالعمرة إلى الحج وهؤلاء يقولون إنه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة إلى الحج ولا خلاف في ذلك فإنهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه وأنه كان قد ساق الهدى ونحره يوم النحر وأنه لم يعتمر بعد الحج في ذلك العام لاهو ولا أحد من أصحابه إلا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التمتع أدنى الحل وكذلك الأحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفاء والمرورة الا مرة واحدة مع طوافه الأول فالذين نقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعاً حل به من احرامه كما يفعله الممتع الذى لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم*

﴿ قاعدة في أن الاعتقادات قد تؤثر في الأحكام ﴾

هذه قاعدة عظيمة جامعة متشعبة وللناس في تفاصيلها اضطراب عظيم حتى منهم من صار في طرفي قميض في كلا نوعي الأحكام العلمية الشرعية والأحكام العينية النظرية وذلك أن كل واحد من العلوم والاعتقادات والأحكام والكلمات بل

والحجة والارادات إما أن يكون تابعا لمتعلقه مطابقا له وإما أن يكون متبوعه تابعا له مطابقا له ولهذا اتسمت الحق والحقائق والكلمات إلي موجود ومقصود إلى كوني وديني إلى قدرى وشرعى كما قد بينته في غير هذا الموضوع وقد تنازع النظار في العلم هل هو تابع للمعلوم غير مؤثر فيه بل هو انفعالى كما يقوله كثير من أهل الكلام أو المعلوم تابع له والعلم مؤثر فيه وهو فعلى كما يقوله كثير من أهل الفلسفة والصواب أن العلم نوعان أحدهما تابع والثانى متبوع والوصفان يجتمعان في العلم غالبا أو دائما فعلمنا بما لا يفترق إلى علمنا كعلمنا بوجود السموات والارض وكذلك علمنا بالله وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنبين وغير ذلك علم تابع انفعالى وعلمنا بما يقف على علمنا مثل ما يريد من أفعالنا علم فعلى متبوع وهو سبب لوجود المعلوم وكذلك علم الله بنفسه المقدسة تابع غير مؤثر فيها وأما علمه بمخلوقاته فهو متبوع وبه خلق الله الخلق كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فان الارادة مستلزمة للعلم في كل مرید كما أن هذه الصفات مستلزمة للحياة فلا ارادة الا بعلم ولا ارادة وعلم الابحية وقد يجوز أن يقال كله علم فهو تابع للمعلوم مطابق سواء كان سببا في وجود المعلوم أو لم يكن فيكون اطلاق المتكلمين أحسن وأصوب من اطلاق المتفلسفة ان كل علم فهو فعلى متبوع وما أظن العقلاء من الفريقين الا يقصدون معنى صحيحا وهو أن يشيروا إلى ما تصوروه فينظر هؤلاء في أن العلم تابع لمعلومه مطابق له ويشيروا هؤلاء إلى ما في حسن العلم في الجملة من أنه قد يؤثر في المعلوم وغيره ويكون سببا له وأن وجود الكائنات كان بعلم الله وعلم الانسان بما هو حق أو باطل وهدى أو ضلال ورشاد أو غي وصدق أو كذب وصلاح أو فساد من اعتقاداته وارادته وأقواله وأعماله ونحو ذلك يجتمع فيه الوصفان بل غالب العلم أو كله يجتمع فيه الامران ولهذا كان الايمان قولاً أو عملاً قول القلب وعملة وقول الجسد وعملة فانه من عرف الله أحبه فعلمه بالله تابع للمعلوم ومتبوع لحبه لله ومن عرف الشيطان أبغضه فمعرفة به تابعة للمعلوم ومتبوعة لبغضه وكذلك عامة العلم لا بد أن يتبعه أثر ما في العالم من حب أو غيره حتى علم الرب سبحانه بنفسه المقدسة يتبعه

صفات وكلمات وأفعال متعلقة بنفسه المقدسة فما من علم إلا ويتبعه حال ما وعمل ما فيكون متبوعا مؤثرا فاعلا بهذا الاعتبار وما من علم إلا وهو مطابق لمعلومه موافق له سواء كان المعلوم مستغنيا عنه أو كان وجود المعلوم بوجوده فيكون تابعا منفلا مطابقا بهذا الاعتبار لكن كل علم وإن كان له تأثير فلا يجب أن يكون تأثيره في معلومه فإن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فأحب الله وملائكته وأنبياءه والجنة وأبض النار لم يكن علمه بذلك مؤثرا في المعلوم وإنما أثر في محبة المعلوم وارادته أو في بفضه وكرامته كذلك وإن كان كل علم فانه مطابق للمعلوم لكن قد يكون ثبوت المعلوم في ذهن العالم وتصوره قبل وجوده في الخارج كتصور الإنسان لأقواله وأعماله وقد يكون وجوده في الخارج قبل تصور الإنسان له وعلمه أو بدون تصور الإنسان له فلهذا التفريق حصل التقسيم الذي قسمناه من أنه ينقسم إلى مؤثر في المعلوم وغير مؤثر فيه وإلى تابع للمعلوم وغير تابع له وإن كان كل علم فإن له أثرا في نفس العالم وإن كان كل علم فانه تابع تبع المطابقة والمواقة وإن لم يكن بعضه تابعا تبع التأخر والتأثر والأفتقار والتعلل فهذه مقدمة جامعة نافعة جدا في أمور كثيرة إذا تبين هذا في جنس العلم ظهر ذلك في الأعتقاد والرأي والظن ونحو ذلك الذي قد يكون علما وقد لا يكون علما بل يكون اعتقادا صحيحا أو غير صحيح أو ظنا صحيحا أو غير صحيح أو غير ذلك من أنواع الشعور والأحاساس والأدراك فإن هذا الجنس هو الأصل في الحركات والأفعال الروحانية والجسمانية ما كان من جنس الحب والبغض وغير ذلك وما كان من جنس القيام والقعود وغير ذلك فإن جميع ذلك تابع للشعور مفتقرا اليه مسبوق به والعلم أصل العمل مطلقا وإن كان قد يكون فرعا لمولم غير العمل كما تقدم. فالأعتقاد تارة يكون فرعا للمعتقد تابعا له كاعتقاد الأمور الخارجة عن كسب العبد كاعتقاد المؤمنين والكفار في الله تعالى وفي اليوم الآخر وقد يكون أصلا للمعتقد متبوعا له كاعتقاد المعتقد وظنه إن هذا العمل يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة إما في الدنيا وإما في الآخرة مثل إعتقاده أن أكل هذا الطعام يشبعه وأن

تناول هذا السم يقتله وأن هذه الرمة تصيب هذا الغرض وهذه الضربة تقطع هذا العنق وهذا البيع والتجارة يورثه ربها أو خسارة وأن صلته وزكاته وحجه وبره وصدقه ونحو ذلك من الأعمال الصالحة يورثه السمادة في الدنيا والآخرة وأن كفره وفسوقه وعصيانه يورثه الشقاوة في الدنيا والآخرة. وهذا باب واسع تدخل فيه الديانات والسياسات وسائر الأعمال الدنيوية والدنيوية ويشترك فيه الدين الصحيح والفساد لكن هذا الاعتقاد العملي لا بد أن يتعلق أيضا بأمر غير العمل فإن اعتقاده أن هذا العمل ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره يتعاق أيضا بصفات ثابتة الأعيان لا يتعلق باعتقاده كما أن الاعتقاد النظري وإن كان معتقده غير العمل فإنه يتبعه عمل كما تقدم أن كلا من الاعتقادين تابع متبوع والأحكام أيضا من جنس الاعتقادات فإنه أيضا ينقسم قسمين: أحكام عينية تابعة للمحكوم فيه للحكم بما يستحقه الله تعالى من الحمد والثناء وما يتقدس عنه من الفقر والشركاء وأحكام عملية يتبعها المحكوم فيه كالحكم بان هذا العمل حسن أو قبيح صالح أو فاسد خير أو شر نافع أو ضار واجب أو محرم مأمور به أو منهي عنه رشاد أو غي أو ظلم. وكذلك الكلمات فإنها تنقسم إلى خبرية وانشائية فالكلمات الخبرية تطابق الخبر عنه وتنبهه وهي موافقة للعلم التابع والاعتقاد التابع والحكم التابع. والكلمات الانشائية مثل الأمر والنهي والاباحة تستتبع المتكلم فيه المأمور به والمنهي عنه والمباح ويكون سببا في وجوده أو عدمه كالعلم المتنوع والاعتقاد المتبوع وهو الحكم العملي. إذا عرف هذان النوعان فمن الناس من يسمى العلم والأعتقاد والحكم والقول الخبري التابع علم الأصول وأصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر ونحو ذلك من الاسماء المتقاربة وإن اختلفت فيها المقاصد والاصطلاحات. ويسمى النوع الآخر علم الفروع وفروع الدين وعلم الفقه والشريعة ونحو ذلك من الأسماء. وهذا اصطلاح كثير من المتفهمة والمتكلمة المتأخرين ومن الناس من يجعل أصول الدين اسما لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير سواء كان علميا أو عمليا سواء كان من القسم الأول أو الآخر حتى يجعل عبارة الله وحده ومحبه وخشيته ونحو ذلك من أصول الدين وقد يجعل بعض الأمور

الاعتقادية الخيرية من فروعها ويجعل اسم الشريعة ينظم العقائد والأعمال ونحو ذلك وهذا اصطلاح غلب على أهل الحديث والتصوف وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام *

﴿ فصل ﴾

إذا تبين هذا فن الناس من صار في طرفي تقيض فحكي عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد وجعل الحقائق تابعة للعقائد وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل وإنما هو من جنس ما يحكى أن السوفسطائية أنكروا الحقائق ولم يثبتوا حقيقة ولا علما بحقيقة وأن لهم مقدا يقال له سوفسطا كما يذكره فريق من أهل الكلام. وزعم آخرون أن هذا القول لا يعرف أن عاقلا قاله ولا طائفة تسمى بهذا الاسم وإنما هي كلمة معربة من اللغة اليونانية ومعناها الحكمة الموهبة يعنون الكلام الباطل الذي قد يشبه الحق كما قد يتخيله الإنسان لفساد عقله أو مزاجه أو اشتباه الأمر عليه وجملوا هذا نوعا من الكلام والرأي يعرض للنفوس لأنه صنف من الآدميين. وبكل حال فمعلوم أن التخيلات الفاسدة كثيرا ما تعرض لبني آدم بل هي كثيرة عليهم وهم يجحدون الحق إما عنادا وإما خطأ في أمور كثيرة وفي أحوال كثيرة وإن كان الجاحد قد يقر بحق آخر أو يقر بذلك الحق في وقت آخر فالجهل والعناد الذي هو السفسطة هو فيهم خاصا مقيدا إلا أنه عام مطلق قد يتلى به بعضهم مطلقا وإن لم يستمر به الأمر وقد يتلى به في شيء بعينه على سبيل الدوام وأما ابتلاء الشخص المدين به فقد يكون امامع فساد العقل المسقط للتكليف وهو الجنون وأما مع صحة العقل المشروط في التكليف فما أعلم شخصا جاهلا بكل شيء. وما نأدا لكل شيء حتى يكون سوفسطائيا. ومما يبين أن هذا لم يقع عند المتكلمة أيضا أن كثيرا من متكلمة أهل الحديث والسنة وغيرهم يقولون إن العقل المشروط في التكليف نوع من العلوم الضرورية كالعلم بوجود الواجبات وجواز الجائزات

وامتناع الممتنعين. واستدلوا على ذلك بأن العاقل لا يخلو من علم شيء من ذلك وهذا قول القاضي أبي بكر وابن الباقلاني وأبي الطيب الطبري والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم فمن كان هذا قوله لم يصح أن يحكى عن عاقل أنه أنكر العلوم جميعها إلا على سبيل العناد ومعلوم أن العناد لا يكون إلا لغرض وليس لأحد غرض أن يعاند في كل شيء ويججده على سبيل الدوام ومن الناس بازاء هؤلاء من قد يتوهم أنه لا تأثير للمقائد في المعتقدات ولا تختلف الأحكام باختلاف المقائد بل يتخيل أنه إذا اعتقد وجوب فعل أو تحريمه كان من خرج عن اعتقاده مبطلا مرتكبا للمحرم أو تاركا للواجب وأنه يستحق من الذم والعقاب ما يستحقه جنس من ترك الواجب أو فعل المحرم وإذا عورض بأنه متأول أو مجتهد لم يانفت الى هذا وقال هو ضال مخطيء مستحق للعقاب وهذا أيضا على اطلاقه وعمومه لا يمتدده صحيح العقل والدين ما أعلم قائلا به على الاطلاق والعموم كالطرف الأول وإنما أعلم أقواما وطوائف يبتلون ببعض ذلك ولو ازمه في بعض الأشياء فإن من غالب من يقول بعصمة الأنبياء والأئمة الاثنى عشر عن الخطأ في الأقوال والأعمال من قد يرى أنه لو أخطأ الإمام في فعل لكان ذلك عيبا وذما وبين هذين الطرفين المتباعين أطراف أيضا نشأ عنها اختلاف الناس في تصويب المجتهدين وتخطئتهم في الأصول والفروع كما سننبه عليه إن شاء الله *

فصل

والمتحقق أن الأحكام والأقوال والاعتقادات كما تقدم نوعان: عيني وعملية تابع للمعتقد ومتبوع للمعتقد فرع للمعتقد وأصل له. فأما الأول وهو العملي التابع للمعتقد المتفرع عليه فهذا لا يؤثر فيه الاعتقادات ولا يختلف باختلافها فإن حقائق الموجودات ثابتة في نفسها سواء اعتقدها الناس أو لم يمتدوها وسواء اتفقت عقائدهم فيها أو اختلفت وإذا اختلف الناس فيها على قولين متناقضين لم يكن كل مجتهد مصيبا بمعنى أن قوله مطابق للمعتقد موافق له لا يقول ذلك عاقل كما تقدم ومن حكى عن أحد من علماء المسلمين سواء كان عبيد الله بن الحسن العنبري أو

غيره أنه قال كل مجتهد في الأصول مصيب بمعنى أن الفواين المتناقضين صاد قان مطابقان . فقد حكى عنه الباطل بحسب وعمره وإذا رد هذا القول وأبطه فقد أحسن في رده وإبطاله وإن كان هذا القول المراد لا فائل به ولكن المنازعات والمخالفات في هذا الجنس تشتمل على أقسام وذلك أن التنازع إما أن يكون في اللفظ فقط أو في المعنى فقط أو في كل منهما أو في مجموعهما . فإن كان في المعنى مع اللفظ أو بدونه فلا يخلو إما أن يتناقض المعنيين أو يمكن الجمع بينهما فإن كان النزاع في المعنيين المتناقضين فأحد القواين صواب والآخر خطأ وأما بقية الأقسام فيمكن فيها أن يكون القولان صوابا ويمكن أن يكون الجميع خطأ ويمكن أن يكون كل منهما أو أحدهما صوابا أو من وجه خطأ دون وجهه وحيث كان القولان خطأ وقد لا يكون وإذا لم يكن ككفر فقد يكون فسرا أو قد لا يكون . فمن قال إن المتنازعين كل منهما صواب بمعنى الإصابة في بعض الأقسام المتقدمة أو بمعنى أنه لا يعاقب على ذلك فهذا ممكن وأما تصويب المتناقضين فمحال . فإنه كثير إما يكون النزاع في المعنى نزاع تنوع لا نزاع تضاد وتناقض فيثبت أحدهما شيئا وينفي الآخر شيئا آخر ثم قد لا يشتركان في لفظ ما فإياه أحدهما وأنبته الآخر وقد يشتركان في اللفظ فيكون التناقض والاختلاف في اللفظ وأما المعنى فلا يختلفان فيه ولا يتناقضان . ثم قد يكونان متفقين عليه يقوله كل منهما وقد يكون أحدهما قاله أو يقوله والآخر لا يتعرض له بأبواب ولا نفي وقد يكون النزاع اللفظي مع اتحاد المعنى لاتنوعه وكثير من تنازع الأئمة في دينهم هو من هذا الباب في الأصول والفروع والقرآن والحديث وغير ذلك . مثال التنوع الذي ليس فيه نزاع لفظي أن يقول أحدهما الصراط المستقيم هو الإسلام ويقول الآخر هو السنة والجماعة ويقول الآخر هو القرآن ويقول الآخر هو طريق العبودية فإن هذا تنوع في الأسماء والصفات التي تبين بها الصراط المستقيم بمنزلة أسماء الله وأسماء رسوله وكتابه وليس بينها تضاد لا في اللفظ ولا في المعنى وكذلك إذا قال بعضهم في السابق والمقتصد والظالم أقوالا يذكر فيها كل قوم نوعا من المسلمين ويكون الاسم متناولا للجميع من غير منافاة . ومثال التنوع الذي فيه نزاع لفظي لأجل اشتراك اللفظ كما قيل : أكثر اختلاف العقلاء

من جهة اشتراك الاسماء تنازع قوم في ان محمدا رأى ربه في الدنيا أوفى الآخرة فقال قوم رآه في الدنيا لأنه رآه قبل الموت وقال آخرون بل في الآخرة لأنه رآه وهو فوق السموات ولم يره وهو في الارض والتحقيق أن لفظ الآخرة يراد به الحياة الدنيا والحياة الآخرة ويراد به الدار الدنيا والدار الآخرة ومحمد رأى ربه في الحياة الدنيا في الدار الآخرة وكذلك كثير ممن يتنازعون في أن الله في السماء أوليس في السماء فالمثبتة تطلق القول بان الله في السماء كما جاءت به النصوص ودلت عليه بمعنى أنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه وآخرون ينفون القول بان الله في السماء ومقصودهم أن السماء لا تحويه ولا تحصره ولا تحملها ولا تقبله ولا ريب أن هذا المعنى صحيح أيضا فان الله لا تحصره مخلوقاته بل وسع كرسيه السموات والارض والكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وكذلك ليس هو مفتقرا الى غيره محتاجا اليه بل هو الغنى عن خلقه الحى القيوم الصمد فليس بين المعنيين تضاد ولكن هؤلاء أخطأوا في نفي اللفظ الذى جاء به الكتاب والسنة وفي توهم أن اطلاقه دال على معنى فاسد وقد يعذر بعضهم اذا رأى من أطلق هذا اللفظ وأراد به أن السماء تقبله أو تظله واذا أخطأ من عنى هذا المعنى فقد أصاب وأما الاول فقد أصاب في اللفظ لا لاطلاقه ما جاء به النص وفي المعنى الذى تقدم لانه المعنى الحق الذى دل عليه النص لكن قد يخطئ بعضهم في تكفير من يطلق اللفظ الثانى اذا كان مقصوده المعنى الصحيح فان من عنى المعنى الصحيح لم يكفر باطلاق لفظ وان كان سيئا أو فاعلا أمرا محرما وأما من فسر قوله انه ليس في السماء بمعنى أنه ليس فوق العرش وانما فوق السموات عدم محض فهؤلاء هم الجهمية الضلال المخالفون لاجماع الانبياء ولفطرة العقلاء.

فصل

ونحن نذكر من ذلك أصولا (أحدها) تأثير الاعتقادات في رفع العذاب والحدود فنقول: ان الاحكام الشرعية التي نصبت عليها أدلة قطعية معلومة مثل الكتاب والسنة المتواترة والاجماع الظاهرة كوجوب الصلاة والزكاة والحج

والصيام وتحريم الزنا والخمر والربا اذا بلغت هذه الأدلة لا مكلف بلاغا يمكنه من اتباعها
فخالفها تفريطا في جنب الله وتعديا لحدود الله فلا ريب أنه مخطيء آثم وان هذا
الفعل سبب لعقوبة الله في الدنيا والآخرة فان الله أقام حجته على خلقه بالرسل
الذين بعثهم اليهم مبشرين ومنذرين (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
قال تعالى عن أهل النار (كما التي فيها فوج سألمهم خزنها ألم يأتكم نذير قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير)
وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فنحت أبوابها وقال
لهم خزنها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) . وأما اذا كان في الفعل
والحادثة والمسئلة العملية نص لا يتمكن المكلف من معرفته ومعرفة دلالاته مثل
أن يكون الحديث النبوي الوارد فيها عند شخص لم يعلم به المجتهد ولم يشعر بما يبدله
عليه أو تكون دلالاته خفية لا يقدر المجتهد على فهمها أو لم يكن فيها نص بحال فهذا
مورد نزاع فذهب فريق من أهل الكلام مثل أبي علي وأبي هاشم والقاضي
أبي بكر والغزالي الى قول مبتدع يشبه في المجتهادات قول الزنادقة الاباحية في
المنصوصات وهو أنه ليس لهذه الحادثة حكم عند الله في نفس الامر وإنما حكمه
في حق كل مكلف يتبع اجتهاده واعتقاده فمن اعتقد وجوب الفعل فهو واجب عليه
ومن اعتقد تحريمه فهو حرام عليه و بنوا ذلك على مقدمتين احدهما أن الحكم
أما يكون بالخطاب فما لا خطاب فيه لا حكم لله فيه فاذا لم يكن للعقل فيه حكم اما
لعدم الحكم العقلي مطلقا أو في هذه الصورة علم انه لا حكم فيه يكون من أصابه مصيبا
ومن أخضاه مخطئا (الثاني) انه قد علم أن من اعتقد وجوب شيء فعليه فعله ومن
اعتقد تحريمه فعليه اجتنابه فالحكم فيه يتبع الاعتقاد. قالوا والاحكام الشرعية
تختلف باختلاف أحوال المكلفين في اجتهاداتهم وغير اجتهاداتهم بدليل اتفاق
الفقهاء وأهل السنة على أن الاجتهاد والاعتقاد يؤثر في رفع الائم والعقاب كاجاءت
به النصوص وأن الوجوب والتحريم يختلف بالاقامة والسفر والطهارة والحيض
والعجز والقدرة وغير ذلك فيجوز أن تختلف الاحكام باختلاف الاعتقادات

ويكون الحكم في حق المجتهد عند عدم النص ما اعتقده . هذا ملخص قولهم . وأما السلف والفقهاء والصوفية والعامّة وجمهور المتكلمين فعلى انكار هذا القول وأنه مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف بل هو مخالف للعقل الصريح حتى قال أبو اسحاق الاسفراينى وغيره هذا المذهب أوله مفسطة وآخره زندقة يعنى أن المفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه . فمن قال ان الايجاب والتحرير يتبع الاعتقادات فقد فسط في الاحكام العملية وان لم يكن مفسطاً في الاحكام العينية وقد قدمنا أنه لم تجر العادة بان عاقلاً يفسط في كل شيء لا خطأ ولا عمد الاضلالاً ولا عناد الاجهال ولا تجاهلاً . وأما كون آخره زندقة فلا نه يرفع الامر والنهي والايجاب والتحرير والوعيد في هذه الاحكام ويبقى الانسان ان شاء أن يوجب وان شاء أن يحرم وتستوى الاعتقادات والافعال وهذا كفر وزندقة . وجماع الكلام على هؤلاء في مقامين (أحدهما) امتناع هذا القول في نفسه واستحالاته وذلك معلوم بالعقل (والثانى) أنه لو كان جائزاً في العقل لكن لم يرد به الشرع بل هو مخالف له وتعرف مخالفته للنص والاجماع . أما الاول فمن وجوه : (أحدها) أنه قد تقدم أن كل علم واعتقاد وحكم لا بدله من معلوم . معتد محكوم به يكون الاعتقاد مطابقاً له موافقاً سواء كان للاعتقاد تأثير في وجوده أو لم يكن فان الاعتقادات العملية المؤثرة في المعتقد مثل اعتقاد أن أكل هذا الخبز يشبع واعتقاد أن أكل هذا السم يقتل . وان كان هذا الاعتقاد يؤثرو في وجود الاكل مثلاً فلا بدله من معتقد ثابت بدونه وهو كون أكل ذلك الخبز موصوفاً بتلك الصفة . والاكل فان كان معدوماً قبل وجوده فان محله وهو الخبز والاكل موجودان فان لم يكن الخبز متصفاً بالاشباع اذا أكل والاكل متصفاً بأنه يشبع اذا أكله لم يكن الاعتقاد صحيحاً بل فاسداً كما لو اعتقد في شيء أنه رغيف فأكله فاذا هو جص أو جبصين فان اعتقاده وان أقدم به على الاكل فانه لا يشبعه لفساد الاعتقاد وهكذا من اعتقد في شيء أنه ينفعه أو يضره فان الاعتقاد يدعو الى الفعل أو الترك ويعينه على ذلك فان كان مطابقاً حصلت المنفعة واندفعت المضرة اذا انتفت الموانع والا فجرد الانتفاع بالفعل أو الضرر به لا يوجب حصول المنفعة والمضرة وانما هذا قول بعض جهال

الكفار لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله فيجعلون الانتفاع بالشئ تبعا لظن المنفعة فيه وقد اعتقد المشركون الانتفاع بالاصنام التي قال الله فيها (يدعو لمن ضمه أقرب من نفعه) فإذا اعتقد المعتقد أن هذا الفعل مأمور به أمر استحباب يثيب الله عليه ثواب الفعل المستحب أو أمر إيجاب يعاقب من تركه عقوبة العاصي أو اعتقد أن الله نهى عنه كذلك فهو معتقد اما صفة في ربه فقط من الامر والنهي وهي صفة اضافية للفعل كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم واما صفة في الفعل فقط من الحسن والقبح والامر والنهي كاشفة لذلك كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم. وإما ثبوت الصفتين جميعا للامر والمأمور به كما عليه جمهور الفقهاء وهو أما يعتقد وجود تلك الصفة التي هي الحكم الشرعي لاعتقاده أنها ثابتة في نفسها موجودة بدون اعتقاده لأنه يطلب باعتقاده أن يثبت للامر والفعل صفة لم تكن له قبل ذلك اذ ليس لاحد من المجتهدين غرض في أن يثبت للأفعال أحكاما باعتقاده ولا أن يشرع ديننا لم يأذن به الله وإنما مطلوبه أن يعتقد حكم الله ودينه ولاله مقصود أن يجيء الى الأفعال المتساوية في ذواتها وفي أمر الله فيعتقد في أحدها الوجوب على نفسه وفي الآخر التحريم من غير سبب تختص به الأفعال فهذا موضع ينبغي تدبره فان المؤمن الطالب للحكم الله إذا علم أن تلك الأفعال عند الله سواء لم يميز بعضها عن بعض بأمر ولا نهى وهي في أنفسها سواء لم يميز بعضها عن بعض بحسن ولا سوء ولا مصلحة ولا مفسدة فان هذا الاعتقاد منه موجب لاستوائها وتماثلها فاعتقاده بعد هذا أن هذا واجب ينم تاركه وهذا حرام يعاقب فاعله متناقض في العقل وسفسطة وكفر في الدين وزندقة : أما الاول فلأن اعتقاد التساوي والتماثل ينافي اعتقاد الرجحان والتفضيل فضلا عن وجوب هذا وتحريم هذا فكيف يجمع العاقل بين الاعتقادين المتناقضين الا أن يكون أخرق كافرا فيقول أنا واجب هذا وأحرم هذا بلا أمر من الله ولا مرجح لاحدهما من جهة العقل فإذا فعل هذا كان شارعا من الدين للمالم يأذن به الله وهو مع هذا دين معلوم الفساد بالعقل حيث جعل الأفعال المستوية بعضها

واجب وبعضها محرم بلاسبب يوجب التخصيص الا محض التحكم الذي لا يفعله حيوان أصلا لا عاقل ولا مجنون اذ لو فرض اختصاص أحد الفيلين لشهوة أو ولادة أمكن أن يقال تلك جهة توجب الترجيح وهي جهة حسن عند من يقول بالتحسين العقلي فيجب لذلك والفرض انتفاء ذلك جميعه وإذا انتفى ذلك كله علم أن اعتقاد حسن الفعل وقبحه ووجوبه وتحريمه يتبع أمرا ثابتا في نفسه يكون مطابقا له أو غير مطابق وإذا كان كذلك فالأعتقاد المطابق صواب والاعتقاد المخالف ليس بصواب لان الحكم يتبع الاعتقاد من كل وجه (الثاني) أن الطالب المستدل بالدليل ليستبين له الأحكام هو يطلب العلم بمدلول الدليل فان لم يكن للدليل مدلول وإنما مدلول الدليل يحصل عقب التأمل لم يكن مطلوبه العلم بالمدلول وإنما مطلوبه وجود المدلول وليس هذا شأن الأدلة التي تبين المدلولات وإنما هو شأن الأسباب والعلل توجد المسببات وفرق كثير بين الدليل المقتضى للعلم القائم بالقلب وبين العلم المقتضى للوجود القائم في الخارج فان مقتضى الأول الاعتقاد الذهني ومقتضى الثاني الوجود الخارجي وأحد النوعين مبين الآخر *

فصل

وأما الأحكام والأعتقادات والأقوال العملية التي يتبعها المحكوم فهي الامر والنهي والتحسين والتقبيح واعتقاد الجوب والتحريم ويسميتها كثير من المتفكحة والمتكلمة الاحكام الشرعية وتسمى الفروع والفقه ونحو ذلك وهذه تكون في جميع الملل والاديان وتكون في الأمور الدنيوية من السياسات والصناعات والمعاملات وغير ذلك وهي التي قصدنا الكلام عليها في هذه القاعدة حيث قلنا إن الاعتقادات قد تؤثر في الأحكام الشرعية فهذه أيضا للناس فيها طرفان ووسط : الطرف الاول طرف الزنادقة الاباحية الكافرة بالشرائع والوعيد والعقاب في الدار الآخرة الذين يرون أن هذه الأحكام تتبع الاعتقاد مطلقا والأعتقاد هو المؤثر فيها فلا يكون الشيء واجبا إلا عند من اعتقد بنحوه ويرون ان الوعيد الذي يلحق هؤلاء هو عذاب نفوسهم بما اعتقدوه من الأمر والنهي

والإيجاب والتحریم وما اعتدوه من أنهم إذا فعلوا المحرمات وبركوا الواجبات
عذبوا وعوقبوا فيبقى في نفوسهم خوف وتألّم وتوهم للعذاب وتخيل له فيزعمون
أن هذا الألم الناشئ عن هذا الاعتقاد والتخيل هو عقابهم وعذابهم وذلك ناشئ
عما اعتدوه كمن اعتقد أن هنا أسداً أو لصاً أو قاطع طريق من غير أن يكون
له وجود فيتألم ويتضرر بخوفه من هذا المحذور الذي اعتدوه. فاجتمع اعتقاد
غير مطابق ومعتقد يؤلم وجوده فتألمت النفس بهذا الاعتقاد والتخيل وقد
يقول حذاق هؤلاء من الإسماعيلية والقرامطة وقوم يتصوفون أو يتكلمون وهم
غالية المرجئة أن الوعيد الذي جاءت به الكتب الإلهية إنما هو تخويف للناس
لتنزع عانيت عنه من غير أن يكون له حقيقة تنزلة ما يخوف العقلاء الصبيان والبله
بما لا حقيقة له لتأديبهم وبمنزلة مخادعة المحارب لعدوه إذا أوهمه أمراً يخافه لينزجر
عنه أو ليتمكن هو من عدوه وغير ذلك. وهؤلاء هم الكفار برسول الله وكتبه واليوم
الآخر المشكرون لامره ونهيه ووعده ووعيده وما ضربه الله في القرآن من الأمثال
وقصه من أخبار الأمم المكذبة للرسل فهو متناول لهؤلاء ويكفي ما عاقب الله به أهل
الكفر والفسوق والمصيان في الدنيا من أنواع المثالات فانه أمر محسوس مشاهد
لا يمكن دفعه وما من أحد الا قد سمع من ذلك أنواعاً أو رأى بعضه وأهل
الارض متفقون على أن الصادق البار العادل ليس حاله كحال الكاذب الفاجر الظالم
بل يرون من ثواب الحسنات وعقوبة السيئات ما فيه عبرة ومزدرج كما كانوا عليه
في الجاهلية قبل الرسل فلما جاءت الرسالة بوعيد الآخرة بين ذلك ما كان الناس
عنه غافلين. الطرف الثاني طرف الغالية المتشددين الذين لا يرون للاعتقاد
أثراً في الأفعال بل يقول غاليتهم كقوم من متكلمة المعتزلة ان الله حكما في كل
فعل من أخطأه كان آتما معاقبا فيرون المسلم العالم المجتهد متى خفي عليه دليل
شرعي وقد اجتهد واستفرغ وسمه في طلب حكم الله أنه آتم معاقب على خطئه
فهذا قولهم في الاجتهاد والاعتقاد ثم اذا ترك واجباً أو فعل محرماً قالوا بنفوذ الوعيد
فيه فيوجبون تخليد فساق أهل الملة في النار وهذا قول جمهور المعتزلة والخوارج
ولكن الخوارج يكفرون بالذنب الكبير أو الصغير عند بعضهم. وأما المعتزلة فيقولون

هو في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر. وأما الامة الوسط فعلى ان الاعتقاد قد يؤثر في الاحكام وقد لا يؤثر بحسب الادلة والاسباب كما ان ذلك هو الواقع في الامور الطبيعية فالاغذية والادوية قد يختلف حكمها بحسب اعتقاد الطبيب والمتداوى وقد لا يختلف وقد يعتقد الانسان في الشيء صفة نافعة أو ضارة فينتفع به أو يتضرر وان لم يكن كذلك وقد يعتقد ذلك فلا يؤثر فلو اعتقد في الخبز واللحم أنه غير مشبع لم يؤثر ذلك بل هو مشبع ولو اعتقد ضد ذلك *

* فصل *

مذاهب الأئمة تؤخذ من أقوالهم. وأما أفعالهم فقد اختلف أصحابنا في فعل الامام أحمد هل يؤخذ منه مذهبه على وجهين (أحدهما) لا لجواز الذنب عليه أو أن يعمل بخلاف معتقده أو يكون عمله سهوا أو عادة أو تقليدا أو لسبب ما غير الاعتقاد الذي يقى به فان عمل المرء بعمله في كل حادثة والا يعمل الا بعلم يقى به في كل حادثة تفنقر الى أن يكون له في ذلك رأى وأن يذكره وأن يكون مريدا له من غير صارف اذ الفعل مع القدرة يقف على الداعي والداعي هو الشعور وميل القلب (والثاني) بل يؤخذ منه مذهبه لما عرف من تقوى أبي عبد الله وورعه وزهده فانه كان من أبعده الناس عن تعدد الذنب وان لم ندع فيه المصمة لكن الظاهر والغالب أن عمله موافق لعلمه فيكون الظاهر فيما عمله أنه مذهبه وهكذا القول فيمن تغلب عليه التقوى والورع وبعضهم أشد من بعض فكل ما كان الرجل أتقى لله وأخشى له كان ذلك أقوى فيه. وأبو عبد الله من أتقى الامة وأعظمهم زهدا وورعا بل هو في ذلك سابق ومقدم كما تشهد به سيرته وسيرة غيره المعروفة عند الخاص والعام وكذلك أصحاب الشافعي لما رأوا نصه أنه لا يجوز بيع الباقلا الاخضر ثم انه اشتراه في مرضه فاختلف أصحابه هل يخرج له في ذلك مذهب على وجهين وقد ذكروا مثل هذا في اقامة جمعيتين في مكان واحد لما دخل بغداد فاذا قلنا هو مذهب الامام احمد فهل يقال فيما فعله انه كان أفضل عنده من غيره هذا أضعف من الاول فان فعله يدل على جوازه فيما ليس من

تعبداته وإذا كان متعبدا به دل على انه مستحب عنده أو واجب. أما كونه أفضل من غيره عنده فيفتقر الى دليل منفصل وكثيرا ما يعدل الرجل عن الأفضل الى الفاضل لما في الأفضل من الموانع وما يفتقر اليه من الشروط أو لعدم الباعث وإذا كان فعله جائزا أو مستحبا أو أفضل فانه لا عموم له في جميع الصور بل لا يعتمدى حكمه الا الى ما هو مثله فان هذا شأن جميع الافعال لا عموم لها حتى فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا عموم له. ثم يقال فعل الأئمة وتركهم ينقسم كما تنقسم أفعال النبي صلى الله عليه وسلم تارة يفعل على وجه العبادة والتدين فيدل على استحبابه عنده وأما رجحانه ففيه نظر. وأما على غير وجه التعبد ففي دلالة الوجهان فعلى هذا ما يذكر عن الأئمة من أنواع التعبدات والتزهيدات والتورعات يقف على مقدمات (أحداها) هل يعتقد حسننها بحيث يقوله ويفنى به أو فعله بلا اعتقاد لذلك بل تأمينا بغيره أو تأمينا على الوجهين كالوجهين في المباح (والثانية) هل فيه ارادة لها توافق اعتقاده فكثيرا ما يكون طبع الرجل يخالف اعتقاده (والثالثة) هل يرى ذلك أفضل من غيره أو يفعل المفضول لاغراض أخرى مباحة والاول أرجح (والرابعة) أن ذلك الرجحان هل هو مطلق أو في بعض الاحوال والله أعلم •

تمت الرسالة الثامنة ويلها الرسالة التاسعة ان شاء الله تعالى



الرسالة التاسعة

﴿ في السماع والرقص ﴾

جمعه الشيخ محمد بن محمد المنيجي الحنبلي من كلام الأئمة والعلماء المفسرين
وقد نقلت هذه النسخة عن أصل مسودته رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله
عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو
من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح *
فاجاب: الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم * أصل هذه المسئلة أن يفرق
بين السماع الذى ينتفع به فى الدين وبين ما يرخص فيه رفعا للحرص وبين سماع
المتقربين وسماع المتلعبين. فأما السماع الذى شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من
الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع
آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى لما
ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام فى قوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم
من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن
هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله تعالى (انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم إيمانا
وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم

يجرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويجرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وبهذا السماع أمر الله تعالى في قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أنى تعالى كما في قوله تعالى (فيشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى فى الاخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذى أمروا بتدبره هو الذى أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المرضى عن هذا السماع فقال تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا) وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وقال تعالى (فألم هم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) وهذا هو السماع الذى شرعه الله للمسلمين فى صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفى غير ذلك. وعلى هذا السماع كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر يقول لابي موسى ذكركنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون*.

وهذا هو السماع الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهده مع اصحابه ويستدعيه منهم كما فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له «أقرأ على قال قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال انى أحب أن أسمع من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فاذا عيناه تدرقان»

- الاسراء ١٠٧ - ١٠٩
- المائة ٨٢
- الاعراف ٢٠٤
- الزمر ١٧ - ١٨
- محمد ٢٤
- ص ٢٩
- لقمان ٧
- فصلت ٢٦
- الفرقان ٣٠
- ١٠ - اللذثر ٤٩ - ٥١
- ١١ - فصلت ٥
- ١٢ - الاسراء ٤٥ - ٤٦
- ١٣ - النساء ٤١

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وإن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يا بني آدم أما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكذلك يجتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتيكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية *

وقد أخبر الله تعالى ان المتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمرض ضال شقي قال الله تعالى (فاما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له قرين) *

وذكر الله يراده تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) وقال (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقال تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وقال تعالى (إن هو الا ذكر للمالين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشمار الجلود وهذا

- ٢ - النبل ٩١ - ٩٢
 ٣ - الاعراف ٣٥
 ٤ - الأنعام ١٢٠
 ٥ - الزمر ٧١
 ٦ - طه ١٢٢ - ١٢٥
 ٧ - الزخرف ٣٦
 ٨ - الأنبياء ٥٠
 ٩ - الاعراف ٦٣
 ١٠ - الحجر ٦
 ١١ - الأنبياء ٢
 ١٢ - الزخرف ٤٤
 ١٣ - التكوير ٢٧
 ١٤ - يس ٦٩

مذكورة في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والاغناء والموت في التابعين *

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضلّى وشقى *

وأما سماع المكاء والتصديّة والتصديّة هي التصفيق بالأيدي والمكاء مثل الصفيق ونحوه فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديّة) فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قرينة وديننا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتسمون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسننه والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في مسألة السماع في صفة التصوف ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابي

قد لسمت حية الهوى كبدى * فلا طيب لها ولا راقى
الا الحبيب الذي شففت به * فمننده رقيتي وترياقى

فتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يا معاوية ليس بكرم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه انه لما بشر الفقراء بسبقتهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا أنوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يا محمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زبق الفقراء * وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان اهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انفكروا المسلمون يوم

حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه . ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتبه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا إياه فقال يارب ألم تأمرني أن لأفشيهِ فقال أمرتك أنت أن لا تنفسيهِ ولكن أنا أعلمتهم به ونحو هذه الأحاديث التي يروها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام وبينون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها تارة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقا وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقا وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقا عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكهم يقولون لا تسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أ كفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقا عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أ كفر من جهة اسقاط السفارة مطلقا بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الى الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه الا خيالات ووساوس وظنون القاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرواطة والباطنية وتارة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ابتدعه من اتخاذ دينهم هو اولياءه *

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الايات الملحنة مع ضرب بالا كف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبيح لاحد أن يخرج عن متابعتة واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة لافي باطن الأمر ولا في ظاهره لا لعامى ولا لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في انواع من اللهب في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضررن بالدف في الاعراس والافراح وأما

الرجال على عهدته فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت
 عنه في الصحيح انه قال أما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال . ولعن المشبهات من
 النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف
 والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثا ويسمون الرجال
 المغنين مخنايث وهذا مشهور في كلامهم ﴿ومن هذا الباب﴾ حديث عائشة رضي الله
 عنها لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان
 بما تقاولت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر أجمزور الشيطان في بيت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنه مقبلا بوجهه الى
 الحائط فقال دعهما يأبأ بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام ففي
 هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
 الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر رضي الله عنه مزمور الشيطان والنبي
 صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والصغار يرخص
 لهم في اللعب في الاعياد كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما
 كان لعائشة لعب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يلهين معها
 وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى ذلك والامر والنهي
 إنما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية فانه إنما يتعلق بقصد الرؤية لانها
 يحصل منها بغير الاختيار كذلك في اشتام الطيب إنما ينهى المحرم عن قصد الشم
 فاما اذا شم مالا يقصده فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس
 الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس إنما يتعلق الامر والنهي في ذلك
 بما للعبد فيه قصد وعمل وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي وهذا مما
 وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي صلى الله عليه
 وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال هل تسمع حتى اتقطع الصوت
 فان من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجاب
 بان ابن عمر لم يكن يستمع وإنما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وإنما النبي صلى الله
 عليه وسلم عدل طلبا للأكل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون

بكلام محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأنم بذلك اللهم
الا أن يكون في سماعه ضرب ديني لا يندفع الا بالسد *

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع هل هو
محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن
يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات لصالح القلوب والتشويق الى المحبوب
والتخويف من الهروب والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب
به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلى به مشاهد أهل العرفان حتى
يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه
وحتى يجملونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا للنفوس يحموها على المسير الى
الله عز وجل ويحتمها على الأقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتدى به لا يجب
القرآن ولا يفرح به ولا يحمدى في سماع الآيات كما يحمدى في سماع الآيات بل
اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية والسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء
والتصدية خشت الاصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت
المشروب فن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يفنين
به في الأعياد والأفراح لم يكن قد اهتدي الى الفرق بين طريق أهل الخسارة
والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال
المقربين والمقتصددين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن
أفعال السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن
علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم في جنس الكلام
واقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح
الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس الحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرف هذا
فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن
ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة
من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وإنما
حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الائمة أنكروه فقال الشافعي

خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن
وقال يزيد بن هرون ما يغير الا فاسق ومتى كان التغيير وسئل عنه أحمد فقال
أكرهه هو محدث قيل أتجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه
واكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره مثل ابراهيم بن آدم ولا الفضيل
ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري
ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمود بن تركوه في
آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهله كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ
أبو البيان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضى الله عنه انه من
إحداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه
ويدع اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا
 وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن ابن الراوندي أنه
قال اختلف الفقهاء في السماع فباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجبه أو قال أمر به
فخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو نصر الفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه
الموسيقا وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان
مشهورة لما ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج . وابن سينا ذكر في
اشاراتة في مقامات العارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة
أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يمدون الكواكب والأصنام كارسطو
وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس ونامسطيوس والاسكندر الافروديسي
وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلفوس المقدوني الذي تُوِّرخ له اليهود والنصارى
وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وأما ذوالقرنين المذكور في القرآن الذي بنى
السد فكان قبل هؤلاء بزمان طويل وأما الاسكندر الذي وزر له ارسطو فانه
أما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الأمور
مبسوطة في غير هذا الموضوع وابن سينا أحدث فلسفة ركبتها من كلام سلفه اليوناني
ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة
الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية

حقيقته تعود الى كلام اخوانه الاممائية القرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافق الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي تعاليم ارسطو واتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء في هذه الطوائف من يرغب لله ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق ❁

وأما الخنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذي جملة الله للناس إماما وأهل دين الاسلام لا يقبل الله من أحد ديناً غيره المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً فهو لاء ليس منهم من يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهو لاء هم أهل القرآن والايان والهدى والرشاد والسمد والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والأخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والاناة اليه ❁

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة ومن له نصيب في المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعملوا غائلته ولا عرفوا مغبته كما أدخل قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في انواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظننا منهم أنه حق موافق ولم يعملوا غائلته ولا عرفوا مغبته فان القيام بحقائق الدين علماً وقولاً وعملاً وذوقاً وخبرة لا يستقل به أكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكنى بالله شهيداً وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخطاً وخطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيماً) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع الميكاء والتصديفة لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من

الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ما تفعله حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكارا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدم ذلك عن ذكر الله أعنى الصلاة أعظم مما يصدم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضا من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على أسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لا يبقه كلامهم لسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذي لبسه الشيطان عربيا لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم واما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فان الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضربا عظيما وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء واما يلبس أحدهم الشيطان مع تغييب عقله كالمصروع وبالغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم والجن تخطف كثيرا من الانس وتغييبه عن ابصار الناس وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون الى بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاه والتصديقه منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار يأخذ الحديد الحمى بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الأفعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فاسفية تستجلب الشياطين *

وبالجمله فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقرب

الى الجنة الا وقد حدث به ولا شيئاً يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فان الله يقول (اليوم اكملت لكم دينكم) الآية. واذا وجد السامع به منفعة اقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت اليه كما ان الفقيه اذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت اليه *

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الايمان والسلوك فن لم يبين عليها فيناؤه على شفاجر فهار *

﴿ القاعدة الأولى ﴾ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بما كرم آخر أو متحاكم اليه فهذا مذبذب ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون اليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والحال والمواجيد فمظم الفساد وطمست معالم الايمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكل وخير من هؤلاء لانهم لم يمارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة وديننا واقفون مع حظوظهم من الله فانون بها عن مراد الله وانما زهدوا في حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتبذر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل ماخالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً أولاً أو صورة ونحو ذلك فن قدمه على مراده فهو أسوأ حالاً ممن يعترف انه يعصى ويحبه وان مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه *

﴿ القاعدة الثانية ﴾ انه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ومن لم يبين على هذا الأصل فعله وسلوكه ليس على شيء *

(القاعدة الثالثة) * إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته ونموته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسبابها اذا كان طريقه مفضيا الى ما يبيغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابرة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذي يشوقها الى المحرمات ثم يبيح ما هو أعظم منها شوقا للنفوس الى المحرم بكثير فان الغناء كما قال ابن مسعود هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور

وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحميم فاتهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسمع تلك الأشعار مباح وفي معنى هؤلاء الغزاة فاتهم ينشدون اشعارا يحرضون بها على الغزو وفي هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لحاديه رويدك سوقا بالقوارير . وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
بيت يجافي جنبه عن فراشه اذا امتنعت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قل واقع

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم *

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكرهما عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا ابن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة المتقدمين من المالئيين الى مذهب الشافعي انه لم

بخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقعت به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قولاً أمتهم وبقائهم*

وقال شيخ الاسلام أيضاً وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقرية فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك اذ الاحرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وانهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية *

قال أبو سليمان الداراني انه لتمر بي النكتة من نكت التوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضاً ليس من أهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نوراً على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا. وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عبث النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوي على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة*

وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم ان سماع الغناء يجمع شينين أحدهما أن يلهي القلب عن التفكير في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثاني أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا في المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يبحث على الزنا بين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس*

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكارا لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن آدم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والخللان والشيخ الذي يحرص من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنييد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع قن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والمهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل والوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذ هيح القاطن أنار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما أما كبيرا ومنافع للناس وانهما أكبر من نفعهما فلهدا لم تأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبية على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يمرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك انه يبيع الوجد المشترك فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ويفضي النفس ويقيتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستئثار به كمن يستنقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتاب والصابئين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الى أشياء أخرى يطول ذكرها

فما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف

بل قد يصد عن ذلك ويعطى ما لا يجبه الله ورسوله بل ما يبيغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها *
والصوت يؤثر في النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العساوة والبغضاء *
وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من الائمة بل قال الله تعالى (ولأتمس في الارض مرحا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار *

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن الم شروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه سلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بانه يوقعه فهما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا مسكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال *

فصل في وقد استدلل قوم على اباحة السماع بامور أخلصها لك: منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينام حتى تحمله القائمة بامرهم والابل تقامى تعب السير ومشفة الحولة فيهن عليها بالحذاء *

١ - الاسراء ٣٧

٢ - لقان ١١

٣ - الفرقان ٢٣

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه وقد يستدلون عليه بقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت الفظيع فقال (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) *

ومنها ان الله وصف أهل الجنة أنهم في روضة يجبرون وان ذلك هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة *

ومنها ما ثبت ان الله تعالى ما أذن لشيء كاذنه أى كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن *

ومنها أن أبا موسى الأشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتى هذا زممارا من زمير آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبير أى زينته وحسنه *

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن. والصحيح انه من التغنى وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه وبعضه مفسره الامام أحمد فقال بحسن صوته ما استطاع *

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لابي بكر دعها فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام *

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالفناء وسماه لهوا *

ومنها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه *

ومنها أنه كان يسمع انشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة والميرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدايه الحادى

في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله ما امتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الاولى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا لقائله

ومنها أنه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه
ومنها أنه استنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد من شعر
أمية ابن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الأعشى شيئا من شعره فسمعه
ومنها أنه صدق لييدا في قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحيان أن يؤيده الله بروح القدس ما دام ينافح عنه وكان يعجبه
شعره وقال له اهجمهم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضی الله عنها قول
أبي كثير المذلي *

وإذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها *

ومنها أنهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأهل
المدينة وبان كذا وكذا ولي لله حضوره وسمعوه فمن حرمه فقد قدح في هؤلاء
السادة القدوة الاعلام *

ومنها ان اجماع العلماء منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة الشجية فلذة
سمع صوت الآدمي أولى بالاباحة أو مساوية وبان السماع بمجرد روح السامع
وقلبه الى نحو محبوبه فان كان محبوبه حراما كان السماع معينا له على الحرام وهو
حرام في حقه وان كان مباحا كان السماع في حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية
كان السماع في حقه قرينة وطاعة لانه يجرك المحبة الرحمانية ويهيجها وبان التناذ
الاذن بالصوت الطيب كالتناذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق
بالطعم الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه اللذات والادراكات محرمة *

والجواب عن ذلك والله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام ابن
تيمية والعلامة ابن القيم وغيرها كفاية وما ذكره حيد عن المقصود وروغان عن
محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلذا للحاسة ملائما لها لا يدل على اباحتها ولا
تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة تكون في أحكام التكليف
الحمسة فكيف يستدل بها على الاباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال

وهل هذا الا بمنزلة من يستدل على اباحة الزنا بما يجد به فاعله من اللذة ولذته لا ينكرها ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيق الملائم أحد وهل خلت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المازف التي صنع عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان في أمته من يستحلها باصح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم جملتها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة يعني اذا كان معه آلة لهو وهل في التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعي من اباحة أو تحريم . وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بان الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطى حسناتها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الاطلاق وهل هذا الا مذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة ولعل في ذم الله لصوت الحمار ما يدل على اباحة الاصوات المطربت بالنغمات الموزونات والالحان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد المستحسنات بالدخول والشبابت ماذا من المضحكات المعجبات . وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يجرون فما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة الخمر بان في الجنة خمر او على اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتعليق بها للرجال فان هذا كله مباح لاهل الجنة * فان قيل قلم الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة فملم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أي السماعات تعنى وأي المسموعات تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فممن نوعا يقع الكلام فيه نفايا واثباتا *

فان قلت سماع القصائد ما مدح الله به ورسوله وكتابه وهجى به أعداؤه فهذه لم يزل المسلمون يرونها ويسمعونها ويدرسونها وهي التي سمعها الرسول وأصحابه وأئاب عليها وحرص حسان عليها وهي التي غرت أصحاب السماع الشيطاني

فقالوا تلك قصائد ويكنى هذا والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتمل على قريب من مائة مفسدة ونظير هذا ما استدلووا به على ان الرسول استحس الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى الأشعري وغيره فنقلوا هذا الاستحسان الى صوت النسوان والمردان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والاوتار وغير ذلك من المعازف وذكر القدود والثغور والنهود والخصرو ووصف فواتر العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الخدود وذكر الوصل والصد والتجنى والمهجران والعتاب والاستعطاف والاشتياق والقلق والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه الى سكرة العشق التي لا يستفيق صاحبها الا في عسكر المهالكين أسيرا قتيلا حزينا. وهل تقاس سكرة الشراب الى سكرة الارواح بالسمع فان نازع منازع في سكر السماع وتأثره في العقول والارواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت مكابرة القوم فكيف يحمى الطيب والمريض عما يشوس عليه صحته ويبيع له ما فيه أعظم السقم والكلام مع من وجد لامن فقد وأعجب من هذا من استدل على اباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية اجتماع البنين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بايات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الاخلاق والشيم فأين هذا من هذا والمعجب أن هذا من أكبر الحجج عليهم فان الصديق سمي ذلك مزمار الشيطان واقره على هذه التسمية مرخصا فيه لجويرتين غير مكلفتين ولا مفسدة في إنشاده ولا في استماعه أفيدل هذا على اباحة ما يفعلونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله الاستدلال على اباحته بما سمعه الرسول من الحدو المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه وأعجب استدلالهم باباحته على اباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الامن جنس قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور الى نغمات النسوان والمردان والاوتار والعيدان والغناء منهن بما يجهدو الارواح والقلوب الى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين

الفتنة بمن هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمري والبلبل والحزار والشحورور ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكره فقد أنكر على كذا كذا ولي الله فحجة عامية نعم ينكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى بعض كان يقال سار أهل الجنة الى الجنة وكون ولي الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لا يمنع ذلك الانكار عليه ولا يخرج من أصل ولايته لله وهيئات هيئات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم فتنة *

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق بن موسى الطباع سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال إنما يفعله عندنا الفساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لاعلمهم بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه ضرب بعود قد اقترى عليه وإنما نهبت على هذا لان فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثارا يظن من لاخبرة له بالعلم وأحوال السلف انها صدق وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير والزهد والدين والتصوف ما يجعله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كل ما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لاخبرته له وبعض الناس توقف في روايته حتى ان البيهقي كان اذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وأكثرت الحكايات التي يرويها أبو القاسم التشريحي صاحب الرسالة عنه فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم اذا صنفوا

(٢٤٨ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)

في باب ذكر وماروى من غث وThin ولم يميزوا بين ذلك اه كلامه *

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكر وماروى فيه من غث وThin ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهور والاوقات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الايام والليالي صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب والتي أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى يفتطروا ويقول لا تشبهوه بمرضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والأئمة وأجود ما يروى من هذه الصلوات حديث صلاة التسيح وقد رواه أبو داود والترمذى وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الاربعة بل الامام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة. وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشيء مثل الصلاة المرفوعة فان تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الاصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الاصول علم انه موضوع. وأما سائر هذه الاحاديث فانها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع انها توجد في مثل كتاب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتاب الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص ابن شاهين وعبد العزيز الكنانى وأبو على بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج ابن الجوزى ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات انه كذب موضوع *

والذين جمعوا الاحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ماروي في هذا الباب ومن أجل ما صنف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيه أحاديث واهية وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السري ولوكيع وكذلك الزهد لاسد بن موسى وغيرهم وأجود ما صنف في ذلك كتاب الزهد للإمام أحمد لكنه مرتب على الاسماء وزهد ابن المبارك على الابواب وهذه الكتب يذكر فيها زهد الانبياء والصحابة والتابعين. ثم ان المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كابي نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفة الصفوة ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خميس الموصلي وأمثاله يذكرون حكايات مرسله بعضها صحيح وبعضها باطل قطعا والله أعلم *

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة وأئمتهم امن المنقولات ينبغي للانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي مثل ذلك في المعقولات والنظريات وكذلك في الاذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجميع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) الآية *

﴿ فصل ﴾ وأما من زعم ان الملائكة أو الانبياء تحضر مسمع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مقتر بل إنما تحضره الشياطين وهي التي تنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا ان الشيطان قال يارب اجعل لي بيتا قال بيتك الحمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستغزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما نهيت عن صوتين فأجر بن صوت

لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصديّة وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين ورأي بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهداها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة وان من لم يعرف حقائق الامور فهو بمنزلة من سلك السبيل الي مكة خلف الدليل الهادي فانه يصل الي مقصوده ويجد الزاد والماء في موطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالعا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق . الدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارغاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون في نفوسهم من نوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد في الهوي المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعترى أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاوصات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصبرون مضارعين للذين يشتركون له الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم المدة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل المؤمن من أصابه بعينه ولهذا قال من قال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف أنهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفقونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلمون . ومن

هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرآته مع قرأتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكين ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه ففخراء السر في الباطن من جنس التستر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما الغلبة فان الله قد يدل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذ كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظها عليهم كان ذلك لسبب ذنوبهم وخطاياهم اما التفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا واما لعداوتهم بتعدى الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين قولوا منكم يوم التقى الجمعان انا معكم انزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) *

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابت والاجتماع على ذلك ديننا وطريقنا الى الله وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسنت ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم

١ - غافر ٥١

٢ - آل عمران ١٥٥

٣ - آل عمران ١٦٥

٤ - الحج ٤٠ - ٤١

باحسان ولا تابعى التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الاسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة *

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فانكر عليه رجل فقال هذه الايات

أنكروا رقصا وقلوا حرام فمليهم من أجل ذلك سلام
اعبد الله يا قتيبه وصل والزم الشرخ فالسماع حرام
بل حرام عليك ثم حلال عند قوم أحوالهم لا تلام
مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام
فاذا قوبل السماع بلهو فحرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكر من القول وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة والاتحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية. وذلك أن قول القائل مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار قال لاهله امكثوا انى آنت نار العلى آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية ويظنون أنهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف صنف يزعمون أنهم يخاطبون بأعظم مما خاطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وان الخطاب الذى يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد * ومعلوم ان هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض *

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفتهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة *

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا كما يوجد هذا في اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك سلك مسلكه صاحب خلع النملين وأمثالها وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه الزم الشرع ياقيه وصل يشمر بانك أنت تبع الشرع وأما نحن فلنا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة استقطوا التكليف وزعموا ان العبد يصل الى الله بلامتابة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى عليها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها *

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يدكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكسر عليه رجل فقال له لا تفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا *

أجاب رضي الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التي هي من جنس النياحة والمرأى وكذلك ما كان من جنس الغزل فان في ذلك فاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ولا بأس بالابيات المنضمة لذكر الآيات والاخبار والتوبة والاستغفار والله أعلم •

(فصل)

نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لاضافة ذم فلم أنها فطرة محمودة لامذمومة يبين ذلك قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على أن اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم سنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمحل لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك *

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك اختلف في قول النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقروا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » رواه البخارى ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب * وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هي الاسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لخلق الله) قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير وقاتادة والنخعي وروى عن ابن عباس وعكرمة في احدي الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو احدي الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث المتقدم * ثم قال وأما قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد أجمعوا على أن قالوا دين الاسلام انتهى: وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى

ان قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى *

وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل في الفطرة فقيل على ملة ابراهيم ثم ذكر قريباً ما ذكره القرطبي *

وقد احتج لهذا القول بآدلة *

منها حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم *

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار الجاشعي عن النبي صل الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : خاتمة عبادي حنفاء مسلمين فاجتاتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً *

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد من ولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتاتهم عن دينهم فمؤدنتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً *

ومنها ما في الصحيحين خمس من الفطرة أي من فطرة الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود وعشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الاسلام *

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بر به عز وجل معرفة مخالفة لخلق البهائم التي لاتصل بخلقها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (وما لي لأعبد الذي فطرني) يعني الذي خلقني ووجه هذا بقوله كأننتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سليمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا في هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد البهائم لاتقص فيهم *

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد على ما سبق له في علم الله أنه سائر اليه *

قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على

ماسبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فأنهما فعلا بهما هو الفطرة التي ولد عليها فالفرق بين التهود والتنصير *

ثم قال بعد أسطر فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيسة التي ولدت جمعا ثم جدعت يمين ان أبويه غيرها ما ولد عليه *

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن يكون الفطرة تمتضى واحدا منها بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهود والتنصير والاسلام وأما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال فابواه يسلطانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر *

ثم قال بعد ذلك في الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها *

وأیضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا المحمود ولا المذمومة اه *

وقد ذكر الخلال في جامعته في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب

على الفطرة *

(أنبأ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صفارا وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة في هذا الباب *

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجز به رضيع يمتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري يصلى على كل مولود متوفى وان كان

اغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لاله الا الله وذلك في قوله تعالى (أفن شرح الله صدره للاسلام) قال ابن عباس وأ كثر المفسرين لقول لا اله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لا بدل لكل موجود من موجود وكل مصنوع من صانع كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعتراضهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) * (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولن لله) الآيات الثلاث *

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربو بيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعثت الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فتفاصيل الامر والنهي انما تعرف من جهة الرسل *

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة (قالت رسلهم أفي الله شك) فالشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عمران بن حصين كم تعبد اليوم الها قال ستة في الارض وواحد في السماء قال فأبهم تعبد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذي . فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد حتى من خلق مجنونا مطبقا مصطفا لا يفهم شيئا ما يحلف الا به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة *

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لا استحضره قال لو ترك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبده فنوع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

١ - الزمر ٢٢

٢ - الطور ٣٥

٣ - لقان ٢٥

٤ - المؤمنون ٨٦ - ٨٧

٥ - إبراهيم ١٠

تفضيلاً) ولا شك انه أفضل من الجمادات وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه
وتحميده ونزيره نطقاً لا يفهمه الا الذي أنطقها به قال تعالى (تسبيح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليماً غفوراً) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها
تسبيح حقيقى ولهذا قال انه كان حليماً غفوراً أي اذا كانت الجمادات التي لا تتنعم
بتسبيح بحمد خالقها فهو حلیم غفور اذا لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة في
حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية. وقال تعالى (سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما
في الارض) والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضي الدال على
وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجده كل
وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر
بنى ادم على الاقرار بربوبيته ألت بربكم قالوا بلى لم يتخلف منهم أحد وكما
أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى (في بيوت أذن
الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقال تعالى
(فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكراً كثيراً
وسبحوه بكرة وأصيلاً) وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق
داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق) قال أبو هريرة كان
داود اذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر . وقال أبو الفرج ابن
الجوزي قد روي أن داود كان اذا وجد فتوة أمر الجبال فسبحت حتى يشناق
هو فيسبح وقد نبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان
فقال هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذئب كرون
الله كثيراً والذئب كرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر الله بل
قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال
أوبي معه والطير) والتأويب هو ترجيع التسبيح وأخبر سبحانه عن الحجارة أن

١ - الاسراء - ٤٤

٢ - النور - ٤١

٣ - الحشر - ١

الصف - ١

٤ - الجمعة - ١

التغابن - ١

٥ - النور - ٣٥ - ٣٦

٦ - مريم - ١١

٧ - الأحزاب - ٤١ - ٤٢

٨ - ص - ١٨

٩ - سبأ - ١٠

منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالخشي وكذلك قوله (ثم استوي الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين) وهذا خطاب من يعرف ربه ويمثل أمره وليس هذا خطاب تكون لمعدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك أخباره عن الارض يوم القيامة انها يومئذ تحدث أخبارها وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد بما عمل علي ظهرها من خير أو شر وهذه شهادة نطق لما تحمته من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فانه تعالى قال (بأن ربك أوحى لها) وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته لربه وسجوده له وتسيبجه بحمده. ولو لم يكن في هذه الآيات الا قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) في أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطعا اما اختصاصا واما تغليبيا ولا يصح حمل ما ذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لجنى بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع في القرآن ما لمن يعقل ومن لما لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره *

والمقصود اذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسيبجه وتنزيهه والانسان أشرف منها فلأن يفطر هو على معرفته بربه بطريق الاولى والاحرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسلام كلمة التوحيد كما تقدم وان كان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والاقبال *

١ - فصلت ١١

٢ - الانشقاق ١ - ٢

٣ - الزلزلة ٥

٤ - الحج ١٨

٥ - الحشر ١

الصف ١

﴿ فصل ﴾ ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فان أول ما يبدأ به في الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصل المسئلة الناس متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذ الى النظر فهي في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية. ثم المعرفة الواجبة لاتتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الاسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد تحتاج الى أمور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لا بدله من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فكونه لا يعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركما وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبوحة بحمده عارفة به *

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

ومع دلائلها على الوحدانية مسبوحة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شيء بحسبه فلولا ان كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويمظمه بما لا يفهمه نحن ولا يلمه الا الذي أنطقه به لما أخبرنا به وانه دال على عظمته *

وقد روينا في جزء الفريابي في كتاب الذكراه باسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الجبل اينادى الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذا كر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيئا لك لكن مامر على اليوم أحد يذ كر الله *
وروى أيضا باسناده عن أنس رضى الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أوذ كر الله عليك فن قائمة لا ومن قائمة نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا. فكل فطرة سليمة لم تجتالها

الشياطين ولم تفسد عليها فطرتهما تصدق بذلك وتقر به وتزاد ايمانا ولا يقول هذه أخبار
أحاد وأثار لا نفيده شيئا في هذا الباب وأما هذه من باب الفرجة والمطالمة

قلنا يكفيناهما تقدم لنا من أخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة
أن منها المايهبط من خشية الله وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها والاماهبطت
من خشيته فإن الخشية تستلزم العلم بالخشى. قد تقدم ذلك •

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانها تهبط من خشية الله ثلاثة مذاهب
قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخزله وتسجد له وقال آخرون
هذا من مجاز التشبيه وقال الاسعري الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل
الطور انتهى كلامه ذكره في النكت •

قلت ما ذكره من هذه الاقوال • أما القول الاول فهو قول بعض جملة الصوفية
والافكون الحجارة حيوانا مما يعلم بالفطرة بطلانه • وأما القول الثاني كونه من مجاز
التشبيه فان هذا مما يشهد الكتاب والسنة بطلانه. أما الكتاب فاقدم لنا من الايات
على تسبيح كل شيء بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون . وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولو
لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى
الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد
أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يفيضنا ونبفضه •

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطارت الجبال ليتجلى لها وتواضع
زبير يعني الطور فتجلى له وهذا يدل على أنها تعرف ربها

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله وجهه ذلك قال صار لعظمته ستة أجيال فوقت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان
ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة: ثبير وحراء ونور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجادات فقال تعالى (انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) فهذا

الاباء والاستعفاء بعد أن عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها *
وليس المقصود ذلك وإنما المقصود ان الانسان أشرف عند الله وأعظم من الجبال
حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف
بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرملك والذي نفس محمد بيده حرمة
المؤمن أعظم عند الله حرمة منك *

فم شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه ربه من غير دليل نظري
يحتاج فهمه الى عسر وقد ينتقض عليه أو يشكك فيه من هو الحن بحجته منه *

هذا الهدد طير من الطيور وفي نظرنا عدم العقل يصيح كثيره من الطيور قد
خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال (أحطت بالم تحط به وجنتك
من سبأ بنبا يقين) الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كله كلام الهدد
كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات
فان أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم
يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراد من عباده شرعا
وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا ما يعلم الا بالسمع من جهة الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين. فعبادة الله تعالى والايان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ
قال الامام احمد في رواية المروزي معرفة الله تعالى في القاب تتفاضل وتزيد وهذا
يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها تزيد وتتمكن بتظاهر الادلة والقاضي
أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على أنها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم
تزد وقال في رواية يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها
القاضي على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانهم قوف
على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة
وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسماوات والارض وما بينهما وذلك ان اثار الصنعة لازمة
لهذه الاشياء تدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم وذ كر أن أول
ما أوجب الله على نبيه وأمره به اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم قال بمد كلام كثير

قد بين أن الاقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى *

وقال الشيخ أيضاً في شرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن في اثبات الصانع فانا قد بينا في غير هذا الموضوع اختلاف الناس في الاقرار بالصانع هل هو فطري أو نظري وبيننا قول من قال انه فطري وأن كل مولود يولد على الفطرة وأنه قد يصير نظرياً لبعض الناس لما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالادلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا محدث وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يتحدثق بذهنه ويتهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يتمتع تصوره من وقوع الشركة فيه فلماذا يكلمه الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضل فلن نجد له ولياً مرشداً فن يهد الله فهو المهتد *

فن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدره ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحداً وواجب بنفسه لا يكون الا واحداً فهو واحد مطلق عندنا أليس هو معيناً في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لا سيما في معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وأن الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث أن كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتاتهم عن دينهم

فمنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته وقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله انهم قالوا لقومهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يعني خالق السموات والارض ومالى لا أعبد الذي فطرني أي خلقتني أفي الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله ❀

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره ايجاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الاربعة كالفاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري واصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفى به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري واصحابه مطولا وذكّر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضاً في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونها لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها ❀

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد إما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لا يحتاج الى نظر واما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاماً وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب احمد والشافعي وغيرهما والله أعلم ❀

وقال بعض العلماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لامن اللوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل

ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجباً لم يكن النظر واجباً*
 وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا
 أعدل الاقوال وكلام الأئمة والسلف انما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس
 معهم ما يدل على عموم وجوبه انما يدل على أنه قد يجب فانهم قالوا الواجب لا يحصل
 الا به لقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغفى الآيات
 والنذر) الآية . وقوله (قل انما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى)
 وقوله (فلينظر الانسان ما خلق) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاهدين
 فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا يرب أن النظر يجب على هؤلاء
 والذين خالفوا في وجوب النظر ومنعوا قالوا لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم
 انحصار طريقها في النظر*

والمقصود ان الذين أوجبوا لله علي عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يطيعوا
 الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من
 دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضروري والا لو كان
 نظريا لكان يجب علي الرسل أول ما يدعونهم الى النظر وهذا مما علم فساده من
 دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد الدخول في دين الاسلام أول ما يؤمن بالشهادتين
 فلو قال أنا أقر بانخالق لم يكن بذلك مسلماً ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين
 ورازقهم ومدبرهم لم يضر بذلك مسلماً فمعرفة الله فطرية حاصلة للجهور الخلق*
 فان قيل اذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد
 وكيف ينكر ذلك كثير من النظار نظار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم أنهم الذين
 يقيمون الادلة العقلية علي المطالب الالهية*

فيقال أول من عرف في الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين
 اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند سلف الامة من أضل الطوائف
 وأجهلهم هذا معنى ما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ما أركزه الله في فطرة
 كل أحد انه اذا دعاهم يلتفت بمنة ولا يسرة بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا
 قال امام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا قال حيرني الهمداني*

وأما العلم الذي لا يحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لفهم القرآن الذي لا يحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر الى غير الحق فيها فخطؤه مغفوره وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران •

فأله تعالى يلهمنا الرشاد • ويوقننا للسداد • في أقوالنا وأفعالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الامي وآله وصحبه وسلم •

﴿ تمت الرسالة التاسعة ويلها الرسالة العاشرة ان شاء الله تعالى ﴾



الرسالة العاشرة

في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه

لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس احمد بن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام احمد بن عبد الحلیم بن تيمية عن معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى انه قال « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم . يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم . يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم . يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر . يا عبادي انما هي اعمالكم احصيتها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه»

فأجاب رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله*
 أما قوله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى ففيه مسألتان كبيرتان
 كل منهما ذات شعب وفروع. احدهما فى الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفاه عن
 نفسه بقوله (وما ظلمناهم) وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) وقوله (وما ربك بظالم
 للعبيد) وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) وقوله (قل متاع
 الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا). ونفى ارادته بقوله (وما
 الله يريد ظلما للعالمين) وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ونفى خوف العبادة بقوله
 (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) . فان الناس
 تنازعوا فى معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما
 وخيار الامور اوساطها وذلك بسبب البحث فى القدر ومجامعته للشرع اذ الخوض
 فى ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الامم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم
 أصحابه عن التنازع فيه فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال
 العباد ولم يرد أن يكون الا ما أمر بأن يكون وغلامهم المكذبون بتقديم علم الله
 وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم الى أن الظلم منه هو نظير
 الظلم من الآدميين بعضهم لبعض وشبهوه ومثلوه فى الأفعال بأفعال العباد حتى
 كانوا هم ممثلة الأفعال وضربوا الله الامثال ولم يجعلوا له المثل الاعلى بل أوجبوا
 عليه وحرمو امارا وانما يجب على العباد ومحرم بقياسه على العباد واثبات الحكم
 فى الاصل بالرأى وقالوا عن هذا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه
 الاعانة كان ظلما له والتزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما قالوا انه لا يقدر أن
 يضل مهتديا وقالوا عن هذا اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانتة على
 فعل المأمور كان ظلما الى أمثال ذلك من الامور التى هي من باب الفضل والاحسان
 جعلوا تركه لها ظلما وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدرًا ظلما ولم يفرقوا بين
 التعذيب لمن قلم به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم وان كان ذلك الاستحقاق
 خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة وهذا الموضوع ذات فيه أقدام وضلت فيه افهام

١ - هود ١٠١

٢ - الكهف ٤٩

٣ - فصلت ٤٦

٤ - النساء ٤٠

٥ - النساء ٧٧

٦ - آل عمران ٨

٧ - غافر ٣١

٨ - طه ١١٢

فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر فقالوا ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها بل هو من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا ولا أن يقال انه هو تاركه باختياره ومشيتته وإنما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما والا فهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنا والله قادر عليه فليس بظلم منه سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الاثبات من الفقهاء وأهل الحديث من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم ومن شراح الحديث ونحوهم وفسروا هذا الحديث بما ينبنى على هذا القول وربما تعلقوا بظاهر من أقوال مأثورة كإروينا عن إياس بن معاوية انه قل ما نظرت بعقلي كله احدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك او ان تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء وليس هذا من اياس الا لبيان ان التصرفات الواقعة هي في ملكه فلا يكون ظلما بموجب حدهم وهذا مما لا نزاع بين اهل الاثبات فيه فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على ان كل ما فعله الله فهو عدل وفي حديث السرب الذي رواه الامام احمد عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمى الا أذهب الله همه وغمه وأبد له مكانه فرحا . قالوا يارسول الله أفلا تتعلمين قال بلى ينبغي لمن سمعن أن يتعلمن فقد بين أن كل قضائه في عبده عدل (ولهذا يقال كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل ويقال أطعناك بفضلك والمنة لك وعصيتك بملك أو بملك والحجة لك فأسألك بوجوب حجنتك على انقطاع حجتي الا ما غفرت لي) وهذه المناظرة من اياس كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان نشدتك الله أتري انه يجب أن يعصى فقال نشدتك الله أتري الله يعصى قسرا يعني قهرا فكأنما القمه حجرا (فان قوله يجب أن يعصى لفظ فيه اجمال

وقد لا يتأقن في المناظرة تفسير المجمات خوقا من لدن الخضم فيؤتي بالواضحات فقال
 افتراه يعنى قسرا فان هذا الزام له بالمجز الذى هو لازم لاقتدريه ولمان هو شر
 منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم وكذلك اياى ان هذا الجواب
 المطابق لخدمه خاصم لهم ولم يدخل معهم في التفصيل الذى يطول) وبالجملة
 قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضا) قال أهل
 التفسير من السلف لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا بهضم فينقص من
 حسناته ولا يجوز ان يكون هذا الظالم هو شيء ممنوع غير مقدور عليه فيكون
 التقدير لا يخاف ما هو ممنوع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فان مثل هذا
 اذا لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا انه غير مقدور ولو اراده كخلق المثل له فكيف
 يعقل وجوده فضلا ان يتصور خوفه حتى ينفي خوفه ثم أى فائدة في نفي خوف هذا
 وقد علم من سياق الكلام ان المقصود بيان أن هذا العامل الحسن لا يجزي على
 احسانه بالظلم والهضم (فعلم أن الظلم والهضم المنفى يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل
 التفسير * وان الله لا يجزيه الا بعمله ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص
 ان الله لا يعذب في الآخرة الا من أذنب كما قال لأملأن جهنم منك ومن
 تبعت منهم أجمعين . فلو دخلها أحد من غير أتباعه لم تمتلئ منهم ولهذا ثبت
 في الصحيحين في حديث تحتاج الجنة والنار من حديث أبي هريرة وأنس أن النار
 تمتلئ ممن ألقى فيها حين ينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بمد قولها
 هل من مزيد وأما الجنة فيبقى فيها فضل عن يدخلها من أهل الدنيا فينشئ الله
 لها خلقا آخر ولهذا كان الصواب الذى عليه الأئمة فيمن لم يكلف في الدنيا من
 أطفال المشركين ونحوهم ما صح به الحديث وهو أن الله اعلم بما كانوا عاملين
 فلا يحكم لكل منهم بالجنة ولا لكل منهم بالنار بل هم ينقسمون بحسب ما يظهر
 من العلم فهم اذا كلفوا يوم اقامة في العرصات كما جاءت بذلك الآ نار وكذلك
 قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) يدل
 الكلام على أنه لا يظلم محسنا فينقصه من احسانه أو يجمله لغيره ولا يظلم مسينا
 فيحمل عليه سيئات غيره بل لما ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا كقوله لأم

لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي الأتزر وازرة وزر أخرى وان
ليس الانسان الا ماسعي). فاخبر انه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه
لا يستحق الا ماسعاه وكلا القولين حق على ظاهره

وان ظن بعض الناس أن تعذيب الميت يبكاء أهله عليه ينافي الاول فليس
كذلك اذ ذلك النائح يندب بنوحه لا يحمل الميت وزره ولكن الميت يناله ألم
من فعل هذا كما يتألم الانسان من أمور خارجة عن كسبه وان لم يكن جزاء الكسب
والعذاب أعم من العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من
العذاب » .

وكذلك ظن قوم انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى ينافي قوله (وان
ليس للانسان الا ماسعي) فليس الامر كذلك فان انتفاع الميت بالعبادات البدنية
من الحى بالنسبة الى الآيه كانتفاعه بالعبادات المالية ومن ادعى أن الآيه تخالف
أحدهما دون الاخر فقول ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة الى الآيه كانتفاعه بالدعاء
والاستغفار والشفاعة وقد بينا في غير موضع نحواً من ثلاثين دليلاً شرعياً يبين
انتفاع الانسان بسعي غيره اذ الآيه إنما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل
ملا يستحقه الانسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن اليه مالكة ومستحقه بما
ينفع به منه فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كل ملا يملكه الانسان لا يحصل
له من جهته منفعة فان هذا كذب في الامور الدينية والدنيوية وهذه النصوص النافية
للظلم تثبت العدل في الجزاء وانه لا يبغض عامل عمله وكذلك قوله فيمن عاقبهم .
(وما ظلمناهم ولكن ظلوا انفسهم) فأغنت عنهم المهتم التي يدعون من دون الله
من شيء) وقوله (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) بين أن عقاب المجرمين عدلا
لذوقهم لالاً نا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذي في السنن لو عذب
الله أهل سماواته وأرضه لمذنبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكأنت رحمته لهم
خيراً من أعمالهم . يبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه
بغير ذنب وهذا يبين أن من الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله

(م ٢٧ - ج ٣ مجموعة الرسائل المتبرية)

١ - النجم ٣٦ - ٣٩

٢ - هود ١٠١

٣ - الزخرف ٧٦

تعالى (وقال الذي آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد) . يبين ان هذا العقاب لم يكن ظلماً لاستحقاقهم ذلك وان الله لا يريد الظلم والامر الذى لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادراً عليها فعلم ان الله قادر على ما زه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله وبذلك يصح قوله (انى حرمت الظلم على نفسى) وان التحريم هو المنع وهذا لا يجوز أن يكون فيم هو ممتنع لذاته فلا يصلح أن يقال حرمت على نفسى أو منعت نفسى من خلق مثلى أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات وأكثر ما يقال فى تأويل ذلك ما يكون معناه انى أخبرت عن نفسى بأن مالا يكون مقدوراً لا يكون منى وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذى لا يليق الخطاب بمثله اذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيدة المستمع فعلم أن الذى حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزّه عن فعله مقدس عنه يبين ذلك أن ما قاله الناس فى حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم الظلم وضع الشيء فى غير موضعه كقولهم من أشبه أباه فما ظلم أى فما وضع الشبه غير موضعه ومعلوم أن الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ووضعها غير مواضعها ليس ممتنعاً لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريد بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه* وكذلك من قال الظلم اضرار غير مستحق فان الله لا يعاقب أحداً بغير حق وكذلك من قال هو نقص الحق وذ كر أن أصله النقص كقوله (كلنا الجنين أنت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) وأما من* قال التصرف فى ملك الغير فهذا ليس بطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان فى ملك غيره بحق ولا يكون ظلماً وقد يتصرف فى ملكه بغير حق فيكون ظلماً وظلم العبد نفسه كثير فى القرآن وكذلك من قال فعل المأمور خلاف ما أمر به ونحو ذلك ان سلم صحة مثل هذا الكلام فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل

١ - غافر ٢٠ - ٢١

٢ - الكهف ٢٣

خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم وليس هذا الجواب موضع بسط هذه الامور التي نبهنا عليها فيه وانما نشير الى النكت *

وبهذا يتبين القول المتوسط وهو أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات ويعاقب هذا بذنوب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الافعال التي ينزه الرب لتسطة وعدله وهو قادر عليها وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه وكما أن الله منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضاً منزه عن أفعال النقص والعيب وعلى قول الفريق الثاني ما تم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلاً والكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأتمتها يدل على خلاف ذلك ولكن متكلمو الاثبات لما ناظروا متكلمة النفي أزموم لوازم لم ينفصلوا عنها الا بمقابلة الباطل بانباطل وهذا ما عابه الأئمة وذمموه كما عاب الاوزاعي والزيدي والثوري واحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدرية بالغلو في الاثبات وأمروا بالاعتصام بالكتاب والسنة وكما عابوا أيضاً على من قابل الجهمية فقات الصفات بالغلو في الاثبات حتى دخل في تمثيل الخالق بالخلق وقد بسطنا الكلام في هذا وهذا وذكرنا كلام السلف والأئمة في هذا في غير هذا الموضوع ولو قال قائل هذا مبني على مسألة تحسين العقل وتقييحه فمن قال العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها فانه ينزه الرب عن بعض الافعال ومن قال لا يعلم ذلك الا بالسمع فانه يجوز جميع الافعال عليه لعدم النهي في حقه قيل له ليس بناء هذه على تلك بل لازم وبتقدير لزومها ففي تلك تفصيل وتحقيق قد بسطناه في موضعه *

وذلك أنا فرضنا أنا نعلم بالعقل حسن بعض الافعال وقبحها لكن العقل لا يقول ان الخالق كالخلق حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعله حسناً للآخر وقبيحاً له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة

وان فرضنا أن حسن الافعال وقبحها لا يعلم الا بالشرع فالشرع قد دل على

ان الله قد نزه نفسه عن افعال واحكام فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره منثيا على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرما على نفسه وهذا يبين المسألة الثانية (فنقول الناس لهم في افعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة اقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه ان يفعل الا ما ظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوير فأوجبوا عليه بعقلهم امورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم امورا كثيرة لا بمعنى ان العقل أمر له وناه فان هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى ان تلك الافعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن ادخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه الرب عن فعل من الافعال ولا نعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهؤلاء منوعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي » ولم يعلم هؤلاء ان الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه اذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه يفعل هذا ليس فيه تعرض لانه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والممانع من هذا (فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك) بخلاف قوله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى الفعل وهذا بين واضح اذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فانه قال كتب على نفسه الرحمة ولو أريد

كتابة التقدير لكان قد كتب علي نفسه الغضب كما كتب علي نفسه الرحمة اذا كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولـكان قد حرم علي نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله (كتب عليكم القصاص في القتلي) وبين قوله (وكل شيء فملوه في الزبر) وقوله (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) وقوله « فيبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أ كتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» فهكذا الفرق أيضا ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته علي نفسه كما تقدم قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده . قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك . قلت الله ورسوله أعلم قال حقتهم عليه ألا يعذبهم» ومنه قوله في غير حديث « كان حقاً على الله أن يفعل به كذا» فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظيره تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكامته السابقة كقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك) وقوله (لأملأن جهنم) (ولنهلكن الظالمين) فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأ كفرن عنهم سيئاتهم ولأ دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار (فلنستلن الذين أرسل اليهم) ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الايجاب والمعنى بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض ولهذا قال الفقهاء المبين اما أن توجب حقاً أو منعا أو تصديقا أو تكديبا واذا كان معقولا في الانسان انه يكون آمرا مأمورا كقوله (ان النفس لأ مارة بالسوء) وقوله (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي) مع أن العبد له أمر وناه فوفاه والرب الذي ليس فوفاه أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر الكاتب على نفسه الرحمة والنهائي المحرم على نفسه الظلم أولي وأحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم ارادته لذلك ومحبتة له ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك وكرهته له و ارادته ومحبتة للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكرهته لان يفعله بمنع وقوعه منه *

البقرة ١٧٨

القمر ٥٢

الحديد ٢٢

الروم ٤٧

يونس ١٩ ، هود ١١٠

الاعراف ١٨ ، هود ١١٠

إبراهيم ١٣

آل عمران ١٦٥

الاعراف ٦

- يوسف ٥٢

- النازعات ٤٠

فأما ما يجبه ويفضه من أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الإنسان هو ظلم كما أن أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته وليست بالنسبة إليه كذلك أذهبه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات *

والله تعالى خلق كل صانع وصنعمته كما جاء ذلك في الحديث وهو خالق كل ووصوف وصفته ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالألوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالاً له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق يرول شبه كثيرة والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه قصا وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لاوجب تقصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه وذلك ان المعتزلة قالوا قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما أن العادل من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعا وعقلا قالوا ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظلما فعارضهم هؤلاء بأن قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من اكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محرما عليه أو مانهى عنه ومنهم من قال من فعل الظلم لنفسه وهؤلاء يعنون ان يكون الناهي له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتعا عندهم لذاته كامتناع ان يكون فوقه أمر له وناه ويمتنع عند الطائفتين ان يعود الى الرب من أفعاله حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل بل سلموا

ذلك لهم وان نازعهم بعض الناس منازعة عنادية والذي يكشف تلبس المعتزلة أن يقال لهم الظالم والمعدل الذي يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والمعدل فذلك يأثم به أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظلما ولم يقم به الفعل الذي به صار ظلما بل لا يعرفون ظلما الا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظلما وان كان فعلا متعلقا بغيره وله مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم الا بأن يكون قد قام بذلك فكونكم أخذتم في حد الظالم انه من فعل الظلم وعيتم بذلك من فعله في غيره فهذا تلبس وافساد للشرع والمقل واللغة كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره وجعلتم من أحدث كلاما منفصلا عنه قائما بغيره متكلما وان لم يقم به هو كلام أصلا وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوانات ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق وإنما قالت الجلود أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ولم تقل نطق الله بذلك ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي وغيره مامعناه انه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حتي قال أنا ربكم الاعلى كالكلام الذي خلق في الشجرة حتي قالت (اننى أنا الله لا اله الا أنا) فاما أن يكون فرعون محتما أو تكون الشجرة كفرعون والى هذا المعنى ينحو الاتحادية من الجهمية وينشدون *

وكل كلام في الوجود كلامه سواء عاينا نثره ونظامه

وهذا يستوعب أنواع الكفر ولهذا كان من الامر البين للخاصة والعامة ان من قال المتكلم لا يقوم به كلام أصلا فان حقيقة قوله انه ليس بمتكلم اذ ليس المتكلم الا هذا ولهذا كان أولوهم يقولون ليس بمتكلم ثم قالوا هو متكلم بطريق المجاز وذلك لما استقر في الفطر ان المتكلم لا بد أن يقوم به كلام وان كان مع ذلك فاعلا له كما يقوم بالانسان كلامه وهو كاسب له اما ان يجعل مجرد احداث الكلام في غيره كلاما له فهذا هو الباطل وهكذا القول في الظلم فهب ان الظالم من فعل الظلم فليس هو من فعله في غيره ولم يقم به فعل أصلا بل لا بد ان يكون قد قام به فعل وان كان متعديا الى غيره فهذا اجواب *

ثم يقال لهم الظلم فيه نسبة وازافة فهو ظلم من الظالم بمعنى أنه عدوان وبني منه وهو ظلم للمظلوم بمعنى أنه بغي واعتدي عليه وأما من لم يكن متعدى عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو في حقه ليس بظلم لامنه ولا له والله سبحانه اذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتم فهم الموصوفون بذلك فهو سبحانه اذا جعل بعض الاشياء أسود وبعضها أبيض أو طويلا أو قصيرا أو متحركا أو ساكنا أو عالما أو جاهلا أو قادرا أو عاجزا أو حيا أو ميتا أو مؤمنا أو كافرا أو سعيدا أو شقيا أو ظالما أو مظلوما كان ذلك المخلوق هو الموصوف بأنه الابيض والاسود والطويل والقصير والحى والميت والظالم والمظلوم ونحو ذلك والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وإنما احدائه للفعل الذي هو ظلم من شخص وظلم لآخر بمنزلة احدائه الاكل والشرب الذي هو أكل من شخص وأكل لآخر وليس هو بذلك أكل ولا مأكولا ونظائر هذا كثيرة وان كان في خلق أفعال العباد لازمها أو متعديها حكم بالغة كاله حكمة بالغة في خالق صفاتهم وسائر المخلوقات لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وقد ظهر بهذين الوجهين تدليس القدرية *

وأما تلك الحدود التي عورضوا بها فهمي دعاو ومخالفة أيضا للمعلوم من الشرع واللغة والعقل أو مشتملة على نوع من الاجمال فان قول القائل الظالم من قام به الظلم يقتضى انه لا بد أن يقوم به لكن يقال له وان لم يكن فاعلاله أمر له لا بد أن يكون فاعلا له مع ذلك فان أراد الاول كان اقتصاره على تفسير الظالم بمن قام به الظلم كإقتصار أولئك على تفسير الظالم في فعل الظلم *

والذى يعرفه الناس عامهم وخاصهم ان الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به وكل من الفريقين جحد بعض الحق وأما قولهم من فعل محرما عليه أو منبها عنه ونحو ذلك فالاطلاق صحيح لكن يقال قد دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين وكان حقا عليه أن يجزى المطيعين وأنه حرم الظلم على نفسه فهو سبحانه الذى حرم بنفسه على نفسه الظلم كما أنه هو الذى كتب بنفسه على نفسه الرحمة لا يمكن ان يكون غيره محرما عليه أو موجبا عليه فضلا عن أن يظلم ذلك بمقتل أو غيره واذا كان كذلك فهذا الظلم الذى حرمه على نفسه هو ظلم بلاريب وهو أمر ممكن

مقدور عليه وهو سبحانه يتركه مع قدرته عليه بشيئته واختياره لانه عادل ليس
بظالم كما يترك عقوبة الانبياء والمؤمنين وكما يترك أن يحمل البرى ذنوب المعتدين *

(فصل)

قوله «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» . ينبغي أن يعرف أن هذا الحديث
شريف القدر عظيم المنزلة ولهذا كان الامام احمد يقول هو أشرف حديث لاهل
الشام وكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث به جئا علي ركبتيه. وراويه أبو زر
الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه وهو من الاحاديث
الالهية التي رواها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه وأخبر أنها من كلام الله تعالى
وان لم تكن قرآنا. وقد جمع في هذا الباب زاهر السحامي وعبد الغني المقدسي وأبو
عبد الله المقدسي وغيرها وهذا الحديث قد تضمن من قواعد الدين العظيمة
في العلوم والاعمال والاصول والفروع فان تلك الجملة الاولى وهي قوله «حرمت
الظلم على نفسي» يتضمن جل مسائل الصفات والقدر اذا أعطيت حقها من التفسير
وانما ذكرنا فيها مالا بد من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة وأما
هذه الجملة الثانية وهي قوله «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» فانهما تجمع الدين كله فان
مانهبي الله عنه راجع الى الظلم وكل ما أمر به راجع الى العدل ولهذا قال تعالى
(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب)
فاخبر أنه ارسل الرسل وانزل الكتاب والميزان لاجل قيام الناس بالقسط وذكر
انه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى
بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب واهل الحديد كما قال
من قال من السلف صنفان اذا صلحوا صلح الناس الأمراء والعلماء . وقالوا في قوله
تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) أقوالا تجتمع العلماء والامراء
ولهذا نص الامام احمد وغيره علي دخول الصنفين في هذه الآية اذ كل منهما

تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كملى ومعاذ وأبى موسى يعناب بن اسيد وعثمان بن أبى العاص وامثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونوابهم ولهذا كانت السنة أن الذى يصلى بالناس هو صاحب الكتاب والذى يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد. الى أن تفرق الامر بعد ذلك فاذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بجمع الاموال وقسمها يجب ان يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبياناتها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك •

والمقصود هنا أن المقصود بذلك كله هو أن يقوم الناس بالقسط ولهذا لما كان المشركون يمجرون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ينمهم على ذلك وذكر ما أمر به هو وما حرمه هو فقال (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهذه الآية تجمع أنواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك الآية تجمع أنواع الواجبات كما بيناه أيضا. وقوله (أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أمر مع القسط بالتوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين ووضه هو الذنب الذى لا يغفر قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الدين الذى أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به الى جميع الامم قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (شرع

- ١ - الاعراف ٢٩
٢ - الاعراف ٣٣
٣ - النساء ١١٦
٤ - الأنبياء ٢٥
٥ - الزخرف ٤٥
٦ - النحل ٣٦

لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أممكم أمه واحدة وأنار بكم
فاتقون) ولهذا ترجم البخاري في صحيحه باب ما جاء في ان دين الانبياء واحد
وذكر الحديث الصحيح في ذلك وهو الاسلام العام الذي اتفق عليه جميع
النبيين قال نوح عليه السلام (وأمرت أن اكون من المسلمين) وقال تعالى في قصة
ابراهيم (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
بأبني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال موسى (يا قوم ان
كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال تعالى (قال الحواريون نحن
أنصار الله آمننا بالله واشهد بانا مسلمون) وقال في قصة بلقيس (رب انى ظلمت
نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور بحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) وهذا التوحيد الذى هو أصل
الدين هو أعظم العدل وضد وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجنا في الصحيحين
عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم) شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اينما لم يظلم نفسه
فقال ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم : وفي الصحيحين عن
ابن مسعود قال « قلت يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو
خلقتك قلت . ثم أى قال ثم ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال
أن تزانى بحليلة جارك » فانزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) الآية وقدها عن
غير واحد من السلف وروي مرفوعا « الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يضر الله منه
شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبا الله به شيئا » فاما الديوان الذى
لا يضر الله منه شيئا فهو الشرك فان الله لا يضر ان يشرك به وأما الديوان الذى

الشورى ١٢

- المؤمنون ٥١ - ٥٢

- يونس ٧٢

- البقرة ١٣١ - ١٣٢

- يونس ٨٤

- آل عمران ٥٢

- النمل ٤٤

- المائدة ٤٤

- الانعام ٨٢

- الفرقان ٦٨

لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً فان الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فان شاء عذب هذا الظالم لنفسه وان شاء غفر له وقد بسطنا الكلام فى هذه الابواب الشريفة والاصول الجامعة فى القواعد وبيننا أنواع الظلم وبيننا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء فى الحديث « الشرك فى هذه الامة أخفى من ديب النمل » وروى أن هذه الآية نزلت فى أهل الرياء (فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وكان شداد بن أوس يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب انما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال ابوداود السجستاني صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك ان حب الرياسة هو أصل البغى والظلم كما ان الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما ان التوحيد أعظم الإصلاح ولهذا قال تعالى (ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين) الى أن ختم السورة بقوله (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً) وقال (وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين وتعلن علواً كبيراً) وقال (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فاصل التصالح والتوحيد والايان وأصل الفساد الشرك والكفر كما قال عن المنافقين (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وذلك ان صلاح كل شئ ان يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذى يراد منه ولهذا يقول الفقهاء العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده والفاسد ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفاسد فى اصطلاحهم هو الصالح وكان يكثر فى كلام السلف هذا الا يصلح او يصلح كما كثر فى كلام المتأخرين يصلح ولا

- ١ - الكهف ١١٠
 ٢ - القصص ٤
 ٣ - القصص ٨٣
 ٤ - الاسراء ٤
 ٥ - المائدة ٣٣
 ٦ - البقرة ٣٠
 ٧ - البقرة ١١

يصح والله تعالى أما خلق الانسان لعبادته و بدنه تبع لقلبه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب» وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفساده في ضد ذلك فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط والقلب له قوتان العلم والقصد كما ان للبدن الحس والحركة الارادية فكما اذا التي خرجت قوي الحس والحركة عن الحال الفطري الطبيعي فسدت فاذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي ان يكون مقرا لربه مريدا له فيكون هو منتهى قصده و ارادته وذلك هي العبادة اذ العبادة كمال الحب بكامل الذل فتى لم تكن حركة القلب ووجهه و ارادته لله تعالى كان فاسدا اما بأن يكون معرضا عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب او بدون تكذيب أو بان يكون له ذكر وشعور ولكن قصده و ارادته غيره لكون الذكر ضعيفا لم يجتذب القلب الى ارادة الله ومحبته وعبادته والافتى قوى علم القلب و ذكره أوجب قصده وعلمه قال تعالى (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فأمر نبيه بأن يعرض عن كان معرضا عن ذكر الله ولم يكن له مراد الا ما يكون في الدنيا وهذه حال من فسدت قلبه ولم يذكر ربه ولم ينب اليه فيريد وجهه ويخلص له الدين ثم قال (وذلك مبلغهم من العلم) فأخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم وأما المؤمن فأكبر همه هو الله واليه انتهى علمه و ذكره وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه واذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والاشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل و ارادة العلو مقرونة بالفساد اذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالمترولين في قرآن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البر وهو العدل والذنوب التي فيها تفریط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عبادته وهي فساد وظلم ولهذا سعى قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى

لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ اذ ليس كونك عاليا عليه باولى من كونه عاليا عليك وكلاهما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا أخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك والتوحيد وان كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل ولهذا قال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) ولهذا كان تخصيصه بالذكر في مثل قوله (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) لا يمنع أن يكون داخلا في القسط كما أن ذكر العمل الصالح بعد الايمان لا يمنع أن يكون داخلا في الايمان كما في قوله (وملائكته وجبريل وميكال) (ومن النبيين ميثاقهم ومنك) هذا اذا قيل إن اسم الايمان يتناولها سواء قيل انه في مثل هذا يكون داخلا في الاول فيكون مذكورا مرتين أو قيل بل عطفه عليه يقتضى انه ليس داخلا فيه هنا وان كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تنوع دلالاته بالافراد والاقتران •

لكن المقصود ان كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمر او اجبا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظلما بل الظلم انما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن أي يحملنكم شنآن أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل (قوم على أن لا تعدوا اعدوا هو أقرب للتقوى) وقال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقال تعالى (وان عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به) وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقد دل على هذا قوله في الحديث « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » فان هذا خطاب لجميع العباد ان لا يظلم أحد أحد أو أمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال والابضاع والانساب والاعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن الماتله قد

- ١ - آل عمران ٦٤
٢ - الأعراف ٢٩
٣ - الأحزاب ٧
٤ - المائدة ٨
٥ - البقرة ١٩٤
٦ - النحل ١٢٦
٧ - الشورى ٤٠

يكون علمها أو عملها معتدرا ومتعسرا ولهذا يكون الواجب ما يكون أقرب اليها بحسب الامكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان أمثل بما هو العدل والحق في نفس الامر اذ ذلك معجز عنه ولهذا قال تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وسعها) فذكر أنه لم يكلف نفسا الا وسعها حين أمر بتوفية السكيل والميزان بالقسط لان السكيل لا بد له أن يتفضل احد المكيلين على الآخر ولو بحجة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى (لانكلف نفسا الا وسعها) ولهذا كان القصاص مشروعا اذ أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي الي عظم وفي الاعضاء التي تنتهي الي مفصل فاذا كان الجنف واقعا في الاستيفاء عدل الي بدله وهو الدية لانه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منه وهذه حجة من رأي من الفقهاء انه لا قود الا بالسيف في العنق قال لان القتل بغير السيف وفي غير العنق لانعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتفريق والتوسيط ونحو ذلك أشد ايلاما لكن الذين قالوا يفعل به مثل ما فعل قولهم اقرب الي العدل فانه مع تحرى التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الام خارج عن قدرته وأما اذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقربل ذلك بضرب عنقه بالسيف أو ررض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتفاء المماثلة فيه وأنه يتعذر معه وجودها بخلاف الاول فان المماثلة قد تقع اذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في الضربة واللطمه ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء الي التعزير لعدم امكان المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمد ماجاء به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لان ذلك أقرب الي العدل والمماثلة فانا اذا تحرينا أن نفعل به من جنس فعله وتقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن تأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنسا وقدره وصفة وهذا النظر أيضا في ضمان الحيوان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريبا وبالقيمة كأنص أحمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص

عليه الشافعي فيمن حرب حائط غيره أنه يبينه كما كان ويهدأ قضي سليمان عليه السلام في حكومة الحارث التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه فجميع هذه الابواب المقصود للشريعة فيها تحري العدل بحسب الامكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل في نفس الامر وان كان كل منهم قد أوتى علما وحكما لانه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم كما قال سبحانه « يا عبادي انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ولما كان العدل لا بد أن يتقدمه علم اذ من لا يعلم لا يدري مال العدل والانسان ظالم جاهل الا من تاب الله عليه فصار علما عادلا صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار » فهذان القسمان كما قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتبوا مقعده من النار وكل من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولى ديوان أو منتصبا للاحتساب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط قان الصحابة كانوا يمدونه من الحكم ولما كان الحكم مأمورين بالعدل بالمعروف وكان المفروض انما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

﴿ فصل ﴾

فلما ذكر في أول الحديث ما أوجبه من العدل وحرمة من الظلم على نفسه وعلى عباده ذكر بعد ذلك احسانه الى عباده مع غناه عنهم وقهرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة الا أن يكون هو الميسر لذلك وأمر العباد ان يسألوه ذلك وأخبر انهم لا يقدرون على نفعه ولا ضرره مع عظم من يوصل اليهم

من النعماء ويدفع عنهم من البلاء وجلب المنفعة ودفع المضرة اما ان يكون في الدين
أو في الدنيا *

فصارت أربعة أقسام الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدين
والطعام والكسوة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا وان شئت قلت الهداية
والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو الاصل في الاعمال الارادية
والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة وفتح
الامر بالهداية فانها وان كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس
تابعة لهدي الله اياهم كما قال سبحانه (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى) وقال موسى (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال
تعالى (وهديناه النجدين) وقال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)
ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام أحدها الهداية الى مصالح الدنيا فهذا مشترك بين
الحيوان الناطق والاعجم وبين المؤمن والكافر والثاني الهدى بمعنى دعاء الخلق
الى ما ينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب
فهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى (وأما
نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وقال تعالى (انما أنت منذر ولكل
قوم هاد) وقال تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) فهذا مع قوله (انك
لتهدى من أحببت) يبين أن الهدى الذي أثبتته هو البيان والدعاء والامر والنهي
والتعليم وما يتبع ذلك ليس هو الهدى الذي نفاه وهو القسم الثالث الذي لا يقدر
عليه الا الله والقسم الثالث الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب وهو الذي
يسميه بعضهم بالالهام والارشاد وبعضهم يقول هو خلق القدرة على الايمان كالتوفيق
عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل فمن قال ذلك
من أهل الاثبات جعل التوفيق والهدى ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة وأما
من قال انهما استطاعتان احدهما قبل الفعل وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف
كما قال تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقال النبي

(١٩٢ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرية)

- ٣ - الأعلى ١
- ٥٠ - طه
- ١٠ - البلد
- ٣ - الانسان
- ١٧ - فصلت
- ٧ - الرعد
- ٥٢ - الشورى
- ٥٦ - القصص
- ١٧ - آل عمران

صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين «صل قائماً فان لم تستطه فقاعد» فان لم تستطع فعلى جنب» وهذه الاستطاعة يقترب بها الفعل تارة والتارك أخرى وهي الاستطاعة التي لم تعرف القدرية غيرها كما أن أولئك المخالفين لهم من أهل الاثبات لم يعرفوا الا المقارنة وأما الذي عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات النوعين جميعاً كما بسطناه في غير هذا الموضوع فان الأدلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل وهي الموجبة له وهي المنفية عن لم يفعل في مثل قوله (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وفي قوله (لا يستطيعون سماعاً) وهذا الهدى الذي يكثر ذكره في القرآن في مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وقوله (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) وفي قوله (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وأمثال ذلك وهذا هو الذي تنكر القدرية ان يكون الله هو الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذي يهدي نفسه وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم حيث قال «يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم» فأمر العباد بأن يسألوه الهداية كما أمرهم بذلك في أم الكتاب في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وعند القدرية ان الله لا يقدر من الهدى الا على ما فعله من ارسال الرسل ونصب الأدلة وازاحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر في هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن اعظم من نعمته على الكافر في باب الهدى وقديين الاختصاص في هذه بعد عموم الدعوة في قوله (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فقد جمع الحديث تنزيهه عن الظلم الذي يجوز عليه بعض المثبتة وبيان انه هو الذي يهدى عباده رداً على القدرية فأخبر هناك بعدله الذي يذكره بعض المثبتة وأخبرنا باحسانه وقدرته الذي تنكره القدرية وان كان

كل منهما قصده تعظيماً لا يعرف ما اشتمل عليه قوله

والقسم الرابع الهدى في الآخرة كما قال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)^٧

١ - هود - ٢٠

٢ - الكهف - ١٠١

٣ - الفاتحة - ٥

٤ - الأنعام - ١٢٥

٦ - يونس - ٢٥

٧ - الحج - ٢٢ - ٢٤

وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم
الأنهار في جنات نعيم) قوله يهديهم ربهم بإيمانهم كقوله (والذين آمنوا واتبعنهم
ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) على أحد القولين
في الآية وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال
الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى الى طريق النار كما قال تعالى
(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يمبدون من دون الله فاهدوهم الى
صراط الجحيم) وقال (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)
وقال (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض
عن ذكري فانه معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرني أعمى
وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (من
يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فان تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكيا وصما) الآية فلخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم
القيامة عميا وبكيا ودما فان الجزاء أبداً من جنس العمل كما قال صلى الله عليه وسلم
« الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وقال
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له الله به طريقا الى الجنة ومن يسر على
مسرى يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وقال « من سئل عن علم يعلمه فكتمه
ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » وقال تعالى (وليعفوا وليصْفحوا ألا تحبون
عفا قديرا) وأمثال هذا كثير في الكتاب والسنة ولهذا أيضا يجري الرجل في
الدنيا على ما فعله من خير الهدى بما يفتح عليه من هدى آخر ولهذا قيل من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد قال تعالى (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم وأشد تثبيتا الى قوله مستقيما) وقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويفغر لكم)

يونس ٩

الطور ٢١

الصفات ٢٢

الاسراء ٧٢

طه ١٢٢ - ١٢١

الاسراء ٩٧

النور ٢٢

النساء ١٤٩

النساء ٦٦

النساء ٦٨

المائدة ١٦

الحديد ٢٨

وقال (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) فسروه بالنصر والنجاة كقوله (يوم الفرقان) وقد قيل نور يفرق به بين الحق والباطل ومثله قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعد المتقين بالمخارج من الضيق ويرزق المنافع ومن هذا الباب قوله (والذين اهتموا بازادهم هدي وآتاهم تقواهم) وقوله (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ومنه قوله (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) وبازاء ذلك ان الضلال والمعاصي تكون بسبب الذنوب المتقدمة كما قال الله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقالوا لولو بناغف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الى قوله (لا يؤمنون) الى قوله (يعلمون) وهذا باب واسع ولهذا قال من قال من السلف ان من نواب الحسنة الحسنة بعدها وأن هن عقوبة السيئة السيئة بعدها وقد شاع في لسان العامة ان قوله (اتقوا الله ويعلمكم الله) من الباب الاول حيث يستدلون بذلك على أن التقوي سبب تعليم الله وأكثر الفضلاء يطعنون في هذه الدلالة لانه لم يربط الفعل الثاني بالاول ربط الجزاء بالشرط فلم يقل واتقوا الله ويعلمكم ولا قال فيعلمكم وانما أتى بواو العطف وليس من العطف ما يقتضى ان الاول سبب الثاني وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم كما يقال زرتي وازورك وسلم علينا ونسلم عليك ونحو ذلك مما يقتضى اقتران الفعلين والتعاضد من الطرفين كما لو قال لسيدة اعتقتي ولك على ألف أو قالت المرأة لزوجها طلقني ولك ألف أو اخلصني ولك ألف فان ذلك بمنزلة قولها بألف أو على ألف وكذلك أيضا لو قال أنت حر وعليك ألف أو أنت طالق وعليك ألف فانه كقوله على ألف أو بالف عند جمهور الفقهاء والفرق بينهما قول شاذ ويقول أحد المتعاضدين للآخر أعطيك هذا وأخذ هذا ونحو ذلك من العبارات فيقول الآخر نعم وان لم يكن أحدهما هو السبب الاخر دون العكس فقوله واتقوا الله ويعلمكم الله قد يكون من هذا الباب فكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلتزمه ويقتضيه ففى علمه الله العلم النافع اقترن به التقوي بحسب ذلك ومتى اتقاه زاده من العلم وهلم جرا •

- ١ - الانفال ٢٩
- ٢ - الانفال ٤١
- ٣ - الطلاق ٢
- ٤ - عمد ١٧
- ٥ - الكهف ١٣
- ٦ - الفتح ١ - ٣
- ٧ - الصف ٥
- ٨ - النساء ١٥٥
- ٩ - المائدة ١٣
- ١٠ - الأنعام ١٠٩

﴿ فصل ﴾

واما قوله « يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم وكلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ». فيقتضى أصلين عظيمين أحدهما وجوب التوكل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس وانه لا يقدر غير الله على الأَطعام والكسوة قدرة مطلقة وانما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) وقال (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم) فالأمور به هو المندور للعباد وكذلك قوله (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتما ذامقربة أو مسكيننا ذامقربة) وقوله (واطعموا الفقير والمعتر) وقوله (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقال (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) . فتم من يترك الأمور به اكتفاء بما يجرى به القدر ومن هنا يعرف ان السبب المأمور به أو المباح لا ينافى وجوب التوكل على الله فى وجود السبب بل الحاجة والفقير الى الله ثابتة مع فعل السبب اذ ليس فى المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب ولهذا لا يجب ان تقتزن الحوادث بما قد يجمل سببا الا بمشيئة الله تعالى فانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ولهذا يخذل أمثال هؤلاء اذا اعتمدوا على الاسباب فن رجوا نصراً أو رزقا من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه « لا يرجون عبد الآر به ولا يخافن الا ذنبه » وقد قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده) وقال (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) . وهذا كما ان من أخذ يدخل فى التوكل تاركاً لما أمر به

١ - البقرة ٢٢٢

٢ - النساء ٥

٣ - البلد ١٤ - ١٦

٤ - الحج ٣٦

٥ - الحج ٢٨

٦ - يس ٤٧

٧ - فاطر ٢

٨ - هود ١٠٧

٩ - الزمر ٢٨

من الاسباب فهو أيضا جاهل ظالم عاص لله بترك ما أمره فان فعل المأمور به عبادة لله وقد قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وقال (إياك نعبد وإياك نستعين) وقال (قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) وقال شعيب عليه السلام (عليه توكلت واليه أنيب) وقال (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب) وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأحي تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لايهلاستغفرون لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) فليس من فعل شيئا أمر به وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنبا ممن فعل توكل ما أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب اذ كلاهما مخل ببعض ماوجب عليه وهما مع اشتراكهما في جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم وقد يكون الآخر مع أن التوكل في الحقيقة من جملة الاسباب وقد روي أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم « قضى بين رجلين فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على المعجز ولكن عليك بالكيس فان غلبك أمر قتل حسبي الله ونعم الوكيل » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان اللوم يفتح عمل الشيطان ففى » قوله صلى الله عليه وسلم « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » أمر بالتسبب المأمور به وهو احرص على المنافع وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله فمن اكتفى باحدهما فقد عصي أحد الامرين ونهى عن المعجز الذي هو ضد الكيس كما قال في الحديث الآخر « ان الله يلوم على المعجز ولكن عليك بالكيس » وكما في الحديث الشامى « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » فالعاجز في الحديث مقابل الكيس ومن قال العاجز الذي هو مقابل البر فقد حرف

١ - هود ١٢٣

٢ - الفاتحة ٤

٣ - الرعد ٣٠

٤ - هود ٨٨

٥ - الشورى ١٠

٦ - المتحنة ٤

الحديث ولم يفهم معناه ومنه الحديث « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ومن ذلك ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال « كان أهل اليمن يمجون ولا يترددون يقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا سألوا الناس فقال الله تعالي (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) فمن فعل ما أمر به من التزود فاستعان به على طاعة الله وأحسن منه إلى من يكون محتاجا كان مطيعا لله في هذين الأمرين بخلاف من ترك ذلك متلفتا إلى ازواد الحجيج كلا على الناس وإن كان مع هذا قلبه غير ملتفت إلى معين فهو ملتفت إلى الجملة لكن إن كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله ومواصلة المحتاج فقد يكون في تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتردد المأمور به وفي هذه النصوص بيان غلط طوائف طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعده قصا أو قدحا في التوحيد والتوكل وإن تركه من كمال التوكل والتوحيد وهم في ذلك ملبوس عليهم وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى في اخلاص النفس إلى البطالة ولهذا تجمد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الأسباب يتعلقون بأسباب دون ذلك فاما إن يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة واما أن يتركوا لأجل ما تبتلوا له من الغلو في التوكل واجبات أو مستحبات انفع لهم من ذلك كمن يصرف همه في توكله إلى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلا سعي فقد يحصل ذلك لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعي اليسير وصرف تلك الهمة والتوجه في عمل صالح انفع له بل قد يكون واجب عليه من تبتله لهذا الأمر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضا نقصا واقطاعا عن الخاصة فلنا أن ملاحظة ما فرغ منه في القدر هو حال الخاصة وقد قال في هذا الحديث « كلكم جائع إلا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم وقال فاستكسوني أكرمكم » وفي الطبراني وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليسئل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا اقطع فانه إن لم يسره لم يتيسر » وهذا قد يلزمه أن يجعل أيضا استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك . وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقا بل دفع المخلوق والمأمور وانما غلطوا من حيث ظنوا سبق التقدير يمنع ان يكون بالسبب المأمور به كمن يتزندق فيترك

الاعمال الواجبة بناء على ان القدر قد سبق باهل السعادة وأهل الشقاوة ولم يعلم ان القدر سبق بالامور علي ما هي عليه فن قدره الله من اهل السعادة كان مما قدره الله بتيسيره لعمل اهل السعادة ومن قدره من اهل الشقاوة كان مما قدره انه يسره لعمل اهل الشقاء كما قد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال في حديث علي بن ابي طالب وعمران بن حصين وسراقة بن جشم وغيرهم ومنه حديث الترمذي حدثنا ابن عمر حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي خزامة عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوي بها ورتي نسترقى بها وثقاة تقيها هل ترد من قدر الله شيئا «قال هي من قدر الله» وطائفة تظن أن التوكل إنما هو من مقامات الخالص المتقر بين الى الله بالنوافل وكذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الامور فروض على الاعيان باتفاق أهل الايمان ومن تركها بالكلية فهو اما كافر واما منافق لكن الناس هم فيها كما هم في الاعمال الظاهرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ونصوص الكتاب والسنة طائفة بذلك وليس هؤلاء المرصون عن هذه الامور علماء وعلماء بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الاعمال بل استحقاق النعم والعقاب يتوجه الى من ترك المأمور من الامور الباطنة والظاهرة وان كانت الامور الباطنة مبتدا الامور الظاهرة وأصولها والامور الظاهرة كالمها وفروعها التي لاتم الا بها ٥

فصل

وأما قوله «يا عبادي انكم تمخطون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا» وفي رواية «وأنا أغفر الذنوب ولا أبا لي فاستغفروني أغفر لكم» فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان أحدهما المغفرة لمن تاب كما في قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنظروا من رحمة الله) الى قوله (ثم لاتنصرون فهذا) السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا يأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه

ما كانت فان الله سبحانه لا يتعاطفه ذنب أن يفره لعبد التائب وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فان الله تعالى يفر ذلك لمن تاب منه قال تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال في الآية الاخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) الى قوله (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم وان كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم ان توبة الداعية الى البدع لا تقبل باطنا للحديث الاسرائيلي الذي فيه فكيف من أضلت وهذا غلط فان الله قد بين في كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أمة الكفر الذين هم أعظم من أمة البدع وقد قال تعالى (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم عذبوا أوليائه وفتنوه ثم هو يدعوهم الى التوبة وكذلك توبة القاتل ونحوه وحديث أبي سعيد المتفق عليه في الذي قتل تسعة وتسعين نفساً يدل على قبول توبته وليس في الكتاب والسنة ما ينافي ذلك ولا نصوص الوعيد فيه وفي غيره من الكبائر بمنافية لنصوص قبول التوبة فليست آية الفرقان بمنسوخة بآية النساء اذ لامنافة بينهما فانه قد علم يقينا أن كل ذنب فيه وعيد فان لحق الوعيد مشروط بعدم التوبة اذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص كالوعيد في الشرك وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسحر وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلماء توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلامم أصول الشريعة أن يراد بذلك أن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعرضه بمثل مظلمته وان لم يعرضه في الدنيا فلا بد له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات

حتى اذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا ومع هذا فاذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما اذا شاء أن يفر مادون الشرك لمن يشاء ولهذا في حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله الي عبد الله بن أنيس شهرا حتى شافه به وقد رواه الامام احمد وغيره واستشهد به البخارى في صحيحه وهو من جنس حديث الترمذى صحاحه أو حسانه قال فيه « اذا كان يوم القيامة فان الله يجمع الخلائق في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لاحد من أهل النار قبله مظلمة ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لاحد من أهل الجنة حتى أقصه منه » فبين في الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار . وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « أن أهل الجنة اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة » وقد قال سبحانه لما قال (ولا يقرب بعضكم بعضا). والاعتياب من ظلم الاعراض قال (أحبب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله ثواب رحيم). فقد نهىهم على التوبة من الاعتياب وهو من الظلم وفي الحديث الصحيح « من كان عنده لآخيه مظلمة في دم أو مال أو عرض فليأتها فليستحل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار الا الحسنات والسيئات فان كان له حسنات والا أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم يلقى في النار» أو كما قال وهذا فيما علمه المظلوم من العوض فاما اذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل من شرط توبته اعلامه وقيل لا يشترط ذلك وهذا قول الاكثرين وهما روايتان عن أحمد السكن قوله مثل هذا أن يفعل مع المظلوم حسنات كاللعاء له والاستغفار وعمل صالح يهدي اليه يقوم مقام اغتيابه وقذفه قال الحسن البصري كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتة وأما الذنوب التي يطاق الفقهاء فيها نفي قبول التوبة مثل قول أ كثرهم لا تقبل توبة الزنديق وهو المنافق وقولهم اذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله وكذلك قول كثير منهم أو أ كثرهم في سائر الجرائم كما هو أحد

قولى الشافعى وأصح الروايتين عن أحمد وقولهم فى هؤلاء اذا تابوا بعد الرفع الى الامام لم تقبل توبتهم فهذا اما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم أى لا تقبل توبتهم بحيث يتخلى بلا عقوبة بل يعاقب اما لان توبته غير معلومة الصحة بل يظن به الكذب فيها واما لان رفع العقوبة بذلك يفضى الى انتهاك المحارم وسد باب العقوبة على الجرائم ولا يريدون بذلك أن من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فان الله لا يقبل توبته فى الباطن اذ ليس هذا قول أحد من أئمة الفقهاء بل هذه التوبة لا تمنع الا اذا عين أمر الآخرة كما قال تعالى (أما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا للذين يموتون وهم كفار) الآية قال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا الى كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وأما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفرعون الذي قال الله فيه (فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله (آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وهذا استفهام انكار بين به ان هذه التوبة ليست هى التوبة المقبولة المأمور بها فان استفهام الانكار اما بمعنى النفي اذ قابل الاخبار واما بمعنى الذم والنهى اذ قابل الانشاء وهذا من هذا ومثله قوله تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) الآية بين ان التوبة بعد رؤية البأس لا تنفع وان هذه سنة الله التى قد خلت فى عباده كفرعون وغيره وفى الحديث «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ» وروى مالم يماين وقد ثبت فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم «عرض على عمه التوحيد فى مرضه الذى مات فيه وقد عاد يهوديا كان يخدمه فعرض عليه الاسلام فاسلم فقال الحمد لله الذى أنقذنى من النار» ثم قال لاصحابه «أروا اخاكم» وما بين أن المغفرة العامة فى الزمر هى للتائبين انه قال فى سورة النساء (ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون

١ - النساء ١٧ - ١٨

٢ - يونس ٩١

٤ - غافر ٨٣ - ٨٥

٢ - يونس ٩٠

ذلك لمن يشاء) فقيده المغفرة بما دون الشرك وعلقها على المشيئة وهناك أطلق وعمم
فدل هذا التقييد والتطبيق على أن هذا في حق غير التائب ولهذا استدل أهل
السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر في الجملة خلافاً لمن أوجب نفوذ
الوعيد بهم من الخوارج والمرتزلة وإن كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من
المرجئة حتى توقعوا في حقوق الوعيد بأحد من أهل القبلة كما يذكر عن غلاتهم
أنهم نفوه مطلقاً ودين الله وسط بين الغالي فيه والجاني عنه ونصوص الكتاب
والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن من أهل الكبائر من
يعذب وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. النوع الثاني من
المغفرة العامة التي دل عليها قوله «يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر
الذنوب جميعاً» المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيرها إلى أجل مسمى وهذا
عام مطلقاً ولهذا شفع النبي صلى الله عليه وسلم في أبي طالب مع موته على الشرك
فنقل من غمرة من نار حتى جعل ضحضاح من نار في قدميه نعلان من نار يغلي
منهما دماغه قال ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، وعلى هذا المعنى
دل قوله سبحانه (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) (ولو
يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم ويفوعن كثير) *

فصل

وأما قوله عز وجل «يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا
نعي فتتفموني» فإنه هو بين بذلك أنه ليس هو فيما يحسن به إليهم من اجابة الدعوات
وخفران الزلات بالمستعيض بذلك منهم جلب منفعة أو دفع مضرة كما هي عادة
المخلوق الذي يعطى غيره فمما يكافئه عليه بنفع أو يدفع عنه ضرر اليتقى بذلك
ضرره قال انكم لن تبلغوا نعي فتتفموني ولن تبلغوا ضري فتضروني فلست
إذا أجسكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفي المستنظم والمستكفي بالذي أطلب

ان تنفوني ولا أنا اذا عفرت خطاياكم بالليل والنهار أتق بذلك أن تضروني فانكم لن تبلغوا نفى فتنفوني ولن تبلغوا ضري فتضروني اذهم عاجزون عن ذلك بل ما يقدرون عليه من الفعل لا يقدرون عليه الا بتقديره وتدييره فكيف بما لا يقدرون عليه فكيف بالغني الصمد الذي يتمتع عليه أن يستحق من غيره نفعا أو ضرا وهذا الكلام كما بين أن ما يفعله بهم من جلب المنافع ودفع المضار فانهم لن يبلغوا ان يفعلوا به مثل ذلك فكذلك يتضمن ان ما يامرهم به من الطاعات وما ينهاهم عنه من السيئات فانه لا يتضمن استجلاب نعمهم كامر السيد لعبده أو الوالد لولده والامير لرعيته ونحو ذلك ولا دفع مضرتهم كنهبي هؤلاء أو غيرهم لبعض الناس عن مضرتهم فان المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ومضرة بعض وكانوا في أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك والخالق سبحانه مقدس عن ذلك فبين تنزيهه عن حقوق نعمهم وضرمهم في احسانه اليهم بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم قال قتادة ان الله لم يامر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم *

فصل

ولهذا ذكر هذين الاصلين بعد هذا فقد كرر أن برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه ولا ينقص وان اعطاه اياهم غاية ما يسألونه نسبتة الى ما عنده أدنى نسبة وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملكه بطاعة الرعية وينقص ملكه بالمعصية واذا أعطى الناس ما يسألونه أنفذ ما عنده ولم يغنهم وهم في ذلك يبلغون مضرته ومنفعته وهو يفعل ما يفعله من احسان وعفو وأمر ونهى لرجاء المنفعة وخوف المضرة فقال يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا اذ ملكه وهو قدرته على التصرف فلا تزداد بطاعتهم ولا تنقص بمعصيتهم

كما تزداد قدرة الملوك بكثرة المطيعين لهم وتنقص بقلة المطيعين لهم فان ملكه متعلق بنفسه وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه وهو الذي يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والمملك قد يراد به القدرة على التصرف والتدبير ويراد به نفس التدبير والتصرف ويراد به المملوك نفسه الذي هو محل التدبير ويراد به ذلك كله وبكل حال فليس بر الا برار وفجور الفجار موجبا لزيادة شيء من ذلك ولا نقصه بل هو بمشيئته وقدرته يخلق ما يشاء فلو شاء أن يخلق مع فجور الفجار ماشاء لم يمنعه من ذلك مانع كما يمنع الملوك فجور رعاياهم التي تعارض أوامرهم عما يختارونه من ذلك ولو شاء أن لا يخلق مع بر الا برار شيئا مما خلقه لم يكن برهم محوجا له الى ذلك ولا معين له كما يحتاج الملوك ويستعينون بكثرة الرعايا المطيعين *

فصل

ثم ذكر حالهم في النوعين سؤال بره وطاعة أمره اللذين ذكرهما في الحديث حيث ذكر الاستهداء والاستطعام والاستكساء وذكر الغفران والبر والفجور فقال لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص الخيط اذا دخل البحر * والخياط والخيط ما يخاط به اذ الفعل والمفعول والمفعول من صيغ الآلات التي يفعل بها كالمسعر والحلاب والميشار *

فبين أن جميع الخلائق اذا سألوا وهم في مكان واحد وزمان واحد فأعطى كل انسان منهم مسألته لم ينقصه ذلك مما عنده الا كما ينقص الخياط وهي الابرة اذا غمس في البحر. وقوله لم ينقص مما عندى فيه قولان أحدهما أنه يدل على أن عنده أمورا موجودة يطيبهم منها ما سألوه اياه وعلى هذا فيقال لفظ النقص على حاله لان الاعطاء من الكثير وان كان قليلا فلا بد أن ينقصه شيئا ما ومن رواه لم ينقص من ما كى يحمل على ما عنده كما في هذا اللفظ فان قوله مما عندى فيه

تخصيص ليس هو في قوله من ملكي وقد يقال المعطى اما ان يكون أعيانا قائمة بنفسها أو صفات قائمة بغيرها فأما الأعيان فقد تنقل من محل الى محل فيظهر النقص في المحل الاول وأما الصفات فلا تنقل من محلها وان وجد نظيرها في محل آخر كما يوجد نظير علم المعلم في قلب المتعلم من غير زوال علم المعلم وكما يتكلم المتكلم بكلام المتكلم قبله من غير انتقال كلام المتكلم الاول الى الثاني وعلى هذا فالصفات لا تنقص مما عنده شيئا وهي من المسئول كالهدي وقد يجاب عن هذا بأنه هو من الممكن في بعض الصفات ان لا يثبت مثلها في المحل الثاني حتى تزول عن الاول كاللون الذي ينقص وكالروائح التي تعبق بمكان وتزول كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على حى المدينة أن تنقل الى مبيعة وهي الجحفة وهل مثل هذا الانتقال بانتقال عين العرض الاول أو بوجود مثله من غير انتقال عينه فيه للناس قولان اذ منهم من يجوز انتقال الاعراض بل من يجوز أن يجعل الاعراض أعيانا كما هو قول ضرار والنجار وأصحابها كبرغوث وحفص الفرد لكن ان قيل هو بوجود مثله من غير انتقال عينه فذلك يكون مع استحالة العرض الاول وفنائه فيعدم عن ذلك المحل ويوجد مثله في المحل الثاني والقول الثاني أن لفظ النقص هنا كلفظ النقص في حديث موسى والخضر الذي في الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أن الخضر قال لموسى لما وقع عصفور على قارب السفينة فنقر في البحر فقال يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ومن المعلوم ان نفس علم الله القائم بنفسه لا يزول منه شيء بتعلم العباد وانما المقصود أن نسبة علمي وعلمك الى علم الله كنسبة ما علق بمنقار العصفور الى البحر ومن هذا الباب كون العلم يورث كقوله العلماء ورثة الانبياء ومنه قوله (وورث سليمان داود) ومنه توريث الكتاب أيضا كقوله (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ومثل هذه العبارة من النقص ونحوه تستعمل في هذا وان كان العلم الاول ثابتا كما قال سعيد بن المسيب لقتادة وقد أقام عنده أسبوعا سأله فيه مسائل عظيمة حتى عجب من حفظه وقال زفتنى يا أعمى وانزاف القلب ونحوه هو رفع ما فيه

بحيث لا يبقى فيه شيء ومعلوم أن فتادة لو تعلم جميع علم سعيد لم يزل علمه من قلبه كما يزول الماء من القلب لكن قد يقال التعليم إنما يكون بالكلام والكلام يحتاج الى حركة وغيرها مما يكون بالحل ويزول عنه ولهذا يوصف بأنه يخرج من المتكلم كما قال تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) ويقال قد أخرج العالم هذا الحديث ولم يخرج هذا فإذا كان تعليم العلم بالكلام المستزج زوال بعض ما يقوم بالحل وهذا نزيف وخروج كان كلام سعيد بن المسيب على حقيقته ومضمونه أنه في تلك السبع الليالي من كثرة ما أجابه وكلمه ففارقه أمور قامت به من حركات وأصوات بل ومن صفات قائمة بالنفس كان ذلك نزيفا ومما يقوى هذا المعنى أن الانسان وان كان علمه في نفسه فليس هو أمرا لازما للنفس لزوم الألوان للمتلونات بل قد يذهل الانسان عنه ويفعل وقد ينساه ثم يذكره فهو شيء يضر تارة ويفيب أخرى واذا تكلم به الانسان وعلمه فقد تكلت النفس وتعبى حتى لا يقوى على استحضاره الا بعد مدة فتكون في تلك الحال خالية عن كمال تحفته واستحضاره الذي يكون به العالم عالما بالفعل وان لم يكن نفس مازال هو بعينه القائم في نفس السائل والمستمع ومن قال هذا يقول كون التعليم يرسخ العلم من وجه لا يتنافى ما ذكرناه واذا كان مثل هذا النقص والنزيف معقولا في علم العباد كان استعمال لفظ النقص في علم الله بناء على اللغة المعتادة في مثل ذلك وان كان هو سبحانه منزها عن اتصافه بضد العلم بوجه من الوجوه أو عن زوال علمه عنه لكن في قيام أفعال به وحركات نزاع بين الناس من المسلمين وغيرهم وتحقيق الأمر أن المراد ما أخذ علمي وعلمك من علم الله وما نال علمي وعلمك من علم الله وما أحاط علمي وعلمك من علم الله كما قال (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الا كما قص أو أخذ أو نال هذا المصفور من هذا البحر أي نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا وان كان المشبه به جسما ينتقل من محل الى محل ويزول عن المحل الاول وليس المشبه كذلك فان هذا الفرق هو فرق ظاهر يعلمه المستمع من غير التباس كما قال صلى الله عليه وسلم «انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» فشبّه الرؤية بالرؤية وهي وان كانت متعلقة بالمرئي في الرؤية المشبهة والرؤية المشبه بها

لكن قد علم المستمعون أن المرئي ليس مثل المرئي فكذلك هنا شبه النقص بالنقص وان كان كل من الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه ليس مثل الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه به ولهذا كل أحد يعلم أن المعلم لا يزول علمه بالتعليم بل يشبهونه بضوء السراج الذي يحدث يقتبس منه كل أحد ويأخذون ماشاءوا من الشهب وهو باق بحاله وهذا تمثيل مطابق فان المستوقد من السراج يحدث الله في فتيلته أو وقوده نارا من جنس تلك النار وان كان قد يقال انها تستحيل عن ذلك الهواه مع أن النار الاولى باقية . كذلك المعلم يجعل في قلبه مثل علم المعلم مع بقاء علم المعلم ولهذا قال على رضي الله عنه العلم يزكو على العمل أو قال على التعليم والمال ينقصه النفقة وعلى هذا فيقال في حديث أبي ذر ان قوله مما عندي وقوله من ملكي هو من هذا الباب وحينئذ فله وجهان أحدهما ان يكون ما أعطاهم خارجا عن مسمى ملكه ومسمى ما عنده كما أن علم الله لا يدخل فيه نفس علم موسى والخضر والثاني أن يقال بل لفظ الملك وما عنده يتناول كل شيء وما أعطاهم فهو جزء من ملكه وما عنده ولكن نسبت الى الجملة هذه النسبة الحقيرة ومما يحقق هذا القول الثاني أن الترمذي روى هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر مرفوعا فيه «لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منهم فأعطيتمهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كمبرز إمارة لو غمستها أحدكم في البحر وذلك اني جواد ماجد واجد عطائي كلام وعذابي كلام انما أمرى لشيء اذا أردته أن أقول له كن فيكون» فذكر سبحانه أن عطاه كلام وعذابه كلام يدل على أنه هو أراد بقوله من ملكي ومما عندي أي من مقدوري فيكون هذا في القدرة كحديث الخضر في العلم والله أعلم ويؤيد ذلك أن في اللفظ الآخر الذي في نسخة أبي مسهر لم ينقص ذلك من ملكي شيئا الا كما ينقص البحر وهذا قد يقال فيه انه استثناء منقطع أي لم ينقص من ملكي شيئا لكن يكون حاله حال هذه النسبة وقد يقال بل هو تام والمعنى على ما سبق *

﴿ فصل ﴾

ثم ختمه بتحقيق ما بينه فيه من عدله واحسانه فقال « يا عبادى انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فيبين أنه محسن الى عباده فى الجزاء على أعمالهم الصالحة احسانا يستحق به الحمد لانه هو المنعم بالامر بها والارشاد اليها والاعانة عليها ثم احصائها ثم توفية جزائها فكل ذلك فضل منه واحسان اذ كل نعمة منه فضل وكل تقمة منه عدل وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلا لافضلا لان ذلك انما يكون لكون بعض الناس أحسن الى البعض فاستحق المعاوضة وكان احسانه اليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه ولهذا لم يكن المتعاوضان لينخص أحدهما بالفضل على الآخر لتكافئتهما وهو قد بين فى الحديث أن العباد لم يلبغوا ضره فيضره ولن يلبغوا نفعه فينفعوه فامتنع حيثئذ أن يكون لاحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذى أحق الحق على نفسه بكلماته فهو المحسن بالاحسان وباحقائه وكتابته على نفسه فهو فى كتابة الرحمة على نفسه واحقائه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن احسانا مع احسان فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتبين بها فضل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب فمن بين موجب على ربه بالمنع أن يكون محسنا متفضلا ومن بين مسوى بين عدله واحسانه وما تنزه عنه من الظلم والمدون وجاهل الجميع نوعا واحدا وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل •

وكما بين أنه محسن فى الحسنات متم احسانه باحصائها والجزاء عليها بين أنه عادل فى الجزاء على السيئات فقال « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » كما تقدم بيانه فى مثل قوله (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وعلى هذا الاصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التى فطر الناس عليها كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لاله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطمت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » ففى قوله أبوء لك بنعمتك على اعتراف بنعمته عليه فى الحسنات وغيرها وقوله وأبوء بذنبى اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وبهذا يصير العبد شكورا الرب مستغفرا لذنبه فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور الغفور الذى يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل ٥

وهنا اتقسم الناس ثلاثة أقسام فى اضافة الحسنات والسيئات التى هى الطاعات والمعاصى الى ربهم والى نفوسهم فشرم الذى اذا أساء أضاف ذلك الى القدر واعند بان القدر سبق بذلك وأنه لا خروج له عن القدر فركب الحجة على ربه فى ظلمه لنفسه وان أحسن أضاف ذلك الى نفسه ونسى نعمة الله عليه فى تيسيره ليسرى وهذا ليس مذهب طائفة من بنى آدم ولكنه حال شرار الجاهلين الظالمين الذين لا حفظوا حدود الامر والنهى ولا شهدوا حقيقة القضاء والقدر . كما قال فىهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزى أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هو الكتمذهبت به وخير الاقسام وهو القسم المشروع وهو الحق الذى جاءت به الشريعة أنه اذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده اذا أنعم عليه بان جعله محسنا ولم يجعله مسينا فانه قدير محتاج فى ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته الى ربه ولا حول ولا قوة الا به فلو لم يهده لم يهتد كما قال أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) واذا أساء اعترف بذنبه واستغفر ربه وتاب منه وكان كآبىه آدم الذى (قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ولم يكن كابليس الذى قال (يا أعزبتى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور ولا فعل محظور مع ايمانه بالقدر خيره وشره وان الله خالق كل شىء وربّه ومليكه وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك وهؤلاء هم الذين أطاعوا الله فى قوله فى هذا

الحديث الصحيح « فن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » ولكن بسط ذلك وتحقيق نسبة الذنب الى النفس مع العلم بان الله خالق أفعال العباد فيه أسرار ليس هذا موضعها ومع هذا قوله تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ليس المراد بالحسنات والسيئات في هذه الاية الطاعة والمعاصي كما يظنه كثير من الناس حتى يحرف بعضهم القرآن ويقرأ فن نفسك ومعلوم أن معنى هذه القراءة يناقض القراءة المتواترة وحتى يضمرب بعضهم القول على وجه الانكار له وهو قول الله الحق فيجبل قول الله الصديق الذي يحمد ويرضى قولاً للكفار يكذب به ويذم ويسخط بالاضمار الباطل الذي يدعيه من غير أن يكون في السياق ما يدل عليه *

ثم ان من جهل هؤلاء ظنهم أن في هذه الاية حجة للقدرية واحتجاج بعض القدرية بها وذلك أنه لاخلاف بين الناس في أن الطاعات والمعاصي سواء من جهة القدر . فمن قال ان العبد هو الموجد لفعله دون الله أو هو الخالق لفعله وأن الله لم يخلق أفعال العباد فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية . ومن أثبت خلق الافعال وأثبت الجبر أو فناه أو أمسك عن نفيه واثباته مطلقاً وفصل المعنى أو لم يفصله فلا فرق عنده بين الطاعة والمعصية فتبين أن ادخال هذه الآية في القدر في غاية الجهالة وذلك ان الحسنات والسيئات في الآية المراد به المسار والمضار دون الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى (وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون) وهو الشر والخير في قوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وكذلك قوله (ان تمسكم حسنة تسؤم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقوله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني) وقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلمهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فآخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) وقوله تعالى (واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم

١ - النساء ٧٨ - ٧٩

٢ - الاعراف ١٦٨

٣ - الأنبياء ٣٥

٤ - آل عمران ١٢٠

٥ - هود ١٠

٦ - الاعراف ٩٤ - ٩٥

سيئة يطيروا بموسى ومن معه) فهذه حال فرعون وملائته مع موسى ومن معه كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه « إذا أصابهم نعمة وخير قالوا لنا هذه أو قالوا هذه من عند الله وان أصابهم عذاب وشراً تطيروا بالنبي والمؤمنين وقالوا هذه بذنوبهم » وأما هو بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين وهو سبحانه ذكر هذا في بيان حال الناكثين عن الجهاد الذين يلومون المؤمنين على الجهاد فإذا أصابهم نصر ونحوه قالوا هذا من عند الله وان أصابهم محنة قالوا هذه من عند هذا الذي جاءنا بالامر والنهي والجهاد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم) الي قوله (وان منکم لمن ليبيطن) الي قوله (ألم تر الي الذين قيل لهم كفوا أيديکم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال الي قوله أينما تكونوا يدرككم الموت) وان تصبهم حسنة هؤلاء المذمومين يقولون هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي بسبب أمرك ونهيك قال الله تعالى (فإلهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة) من نعمة (فسر الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي فبذنبك كما قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديکم) وقال (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) وأما القسم الثالث في هذا الباب فهم قوم لبسوا بالباطل وهم بين أهل الايمان أهل الخير وبين شرار الناس وهم الخائضون في القدر بالباطل قوم يرون أنهم هم الذين يهدون أنفسهم ويضلونها ويوجبون لها فعل الطاعة وفعل المعصية بغير إعانة منه وتوفيق للطاعة ولا خذلان منه في المعصية وقوم لا يثبتون لانفسهم فعلاً ولا قدرة ولا أمراً ثم من هؤلاء من يبخل عن الامر والنهي فيكون أ كفرا لخلق وهم في احتجاجهم بالقدر متناقضون اذ لا بد من فعل يحبونه وفعل يبغضونه ولا بد لهم ولكل أحد من دفع الضرر الحاصل بأفعال المعتدين فإذا جعلوا الحسنات والسيئات سواء سيئة لم يمكنهم أن يذموا أحداً ولا يذموا ظلماً ولا يقابلوا مسيئاً وان يبيحوا للناس من أنفسهم كل ما يشتهي مشتهيه ونحو ذلك من الامور التي لا يعيش عليها بنو آدم اذ هم مضطرون الي شرع فيه أمر ونهي أعظم من

- الاعراف ١٣٦

- النساء ٧١

- النساء ٧٢

- النساء ٧٧

- النساء ٧٨

٦ - النساء ٧٨ - ٧٩

- الشورى ٣٠

- الروم ٣٦

اضطراهم الى الاكل واللباس وهذا باب واسع لشرحه موضع غير هذا وانما
 نهنا على مافي الحديث من الكلمات الجامعة والقواعد النافعة بنكت مختصرة
 تنبه الفاضل على مافي الحقائق من الجوامع والفوارق التي تفصل بين الحق والباطل
 في هذه المضايق بحسب ما احتملته أوراق السائل والله ينفعنا وسائر اخواننا
 المؤمنين بما علمناه ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما ولا حول ولا قوة الا بالله ولا
 ملجأ منه الا اليه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن واستغفر الله العظيم لى
 ولجميع اخواننا المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما *

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم الجزء الثالث من مجموعة الرسائل

المنيرية لجامعها وناتسرها إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها

ومديرها محمد منير الدمشقي من علماء الأزهر

المعمور وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم



فهرست الجزء الثالث من مجموعه الرسائل المنبريه

صحيفة	صحيفة
١٩ (الرسالة الثانية مختصر كتاب المؤمل لارد الى الامر الاول)	١ (الرسالة الاولى شرح حديث « ما ذنبان » جاثمان ارسلنا في غم »)
٢٠ بعض فضائل الامام الشافعى رضى الله عنه	١ بيان ان هذا مثل عظيم ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساددين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا
٢١ فصل في صفة أهل العلم	٢ بيان ان الحرص على المال نوعين وبيان كلام السلف في ذم الحرص على المال
٢٢ تغير العلماء عما كان عليه السلف في الصدر الاول	٣ الترهيب في الحرص على الدنيا
٢٢ بيان أن قبض العلم بقبض العلماء	٤ النوع الثانى من الحرص على المال
٢٣ بيان حال الصحابة في الفتوى عند نزول النازلة	٥ فصل في مضار الحرص على شرف الدنيا
٢٤ كراهية البحث عما لم يقع	٦ بيان حال من أحب الحرص على نفوذ الامر
٢٥ بيان حال أرباب الفتوى بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم وبيان حالهم في التقييد بعد تدوين المذاهب	٨ بيان أن الصالحين احرص الناس على هداية الخلق
٢٦ ذم القول بالرأى في الدين	٩ القسم الثانى في بيان حال من طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية
٢٧ بيان أن الحديث الصحيح مذهب الشافعى	١٠ ماورد في ذم طلب العلم لتبروجه الله
٢٨ بيان ما وقع من الخلل في كتب المؤلفين من الشافعية	١٢ كراهة الخحول على الملوك والنو مناهم
٣٠ بيان أن الوقوف على الاحاديث في عصور المتأخرين ايسر منه في عصور المتقدمين	١٤ فصل في بيان أن الحرص على المال والشرف يفسدان دين المرء وفيه فوائد جمة عن السلف لا توجد في غير هذه الرسالة
٣١ فصل في بيان ان تقليد امام من الائمة	

صحيفة	صحيفة
٥١	٣٢
الكتاب العزيز	الكتاب العزيز
٥٣	٣٣
فصل ليس لمنكر البعث شبه الا مجرد تعجب واستبعاد والدليل على ذلك	بيان ان المتعصبين لمذهب الشافعي لم يمتثلوا ما أمر به امامهم
٥٤	٣٥
الكتاب العزيز	الكتاب العزيز
٥٨	٣٧
الكتاب العزيز	الكتاب العزيز
٥٩	٣٧
سؤال التمتع	سؤال التمتع
٥٩	٣٧
سؤال التقض	سؤال التقض
٥٩	٤٠
فصل الحكم تارة يطل بعة واحدة متفردة وتارة بعنتين	فصل في فوائد حسنة
٦٠	٤٠
فصل وقد يعلق الحكم بطل كل علة تستقل بالحكم	(الرسالة الثالثة في استخراج الجدل من القرآن الكريم)
٦٠	٤١
فصل تعليق الحكم على علة تقتضي التقيض	الباب الاول في ذكر الجدل والحجة
٦٠	٤٢
فصل وقد تذكّر صورة القياس وليس بقياس	الباب الثاني في بيان ان اول من سن الجدل هم الملائكة عليهم الصلاة والسلام
٦١	٤٣
فضل ومثال قياس الشبه	بيان ان ابليس لعنه الله هو اول من سن الخلاف وركب العناد
٦١	٤٤
فصل في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب في مواضع	الباب الثالث في جدال الانبياء عليهم الصلاة والسلام واولهم جدال نوح عليه السلام
٦١	٤٥
فصل في المفهوم وهو قياس مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة	جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وحجاجه وله ثلاث مقامات الخ
٦٢	٤٦
فصل وقد سمي الله الشبه التي ذكرها الكفار أمثالا	جدال موسى عليه الصلاة والسلام
٦٣	٤٧
فصل في ذم التقليد والمقلدين	الباب الرابع في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه وتعالى

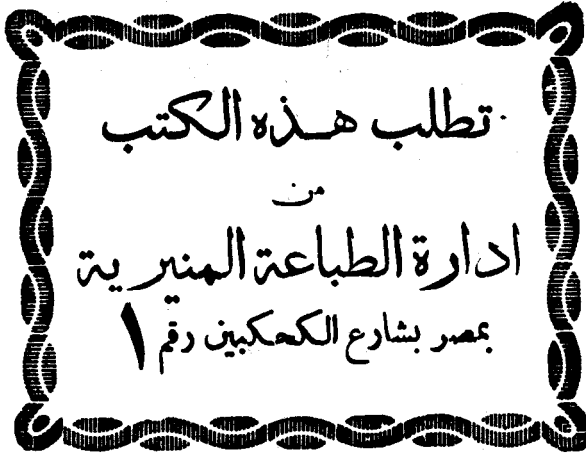
صحيفة	صحيفة
٧٠ جامع ماجاه في صلاة الليل	٦٣ فصل في جواز التجوز في الكتاب العزيز
٧١ دعاء الاستخارة	٦٣ فصل يجوز عطف الواجب على غير
٧١ الباب الثاني في الصيام	الواجب
٧٢ ماجاه في صوم المحرم	٦٣ فصل والانتكار بعد الاعتراف لا يسمع
٧٢ ماجاه في صيام عاشوراء	دليله
٧٢ ماجاه في صيام شعبان	٦٣ فصل ومن لطائف الاجوبة الجدلية الخ
٧٢ ماجاه في صيام رمضان	٦٤ فصل ومن أنواع التجوز الخ
٧٣ ماجاه في صيام ستة أيام من شوال	٦٤ فصل في المساكاة بالتشنيع
٧٣ ماجاه في العمل في عشر ذي الحجة	٦٤ فصل وما يجري مجرى المقابلة
٧٣ ماجاه في صيام يوم عرفة وثلاثة أيام من كل شهر ويوم الاثنين	٦٤ فصل التخصيص في الذكرا لا يدل على الاختصاص في الحكم
٧٤ الباب الثالث في الصدقة	٦٤ فصل يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها
٧٦ الباب الرابع في الدعاء والذكرا	٦٥ فصل في الدليل على ان توبة الزنديق لا تقبل
٧٦ ما يقال عند القيام من النوم	٦٦ (الرسالة الرابعة كفاية التصدوقحة التزهد)
٧٧ ما يقال عند دخول الحلاء	٦٦ الباب الاول في الصلاة
٧٧ ما يقال بعد الفراغ من الوضوء	٦٧ ماجاه في فضل الصلاة
٧٧ ما يقال عند الخروج الى الصلاة	٦٨ ماجاه في فضل الصلاة لاول وقتها
٧٨ ما يقال عند الصباح	٦٨ ماجاه في فضل الجماعة
٧٩ ما يقال عند سماع الاذان	٦٨ ماجاه في ركعتي الفجر من الفضل
٧٩ ما يقال بعد التسليم من الصلاة	٦٨ ماجاه في فضل المحافظة على الفجر والمصر
٨٠ ما يسبح به في الايام وفضل التسبيح	٦٩ ماجاه في صلاة الضحى
٨١ ما يقال عند القيام من المجلس	٦٩ ماجاه في عدد صلاة الضحى
٨١ ما يقال عند المساء	٦٩ ماجاه في الصلاة في ارتفاع الضحى
٨١ ما يقال عند النوم وأخذ المضجع	واستحراق الشمس
٨٢ فصل في الصلاة على النبي ﷺ	٧٠ ماجاه فيمن صلى في يوم ثنتي عشر ركعة
٨٤ (الرسالة الخامسة ارشاد السائل الى	

صحيفة	صحيفة
على الصفة التي يستعملها كثير من الناس أم لا	دلائل المسائل
(الرسالة السادسة معنى قول الامام المطلي اذا صح الحديث فهو مذهبي)	٨٤ الدليل على ان المقلد لا يجوز ان يتولى القضاء
٩٨ بيان ان الحديث اذا صح فهو مذهب الشافعي	٨٨ بيان ان الاعراب الذين لا يفعلون شيئا من الشرعيات الا مجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا
١٠١ تفصيل ابن الصلاح في جواز عمل الفقيه الشافعي بحديث لم يأخذه امامه	٨٩ بيان ما قيل في العصاة من أهل بيت النبوته هل يدخلون الجنة على كل حال تكريمهم أم لا
١٠٢ بيان أن ما قاله ابن الصلاح ليس ردا لما قاله الشافعي ولكنه بيان لصعوبة هذا المقام	٩٠ بيان مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة في الخلافة وما يترتب عليها
١٠٥ فصل في معنى كلام الامام مالك أنما أنا بشر أخطئ وأصيب الخ	٩١ بيان حكم العادات الجارية في بعض البلدان من الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن على الاموات الخ
١٠٧ بيان ما انتقد على الامام مالك والجواب عنه	٩٢ حكم الحلف بغير الله
١١٠ بيان شروط العمل بنجر الاحاد عند الحنية	٩٢ حكم شعر الرأس هل يسن تبقيته أم لا
١١٤ فصل وأما المالك فقاوالا بتقديم عمل أهل المدينة	٩٣ حكم الارض التي فيها آثار ملك متقدمة ولا يد عليها في الحال ولا يعترف مالكها ولبعض الناس أوضاع شرعية تفيد أن له ملكا فيها
١١٤ فصل وقال آخرون اجماع أهل الكوفة حجة	٩٤ هل يجوز تأديب الرعايا بالمال اذا حصل من أحدهم قتل أو نحوه أم لا يجوز
١١٥ (الرسالة السابعة خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة)	٩٥ حكم العائز المستجدة في الحرم الشريف كالقممات والمنارات وكذا التعلية في اليوت الخ
١١٥ قاعدة في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة	٩٦ حكم شجرة التباك هل يجوز استعمالها
١١٥ بيان انواع الفساد التي حصلت بسبب	

صحيفة	صحيفة
١٤٦ فصل اذا تبين بعض ما حصل في هذا	التنازع الاول والثاني والثالث
الاختلاف والتفرق من الفساد فحن	١١٦ الرابع التفرق والاختلاف
نذكر طريق زوال ذلك وبيان	١١٧ الخامس شك كثير من الناس وطعنهم
ما هو الواجب في الدين وذلك ببيان	في كثير مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة
الاصليين الجماعة والسنة. اما الجماعة الخ	١١٩ بيان القرائن الدالة على انتفاء الاحاديث
١٤٩ الاصل الثاني السنة	المكذوبة بوجوده الاول الخ
١٥١ قاعدة في ان الاعتقادات قد تؤثر في	١٢٥ الوجه الثاني
الاحكام	١٢٠ الوجه الثالث
١٥٥ فصل اذا تبين هذا فمن الناس من	١٢٠ الوجه الرابع
صار في طرفي نقيض فحكى عن بعض	١٢١ فصل في بيان الطريق لزوال الخلاف
السوفسطائية ان العقائد مؤثرة في	وذلك ببيان اصليين الجماعة والسنة
الاعتقاد وان الاشياء لاحقائق لها الخ	١٢١ الاصل الاول الجماعة وقد اُطنب في بيانه
١٥٦ فصل المتحقق ان الاحكام والاقوال	١٢٥ الاصل الثاني السنة
والاعتقادات نوعان	١٢٨ (الرسالة الثامنة في توحد الملة وتعدد
١٥٨ فصل ونحن نذكر في ذلك اصولا الخ	الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى
١٦٢ فصل واما الاحكام والاعتقادات	دون الشرعى)
والاقوال العملية التي يتبعها المحكوم	١٢٨ فصل في توحد الملة وتعدد الشرائع
فهى الامر والنهى والتسحين والتقيح	وقد ذكر كل ما يتعلق به من الادلة
الخ	القرآنية
١٦٥ فصل مذاهب الائمة تؤخذ من	١٢٨ فصل في بيان أن اهل الاسلام هم اهل
اقوالهم دون افعالهم	الوفاق وان اهل البدع والكفر هم
(الرسالة التاسعة في السماع والرقص)	اهل الاختلاف
١٦٥ بيان السماع الذى شرعه الله لعباده	١٣٦ بيان ما يسوغ فيه الاختلاف في الاجتهاد
١٦٩ واما سماع المكاه والتصدية فهو سماع	١٤٠ قاعدة في صفات العبادات الظاهرة التي
المشركين	حصل فيها تراخ بين الامتقي الرواية
١٧٠ بيان انه قد علم بالاضطرار دين	والرأى

صحيفة	صحيفة
١٨٧ فصل من زعم ان الملائكة والانبيا تخضر عند سماع المكاء والتصدي فهو كاذب	الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحى امته وزهادهم ان يجمعوا على سماع الايات الملحنة
١٨٩ بيان ان اتخاذ التصفيق والغناء والضرب طريقا الى الله ليس من دين الاسلام	١٧٢ بيان ان مسالة السماع اختلف فيها المتأخرون وان السماع الذى يفعله اهل الربابات لاصلاح القلوب يصد عن استماع القرآن وتدبره ويفسد الروح والقلب
١٩٢ فصل نافع لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وبيان مذاهب العلماء في تفسير الفطرة والراجع منها	١٧٤ بيان ان الاصل هو الاعتصام بالكتاب والسنة
١٩٦ الكلام على تسبيح الجمادات	١٧٥ بيان انه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقرب الى الله الا يينه
١٩٧ بيان ان معرفة الله فطرية وهو مبحث نقيس	١٧٦ بيان انه لفصل النزاع في مسالة السماع ثلاث قواعد مهمة
٢٠٢ ذهب طوائف من النظار الى معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر واختلفوا في النظر	١٧٩ القاعدة الاولى الخ ١٧٦ القاعدة الثانية ١٧٧ القاعدة الثالثة
٢٠٢ (الرسالة العاشرة في شرح حديث ابى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى (يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى) الخ)	١٧٧ كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في فصل الخطاب في هذا الباب ١٧٧ ما يباح سماعه وما لا يباح
٢٠٦ بيان اختلاف العلماء في تفسير الظلم	١٨٠ بيان ان الرقص لم يامر به الله ولا رسوله
٢٠٩ بيان ان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى لاينا في قوله تعالى (وان ليس للسان الاماسى)	١٨٠ ادلة من اباح السماع ١٨٢ الجواب عما تقدم من الادلة
٢١٠ اقوال العلماء في الظلم المنق وتحقق المقام في ذلك	١٨٠ بيان ان كثير من المتأخرين من اهل الحديث والفقه والتصوف اذ صنفوا في باب ذكر واما فيمن الفسح والسمين

صحيفة	صحيفة
في ملكه وأن فجورهم ومصيبتهم لا ينقص من ملكه	٢١٧ تفسير قوله (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)
٢٣٨ فصل في بيان ان العباد لو سألو اربهم في زمان واحد فاعطى كل واحد مسأله ما نقص ذلك بما عنده الخ	٢٢٢ بيان ان كل خير في العدل وكل شر في الظلم
٢٤٢ فصل في معنى قوله (يا عبادى انما هى اعمالكم احصيا لكم ثم اوفيكم اياها)	٢٢٤ فصل في بيان ان العباد لا يقدر ان على جلب خير ولا دفع ضر الا بتيسير الله والكلام على المنافع والمضار
٢٤٣ انقسام الناس ثلاثة اقسام في اضافة الحسنات والسيئات التى هى الطاعات والمعاصى الى ربهم والى نفوسهم	٢٢٩ فصل في معنى قوله (يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم)
٢٤٤ بيان ان قوله تعالى (ما اصابك من حسنة فمن الله) لا يصلح ان يكون دليلا للقدرية	٢٣٢ فصل في معنى قوله (يا عبادى كلكم ضال الا من هديته)
	٢٣٦ فصل في معنى قوله (يا عبادى انكم لن تبلنوا ضرى فتضرونى)
تم الجزء الثالث	٢٣٧ فصل في بيان أن برهم وطاعتهم لا يزيد



شرح

جامع بيان العلم وفضله

وما ينسبني في روايته وجماله

(للامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري)

(القرطبي الأندلسي)

الأربعون حديثاً النبوية

للامام العلامة الحافظ الفقيه الاصولي المجتهد القدوة شيخ

الاسلام تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق الميا

أَشْرَافُ الْفُجَرَاءِ

إلى تحقيق الحق من علم الأصول

للامام المجتهد العلامة الرباني قاضي قضاة القطر البهائي

محمد بن علي بن محمد الشوكاني

(صاحب نيل الأوطار وغيره)

مَهَابِي

الاسماء واللغات

(للامام الورع المتقن أبي زكريا محي الدين النووي جزء ٤)



مجموعتنا الرسائل المنيرية

الجزء الثالث يشتمل على ١٠ رسائل

(١) شرح حديث « ما ذئبان جائعان أرسلا في غم » الخ للحافظ ابن رجب (٢) المؤمل للرد إلى الأمر الأول للعلامة ابن أبي شامة . (٣) استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن الحنبلي . (٤) كفاية التعبد وتحفة الزهد للحافظ المنذري . (٥) ارشاد السائل إلى دلائل المسائل للعلامة الشوكاني . (٦) معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي للسبكي . (٧) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة . (٨) في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها . (٩) رسالة في السماع والرقص والكلام على حديث يولد المولود على الفطرة . (١٠) شرح حديث أبي ذر الأربعة للإمام ابن تيمية .

(عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ)

إدارة الطباعة المنيرية

توزيع

دار الكلمة الطيبة

القاهرة

مكتبة طيبة

الرياض

مختصر شعب الاماني

للامام المحدث الحافظ الفقيه المجتهد

ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي

صاحب السنن الكبرى

المتوفى سنة ٤٥٨

﴿ تأليف ﴾

الشيخ الامام ابي جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين • والسلام (١) على سيد المرسلين •
وخاتم النبيين • وقائد الغر المحجلين • محمد المبعوث الى الخلق أجمعين •
وعلى آله الطيبين • وصحبه الطاهرين • وأئمة المتقين • وأزواجه أمهات
المؤمنين •

وبعد فقد تكرر من سيدنا ومولانا نادر بلاده • وناصح عباده •
وعلامه زمانه • وأعجوبة أوانه • شمس الملة والدين • محمد بن القاسم بن
أبي البدر بن الملحي المزني الفقيه • المحدث الواعظ • أدام الله توفيقه •
وجمل السعادتين صاحبه ورفيقه • عدة مكاتبات من واسط الى بغداد
في السؤال عن عدد شعب الايمان حيث ورد في صحيح البخاري ومسلم
من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) الايمان

(١) هكذا بحذف الصلاة ولعلها سقطت من أيدي النساخ

(٢) اعلم أن هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بلفظ الايمان بضع
وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان ولم تختلف الطرق عن أبي طاهر شيخ
شيخ البخاري في ذلك : وقابله الحناني عن سليمان بن بلال : وأخرجه أبو عوانة
من طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال فقال بضع وستون أو بضع وسبعون
وهكذا وقع التردد أيضا في رواية مسلم من طريق سهيل : ورواه أصحاب السنن

بضع (١) وستون أو بضع وسبعون شعبة (٢) أعلاها أو فأرفعها أو فأفضلها على اختلاف الروايات. قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق والحيا. شعبة من الايمان * وانه بصدد احاطة علمه بتفصيلها عددا : وتأخر الجواب لأسباب وعوارض *

فحين طال الزمان * وكثر التكرار * أحضر كتاب شعب الايمان للامام الحافظ الفقيه أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ست مجلدات لنقلها بذاتها فوجدتها متفرقة في جميعها لم يجمعها أولا في الخطبة ولا في المجلد الاول : ثم اعتنى بتفاصيل شروحا لكن فرقها في جميع الكتاب. فدعته الضرورة الى أن يجمعها من مجموعها . ويجعلها مختصرة كرؤس المسائل : ويقنع باستدلال آية من كتاب الله : أو بحديث

الثلاثة من طريقه. فقالوا بضع وسبعون من غير شك * ولأبي عوانة في صحيحه من طريق ست وسبعون أو سبع وسبعون . وترجح رواية البخاري بأن العدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه . وعلى الرواية الثانية درج المصنف . (١) والبضع بكسر الباء وحكى فتحها لفة * عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر * وقال ابن سيده الى العشر وقيل من واحد الى تسعة .

(٢) والشعبة بضم الشين هي القطعة والفرقة وهي واحدة الشعب أى أغصان الشجرة والمراد منها في الحديث الخصلة أو الجزء أى ان الايمان ذو خصال متعددة * قال القاضى عياض تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد. وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعبية ولا يقدر عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الايمان اه . وقد غلبها الحافظ ابن حجر وأوردها في الفتح لولا التطويل لثكرتها .

من أصح ما روى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وربما زاد في بعض الشعب آية أو آيات : أو حديثاً أو كلمات : أو حكاية أو حكايات : أو بيتاً أو أبيات : لم يذكرها * وقد بوبها سبعة وسبعين باباً *

أبنانا بجميعها وجميع الكتاب المنقول هذا منه جماعة : منهم الشيخ العالم سيد المراق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر المقرئ البغدادي بها : والقاضي أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسي من دمشق قالوا جميعاً أبناً الشيوخ الرواة أبو محمد الانجب بن أبي السعادات بن محمد بن عبد الرحمن الجاهلي وأبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله المارستاني * وأبو القاسم علي ابن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي * قالوا جميعاً * أبناً أبو حفص عمر بن أحمد بن عمر الزنجاني في سفر (١) سنة اثنتين وستين وخمس مائة * قال أخبرني الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن الامام الحافظ أبي بكر أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي قال أخبرني جدي الامام أبو بكر

ح (٢) وأخبرناها طاليا عدداً مسند الوقت أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي أجازة عامة ان لم يكن خاصة . قال أخبرنا حافظ بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ومفتي خراسان أبو سعد عبد الله بن أحمد بن عمر الصفار النيسابوري أجازة خاصة : قالوا أبنانا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامى

(١) سفر بالتحريك اسم مكان (٢) هذا الحرف علامة التحويل كما في

وجاعة : قالوا أنبأنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
رحمة الله عليهم أجمعين

قال (الاول) الايمان بالله عز وجل لقوله تعالى (والمؤمنون كل آمن
بالله) (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله) ثم ساق فيه حديث أبي هريرة رضى
الله عنه المتفق عليه في الصحيحين * أمرت (١) أن أقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني نفسه وماله
الا بحقه وحسابه على الله * وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه في صحيح
مسلم * من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة .

(الثانى) الايمان برسول الله عز وجل صلى الله عليهم أجمعين وسلم
لقوله تعالى (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله)

ولحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الصحيحين في سؤال
جبرائيل * الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله . الحديث
(الثالث) الايمان بالملائكة للآية والحديث المذكورين

(الرابع) الايمان بالقرآن لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) والآية والحديث
المذكورين أيضاً

(١) بصيغة المجهول فالآمر هو الله تعالى واذا قال الصحابي ذلك فهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم
من قوله لا اله الا الله . وفي رواية لمسلم الاجتهاد أى الشهادة وقوله وحسابه
على الله . معناه فيما يُسر به من الكفر والمعاصي . فانا نحكم عليه بالاسلام
ونؤاخذة بمحقوقه بحسب ما يقتضيه ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابها

(الخامس) الايمان بأن القدر خيره وشره من الله عز وجل
لقوله تعالى (قل كل من عند الله) ولحديث أبي هريرة في الصحيحين احتج
آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو ناخيتنا (١) وأخرجتنا من الجنة
فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده (٢)
أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال فجع
آدم موسى *

وبالاسناد المذكور انشدنا الامام أبو بكر البيهقي قال انشدني
أبو الفوارس جنيد بن أحمد الطبري

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر * والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا * وفي اختيار سواه اللوم والشوم
(السادس) الايمان باليوم الآخر لقول الله تعالى (قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر). قال الحلبي ومعناه تصديق

(١) أي أوقمتنا في الخيبة وهي الحرمان
(٢) هذه الكلمة وما شابهها مما يوم الجارحة الحسية يجب أن تبقى على ظاهرها
بدون تأويل ولا تصحيف ولا تحريف. وتؤمن بما جاء في الكتاب والسنة من هذا
القبيل . وتقوض معناه الى الباري تعالى. وأنه ليس كمثل شيء واقتد بسلفك
الصالح ولا تكن مجسما فنشبهه. ولا معطلافتني. ولا جهيبا فتأول ولا تبحث في
هذا وتجعله شركا تصيده من أغررته بطلاوة كلامك وشقشة لسانك لتأبيس
ابليس عليك وتحسينه لك وتبغى بذلك إضلال الناس وتشكيكهم في دينهم
قال الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آنا به كل من
عند ربنا)

بأن لأيام الدنيا آخرًا . وانها منقضية . وهذا العالم منقض يومًا . ففي الاعتراف بانتفائه . اعتراف بابتدائه . اذ القديم لا يفنى ولا يتغير . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة . والذي نفس محمد بيده لتقوم الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد أنصرف الرجل بلبن لقحته (١) من تحتها لا يطعمها : الحديث

(السابع) الايمان بالبعث (٢) بعد الموت لقوله تعالى (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن) ولقوله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الي يوم القيامة لا ريب فيه) * ولحديث عمر بن الخطاب في الصحيح في حديث الايمان * الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث من بعد الموت وبالقدر كله

(الشاهن) الايمان بحشر (٣) الناس بعدما يبعثون من قبورهم الى الموقف لقوله تعالى (الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) * ولحديث عبدالله بن عمر في صحيح مسلم . يقوم الناس لرب العالمين حتى يفيب أحدهم في رشحه (٤) الى انصاف اذنيه (التاسع) الايمان في ان دار المؤمنين ومأواهم الجنة . ودار الكافرين ومأواهم النار . لقوله تعالى (من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته

-
- (١) اللقحة بكسر اللام وفتحها الناقة القريبة العهد بالنجاج
 - (٢) البعث احياء الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الاجزاء الاصلية
 - (٣) الحشر سوق الناس جميعًا الى الموقف
 - (٤) ارشح بفتح فسكون العرق لانه يخرج من البدن شيئًا فشيئًا كما يرشح الاناء المتخلل الاجزاء

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * ولحديث ابن عمر في الصحيحين *
ان (١) احدثكم اذا مات عرض عليه مقعده بالعداة والعشى ان كان من أهل
الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة .

(العاشر) الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى (ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا) (٢) يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد
حبا لله) * ولحديث انس بن مالك في الصحيحين. ثلاث من كن فيه وجد
بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وان
يحب المرء لا يحب الا الله . وان يكره أن يمود في الكفر كما يكره ان
توقد له نار فيقذف فيها *

وبه أنبأنا البيهقي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت
ابا نصر الطوسي يقول سمعت جعفر الخلدی يقول سمعت الجنيد يقول
قال رجل لسرى السقطي كيف انت فأنشأ يقول
من لم يبت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تفتت الالكباد
وبه أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر محمد بن محمد اسمعيل
قال سمعت ابا القاسم الشيرازي الواعظ قال سمعت ابادجانة يقول كانت
رابعة اذا غلب عليها حال الحب تقول

تمصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا (٣) محال في الفعال بديع

(١) هذه رواية مسلم

(٢) الانداد جمع ند بالكسر المثل والشريك

(٣) هذه رواية والرواية الأخرى هذا للمعري في القياس بديع وهذه أظهر

لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

(الحادي عشر) الايمان بوجوب الخوف (١) من الله عز وجل

لقوله تعالى (فلا تخافوهم و خافون ان كنتم مؤمنين) (فلا تخشوا الناس

واخشون) (واياي فارهبون) (وم من خشيته مشفقون) (ويدعون نار غياً

ورهباً وكانوا لنا خاشعين) (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (ولمن

خاف مقام ربه جنتان) (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) *

ولحديث عدى بن حاتم رضى الله عنه فى الصحيحين. اتقوا النار

ولو بشق تمره * ولحديث انس رضى الله عنه فيها * لو تعلمون ما

أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

وعاتب رجل بعض اخوانه على طول بكائه فبكى ثم قال:

بكيت على الذنوب لعظم جرمى * وحق لكل من يمضى البكاء

ولو كان البكاء يرد همى * لأسعدت الدموع معاً دماء

وكان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت

ولا خير فى عيش امرىء لم يكن له * من الله فى دار القرار نصيب

وسمع أبو الفتح البغدادي هاتفاً يهتف بالشونيزية

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر فى أى المحلين تنزل

فذهب عنه النوم

- ١ - آل عمران ١٧٥
- ٢ - المائدة ٤٤
- ٣ - البقرة ٤٠
- ٤ - الأنبياء ٢٨
- ٥ - الأنبياء ٩٠
- ٦ - الرعد ٢١
- ٧ - الرحمن ٤٦
- ٨ - إبراهيم ٦٤

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن غم يلحق من فوات نافع

أو حصول ضار. والرهب الخوف والحشية خوف مع تعظيم ولذلك خصت

بالعلماء فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)

(الثاني عشر) الايمان بوجوب الرجاء (١) من الله عز وجل لقوله تعالى (يرجون رحمته ويخافون عذابه) ان رحمة الله قريب من المحسنين) (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (ان الله لا يفر ان يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)

ولحديث أبي هريرة في الصحيحين. لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد. ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد * ولحديث جابر في صحيح مسلم، لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله * وحديث أبي هريرة في الصحيحين : يقول الله عز وجل انا (٢) عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، وذكر الحديث * انشد ابو عثمان سعيد بن اسماعيل

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وان ثوبك مفسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس
(الثالث عشر) الايمان بوجوب التوكل على الله عز

(١) الرجاء بالمد الامل وهو تعلق القلب بمرغوب في حصوله مع الاخذ في الاسباب. فان لم يأخذ في الاسباب فطمع وهو مذموم شرعاً ، قال الحافظ ابن الجوزي ان مثل الراجي مع الاصرار على المعصية ، كمثل من رجا حصاد وما زرع . وولدا وما نكح ، نسئل الله التوفيق
(٢) اعلم أن الذكر ليس قاصراً على ذكر اللسان فقط بل يعم الجوارح كلها فذكر اللسان بالثناء * وذكر العينين بالبكاء * وذكر اليدين بالمطاء . وذكر الاذنين بالاصغاء . وذكر البدن بالوفاء . وذكر القلب بالخوف والرجاء . وذكر الروح بالتسليم والرضا

١ - الاسراء ٥٧

٢ - الاعراف ٥٦

٣ - الزمر ٥٣

٤ - النساء ٤٨

وجل لقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (حسبنا الله ونعم الوكيل) (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره) *

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما في الصحيحين في سؤال أصحابه له عن السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب في حديث طويل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين لا يكتوون (١) ولا يسترقون (٢) ولا يتطيرون (٣) وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدى فقال أنا منهم يا رسول الله . فقال أنت

(١) أى يكتوى بالنار للمرض وقد جاء النهى عنه في أحاديث كثيرة قال ابن الاثير انما نهى عنه من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويرون انه يحرم الداء واذا لم يكن المعضو عطب وبطل ، فنهام اذا كان على هذا الوجه . وابعاه اذا جعل سبباً للشفاء لاعلة له . فان الله هو الذى يبرئه ويشفيه لا الكى والدواء وهذا أمر يكثر فيه شكوك الناس يقبلون لو شرب الدواء لم يمت ولو أقام ببلده لم يقتل وقيل غير ذلك

(٢) أى يستعملون الرقية وهى المودة التى يرقى بها صاحب الآفة وقد جاء في بعض الاحاديث جوازها ، وفي بعضها النهى ، وقد جمع بينهما ان الرقى يكره منها ما كان بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة . وان يعتقد انها نافعة لا محالة . فيتكل عليها . وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ما توكل من استرقى وما كان بخلاف ذلك لا يكره وقد أمر صلى الله عليه وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية . وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم

(٣) الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشئ وقد ورد النهى عنه فأعلمنا الشرع انه ليس له تأثير في جلب تقاع أو دفع ضرر .

منهم . ثم قام رجل آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها
عكاشة *وجملة التوكل (١) تفويض الأمر الى الله تعالى والثقة به مع
ما قدر له من التسبب، ففي الصحيحين أيضاً من حديث الزبير رضي الله
عنه لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على
ظهره فيبيعها فيستغني بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه
وفي صحيح البخاري من حديث المقدم بن معدى كرب رضي الله
عنه ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه (٢) قال
وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه وبه أنبأنا البيهقي قال أنبأنا
أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني جعفر بن محمد بن نصير قال حدثني
الجنيد قال سمعت السري يذم الجلوس في مسجد الجامع ويقول جعلوا
مسجد الجامع حوانيت ليس لها أبواب . وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن
أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال دينك لمادك، ودرهمك لمعاشك
ولاخير في أمرىء بلادهم * وبه أنبأنا البيهقي قال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ
قال جعفر بن محمد الخواص قال أنبأنا ابراهيم بن نصر النصورى قال
سمعت ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن آدم قال سمعت أبا علي الفضيل
ابن عياض يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبُخل ونراك

(١) التوكل عمل القلب فلا يتنافى حركة الجوارح خلافاً لقوم ما فهموا معنى
التوكل وزعموا أنه ترك الكسب وتمطيل للجوارح عن العمل . وللاحفاظ
ابن الجوزى كلام تقيس في التوكل ذكر في كتاب تلبس إبليس فعملك به فانه
انفس كتاب يقتنى . وقد طبعناه حديثاً
(٢) وفي رواية بالافراد أى يده

تأتى بالبضائع من بلاد خراسان الى البلد الحرام . كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا فقال ابن المبارك يا أبا علي أنا افعل ذا لأصون بها وجهي واکرم بها عرضي . وأستمين بها على طاعة ربي . لا أرى لله حقاً الا سارعت اليه حتى أقوم به فقال له الفضيل يا ابن المبارك ما أحسن ذا ان تم ذا

(الاربعة عشر) الايمان بوجوب محبة (١) النبي صلى الله عليه وسلم لحديث انس المتفق على صحته . لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين *

ولحديث انس في الصحيحين . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما الحديث * ولحديثه فيها أيضاً قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة الا اني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت *

(الخامس عشر) الايمان بوجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى (وتعزروه وتوقروه) وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) والتعزير ههنا التعظيم * وقوله

(١) قال القاضي عياض اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته . والالم يكن صادقاً في حبه وكان مديعاً ، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وأفعاله وامتنال أوامره واجتناب نواهيه والتأديب بأدابه في عسره ويسره ونشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) ما

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أى لا تقولوا له يا محمد يا أبا القاسم بل يا رسول الله يأنى الله. ولقوله (لا تقدموا (١) بين يدي الله ورسوله) * وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الايات وبه قال البيهقي وهذه منزلة فوق منزلة المحبة اذ ليس كل محب معظماً. كمحبة الأب لولده والسيد لمبده من غير تعظيم بخلاف العكس

(السالس عشر) (٢) شح المرء بدينه حتى يكون

القذف في النار أحب اليه من الكفر * لحديث انس المتفق عليه. ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ثم قال وان يكره أن يلتقى في النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه *

ولحديث أيضاً في صحيح مسلم. ان رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال اسلموا فوالله ان محمداً ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفاقة * وان كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ما يريد الا الدنيا. فما عسى حتى يكون دينه أحب اليه وأعز من الدنيا بما فيها

(السالس عشر) طلب العلم وهو معرفة البارى تعالى. وما

جاء من عند الله وعلم النبوة وما يميز به النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره

(١) قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا وقوله (لا ترفعوا أصواتكم) ، قال : أبو محمد مكى أى لا تسابقوه بالكلام وتفلظوا له بالخطاب ،

(٢) أى تمسكه بدينه وشدة حرصه عليه

١ - النور ٦٣

٢ - الحجرات ١

٣ - الحجرات ٢

وعلم أحكام واقضية . ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة
والقياس . وشروط الاجتهاد

والقرآن والحديث مشحونان بفضيلة العلم والعلماء . قال الله تعالى
(انما يخشى الله من عباده العلماء) (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
وأولو العلم قائماً بالقسط) (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيماً) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) (هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (انما يتذكر أولو الألباب)
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . ان
الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض
العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا
بغير علم فضلوا وأضلوا

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة * من نفس عن مؤمن
كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن
يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ستره
الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة . وما
اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه
بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة . وغشيتهم الرحمة
وذكرم الله فيمن عنده ، ومن بطاء به عمله لم يسرع به نسبه

- ١ - فاطر ٢٨
- ٢ - آل عمران ١٨
- ٣ - النساء ١١٢
- ٤ - المجادلة ١١
- ٥ - الزمر ٩
- ٦ - الرعد ١٩

(الثامن عشر) نشر العلم لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)
ولحديث أبي بكر في الصحيحين انه قال في خطبته بني الا ليلفن
الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه
* وحديث أبي هريرة في سنن أبي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله
بلجام من النار يوم القيامة *

وروى البيهقي باسناد عن الامام عمر بن عبد العزيز الاموى انه
قال من لم يقل كلامه عن علمه كثرت خطاياها ومن عمل بغير علم كان
ما يفسد أكثر مما يصلح * وعن الحارث المحاسبى العلم يورث الخشية
والزهد يورث الراحة . والمعرفة تورث الأناة * وعن ابن سعدان من
عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية
ومن عمل بعلم الرعاية هدى الى سبيل الحق *

وعن مالك بن دينار اذا طلب العبد العلم ليعمل به كسره (١) علمه
واذا طلبه لغير العمل زاده كبرا * وعن معروف الكرخى اذا اراد الله
بعبد خيرا فتح عليه باب العمل واغلق عليه باب الجدل . واذا اراد الله
بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل * وعن أبي
بكر الوراق من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقهاء تزدق .
ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون
الزهد والورع تفسق . ومن تفنن في الأمور كلها تخلص .

(١) ي لينه وهذبه وزاده تواضعا

وعن الحسن البصرى رحمه الله . أنه مر عليه رجل فقيل هذا فقيه
فقال او تدرؤن من الفقيه انما الفقيه العالم فى دينه الزاهد فى دنياه القائم
على عبادة ربه * وعن مالك بن دينار قال قرأت فى التوراة ان العالم اذا
لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر (١) عن الصفا .
وأشد عن أبى بكر بن أبى داود لنفسه

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء
وعن أبى عثمان الحيرى الزاهد

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طيب يداوى والطيب مريض
نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ونعوذ بجلال وجهه من الخذلان
والحرص والأمل

(التامع عشرين) تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه .
وحفظ حدوده وأحكامه . وعلم حلاله وحرامه . وتبجيل أهله وحفاظه .
واستشفارها بهيج الى البكاء من مواعيد الله ووعيده . قال الله تعالى
(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله) .
وقال (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل
من رب العالمين) * وقال (ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلف به الموتى بل لله الأمر جميعاً) ،

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن عثمان بن

(١) القطر بفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة والصفا جمع صفاة
وهى الصخرة والحجر الأملس * فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تكن
ممن علم ولم يعمل

١ - الحشر ٢١

٢ - الواقعة ٧٧ - ٨٠

٣ - الرعد ٢١

عفان رضى الله عنه افضلكم أو خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وقال فيما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعري . تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الأبل فى عقلها ، وقال فيمارويه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . لا حسد (١) الا فى اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به أثناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به أثناء الليل والنهار

وقال فيمارواه مسلم عن عمر رضى الله عنه * ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين ،

(العشرون) الطهارات (٢) لقوله تعالى (إذا قمتم الى الصلاة فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) الآية

ولحديث أبى مالك الأشعري رضى الله عنه فى صحيح مسلم * الطهور شرط الايمان والحمد لله تملأ الميزان . وسبحان الله والله أكبر تملآن أو تملأ ما بين السماء والارض والصلوة نور . والصدقة برهان . والصبر ضياء . والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى مسلم أيضاً * لا يقبل الله عز وجل صلوة بغير طهور ولا صدقة من غُلُول (٣) *

(١) أى ليس حسد لا يضر الا الخ وهو المسمى غبطة وهى أن يتمنى أن يكون له مثاها ولا يتمنى زوالها عنه

(٢) جمع طهارة وهى مصدر جمعها باعتبار أنواعها

(٣) الغل الخيانة فى المنعم . والسرقة من الغنيمة قبل القسمة . وقد براد به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء

ولحديث حسن عن أبي كبشة السلونى عن ثوبان رضى الله عنه * استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلوة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن * روى الحليمى عن يحيى بن آدم فى قوله * الطهور شرط الايمان * لأن الله تعالى سى الصلوة ايمانا فقال (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلوتكم الى بيت المقدس ولا يجوز الصلوة الا بالوضوء فهما شيثان . كل واحد منهما نصف الاخر .

(الحادى والعشرون) الصلوات الخمس لقوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلوتكم وقوله (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) وقوله (إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ولحديث جابر رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك (١) الصلوة *

(١) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تاركي الصلوة من الدين وعدم اتصافهم به * وانظر الى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلوة ولا أظن أنه كسل منهم . بل اعتقاد أنها ليست من الدين * وربما سخروا من فاعليها وهزؤا به ، ولا سيما من تخرج من المدارس العالية . ودرس كتب الطبيعة ومذهب الماديين فانه أشد سخطا . وأسرع تجاهراً بعداوته . واللوم كله فى ذلك يرجع الى علماء الدين وأئمتهم . لانهم لو تقربوا الى الأمراء وبيّنوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلوة من المفساد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية . بدليل قوله تعالى (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وطلبوا المساعدة منهم ، لأخذوا بيدهم وأطابوهم على مطلبهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بارسال خطباء ووظاى الى البلاد والقرى يرشدون الناس الى ذلك . ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره . ويلقنونهم العقائد الصحيحة . والمسائل الراجحة . والدلائل

وحدث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ، قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الاعمال أحب الى الله ، قال الصلوة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال * بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله ، قال وحدثني بهن ولو استزدته لزداني *

وحدث ابن عمر فيهما * صلوة الجماعة أفضل من صلوة الفرد (١) بسبع وعشرين درجة *

وحدث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ما من امرئ مسلم تحضره صلوة مكتوبة فيحسن وضوؤها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله ،

وبه قال البيهقي وليس فى العبادات بعد الايمان بالله الرفع للكفر عبادة جل وعلا (٢) ايمانا . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تركها كفرا الا الصلوة

(الثانى والعشرون) الزكاة ، لقوله تعالى (وما أمروا الا

ليمبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك

الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معاملته . لكنهم تساهلوا . وعن الأمم أعرضوا ، والى الوظائف والمرتبات جنحوا ، والى الذين ظلموا ركنوا . أنى يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة

(١) الفرد المنفرد

(٢) هكذا الاصل والتركيب غير منتظم والصواب أجل وأعل ايمانا

سمى الخ

دين القيمة) وقوله تعالى (والذين يكتزون (١) الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقوله (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما في الصحيحين ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم * انك تأتى قوماً اهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله فان هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فان هم أجابوك لذلك . فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم .

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائرهما الدالة على توبيخ مانى الزكاة وتقريره وتعذيبه العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة في ذلك مما يحمل الانسان على إخراج زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقها لانها تربي المال وتزيده حسا ومعنى كما هو مشاهد لخروجها من حفظ مالهم من الآفات وعدم تضييعه في المهلكات

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ وقعة . أو يحجر إسلام وإيمان، أو يفيد بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان، واستبطنهم، فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع ، والاطراف ، ثم أفضى الى الانحياض والاصحاخ ، ثم ارتقع حتى باض وفرخ ، فغشام تغافا وشقافا، وأشعرم خروجا وخلافا أخذوه قائدا يطعمونه ودليلا يتبعونه ومؤامرا يستشيرونه ، متى الى الكتاب والسنة يرجعون وبآثار السلف يقتدون. انا لله وإنا اليه راجعون

فان هم أجابوك لذلك فايك وكرائم أموالهم . وإياك ودعوة المظلوم .
فانه ليس بينها وبين الله حجاب ،

وحديث أبي هريرة في صحيح البخارى * من آتاه الله مالا فلم
يؤد ذكاته مثل ماله يوم القيامة شجاعاً (١) اقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ، ثم يقول أنا مالك أنا كزك
ثم تلا هذه الآية (ولا تحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيبراً لهم بل هو شر لهم سيطر وقون ما بخلوا به يوم القيامة)

(الثالث والعشرون) الصيام لقوله تعالى (كتب عليكم

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) ...

ولحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين بنى الاسلام
على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله . وأقام
الصلاة وأيتاء الزكاة . وصوم رمضان وحج البيت *

وحديث أبي هريرة فيهما كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر
أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل . الا الصوم فانه لى وأنا
أجزى به يدع طعامه وشهوته من أجلي * للصائم فرحتان فرحة عند
فطره وفرحة عند لقاء ربه * واخلوف (٢) فم الصائم أطيب عند الله من
ريح المسك * الصوم جنة

(١) الشجاع بالضم والكسر الحية الذكر وقيل مطلقاً والاقرع الذى

لا شعر على رأسه لكثرة سحبه وطول عمره

(٢) الخلوف بالضم تغير ريح الفم

(الرابع والعشرون) الاعتكاف (١) لقوله تعالى
(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والماكفين
والركع السجود) ..

ولحديث عائشة في الصحيحين، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه
من بعده * ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من اعتكف
فواق (٢) ناقة فكأنما اعتق نسمة أو رقبة

(الخامس والعشرون) الحج (٣) لقوله تعالى (والله على

(١) الاعتكاف لغة لزوم الشيء وحفظ النفس عليها وشرط البت في
المسجد على هيئة مخصوصة وهذه السنة قد أضعافها المسلمون ولم توجد الا في
باطن الكتب حتى المنتشرون والمنتسبون الى السنة مع ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم داوم عليها حتى توفاه الله . اللهم اهد علمائنا واصلح حالهم ووقفهم
للعمل بالسنة

(٢) الفواق بضم الفاء وفتحها وهو ما بين الحلبتين من الراحة

(٣) الحج قصد بيت الله الحرام لايقاع العبادة المخصوصة فيه من طواف
وسمى ووقوف بعرفة . وهو من أم أركان الاسلام وهو لايجب الاعلى
المستطيع وقد تناسى الآن وترك . فحملوا كعبتهم أوروبا يقصدونها لأخذ
علوم الفلسفة والطبيعة وعلوم الجدل وفنون الفس وأتباع المكر والخداع
ويؤلفون المذاهب المنافية لروح الاسلام ومدنيته ، ويأتون ساخطين على
الدين وأهله ويمسبون على من تمسك بقواعد الدين الحنيف ، وينتمون على
عادات أقاربهم وأهاليهم . من صلاة وصيام وهذا ما جلبته أوروبا علينا
بخيلها ورجلها : وهم يدعون أنهم وطنيون لا وقطع الله الوطنية التي تؤدي
الى ازدياد الدين وتقويض دعامته ومحاربة أهله . ومجانبة أم أركانه

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) وقوله (واذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقوله (وأتوا الحج والعمرة لله)

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين ، بُني الإسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)

وحديث عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم ، قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا محمد ما الإسلام قال ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله . وان تقيم الصلاة . وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتعتصم وتغتسل من الجنابة ، وتم الوضوء ، وتصوم رمضان ، قال فان فعلت هذا فأنا مسلم قال نعم ، قال صدقت . فذكر الحديث *

وروى عن أبي امامة الباهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يجبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانياً

(الساس والعشرون) الجهاد (١) لقوله تعالى

(وجاهدوا في الله حق جهاده) ، (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ، (قاتلو الذين يلوتكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) ،

(١) الكلام على الجهاد وما يليه بطول والزم من قصير والوقت حرج

نسأل الله الثبات

١ - آل عمران ٩٧

٢ - الحج ٢٧

٣ - البقرة ١٩٦

٤ - الحج ٧٨

٥ - المائدة ٥٤

٦ - التوبة ١٢٢

(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال)

* ولحديث أبي هريرة في الصحيحين ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل ، قال الايمان بالله ورسوله . فقيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا قال حج مبرور *
* وحديث عبد الله بن أبى أوفى فى صحيح البخارى ، لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ،

(السابع والعشرون) المرابطة (١) فى سبيل الله عز وجل لقوله تعالى ، (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)

* ولحديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه فى صحيح البخارى . رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، وموضع

لكن لا بأس من ان تتكلم على حقيقته . فنقول الجهاد لغة المشقة وشرعاً الجهد فى قتال المعتدين على الدين ومجاهدة النفس والشيطان والفساق ، فمجاهدة الممتدين معلومة ومجاهدة الفساق فباليد . ثم اللسان . ثم القلب * ومجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتى به من الشبهات . وما يزينه من الشهوات . قال ابن دقيق العيد القياس يقتضى ان يكون الجهاد افضل الاعمال التى هى وسائل لان الجهاد وسيلة الى اعلان الدين ونشره واتحاد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك (١) المرابطة الملازمة فى نحو العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء الى بلاد المسلمين

١ - الأنفال ٦٥
٢ - آل عمران ٢٠٠

سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها (١)
والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد
من الصلوة، لان المرابط يقيم في وجه العدو مثل قيامه مستعداً له (٢)
(الثامن والعشرون) الثبات للعدو أو ترك الفرار من
الزحف لقوله تعالى (واذا لقيتم فئة فاثبتوا)، (اذا لقيتم (٣) الذين
كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا

(١) هذا قطعة من الحديث وتامه والروحة يروحها العبد في سبيل الله
والغدوة خير من الدنيا وما عليها، وفائدة العدول عن قوله وما فيها هو أن
معنى الاستلاء أعم من الظرفية وأقوى فقصده زيادة المبالغة
(٢) وبيان التعليل ان المرابط يقيم في وجه العدو متأهباً مستعداً حتى اذا
أحس من العدو بمحركة أو عمل نهض فلا يفوته بالتأهب والاثيان من بُعد فرسه
كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعداً، فاذا دخل الوقت وحضر
الامام قام الى الصلاة ولم يشغله عن اتيان المساجد شاغل . ولا حال بينه وبين
الصلاة مع الامام حائل ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف كما لا يخفى
(٣) ومعنى الآية فاذا لقيتم أيها المؤمنون الذين كفروا واعتدوا
وخرجوا عليكم زاحفين وماشين لقتالكم . ومتوجهين لمحاربتكم . فلا تدبروا .
بل اثبتوا واصبروا واعتمدوا على ربكم ومن يدبر يوم اللقاء ووقته فضلا عن
الفرار فقد باء أي رجع بفضب عظيم من الله تعالى ومأواه الذي يزعم انه
ينجيه من القتل جهنم وبئس المصير ، الا اذا أدبر تاركاً موقعه الى موقف
أصلح للقتال منه، أو متوجها الى قتال طائفة أخرى، أو منحازاً الى جماعة أخرى
من المؤمنين ومنضا اليهم وملحقاً بهم ليقاتل معهم العدو فلا شئ عليه . ولا
يدخل في هذا الوعيد . ولا يخفى ما في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي
هو التولية مقروناً بذكر المأوى والمصير من الجزالة التي لا مزيد عليها

لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) (يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) الآية

* ولحديث عبد الله بن أبي أوفى في صحيح البخارى ، لاتمنوا لقاء العدو واستلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فابثتوا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف -

(التاسع والعشرون) اداء الخمس من المغنم الى الامام وعماله على الغنائم لقوله (واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسة) الى قوله (ان كنتم امنتم بالله وما أنزلنا) الآية وقوله (وما كان لنبي ان يغلب ومن يغلب يأت بما غلب يوم القيامة)

* ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين عن وفد عبد القيس ، أمركم باربج وأنها كم عن أربع . أمركم بالايان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله . قالوا الله ورسوله اعلم . قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . وأقام الصلوة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت . وان تعطوا من المغنم الخمس وانها كم عن الحنتم (١) والدباء والنقير والمزفت قال احفظوهن وأخبروا بهن من ورائكم

(١) الحنتم جرار مدهونة كانت تحمل الحرفيها الى المدينة * والدباء القرع واحدها دباءة * والنقير أصل النخل ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر والمزفت اناه يطل بالزفت وهو نوع من القارثم ينبذ فيه

وهذا النهى كان في أول الاسلام ثم نسخ لما أخرجه مسلم وغيره من حديث بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن

(الثلاثون) العتق بوجه التقرب الى الله عز وجل به لقوله تعالى (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة (١) * ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيحين، من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه (٢)

(الحادى والثلاثون) الكفارات (٣) الواجبات بالجنايات وهى بالكتاب والسنة أربع كفارات كفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المسيس فى صوم رمضان، وبما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها أما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب الى الله يعنى أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب

(الثانى و الثلاثون) * الايفاء بالعقود لقوله تعالى (أوفوا بالعقود). وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى ما أحل وما حرم وما فرض وما وجد فى القرآن * وقوله (يوفون بالندى)، (وليوفوا

الاشربة الا فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وطاء غير أن لا تشربوا مسكراً وفى الباب أحاديث مصرحة بنسخ ما قد كان وقع منه صلى الله عليه وسلم وذهب قوم الى بقاء الحظر فيها وبه قال مالك واحمد

(١) قال المصنف قوله فلا اقتحم العقبة . كلام انكار واستبطاء وهو كقوله فهلا اقتحم العقبة . أى هلا عمل ما يسهل عليه اقتحامها . أى من عتق الرقبة وعمل البر

(٢) هذه رواية مسلم

(٣) جمع كفارة وهى الخصلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها وتمحوها. وتختلف باختلاف متعلقها

نذورهم) ، (ومنهم من عاهد الله) ، (وأوفوا بعهديم إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها)

* ولحديث عبد الله بن مسعود * في صحيح البخارى اكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ،

* وحديث عبد الله بن عمر في الصحيحين . أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها * اذا حدث كذب * واذا عاهد غدر * واذا وعد اخلف * واذا خاصم فجر *

* وحديث عبد الله بن عامر الجهني في صحيح مسلم ان أحق الشروط أن يوفى به ما استحلتم به الفروج ،

(الثالث والثلاثون) تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها لقوله تعالى قل الحمد لله (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (وأما بنعمة ربك فحدث) ، (فأذكروني أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون) ، وغير ذلك مما من الله تعالى على عباده وذكركم بها في كتابه ،

* ولحديث أبي رضى الله عنه في صحيح البخارى . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك أموت وأحيى وإذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى . واليه النشور ،

* وحديث صهيب رضى الله عنه في صحيح مسلم عجبا لامر المؤمن

ان أمره كله خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء
شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له

* وبه قال البيهقي . قال أنا الحافظ أبو عبد الله . قال أنشدني عبد
الله بن أبي ذهل . قال انشد أبو الحسن الكندي القاضي

اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم
* قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يوسف
القزويني قال سمعت أبا بكر أحمد بن اسحاق . قال سمعت البراء أو المرء
يقول ، الشكر نعمة ، والشكر على النعم نعمة الى ان لا يتناهى الشكر
الى قرار

وقد قال الامام الشافعي رحمه الله في أول كتاب الرسالة ، الحمد لله
الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدى
ذلك الشكر *

أنبا أبو القاسم أنبا أحمد بن سليمان أنا ابن أبي الدنيا الخ

وبه أنا البيهقي . قال فأنشدنا محمود الوراق

ان كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف يصح الشكر الا بفضله * وان طالت الأيام واتصل العمر
اذا مس بالسرء عم سرورها * اذا مس بالضرء اعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه منة * يضيق بها الأوهام والبر والبحر
وأخبرنا من غير رواية البيهقي جماعة يتبين

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على لي في مثلها يجب الشكر

فألى عذر غير انى مقصر * وعذر أى بأن ليس لى عذر (١)
* (الابوع والثلاثون) ، حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه
ويدخل فيه الكذب (٢) والغبية والنميمة والفحش اذا القرآن والسنة
مشحونان بذلك كقوله تعالى والصادقين والصادقات * اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين * ولا تقف ما ليس لك به علم * فمن أظلم ممن
كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه (والذى جاء بالصدق وصدق به
أولئك هم المتقون) الآية * (ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون متاع فى الدنيا) ،

(١) أى وعذرى فى ذلك . ليس لى عذر .

(٢) قال البيهقى وللکذب مراتب . فاعلاها فى القبح والتحریم الکذب
على الله عز وجل . ثم على نبیه صلى الله عليه وآله وسلم ثم کذب المرء على
عینه وعلى لسانه وسائر جوارحه . وكذبه على والديه ثم کذبه على الاقرب
فالاقرب من المسلمين ، وأغلظ ذلك كله ما يضر به أحداً فى نفسه وماله وأهله
أو ولده . ثم الکذب الموبق باليمين أغلظ من الکذب المنجرد عن اليمين
ويتلو الکذب فى الكراهة الملق والافراط فى مدح الرجل وأقبح من ذلك
ما كان فى وجهه ويتلوه الخوض فيما لا یمنى ولا يرجع الى الخائض فيه منه
تقع ولا یمود عليه من السکوت ضرر ، ويتلوه هذه كثرة الكلام واطالته مع
الاكتفاء ببعضه وترديده وتكريره مع الاستغناء بالمررة الواحدة منه اه * وقد
وردت أحاديث كثيرة فى قبح الکذب . وأنه مجانب للإيمان ، وأكثر ما یکره
فى السوق والتجار . روى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، ان التجار هم الفجار . قالوا یا رسول
الله اليس قد اهل الله البيع ، قال بلى ولكنهم یخلفون فيما عموهم ويحدون فيکذبون

* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ان
الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقاً ، وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور
يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً *

* وحديث سهل بن سعد رضى الله عنه في صحيح مسلم (١) من
يضمن لى مابين لحبيه ومايين نخذه أضمن له الجنة * وحديث أبى
شريح الخزاعى فيه (٢) أيضاً (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل
خيراً أو ليصمت)

* (الخامس والثلاثون) ، الامانات ، وما يجب فيها
من اداءها الى أهلها * لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات
الى أهلها) . وقوله تعالى (فليؤد الذى أئتمن أمانته)

(١) الصواب فى صحيح البخارى والضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية
فاطلق وأريد لازمه وهو اداء الحق الذى عليه ، قال فى الفتح والمعنى من
أدى الحق الذى على لسانه من النطق بما يجب عليه . أو الصمت عمالاً يعنيه
وأدى الحق الذى على فرجه من وضعه فى الحلال وكفه عن الحرام اه
ولحبيه هما العظمان اللذان فى جانبي النعم . والمراد بما بينهما اللسان وما
يتأتى به النطق ، وما بين الفخذين الفرج . فالحديث دل على ان أعظم البلاء على
المرء فى الدنيا لسانه وفرجه فن وقى شرهما وقى أعظم الشر . ولذلك ورد فى
صحيح البخارى عن أبى هريرة يرفعه ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها
يزل بها فى النار بعد ما بين المشرق * وفى رواية لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى
جهنم * وفى الباب أحاديث كثيرة المقام لا يسعها نرجو الله العافية
(٢) صوابه . أيضاً فى الصحيحين .

* ولحديث أبي هريرة اذ الامانة (١) الى من أئتمنك ، ولائحن من خانك * ولحديث في الصحيحين ، ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم . اذا حدث كذب . واذا وعد أخلف . واذا ائتمن خان .

* (السلاس و الثلاثون) ، تحريم قتل النفوس والجنائيات عليها لقوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالد فيها وغضب الله عليه) الآية

* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين قتل المسلم كفر (٢) وسبابه فسوق .

(١) الامانة تأتي بمعاني كثيرة منها الطاعة والمباة والوديعة والثقة والامان ولا مانع من ارادة الجميع هنا ، وقد عظم الشارع أمر الامانة ووردت أحاديث كثيرة في هذا الباب ، منها ما رواه الطبراني عن ابن عمر . لا ايمان لمن لا أمانة له والبرار ، لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له وقوله ولائحن من خانك فيه اشارة الى مزايا هذا الدين وبيان لطائفه وهوان الانسان لا يقابل من أساء اليه بالمثل بل يعفو ويصفح ويتناسى ذلك (٢) الحديث فيه تقديم وتأخير وما في صحيح البخارى ومسلم هكذا سباب المسلم فسوق . وقتاله كفر ، والسباب بكسر السين وفتح الباء بمعنى السب وهو الشتم والتكلم في عرض الانسان بما يميمه . والفسق الفجور والخروج عن الحق . والتكلم لامر الله تعالى . والقتال المقاتلة والمخاصمة . والكفر كفران النعم . لا الخروج عن الملة والدين . لان الاجماع من أهل السنة منعقد على ان المؤمن لا يكفر بالقتال ولا بفعل ممصية اخرى غير الشرك واستحلال المحرم المعلوم بالضرورة من الدين ، وانما اطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير .

* وحديثه في صحيح البخارى ، أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة
في الدماء (١) ،

* ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما في الصحيحين لا يزال المسلم
في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً

* (السابع والثلاثون) تحريم الفروج وما يجب فيها من
التعفف لقوله تعالى (ويحفظن فروجهن) ، (والذين هم لفروجهم
حافظون) * (ولا تقربوا الزنا (٢) انه كان فاحشة وساء سبيلاً)

(١) يعنى أن أول القضايا القضاء في الدماء . أو أول ما يقضى فيه الامر
الكائن في الدماء ، وهذا لا يعارض ما رواه أبو هريرة مرفوعاً ان أول ما
يحاسب به المبد يوم القيامة صلته * لان الاول يحول على ما يتعلق بمعاملات
الخلق والثانى فيما يتعلق بعبادة الخالق، وفي الحديث تعظيم أمر الدم لان البداءة
انما تكون بالامم ، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتقويت المصلحة .
واعدام البنية الانسانية غاية في ذلك

(٢) ويدخل تحت النهى من يأتي الغلمان ويعمل عمل قوم لوط ، ويدل له
ما رواه البيهقي بسنده عن ابن عباس مرفوعاً في حديث طويل . قال ولعن الله
من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات * وبسند آخر عن جابر بن عبد الله مرفوعاً
ان من أخوف ما أخاف على أمتى أو على هذه الامة عمل قوم لوط وبسند
آخر عن ابن عباس مرفوعاً يقتل الفاعل والمفعول به . قال عطاء وابن المسيب
أى يحدان حد الزانى . وقد لاط رجل في زمن أبي بكر الصديق رضى
الله عنه فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على
ابن أبي طالب فقال لهم هذا الذنب لم يعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم
ما قد علمتم أرى أن منحرقه بالنار فاجتمع رأى الصحابة على احراقه بالنار فأمر

* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين ، لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن (١) ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن . ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المؤمنون اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .
* (الثامن و الثلاثون) ، قبض اليد عن الاموال

به وأحرق وقد أمر بذلك أيضاً ابن الزبير وهشام بن عبد الملك وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الامرد يقعد اليه * وقد انتشرت هذه البدعة الشنيعة وعم فسادها . ولذلك وقع الخسف والقحط وعم البلاء . وارتفعت الرحمة والبركة . هلا من نذير * غفرانك ربنا واليك المصير

(١) قال . النووى هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه . فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذه من الالفاظ التى تطلق على نفي الشئ ويراد نفي كماله كما يقال لا علم الا مانع . ولا عيش الا عيش الآخرة ، وانما تأولناه على ما ذكرنا لحديث أبي ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان مرق . وحديث عبادة بن الصامت انهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزفوا الى آخره . ثم قال لهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن فعل شيئاً ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه . فهذان الحديثان مع نظرهما فى الصحيح . مع قول الله تعالى (ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) مع اجماع أهل الحق على ان الزانى والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك انتهى المقصود منه ببعض تصرف

ويدخل فيها تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وأكل مالا يستحقه شرعاً (١) لقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الى قوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) (ويل للمطففين). (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزونا بالقسطاس المستقيم)

* ولحديث عبد الرحمن بن أبي بكر في الصحيحين عن أبيه رضی الله عنهما . قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فقال * ان دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . الحديث ،

* (التاسع و الثلاثون) ؛ وجوب التورع في الطعام والشارب والاجتناب عما لا يحل منها لقوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أهِلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ) الآية ، (قل لأجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) ، (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) الآيات ،

(١) اعلم أن الله تعالى حرم دفع المال الى الحكام ليأخذ بحكمه مالا يستحقه آنماً بأخذه طالما بالابطال من نفسه فقال (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) الآية ، وقال في الاخذ باليمين الفاجرة (ان الذين يشترون بمهد الله) الآية وقال في ذم اليهود (وأخذم الربا وقد نهوا عنه) وعظم أمر التطفيف فقال (ويل للمطففين) الآية وقال (أوفوا الكيل) وقال في السرقة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) الآية وقال في المحاربة (انما جزاء الذين يحاربون الله) الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل

- ١ - البقرة ١٨٨
- ٢ - النساء ١٦٠
- ٣ - النساء ١٦١
- ٤ - المطففين ١
- ٥ - الاسراء ٣٥
- ٦ - المائدة ٣
- ٧ - الأنعام ١٤٥
- ٨ - المائدة ٩٠

(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير) الآية فثبت فيها الاثم
وقال في آية أخرى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبنى بغير حق) فحرم الاثم نصا . ويقال ان الاثم اسم من
اسماء الخمر وينشده

* شربت الاثم حتى ضل عقلي * كذاك الاثم يذهب بالمقول *
ولحديث عائشة رضی الله عنها في الصحيحين سئل رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن البتغ (١) فقال كل شراب أسكر فهو حرام
* وحديث ابن عمر رضی الله عنهما في صحيح مسلم كل مسكر
حرام وكل خمر حرام * وحديثه في الصحيحين من شرب الخمر في الدنيا
ثم لم يتب منها حرما في الآخرة

* وحديث أبي هريرة رضی الله عنه فيهما أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة أسرى به بإيلياء بقدحين خمر ولين فنظر إليهما ثم أخذ
اللبن فقال له جبريل عليه السلام . الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لو أخذنا
الخر لنفوت أمتك

* ولحديث فيهما ولا يشرب الخمر الشارب حين يشربها وهو مؤمن
الحديث * وبه أنا البيهقي باسناده عن الحسن قال جاء رجل بنيذ الى
أحب خلق الله اليه حتى أفسده (٢) يعني العقل * وقيل لبعض العرب

(١) البتغ بكسر فسكون وقد تحرك التاء بنيذ المسمل وهو خمر أهل اليمن
(٢) وقال عباد لو كان العقل علما يشتري لتغالى الناس في شرائه فالمجب
من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم . وقال بعضهم

لا تشرب النبيذ فقال والله ما ارضى عقلي صحيحا فكيف ادخل اليه ما يفسده * وعن الحكم بن هشام أنه قال لابن له يابني اياك والنبيذ . فانه قى ، فى شذقك . وسلح على عقبك ، وحد فى ظهرك ، وتكون ضحكة للصبيان وأسير اللديان * وعن بعض الحكماء انه قال لابنه يابني ما يدعوك الى النبيذ قال يهضم طعامى قال والله بنى هو لديك اهضم * وعن عبد الله بن ادريس

كل شراب مسكر كثيره * من تمره أو عنب عصيره
وأنه محرم يسيره * انى لكم من شره نذيره
وعن أبى بكر بن أبى الدنيا انشده أبواه
واذ النبيذ على النبيذ شربته * ازرى بدينك مع ذهاب الدرهم
وانشدنا الحسين بن عبد الرحمن .

ارى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
اذا جثتهم حيوك الفا ورحبوا * وان غبت عنهم ساعة فذميم
اخام (١) اذا مادارت الكأس بينهم * وكلهم رث الوصال سوّم
فهذا ثنائى لم اقل بجهالة * ولكن بحال الفاسقين علم
(فصل) فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

تركت النبيذ لأهل النبيذ ذ وصرت حليفا لمن طابه
شرابا يدنس عرض الفتى ويفتح للشر أبواه
(١) هكذا الاصل ولعله معمول لفعل محذوف تقديره يروك والاولى
الرفع فيكون مرفوعاً على الخبرية

يا أيها الناس ان الله طيب (١) لا يقبل الاطيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين (فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) وقال (يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم * ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فاني يستجاب له وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير، ان الحلال (١) بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فن اتق

(١) الطيب هنا معناه الطاهر أى ان الله تعالى مقدس منزّه عن النقائص والعيوب كلها لا يقبل من الاعمال الا ما كان طيباً طاهراً من المنفسات والخبائث كلها كالربا والمعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا ، وقد بين المولى جل وعلا ان الرسل واممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح . وذكر الدماء بعد ذلك بيان لاستبعاد قبول الاعمال مع التغذية بالحرام * وللعلماء فيمن صلى في ثوب حرام أو حج بمال حرام هل يسقط فرض الصلاة والحج بذلك أم لا قولان . وهذا يدل على انه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام والله أعلم

(١) الشارع ان نص على طلب الشيء مع الوعيد على تركه فالحلال البين وان نص على تركه مع الوعيد على فعله فالحرام البين . وان لم ينص على واحد منهما فالمشبه ، وينبغي اجتنابه ، والمعنى ان الحلال المحض بين لا اشتباه فيه وكذلك الحرام المحض ولكن بين الامرين أمور تشبهه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم من الحرام . وأما الراسخون في السلم فلا يشبهه عليهم ذلك * ومن أراد تحقيق ذلك وأمثلة كل فعلية بكتاب كشف الشبهات عن المشتبهات للامام الشوكاني وقد طبعناه حديثاً

الشبهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الاوان لكل ملك حمى وحمى الله في الارض محارمه

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ، اني لانتقله الى اهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشى أوفى بيتى فأرفعها لآكلها ثم اخشي ان تكون من الصدقة فالتقيها

وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج . وكان ابو بكر ياكل من خراجه فجاء يوما بشيء فاكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام اندرى ما هذا فقال أبو بكر رضى الله عنه وما هو قال تكهنت (١) لانسان فى الجاهلية وما أحسن الكهانة الا انى خدعته فلقينى فأعطانى بذلك . فهذا الذى اكلت منه قالت فأدخل ابو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه

وعن زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . شرب لبنا فاعجبه فقال للذى سقاه من أين لك هذا اللبن فاخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نم من نم الصدقة وعم يسقون فخلبوه لى من البانها فجعلته فى سقائى وهو هذا فأدخل عمر يده فاستقاه * وعن على رضى الله عنه فى طيب مطعمه أنه كان يجاء بخبزه فى جراب من المدينة

* أنبأنا البيهقى باسناده عن بشر بن الحارث قال قال يوسف

(١) الكاهن الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان . ويدعى معرفة الاسرار . والمرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً . كالنجم والطبيب . وقد كان فى الرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما

ابن اسباط اذا تعبد الشاب ، يقول إبليس انظروا من أين مطعمه فان كان مطعمه مطعم سوء ، قال دعوه لاتشتغلوا به . دعوه يجتهد ويتمتع وقد كفاهم نفسه * وعن حذيفة المرعشى أنه نظر الى الناس يتبادرون الى الصف الأول ، فقال ينبغي أن يتبادروا الى أكل خبز الحلال

* وعن الفضيل بن عياض قال . سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول فقال انظر كسرتك التي تأكل من أين تأكلها ، وصل في الصف الأخير * وعنه أيضاً انظر درهمك من أين هو . وصل في الصف الأخير

وعن سري السقطي أنه كان لا يأكل من بقل السواد ولا من ثمره ولا من شيء يعلم أنه منه ويشدد في ذلك وكان غاية في الورع (١) ومع ذلك قال كنت بطرسوس وكان معي في الدار فتيان يتعبدون وكان في الدار تنور يخبزون فيه ، فانكسر التنور فعلت بدله من مالي فتورعوا أن يخبزوا فيه

(١) الورع اختلف في حقيقته على أقوال قال ابن آدم ، الورع ترك كل شبهة . وقال يحيى بن معاذ ، الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل * وسأل الحسن البصري غلاماً فقال له . ما ملك الدين ، قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع . وقال بعض السلف لا يباغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس * وقال بعض الصحابة . كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة فقال ، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه * وترك ما لا يعنى هو ترك الفضلات كلها وفقنا الله لذلك

وعنه قال فكان أبو يوسف النفسولى يلزم الثغر ، ويفزو فكان اذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم ، أكل أصحابه من ذبائحهم وفواكههم وهو لا يأكل ، فيقال له يا أبا يوسف أتشك أنه حلال ، فيقول لا ، فيقال له فكل من الحلال فيقول انما الزهد فى الحلال

• وعن السرى قال رجعت من بعض المغازى فرأيت فى طريق ماء صافياً ، وحوله عشب من حشيش قد نبت فقلت فى نفسى ياسرى ان كنت يوماً أكلت أكلة حلال وشربت شربة حلال فاليوم فنزلت عن دأبى ، فأكلت من ذلك الحشيش ، وشربت من ذلك الماء فهتف بى هاتف سمعت الصوت ولم أر الشخص ، ياسرى بن المغلس فالنفقة التى بلغتك الى ههنا من أين هى ، فقصر الى نفسى

• وعن عبد الله بن الخلاء قال أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئاً

وعن بشر بن الحارث الحافى بن عمر قال سمعت المعافى بن عمران يقول ، كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم ينظرون فى الحلال النظر الشديد ، لا يدخلون بطونهم الا ما يعرفون أنه من الحلال ، والا استقوا التراب ، ثم عد بشر ، ابراهيم بن آدم . وسليمان الخواص • وعلى بن فضيل بن عياض • وأبا معاوية الاسود ، ويوسف بن أسباط • ووهيب بن الورد ، وحذيفة شيخنا من أهل حران . وداود الطائى . وعد بشر عشرة وعن يحيى بن معين المحدث

المال يذهب حله وحرامه * يوما ويبقى في غد آثامه
وعن محمد بن عبد الكريم الروزي لماولى يحيى بن أكرم القضاء
كتب اليه أخوه عبد الله بن أكرم من مرو وكان من الزهاد
ولقمة بجريش الملح تأكلها * ألد من تمره تحشى بزنبور
وأكلة قربت للملك صاحبها * كحبة الفخ دقت عنق عصفور
وعن ابراهيم بن هنيئ أنه استوصاه صاحب له عند وداعه فقال
أوصيك أن تكون لقمتهك صالحا . وتأكل طيبا
ليس التقى بمتقى لألمه * حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب مايجنى ويكسب أهله * ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلواته وسلامه
* (الاربعون) ، تحريم الملابس والزي والأواني وما يكره
منها * لحديث أنس بن مالك في الصحيحين * من لبس الحرير في الدنيا
فان يلبسه في الآخرة (١)

(١) وفي الباب أحاديث كثيرة منها عن عمر رضى الله عنه قال سمعت
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم
يلبسه في الآخرة ، متفق عليه فالأحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها
من النهي وتعليل ذلك بان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، والظاهر
أنه كناية عن عدم دخول الجنة . ولذلك قال ابن عمر ، والله لا يدخل الجنة ، واستدل
على ذلك بقوله تعالى ولباسهم فيها حرير . ويشهد له أيضا مرواه الشيخان عنه .
انما يلبس الحرير في الدنيا من لآخلاق له في الآخرة . والخلاق كما في شروح
الحديث وكتب اللغة النصيب ، وقد أجمع المسلمون على التحريم وهذه

* وحديث حذيفة لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا
في آنية الفضة والذهب، ولا تأكلوا في صحافها، فانها لهم في الدنيا وهي
لكم في الآخرة

* وحديث ابن مسعود رضى الله عنه في صحيح مسلم * ان الله
جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس (١)

* وحديث أبي بردة في الصحيحين * قال أخرجت الينا عائشة

الاحاديث اذا لم تعد التحريم فليس في الدنيا محرم، ولم تنحصر الزينة عند ابناء
الدنيا على الحرير فلهم ان يتزينوا بالجوخ والصوف والكشمير وغير ذلك
من المباح النفيس، ولا تلتفت الى قول في المذهب أو رأى لبعض العلماء
فان ذلك من اتباع الهوى، ودسائس الشيطان، والعادات القومية المخالفة
لشرية المحمدية. وأصرح منه في الدلالة على المنع مطلقاً. مارواه البيهقي بسنده
عن أبي اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالبطحاء، فقلنا يا أبا عبد
الرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل. قال اتركوا قليله وكثيره .
ويدل على صحة هذا ما روى عن علي رضى الله عنه قال أهدى الى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم حلة سداها حرير ولحمتها مسترة فأرسل بها الى فقلت
ما أصنع بها ألبسها قال انى لا أرضى لك ما لا أرضى لنفسى اجعلها خرا بين
فاطمة أمك وفاطمة ابنتى، ومسيرة هو من السراء برود اليمن

وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم أحل
الذهب والحرير للاناث من أمتى وحرم على ذكورها رواه احمد والنسائي
والترمذى وصححه

(١) البطر الطفيان عند النعمة. وهو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيد
وعبادته باطلا: أو يمتنع عن الحق فلا يقبله * والغمط الاستهانة والاستحقار

كساء ملبداً وازاراً غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذين

* وحديث عبد الله بن عمر فيهما * لا ينظر الله تعالى يوم القيامة
الى من جر ثوبه خيلاء .

* (الحامى والاربعون) ، تحريم الملاعب والملاهي
المخالفة للشريعة لقوله تعالى (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة)
* وحديث سليمان بن بريدة في صحيح مسلم عن أبيه رضى الله
عنه * من لعب بالزردشير (١) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه

* (الثانى والاربعون) ، الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل
المال بالباطل لقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط) (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)
* وحديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه في صحيح مسلم *
ونهى عن ثلاث قيل وقال وإضاعة المال والحاف السؤال (٢)

١ - الجمعة ١١

٢ - الاسراء ٢٩ (١) الزردشير هو الزرد وهذا الحديث حجة في تحريم اللعب بالزرد
٣ - الفرقان ٦٧ ويلحق به الشطرنج قال الامام مالك هو شر من الزرد ومعنى صبغ يده في لحم
الخنزير ودمه أنه في حال أكله منها وهو تشبيهه لتحريمه بتحريم أكلهما
والله الموفق

(٢) برويان بغير تنوين حكاية للفظ الفعل ورويا منونين وهى رواية
البخارى قبلا وقال على النقل من الفعلية الى الاسمية والاول أكثر. والمراد
بهما نقل الكلام الذى يسمعه الى غيره فيقول قيل كذا وكذا بغير تعيين القائل
وقال فلان كذا وكذا. وانما نهى عنه لانه من الاشتغال بما لا يعنى المتكلم

* (الثالث والاربعون) ، ترك الغل والحسد (١) ونحوها

لقوله تعالى (ومن شر حاسد اذا حسد) ، (أم يحسدون الناس على ما
آتاهم الله من فضله)

* ولحديث أنس في صحيح مسلم * لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ،
ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

* وحديث أنس بن مالك في صحيح البخارى * لا تباغضوا ، ولا
تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم (٢) أن

ولانه قد يتضمن الغيبة والهميمة والكذب لاسيما مع الاكثر من ذلك قلما من
يخلو عنه . ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم . كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل
ما سمع * وقوله واضاعة المال . المراد به ما أتق في غير وجهه المأذون فيه
شرعاً سواء كان دينياً أو دنيوياً لان الله جعل المال قياماً لمصالح العباد وفي
التبذير تقويت تلك المصالح * وإلخاف السؤال كثرته اما للمال ، أو المشكلات
من المسائل والتعميم أولى

(١) الحسد أن يرى الرجل لآخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له
دونه . فالحسد حسدان محمود ومذموم . فالحمود أن ترى طالما طاملاً فتشتهى
أن تكون مثله أو زاهداً فتشتهى مثل فعله وهو المسمى غبطة وقد تقدم .
والمذموم ، أن ترى طالما طاملاً ، أو فاضلاً ، فتشتهى أن يموت . فالمؤمن
يفبط والمنافق يحسد . وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد للدين . وهو
مركوز في طباع البشر لان الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء
من الفضائل والناس على أقسام في ذلك منهم من يسعى في زوال نعمة المحسود
بالبغي عليه بالقول والفعل . ومنهم من يسعى في نقل ذلك الى نفسه ومنهم
من يسعى في ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله المعصمة

(٢) فيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص . ويباح في الثلاث بالمفهوم

يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان يصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

* وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن الحسن في قوله تعالى (من شر حاسد اذا حسد) قال هو أول ذنب كان في السماء . وعن الأحنف ابن قيس * خمس هن كما أقول ، لراحة لحسود . ولا مروءة لكذوب ولا وفاة للملوك ، ولا حيلة لبخيل . ولا سوؤد لسيء الخلق

وعن الخليل بن أحمد ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد ، له نفس دائم ، وعقل هائم . وحزن لازم ، وعن بشر بن الحارث الحافي ، العداوة في القرابة ، والحسد في الجيران ، والمنفعة في الاخوان ، وعن المبرد أنه أنشد

عين الحسود عليك الدهر حارسة * تبدي المساوى والاحسان تخفيه
يلفك بالبشر ييديه مكاشرة * والقلب منكتم فيه الذي فيه
اف الحسود بلا جرم عداوته * وليس يقبل عذراً في تجنيسه
* (الرابع والاربعون) ، تحريم أعراض (١) الناس وما

وحكمة ذلك أن الآدمي مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع
ويزول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يجن على الدين جنابة . وأما من جنى عليه
وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع السيئات . فجاءت الرخصة في
عقوبته بالهجران كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فأمر الشارع بهجرانهم
فبقوا خمسين ليلة حتى زلت توبتهم ، والله أعلم

(١) الاعراض جمع عرض بكسر فسكون هو موضع المدح والذم من
الانسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو فيما يلزمه أمره

يجب من ترك الوقعة فيها لقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) (١) (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة) وغير ذلك من الآيات والاختبار الكثيرة

* كحديث أبي هريرة في صحيح مسلم * المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ. من الشر أن يحقر أخاه . المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله وعرضه

* وحديث أبي ذر في الصحيح * لا يرمى رجل رجلاً بالفسق ولا يرميه بالكفر الا وارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك .

* (الخامس والاربعون) ، اخلاص (٢) العمل لله

(١) فتأمل في هذه الآيات وانظر كيف عظم الشارع أمر الوقعة في أعراض الناس وتوعد من يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فضلاً عن اشاعته لها بنفسه العذاب المؤلم في الدنيا والآخرة . ووعد الوعد الغليظ على قذف المحصنات وحكم على القاذف بالتنسيق وبرد شهادته على التأييد الى أن يتوب ، وبالجلد تشديداً عليه ، وتهجيناً لما كان منه ، ولم يجعل للزوج مخرجاً من عذاب القذف الا بايجاب اللعن على نفسه ان كان كاذباً في قوله ، كما لم يجعل للمرأة مخرجاً من عذاب القذف الا بايجاب الغضب على نفسها ان كان صادقاً في قوله ، فهذا يدل على غاظ الذنب في قذف المحصنات وعدم التعرض بسوء المؤمنين والمؤمنات والاحتراز عنه ووجوب التورع في ذلك

(٢) الاخلاص هو افراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة وتصفية

عز وجل، وترك الرياء، لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)، (من كان يريد حرث الآخرة (١) نذله في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)، (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) ، (من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً * ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم ، قال الله عز وجل انا أغني الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري ، فأنا منه بري ، وهو للذي أشرك

الفصل من ملاحظة المخلوقين ، فالخلص لا رياء له ، والصادق لا إجاب له ، ولا يتم الاخلاص الا بالصدق . ولا الصدق الا بالاخلاص . ولا يتمان الا بالصبر

(١) الحرث لقاء البذر في الارض والمراد منه هنا ثمرات الاعمال وتنتجها والمعنى من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها . ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا أى متاعها وطيباتها نؤته شيئاً منها حسب قدرناه له بطلبه وارادته ، وليس له في الآخرة من نصيب ، لان همته مقصورة على الدنيا * وما أدق هذا المعنى والطف هذا التمييز كيف عبر في جانب طالب الآخرة بالاتيان منها مبالغاً له فيه من غير تحديد وعبر بجانب طالب الدنيا بالشيء اليسير المقدر له مع حرمانه من الثرات الاخرية التي لا تقنى ولا تبديد . ثم بين في الآية التي بعدها ان من يطلب الدنيا وزينتها يوف اليه عمله فيها مع المبالغة وليس له في الآخرة الا النار . وحبط ما عمله في الدنيا من أنواع البر والاحسان اذا وفق لذلك فيها ، نموذباً من الخزلان

- ١ - البينة ١
٢ - الشورى ٢٠
٣ - هود ١٥ - ١٦
٤ - الكهف ١١٠

• ولحديث جندب في الصحيحين من سمع سمع الله به ومن
يرأى يرأى الله به (١)

• أنبأني البيهقي بإسناده ان أباعمر ، سئل عن الاخلاص ، فقال ما
لا يجب أن يحمده عليه الا الله عز وجل ، • وعن سهل بن عبد الله
لا يعرف الرياء الا مخلص ، ولا النفاق الا مؤمن ، ولا الجهل الا عالم ،
ولا المعصية الا مطيع ،

• عن الربيع بن خثيم كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل ، وعن
الجنيد لو ان عبداً أتى بافتقار آدم ، وزهد عيسى ، وجهد أيوب ، وطاعة
يحيى ، واستقامة ادريس ، وودّ الخليل ، وخلق الحبيب ، وكان في قلبه
ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة

• وعن زبيد يسرنى ان يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الاكل
والشرب والنوم (٢) ،

(١) الرياء بكسر الراء وتخفيف الياء والمداظهار العبادة لقصد رؤية
الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم السين وسكون الميم هى نحو ما فى
الرياء الا انها تتعلق بحماسة السمع والرياء بحماسة البصر • ومعنى الحديث أن
من عمل عملاً على غير اخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعه مجازى يوم
القيامة على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه على رؤس
الاشهاد نجما الله واياك من ذلك

(٢) وجه ذلك أن الاكل والشرب والنوم مباح فاذا نوى الانسان بذلك
تغذية جسمه . وتقويته ليقوم باداء ما طلب منه من صلاة وصيام . وغير ذلك ،
اثيب على ذلك . وصار بمنزلة المندوب وهكذا كان السلف رضى الله عنهم

وعن سيفان كل شيء هالك الا وجهه ، قال ما أريد به وجهه (١) *
وعن هلال بن يسار . قال ، قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه
إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ، وليمسح شفتيه ، ويخرج الى
الناس حتى كأنه ليس بصائم ، وإذا أعطى يمينه فليخفه عن شماله ، وإذا
صلى أحدكم فليدل ستر بابه فان الله تعالى يقسم الرزق ،

* وعن ذى النون ، قال بعض العلماء ما أخلص العبد لله الأحب
أن يكون في حب لا يعرف ، * وعن بشر بن الحارث عن الفضيل بن
عياض لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من أن آكلها
بدين ، * وعن مالك بن أنس ، قال لى استاذى ربيعة الرأى ، يمالك
من السفلة ؛ قلت من أكل بدينه ، فقال من سفلة السفلة ، قال من
أصلح دين غيره بفساد دينه ، قال فصدقتي ،

* وعن ابن الاعرابى ، أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح
أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من جبل الوريد ، * وعن
سيفان يامعشر القراء ارفعوا رءوسكم لا تزيدوا الخشوع على ما فى
القلب فقد وضع الطريق ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا تكونوا
عياالا على المسلمين ،

* وعن بعض العلماء خوفوا المؤمنين بالله ، والمنافقين بالسلطان ،
والرائين بالناس ،

(١) أى كل شيء . أريد به وجهه الله تعالى فهو باق وثابت وما أريد به

غيره تعالى فهو هالك وفان

• (السادس والاربعون) ، السرور بالحسنة والاعتناء
بالسيئة (١) لحديث جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
في سنن أبي داود ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
• (السابع والاربعون) ، معالجة كل ذنب بالتوبة (٢)

(١) السرور ضد الحزن وهولدة تقع في القلب بادراك المحبوب ونبيل المشتى
فيتولد من ادراكه حالة تسمى سرورا كما ان فقد المحبوب يتولد منه حالة
تسمى الحزن والنم ، وسرور العبد بالشئ قدر تعلقه به ومحبتة له ورغبتة فيه
فسرور الشخص بالملم والايان ، والاعمال الصالحات ، والعاملين بالكتاب
والسنة واجماع الامة ، دليل على تعظيمها لديه ومحبتة لها ورغبتة فيها واشارها
على غيرها * واغتمامه بضدها ، دليل على قوة ايمانه ، وشدة يقينه ، وصلابة دينه
جعلنا الله منهم

(٢) التوبة هي اناة العبد ، ورجوعه الى مولاه . وسلوكه الصراط المستقيم
ومجانبتة لصرط المضوب عليهم والضالين ، ولها شروط ثلاثة . الندم على
ماسلف عنه في الماضى . والاقلاع عنه في الحال . والعزم على أن لا يعود في
المستقبل اليه * وللتوبة الصحيحة المقبولة علامات ، منها لا يزال الخوف
مصاحباً له لا يأمن طرفة عين ، ومنها ان يكون بعد التوبة خيراً منه قبلها
ومنها انخلاع قلبه وتقطعه ندماً وخوفاً على قدر عظم الجنابة وصرها ،
وانظر كيف وجه المولى تعالى الخطاب لاهل المدينة وفيهم الانصار والمهاجرون
الذين افتنوا حياتهم في نصرة الدين واعلاء كلمته . وبذل كل ما في وسعهم وقد
امرهم بالتوبة بعد ايمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة
تعليق المسبب بسببه واتى باداة (لمل) المشعرة بالترجى ايذاناً بأنكم اذا
تبتتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح الا التائبون ، وقد صح عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (يا أيها الناس توبوا الى الله فوالله

لقوله تعالى ، (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ؛
(توبوا الى الله توبة نصوحاً) ، (وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له) ، الآيات ،
• ولحديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن الأغر المزني
في صحيح مسلم . وسنن أبي داود وغيرهما انه أيان . على قلبي (١)
واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ،

• (الثامن والأربعون) ، القرابين (٢) وجلتها الهدى

اني لأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة • وكان أصحابه يعدون له في
المجلس الواحد قبل أن يقوم (رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الغفور ،
مائة مرة ، فانظر أيها العاقل الى حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه
من الاستغفار والتوبة مع عظم منزلته عند مولاه ، وقد أخبره تعالى بان قد
غفر له ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، على فرض وقوع الذنب منه . أفلا يجب
على من انغمس في الذنات وتوكل في الشهوات وغفل عن الطاعات وامتلأ
قلبه ظلمات فوقها ظلمات ، أن يتوب ويستغفر في الساعة آلافاً ومئات

(١) الفين التميم يقال غينت السماء تغان اذا أطبق عليها التميم ، والمراد به
هنا ما يفشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر لان قلبه أبداً كان مشغولاً بالله
تعالى فان عرضه وقتاً ما عارض بشرى يشغله من أمور الامة والملة ومصالحهما
عد ذلك تقصيرا فينزع صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستغفار ، ويصح أن
يكون اظهاراً للعبودية والافتقار وملزمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه لان
خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام

(٢) القرابين جمع قربان وهو ما يتقرب به الى الله تعالى أما لمخالفة وقعت
كالهدى في الحج أو نعمة حصلت كالمقينة للولود ، وكان قربان الامم
السالفة ذبح البقر والذئب والابل ، تخفف المولى عن هذه الامة المباركة . فجعل
قربانها تقديمها الطاعات والاعمال الصالحات فضلاً منه تعالى ورحمة بهم

والاضحية والمعيقة لقوله تعالى ، (فصل لربك وانحر) . (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير) (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ، الآيات .

* ولحديث انس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يضحى (١) بكبشين أقرنين أملحين ، فلقد رأيتاه يضع رجله في صفاحهما ويسمى ويكبر . * وفي رواية ولقد رأيتاه يذبحهما بيده ،

* (التاسع والاربعون) ، طاعة اولى الأمر لقوله تعالى . (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ، قيل هم أمير السريا ، وقيل هم العلماء ، ويحتمل أن يكون عاماً لهما ، فان كان خاصاً فبأمر السرايا أشبه .

* ولحديث أبي هريرة في الصحيحين * من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير ، فقد أطاعني ، ومن يمس الأمير فقد عصاني (٢)

واكراماً لنبيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

(١) اعلم ان الاضحية اختلفت في وجوبها وعدمه ، فذهب الجمهور الى انها سنة غير واجبة ، واختلف قول مالك والشافعي في ذلك ، وذهب أبوحنيفة والاوزاعي والليث وربيعة وبعض المالكية الى أنها واجبة على الموسر ، وادلة كل وبيان الراجح منها مذكور في المطولات ارجع اليها لان المقام لا يسمه (٢) قال الخطابي ، كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الامارة ولا يطيعون غير رؤساء قبائلهم . فلما ولي في الاسلام الامراء انكرته فحوسم

١ - الكوثر ٢

٢ - الحج ٣٦

٢ - الحج ٣٢

* ولحديث أبي ذر فيها يا أبا ذر اسمع وأطع ولو عبداً جسيماً
مجدع الأطراف (١).

* (الخمسون) ، التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ،

* ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم ، من خرج من الطاعة
وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتة جاهلية (٢) * وحديث عرفة بن

وامتنع بعضهم من الطاعة ، وانما قال لهم صلى الله عليه وسلم هذا القول ليعلمهم
ان طاعة الامراء الذين كان يوليههم وجبت عليهم لطاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ويحثهم على طاعة من يؤمر عليهم ، والالتقياد لهم ، اذا بعثهم في السرايا
أو ولام البلاد ، فلا يخرجوا عليهم لثلاث تفرق الكلمة وتبديد جمعهم ، ويغتم
الفرصة عدوهم ، وهذا الحكم ليس خاصاً بمن ولاة الشارع بنفسه ، بل هو عام
في كل أمير عدل للمسلمين . واستقام ، وقام بالحدود ، ولم يخن الامة ، اللهم اصلح
ولاة امورنا وفقهم للعمل بما جاءت به الشريعة ، وجنبهم المعادات الاوروبية
التي أفسدت الدنيا والدين ، يا أرحم الراحمين

(١) مجدع الأطراف مقطوعها ، والمراد اخس العبيد ، والمعنى اسمع وأطع
للامير وان كان ذنباً النسب حتى لو كان عبداً اسود مقطوع الأطراف فطاعته
واجبة ، وامارة العبد تتصور اذا ولاة بعض الائمة أو اذا تظلب على البلاد
بشوكته واتباعه . فطاعته وبقاؤه امراً مع جمع الكلمة واتحاد القلوب خير
من التفرق ، والاختلاف عليه . وتشتت امرهم

(٢) أي ان من خرج من الجماعة الذين قد اتفقوا على طاعة امام ، وانتظم
به شملهم ، واجتمعت به كلمتهم ، وحاطهم عن عدوهم فبنته منسوبة الى أهل
الجهل ، والمراد به من مات على الكفر قبل الاسلام . والله أعلم

شرح الجهنى فى مسلم أيضاً، ستكون بعدى هذآة وهذآة (١) فن رأيتموه
يفرق اسرامة محمد وهى جميع فأقتلوه كائنا من كان من الناس

• (الواحد والخمسون) ، الحكم بين الناس بالعدل.

لقوله تعالى . (واذا حكتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) ، (ولا تكن
للخائنين خصيماً) ، (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) ، الآيات .

* ولحديث عبد الله بن مسعود فى الصحيحين ، لاحسد الا فى

اثنين . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، وآخر آتاه
الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها .

• (الثانى والخمسون) ؛ الأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر (٢) لقوله تعالى . (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

(١) الهنات جمع ، هنة وهى كناية عن كل اسم جنس ، والمراد بها هنا الفتن

والامور الحادثة من شرور وفساد ، دل الحديث على قتال من أراد تفريق
كلمة المسلمين وزرع الفساد بينهم وتمزيق جمعهم ، هذا اذا لم يندفع شره الا
يقتله ، وفى رواية أخرى فأضربوه بالسيف

فانظر كيف عظم الشارع امر التفريق وأباح دم المفرق وجمله هدرا

مع أن الشارع شدد فى قتل النفس واعدائها ، فى هذا الحكم موعظة بليغة
وحكمة بالغة وزاجر عظيم لمن تسول له نفسه الامارة بالسوء فعل ذلك

(٢) اعلم أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم الامور واعظمتها

اذ به قوام الامر وملاكه ، وحفظ الشريعة المطهرة ، وردع المنافق ، وزجر
الفاسق وبه يتميز الخبيث عن غيره ، وبه يرتفع البلاء عن المطيع ولا يعم الله
الاكل بعذاب لانه اذا كثرا الخبيث عم العقاب الصالح والطلاق واذا لم يأخذوا

١ - النساء ٥٨

٢ - النساء ١٠٥

٣ - الحجرات ٩

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ، (كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ،
(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الى قوله
(الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر) . الآيات ،

(أمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون) والقرآن مشحون بهما

• ولحديث أبي سعيد في صحيح مسلم ، من رأى منكرا منكرا
فليغيره بيده . فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقبله . وذلك
اضعف الايمان (١)

على يد الظالم اوشك ان يممم الله تعالى بعقاب ، فينبغي لطالب الآخرة، ومحب
الشريعة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعنى بهذا الامر ، فان نفعه
عظيم ، لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد ، وعم التجاهر بالمعاصي
وظهرت الزنادقة والملحدون ، وفقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذلك
تساهلت العوام وارتكبوا كل موبقة ، وتوسعوا في كل معصية . حتى عم ذلك
الخواص ، وكادت ان ترجع الناس الى ما كانت عليه الجاهلية الاولى ، ولا شك
أن الاجر على قدر الشقة وأن الله ناصر أوليائه وهاديهم ، وحافظهم من شر
أعدائه . قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (ومن يعصم
بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا)

(١) أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الى صفة النهي ومراتبه
وهذا الترتيب على سبيل الوجوب فليس للمنكر ان ينتقل من مرتبة الى اخرى

- ١ - آل عمران ١٠٤
- ٢ - آل عمران ١١٠
- ٣ - التوبة ١١١
- ٤ - التوبة ١١٢
- ٥ - للمائدة ٧٨ - ٧٦

* وحديث عبد الله بن مسعود فيه أيضاً ، ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته . ويقتدون بأمره . ثم انها تخلف من بعدم خلوف . يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

* وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نوم محرأوجه ، وهو يقول لا اله الا الله ثلاث مرات ، ويل للعرب (١)

الا اذا عجز عن القيام بها والانكار في القلب ليس بتغيير في الحقيقة للمنكر ولا ازالة له . ولكنه هو الذي في وسع المكاف ، ثم انه انما يأمر وينهى من كان ملما بما يأمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من الواجبات الظاهرة ، والمحرمات المشهورة ، كالصلاة والصيام ، والزكاة والزنا ، والحجر ونحوها ، فكل المسلمين علماء بها . وان كان من دقائق الاقوال والافعال مما يتعلق بالاجتهاد . لم يكن للموام مدخل فيه . بل ذلك للعلماء . وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون امره ونهيه بمعروف ، وبرفق . ليكون أقرب الى تحصيل القبول ، وحصول المطلوب ، لذلك قال الشافعي من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

(١) كلمة ويل للحزن والهلاك والمشقة من المذاب ، وخسر العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ، والمراد بالشر ما وقع بعده صلى الله عليه وآله وسلم من قتل عثمان ، ثم توالى الفتن حتى صارت العرب بين الامم كالتقصمة

من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ،
وحاق حلقة بأصبعيه الابهام والتي تليها ، قالت زينب . فقلت يارسول
الله أفهلك ، وفينا الصالحون ، قال نعم ، اذا كثرت الخبث ، .

• وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن مالك بن دينار انه قرأ هذه الآية
(وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) فأما
اليوم في كل قبيلة وحى من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون
• وعنه أيضاً ان الله عز وجل أمر بقرية ان تعذب فضجت
الملائكة ، وقالت ان فيهم عبدك فلاناً ، قال أسمعوني منه صيحة فان
وجهه لم يتمر غضباً لمحارمى • وروى ذلك مرفوعاً الى النبي صلى الله
عليه وسلم بأسناد ضعيف •

وعنه أيضاً ، اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهى
بعضنا بعضاً ولا يذرنا الله تعالى على هذا ، فليت شعري اى عذاب ينزل •
وعن عمر بن عبد العزيز قال كان يقال ان الله عز وجل لا يعذب العامة

بين الاكلة كما جاء في حديث ، يوشك ان تداعى الامم كما تداعى الاكلة على
قصبتها . والمراد بالردم السد الذى بناه ذو القرنين ، ومعنى حلق الخ جعل
الاصبع السبابة فى أصل الابهام وضمهما حتى لم يبق بينهما الا خلل يسير ، وهو
لقدر معين من المدد ، وهو اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن
التلفظ ، فشبه صلى الله عليه وآله وسلم قدر ما فتح من السد بصفة معروفة
عندهم وهذا لا يعارض ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث ، انا امة
لا نحسب ولا نكتب ، لان المنقح الحساب الذى يتعانه اهل الصناعة من الجمع
والضرب وغير ذلك .

بذنب الخاصة ، ولكن اذا عمل المنكر جهاراً فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم .

* (الثالث والخمسون) ؛ التعاون على البر والتقوى

لقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

* ولحديث انس بن مالك في الصحيحين ، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل يا رسول الله انصره مظلوماً . فكيف أنصره ظالماً فقال تتمعه من الظلم فذلك نصرك اياه .

* (الرابع والخمسون) ، الحياء (١) * لحديث سالم بن

عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في الصحيحين عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انه سمع رجلا يلعن أخاه في الحياء ، فقال دعه فان الحياء من الايمان . * ولحديث عمران بن حصين رضى الله عنه فيهما ، ان الحياء لا يأتي الابخير * وحديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فيهما ايضا ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشده حياء من العذراء في خدرها

(١) الحياء خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب

الحق ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى كماله في حديث رواه الترمذى مرفوعاً : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا انا نستحي يا رسول الله . قال ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء . فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء . ويختلف قوة وضعفا بحسب حياة القلب وموته ، فكما كان القلب حيا كان الحياء أتم وعكسه بمكسه .

وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه * وحديث ابن مسعود الانصاري في صحيح البخارى ، ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى ، اذا لم تستح فاصنع ما شئت (١)

* (الخامس والخمسون) بر الوالدين . لقوله تعالى ،

* (وبالوالدين إحساناً) ، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ☆ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الآيات .

* ولحديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ، قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله ، قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني .

* (السادس والخمسون) ، صلة الأرحام (٢) لقوله

(١) قوله فاصنع ما شئت . أمر تهديد معناه الخبر ، أى ان من لم يستح صنع ما شاء ، فالحياء بمنعه من أن يرتكب أمراً يخل بالروءة والشرف عادة (٢) الرحم كل ما بينك وبينه نسب سواء كان من ذوى الارحام فى الميراث أم لا ، قال عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها مصيبة كبيرة ، وللصلة درجات فأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فنها واجب ومنها مستحب فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً

تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) ، (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) ،

* وحديث انس بن مالك في الصحيحين ، من أحب أن يبسط له

في رزقه وان ينسأله في أثره (١) فليصل رحمه * وحديث جبير بن

(١) ينسأله في أثره بضم الياء وسكون النون أى يؤخره في أجله وسمى

الأجل أترا لانه يتبع العمر قال زهير .

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتضى العمر حتى ينتهى الأثر

وظاهر الحديث يعارض قوله تعالى (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة

ولا يستقدمون) وقد جمع العلماء بينهما من وجهين ، أحدهما ان هذه الزيادة

كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق الى الطاعات وتوسيع وقته بما

ينفعه في الآخرة . وصيائته عن تضييعه في غير ذلك . فصلة الرحم تكون سبباً

للتوفيق للطاعة : والصيانة عن المعصية ، فيبقى بعده الذكر الجميل بسبب ما تركه

بعده من العلم النافع ، أو الصدقة الجارية . أو الخلف الصالح فكانه لم يموت ،

وثانها ان الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر ، وما

دلت عليه الآية فبالنسبة الى سبق علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلاً ان

عمر فلان مائة مثلاً ان وصل رحمه ، وخمسون ان قطعها ، وقد سبق في علم الله

انه يصل ويقطع فالذى في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر . والذى في علم الملك هو

الذى يمكن فيه الزيادة والنقص وعليه قوله تعالى ، (يحو الله ما يشاء ويثبت

وعنده أم الكتاب) فالاول يقال له القضاء المبرم ، والثاني القضاء المعلق

والوجه الاول اوجه . وأليق بالمقام . فتنبه لذلك

مطمع فيهما أيضاً عن أبيه . لا يدخل الجنة قاطع . يعني قاطع رحم ، قلت
ولا فرق أن يكون براً أو فاجراً .

* (السابع والخمسون) ، حُسن الخُلُق (١) ويدخل فيه

كظم الفيظ، ولين الجانب، والتواضع . لقوله تعالى ، (وانك أعلی خلق
عظيم) (والكاظمين الفيظ والمافين عن الناس والله يحب المحسنين) ،
* ولحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين * ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، (٢) وقال ان من خياركم
أحسنكم أخلاقاً * وفي رواية ، ان من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً ،

* ولحديث عائشة رضی الله عنها في الصحيحين أيضاً ، انها قالت

ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم

(١) الخلق . بذل الندى ، وكف الاذى ، واختيار الفضائل ، وترك

الذائل ، وهو صفة الانبياء صلوات الله عليهم ، وخصال الاولياء . قال ابن عباس
ومجاهد ، في تفسير (وانك لعلی خلق عظيم) لعلی دين عظيم لادين أحب الی
ولا أرضى عندي منه . وهو دين الاسلام ، وفي الصحيحين ان هشام بن حكيم
سأل عائشة رضی الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت
كان خلقه القرآن ، يفضب لفضبه ويرضى لرضاه . وقد جمعت مكارم الاخلاق
في قوله تعالى (خذ المنو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وفقنا الله وإياك
الى ذلك .

(٢) قوله فاحشاً من الفحش وهو الخروج عن الحد ولا متفحشاً أى

متكافماً الفحش ، یعنی ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الفحش جبلياً له ، ولا
كسبياً ، وما كان يجرى بالسبيئة سيئة ؛ ولكن يعفو ويصفح

يكن ائماً . فان كان ائماً كان ابعده الناس منه . وما اتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها .
• وبه أنبأنا أبو بكر البيهقي ، قال ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الارفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى . وقد يكون فيما بين الناس . وهو في ذات الله عز وجل ، أن يكون العبد منشراح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه ، بفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به . وينتهي عما حرم عليه راضياً به غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيراً من المباح لوجهه تعالى وتقدس . إذا رأى ان تركه أقرب الى العبودية من فعله مستبشراً لذلك غير ضجر منه . ولا متعسر به ، وهو في المعاملات بين الناس ، ان يكون سمحاً لحقوقه لا يطالب غيره بها ، ولو فيما يجب لغيره عليه منها . فان مرض ولم يعد . أو قدم من سفر فلم يزر . أو سلم فلم يرد عليه . أو ضاف فلم يكرم . أو شفع فلم يجب . أو أحسن فلم يشكر . أو دخل على قوم فلم يمكن . أو تكلم فلم ينصت . أو استأذن على صديق فلم يأذن . أو خطب فلم يزوج . أو استمهل الدين فلم يمهل . أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يفض . ولم يتفكر من حاله . ولم يستشعر في نفسه انه قد جنى وأوحش وانه لا يقابل كل ذلك . اذا وجد السبيل اليه بمثله بل انه لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب الى البر والتقوى . وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون في ابناء ما يكون عليه ، كهو في حفظ ما يكون له ، فاذا مرض أخوه المسلم عاده

وان جاء في شفاعة شفعه ، وان استمهله في قضاء دين امهله ، وان احتاج منه الى معونته اطانه ، وان استسمحه في بيع سمح له . ولا ينظر الى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته اياه فيما خلا . وكيف يعامل الناس ، انما يتخذ الاحسن اماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا (١)

وانما يصح اكتسابه ممن كان في غريزته أمثل منه فهو يضم باكتسابه اليه ما يتمه . ومعلوم في الماديات أن ذا الرأي يزداد بمجالسة أولى الاحلام والنهي رأيا . وان العالم يزداد بمخالطة العلماء . وكذلك الصالح . والمائل بمجالسة الصالحاء والعقلاء . فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الاخلاق الحسنة . وبالله التوفيق .

(١) ما ذهب اليه من أن الخلق منه ما هو طبيعي ومنه ما هو كسبي هو الصواب ، وهو رأى الاكثر من الحكماء والفلاسفة ، ويدل له ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال لأشج عبد القيس . ان فيك خلقين يجهما الله الحلم والاناة . فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما . فقال بل جبلك الله عليهما . فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يجهما الله ورسوله ، فأفادان من الخلق ما هو طبيعة وجبلة ، وما هو متكلف ومكتسب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول في دعاء الاستفتاح . اللهم اهدني لأحسن الاخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت ، فأفادانه يأتي بطريق الكسب اذا وفق لذلك ، ويكتسب الخلق بالتأديب والتعليم ، والوعظ والارشاد وبمصاحبة الاخيار واولى النهي ، والناس ليسوا في ذلك سواء فمنهم من يقبل التأديب ، ويحرك الى الفضيلة بسرعة ،

* (الثامن والخمسون) الاحسان الى المالك، لقوله تعالى
(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى
واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب
وابن السبيل وما ملكت أيمانكم .. (١)

* ولحديث المرور بن سويد في الصحيحين ، قال رأيت أبا
ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة مثلها فسألناه
عن ذلك ، فقال انى سايت رجلا فشكاني الى رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . اعيرته بأمه
ثم قال ان اخوانكم خولكم (٢) جعلهم الله تحت أيديكم ، فن كان
أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم
من العمل ما يغلِبهم ، فان كلفتموهم ما يغلِبهم فأعينوهم عليه

ومنهم من يقبله ويترك الى الفضيلة بابطاء ، ومنهم من لا يتحرك اصلا ،
وذلك فيما اذا كان شريراً بالطبع بل يزداد شراً بمخالطة أهل الشر ، والنسوق
حمانا الله من ذلك ، وبالله التوفيق

(١) الشاهد في قوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) أى من عبيدكم
وامائكم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يوصى بهم ، فقد
اخرج الامام أحمد . والبيهقى . عن أنس ، قال كانت عامة وصية رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حين حضره الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل
يفرغها في صدره وما يفيض بها لسانه * وروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال أوصيكم بالضعيفين المرأة والمملوك .

(٢) الخول الخدم . واحده خائل يقع على العبد والامة ، وهو
مأخوذ من التخويل وهو التملك ، والمراد بالاخوان اخوة الاسلام .

* (التاسع والخمسون) حق السادة على المالك ، وهو لزوم العبد سيده ، واقامته حيث يراه له ، وبأمره به ، وطاعته له فيما يطيقه وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين (١)

وفي مسلم من حديث جرير بن عبد الله . اياما عبد ابق فقد برئت منه الذمة * وفي سنن أبي داود من حديثه أيضاً . العبد الآبق لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع الى مواليه :

* (الستون) حقوق الاولاد والاهلين ، وهى قيام الرجل على ولده وأهله ، وتعليمه اياهم من أمور دينهم ما يحتاجون اليه ، لقوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) . قال الحسن أى مروهم بطاعة الله وعلوهم الخير ، فقال على ، علوهم أدبهم * ولحديث أنس فى صحيح مسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصبعيه

(الحادى والستون) مقارنة أهل الدين ، ومودتهم وافشاء السلام بينهم . والمصافحة لهم . ونحو ذلك من أسباب تأكيد

(١) قوله اذا نصح لسيده بأن حفظ ماله من الضياع ، وحافظ على عرضه من الخداع ، وخلصه من الخلل والنس ، وحافظ على عبادة ربه ، باقامتها بشروطها ، والمداومة عليها : له أجران ، أجر فى عبادة ربه ، وأجر فى نصح سيده ، الا ان الاجرين مختلفان ، لان طاعة الرب تعالى أوجب من طاعة السيد وآكد

المودة ، لقوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها)

* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم . والذى
نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا .

أولا أدلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم (١)
وحديث قتادة فى صحيح البخارى ، قال قلت لانس رضى الله عنه

كانت المصافحة فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال نعم
* وحديث أبي هريرة فى مسلم ، ان الله عز وجل يقول يوم القيامة

أين المتحابون بجلالى . اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (٢)

(١) قال النووى . السلام أول أسباب التآلف ، ومفتاح استجلاب
المودة ، وفى افشائه تمكن الفة المسلمين بعضهم لبعض ، واظهار شعارهم المميز لهم
من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ، ولزوم التواضع . واعظام
حرمات المسلمين . وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن عمار بن ياسر انه قال ،
ثلاث من جهمن فقد جمع الايمان ، الانصاف من نفسك ؛ وبذل السلام للعالم ،
والانفاق من الاقتار ، وهذه الحصلة الحميدة فُقدت فى هذا الزمن من بين
المسلمين حتى أصبح من يسلم على من لم يعرفه غريباً ، وكل ذلك من عدم الالتفات
نحو الدين والعمل به واستبدال التحية المشروعة بغيرها من الالفاظ الوحشية
(٢) قوله فى ظلى . أى فى ظل عرشى كما جاء التصريح بذلك فى غير رواية
مسلم ، وظاهره ظل حقيقى يحفظ المتحابين من الحر والشمس ، ووهج الموقف ،
وانقاس الخلق ، وازدحام الناس ، ويحتمل انه كناية عن حفظه من المكاره ،
واكرامه وجمله فى كنفه وستره . ومنه قولهم ، السلطان ظل الله فى ارضه .

• (الثاني والستون) ، رد السلام (١) لقوله تعالى (واذا
حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)
• ولحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه . اياكم والجلوس
بالطرقات قالوا يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد . نتحدث فيها . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أيتم الا المجلس فأعطوا الطريق
حقه ، قالوا وما حق الطريق . قال غض البصر ، وكف الاذى ، ورد
السلام ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر (٢)

(١) اعلم ان حكم رد السلام فرض بالاجماع والآية قيد ذلك ولكن
يختلف باختلاف الشخص فان كان السلام على واحد كان الرد فرض عين عليه
وان كان على جماعة كان فرض كفاية في حقهم اذا رد أحدهم سقط الاثم عن
الباقيين ، وللفقهاء تقاريع كثيرة في ذلك ، أعرضنا عنها لضيق المقام
(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وقوله ما لنا بد من مجالسنا
انما هو أخبار بالواقع وبيان حاجتهم اليه فرجوا ان يخفف عنهم لذلك .
وزاد أبو داود على هذه الخمسة وارشاد ابن السبيل وتشميت العاطس اذا حمد
الله وزاد البزار والامانة على الحمل . وسعيد بن منصور . واغاثة الملهوف .
والطبراني وأعينوا المظلوم . واذكروا الله كثيراً . ويحيى بن يعمر في مرسله
واهدوا الضال والترمذى وغيره . وحسن الكلام . وأفشوا السلام فجموعها
أربعة عشر اديا ، والحكمة في النهي عن الجلوس في الطرق انه بجلوسه فيها
تعرض للفتنة اذ لا تخلو الطرق من الشهوات ومرور النسوة والتاجر
والفاسق ، وانها مجمع الشياطين ، وربما لا يتمكن من حفظ نفسه من الوقوع
في المكاره والمفاسد ، ففى منعه منها صيافته من ذلك كله ؛ وحفظه ، فرخص
لهم الشارع في ذلك اذا قاموا بحقه

• (الثالث والستون) ، عيادة المريض * لحديث البراء بن

عازب رضى الله عنه فى الصحيحين ، وسنن أبى داود وغيرها ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع ، أمرنا ، بعبادة المرضى ، واتباع الجنائز ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم ، ونصر المظلوم ، واجابة الداعى ، ونهانا عن حلقة الذهب ، أو قال خاتم الذهب ، أو آنية الذهب والفضة ، والميثرة ، والقسى ، والاستبرق ، والحريز ، والديباج (١)

(١) الامر هنا مستعمل فى معنيه ، الوجوب والندب ، أما عيادة المريض سنة بالاجماع . ويستوى فى ذلك القريب والاجنبى ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه الا ان القريب ومن يعرفه أكد وافضل من غيرها لعموم الاحاديث ، واما اتباع الجنائز فكذلك سنة بالاجماع ، واما رد السلام فواجب وقد تقدم ، واما تشميت العاطس فسيأتى الكلام عليه فى باب ان شاء الله تعالى ؛ وأما إبرار القسم فهو سنة فيما اذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر أو نحو ذلك كما ثبت ان أبابكر رضى الله عنه لما عبر الرؤيا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم ، اصبت بعضاً واخطأت بعضاً . فقال اقسمت عليك يا رسول الله لتخبرنى ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم لا تقسم ولم يـ... ، واما نصر المظلوم فمن فروض الكفاية . واما اجابة الداعى فتختلف باختلاف متعلقها ، واما النهي فللتحريم فى الجميع . أما خاتم الذهب فحرام بالاجماع على الرجال . واما آنية الذهب والفضة فيكفى فى تحريمهما ما رواه البخارى ومسلم عن أم سلمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذى يشرب فى اناء الفضة والذهب انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ، وفى حديث آخر لهما . لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما . الحديث وقد

• وحديث ثوبان رضى الله عنه في صحيح مسلم ، عائد المريض في خُرُفة الجنة حتى يرجع (١) : قلت ولا فرق ان يكون برا أو فاجراً لكن ينسب الى البر وينقبض عن الفاجر

• (الرابع والستون) ، الصلاة على من مات من أهل

القبلة (٢) • لحديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيحين . حق

تقدم ، واما لبس الحرير ، والقسي ، والديباج ، والميثة ، والاستبرق . قال النووى كله حرام سواء لبسه للخيل أو غيره ، وانمقد الاجماع على اباحتها للنساء وتحريمه على الرجال اه وقد سبق الكلام على ذلك في باب فارجع اليه وقول الامام النووى رضى الله عنه فكله حرام راجع الى لبس الحرير وما عطف عليه لان الحرير اسم جنس يطلق على كل ما يسمى حريرا عرفا فيشمل جميع انواعه . وبه صرح هذا الحديث وغيره فان الميثة تعمل من حرير وغيره كالقراش الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته فوق الجمال كالسرج والقسي بفتح القاف وكسر السين المشددة ثياب مضلعة فيها حرير يوتى بها من القس وهو قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس ، يعنى هى ثياب كتان مخلوط بحرير ، والاستبرق الغليظ من الحرير ، والديباج الرقيق منه فانهم • وليت شعري من أين أخذ اهل عصرنا حل لبس الحرير والتفرقة بين قليله وكثيره وبين حرير الدودة وحرير الهندي ، ولا يبعد أن يكون تشبههم بالنساء واطاعتهم لمن سول لهم ذلك . ولا تغتر بما سطرته يد ائيمه أو أثبتته صحيفة سوداء ، فان ذلك مخالف لما قد علمت ، والمعصية لله ورسوله ، حمطنى الله واياك من الزلل

(١) وتام الحديث في رواية اخرى ؛ قيل يا رسول الله ما خُرُفة الجنة

قال جناها ، أى يؤل به ذلك الى الجنة واجتناء ثمارها

(٢) المراد بأهل القبلة المسلمون ، والصلاة على من مات ثابتة ثبوتاً

المسلم على المسلم خمس، رد السلام، وعبادة المرضى، وتشميت، العاطس، واتباع الجنائز، واجابة الدعوة * وحديث ثوبان في صحيح مسلم من صلى على جنازة فله قيراط. ومن شهد دفنها فله قيراطان، .. القيراط مثل أحد * (الخامس والستون)، تشميت العاطس لحديث ابى بردة في صحيح مسلم، عن أبى موسى الاشعري، اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته، واذا لم يحمد الله فلا تشمتوه (١)

ضروريا من فعله صلى الله عليه وآله وسلم، وفعل أصحابه. وحكمها فرض كفاية لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يصلون على الميت في حياته صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤذون، وامتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة على من عليه دين، وأمر أصحابه بان يصلوا عليه

(١) التشميت بالسين والسين لفتان، والسين أفصح، معناه أبعده الله عنك الشامة، واختلف العلماء في حكمه، فذهب أدل انظاره وبعض المالكية الى أنه فرض عين على كل من سمعه، والمشهور من مذهب مالك انه فرض كفاية وذهب الشافعي وآخرون الى أنه سنة وأدب، والحديث صريح الامر بالتشميت اذا حمد العاطس، وصريح النهى عن تشميته اذا لم يحمده، وقد جاء كيفية الحمد وكيفية التشميت وجواب العاطس، فيما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم، وأخرجه ايضا ابو داود وغيره بزيادة، فليقل الحمد لله على كل حال الحديث، واخرج البخارى في الادب والطبراني، ويقول هو يفر الله لنا ولكم، قال مالك والشافعي يتخير بين هذين، قلت والظاهر انه لا حجر عليه فتارة يقول هذا وتارة يقول ذلك فيكون عمل بالروايات كلها والله الموفق

• (السلاسل والستون) ، في مباحدة الكفار
والمفسدين . والفظ عليهم (١) لقوله تعالى ، (لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في
شيء الا ان تتقوا منهم تقاة) (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم) ،

(١) هذه الآيات وما شابهها تدل على منع موالاته الكفار . واتخاذهم
أولياء واصدقاء من دون المؤمنين يكشفون بالاسرار الخاصة بمصلحة الدين
والاستعانة بهم على المسلمين ، واخضاعهم لسلطنتهم ، وان كانوا آباءنا واخواتنا
في النسب . لانهم أعداء الله ورسوله ، يعملون على هدم الدين ، وايقاع الفتنة
بين المسلمين ونشر الفساد ، وضعف الأفراد ، وفك عرى لامة ، ليستولوا
على البلاد ، ويستعبدوا أهلها ، ويشلوا قواها ، ويضربوا عليهم الضرائب
الثقيلة ، ويكفونهم بما لا يطيقون ، فيصبح الشعب خاويًا على عروشه ، ونحت
سلطنتهم كالريفة المعلقة في الهواء يجرها كيف يشاء ، ولذلك شدد المولى جل
شأنه في ذلك ، وجعل من يفعل ذلك ليس من الله في شيء ، اى ايس من دينه
فتقطع صلة الايمان التي بينه وبين الله ، فيكون من الكافرين بدليل قوله
تعالى في الآية الاخرى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » نعم يجوز موالاتهم
لاقتناء الضرر بقدر الحاجة بدليل الاستثناء المذكور في الآية ، وهي صورية
في الحقيقة لانها للمؤمنين لا عليهم ، وأيضا يجوز الاستعانة بهم على عدو الذي
هو من جنسهم فيما لا يمس الدين الخفيف بشيء من تحالف واتفاق ، كما حالف
النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة وهم على شركهم ، ويدخل في النهي دخولا
اوليا الذين يتجسسون أخبار المسلمين ، من حروب وخذع ونحو ذلك ،
وينقلونها الى الأعداء ليصيبوا بها عرض الدنيا ، ويتحصلوا على حطامها ، يبيعون
دينهم وأخرتهم بدنيانهم ، يستبدلون الحياة الدنيا بالآخرة فما متاع الحياة الدنيا
الا قليل ، ويل لهم قاتلهم الله أنى يرجعون

١ - آل عمران ٢٨
٢ - التحريم ٩

(وقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) ،
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون
إليهم بالمودة) ،

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا
الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون) الى آخر
الآية التي بعدها وغيرها من الآيات .

* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه في صحيح مسلم . اذا لقيتم
المشركين في الطريق فلا تبسوموا بالسلام واضطروهم الى اضيقها ،
* وحديث أبي سعيد رضى الله عنه في سنن أبي داود لا يأكل
طعامك الا تقي ، ولا تصاحب الا مؤمناً .

* (السابع والستون) اكرام الجار (١) لقوله تعالى

(١) أقول اكرام الجار والاحسان اليه ، ومواساته عند حاجته أمر
محبوب ، ومأمور به ، وبه جاءت الشرائع ، وقد نص القرآن على ذلك ، ووردت
أحاديث كثيرة في الاحسان الى الجار وعدم أذيته ، والجار عام يشمل المسلم
والكافر والتقي والتاجر ، صديقاً كان أو عدواً ، أجنبياً أو قريباً ، الا ان
بينهم تفاوتاً ، فمن اجتمعت فيه الصفات المحمودة ، والخصال الحميدة ، كان في
أعلى المراتب ، ومن كان فيه أكثرها فهو تابع له في المرتبة . وهلم جرا ،
فيعطى كل ذي حق حقه بحسب حاله وباعتبار مقامه ، يدل له ما رواه الطبراني
والبزار من حديث جابر مرفوعاً . الجيران ثلاثة ، جار له حق ، وهو المشرك ،

١ - التوبة ١٢٢

٢ - المتحنة ١

٣ - التوبة ٢٢

(وبالوالدين احساناً وبذی القربى والیتامى والمساكين والجار ذی القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب)

قیل فی تفسیر ذی القربى الجار الملاصق ، والجار الجنب البعید غیر الملاصق ، والصاحب بالجنب الرفیق فی السفر .

وعن ابن عباس . ومجاهد . وقتادة . والسکبي . ومقاتل بن حیان . ومقاتل بن سلیمان ، والجار ذی القربى الذی ینتک وینتق قرابة ، والجار الجنب الأجنبي عنک ، والصاحب بالجنب ، الرفیق فی السفر ، وزاد مقاتل ابن سلیمان ، فقال فی الصاحب بالجنب : انه الرفیق فی السفر والحضر

له حق الجوار ، وجار له حقان وهو المسلم ، له حق الجوار . وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الاسلام ، والرحم ، والجوار * حفظ حق الجار من الايمان ، والاضرار به من الکبائر ، لقوله صلى الله عليه وسلم فی بعض الروایات ، من كان یؤمن بالله والیوم الآخر فلا یؤذ جاره * وانظر الى أبناء زماننا کیف منموا الجار حقه ، واستبدلوا الاکرام بالایذاء ، والاحسان بالاساءة ، حتى أصبح أقرب الناس جواراً ، أشد هم عداوة لجاره وأعظمهم ضرراً ، وأسرعهم تنکیلاً به ، وأحرصهم على هتك عرضه ، ولاشیئاً اذا كان ینتق وینتک جاره وقرابة فان الایذاء له یزداد ویتعاضم ، وكل ذلك من الجهل بالدين ، وعدم انتشار آداب الاسلام ، وتساهل العالمین بالاحکام نسأل الله ان یوفق علماءنا الاعلام ، وأمرأنا الکرام الى استدراک الخطب قبل استفحاله ، وقطع عرقه قبل سریانه ، بنشر التعلیم بین المسلمین طامة ، وتخریج واعظ ومرشدين قادرین على تفهیم العوام أمر دینهم ، وبیان حقوق الافراد والجماعات ، وما ینشأ عن الجهل ، وترك الدین ، وتقلید الاجانب فی الامور الخلة ، والمفاسد المؤثرة فی الهیئة الاجتماعية ، من سقوط الامة وانحطاطها ونسوب

* وعن علي ، وعبد الله بن مسعود و ابراهيم وغيرهم رضى الله عنهم في الصحاح بالجلب ، انها المرأة * وعن سعيد بن جبير في رواية كذلك ، وفي رواية عنه . انه الرفيق الصالح .

* ولحديث عائشة في الصحيحين . انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت انه سيورثه * وبه أنبأنا البيهقي أبو عبد الله الحافظ في مراعاة حق الرفيق ثنا أبو العباس الاصم ثنا شعبة بن عثمان التنوحي ثنا محمد بن شمال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال . قال : عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عني الارب العالمين ، رجل فسح له في مجلسه ورجل تخطى الحلق والمجالس حتى جلس الى ، ورجل ذكر في الليل ، حاجته (ذاد) (١) في اهلهما فذلك لا يكافئه عني الارب العالمين . * (الثامن والستون) ، اكرام الضيف (٢) * لحدِيث أبي

العدو عليها ، وافتراسها ، واستعباده اياها كما هو حاصل الآن ، فيصبح الشعب متعلماً متيقظاً لنفسه متمسكاً بحقوقه : محترماً لجاره ورجه ، مقتدياً بسلفه ، تاملأ بشريته ودينه ، ناظراً الى منفعة أخيه ووطنه ، مكباً على رضاه ربه ، متباعدا عما يضر بقومه وابناء جنسه ، متحاشياً الرذائل ، متحلياً بالمفضائل وغير ذلك من الصفات التي تقدمت .

(١) هكذا الاصل ، وانظر وجه ايراد هذا الاثر في هذا الباب تدبر
(٢) اختلف العلماء في حكم الضيافة . ذهب الجمهور الى انها سنة ، لانها من مكارم الاخلاق ، وآداب الاسلام وخلق النبيين والصالحين ، مستدلين . بحديث ، فليكرم جاره جائزته . والجائزة المنحة والعطية ، وذلك لا يكون الا مع الاختيار * وقوله فليكرم وليحسن يدل على هذا . وتأولوا أحاديث الباب التي ظاهرها الوجوب ، بانها كانت في أول الاسلام . وذهب البيهقي والامام

شريح المدوى في الصحيحين . قال سمعت أذناى وأبصرت عينائى حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته . قالوا وما جائزته . قال يومه وليته ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه . وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت * وزاد فى رواية فى أوله ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .

* (التاسع والستون) ، الستر على أصحاب القروف أى

الذنوب (١) لقوله تعالى ، ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة .

أحمد الى ان الضيافة واجبة يوماً وليلة ، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم . ليله الضيف حق واجب على كل مسلم * وبحديث عقبة . ان نزلتم بقوم فأمروا اليكم بحق الضيف فاقبلوا . وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى يبنى لهم . واختلف فى وجوبها هل على الحاضر والبادى ، ام على البادى خاصة ، وظاهر الاحاديث العموم ، والله أعلم

(١) اعلم ان الله تعالى ذم من يجب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ؛ فقد روى الامام أحمد من حديث عقبة ابن طامر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ، من ستر على المؤمن عورته ستره الله يوم القيامة ، وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته * والناس فى ارتكاب الذنوب على ضربين ، الاول من كان مستوراً لا يعرف بشئ من المعاصى والمخالفات ، فاذا وقعت منه هفوة أو زلة فانه لا يجوز هتكه ولا كشفها

* ولحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن ابيه ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة :

* (السبعون) ، الصبر على المصائب وعمّا تنزع النفس اليه من لذة وشهوة (١) . لقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين .

* عن مجاهد وغيره انه أراد بالصبر الصوم . وقوله : (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وغيرها من الآيات .

ولا التحدث بها ، لان ذلك غيبة محرمة ، وهذا هو الذى وردت فيه النصوص ، يدل له مارواه أبو داود والنسائي من حديث طائفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال . أقبِلوا ذوى الهيئات عثراتهم * الثانى من كان مشتهراً بالمعاصى والمخالفات معلناً بها غير مبال بما ارتكب منها ، ولا بما قيل له هذا التاجر المعلن . وهذا ليس له غيبة بلا نزاع بين العلماء ، فينبغى البحث عن أمره لتقام عليه الحدود ويتأدب ويتمظ به غيره وينزجر ، فافهم

(١) حقيقة الصبر ، حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط ، واللسان عن الشكوى ، والثبات على أحكام الكتاب والسنة ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا ايمان له ، كما ان لا جسد لمن لا رأس له ، وهو من اعظم الامور واتقها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً ، وحكمة الوجوب باجماع الامة ، رزقنى الله واياك الصبر على المكاره

* ولحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه فى الصحيحين .
قال جاء أناس من الانصار فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فأعطاهم . قال فجعل لا يسأله أحد منهم الا اعطاه حتى نفد ما عنده ثم
قال ، حين أنفق كل شئ عنده ما يكون عندنا من خير فلن ندخره
عنكم فإنه من يستغف بعفه الله : ومن يستغن يفنه الله . ومن يتصبر
يصبره الله ، ولن يعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر

* وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيهما أيضاً . قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً .
فقلت انك لتوعك وعك الرجلين (١) فقال : أجل أوعك كما يوعك
رجلان منكم . قال . فقلت ذلك بان لك أجرين . قال أجل وما من
مسلم يصيبه أذى من مرض فأسواه الا حط الله به من سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها .

* (الحامى والسبعون) ، الزهد وقصر الامل (٢) لقوله

(١) الوعك بسكون العين وفتحها الحمى وقيل ألمها وقيل هو ارتداد
الحمى وتحريكه إياه وقال صاحب المحكم الوعك الألم يجده الانسان من شدة التعب
(٢) اعلم ان الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد ونذكر لك اهمه ، قال
الامام احمد ، الزهد فى الدنيا هو عدم فرحه بأقبالها ، وحزنه على أدبارها ،
وقال الجنيد ، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال ابن خفيف ، الزهد
سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك ، والذي اجمع عليه
المعارفون ، ان الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، واخذه فى منازل الآخرة ،
وقد قسم الزهد الامام احمد الى ثلاثة أوجه ، الاول ترك الحرام ، وهو زهد

تعالى . (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها)

العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى الى مدحه في القرآن في غير موضع والى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله تعالى (ما عندكم ينقد وما عند الله باق) وقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) وقال (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وقال (اعلوا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) الى قوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والاحاديث في ذلك كثيرة ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مر بالسوق داخلا من بعض العالمة والناس كنفية (أى جنبية) فرمى اسك ميت فتناوله فاخذ بأذنه ثم قال أيكم يجب ان هذا له بدرم فقالوا ما نحب انه لنا بشيء وما نصنع به قال أتحبون انه لكم قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه اسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم * ومعنى اسك صغير الأذنين . فالزهد في الشيء الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شيء زهيد أى قليل حقير وليس المراد بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك ، يدل له ما رواه الترمذي وابن ماجه عن ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاءة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أو ثقت بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو انها بقيت لك * وهذا اجمع كلام في الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقوفاً الامام احمد وابن ابى الدنيا . ويشهد له ما ثبت عن سليمان وداد وعليهما الصلاة والسلام ، انهما كانا ازهد اهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما ، وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أرهد البشر على الاطلاق وله تسعة نسوة ، وكان على بن ابى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف . والثير . وعثمان

* ولحديث أنس بن مالك وسهل بن سعد في الصحيحين . بُعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى .

* وحديث ابن عباس في صحيح البخارى . نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ .

* وبه أنبأنا البيهقي : قال أنشدنى أبو عصمة محمد بن أحمد السجستاني بالبصرة لنفسه فى هذا المعنى

أنبأنا خير بنى آدم * وما على أحمد الا البلاغ
الناس مغبونون فى نعمتي * صحة أبدانهم والفراغ
* وحديث أبى سعيد رضى الله عنه فى صحيح مسلم ، ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء (١) .

من الزهاد مع ما لهم من الاموال والتجارة ، وكان الحسن بن على من الزهاد مع انه اكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن ، واغناها ، وهكذا كان أغلب السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ، والله الموفق

(١) وحاصل ذلك ، ان نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل فى أرض بنى كنعان ، وصل خبره الى قوم بلعام ، وكان يحفظ الاسم الاعظم ومجابه الدعوة وفيه نزل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ، فذهب قوم بلعام الى بلعام ، وقالوا له ان هذا موسى بن عمران فى بنى اسرائيل قد جاء يخرجننا من بلادنا ، ويقتلنا وانا قومك ، وليس لنا منزل ، وانت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم ، فلم يزالوا به حتى فتنوه . فافتتن ، فركب حمارة له وأراد ان يتوجه الى الجبل

ليدعو على موسى ومن معه، فوقت ولم تسر به ، فضربها فانطقها المولى تعالى ،
فقلت ويحك يا بلعام أين تذهب ، أما ترى الملائكة تردني ، فلم يرجع عن
غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى وقومه ، ولا يدعو
عليهم بشر الا صرف به لسانه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى
اسرائيل فقال له قومه أتدرى يا بلعام ما تصنع ، انما تدعو لهم وتدعو علينا ،
قال فهذا مالا أملك ، هذا شئ قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ،
فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق الا المكر والحيلة ،
فسأمكر لكم وأحتال ، جلوا النساء وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى قوم
موسى يبعنها فيهم ، وصروهن بان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان
زنى منهم واحد كفيتهموم ، ففعلوا فلما دخل النساء المسكر مرت امرأة برجل
عظيم من بنى اسرائيل فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جاهلها ، ثم أقبل بها
حتى وقف على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك ،
فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها ، قال فو الله لا أطيعك فى هذا ، فدخل
بها فبته فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل ، وكان صاحب أمر
موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش ،
فجاء الطاعون يجوس ويحصد فى بنى اسرائيل ، فاخبر الخبر ، فأخذ حربته ،
ثم دخل القبة ، وهما متضاجعان . فاننظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما
الى السماء ، وجمل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ، فرفع الطاعون فحسب
من هلك من بنى اسرائيل فوجد قد هلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من
النهار ، فانظر الى هذه القصة ، واعتبر بما حصل لبلعام الذى أوتى الاسم الاعظم ،
واجابة الدعوة ، وما نفعه ذلك ، لكونه لم يعمل بملءه النافع ، ولم يسلك
سبيل الرشاد ، واتخذ علمه وسيلة لخذلان المؤمنين ، وزريمة للتشكيل بهم ،
وهكذا كل عالم اذا لم يعمل بملءه ، واتخذ آلة لاضلال الناس واكتساب
الاموال ، كان وبالاً وحجة عليه ، وسود وجهه فى الدنيا ، وقاده الى عذاب
شديد فى الآخرة ، نسأل الله حسن العاقبة

* (الثاني والسبعون) ، النيرة وترك المذاهب (١) لقوله تعالى ، (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) ، (وقل للمؤمنات يفضنن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) ،

* ولحديث أبي هريرة في صحيح البخارى ان الله عز وجل يغار وان المؤمن يغار وغيره الله ان لا يأتى المؤمن ما حرم عز وجل عليه * وحديث أم سلمة رضى الله عنها في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عندها وفي البيت مخنث (٢) فقال لعبد الله ابن أبي أمية أختي أم سلمة يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف غداً فاني أدلك على ابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخلن هؤلاء عليكم

(١) النيرة بفتح العين وسكون الياء . قال في النهاية ، هي الحمية والأفة وقال القاضى فى المشارق هي تغير القلب وهيجان الغضب ، أى عند رؤية أوسماع مالا ينبغى ، يقال رجل غيور وأمرأة غيور ، والمذاهب بكسر الميم والمد يقال أمذى الرجل وماذى اذا قاد على أهله ، ويروى المذال من النفاق ، باللام وهو ان يقلق الرجل وينزعج عن فراشه الذى يضاجع عليه حليلته ويتحول عنه ليفترشه غيره

(٢) المخنث هو الذى يشبه النساء فى أقواله وأفعاله ، قارة يكون هذا خلقيا وقارة تكلفيا ، والثانى هو المذموم الملعون صاحبه ، وأما المخنث فى هذا الزمان هو الذى يوثى ليلاط به ، وقول المخنث تقبل باربع وتدبر بثمان هو وصف للمرأة ، وحاصله انها سميننة ولبطنها طيات من السمن من كل ناحية ثنتان ، ولاكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية ، قال ابن الكلبي ، قال المخنث بعد قوله وتدبر بثمان ، مع ثمر كالأقحوان ان

* وروى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الغيرة من الايمان وان المذاة من النفاق . قال الحلبي هو ان يجمع بين الرجال والنساء ثم يخلطهم بماذى بعضهم بعضاواخذ من الذى وقيل هو ارسال الرجال مع النساء من قوله مذيت الفرس اذا أرسلتها ترى .

* (الثالث والسبعون) ، الاعراض عن اللغو لقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) ، وقوله . (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) ، وقوله . (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) ،

قعدت تثنت ، وان تكلمت تفنت ، بين رجليها مثل الاناء المكفوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع . فقال لقد غفلت النظر اليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادنة فلما فتح الطائف أسلمت وتزوجها عبد الرحمن بن عوف وولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبي صلى الله عليه وسلم حين سماعه كلام المنخت من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لثلا ينتشر هذا الداء العضال فى الامة ، ويسرى سريان الكاب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماءنا وأمرؤنا الى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ، ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررم ، وفسدت أخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر احدا من العلماء ، أو الامراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو ألف رسالة فى بيان فساد بقاء هذه الشرذمة القبيحة ، والطائفة المشؤمة على الامة وقد تقدم بيان حكم اللواط فى بابه فارجع اليه .

واللغو الباطل الذي لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالاعليه

* وفي حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعلى بن الحسين عن ابيه عن علي رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (١)

* وبه انبأنا البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ ثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق قال سمعت أبا عثمان الخياط قال سمعت ذا النون يقول . من حب الله عاش * ومن مال الى غيره طاش * والاحمق يغدو ويروح في لاش * والعاقل عن خواطر نفسه فتاش .

* (الرابع والسبعون) ، الجود والسخاء (٢) لقوله تعالى .

(١) هذا الحديث أصل عظيم من أصول الآداب ، ومعناه ان من حسن اسلام المرء تركه مالا تتعلق عنايته به ، ويكون من مقصده ومطلوبه من قول وفعل ، والعناية بالشيء شدة الاهتمام به ، لانه يترك مالا عناية له به ولا ارادة بحكم الهوى ، وطلب النفس ، بل بحكم الشريعة والاسلام ، لهذا جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاسلام ، فاذا حسن اسلام المرء ترك مالا يعنيه من المكروهات ، وفضول المباحات التي لا يحتاج اليها فان هذا كله لا يعنى المسلم ، فعلى العاقل ان لا يسمى الا الى ثلاث ، تزود لمعاد ، أو حرفة لمعاش ، أو لذة في غير محرم ، وان يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه ، خادماً لامته ودينه ، حافظاً لحقوق ربه ، متابراً على النصائح والفوائد ، تاملاً على انهض قومه ، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي ان يتصف بها المسلم

(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى ، وهو اتفاق المال الكثير بسهولة من

(وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء) وغيرها من الآيات

النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي ، ويقابله البخل وقد
أمر به المولى ومدحه في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الامين ، صلى الله
عليه وسلم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يوازي في الكرم والجود ، ولا يبارى
وبه وصفه كل من عرفه ، وما سئل قط فقال لا ، لما رواه البخاري في صحيحه
والترمذي وغيرهما عن جابر رضى الله عنه قال ، ما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا فقال لا وأنشد حسان

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لا لا

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ، كان النبي صلى الله
عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود
بالخير من الریح المرسله ، وهكذا كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
* وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غما
بين جبلين ، فرجع الى قومه ، وقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا
يخشى فاقة ، واعطى غير واحد مائة من الابل ، واعطى صفوان بن أمية مائة
ثم مائة ثم مائة وكان مشركا ، فقال أشهد بالله ما طابت بهذا الاتمس نبى
واسلم * ورد على هو اذن سباياها وكانوا ستة آلاف نفس مع أموالهم وكانت
خمسمائة الف الف ، رحل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها فقسّمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ،
فقال ما عندي شيء ، ولكن اتبع على ، فاذا جاء ناشئ قضيناه ، فقال له عمر
رضى الله عنه ، ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره صلى الله عليه وآله وسلم ،
فقال رجل من الانصار يا رسول الله ، اتفق ولا تحف من ذى العرش اقلالا ،
فتبسم عليه الصلوة والسلام ، وعرف البشر في وجهه ، وقال بهذا أمرت ،
والخير بكرمه وجوده لا يحصى فمن البحر حدث ولا حرج

ولقوله في عكسه . (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل . وقوله . (ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه)
وقوله . (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وغيرها من الآيات
* ولحديث أبي هريرة في الصحيحين ما من يوم يصبح العباد فيه
الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر
اللهم أعط ممسكاً تلفاً (١)

(١) وقد خرج هذا الحديث أيضاً الامام أحمد في مسنده عن أبي
الدرداء بزيادة ، قال ما من يوم طلعت فيه الشمس الا وبجنتيها ملكان يتاديان
بسمه خلق الله كلهم الا الثقلين ، يا أيها الناس هلموا الى ربكم ، ان ما قل
وكفى خيراً مما كثر وألهى ، ولا غربت شمس الا وبجنتيها ملكان يتاديان
بسمان أهل الارض الا الثقلين اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً ، وكلمة
من في الحديث زائدة ، والمعنى ليس يوم موصوف بهذا الوصف ينزل فيه أحد
الا ملكان يقولان كذا ، والحلف بفتح اللام العوض أى عوضك وابدلك بما
ذهب منك ، والتعبير بالاعطاء بجانب المسك للمساكلة لان التلف ليس بمطية
فهو من باب التهمك * فالحديث يدل على استحقاق تلف مال المسك ، وظاهره
الامساك مطلقاً ، أى عن الواجبات والمندوبات الا ان المسك عن المندوبات
لا يستحق هذا الدماء ، لا سيما دماء الملائكة وهو مجاب ، الا ان يحمل على
من غلب عليه البخل * والبخل صفة قبيحة ، وخلق ذميم ، قد اجتمعت الكتب
السماوية على ذمه ، وحقارة من اتصف به ، وسئل الحسن البصرى عن
حقيقة البخل ، قال هو ان يرى الرجل ما أنفقته سرفاً ، وما أمسكه
سرفاً اه ولذلك يemis البخيل عيشة الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء باعدنا
الله وإياك عن ذلك

• (الخامس والسبعون). رُحِمَ الصغير وتوقير الكبير (١)

• لحديث جرير بن عبد الله في صحيح مسلم . من لا يرحم الناس

لا يرحمه الله تعالى .

• وحديث أبي هريرة في الصحيحين . جعل الله الرحمة مائة جزء

فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى يرفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن

تصيبه . (٢)

• وحديث عبد الله بن عمرو في سنن أبي داود ومسلم . من لم يرحم

صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا .

• وروينا في الصحاح في حديث القسامة كبر الكبير أو الكبير

الكبر أي يتكلم أكبركم • وفي حديث الامامة وليؤمكم أكبركم

(١) الرحم بالضم الرحمة وهي رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان

ومحلها قلب المؤمن التقي ولا تنزع الا من قلب شقي، قال بعضهم من أمارات الكرم الرحمة ، ومن أمارات اللؤم القسوة .

(٢) اعلم ان رحمة الله لا تحصر ، فالحصر في مائة على سبيل التمثيل تسبيلا

للفهم ، وتقليلا لما عندنا ، وتكثيرا لما عند الله ، ويدل الحديث على ان الرحمة

في الآخرة أكثر من النعمة فيها ، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه

غلبت رحمتي غضبي ، وخص الفرس بالذكر لانها أشد الحيوان المألوف الذي

يماين المخاطبون حركته مع ولدها، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل

دمع ذلك تجنب ان يصل الضرر منها الى ولدها • وفي رواية عطاء يتماطفون

وبها يتراحمون وبهذا يمطف الوحش والطير بعضها على بعض .

• (السلاس والسبعون) ، اصلاح ذات الين^(١) لقوله

تعالى . (لا خير في كثير من نجوام^(٢) الامن أمر بصدقة أو معروف
أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
أجرأ عظيماً) . وقوله ، (انما المؤمنون اخوة فأصلحو بين أخويكم)
أى بين كل اثنين منكم .

• ولحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنه فى
الصحيحين ، ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمى
خيراً^(٣) قالت ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس كذباً الا فى ثلاث

(١) الاصلاح التوفيق بين الناس ، والصلح اسم بمعنى المصالحة وأصله من
الصلاح ضد الفساد ، والصلح أقسام . صلح بين المتناضبين . ويدخل فيه
الزوجان ، و صلح بين الفئة الباغية والمادلة . والصلح فى الجراح ، و صلح المسلم
مع الكافر ، و صلح لقطع الخصومات اذا وقعت المزاومة فى الاملاك أو المشتركات
كالشوارع ، والمراد به هنا مايمم الجميع

(٢) النجوى مصدر أو امم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى الكلام
الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سرأ ، وهى مظنة الاثم والشر ، يدل له قوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) الآية ، لان العادة استحباب اظهار الخير
والتحدث به جهراً و اخفاء الشر و كتمانها ، وقد جاء فى الحديث ، الاثم ما حاك
فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس

(٣) قوله وينمى خيراً هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخارى
هكذا ، فيسمى خيراً أو يقول خيراً ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الاثير تقلا
عن أبى عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، يقال نميت الحديث أتميه اذا بلغت على

الحرب والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

* (السابع والسبعون) ان يجب الرجل لاختيه المسلم ما يجب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل فيه امانة الاذى عن الطريق المشار اليه .

وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته علي وجه الافساد والنميمة قلت نميته بالتشديد اه وعزاه ابن حجر في الفتح الى الجمهور ، قال الحافظ ، قال العلماء المراد هنا انه يجنب بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذباً لان الكذب الاخبار بالشيء على ما هو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب القصد اليه . لان هذا ساكت اه وقولها ولم أسمعه يرخس الخ هذه زيادة مدرجة في الحديث من كلام الزهري بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر الحديث قال قال الزهري الخ ، واختلف العلماء في معنى ذلك على أقوال والذي تميل اليه النفس ويقبله العقل السليم وتشهد له الادلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل هو من قبيل التورية واستعمال المعاريض بأن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى في الاصلاح نقل من هؤلاء الى هؤلاء كذلك وروى ، وكذلك في الحرب يأتي بالفاظ تحمل وجهين فيورى بها عن أحد المعنيين ليفتر السامع بأحدهما عن الآخر ، ومن هذا الباب ما رواه الترمذي في شمائله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مازح عجوزا فقال لها لا تدخل الجنة عجوز ، ذاوهما في ظاهر الامران العجائز لا يدخلن الجنة أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الا شبابا ، وما جاء عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فتفتن

• في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين ، الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا اله الا الله وأدناه امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان .

• وحديث أنس في صحيح البخارى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

• وحديث جرير بن عبد الله في الصحيحين ، بايتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اقام الصلاة وابتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .



تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب وقد ظهر لنا أغلاط بعد الطبع لا تخفى على القارئ فوضعنا لأهمها جدولاً لبيان الخطأ والصواب

صحيحه	سطر خطأ	صواب
٥	٧	يطعمها
٢٢	٤	يطعمه
٢٢	٤	ذكاته
٢٢	٤	ذكاته
٢٢	٧	مثل له ماله
٣٢	٧	مثل ماله
٤٣	١٣	فليقل
٤٣	١٣	فليقل
٤٦	٨	فلن
٤٦	٨	فلن
٥٥	١	قل
٥٥	١	قل
٨٨	٦	حشياً
٨٨	٦	حشياً
		يرفع
		يرفع

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صحيفة	صحيفة
١٠ الثالثة عشر ، الايمان بوجود	٢ خطبة الكتاب
التوكل على الله عز وجل	٢ حديث الايمان بضع وستون شعبة
١٠ بيان أن الذكر ليس قاصراً على	ويبان طرقه
اللسان	٣ تفسير البضع ، والشعبة
١١ الكلام على الكي والرقية والطيرة	٥ الشعبة الاولى ، الايمان بالله
١٢ حقيقة التوكل	٥ « الثانية . والثالثة . والرابعة
١٣ الرابعة عشر الايمان بوجود محبة	٦ الخامسة . الايمان بأن القدر خيره
النبي صلى الله عليه وآله ومحبه وسلم	وشره من الله تعالى
١٣ علامة المحبة	٦ تحقيق الحق في المتشابه الوارد
١٣ الخامسة عشر ، الايمان بوجود	في الكتاب والسنة
تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٦ السادسة . الايمان باليوم الآخر
١٤ السادسة عشر شح المرء بدينه	٧ السابعة الايمان بالبعث وتفسيره
١٤ السابعة عشر طلب العلم الصحيح	٧ الثامنة الايمان بحشر الناس وتفسيره
١٥ الآيات والاحاديث الواردة في	٧ التاسعة الايمان بأن دار المؤمنين
فضل العلم والعلماء	الجنة ودار الكافرين النار
١٦ الثامنة عشر نفع العلم النافع	٨ العاشرة ، الايمان بوجود محبة الله
١٧ بيان أن الفقيه هو العالم العامل ،	عز وجل
ومثال العالم غير العامل	٩ الحادية عشر ، الايمان بوجود
١٧ للتاسعة عشر تعظيم القرآن المجيد	الخوف من الله عز وجل
١٨ المشرون الطهارات	١٠ الثانية عشر الايمان بوجود الرجاء
١٩ الحادية والعشرون الصلوات الخمس	من الله عز وجل

صحيفة	صحيفة
عز وجل	١٩ بيان أن تارك الصلاة خارج عن
٣٠ كلام العلماء في النعم	الدين بالنص واللوم كله على العلماء
٣١ الرابعة والثلاثون حفظ اللسان	٢٠ الثانية والعشرون الزكاة
٣١ كلام تقيس على الكذب وممراته	٢١ بيان الآيات والاحاديث الواردة
للامام البيهقي	في تفرغ وتوبيخ مانعي الزكاة
٣٢ الخامسة والثلاثون الامانات وما	٢٢ الثالثة والعشرون الصيام
يجب فيها من أدائها الى أصحابها	٢٣ الرابعة والعشرون الاعتكاف
٣٣ السادسة والثلاثون تحريم قتل	٢٤ الخامسة والعشرون الحج وبيان
النفوس	حج أهل زماننا
٣٣ معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم	٢٤ السادسة والعشرون الجهاد
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر	٢٥ حقيقة الجهاد وأقسامه
٣٤ السابعة والثلاثون تحريم الفروج	٢٥ السابعة والعشرون المرابطة في
٣٤ حكم اللواط وما ورد فيه	سبيل الله تعالى
٣٥ الثامنة والثلاثون قبض اليد عن	٢٦ الثامنة والعشرون الثبات للعدو
الاموال	أو ترك الفرار منه
٣٥ معنى قوله صلى الله عليه وسلم	٢٦ تفسير قوله تعالى (فاذا قيمتم
لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مؤمن	الذين كفروا زحفاً) الآية
٣٦ التاسعة والثلاثون وجوب التورع	٢٧ التاسعة والعشرون أداء الخمس
في المطاعم والمشارب	من المضم
٣٧ قبح الحر وشاربيه	٢٨ الثلاثون العتق بوجه التقرب
٣٩ بيان الطيبات المأمور بها وورع	٢٨ الحادية والثلاثون الكفارات
السلف الصالح والكلام على	٢٨ الثانية والثلاثون الايفاء بالمعقود
المشبهات	٢٩ الثالثة والثلاثون تعدد نعم الله

صحيفة	صحيفة
٥٢ السادسة والاربعون السرور	٤١ حقيقة الورع وما قيل فيه
بالحسنة والاعتقاد بالسيئة	٤٣ الاربعون تحريم الملابس والزي
٥٢ السابعة والاربعون معالجة كل	المخالف والاواني
ذنب بالتوبة	٤٣ بيان الاحاديث الواردة في لبس
٥٢ حقيقة السرور . والتوبة	الحرير والنهي عنه مطلقاً
٥٣ الثامنة والاربعون، القرابين	٤٥ الحادية والاربعون في تحريم
٥٣ حقيقة الفنين، والقرابين	الملاعب والملاهي
٥٤ التاسعة والاربعون طاعة أولى	٤٥ الثانية والاربعون الاقتصاد في
الامر ومن هم	النفقة
٥٤ اختلاف الفقهاء في الاضحية	٤٦ الثالثة والاربعون ترك الفل
٥٥ الخمسون التمسك بما عليه الجماعة	والحسد
٥٥ حكم من خرج من الطاعة وفارق	٤٦ حقيقة الحسد وتقسيمه الى حرام
الجماعة	ومباح وهو المسعى غبطة
٥٦ استباحة دم من فرق امرأة محمد	٤٧ الرابعة والاربعون تحريم الوقوع
صلى الله عليه وآله وسلم وهي جمع	في أعراض الناس
٥٦ الحادية والخمسون الحكم بين الناس	٤٨ الكلام على آية (ان الذين يحبون
بالعدل	أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا)
٥٦ الثانية والخمسون الامر بالمعروف	٤٨ الخامسة والاربعون اخلاص العمل
والنهي عن المنكر	للله عز وجل
٥٧ مراتب الامر بالمعروف والنهي	٤٩ معنى قوله تعالى (من كان يريد حرث
عن المنكر	الدنيا) الخ
٥٨ صفة من يأمر وينهى	٥٠ حقيقة الرياء
٦٠ الثالثة والخمسون التعاون على	٥١ كلام السلف في الرياء

صحيفة	صحيفة
٧٠ الثالثة والستون عيادة المريض	البر والتقوى
٧٠ الكلام على حديث . أمرنا بسبع	٦٠ الرابعة والخمسون الحياء حقيقته
ونهانا عن سبع	٦١ الخامسة والخمسون بر الوالدين
٧١ مبحث تقيس يتعلق بالحرير وأن	٦١ السادسة والخمسون صلة الرحم .
الحكم شامل لانواعه كلها وأن من	حقيقته
فرق بين أنواعه لا مستند له	٦٢ بيان الجمع بين الآية والاحاديث
٧١ الرابعة والستون الصلاة على من	في زيادة العمر
مات من أهل القبلة	٦٣ السابعة والخمسون حسن الخلق .
٧٢ الخامسة والستون تسميت العاطس	٦٣ حقيقته . وكمكارم أخلاق النبي
٧٢ بيان حكمه وكيفية الحمد، والتسميت	صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم
وجواب العاطس	٦٤ صفات المؤمن حقيقته
٧٣ السادسة والستون في مباحدة	٦٥ تقسيم الخلق الى طبيعي ومكتسب
الكفار والمفسدين والفاظ عليهم	والدليل على ذلك
٧٣ بيان الآيات الواردة في عدم	٦٦ الثامنة والخمسون الاحسان الى
موالاة الكفار وحكمة النهي	المماليك
وجواز الاستعانة بهم من تحالف	٦٧ التاسعة والخمسون حق السادة
واتفاق على عدونا	على المماليك
٧٤ السابعة والستون اكرام الجار	٦٧ الستون حقوق الاولاد والاهل
٧٤ الاحسان الى الجار ومواساته أمر	٦٧ الحادية والستون مقاربة أهل
محبوب وفيه فوائد جمة	الدين ومودتهم
٧٥ (بيان حقوق الجار وأنها تختلف	٦٨ فوائد السلام وإفشائه
باختلافه وبيان ما عليه أهل	٦٩ الثانية والستون رد السلام
زماننا الآن من الاساءة للجار	٦٩ بيان حكمه . والنهي عن الجلس
٧٦ الثامنة والستون اكرام الضيف	بالطرقات ، وحكمة النهي

صحيفة	صحيفة
٨٥ الكلام على حديث من حسن	٧٦ اختلاف العلماء في حكم الضيافة
اسلام المرء تركه مالا يعنيه	٧٧ التاسعة والستون الستر على
٨٥ الرابعة والسبعون الجود والسخاء	أصحاب الذنوب
٨٥ تعريف الجود	٧٧ بيان من يجب الستر عليه ومن لا يجب
٨٦ سخاء النبي صلى الله عليه وسلم	٧٨ السبعون الصبر على المصائب
وكرمه وأنه لا يسابق	٧٨ حقيقة الصبر وبيان حكمه
٨٧ مدح الكرم وذم البخيل المثيم	٧٩ الحادية والسبعون الزهد وقصر
٨٨ الخامسة والسبعون رُحَم الصغير	الامل
وتوقير الكبير	٧٩ تفسير الوعك
٨٨ تعريف الرحم وبيان حال الفرس	٧٩ حقيقة الزهد وأقوال العلماء فيه
مع ولدها	٨٠ الآيات والاحاديث الواردة في
٨٩ السادسة والسبعون اصلاح	الزهد وذم الدنيا
ذات البين	٨٠ غنى المرء ذى الهمة لا ينافى زهده
٨٩ حقيقة الاصلاح	٨١ بيان سبب فتنة بنى اسرائيل
٨٩ تفسير النجوى	٨٢ ضلال من يعلم ولم يعمل
٩٠ الكذب المستثنى في الحديث ليس	٨٣ الثانية والسبعون الغيرة وترك
بكذب حقيقة وانما هو من قبيل	المذاء
المعاريض والتورية	٨٣ تفسير الغيرة والمذاء
٩٠ السابعة والسبعون ان يحب الرجل	٨٣ حقيقة المخنث وبيان فساده
لاخيه ما يجب لنفسه	٨٤ الثالثة والسبعون الاعراض عن اللغو
٩٠ جدول الخطأ والصواب	

مفتاح الحجة

في الإحتجاج بالسنة

تأليف خاتمة الحفاظ والمجتهدين مولانا الشيخ جلال الدين
السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ بمده الله برحمته آمين

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى

إدارة الطباعة المنيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وبه تقي وسلام على عباده الذين اصطفى •

اعلموا يرحمكم الله ان من العلم كهيئة الدواء . ومن الآراء كهيئة الخلاء . لا تذكر إلا عند داعية الضرورة . وان مما فاح ربحه في هذا الزمان . وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان وهو ان قائلنا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه ان السنة النبوية . والاحاديث المروية . زادها الله علوا وشرفا . لا يحتاج بها وان الحجة في القرآن خاصة وأورد على ذلك حديث ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن فان وجدتم له أصلا فخذوا به والا فردوه هكذا سمعت هذا الكلام يجملته منه وسمعه منه خلائق غيرى فمنهم من لا يلتقي لذلك بالا . ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك . وأبين بطلانه . وانه من أعظم المبالك •

فاعلموا رحمكم الله ان من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف فى الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة . روى الامام الشافعى رضى الله عنه يوم احديثنا وقال انه صحيح فقال له قائل أتقول

به يا أبا عبد الله فاضطرب وقال يا هذا رأيتني نصرانيا رأيتني خارجا من كنيسة رأيت في وسطى زنارا أروى حديثا عن رسول الله ﷺ ولا أقول به • وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى انكار الاحتجاج بالسنة والاقتصاص على القرآن وعم في ذلك مختلفوا المقاصد فمنهم من كان يعتقد ان النبوة لعلي وان جبريل عليه السلام اخطأ في نزوله الى سيد المرسلين ﷺ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال ان الخلافة كانت حقا لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه الى أبي بكر رضى الله عنهم أجمعين قال هؤلاء المخذولون لمنهم الله كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفروا لمنهم الله عليا رضى الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه فبنوا على ذلك رد الاحاديث كلها لانها عندم بزعمهم من رواية قوم كفار فانا لله وإنا اليه راجعون وهذه آراء ما كنت استحل حكايتها لولا مادعت اليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار •

وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم وسأسوق ان شاء الله تعالى جملة من ذلك والله الموفق • قال الامام الشافعي رضى الله عنه في الرسالة ونقله عنه البيهقي في المدخل قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه انه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرمة من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن بين الايمان برسوله مع الايمان به فقال تبارك وتعالى (فآمنوا بالله ورسوله) وقال (انما المؤمنون الذين آمنوا

بأنه ورسوله) فجعل كمال ابتداء الايمان الذي ماسواه تبع له الايمان بالله ثم برسوله معه قال الشافعي وفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله فقال في كتابه (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) مع آى سواها ذكر فيبين الكتاب والحكمة قال الشافعي فذكر الله الكتاب وهو القرآن و ذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله ﷺ وقال (بأياها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) فقال بعض أهل العلم أولو الأمر أمراء سرايا رسول الله ﷺ (فان تنازعتم) يعنى اختلفتم فى شىء يعنى والله تعالى أعلم وأمراؤم الذين أمروا بطاعتهم (فردوه الى الله والرسول) يعنى والله تعالى أعلم الى ما قال الله والرسول ثم ساق الكلام الى ان قال فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته فقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) واحتج أيضا فى فرض اتباع أمره بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسالون منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وغيرها من الآيات التى دلت على اتباع امره ولزوم طاعته فلا يسع احدا رد أمره لفرض الله طاعة نبيه .

قال البيهقي بمد احكامه هذا الفصل: ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال

ﷺ فى خطبته بمد تعليم من شهد امر دينهم «ألا فليبلغ الشاهد منكم

١ - النور ٦٢

٢ - آل عمران ٦٤

٣ - النساء ٥٩

٤ - النساء ٦٥

٥ - النور ٦٣

٦ - الحشر ٧

الفائب قرب مبلغ أوعى من سامع « ثم أورد حديث « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فآذاه كما سمعه قرب مبلغ أوعى من سامع » وهذا الحديث متواتر كما سأبينه * قال الشافعي فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحاجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا *

ثم أورد البيهقي من حديث أبي رافع قال قال رسول الله ﷺ « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا » أخرجه أبو داود والحاكم ومن حديث المقدم بن معدى كرب أن النبي ﷺ حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهل وغيره ثم قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه إلا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله » قال البيهقي وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده ثم أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة للسكي أن عمران بن حصين رضى الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم يا أبا نجيد انكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن فغضب عمران وقال لرجل قرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر أربعاً والمصر أربعاً قال لا قال فعن من أخذتم ذلك أستمعنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ أوجدتم فيه من كل

أربعين شاة شاة وفي كل كذا بعيرا كذا وفي كل كذا درهما كذا قال لاقال
 فمن من أخذتم ذلك أستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ وقال أو جدتم
 في القرآن (ويطوفوا بالبيت العتيق) أو جدتم فيه فطوفوا سبعا واركعوا
 ركعتين خلف المقام أو وجدتم في القرآن لا جلب ولا جنب ولا شغار في
 الاسلام أما سمعتم الله قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
 عنه فانتهوا) قال عمران فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم
 بها علم * ثم قال البيهقي والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن
 باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على
 عرض الحديث على القرآن انتهى كلام البيهقي في المدخل الصغير وهو
 المدخل الى دلائل النبوة وقد ذكر المسألة في المدخل الكبير وهو المدخل
 الى السنن بأبسط من هذا فقال باب تعليم سنن رسول الله ﷺ وفرض
 اتباعها قال تعالى (تقدمن الله على المؤمنين) الى قوله (ويعلمهم الكتاب
 والحكمة) قال الشافعي سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة
 سنة رسول الله ﷺ *

ثم أخرج بأسانيد عن الحسن وقتادة ويحيى بن أبي كثير أنهم قالوا
 الحكمة في هذه الآية السنة ثم أورد بسنده عن المقدم بن معدى كرب
 عن النبي ﷺ أنه قال «ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا انى أوتيت
 القرآن ومثله الا يوشك (١) رجل شيمان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن
 فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فخرموه الا لا يحل
 لكم الحمار الأهلي ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطه مال معاهد» الحديث

(١) أى يسرع ويقرب

١ - الحج ٢٩

٢ - الحشر ٧

٣ - آل عمران

ثم أورد من طريق آخر عن المقدم بن معدى كرب قال حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره فقال ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فاجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإنما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله »

وقال البيهقي بإسناد صحيح أخرجه أبو داود في سننه قلت وأخرجه أيضا الحاكم ثم أورد البيهقي أيضا بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » أخرجه الحاكم في المستدرک وأورد بسنده عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ « خطب الناس في حجة الوداع فقال يا أيها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » أخرجه الحاكم أيضا وأورد بسنده أيضا عن عروة أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال « اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرين اثنين كتاب الله وسنة نبيكم أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم تعيشوا به » وأخرج بسنده عن ابن وهب قال سمعت مالك بن أنس يقول ائتم ما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ » وأخرج بسنده عن المرباض بن سارية قال « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الميوز ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فاذا تمهد الينا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة فانه من يعش

منكم بعدى فسرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين
 للهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان
 كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة « قلت هذا الحديث أخرجه أبو داود
 وابن ماجه والحاكم فى مستدركه • وأخرج بسنده عن عائشة ان رسول
 الله ﷺ قال ستة لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة الزائد فى كتاب الله
 والمكذب بقدر الله التساط بالجبروت ليدل بذلك من اعز الله ويعز من
 اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله والتارك لسنتى
 قلت أخرجه أيضا الطبرانى والحاكم وصححه • وأخرج بسنده عن ابن
 عمرو أن النبى ﷺ قال « ان لكل عمل شرة (١) ولكل شرة فترة (٢)
 فمن كانت فترة الى سنتى فقد اهتدى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك »
 وأخرج بسنده عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال « من احبى سنتى فقد
 احببى ومن احببى كان معى فى الجنة » قلت أخرجه أيضا الترمذى • واخرج
 بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام القائم بسنتى
 عند فساد أمتى له اجر مائة شهيد قلت أخرجه أيضا الطبرانى ثم
 قال البيهقى فى باب بيان وجوه السنة قال الشافعى رضى الله عنه وسنة رسول
 الله ﷺ من ثلاثة أوجه • أحدها ما نزل الله فيه نص كتاب فسن رسول
 الله ﷺ يمثل نص الكتاب • والثانى ما نزل الله فيه جملة كتاب فبين عن
 الله معنى ما اراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا وكيف أراد أن
 يأتى به المباد • والثالث ما سن رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص كتاب
 فمنهم من قال جعله الله له بما اقتضى من طاعته وسبق فى علمه من موضعه

(١) هى النشاط والرغبة (٢) أى سكون وتقليل

لرضاه ان يبين فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته كتبيين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن في البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى قال (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) وقال (وأحل الله البيع وحرم الربا) فما أحل وحرم فاما بين فيه عن الله كما بين في الصلاة : ومنهم من قال بل جاءت به رسالة الله فثبتت سنته بفرض الله : ومنهم من قال التمي في روعه (١) كل ما سن وسنته الحكمة التي أقيت في روعه انتهى بلفظه *

ثم أخرج البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر يا أيها الناس ان الرأي انما كان من رسول الله ﷺ مصيبا لان الله تعالى كان يريه وانما هو منا الظن والتكلف * وأخرج بسنده عن الشعبي « أن رسول الله ﷺ كان يقضى بالقضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول : واحتج من ذهب الى أنه لم يسن الا بما أمر الله ابا جحى ينزله عليه فيتلى على الناس او برسالة ثابتة عن الله أن افعل كذا بقوله ﷺ فيما رواه الشيخان في قصة الزاني « لأقضين بينكما بكتاب الله » ثم قضى بالجلد والتغريب وليس التغريب في القرآن : وبما أخرجه الشيخان عن يعلى ابن أمية « أن النبي ﷺ كان بالجرمارة (٢) فجاء رجل عاياه جبة متضمن (٣)

(١) أي في نفسه وخلده

(٢) هو موضع قريب من مكة وهي في الحل وميقات الاحرام

(٣) التضمن التلطيح بالطيب وغيره والاكثر منه

بطيب وقد احرم بعمره فقال يا رسول الله كيف تري في رجل احرم بعمره في حبة بعد ما تضحخ بطيب فنظر اليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت فجاهه الوحي فانزل الله (واعموا الحج والعمرة لله) ثم سرى (١) عنه فقال ابن الذي سألتني عن العمرة انفا أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فارتعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجبك» *

ثم اخرج البيهقي بسنده عن طاوس أن عنده كتابا من العقول نزل به الوحي وما فرض رسول الله ﷺ من صدقة وعقول (٢) فانما نزل به الوحي * وأخرج بسنده عن حسان بن عطية قال «كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن» أخرجه الدارمي * وأخرج بسنده من طريق القاسم بن مخيمرة عن طلحة ابن فضيلة قال « قيل لرسول الله ﷺ في عام سنة (٣) سمر لنا يا رسول الله قال لا يسألني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها ولكن اسألوا الله من فضله» * وأخرج بسنده عن المطلب بن حنطب «أن رسول الله ﷺ قال ما تركت شيئا مما أمركم الله به الا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه وأن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» قال الشافعي وليس تعدو السنن كلها واحدا من هذه المعاني التي وضعت باختلاف

(١) اي زال وكشف (٢) هو جمع عقل وهو الدية واصله ان القاتل كان اذا قتل قتيلا جمع الدية من الابل فقلها بفناء اولياء المقتول اي شدها في عقلها ليسلمها اليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر اه نهاية

(٣) السنة الجذب يقال اخذتهم السنة اذا اجذبوا واتعطلوا

من حكيت عنه من أهل العلم وكل ماسن فقد الزمنا الله اتباعه وجعل في
اتباعه طاعته وفي المتو عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقا ولم يجعل
له من اتباع سنن نبيه مخرجا *

ثم قال البيهقي باب ما أمر الله به من طاعة رسوله ﷺ والبيان ان
طاعته طاعته قال الله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم
فن نكت فانما ينكت على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا
عظيما) وقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) قال الشافعي رضى الله عنه
فأعلمهم أن يبيعة رسوله بيعته وأن طاعته طاعته فقال (فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما) قال الشافعي نزلت هذه الآية في رجل خاصم الزبير في أرض
فقضي النبي ﷺ للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ لاحكم
منصوص في القرآن. أخرج الشيخان عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من
الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة (١) التي يسقون بها النخل فقال
الانصارى سرح الماء يمر فابى عليه الزبير فاختمها الى رسول الله ﷺ فقال
رسول الله ﷺ اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصارى
يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال يا زبير اسق
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب أن هذه
الآية نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

(١) الشراج مسيل الماء من الحزن الى السهل واحده شرج . والحرة بفتح الحاء المهملة
وتشديد الراء من الارض الصلبة الغليظة التي البستها كلها حجارة سود نخره كلها مطرت
والجمع حرات وبالمدينة حرتان حرة واقم وحررة ليلي وقيل فيها اكثر من حرتين والله اعلم

الآية • وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله » • وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال « جاءت ملائكة الى نبي الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة (١) وبعت داعياً فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس » • وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أذى قالوا يا رسول الله ومن يأذى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أذى » • قال الشافعي رحمه الله وقال تعالى (لا تجملوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) الى قوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) أخرج البيهقي عن سفيان في قوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) قال يطبع الله على قلوبهم : قال الشافعي وأمرم بأخذ ما آتاهم والاتباء عما نهاهم عنه فقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) • أخرج الشيخان عن ابن مسعود أنه قال « لمن الله الواشمات والمستوشمات والتمنصات والمتفجمات للحسن للغيرات خلق الله فبلغ ذلك

(١) هي الطعام التي يصنعها الرجل يدعو اليه الناس

امرأة يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك قلت كيت وكيت فقال مالي لألعمن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته قال إن كنت قرأته فقد وجدته اما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانه نهى عنه (١) قال الشافعي وأبان أنه يهdy إلى صراط مستقيم فقال (ولكن جعلناه نورا نهdy به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله) : قال الشافعي وكان فرضه على من عاين رسول الله ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة واحدا في أن على كل طاعته ثم أخرج البيهقي بسنده عن ميمون بن مهران في قوله (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) قالوا الرد إلى الله إلى كتابه والرد إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبض إلى سنته ثم أورد البيهقي من حديث أبي داود عن أبي رافع قال « قال رسول الله ﷺ لألفين (٢) أحدكم متكئا على أريكته (٣) يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » قال الشافعي وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامهم أنه لازم لهم وان لم يجدوا فيه نصا في كتاب الله * ثم أورد البيهقي حديث أبي داود أيضا عن العرياض بن سارية قال « نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا مarda منكرا فاقبل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا

(١) الواشحات جمع واشمة من الوشم وهو غرز الابرة في اليد ونحوها ثم ذر التيل عليه والمستوشحات جمع مستوشمة وهي التي تسأل وتطلب ذلك . والمتنصتات جمع متنصتة من التمنص وهو تنف الشعر من الوجه (٢) اى لا اجدن (٣) اى سريره المزين

ثمنا وتضربوا نساءنا فغضب النبي ﷺ وقال يا ابن عوف اركب فرسك ثم
 ناد أن اجتمعوا للصلاة فاجتمعوا فصلى بهم النبي عليه الصلاة والسلام ثم
 قام فقال أيحسب أحدكم متكئا على أريكته لا يظن أن الله لم يحرم شيئا
 الا ما في هذا القرآن الا انى والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها
 لمثل القرآن أو أكثر وان الله عز وجل لم يجعل لكم أن تدخلوا بيوت أهل
 الكتاب إلا باذن ولا ضرب نساءهم ولا أكل ثمارهم اذ اعطوكم الذى عليهم *
 ثم قال البيهقى باب بيان بطلان ما يحتج به بعض من رد الاخبار من
 الاخبار التى رواها بعض الضعفاء فى عرض السنة على القرآن * قال الشافعى
 احتج على بعض من رد الاخبار بما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام
 قال ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فانا قلته وما خالفه فلم
 أقله فقلت له ما روى هذا أحد ثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير وانما
 هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء *
 قال البيهقى اشار الامام الشافعى الى ما رواه خالد بن أبى كريمة عن
 أبى جعفر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه دعا اليهود فسألهم
 فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبي عليه الصلاة والسلام
 المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فأتاكم يوافق القرآن
 فهو عنى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى قال البيهقى خالد مجهول
 وأبو جعفر ليس بصحابة فالحديث منقطع * وقال الشافعى وليس يخالف
 الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ما أراد خاصا
 وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله فمن قبل عن
 رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن الله قبل *

قال البيهقي وقد روى الحديث من أوجه آخر كلها ضعيفة ثم أخرج من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن الأصمغ بن محمد بن أبي منصور أنه بلغه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال الحديث على ثلاث فأما حديث بلغكم عنى تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه وأما حديث بلغكم عنى لا تجدون فى القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه وأما حديث بلغكم عنى تقشعر منه جلودكم وتشمئز منه قلوبكم وتجدون فى القرآن خلافة فردوه * قال البيهقي وهذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ثم أخرج بسنده من طريق عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله ﷺ أنها تكون بعدى رواة بروون عنى الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به * قال البيهقي قال الدارقطنى هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد بن على منقطعا (١) قال بسنده من طريق بشر بن نمير عن حسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه سيأتى ناس يحدثون عنى حديثا فمن حدثكم حديثا يضارع القرآن فأنا قاتله ومن حدثكم حديثا لا يضارع القرآن فلم أقله * قال البيهقي هذا اسناد ضعيف لا يحتج بمثله حسين بن عبد الله ابن ضميرة قال فيه ابن معين ليس بشيء وبشر بن نمير ليس بثقة ثم أخرج بسنده من طريق صالح بن موسى عن عبد العزيز بن ربيع عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيأتىكم عنى

(١) عبارة الدارقطنى فى سننه هكذا هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد عن

على بن الحسين مرسلا عن النبي ﷺ . ٥١

أحاديث مختلفة فما أناكم موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني وما أناكم مخالفاً لكتاب الله وسنتي فليس مني * قال البيهقي تفرد به صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف لا يحتج بحديثه قلت ومع ذلك فالحديث لنا لا علينا ألا ترى الى قوله موافقا لكتاب الله وسنتي *

ثم أخرج البيهقي من طريق يحيى بن آدم عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حدثتم عنى حديثنا تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فاني أقول ما يعرف ولا ينكر واذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا أقول ما ينكر ولا يعرف * قال البيهقي قال ابن خزيمة في صحة هذا الحديث مقال لم تر في شرق الارض ولا غربها أحدا يعرف خبر ابن أبي ذئب من غير رواية يحيى بن آدم ولا رأيت أحداً من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة * قال البيهقي وهو مختلف على يحيى بن آدم في اسناده ومنتنه اختلافاً كثيراً يوجب الاضطراب منهم من يذكر أبا هريرة ومنهم من لا يذكره ويرسل الحديث ومنهم من يقول في منتنه اذا روئتم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله وقال البخارى في تاريخه ذكر أبى هريرة فيه وم * ثم أخرج البيهقي من طريق الحارث ابن نبهان عن محمد بن عبدالله العرزمي عن عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بلغكم عنى من حديث حسن لم أقله فأنا قلته * قال البيهقي هذا باطل والحارث والعرزمي متروكان وعبدالله بن سعيد عن أبى هريرة مرسل فاحش قال وقد روى عن أبى هريرة ما يضاد بعض هذا *

ثم أخرج من طريق أبي معشر السندی عن سعيد المقبری عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا الفین أحدکم متکنا علی أریکته یأتیه الحدیث من حدیثی فیقول اتل علی قرآنا ما أتاکم من خیر عنی قلته أولم أقله فأنا أقوله وما أتاکم عنی من شر فانی لا أقول الشر » قال الیهیقي صدر هذا الحدیث موافق للأحادیث الصحیحة فی قبول الاخبار : وقوله « قلته أولم أقله » فی هذه الأحادیث ما لا یلیق بكلام النبی ﷺ ولا یشبهه القبول *

ثم أخرج من طریق عبد الرحمن بن سلمان بن عمرو مولى المطلب عن أبي الحویرث عن محمد بن جیر بن مطعم « أن رسول الله ﷺ قال ما حدثتم عنی مما تعرفون فصدقوا وما حدثتم عنی مما تنكرون فلا تصدقوا فانی لا أقول المنکر ولس منی » * قال الیهیقي وهذا منقط قال وأمثلة اسناد روى فی هذا المعنى مارواه ربيعة عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي حميد أو أبي أسيد قال « قال رسول الله ﷺ اذا سمعتم الحدیث عنی تعرفه قلوبکم وتلین له أشعارکم وأبشارکم وترون أنه منکم قریب فأنا أولام به واذا سمعتم الحدیث عنی تنكره قلوبکم وتنفر منه أشعارکم وأبشارکم وترون أنه منکم بمید فأنا أبعدکم منه » *

ثم أخرج من طریق بکیر عن عبد الملك بن سعيد عن ابن عباس بن سهل عن أبي قال « اذا بلغکم عن رسول الله ﷺ ما یعرف وتلین له الجلود فقد یقول النبی ﷺ الخیر ولا یقول الا الخیر » : قال الیهیقي قال البخاری وهذا أصح عنی أصح من رواية من رواه عن أبي حميد أو أبي أسيد وقد رواه ابن لهيعة عن بکیر بن الأشج عن عبد الملك بن سعيد عن القاسم بن

سهيل عن أبي بن كعب قال ذلك بمعناه فصار الحديث المسند معلولا وعلى الاحوال كلها حديث رسول الله ﷺ الثابت عنه قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذي وضع به رسول الله ﷺ من دينه وما افترض على الناس من طاعته ولا ينفر منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل في الأخلاق حسن عند أولى الألباب هذا هو المراد بما عسى يصح من الفاظ هذه الأخبار *

ثم أخرج بسنده عن ابن عباس « قال اذا حدثتكم بحديث عن رسول الله ﷺ فلم تجدوا تصديقه في الكتاب أو هو حسن في أخلاق الناس فأنا به كاذب » : وأخرج عن علي « فاذا حدثتم عن رسول الله ﷺ شيئا فظنوا به الذي هو أهدي والذي هو أهدأ والذي هو أنقى » قلت والمول عليه في معنى الحديث اورد أن ثبت ما أشار اليه الامام الشافعي مما سبق أن السنة الثابتة ليست منافرة للقرآن بل معاضدة له وان لم يكن فيه نص صريح بلفظها فان النبي ﷺ يفهم من القرآن ما لا يفهمه غيره وقد قال لما سئل عن الحر؟ « ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فانظر أخذ حكمها من أين : وقال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم مامن شيء إلا بين لنا في القرآن ولكن فهمنا يقصر عن ادراكه فلذلك قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فانظر هذا الكلام من ابن مسعود أحد اجلاء الصحابة وأقدمهم اسلاماً * قال بعضهم السنة شرح للقرآن وقد الف ابن بركان كتابا في معاضدة السنة للقرآن : أخرج الشافعي والبيهقي من طريق طاوس أن النبي ﷺ

قال « انى لا أحلّ إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرّم إلا ما حرّم الله فى كتابه » قال الشافعى وهذا منقطع وكذلك صنع عليه السلام وبذلك أمرنا ففرض عليه أن يتبع ما أوحى اليه وتشهد أن قدا تبعه وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله فى الوحي اتباع سنته فمن قبل عنه فاما قبل بفرض الله قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال البيهقى وقوله فى كتابه ان صحت هذه اللفظة فاما أراد فيما أوحى اليه ثم ما أوحى اليه نوعان أحدهما وحي يتلى والآخر وحي لا يتلى وقد احتج ابن مسعود من الآية التى احتج بها الشافعى بمثل ما احتج به فى ان من قبل عن رسول الله عليه السلام فبكتاب الله قبله فان حكمه فى وجوب اتباعه حكم ماورد به الكتاب ثم أورد الحديث السابق فى لمن الواشيات *

ثم قال البيهقى باب فيما ورد عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة من الرجوع الى خبره أخرج فيه عن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه لتسأله ميراثها فقال لها أبو بكر مالك فى كتاب الله شىء وما أعلم لك فى سنة نبي الله عليه السلام شيئا فارجمي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال له المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله عليه السلام أعطهاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ما قال فانفذه لها أبو بكر * وأخرج عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « كان يقول الدية للعاقلة ولا ترث امرأة من دية زوجها شيئا حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله عليه السلام كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته فرجع اليه عمر » أخرجه أبو داود : وأخرج عن طاوس أن عمر قال اذكر الله امرأ سمع من النبي عليه السلام فى الجنين شيئا

فقام حمل بن مالك بن النابغة قال كنت بين جارتين لى يعنى ضربت
احدهما الاخرى بمسطح فألقت جنينا ميتا فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرة
فقال عمر لولم نسمع هذا لتضينا فيه بغير هذا ان كدنا تقضى فيه برأينا *
وقال البيهقي قال الشافعي قد رجع عمر عما كان يقضى فيه بمحدث الضحاك
الى أن خالف حكم نفسه وأخبر في الجنين أنه لو لم يسمع هذا لقضى فيه بغيره
وقال ان كدنا تقضى فيه برأينا * وأخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن
عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر خرج الى الشام فلما جاء سرخ^(١) بلغه أن
الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال اذا
سمعت به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه فرجع عمر من سرخ : قال ابن شهاب وأخبرني سالم بن عبد الله
ابن عمر أن عمر انما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف *
وأخرج البخارى عن عائشة قالت لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى
شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر *
وأخرج البيهقي عن زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريسة بنت مالك بن
سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت الى رسول الله ﷺ
لتسأله أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبده
ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن
أرجع الى أهلى فاني لم يتركنى في مسكن يملكه فقال رسول الله ﷺ امكنى
في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قلت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا
قالت فلما كان عثمان بن عفان أرسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته وقضى

(١) هي بفتح الراء وسكونها قرية بوادى تبوك من طريق الشام

به * وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفى الله منه بما شاء أن ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة فاذا حلف لي صدقته وانحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد موقن يذنب ذنباً فيتطهر فيحسن الطهور ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له » أخرجه أحمد * وأخرج الشيخان عن ابن عباس « ان زيد بن ثابت قال له أتقتي أن تصدر الخائض قبل أن يكون آخر عهدا بالبيت فقال له ابن عباس أما لا فسأل فلانة الانصارية هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ فرجع زيد بن ثابت يضحك ويقول ما أراك إلا قد صدقت » قال الشافعي فسمع زيد النبي ﷺ فلما أفتى ابن عباس بالصدر أنكره عليه فلما أخبر عن رسول الله ﷺ رأى عليه حقاً أن يرجع عن خلاف ابن عباس (١) * وأخرج الشيخان عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحاً البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس بموسى بنى اسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فذكر حديث موسى والخضر * قال الشافعي ابن عباس مع فقهه وورعه كذب امرأ من المسلمين ونسبه الى عداوة الله لما أخبر به عن

(١) كذا الاصل . وعبارة الشافعي في الأم هكذا قال الشافعي رحمه الله تعالى فسمع زيد النهي أن لا يصدر أحد من الحاج حتى يكون آخر عهد بالبيت وكانت الخائض عنده من الحاج الداخلين في ذلك النهي فلما افتاها ابن عباس بالصدر إذ كانت قد زارت البيت بعد النحر أنكره عليه زيد فلما أخره ابن عباس عن المرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها بذلك فسألها فأخبرته فصدق المرأة ورأى أن حقاً عليه أن يرجع عن خلاف ابن عباس اهـ

النبي ﷺ من خلاف قوله * وأخرج البيهقي والحاكم عن هشام بن جبير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس أتركهما فقال ما أدرى أتعذب أم تؤجر لان الله قال (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة) قال الشافعي فرأى ابن عباس الحجة قائمة على طاوس بخبره عن النبي ﷺ ودله بتلاوة كتاب الله على ان فرضاً عليه أن لا تكون له الخيرة اذا قضى الله ورسوله أمراً * وأخرج مسلم عن ابن عمر قال « كنا نخبأ ولا نرى بذلك بأساً حتى زعم رافع ان رسول الله ﷺ نهى عنها فتركناها من أجل ذلك * قال الشافعي فابن عمر قد كان ينتفع بالخبرة وبراها حلالاً ولم يتوسع اذا خبره الثقة عن رسول الله ﷺ انه نهى عنها أن يخبر بعد خبره * وأخرج البيهقي عن عطاء بن يسار ان معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء « سمعت رسول الله ﷺ نهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل فقال له معاوية ما أرى بأساً فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه لاأسا كنعك بأرض أنت بها * قال الشافعي فرأى أبو الدرداء الحجة تقوم على معاوية بخبره فلما لم ير معاوية ذلك فارق أبو الدرداء الأرض التي هو بها اعظماً لانه ترك خبر ثقة عن رسول الله ﷺ * قال الشافعي وأخبرنا ابن ابا سعيد الخدري لقي رجلاً فآخبره عن رسول الله ﷺ شيئاً فخالفه فقال أبو سعيد والله لاأواني وياك سقف بيت أبداً * قال الشافعي فرأى ان ضيقا على الخبر أن لا يقبل خبره * وأخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال « لا تمنعوا النساء بالليل من

المساجد» فقال بعض بنى عبد الله بن عمرو والله لا ندعمن يتخذنه دغلا^(١) فضرب ابن عمر صدره وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنت تقول ما تقول * وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بريدة ان عبد الله بن مغفل رأى رجلا يخذف^(٢) فنهاه فقال ان رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال انه لا يرد الصيد ولا ينكأ العدو ولكنه قد يكسر السن ويفقأ العين قال فرآه بعد ذلك يخذف فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أكلمك أبداً * وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين انه قال قال رسول الله ﷺ « الحياء خير كله فقال بشير بن كعب انا نجد في بعض الكتاب ان منه سكينه ووقار أو منه ضعفاً فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه » وفي رواية « وتحدثني عن صفحك » * وأخرج البيهقي والحاكم عن الحسن قال بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ اذ قال له رجل يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن فقال له عمران أنت وأصحابك تقرأون القرآن أكننت تحدثني عن الصلاة وما فيها وحدودها أكننت تحدثني عن الزكاة في الذهب والابل والبقر وأصناف المال ولكن قد شهدت وغبت أنت ثم قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا فقال الرجل أحبيتني أحيك الله قال الحسن فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين * قال الشافعي ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبل خبره وانتهى اليه وأثبت ذلك سنة ثم أخرج عن سالم بن عبد الله « ان عمر بن الخطاب نهى عن الطيب

(١) هو في الاصل الشجر الملتف الذي يكن أهل الفساد فيه

(٢) الخذف هو الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع اه لسان

قبل زيارة البيت وبعد الجمره قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق * قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر في امامته وعمل بنجر عائشة واعلم من حدثه انه سنة وان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وذلك الذي يجب عليه قال الشافعي وضع ذلك الذين بعد التابعين والذين لقيناهم كلهم يثبت الاخبار ويجعلها سنة يحمد من تبعها ويمتاب من خالفها فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدم الى اليوم وكان من أهل الجمالة انتهى *

هذا الذي سقته من أول الكتاب الى هنا كله تحرير الامام الشافعي رضي الله عنه كلاما واستدلالات بالأحاديث ولقد أتقنه رضي الله عنه وأطنب فيه لداعية الحاجة اليه في زمنه لما كان يناظره من الزنادقة والرافضة الرادين للأخبار وتقله البيهقي في كتابه فزاده محاسن كما تقدم بيانه وبقيت آثار ذكرها البيهقي مفرقة في كتابه فها أنا أذكرها ثم أزيد عليها بما لم يقع في كلامه ولا في كلام الشافعي رضي الله عنه * وأخرج البيهقي بسنده عن أيوب السختياني قال اذا حدثت الرجل بسنة فقال دعنا من هذا وانبتنا عن القرآن فاعلم انه ضال قال الأوزاعي وذلك ان السنة جاءت قاضية على الكتاب ولم يجيء الكتاب قاضياً على السنة * وأخرج عن أيوب قال قال رجل عند مطرف بن عبد الله لا تحدثونا إلا بما في القرآن فقال مطرف إنا والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا * وأخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال « شهدت عليا وعثمان بين مكة والمدينة

وعثمان ينهى عن التمتع وأن يجمع بينهما فلما رأى ذلك على أهلّ بهما جميعاً فقال لبيك بحجة وعمرة معاً فقال عثمان ترانى أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله فقال ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس * وأخرج مسلم عن سليمان بن يسار « ان أبا هريرة وابن عباس وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف تذاكروا المتوفى عنها الحامل تضع عند وفاة زوجها فقال ابن عباس تعمد آخر الأجلين وقال أبو سلمة بن تحل حين تضع قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي فأرسلوا الى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت قد وضعت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها يسير فاستفتت رسول الله ﷺ فأمرها أن تزوج * وأخرج البيهقي عن البراء قال « ليس كلنا كان يسمع حديث النبي ﷺ كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب » * وأخرج عن قتادة « ان انسانا حدث بحديث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم أوحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب » * وأخرج من طريق مالك ان رجاء حدثه ان عبد الله بن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك * وأخرج عن الحسن بن سمره قال حفظت عن رسول الله ﷺ سكتين سكتة إذا كبروسكتة إذا فرغ من قراءة السورة فكتب عمران بن حصين في ذلك الى أبي بن كعب فكتب يصدق سمره ويقول ان سمره حفظ الحديث من رسول الله ﷺ * وأخرج عن محمد بن سيرين ان ابن عباس لما أمر بزكاة الفطر أنكر الناس ذلك عليه فأرسل الى سمره أما علمت ان النبي

ﷺ أمر بها فقال بلى قال فما منعك ان تعلم أهل البلد * قال البيهقي فابن عباس
 عاتب سمرة على ترك أعلام أهل البلد أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر * وأخرج
 البخارى عن عبد الله بن عمرو « ان رسول الله ﷺ قال بلغوا عنى ولو آية
 وحدثوا عنى ولا تكذبوا علىّ فمن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من
 النار * وأخرج البيهقي عن ابن المبارك قال سألت أبو عصمة أبا حنيفة فقال
 انى سمعت هذه الكتب يعنى رأى فمن تأمرنى ان أسمع الاثار قال فمن
 كان عدلاً فى هواه إلا الشيعة فان أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد ﷺ قال
 ومن أتى السلطان طائماً حتى انتادت له العامة فهذا لا ينبغى أن يكون من
 أئمة المسلمين قلت هذا الكلام من الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى الشيعة
 وفاق ما قدمته فى الخطبة * وأخرج البيهقي عن حرمله بن يحيى قال سمعت
 الشافعى يقول ما فى أهل الأهواء قوم أشهد بالزور من الرافضة * وأخرج
 عن جابر بن عبد الله قال بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن
 رسول الله ﷺ لم أسمعه منه فابتعت بغيراً فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه
 شهراً حتى قدمت الشام فاذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى فأتيته فقلت
 حديث بلغنى عنك انك سمعته من رسول الله ﷺ فى المظالم لم أسمعه فخشيت
 أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر
 الناس عراة غرلاً بهماً قلنا وما لهم قال ليس معهم شيء فيناديهم نداء يسمعه
 من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل النار
 أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصه منه ولا ينبغى
 لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة
 حتى أقصه منه حتى اللطمة قلنا كيف وانما نأتى الله غراة غرلاً بهماً قال

بالحسنة والسيئات أخرجه أحمد والطبراني * وأخرج البيهقي عن عطاء بن أبي رباح قال خرج أبو أيوب إلى عقبه بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيره فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فخرج إليه فعاتقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المؤمن فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول من ستر مؤمناً في الدنيا على كرتبه ستره الله يوم القيامة ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة فأدركته جائزة مسلمة إلا بمرش مصر *

وأخرج الشيخان من طريق صالح بن حي قال كنت عند الشعبي فقال له رجل من أهل خراسان إنا نقول بخراسان إن الرجل إذا أعتق أم ولده ثم تزوجها فهو كالذي يهدى البدنة ثم يركبها قال الشعبي أخبرني أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فعلها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها فتزوجها فله أجران والعبد يؤدي حق الله وحق سيده وهو من أهل الكتاب» ثم قال الشعبي للرجل قد أعطيناكها بغير شيء وقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة * وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال إن كنت لآسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد * وأخرج عن الزهري قال قيل لعروة بن الزبير في قصة ذكرها كذبت فقال عروة ما كذبت ولا أكذب وإن أكذب الكاذبين لمن كذب الصادقين * وأخرج عن عثمان بن قنيل قال قلت لأحمد بن حنبل إن فلاناً يتكلم في وكيع وعيسى بن يونس وابن المبارك فقال من كذب أهل الصدق فهو

الكذاب * وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث فلما وقعت الفتنة سئل عن اسناد الحديث فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ومن كان من أهل البدع ترك حديثه *
وأخرج البيهقي عن مالك قال كان عمر بن عبد العزيز يقول سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكثار لطاعة الله وقوة على دين الله من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً *

وأخرج بسنده عن المزني أو الربيع قال كنا يوماً عند الشافعي إذ جاء شيخ عليه جبة صوف وعمامة صوف وإزار صوف وفي يده عكاز فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه واستوى جالساً وسلم الشيخ وجلس وأخذ الشافعي ينظر الى الشيخ هيبه له إذ قال له الشيخ سل قال إيش الحجة في دين الله قال كتاب الله قال وماذا قال وسنة رسول الله ﷺ قال وماذا قال اتفاق الأمة قال من أين قلت اتفاق الأمة من كتاب الله قال فتدبر الشافعي ساعة فقال للشافعي قد أجتك ثلاثة أيام ولياليها فان جئت بحجة من كتاب الله في الاتفاق وإلا تب الى الله فتغير لون الشافعي ثم أنه ذهب فلم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام ولياليهن قال نخرج البنا من اليوم الثالث وقد اتفخ وجهه وبداه ورجلاه وهو مسقم فجلس فلم يكن بأسرع إذ جاء الشيخ وسلم وجلس فقال حاجتي فقال الشافعي نعم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) لا يُصليبه

على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض فقال صدقت وقام فذهب فلما ذهب
الرجل قال الشافعي قرأت القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقعت عليه *
وأخرج البيهقي والدارمي عن معاذ بن جبل قال لما بعثنى رسول الله ﷺ الى
اليمن قال لي كيف تقضى ان عرض عليك قضاء قلت أقضى بما في كتاب الله
قال فان لم يكن في كتاب الله قلت أقضى بما قضى به رسول الله ﷺ قال فان
لم يكن قضى به الرسول قلت اجتهد رأيي ولا آلو فضرب صدرى وقال
الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما ارضى رسول الله ﷺ * وأخرجا أيضا
والحاكم عن عبيد الله بن أبي يزيد قال رأيت ابن عباس اذا سئل عن الشيء
فاذا كان في كتاب الله قال به فان لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله
ﷺ قال به فان لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبي
بكر وعمر قال به وإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا
عن أبي بكر وعمر اجتهد رأيي * وأخرج البيهقي عن مالك قال قال ربيعة أنزل
الله كتابه على نبيه ﷺ وترك فيه موضعاً لسنة نبيه ﷺ وسن رسول الله ﷺ
سنناً وترك فيها موضعاً للرأي * وأخرج عن مسروق قال قال عمر رضي الله
عنه ترد الناس من الجهالات الى السنة *

وأخرج الشيخان عن علي بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد
أمن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ قال صدقة
تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته قال العلماء فهؤوا من الآية انه إذا عدم
الخوف كان الأمر في القصر بخلافه حتى أخبرم النبي ﷺ بالرخصة في
الحالين معاً * وأخرج البيهقي عن أمية بن عبد الله بن خالد انه قال

لعبد الله بن عمر انا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن
ولانجد صلاة السفر في القرآن فقال ابن عمر يا ابن أخي ان الله بعث
إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً فانما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل * وأخرج
البيهقي عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان أحاديثي ينسخ بعضها بعضاً كتنسخ
القرآن بعضه بعضاً * وأخرج عن الزبير بن العوام ان النبي ﷺ كان يقول
القول ثم يلبث حيناً ثم ينسخه بقول آخر كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً *
وأخرج عن مكحول قال القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن
أخرجه سعيد بن منصور * وأخرج عن يحيى بن أبي كثير قال السنة قاضية
على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة أخرجه الدارمي وسعيد بن
منصور * قال البيهقي ومعنى ذلك ان السنة مع الكتاب أقيمت مقام البيان
عن الله كما قال الله وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم لان شيئاً
من السنن يخالف الكتاب * قلت والحاصل ان معنى احتياج القرآن الى
السنة انها مبينة له ومفصلة لمجملاته لان فيه لوجازته كنوزاً تحتاج الى من
يعرف خفايا خباياها فيبرزها وذلك هو المنزل عليه ﷺ وهو معنى كون
السنة قاضية عليه وليس القرآن مبيناً للسنة ولا قاضياً عليها لانها بينة
بنفسها إذ لم تصل الى حد القرآن في الاعجاز والايجاز لانها شرح له وشأن
الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشرح والله أعلم * وأخرج
البيهقي عن هشام بن يحيى الخزومي ان رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطاب
فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت ألهما أن تنفر قبل أن
تطهر فقال لا فقال له الثقيفي ان رسول الله ﷺ أفناني في مثل هذه المرأة
بغير ما أفنيت فقام اليه عمر فضربه بالدرة ويقول لم تستفتوني في شيء أفنيت

فيه رسول الله ﷺ * وأخرج عن ابن خزيمة قال ليس لاحد قول مع رسول الله ﷺ اذا صح الخبر * وأخرج عن يحيى بن آدم قال لا يحتاج مع قول النبي ﷺ الى قول أحد وانما كان يقال سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ليعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو عليها * وأخرج عن مجاهد قال ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي صلى الله عليه وسلم * وأخرج عن ابن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمتهم * وأخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القرآن سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة * وأخرج عن أبي البحتري قال قيل لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى به علماً *

وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة نبي ماضية فان لم يكن سنة نبي فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأبما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة * وأخرج عن على بن أبي طالب رضى الله عنه انه مر على قاض يقضى قال أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا فقال على هلكت وأهلكت * وأخرج مثله عن ابن عباس قال البيهقي قال الشافعي ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ في القرآن الا بنجر عن رسول الله ﷺ أو بوقت يدل على ان أحدهما بعد

الآخر فيعلم ان الآخر هو الناسخ أو يقول من سمع الحديث أو الاجماع قال وأكثر الناسخ في كتاب الله انما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخرج عن ابن المبارك انه قيل له متى يفتى الرجل فقال اذا كان عالماً بالأثر بصيراً بالرأى * وأخرج عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ * وأخرج عن ابراهيم التيمي قال أرسل عمر بن الخطاب الى ابن عباس فقال كيف تختلف هذه الأمة وكتابتها واحد ونبيها واحد وقيلتها واحدة فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين انا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل وانه سيكون بمدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يعرفون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأى فاذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا أخرجه سعيد بن منصور في سننه قلت فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر في القرآن الى معرفة أسباب نزوله وأسباب النزول انما تؤخذ من الأحاديث والله أعلم *

وأخرج البيهقي والدارمي عن الشعبي قال كتب عمر بن الخطاب الى شرح إذا حضرك أمر لا بد منه فانظر ما في كتاب الله فاقض به فان لم يكن فيما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يكن فيما قضى به الصالحون وأئمة العدل فان لم يكن فاجتهد رأيك * وأخرج أيضاً عن ابن مسعود انه قال من ابتلى منكم بقضاء فليقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن في كتاب الله وفي قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون فان لم يكن فليجتهد رأيه * وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال من أحدث رأياً ليس

في كتاب الله ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ لم يدرك على ما هو منه إذا
 لقي الله * وأخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ لن
 يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به * وأخرج البيهقي
 واللالكائي في السنة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إياكم وأصحاب
 الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها
 فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا * وأخرج البخاري عن أبي وائل قال لما قدم
 سهل بن حنيف من صفين أتياه لاستخبره فقال أتهموا الرأي على الدين
 فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ
 أمره لرددت والله ورسوله أعلم وما وضعنا أسيفنا على عواتقنا في أمر
 يفظعنا إلا سهل بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما سد لنا عنه خصماً إلا
 انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتى إليه * وأخرج البيهقي وأبو يعلى عن
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين
 فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهاداً فو الله ما آو عن الحق
 وذلك يوم أبي جندل والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة فقال
 اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ترانا قد صدقناك بما تقول ولكنك
 تكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فرضى رسول الله ﷺ وأبى عليهم
 حتى قال لي رسول الله ﷺ تراني أرضى ونأبى أنت فرضيت * وأخرج
 البيهقي عن علي رضي الله عنه قال لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين
 أحق بالمسح من ظاهرهما ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما *
 وأخرج عن ابن عمر قال لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر * وأخرج

عن عروة قال اتبع السنن قوام الدين * وأخرج عن عامر قال إنما هلكتم في حين تركتم الآثار * وأخرج عن ابن سيرين قال كانوا يقولون ما دام على الأثر فهو على الطريق وأخرج عن شرح قال أنا أقتنى الأثر يعني آثار النبي ﷺ * وأخرج عن الاوزاعي قال اذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره فان رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى * وأخرج عن سفيان الثوري قال انما العلم كله العلم بالآثار *

وأخرج عن عثمان بن عمر قال جاء رجل الى مالك فسأله عن مسألة فقال له قال رسول الله ﷺ كذا وكذا فقال الرجل أرايت فقال مالك فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * وأخرج عن ابن وهب قال قال مالك لم يكن من فتيا الناس أن يقال لهم لم قلت هذا كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها * وأخرج عن اسحق بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ما جاء به جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ * وأخرج عن ابن المبارك قال ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث *

وأخرج عن يحيى بن زكريا قال شهدت سفيان وأتاه رجل فقال ما تنتقم على أبي حنيفة قال وماله قد سمعته يقول آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ فان لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه آخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم فلما اذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وابن المسيب وعدد رجالا فقوم اجتهدوا فأجهد

كما اجتهدوا * وأخرج عن الربيع قال روى الشافعي يوماً حديثاً فقال له رجل أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى ما رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب * وأخرج عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت * وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله) قال إلى كتاب الله (والرسول) قال إلى سنة رسول الله ﷺ * وأخرج البيهقي والدارمي عن أبي ذر قال «أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نغلب على أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونعلم الناس السنن» وأخرج عن عمر بن الخطاب قال تعلموا السنن والفرائض والالحن كما تعلمون القرآن * وأخرج عن ابن مسعود أنه قال أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع فإن من رفعه ان يقبض أصحابه وإياكم والتبذع والتنطع وعليكم بالعتيق فإنه سيكون في آخر هذه الأمة اقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم اخرجهم الدارمي * وأخرج عن سليمان التيمي قال كنت انا وأبو عثمان وأبو نضرة وأبو مجاز وخالد الأشج تذاكر الحديث والسنة فقال بعضهم لو قرأنا سورة من القرآن كان أفضل. فقال ابو نضرة كان ابو سعيد الخدري رضى الله عنه يقول مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن قلت وهذا كما قال الشافعي رضى الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة لأن قراءة القرآن نافلة وحفظ الحديث فرض كفاية والله اعلم * واخرج عن سفيان الثوري قال لا أعلم شيئاً من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت فيه نيته * واخرج عن ابن المبارك قال ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن اراد به الله عز وجل * واخرج

عن خالد بن يزيد قال حرمة احاديث رسول الله ﷺ كحرمة كتاب الله قال
اليهقي وانما اراد في معرفة حقها وتعظيم حرمتها وفرض اتباعها * واخرج
عن الشافعي قال كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا
من أصحاب النبي ﷺ *

واخرج عن اسماعيل بن أبي أويس قال كان مالك اذا أراد أن يحدث
توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة
وحدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا
أحدث الا على طهارة متمكناً وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم
أو مستعجل وقال أحب ان أتقهم ما أحدثت به عن رسول الله ﷺ
وأخرج عن مالك ان رجلا جاء الى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله
عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتمن
فقال له اني كرهت ان احديثك عن رسول الله ﷺ وانا مضطجع * واخرج
عن الأعمش انه كان اذا أراد أن يحدث على غير طهر تيمم وقال الأعمش
عن ضرار بن مرة قال كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير طهر وأخرج عن
قتادة قال لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن النبي ﷺ الا على
طهارة * واخرج عن بشر بن الحارث قال سأل رجل ابن المبارك عن
حديث وهو يمشي فقال ليس هذا من توقيف العلم * وأخرج عن ابن المبارك
قال كنت عند مالك وهو يحدث فجاءت عقرب فلدغته ^(١) ست عشرة
مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ

(١) فلدغته بالبدال المهملة والفتحة أي لدغته

من المجلس وتفرق الناس قلت له لقد رأيت منك عجايبا قال نعم انما صبرت
إجلالا لحديث رسول الله ﷺ *

وأخرج عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء سمعته من
رسول الله ﷺ وأريد حفظه فنهتني قریش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من
رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشرتكلم في الرضى والغضب قال فأمسكت
فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه
إلا حق وأشار بيده الى فاه أخرجه الدارمی والحاکم *

وأخرج عن أبي هريرة أن رجلا من الأنصار شكأ الى النبي ﷺ
فقال إني أسمع منك الحديث ولا أحفظه فقال استمن يمينك وأوماً بيده
للخط ، أخرجه الترمذی *

وأخرج البيهقي والدارمي عن عبد الله بن دينار أن عمر بن عبد العزيز
كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انظر ما كان من حديث
رسول الله ﷺ أو سنة ماضية فاكتبه فأتى قد خفت درس العلم وذهب
أهله * وأخرجا أيضا عن الزهري قال كان من مضى من علمائنا يقولون
الاعتصام بالسنة نجاة هذا ماخلصته من كتاب البيهقي من الأحاديث والآثار
الدالة على وجوب الاعتصام بالسنة وفرض اتباعها وهذه أحاديث وآثار لم
تقع في كتابه *

أخرج الشيخان عن أنس وابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من
رغب عن سنتي فليس مني » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس
قال قال النبي ﷺ « اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفائك قال
الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي ويطعونها الناس » * وأخرج أبو

نعم في الحلية عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من أدى الى أمي حديثاً تقام به سنة أو تلم به بدعة فله الجنة » * وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ من كذب على متعمداً أو رد شيئاً أمرت به فليتبوأ بيتاً في جهنم » *

وأخرج احمد والبزار والطبراني عن زيد بن أرقم قال بعث إلى عبيد الله بن زياد فأتيته فقال ما أحاديث تحدث بها وتروها عن رسول الله ﷺ لا نجدتها في كتاب الله تحدث أن له حوضاً في الجنة قال قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدهنا * وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمي قال قال رسول الله ﷺ « من كذب على متعمداً فليتبوأ بيتاً في النار ومن رد حديثاً بلغه عنى فأنا مخاصمه يوم القيامة فاذا بلغكم عنى حديث فلم تعرفوه فقولوا الله أعلم » وأخرج في الأوسط عن جابر قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عنى حديث فكذبه فقد كذب ثلاثاً الله ورسوله والذي حدث به » وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها » وأخرج أبو يعلى عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله ﷺ عسى أن يكذبني رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله ﷺ هذا دع هذا وهات ما في القرآن » هذه طريقة خامسة للحديث فقد تقدم من حديث أبي رافع والمقدام والعرباض بن سارية وأبي هريرة وله طريق سادسة أخرج الطبراني في الكبير عن خالد بن الوليد قال « قال رسول الله ﷺ يا خالد أذن في الناس الصلاة ثم خرج فصلى المهاجرة ثم قلم الناس فقال ما أحل أموال المعاهدين بغير حقها يمسى الرجل منكم يقول وهو متكئ

على أريكته ما وجدنا في كتاب الله من حلال أحلناه وما وجدنا من حرام حرمناه إلا وإني أحرم عليكم أموال المعاهدين بغير حقها » وطريق سابعة أخرج السلفي في المنتقى من حديث أبي طاهر الخنائي من طريق حماد بن زيد عن أبي هرون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال « قال رسول الله ﷺ يمسى رجل يكذبني وهو متكى يقول ما قال هذا رسول الله ﷺ »

وأخرج الطبراني عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنه كان في مجلس قومه وهو يتحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض يتحدثون فغضب ثم قال انظر اليهم أحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض أما والله لا أخرجن من بين أظهركم ولا أرجع إليكم أبداً قلت له أين تذهب قال أذهب فأجاهد في سبيل الله * وأخرج أبو يعلى بسند صحيح عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من مشى إلى سلطان الله في الأرض ليذله أذل الله رقبته مع ما يدخر له في الآخرة » قال مسدد و«سلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه ﷺ * وأخرج في الأوسط عن ابن عمر قال العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري * وأخرج أيضاً عن حذيفة بن اليمان قال « قال رسول الله ﷺ سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث درهم حلال أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها » وأخرج أحمد عن عمران بن حصين قال نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن ثم قال اتبعونا فوالله إن لم تفعلوا تضلوا * وأخرج أحمد والبخاري عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر في سفر فرمى بمكان فناداه

فستل لم فعلت قال رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا فعلت . وأخرج احمد عن أنس بن سيرين قال كنت مع ابن عمر بعرفات فلما أفاض أفضت معه حتى انتهى الى المضيق دون المأزمين فأناخ فأناخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي فقال غلامه الذي يمسك راحلته أنه ليس يريد الصلاة ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى الى هذا المكان قضى حاجته فهو يجب أن يقضى حاجته وأخرج البزار عن ابن عمر أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك وأخرج هو وأبو يعلى عن زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر محلول الأزرار وقال رأيت النبي ﷺ محلول الأزرار * وأخرج الطبراني في الكبير عن عمرو بن شعواء الياضي قال قال رسول الله ﷺ «سبعة لعنهم وكل نبي مجاب (الزائد) في كتاب الله (والمكذب) بقدر الله (والمستحل) حرمة الله (والمستحل) من عترتي ما حرم الله (والتارك) لسنتي (والمستأثر) بالفاء (والمتجبر) بسلطانه ليعز ما أذل الله وينذل ما أعز الله» وأخرج في الكبير عن ابن عباس قال قال علي يارسول الله أرأيت ان عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك قال تجملونه شورى بين العابدين من المؤمنين ولا تقضونه برأى خاصة* وأخرج في الأوسط بسند صحيح عن علي رضي الله عنه قال قلت لرسول الله ﷺ إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنا فقال تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تجملونه برأى خاصة* وأخرج في الأوسط عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ «أكثر ما أخوف على أمتي من بعدى رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه» وأخرج احمد والطبراني عن غضيف بن الحرث الثمالي أن النبي ﷺ قال «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع

مثلاً من السنة» وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني عن ابن عباس قال « ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن » وأخرج عن معاذ بن جبل قال « قال رسول الله ﷺ من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام » وأخرج عن الحكم بن عمير الثمالي قال « قال رسول الله ﷺ الامر المفضح والحمل المضلع والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع » وأخرج في الصغير عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قالوا وما تلك الفرقة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وأخرج الحكم بن حديث ابن عمرو مثله : وأخرج الدارمي في مسنده عن عبد الله بن الديلمي قال بلغني ان أول الدين تركا السنة وأخرج ابن مسعود أنه قال ما سألتونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به أو سنة من نبي الله ﷺ أخبرناكم به ولا طاقة لنا بما أخذتم * وأخرج عن أبي سلمة مرسلًا « ان النبي ﷺ سئل عن الامر يحدث ليس في كتاب الله ولا سنته قال ينظر فيه العابدون من المؤمنين » قال وأخرج الدارمي واللالكائي في السنة عن عمر ابن الخطاب قال سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنة فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله * وأخرج اللالكائي في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنة فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله * وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله الى الخوارج فقال اذهب اليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فانه ذو وجوده ولكن خاصمهم بالسنة * وأخرج

من وجه آخر أن ابن عباس قال يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنن فأنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج اليهم فحاجهم بالسنن فلم يبق بأيديهم حجة * وأخرج سعيد بن منصور عن عمران بن حصين أنهم كانوا يتذاكرون الحديث فقال رجل دعونا من هذا وجيئنا بكتاب الله فقال عمر انك أحق أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة أتجد في كتاب الله الصيام مفسراً ان القرآن أحكم ذلك والسنة تفسره * وأخرج الدارمي عن المسيب بن رافع قال كانوا اذ نزلت بهم القضية التي ليس فيها من رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا * وأخرج الدارمي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر رضى الله عنه اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر سنة قضى بها فان أعياء خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع اليه نفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ديننا * وأخرج عن أبي نضرة قال لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن فقال للحسن أنت الحسن بلغني أنك تفتي برأيك فلا تفت برأيك إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل * وأخرج عن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال له يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فانك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك * وأخرج عن شرح قال انك لن تضل ما أخذت بالأثر *

وأخرج عن الحسن قال ان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم* وأخرج عن ابن مسعود قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة أخرجه الحاكم وأخرج الدارمي عن عطاء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم قال أولو العلم والفقهاء فطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة واخرج عن أبي هريرة قال اني لأجزىء الليل ثلاثة أجزاء ثلث انام وثلث اقوم وثلث اتذكر احاديث رسول الله ﷺ* واخرج عن ابن عباس قال اما تخافون ان تعذبوا ويخسف بكم ان تقولوا قال رسول الله ﷺ وقال فلان واخرج عن عمر بن عبد العزيز انه كتب لارأى لأحد في كتاب الله ولا في سنة سنها رسول الله ﷺ وانما رأى الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ* واخرج عن سعيد بن المسيب انه رأى رجلا يصلي بعد الركعتين يكثر فقال له يا أبا محمد أيعذبنى الله على الصلاة قال يعذبك الله بخلاف السنة* واخرج عن خراش بن جبير قال رأيت في المسجد فتى يخذف فقال له يا شيخ لا تخذف فاني سمعت النبي ﷺ نهى عن الخذف نخذف فقال له الشيخ احدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أشهد لك جنازة ولا اعودك في مرض ولا اكلمك ابداً واخرج عن قتادة قال حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل قال فلان كذا وكذا فقال ابن سيرين احدثك عن النبي ﷺ وتقول قال فلان والله لا اكلمك ابداً ثم قال الدارمي باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقره واخرج فيه من طريق العجلاني عن ابي هريرة انه قال

قال رسول الله ﷺ بينما رجل يتبختر في بردين خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فقال له فتى وهو في حلة له يا ابا هريرة اهكذا كان يمشی ذلك الفتى الذى خسف به ثم ضرب يده فمثر عثرة كاد ينكسر منها فقال ابو هريرة للمنخرين والتم انا كفينك المستهزئين * واخرج عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب يودعه لحج أو عمرة فقال له لا تخرج حتى تصلى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج بعد النداء من المسجد الا منافق فقال ان أصحابي بالحرة نخرج فلم يزل سعيد مولماً بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسر فخذه * واخرج البخارى عن أبي ذر أنه قال لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت انى أفقد كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على لا تفذتها * واخرج الدارى عن بشر بن عبد الله قال ان كنت لأركب الى مصر من الامصار فى الحديث الواحد لا أسمعه * واخرج عن سعيد بن جبير أنه حدث يوماً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل فى كتاب الله ما يخالف هذا فقال لا أرانى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله منك هذا ما اتقيته من مسند الدارى *

وهذه جملة منتقاة من كتاب السنة للالكافى فى هذا المعنى اخرج بسنده عن ابى بن كعب قال اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى خلاف سنة * واخرج عن ابى الدرداء مثله واخرج عن ابن عباس قال النظر الى الرجل من اهل السنة يدعو اليها وينهى عن البدعة عبادة * واخرج عن ابن عباس قال والله ما أظن على

وجه الارض اليوم احد أحب الى الشيطان هلاكاً مني قيل ولم قال انه يحدث البدعة في مشرق او مغرب فيحملها الرجل الى فاذا انتهت الى قمتها بالسنة فتد الى كما أخرجها * واخرج عن ابي العالية قال عليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه اصحابه * واخرج عن الحسن قال لا يصلح قول الا بعمل ولا يصلح قول وعمل الا بنية ولا يصلح قول وعمل ولا بنية ولا يقبل قول إلا بعمل ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة * واخرج عن الحسن قال يا اهل السنة تفرقوا فانكم من أقل الناس * واخرج عن يونس بن عبيد قال ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من لا يعرفها * وأخرج عن ايوب قال إني اخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنني افقد بعض اعضاءي * واخرج عنه قال ان من سمادة الحدث والاعجب ان يوقهما الله العالم بالسنة * واخرج عن ابن شوذب قال اول نعمة الله على الشاب إذا نسك ان يواخي صاحب سنة يحمله عليها * واخرج عن حماد بن زيد قال كان ايوب يبلغه موت الفتى من اصحاب الحديث فيرى ذلك فيه ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه * وأخرج عن ايوب قال ان الذين يتمنون موت اهل السنة يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم *

وأخرج عن ابن عوف قال ثلاث أجهت لنفسي ولأصحابي قراءة القرآن والسنة ورجل أقبل على نفسه ولهى عن الناس الا من خير وأخرج عن الازاعي تدور مع السنة حيثما دارت * وأخرج عنه قال كان يقال خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ واتباعهم باحسان لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المساجد وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله * وأخرج عن

سفيان الثوري قال استوصوا بأهل السنة خيراً فانهم غرباء وأخرج عن الفضيل بن عياض قال ان لله عباداً يحيى بهم البلاد وهم أصحاب السنة وأخرج عن أبي بكر عن عياض قال السنة في الاسلام أعز من الاسلام في سائر الاديان * وأخرج عن ابن عوف قال من مات على الاسلام والسنة فله بشير بكل خير * وأخرج عن الحسن في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال فكان علامة حبهم إياه إتباع سنة رسول الله ﷺ * وأخرج عن ابن عباس في قوله يوم تبيض وجوه قال وجوه أهل السنة وتسود وجوه قال وجوه أهل البدع وأخرج عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال قال عبد الله انا نقتدى ولا نبتدى وتتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر * وأخرج عن شاذ بن يحيى قال ليس طريق أقصد الى الجنة من طريق من سلك الآثار * وأخرج عن الفضيل بن عياض قال طوبى لمن مات على الاسلام والسنة واذا كان كذلك فليكثر من قول ماشاء الله كان * وأخرج عن احمد بن حنبل قال السنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن * وأخرج عن بعض أصحاب الحديث أنه أنشد

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى آثار
لا تمدلن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى أثر الهدى والشمس بازغة له أنوار

وهذه جملة منتقاة من كتاب الحجة على تارك الحجة للشيخ نصر المقدسى أخرج بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من غدا أو راح في طلب سنة مخافه أن تدرس كان كمن غدا أو راح في سبيل الله ومن كنتم

علماً علمه الله إياه أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار * وأخرج عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل للوليد بن مسلم ما إظهار العلم قال إظهار السنة * وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينفعهم في أمر دينهم بعث يوم القيامة من العلماء قلت هذا الحديث له طرق كثيرة * وأخرج من وجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من روى عنى أربعين حديثاً من السنة حشر يوم القيامة في زمرة الانبياء * وأخرج عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما كان خيراً من عبادة ستين سنة * وأخرج عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يحبون سنتي من بعدى ويعلمونها عباد الله * وأخرج من هذا الطريق مرفوعاً من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً * وأخرج عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة قفياً وكنت له شافعاً وشهيداً *

وأخرج عن أبي الدرداء مرفوعاً مثله * وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة * وأخرج عن علي قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ألا أدلكم على الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي هم حملة القرآن والأحاديث عنى في الله والله * وأخرج عن علي رضي الله عنه قال ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأى الرجال يعجز عنه * وأخرج عن الجنيد قال الطريق مسدود على خلق الله إلا على المتبعين أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتدين بآثاره قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدي قال الرجل الى الحديث أحوج منه الى الأكل والشرب لان الحديث يفسر القرآن * وأخرج عن رجل من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في آخر أمتي قوماً يعطون من الأجر مثل ما لأولهم ينكرون المنكر ويقاثلون أهل الفتن فقيل لابراهيم بن موسى من هم قال أهل الحديث يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا كذا * وأخرج عن احمد بن حنبل أنه قيل له هل لله ابدال في الارض قال نعم قيل من هم قال ان لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أعرف لله ابدالاً * وأخرج عن ابن المبارك انه ذكر حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نأوأم حتى تقوم الساعة قال ابن المبارك هم عندي أصحاب الحديث * وأخرج عن ابن المديني انه قال في حديث لا تزال طائفة من أهل الحديث والذين يتعاهدون مذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ويذبون عن العلم لولا هم لاهلك الناس المعتزلة والرافضة والجممية وأهل الأرباء والرأى * وأخرج عن ابن مسعود وابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائكم أيام صبر فالتمسك بما أنتم عليه له أجر خمسين قالوا يا رسول الله منا او منهم قال منكم * وأخرج مثله من

حديث ابن عمر وأخرج عن أبي الجلد قال يرسل على الناس على رأس كل أربعين سنة شيطان يقال له القمقم فيبتدع لهم بدعة وأخرج عن الامام البخارى قال كنا ثلاثة أو أربعة على باب ابن عبد الله فقال انى لأرجو أن تأويل هذا الحديث لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أنتم لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات والملك قد شغلوا أنفسهم بالملكة وأنتم تحبون سنة النبي صلى الله عليه وسلم* وأخرج عن ابن وهب قال قال لى مالك بن أنس لا تعارضوا السنة وسلموا لها وأخرج عن كهمس الهمداني قال من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين فانه يعد في ضمفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين يقول الله لنبية صلى الله عليه وسلم الله نزل أحسن الحديث ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل عن الله* وأخرج عن سفيان الثورى قال الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض* وأخرج عن وكيع قال لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئاً إلا أنه بمنحه من الهوى كان قد أصاب فيه وأخرج عن أحمد بن سنان قال كان الوليد الكرايسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لنبية تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى قالوا لا قال فتهمونى قالوا لا قال فأتى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فأتى رأيت الحق معهم* وأخرج أحمد فى الزهد عن قتادة قال والله ما رغب أحد عن سنة نبية صلى الله عليه وسلم إلا هلك فعليكم بالسنة وإياكم والبدعة وعليكم بالفقه وإياكم والشبهة* وأخرج الحاكم فى المستدرک عن عبد الرحمن بن ابزى قال لما وقع الناس فى عثمان قلت لأبى

ابن كعب ما المخرج من هذا قال كتاب الله وسنة نبيه ما استبان لكم فاعلموا به وما أشكل عليكم فكلوه الى عالمه وأخرج الحاكم أيضاً عن علي ابن أبي طالب أن انلساً أتوه فأنثوا على ابن مسعود فقال أقول فيه ما قالوا وأفضل قرأ القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه فقيه في الدين عالم بالسنة * وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « غفار غفر الله لها وأسلم سالها الله اما اني لم أقله ولكن الله قاله »

﴿ وهذه جملة متقاة من رسالة القشيري من كلام أهل الطريق في ذلك ﴾ قال ذو النون المصري من علامة المحب لله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه * قال أبو سليمان الداراني ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة * وقال أحمد بن أبي الخوارى من عمل عملا بلا اتباع سنة فباطل عمله قال أبو حفص عمر ابن سالم الحداد من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال. وقال الجنيد الطارق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال أيضاً مذهبنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال أبو عثمان الخيري الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته و لزوم ظاهر العلم وقال من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا * ولما احتضر أبو عثمان مزق ابنه أبو بكر قميصه ففتح أبو عثمان عينه وقال

خلاف السنة يابني في الظاهر علامة رياء في الباطن * قال أبو الفوارس شاه
 ابن شجاع الكرماني من غرض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات
 وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال
 لم تخطيء له فإساسة . وقال أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء الأدمي من أزم
 نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة
 الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه * وقال أبو حمزة البغدادي من علم طريق
 الحق سهل سلوكه عليه ولادليل على الطريق الى الله الا بمتابعة الرسول
 صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله * وقال أبو اسحق ابراهيم
 ابن داود الدق علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم *
 وقال أبو بكر الطمستاني الطريق واضح والكتاب والسنة قئم بين أظهرنا
 وفضل الصحابة معلوم لسبقهم الى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب هذا
 الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه واخلق وهاجر بقلبه الى الله فهو الصادق
 المصيب * وقال أبو القاسم النعمرا بادي أصل التصوف ملازمة الكتاب
 والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشائخ ورؤية أعذار الخلق
 والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات * وقال الخواص
 الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة * وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع
 السنة قال أبو علي الدقاق قصد أبو يزيد البسطامي بعض من يوصف بالولاية
 فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم في المسجد
 فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا الرجل غير مأمون على أدب من
 من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون أميناً على أسرار الحق *
 قال أبو حفص أحسن ما يتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر إليه

على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه
 الحلال * وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سهل بن عبد الله قال أصولنا ستة
 أشياء التمسك بكتاب الله والاعتداء بسنة رسول الله وأكل الحلال وكف
 الأذى واجتناب الآثام واداء الحقوق . وأخرج عنه قال من كان اقتداؤه
 بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء *

(خاتمة)

أخرج الدينورى في المجالسة عن عبد الرحمن بن عبد الله الخرفي قال كان
 بدأ الرافضة أن قوماً من الزنادقة اجتمعوا فقالوا نشتم نبيهم فقال كبيرهم
 إذا نقتل فقالوا نشتم أحباءه فانه يقال إذا أردت أن تؤذى جارك فاضرب
 كلبه ثم تعزل فتكفرهم فقالوا الصحابة كلهم في النار إلا على ثم قال كان
 على هو النبي فأخطأ جبريل *

قال البخارى في تاريخه عن ابن مسعود قال بعث الله نوحا فما أهلك
 أمته الا الزنادقة ثم نبى فنبى والله لا يهلك هذه الامة الا الزنادقة ورأيت
 بعض من صنف في الملل والنحل قسم فرق الرافضة الى اثنتى عشرة فرقة
 فسمى الفرقة الاولى القائلة بنبوته على العلوية وذكر انهم يقولون على النبي ﷺ
 ويقولون في أذانهم أشهد أن عليا رسول الله * والثانية الأموية قالوا ان
 عليا شريك النبي ﷺ في النبوة * والثالثة الشاعية قالوا ان عليا وصي رسول
 الله ﷺ ووليه من بعده وان الصحابة هزأت به وردت أمر الله ورسوله
 حين تركوا وصيته وبايعوا غيره كذب هؤلاء لعنهم الله ورضى الله عن
 الصحابة وهذه هي الفرقة الثانية التي أشرت اليها في الخطبة ونقلنا في أثناء

الكتاب كلام أبي حنيفة رضى الله عنه والعجب من هؤلاء حيث ضلوا الصحابة وردوا الاحاديث لانها من رواياتهم وذلك يلزمهم في القرآن أيضاً لأن الصحابة الذين رووا لنا الحديث هم الذين رووا لنا القرآن فلن قبلوه لزمهم قبول الاحاديث اذ الناقل واحد * والرابعة الاسحاقية قالوا النبوة متصلة من لذن آدم الى يوم القيامة ومن يعلم علم أهل البيت والكتاب فهو نبي * والخامسة النawsية قالوا من فضل أبا بكر وعمر على عليّ فقد كفر * والسادسة الامامية قالوا لا تخلو الارض من امام من ولد الحسين اما ظاهر مكشوف أو باطن موصوف ولا يتعلم العلم من أحد بل يعلمه جبريل فاذا مات بدل مكانه مثله * والسابعة الزيدية قالوا ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فاما يوجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيرهم * والثامنة الرجمية قالوا ان عليا وأصحابه كلهم يرجعون الى الدنيا وينتقمون من أعدائه ويسوى لهم الملك في الدنيا مالم يسوا لأحد ويملا الارض عدلاً كما ملئت جوراً * والتاسعة اللاعنة يتدينون بلعن الصحابة لعن الله هذه الفرقة ورضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ * العاشرة السائبة قالوا بالهية علىّ تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً * والحادية عشرة الناسخية قالوا بتناسخ الارواح * والثانية عشرة المتربصة يقيمون لهم في كل عصر رجلا ينسبون له الأمر وزعمونه المهدي وان من خالفه كفر وقد أوسع صاحب هذا الكتاب وهو من مشايخ الحافظ أبي الفضل بن ناصر من الرد على كل فرقة فرقة من الكتاب والسنة وروى فيه بسنده عن أبي سعيد الخدرى قال مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها * وأخرج بسنده عن ابن وهب قال كنا عند مالك بن أنس تذاكر السنة فقال مالك السنة سفينة

نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والأثر الذي أشرنا اليه في الخطبة عن الشافعي رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن الحميدي قال كنت بمصر فحدث محمد بن ادريس الشافعي بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له رجل يا أبا عبد الله أتأخذ بهذا فقال رأيتني خرجت من كنيسة ترى علي زناراً حتى لا أقول به وأخرج عن الربيع بن سليمان قال سألت رجلاً من الشافعي عن حديث فقال هو صحيح فقال له الرجل فما تقول فارتعد وانتفض وقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن النبي ﷺ وقلت بغيره وأخرج عن الربيع قال ذكر الشافعي حديثاً فقال له رجل أتأخذ بالحديث فقال اشهدوا اني اذا صح عندى الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فان عقلي قد ذهب* وأخرج عن ابن الوليد بن أبي الجارود قال الشافعي إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ وقلت قولاً فأناراجم عن قولي وقائل بذلك وأخرج عن الزعفراني قال قال الشافعي اذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول أحد انتهى والله أعلم

﴿تم﴾

تم كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة بعون خالق الانس والجنة وقد قوبل قبل الطبع على عدة نسخ خطية فجاء والله الحمد غاية في الصحة نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة وان يحشرنا تحت لواء سيد الأمة ﷺ وشرف وكرم وكان تمام طبعه في شهر رجب المبارك سنة سبع وأربعين بعد الثلاثمائة وألف هجرية

دليل كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

صحيفة	صحيفة
١٢ ضرب الملائكة مثل النبي ﷺ	٢ خطبة المؤلف .
برجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة الخ	٢ الباعث على تصنيف هذا الكتاب
١٤ بيان بطلان ما يحتج به بعض من	٣ رأى الزنادقة وغلاة الرافضة
يرد الاخبار عن رسول الله ﷺ	٣ كلام الامام الشافعي رضى الله عنه
١٦ بيان ضعف الأحاديث التي يستدل	في السنة
بها الخصم	٤ بيان أن الأمة اذا تنازعت في
١٨ بيان أن السنة شرح للقرآن	شيء فيرد تنازعهم الى كتاب الله
٢٠ حال الصحابة في تمسكهم بحديث	وسنة رسوله ﷺ
الرسول ﷺ	٤ كلام الامام البيهقي في حجية السنة
٢٣ كان الصحابة يأخذون بسنة	٥ الرد على من قال نأخذ بكتاب الله
الرسول فيما لم يبين في القرآن	قط و بيان جهله في الدين
٢٣ اجماع الصحابة على قبول خبر من	٦ بيان المراد بقوله تعالى ويعلمهم
أخذ بحديث عن رسول الله ﷺ	الكتاب والحكمة
٢٤ كلام أيوب السخيتاني رضى الله	٧ بيان أن النبي ﷺ ترك فينا أمرين
عنه في سنة الرسول ﷺ	لا تضلوا ما تمسكنا بهما كتاب
٢٥ ما كان في زمن الصحابة من يكذب	الله وسنة رسوله ﷺ
ولا كانوا يدعون ما الكذب	٨ من كان جل همته السنة فقد رشد
٢٧ كان أحد السلف برحل المراحل	٨ كلام الامام الشافعي في أن السنة
الكثيرة لأجل حديث واحد	لها ثلاثة أوجه
٢٨ جواب الشافعي لما سئل عن دليل	٩ قضاء رسول الله ﷺ
كون الاجماع حجة	١١ بيان أن طاعة الله هي طاعة رسوله
٣٠ بيان أن القرآن أحوج الى السنة	١١ تفسير قوله تعالى (فلا وربك لا
من السنة الى القرآن	يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
٣١ كلام الامام أبي حنيفة في السنة	بينهم) وفيمن نزلت

دليل كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

- | | | | |
|----|--|----|--|
| ٤١ | بيان أن أول الدين تركاً السنة | ٣٢ | لا يصح أن يفتى العالم إلا إذا كان عالماً بالأثر |
| ٤٣ | تفسير قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) | ٣٢ | كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه في السنة |
| ٤٤ | النظر الى الرجل من أهل السنة يدعو اليها عبادة | ٣٣ | كلام الامام على كرم الله وجهه في الدين |
| ٤٥ | كلام سعيد بن جبير في السنة | ٣٤ | لا يصح أن يقال بعد نبوت الخبير الصحيح عن رسول الله ﷺ لم |
| ٤٨ | كلام الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في السنة | ٣٥ | بيان أن مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن |
| ٤٩ | السنة لا تعارض بل يسلم اليها | ٣٦ | أدب الامام مالك رضى الله عنه مع حديث الرسول ﷺ |
| ٥٠ | كلام الصوفية الخالص رضى الله عنهم في السنة | ٣٧ | الأمر بكتابه السنة |
| ٥٢ | خاتمة الكتاب نسأل الله حسن الخاتمة | ٣٨ | بيان أن من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار |
| ٥٢ | بيان ما ورد أن هلاك هذه الأمة على يد الزنادقة | ٣٩ | بيان أن العلم ثلاثة |
| ٥٢ | تنقسم فرق الرافضة الى اثنتى عشرة فرقة وبيانها مفصلة | ٤٠ | سبعة لعنوا على لسان رسول الله ﷺ |

فتاوى ابن الصلاح

في التفسير والحديث والأصول والعقائد

للإمام المحدث الحافظ الأصولي الفقيه أبي عمرو

عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين الشهرزوري

المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

قوبلت على نسخة كتبت على ما يظهر سنة ٧٥٠ تقريباً محفوظة بدار
كتب رواق الأتراك بمصر رقم ١٧٧٦

﴿ ويلها رسالتان ، الأولى فتاوى ابن حجر المستقلاني ،

والثانية منظومة الإمام الأخصري في التصوف ﴾

عنيت بنشرها وتصحيحها لأول مرة سنة ١٣٤٨

إدارة الطباعة المنيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين * وعلى آله
الأطهار * وأصحابه الأخيار * ومن تبع هديهم الى يوم الدين *
أما بعد فلما كان الامام الحافظ الملامة ابن الصلاح قد بلغ من جلالة القدر وسعة
العلم ما هو في غنى عن التعريف به وكانت فتاويه قد جمعت من الفوائد ما لا يستغنى عنه طالب
علم أو راغب في معرفة وهي أربعة أقسام: التفسير، والأصول والعقائد، والحديث، والفقهاء،
فقد عزمنا على طبع الثلاثة الأقسام الأولى نظراً لان فائدتها عامة يعترف من فيضها كل راغب
في الافادة والاستفادة ويتناولها أرباب المذاهب على السواء واكتفينا بهذه الفائدة عن
القسم الرابع لانحصار فائدته في مذهب واحد انتشرت فيه المؤلفات الجمة *
وقد صدرنا هذا الكتاب — فتاوى ابن الصلاح — بترجمة موجزة ليطلع القراء على
ما كان عليه رحمه الله تعالى *

هو الشيخ أبو عمرو وتقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الشهرزوري
الشافعي المشهور بابن الصلاح أحد أئمة المسلمين علماء وديناً ، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة
في شرخان — بفتح الشين المثناة والخاء المعجمة و بعد الألف نون — قرية من أعمال
إربل قرية من شهرزور ، قرأ الفقه على والده الصلاح ، ثم نقله والده الى الموصل واشتغل
بها مدة ويقال انه كرر جميع كتاب المهذب في مذهب الشافعي لابي إسحق الشيرازي
قبل أن يطرحه ، ثم انه تولى الاعادة عند الشيخ الملامة عماد الدين امام المنقول والمقول
أبي حامد بن يونس بالموصل أيضا وأقام قليلا ثم سافر الى خراسان فأقام بها زمانا وحصل
علم الحديث هناك ، ثم رجع الى الشام وتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية في القدس
النسوبة الى صلاح الدين الأيوبي وأقام بهامدة واشتغل الناس عليه واتفقوا به ، ثم انتقل
الى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة الرواحية التي أنشأها الركن أبو القاسم هبة الله بن
عبد الواحد بن رواحة الحموي وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضا ، ولما بنى

الملك الأشرف ابن الملك العادل ابن أيوب دار الحديث بدمشق فوض تدريسها اليه واشتغل الناس عليه بالحديث ، ثم تولى مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه ابن أيوب الواقعة في داخل البلديلي البيمارستان النوري *
قال ابن خلكان كان رحمه الله يقوم بوظائف الجهات الثلاث في غير اخلال بشيء إلا بمذر ضروري لا بد منه ، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة ، وكانت له مشاركة في فنون عديدة ، وكانت فتاويه مسددة ، وكان في العلم والدين على جانب عظيم ، وهو أحد مشايخي الذين اتفقت بهم قدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستائة وأتمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة ونصف *

صنف في علوم الحديث كتاباً نافماً سماه كتاب علوم الحديث واشتهر بمقدمة ابن الصلاح ، وكذلك في مناسك الحج جمع فيه أشياء حسنة يحتاج الناس اليها وهو مبسوط ، وله إشكالات على كتاب الوسيط للفرزالي في الفقه الشافعي ، وجمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد. وهي التي شرعت الادارة في طبع أقسامها الثلاث الأول *
وأعرضنا عن ذكر مشايخه الكثيرين وتلامذته الذين بلغ مشاهيرهم عدداً عظيماً اختصاراً للبحث *

كان ابن الصلاح كاسمه عنواناً للصلاح منذ صغره الى أن انتقل من دار الدنيا ، فقد نقل السبكي في طبقات الشافعية عن ابن الصلاح أنه قال : ما فعلت صغيرة في عمري قط وهذا فضل من الله عظيم أي أنه قال ذلك تحدثنا بنعمة الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) *
ولم يزل أمره جارياً على السداد والصلاح والاجتهاد في الاشتغال والنفع الى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح وصلى عليه بمد الظهر وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بدمشق ، وازدحم عليه الخلق فصلى عليه بالجامع الأموي وشيعوه الى باب الفرج فصلى عليه بداخله ثانياً ورجع الناس لأجل حصار البلد بالخوارزمية ، وخرج به عشرة من تلامذته مشمرين مخاطرين بأنفسهم فدفنوه بطرف مقابر الصوفية وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويتبرك به اه من تاريخ ابن خلكان وتذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي والله أعلم *

إدارة الطباعة النيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم لا إله إلا الله عدة لقائه * ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهي لنا من أمرنا رشدا * ربنا آمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير *
الحمد لله رب العالمين * والماقبة للمتقين * ولا عدوان إلا على الظالمين * والصلاة والسلام
الأكلان أبدأ على سيد المرسلين وسائر النبيين * وآلم وصحبهم أجمعين * اللهم ألهمنا رشدا *
وأعدنا من شرور أنفسنا * ومن شر الأشرار وكيد الفجار * وارزقنا طهارة الأسرار ومرافقة
الأبرار * وأعدنا من عذاب النار برحمتك يا عزيز يا غفار *

هذه الفتاوى التي صدرت من شيخنا وسيدنا الامام العالم مفتى الشام شيخ الاسلام تقي
الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر البصرى الشهرزورى
المعروف بابن الصلاح * أثابه الله الجنة وغفر له ولهم ولجميع المسلمين آمين *
اعتنى بها وبجمعها على حسب الامكان من تلامذته وأصحابه شيخنا وسيدنا الشيخ الامام
الجليل العلامة العالم العامل الزاهد العابد الورع مجموع أنواع المحاسن كمال الدين
أبو ابراهيم * إسحق بن أحمد بن سليمان المغربى * ثم المقدسى ثم الممشقى رضى الله عنه *
طلباً للفائدة ورجاء الأجر والثواب * وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها إنه قريب مجيب
وعلى ذلك قدير * وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب * رتبها الشيخ كمال الدين المذكور
على أربعة أقسام * قسم فى شرح آيات من كتاب الله تعالى، وقسم فى شرح أحاديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به من الدقائق، وقسم ثالث يتعلق بالفوائد الأصول، وقسم
رابع فى الفقه على ترتيبه *

﴿ القسم الأول في شرح آيات من كتاب الله عز وجل ﴾

فمن ذلك ﴿ مسألة ﴾ في قوله تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) إلى آخر الآية ، قال المستفتى : نحب تفسيرها على الوجه الصحيح بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحاح أو بما أجمع أهل الحق على صحته ، وقوله تبارك وتعالى (قالوا أضغاث أحلام) ما معنى أضغاث أحلام ؟ * ومن أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد ؟ * ﴿ أجب ﴾ رضى الله عنه أما قوله تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) فتفسيره : الله يقبض الأنفس حين انقضاء أجلها بموت أجسادها والتي لم تمت يقبضها أيضاً عند نومها فيمسك التي قضى عليها بموت أجسادها فلا يردها إلى أجسادها ويرسل الأخرى التي لم تقبض بموت أجسادها حتى تعود إلى أجسادها إلى أن يأتي أجلها المسمى لموتها (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) * لدلالات للمتفكرين على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى أمر البعث فإن الاستيقاظ بعد النوم شبيه به ، ودليل عليه ، نقل أن في التوراة : يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث فهذا واضح ، والذي يشكك في ذلك ان النفس المتوفاة في المنام أم هي الروح المتوفاة عند الموت أم هي غيرها فان كانت هي الروح فتوفيها في النوم يكون بمفارقة للجسد أم لا ، وقد أعوز الحديث الصحيح والنص الصريح والاجماع أيضاً لوقوع الخلاف فيه بين أهل العلم : فمنهم من يرى أن للإنسان نفساً تتوفى عنده تامه غير النفس التي هي الروح . والروح لا تفارق الجسد عند النوم . وتلك النفس المتوفاة في النوم هي التي يكون لها التمييز والفهم * وأما الروح فبها تكون الحياة ولا تقبض الا عند الموت ويروى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما * ومنهم من ذهب إلى أن النفس التي تتوفى عند النوم هي الروح نفسها ، واختلف هؤلاء في توفيتها ، فمنهم من يذهب إلى أن معنى وفاة الروح بالنوم قبضها عن التصرفات مع بقائها في الجسد وهذا موافق للأول من وجه ومخالف من وجه وهو قول بعض أهل النظر منا ومن المتزلة ، ومنهم من ذهب إلى أن الروح تتوفى عند النوم بقبضها من الجسد ومفارقة له وهذا الذي نجيب عنه وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة ، وقد أخبرنا الشيخ أبو الحسن بن أبي الفتوح النيسابورى قال أخبرنا جدى أبو محمد العباس بن محمد الطوسى عن القاضى أبى سعيد الصرخرادى عن الامام أبى أسحق أحمد بن محمد الثعلبى رحمه الله قال قال المفسرون أرواح الأحياء والأموات تلتقى في المنام فيتعارف منها ما شاء الله فاذا أراد جسيمها الرجوع إلى أجسادها

أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها، فلفظ هذا الإمام في هذا الشأن بمطلي أن هذا قول أكثر أهل العلم بهذا الفن، وعند هذا فيكون الفرق بين القبضين والوفاتين أن الروح في حالة النوم تفارق الجسد على أنها تعود إليه فلا تخرج خروجا وتقطع به المعلقة بينها وبين الجسد بل يبقى أثرها الذي هو حياة الجسد باقيا فيه، فأما في حالة الموت فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكيفية فلا تختلف فيه شيئا من أثرها فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم ثم إن إدراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقته متعذر فإنه من أمر الروح وقد استأثر بملئه الجليل تبارك وتعالى فقال تبارك وتعالى (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)، وأما قوله تبارك وتعالى (قالوا أضغاث أحلام) فإن الأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة التي تقبض بالكف من الحشيش ونحوه، والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا مطلقا وقد تخص بالرؤيا التي تكون من الشيطان ولما روى في حديث الرؤيا مطلقاً من الله تعالى والحلم من الشيطان، فمعنى الآية أنهم قالوا للملك إن الذي رأيته أحلام مختلطة فلا يصح تأويلها، وقد أفرد بعض المعبرين اصطلاحاً لأضغاث أحلام فذكر أن من شأنها أنها لا تدل على الأمور المستقبلية وإنما تدل على الأمور الحاضرة والماضية ويجدمعها أن يكون الرائي خائفاً من شيء أو يكون راجياً لشيء. وفي معنى الخوف والرجاء الحزن على شيء والسرور بشيء فإذا نام من انصف بذلك كذلك رأى في نومه ذلك الشيء وبينه ويكون خالياً من شيء هو محتاج إليه كالجماع والمطشان يرى في نومه كأنه يأكل ويشرب أو يكون ممتلئاً من شيء فيرى كأنه ينجسه كالممتلئ من الطعام يرى أنه يقذف وذكروا أن هذه الأمور الأربعة مهماسلم الرائي منها فرؤياها لا تكون من أضغاث الأحلام التي لا تمييز لها وهذا الذي ذكره ضابط حسن لو سلم في طرفه لكن الحصر شديد وما ذكره فغيره من المنامات الفاسدة شاركتها في الاندراج في قبيل الأضغاث، وأما سؤاله من أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد فإن للرؤيا الفاسدة أمارات يستدل بها عليها وما تقدم حكايته في شرح أضغاث الأحلام طرف منها، فبها أن يرى مالا يكون كالحالات وغيرها مما يعلم أنه لا يوجد بأن يرى الله سبحانه على صفة مستحيلة أو يرى نبيا يعمل عمل الفراعنة أو يرى قولا لا يحل التفوه به، ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث الصحيح من أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إني رأيت رأسي قطع وأنا أبتعه» الحديث المعروف، وهذه هي الرؤيا الشيطانية

التي ورد الحديث بأنها تحزين من الشيطان أو تلعب منه بالانسان ، ومن هذا النوع الاحتلام فانه من الشيطان ولهذا لا تحلم الأنياء ، ومن أمارات الرؤيا الفاسدة أن يكون ما رآه في النوم قد رآه في اليقظة وأدركه حسه بعهد قريب قبل نومه وصورته باقية في خياله فيراها بيمينها في نومه ، ومنها أن يرى ما قد حدثته به نفسه في اليقظة ويكون مما قد يفكر فيه قبل النوم بمدة قريبة اما مما قد مضى أو من الحماكي أو مما ينتظر المستقبل * ومنها أن يكون ما رآه مناسباً لما هو عليه من تمييز المزاج بأن تقاب عليه الحرارة من الصفراء فيرى في نومه النيران والشمس المحرقة أو تلب عليه البرودة فيرى الثلوج أو تلب عليه الرطوبة فيرى الأمطار والمياه أو تلب عليه اليوسة والسوداء فيرى الأشياء المظلمة أو الأوهال والادواء السوداء وجميع هذه الأنواع فاسدة لا تبهر لها *
 فإذا سلم الانسان في رؤياه من هذه الأمور غلب على الظن صحة رؤياه وتقع العناية بتفسيرها وإذا انضم الى ذلك كونه من أهل الصدق والصلاح فرأى الظن بأنها صادقة سالحة ، وفي الحديث الثابت عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» ومن أمارات صدقها من حيث الزمان كونها في الاسحار لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أصدق الرؤيا بالاسحار فكونها عند اقتراب الزمان في قوله صلى الله عليه وسلم فيها صح عنه «إذا اقترب الزمان لم تكدر رؤيا المسلم تكذب» واقتراب الزمان قيل هو اعتداله وقت استواء الليل والنهار ويزعم المعبرون أن أصدق الرؤيا ما كان أيام الربيع وقيل اقتراب الزمان قرب قيام الساعة *
 ومن أمارات صلاحها أن تكون تبشيراً بالثواب على الطاعة أو تحذيراً من المصيبة ثم إن القطع على الرؤيا بكونها سالحة لا سبيل اليه وإنما هو غلبة الظن : ونظير ذلك من حال اليقظة الخواطر ومعلوم أن إدراك ما هو منها — مما هو باطل — عن طريق إن نطقنا وإلا فاعلم *
 * (مسألة) * قول الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) ما هي الخصال التي إذا فعلها الانسان كان متقياً لله حق تقاته وهل نسخت هذه الآية بقول الله عز وجل (فاتقوا الله ما استطعتم) أم لا *
 ﴿ الجواب ﴾ لم تنسخها بل فسرتها وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى غير أنه إذا تجنب الكبائر ولم يصر على الصنائر وإذا عمل صغيرة يعقبا بالاستغفار كان من جملة المتقين والله أعلم *
 * (مسألة) * قوله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

الى آخر الآية ما الكبائر والصغائر؟ وكم المتفق عليه من الكبائر؟ وما الفرق بين الكبائر والصغائر؟ وهل تحتاج الصغائر الى توبة أم لا؟ وهل تذهب الصغائر بالصلوات كما جاء في الحديث أم لا بد مع ذلك من التوبة. وإن احتاجت إلى التوبة فالفرق بينها وبين الكبائر؟ وبماذا يعد المصر على الصغيرة مصرأً بفعل الصغيرة مرة واحدة أم مراراً أم بالعزم والنية؟ فان قلنا بالفعل مراراً فاعدد تلك المرات؟ *

﴿أجاب﴾ رضي الله عنه: قد اختلف الناس في الصغائر والكبائر في وجوه: منهم من نفى الفرق من الأصل وجعل الذنوب كلها كبائر وهو مذهب مطرح والذين أئبتوا الفرق وهم الجماهير اضطربت أقوالهم في تحديد الكبائر وتمديداتها وقد قلت في ذلك قولاً رجوت أنه صواب وهو أن الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظيم يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيماً على الإطلاق فهذا فصل لها عن الصغيرة التي وإن كانت كبيرة بالاضافة الى مادونها فليست كبيرة يطلق عليها الوصف بالكبر والعظم إطلاقاً: ثم إن لكبر الكبيرة وعظمتها امارات معرفة بها * منها إيجاب الحد ومنها الإيذاء عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة: ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً: ومنها اللعن كما في قوله «لمن الله من غير منار الأرض» في أشباه ذلك لانحصيها، وعند هذا يعلم ان عدة الكبائر غير محصورة والله أعلم * وأما الصغائر فقد تمحى من غير توبة بالصلاة وغيرها كما جاء به الكتاب والسنة وذلك أن فاعل الصغيرة لو أئبتها حسنة أو حسنة وهو غافل عن الندم والعزم على عدم العود المشتركين في صحة التوبة لكان ذلك ما حيا لصغيرته ومكفراً لها كما ورد به النص وإن لم توجد منه التوبة لعدم ركنها لا تلبسه باضدادها والمصر على الصغيرة من تلبس باضداد من اضداد التوبة باستمرار العزم على المعاودة أو باستدامة الفعل بحيث يدخل به ذنبه في حيز ما يطلق عليه الوصف ليصير وزنه كبيراً وليس لزمان ذلك وعدده حصر والله أعلم *

﴿مسألة﴾ في قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا ماسى) وقد ثبت أن اعمال الابدان لا تنتقل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وقد اختلف في القرآن هل يصل إلى الميت أم لا؟ وكيف يكون الدعاء يصل اليه والقرآن أفضل؟ *

﴿أجاب﴾ رضي الله عنه هذا قد اختلف فيه وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة

الأموات بالقرآن، وليس الاختلاف في هذه المسألة كالاختلاف في الأصول بل هي من مسائل الفروع، وليس نص الآية المذكورة دالاً على بطلان قول من قال إنه يصل فإن المراد به أنه لاحق له ولا جزاء إلا فيما يسمى، ولا يدخل ما يتبرع به الغير من قراءة ودعاء وأنه لاحق له في ذلك ولا مجازاة وإنما أعطاه الغير تبرعاً، وكذلك الحديث لا يدل على بطلان قوله فإنه في عمله وهذا من عمل غيره *

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) ما هو الذكركر؟ وما مقداره الذي يصير به المرء من الذاكرين الله كثيراً؟ وهل قراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار من التسييح والتهيل والتكبير؟ وما معنى الحديث الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات؟» مع أنا نعلم ذلك بقوله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) فتخصيص الخبر بقراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات لا بد له من فائدة، وما الحكمة في ذلك؟ وأفضل أوقات الذكر ما هي؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه إذا واظبت على الأذكار المذكورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة في ليلة العيد ونهاره وهي مثبتة في كتاب (عمل اليوم والليلة) كان من الذاكرين الله كثيراً، وقراءه القرآن أفضل من سائر الأذكار، وقوله له بكل حرف عشر حسنات فيه فائدة زائدة وهي الإعلام بأن الحسنة هنا ليست محصورة في أن يأتي بالكلمة بكاملها بل تحصل بحرف منها وأفضل أوقات الأذكار هي الأوقات الشريفة المعروفة إذا اقترنت بالأحوال الصافية *

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) من الساهون والراؤون والذين يمنعون الماعون؟ وهل إذا فعل إحدى الثلاث كان من أصحاب الويل أم إذا فعل الثلاث؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه الساهون هم الغافلون عن الصلاة التاركون لها والراؤون من يعمل ما هو طاعة لغير الله أو لله ولنغير الله (و الذين يمنعون الماعون) اختلفوا فيه والأظهر أن الماعون معناه آلات البيت من قدر ومفرقة وفأس وطس

واشباها هذا لما كانت الاعارة واجبة وهو ظاهر الآية ثم نسخ، والأظهر منهما ان استحقاق الويل مخصوص بمن جمع الثلاث والله أعلم .

﴿ مسألة ﴾ قول الله تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله كيف ينجي الأرض بدموتها ان ذلك لمحي الموتى) لم أمرنا بالنظر الى الأثر ولم يأمرنا بالنظر الى الرحمة ؟ وهل يجوز لأحد أن يفسر القرآن بما يخطر في نفسه أو يقلب على ظنه من غير نقل عن أحد من المفسرين ومن غير علم بالعربية واللغة ؟ *

﴿ أجب ﴾ رضى الله عنه إنما كان ذلك كذلك لان الآية واردة للأمر بالنظر الى المطر الذى (ينجي الأرض بدموتها) والمطر الذى هذا شأنه وسائر صنوف الانعام آثار الرحمة لانفس الرحمة فان الرحمة عند المحققين من صفات الذات نحو الارادة ولا سبيل الى النظر اليها ومهما سمي المطر وغيره من وجوه الانعام رحمة فعلى سبيل التجوز والأصل هو الأول، وأما تفسير القرآن ممن هو على الصفة المذكورة فن كباثر الأثم، وروا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » خرجه أبو عيسى فى جامعه، وخرج أيضاً عن جندب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » الحديث الأول من حسانتها والثانى دونه والمفسر الموصوف قائل فى القرآن قولاً لا يستند الى أصل ولا حجة تمتد وهذا هو القول بالرأى المذموم قائله، وقوله فى الرواية الأخرى « من قال فى القرآن بغير علم » كالمفسر لهذا ونسأل الله العصمة من ذلك ومن سائر ما يسخطه سبحانه وهو سبحانه أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قول الله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى) والابتداء بما بعده وفى الوقف على (فان) وفيمن قال إنما الوقف على قوله عز وجل (ويبقى) دون قوله (فان) *

﴿ أجب ﴾ رضى الله عنه الوقف على (ويبقى) مما يجب أن ينافى ويبقى لأنه مع أنه مخالف قول من تنهى الينا قوله من قارى القرآن العظيم ومقرئيه والعلماء فانه يدفعه الدليل وبأباه لأنه ترك الظاهر الأسبق الى الفهم وقد تقرر أنه غير سائغ الامستند يقوى قوة بصير به خلاف الظاهر أرجح منه وليس للوقف على يبقى مستند يتنزل هذه المنزلة ولا قريباً منها وقصارى الصائريه أن يبين اتجاعه بمنى أو بمجيئه عن متقدم تقلا واحتماله منى لا يسوغه مع الأظهر

غيره ونقله عن متقدم لو يرد في يده لم ينفعه لأنه لا يجوز المدول عن قول الجماهير بمجرد قول وارد ، هذا وأن فيه إنبات تفسير الآية أو نحوه بنعت الشذوذ والقرآن القرآن والجرأة عليه عظيمة وإنما يتوقاها المتقون والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ ما قول أئمة الحديث والتفسير والعلماء بالأيام والسير في البقرة المذكورة في سورة البقرة هل هي أثى أو ذكر ؟ وفي بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدليل هل هي أثى أو ذكر ؟ بينوا ذلك *

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه كل منهما أثى لا ذكر ولا نستفيد هذا من هاء التأنيث فيهما فانه يقال : للذكر بقرة و بئلة أيضاً حتى صار بمض الأئمة الشافعيين الى أنه لو أوصى ببقرة أو بئلة جاز إخراج الذكر والأثى ومن خصص بالأثى فغلبة عرف الاستعمال فيها لا أنها في اللغة مخصوصة بالأثى وإنما استفدنا الأئمة في المذكورين من معارف غير ذلك ، أما البقرة ففي آياتها ما يوضح الأئمة ثبوتها فيها وذلك في غير موضع مما ذكره تبارك وتعالى في صفاتها من ذلك قوله سبحانه وتعالى (عوان بين ذلك) فانه من صفة الأثى النصف وفي التفسير أنها الأثى التي ولدت بطناً أو بطنين ، ومن ذلك قوله تعالى (صفراء فاقع لونها) فانه اذا قيل للذكر بئرة قيل عند الوصف بئرة أصفر لا صفراء وكذلك لا يقال فيه (تسر) بل يسر وفي ذلك غير هذا ، وأما بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدليل فن الدليل على أنها كانت اثى ما جاء في خبرها عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال كانت دلل بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بئلة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس قال الراوى و بقيت حتى كان في زمن معاوية و روى محمد بن سعد بسند له أن إسم بئلة النبي صلى الله عليه وسلم الدليل وكانت شبيهة وكانت يبيع حتى ماتت ثم قال ابن سعد وهو ثقة أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان الثورى عن جعفر عن أبيه قال كانت بئلة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى الشبيهة وهذا إسناد رجاله آساد ، وبمثل هذا لا يوصف به الذكر وإن أجازوا فيه أن يقال بئلة فلم يجزوا في صفته وفيما يرجع اليه من الضمائر مثل هذا الذى نراه وبابه ولا التفات في ذلك الى تأنيث اللفظ كما في قولهم طلحة وحمزة فلا يقال طلحة سرتى أو كانت ونحو ذلك ولا حمزة البيضاء بل الأبيض فقط والله أعلم * ثم اذا ضم ما أورده من أمر

دلّل الى ما رواه البخارى في صحيحه عن عمرو بن الحارث صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى جويرة بنت الحارث أم المؤمنين وهو أحد الصحابة الذين تفرد البخارى عن مسلم باخراج حديثهم قال «ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم ودرهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بقلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» ظهر من ذلك أن بقلته صلى الله عليه وسلم المسماة بدلدل هى التى تسمى البيضاء وكانت تسمى الشبهاء، وما ذكره السهلبى صاحب الروض الأنف فى شرح السير من أن المسماة بالبيضاء غير المسماة بدلدل غير مرضى ومعتمد والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ فى قوله سبحانه وتعالى (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فعلم الله السابق هو قوله (حتى نعلم المجاهدين منكم) أو هو علم يأتى وسمعت شخصاً يقول فى هذه الآية (حتى نعلم) يتجدد له علم يأتى والحق سبحانه وتعالى له علمان أو علم واحد؟ بين لنا هذا على الوجه الصحيح الذى لا يربى فى الدين؟ *

﴿ أجب ﴾ رضى الله تعالى عنه الذى قاله الشخص خطأ ولا يتحدد لله علم وإنما علمه مختلف متعلقه فتعلق قبل وجود مجاهدين بأنهم ستوجد مجاهدينهم وبعده وجودها بأنها قد وجدت فاذا معنى الآية حتى نعلم مجاهدينكم موجودة فجاز يكمل عليها والله أعلم *

﴿ القسم الثانى فى شرح أحاديث وردت عن رسول الله ﷺ ﴾

فمن ذلك ﴿ مسألة ﴾ فى قوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيقال إنما تعلمت ليقال كذا وكذا وقد قيل» الحديث ما معناه الحمل على أنه كانت له حسنات غير العلم؟ فأجبت نيته فى العلم حسناته وهذا خلاف قوله سبحانه وتعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) أم يحمل على أنه لم تكن له حسنة سوى العلم؟ وكذا المجاهد وهذا خلاف الظاهر أم له معنى غير هذين؟ *

﴿ أجب ﴾ رضى الله عنه هذا فى شخص كان بمثابة لو أخلص فيها فى علمه لنجاه علمه من العذاب الذى وجد مقتضيه فلما لم يخلص نزل به موجب القضى لعذابه أو هذا فيمن ترجحت سيئاته ربائه بالعلم على حسناته فلم تدفع عنه حسناته عذاب ذنب الرياء فمذنب والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قوله صلى الله عليه وآله وسلم «الصلاة الى الصلاة كقارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة كقارة لما بينهما ورمضان الى رمضان كقارة لما بينهما» واذا كانت الصلاة الى الصلاة كقارة لما بينهما فاتكفر الجمعة ورمضان ؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه هي كفارات وان لم تصادف شيئاً تكفر بمعنى انها أسباب للتكفير وقد ينتفى عن السبب مسيبه لأمر من الأمور ولا يخرج ذلك عن كونه سبباً ثم جواب آخر وهو أن السلوات الخمس كقارة للصغائر على ما نطق به الحديث والمرجو أن الكفارة الثانية اذا لم تصادف صغيرة تكفر بمض الكبائر والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ في أن الخبر اذا ورد من جهة الله تعالى لا يتصور وجوده على خلاف الخبر به وهل هو كما أطلق؟ أم ثم فرق بين وعده ووعيده؟ وإذا لم يصح الاطلاق فما الفرق بينهما؟ وهل يكون في الفرق أن يقال ان اخلاف الوعد لا يليق بجانبه سبحانه وتعالى والمفوع عن الوعد لا يثق به أم لا ؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه نعم: هو على إطلاقة فلا يقع أصلاً شيء من أخباره على خلاف مخبره، ومن ذلك الوعد: واما الوعد فالمفوع متطرق اليه وليس ذلك خلفاً في خبره فيه: فان الوعد مقيد من حيث المعنى بحالة عدم المفوع فاذا قال لا عذبني الظالم مثلاً فتقديره ان لم أعف أو إلا أن أسامحه أو أتكرم عليه ونحو هذا وهذا القيد عرف من عادة العرب في ابياداتها، ومن أخبار الشارع عن ذلك على الجملة والمعموم في مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما روينا « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منتجزه له ومن وعده على عمل عقاباً فهو بالخيار ان شاء عذبه وان شاء غفر له » والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم » فهل هذا يطلق على الفقير الذي قد جمع بين العلم والعمل؟ أم الفقير الذي قد منع الدنيا ولا حظ له فيها فيكون دخوله الجنة جبراً لقلبه يوم القيامة حيث يتعنى شيئاً لا يقدر عليه؟ وان أطلق على الفقير الذي قد جمع بين العلم والعمل فذلك هو الغني الأكبر، وما هو الغني والفقير الذي ورد فيهم؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه، يدخل في هذا الفقير الذي لا يملك شيئاً والمسكين الذي يملك شيئاً ولكن لا يملك تمام كفايته إذا كانوا مؤمنين غير مرتكبين شيئاً من الكبائر ولا مصرين على شيء من الصغائر ويشترط في ذلك أن يكونوا صابرين على

الفقر والمسكنة راضين بهما والله أعلم *

* (مسألة) * قوله صلى الله عليه وسلم: «خير القرون الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم» الحديث: ما الفرق بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير صحته؟ «أمتى كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره»: وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «للسائم فرحتان؟ فرحة عند إفطاره و فرحة عند لقاءه به» فالفرحة التى عند إفطاره ما هى؟ كونه يفرح بالأكل والشرب أو فرحه كونه حصلت له عبادة هذا اليوم *

* (أجاب) * رضى الله عنه أما الحديثان الأولان فلا تناقض بينهما لأن آخر الامة فى الحديث الثانى المضطرب عبارة عن المهدي وعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ومن معهم، وأما فرحة الصائم عند فطره فجازز حملها على الأمرين فرحة النفس بما يتناول ولا محذور فيها. وفرحة بتمام العبادة الفاضلة له: والله أعلم *

* (مسألة) * قوله صلى الله عليه وسلم «انها من الطوافين عليكم» على ماذا الحمل؟ وهو أنى نقله عن الصبيان الصغار من الأولاد الذين لا يمكنهم التحرز منهم كالأبصار فى الطوافات للعلمة ولوانتفت النجاسة منهم فى محل العفو عنها فى مثله منها *

* (أجاب) * رضى الله عنه الطوافون الخدم والطوافات الخاديات وأقواء الاطفال

التي تقلب نجاستها فالظاهر انها كاقواء السنابير فى العفو والله أعلم *

* (مسألة) * روى أبو عبد الله البخارى وأبو الحسين مسلم رحمهما الله فى صحيحهما من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يبعث الله الملك» وذكرنا فى الحديث وفى الحديث الذى انفرد به مسلم باخراجه من حديث أبى سريحة حذيفة بن أسيد الغفارى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها» وذكرنا فى الحديث * فى الحديث الأول اشعار بان الله تعالى يرسل الملك بعد مائة وعشرين ليلة وفى الحديث الثانى تصريح بان الملك يبعث بعد أربعين ليلة فكيف الجمع بين هذين الحديثين؟ *

* (أجاب) * رضى الله عنه حديث حذيفة بن أسيد هذا لم يخرج به البخارى فى كتابه ولمل ذلك لكونه لم يجده ملتثماً مع حديث ابن مسعود رضى الله عنهما ووجد حديث

ابن مسعود أقوى وأصح فارتاب بمحدث حذيفة الذي مداره على أبي العفيل عاص
ابن وائلة عنه فاعرض عنه فاما مسلم فانه خرج الحديثين معاً في كتابه فاحوجنا إلى
تطلب وجه يلتزمان به ولا يتنافران وقد وجدناه ولله الحمد الأتم ، فاقول : الملك يرسل غير
مرة الى الرحم يرسل مرة عقيب الأربمين الأولى بدلالة حديث حذيفة بن أسيد
بأنفاظه في رواياته المتعددة فيكتب أجله ورزقه وعمله وحاله في السعادة والشقاوة وغير
ذلك ويرسل مرة أخرى عقيب الأربمين الثالثة فينفخ فيه الروح بدلالة حديث
ابن مسعود وغيره ثم انه يشكل وراء هذا من حديث حذيفة في قوله في بعض رواياته
عند ذكر ارسال الملك عقيب الأربمين الأولى «فصورها وخلق سمعها وبصرها ووجد لها
ولحها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أثنى ؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب» ، الى آخره ومن
المعلوم أن هذا التصوير لا يكون في الأربمين الثانية فانه يكون فيها عاقبة وانما يكون
هذا التصوير قريبا من نفخ الروح وهكذا روينا ذلك مصرحاً به في بعض روايات
حديث حذيفة خارج الصحيح وسبيل الجواب عن هذا الاشكال أن يحمل قوله «فصورها»
على معنى فصورها قولاً وكتبنا لانفلا أي فذكر تصويرها وكتب ذلك ، والدليل على صحة
هذا ان جعلها ذكراً أو أثنى يكون مع التصوير المذكور وقد قال في جعلها ذكراً أو
أثنى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك إلى آخره ويشكل أيضاً من حديث ابن مسعود
ان البخاري رواه بهذا اللفظ وهو أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أر بيمين يوماً أو
أر بيمين ليلة ثم يكون علقه مثله ثم يكون مضغته مثله ثم يمضغ اليه الملك فيؤذن باربع
كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقاه أو سميد ثم ينفخ فيه الروح ثم يمضغ اليه الملك
بحرف ثم يقتضى تأخير كتب الملك الأمور الاربعة الى ما بعد الأربمين الثالثة * وحديث
حذيفة بن أسيد قاض بتقديم كتب الملك لذلك عقيب الأربمين الأولى وسبيل الخروج
عن اشكال ذلك أن يحمل قوله «ثم يمضغ اليه الملك فيؤذن فيكتب» معطوفاً على قوله «يجمع
في بطن أمه أر بيمين يوماً» متعلقاً بهذا لا بالذي يليه قبله وهو قوله ثم يكون مضغته مثله
ويكون قوله «ثم يكون علقه مثله ثم يكون مضغته مثله» اعتراضاً وقع بين المعطوف والمعطوف
عليه والاعتراض بأمثال ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب غير قليل * من ذلك قوله
سبحانه وتعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات

والأرض وعشياً وحين تظهرون) فقوله (وعشياً) ليس متعلقاً بالذى يابه وهو قوله (وله الحمد في السموات والأرض) ومعلوماً عليه بل متعلقاً بما سبق من قوله (وحين تصبحون) وقوله (وله الحمد في السموات والأرض) اعتراض بينهما إذا عرفت هذا فقوله «ثم ينفخ فيه الروح» متصل بقوله «ثم يكون مضنة مثله» لأنه في شبه التأخير لما ذكرناه فافهم ذلك واعرفه وارعه فإنه مشكل عويص جداً ولا أحد نملته قد تقدم بحله وقد أوضحته أيضاً ينشرح صدر القامم الآهل والله سبحانه المحمود حقاً، وكان الحافظ عياض بن موسى القاضى من المفاربة قد تعرض لذلك مقتصراً على رواية مسلم لحديث ابن مسعود وذلك فيها بحرف الواو لا بحرف ثم ولفظها «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه» إلى آخره وأجاب بان الواو لا تقتضى ترتيباً وهذا الذى أتى به سهل لا يتأتى مثله في رواية البخارى التى هداها الله الكريم لشرح معناها والله الحمد كاه وهو أعلم *
 ﴿مسألة﴾ قوله عليه السلام «الثائب من الذنب كمن لا ذنب له» هل خرج في الصحيحين أم لا؟ وهل يصير في عقيب التوبة كمن لا ذنب له ليحكم القاضى برشده في تزويج ابنته أو موليته؟ أم لا بد من اصلاح العمل بعد التوبة إلى مدة معلومة؟ وكيف حكم الله في ذلك؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لم يخرج في الصحاح ولم نجد له اسناداً ثبت بمثله الحديث والثائب يلتحق عند بعض أصحابنا بالمستور من غير توقف على اصلاح العمل في المدة المعلومة ولا بأس بالعمل بهذا والمستور على التزويج ولا يخرج على الخلاف في الفاسق *
 ﴿مسألة﴾ رجلان تشاجرا في قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربكم في كل ليلة إلى سماء الدنيا» الحديث بتلهم فقال أحدهما للأخر الحديث يتأول وقال الآخر بل هو كما جاء ليس فيه تأويل بل ينزل وكذا في جميع الصفات والآيات والأخبار * وكل واحد يدعى الصحة في قوله *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه الذى عليه الصالحون من السلف واختلف رضى الله عنهم الاتصاف في ذلك جميعه على الأيمان الحق بها والاعراض عن الخوض في معانيها مع اعتقاد التمديس المطلق وإنه ليس معناها ما نفهم من مثلها في حق مخلوق والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ في معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي برويه أبو هريرة رضي الله عنه وهو قوله « كل مولود يولد على الفطرة » المذكورة وهي فطرة الاسلام أو الفطرة التي هي الخلق والابداع والاختراع *

﴿ أجب ﴾ رضي الله عنه معناه والله أعلم انه يولد غير متلبس بحقيقة الكفر فانه بالاعتقاد ولا وجود له قطعاً فأبواه يهودانه قبل البلوغ من حيث الأحكام تبعاً وبمد البلوغ بتقليده إياهم في حقيقة الكفر مباشرة منه وملازمة منه للكفر، وأما ما ورد من أن الشقي من شقى في بطن أمه فلرأده - أن يكتب الملك عليه - اخبار عما يوجد منه اذا باشر الكفر، وفي قوله « الله أعلم بما كانوا عاملين » إشاراً بأنه قد يكتب عليه الشقاء ويحكم به عليه بناء على ما يلمه الله تعالى منه من أنه لو أحياء الله الى حين يستقل بالإيمان والكفر لا يختار الكفر وكفر كما جاءت الرواية بذلك مصرحاً به في بعض الأحاديث فيخرج من ذلك انا لانستلزم الحكم بأن من مات من أطفال المشركين فهو في الجنة وكذا في أشباههم من المجانين والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ في معنى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على أبي (لم يكن الدين كفروا) بأمر الله تعالى ما المراد بذلك؟ وما وجه تخصيص هذه السورة بالذكر؟ وما الحكمة في ذلك؟ *

﴿ أجب ﴾ رضي الله عنه في ذلك فوائد منها كونه سن بذلك عرض القرآن على من يحفظه ويعرف كما هو المعروف من قراءة القرآن على المقرئ، ومنها ان ايأ كان موثوقاً به في الأخذ والأداء عنه صلى الله عليه وسلم ففضل ذلك ليؤدي عنه وفيه حض له على التصدير لقراءة القرآن عليه فكان رضي الله عنه يمدده صلى الله عليه وسلم رأساً، وأما تخصيص هذه السورة فمن المعنى فيه أنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهام عظيمة وكان الوقت يقتضى ترك التلويل والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر » فهل يكون هذا السوق قيل موت الخلق أو بعد خروجهم من الأجداث؟ *

﴿ أجب ﴾ رضي الله عنه بل قبل موت الخلائق وقوله « لا تقوم الساعة » شاهد بذلك والله أعلم *

* (مسألة) * فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لمن الله من أكرم غنيا لغناه وأهان فقيراً لفقره» وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لمن الله من أكرم بالفنى وأهان بالفقر» هل يدخل تحت هذا اللعن شيخ يزار بحبه الفقير والفنى وابتاء الدولة وهو من ذوى الولايات والتسلط فيتكاف لابناء الدنيا ويحضر للفقير ما يتيسر أم لا؟ *
 * (أجاب) * رضى الله عنه اما أولاً فان هذين الحديين لا نعرفهما من جهة تصح، تقوم بها الحجة، وقد أخرج أبوشجاع شيرويه الهمداني صاحب الفردوس فيه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «لمن الله فقيراً تواضع لفنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» لكن ليس ذلك بما يقع عليه الاعتقاد فان صاحب الفردوس جمع فيه بين الصحيح والسقيم وبلغ به الانحلال الى أن أخرج أشياء من الموضوع، ويدانى هذا الحديث فى معناه ما روى من أنه «من تضعف لفنى ذهب ثلثا دينه» وأخبرت عن أبى الفتوح الشادياخى وغيره قالوا حدثنا الاستاذ أبو القاسم القشيري قال سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر «من تواضع لفنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» وإنما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لفنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فان اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ذهب دينه كله هذا كلامه *
 ثم إننا نعلم ان هذه الأحاديث وإن لم تثبت من حيث الرواية فما تقتضيه من ذم اكرام الفنى لغناه وإهانة الفقير لفقره ثابت صحيح وذلك ان لم ينته فاعله الى فظاعة اللعن وذهاب ثلثى الدين فهو منكر قبيح على الجملة فان فيه تعظيم الدنيا التى هى مجمع الآفات وأم الخبائث ويستلزم ذلك من ضعف قوى التقوى أمر أعظما لكنها لا تتناول من أكرم الفنى مطلقاً بل من أكرم الفنى لأجل غناه اى كان الباعث له على إكرامه ما عنده من الدنيا واستعظام ما انتصف به من الفنى فلا يدخل فى ذلك من أكرم الفنى لعنى آخر لا يذمه الشرع ويأباه بأن يقصد به حفظ قلب الفنى بأنه ان لم يفعل تأذى او ترغيبه فى اكرام الأضياف او يريد به دفع شره وصيانة نفسه وإياه عن محذور غيبته او توطئته لما يريد ان يأمره به من الخير فهذا وما أشبهه من المقاصد الصحيحة اذا اقترن بفعل ذلك فهو حسن غير مذموم والفاعل له بنية التقرب مأجور غير مأزور وتكلف هذا المذكور لابناء الدنيا اذا كان لشيء من هذه المقاصد المستقيمة فليس من اكرام الفنى لغناه فى شيء، وكذلك اقتصاره فى حق الفقير على اختصار ما يتيسر اذا كان ليكون ذلك

يكفى الفقير ويرضيه من غير أن يقترن به استحغار منه بالفقير وفقره ليس من اهانة الفقير لفقره بسبيل . وقد أخرج أبو داود صاحب السنن فيه عن ميمون بن أبي شبيب «ان عائشة رضى الله عنها مر بها سائل فاعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فاقدمته فأكل فقيل لها في ذلك فقالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نزل الناس منازلهم» هذا الحديث اصل في هذا الذي نحن بصدده فليصح المتن بذلك مقاصده فيما أتى منه ومن غيره ويتدبر في صحتها بحجة اعماله وفي فساده فسادها والله الكريم السؤل توفيقنا وإياه لما يحبه ويرضاه ومن يحب والمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين *

(* مسألة) * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان رجلاً من أهل الصفة مات فوجد معه دينار ان فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان» فما السر في ذلك وما المعنى فيه مع ان الدينارين لاحق فيما لله تعالى؟ *

(* اجاب) * رضى الله عنه من الأسباب في ذلك انه رحمه الله اظهر الفقر وقدم مع الفقراء أهل الصفة الذين لا يملكون ديناراً ولا درهما ولم يخرج دينار به على نفسه ورفقائه والله اعلم *

(* مسألة) * سأل سائل الشيخ رحمه الله تعالى وقال ذكرت في كتابك الذى صنفته في علوم الحديث فوائد جمة إلا أن في أوله أو قالوا في حديث انه غير صحيح فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الأمر إذ قد يكون صدقاً في نفس الأمر وإنما المراد به انه لم يصح إسناده على الشرط المذكور والله أعلم ، وقد رأينا قد ذكر عن الأئمة أنهم قالوا في الحديث حديث إسناده صحيح ومتنه غير صحيح أو إسناده غير صحيح ومتنه صحيح أو إسناده مجهول ومتنه مجهول أو إسناده صحيح ومتنه صحيح أو إسناده ضعيف ومتنه ضعيف. وأيضاً لهم كتب الموضوعات ويقولون من فلان الى فلان الله أعلم من وضعه فهذا يدل بأنه في نفس الأمر غير صحيح فان رأى أن يذكر في شرح هذا ما يشق به علة الطالب فعل ذلك *

(* اجاب) * رضى الله عنه الذى يرد من هذا على ذلك قولهم إسناده صحيح ومتنه غير صحيح وجوابه ان في كلامي احترازاً عنه وذلك في قولي انه لم يصح إسناده على الشرط

المذكور لان من الشرط المذكور أن لا يكون شاذاً ولا ممللاً والذي أوردتموه لا بد أن يكون في إسناده شذوذ و علة تمله ولأجل ذلك لا يصح به التمسك فان أدلتى عليه انه اسناد صحيح فلا بالتفسير الذى ذكرتموه بل بمعنى أن رجال إسناده عدول ثقاة هذا فحسب وما بعد هذا لا يمس ما ذكرته الاقولم في بعض الأحاديث انه موضوع، والجواب انه ليس في الكلام الذى ذكرته انكار لذلك وانما فيه انه لا يستفاد ولا يفهم من قولم هذا الحديث غير صحيح اكثر من أنه لم يصح له اسناد على الشرط المذكور وهذا كذلك لان هذا الكلام لا يظهر من معناه انه كذب في نفس الامر احتجنا الى زيادة لفظ مثل ان يقول هو موضوع أو كذب او نحو ذلك والله اعلم، قولى لم يصح اسناده تام اى لم يصح له اسنادا والله اعلم *

﴿مسألة﴾ في رجل يقرأ الحديث على المحدث ويقول في كل حديث وبالاسناد حدثنا فلان عن فلان ولا يقول قال حدثنا فهل يصح هذا السماع أم لا؟
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا خطأ من فاعله، واما بطلان السماع به ففيه حتمال والأظهر انه لا يعطل من حيث ان حذف القول اختصارا مع كونه مقدراً في كثير من كتاب الله تعالى وغيره والله اعلم *

﴿مسألة﴾ روى ان النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على صاع من شعير أو صاعين وانه صلى الله عليه وسلم مات وله حصون وارض فهل هذه الاحاديث صحاح وانه صلى الله عليه وسلم مات وهو فقير؟ اينوا لنا أدلة موته على الفقر والكهات التى عليها النبي صلى الله عليه وسلم للفقراء فضلوا على الاغنياء بتلك الكهات وغيرها من الأحاديث الصحيحة، والذي ذهب من العلماء الى ان الفقير الصابر أعلى من الغنى الشاكر من هو من العلماء؟

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه روى البخارى في صحيحه باسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير وكان له مما اقره الله تبارك وتعالى ارض بخير وفدك وغيرها وكانت ممتدة نوابه ولم تورث منه لقوله صلى الله عليه وسلم «انا لا تورث ما تركناه صدقة» وكل هذا صحيح لا تناقض فيه والفقير صفة اللازمة عند موته وقبل ذلك صلى الله عليه وسلم ولا يقدر فيه ما كان في ملكه من اعداده لمصالح المسلمين واخرجه ما يحصل عند حصوله بحديث

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسةائة عام» حديث ثابت، وحديث ابى هريرة رضى الله عنه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن فقراء المهاجرين اتوه فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا تصدق ويمتقون ولا نفتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا بلى قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» هذا لفظ الحديث فى صحيح مسلم، وأخبرنى بعض الاشياخ بخراسان قال ثنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الصوفى قال أخبرنا الاستاذ أبو القاسم القشيرى قال سمعت أبا على الدقاق يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الوجى كفايته ثم يصاب فيه والله أعلم *

﴿مسألة﴾ صوم رجب كله هل على صائمه إثم أم له اجر؟ وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه ابن دحية الذى كان بمصر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان جهنم لتسمر من الحول إلى الحول لصوام رجب» هل صح ذلك أم لا؟ *
﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا إثم عليه فى ذلك ولم يؤثمه بذلك أحد من علماء الأمة فيما نعلمه بل قال بعض حفاظ الحديث لم يثبت فى فضل صوم رجب حديث أى فضل خاص وهذا لا يوجب زهدا فى صومه مما ورد فى فضل الصوم مطلقا، والحديث الوارد فى كتاب السنن لأبى داود وغيره فى صوم الأشهر الحرم كلف فى الترغيب فى صومه، أما الحديث فى تسمير جهنم لصوامه فقير صحيح ولا يحمل روايته والله أعلم *

﴿مسألة﴾ اذا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن أقوام انهم من أهل الجنة وهم مؤمنون مصدقون بخبره صلى الله عليه وسلم فهل يأمنون المكربا أخبرهم به من أنهم من أهل الجنة؟ وسمعنا عن عمر رضى الله عنه انه قال لا آمن مكربه ورجلى الواحدة فى الجنة والأخرى برا فهل هذا عن عمر صحيح أم لا؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا القول بعينه عن عمر رضى الله عنه لسننا نصحيحه بل أصل كونه لم يأمن مكر الله وانه كان شديد ما بين يديه ثابت عنه وذلك له وجوه ، أحدها انه كان يرى جواز النسخ في مثل ذلك ، وانه روى عنه انه كان يدعو الهم ان كنت كتبتي شقياً فامح ذلك واكتبني سميداً أو ماممناً ، وهذا ، والثانى انه وأمثاله ان آمنوا بكونهم من أهل الجنة فلا يأمنون أهوالاً تصيبهم قبل دخول الجنة ، الثالث وان كانوا لا يجوزون النسخ في مثل ذلك فقد يجوزون أن يكون ذلك مشروطاً بشرط ولا يوجد منهم وخفى عليهم ذلك الشرط عافانا الله تعالى *

﴿مسألة﴾ أول من يدخل الجنة ان قالوا هم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيدخل كل نبي مع أمته أو الأنبياء كلهم يدخلون الجنة قبل اممهم *
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة قبل الجميع والظاهر ان الأنبياء يدخلون قبل الأمم كلها *

﴿مسألة﴾ عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى النبيين وألهم رأى رجلاً يسرق فقال أمرت؟ فقال كلا والذي لا إله إلا هو قال آمنت بالله وكذبت عيني، وحديث آخر ان بعض الناس أذنب ذنباً فسئل عنه فقال والله الذى لا إله إلا هو ما فعلته أو كما قال فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ذنبك بصدقك فى قولك لا إله إلا الله *
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه كأنه صلى الله عليه وسلم لما وجد السارق ربه تعالى غمرته الهيبة والمعظمة حتى أنسته ما استيقنه حالة الابصار وبقى فى صورة من يرى الشيء من بعد ولا يتحققه فاذا نوزع فيه كذب رؤيته وأما الحديث الآخرفيه إشارة الى أن حسه الصادق فى التوحيد كفر المعصية والله أعلم *

﴿مسألة﴾ الخبر الذى لا يتطرق اليه النسخ والخبر الذى يدخله الأمر فيتطرق اليه النسخ ماهو؟ وما الفرق بين الخبرين * ؟

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه من أمثلة الخبر الذى لا يدخله النسخ قوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) ومن أمثلة الخبر المشتمل على الأمر قوله صلى الله عليه وسلم «توضوا مما مست النار» ومن أمثلة ما لا يدخله النسخ فى الخبر فى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» والفرق ان ما فيه الأمر تكليف

فلا يمتنع إسقاطه بالنسخ بخلاف الخبر المحض فان النسخ فيه الخلف فيكون ذلك وقع كذباً والله أعلم *

﴿مسألة﴾ في الفقير الصابر والغنى الشا كرايها أعلى ؟ ينو ذلك لتحصل معرفتهما والذي لا يجب عليه التكسب بيان دليله وما هو؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه: هذا باب واسع ومما يحتاج به — من فضل الفقير الصابر واياه يختار — حديث دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنحو مائة عام، ومما يحتاج به في فضل الغنى الشا ك قوله صلى الله عليه وسلم «فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وحديث الذ كرا الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الفقراء فلما بلغ ذلك الأغنياء شار كهم فيه ومن قال لا يجب عليه التكسب فدليله انه الآن غير واجد وليس عليه واجب من ذلك فلا يجب عليه التحصيل لتجب عليه النفقة كما لا يجب عليه تحصيل المال لتجب عليه الزكاة والله أعلم *

﴿مسألة﴾ هل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل قدم نبي من الأنبياء عليهم السلام ولى من أولياء الله تعالى ؟ وسمعنا أن القطب على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعنا أن في الأرض سبعة أوتاد وابدال وبقباء ونجباء وكل مات رجل أقام الله عز وجل عوضه رجلا ولا تزال الوراثة دائمة في علم الباطن وفي علم الظاهر الى قيام الساعة الأمر على ما ذكر أم لا ؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا يثبت هذا الحديث وأما الابدال فأقوى ما رو بناه فيهم قول على رضى الله عنه انه بالشام تكون الابدال وأيضاً ما شا بهم كالمجمع عليه من علماء المسلمين وصلحائهم، وأما الأوتاد والنجباء والبقباء فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة ولا يثبت ذلك ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق الى أن تقوم الساعة وهم العلماء *

﴿مسألة﴾ هل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في علماء الباطن الذين أقامهم الله تعالى لتربية ارباب الأحوال والمقامات الشريفة وليوصلوا المر يد الى الله تعالى بقوتهم التي أعطاهم الله تعالى وبدعوتهم المجابة كالجنيد وامثاله من أئمة الطريق الكاشفين الذين لهم الكشف المصون الموافق للشريعة المطهرة هل يجب عليهم ان يشهروا انفسهم بذلك ويتصدوا بالعمود للخلق كما يجب على علماء الشريعة التصدى والعمود للخلق لفوائد المسلمين منهم ام لا ؟ والخضر عليه السلام هل ورد انه حى الى الوقت المعلوم؟ وهل هو ولى او نبي ام لا؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه لا يجب عليهم ذلك ولا يحتمل حلم وحال الخلق ذلك وفي الشريعة كفاية فيما يرجع الى ارشاد الخلق ، وأما الخضر صلى الله عليه وسلم فهو من الاحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والامة معهم في ذلك وإنما شذ بانكار ذلك بمض اهل الحديث وهو صلى الله عليه وعلى نبينا والتبيين. وآل كل وسلم نبي واختلفوا في كونه مرسلًا والله اعلم *

﴿ مسألة ﴾ في الابوة هل يجوز ان يطلق في الكتاب العزيز والحديث الصحيح الأب من غير صلب وايش الفرق بين آدم أبى البشر وبين ابراهيم الخليل صلى الله عليها وعلى نبينا والتبيين وآل كل وسلم أب فآدم ابو البشر و ابراهيم ابو الايمان أولمعى آخر؟ ونزى شيخ الطريقة يسمونهم أبا المر يدين فيجب بيان هذا من الكتاب العزيز والحديث الصحيح وإما أعلى الأب او الأخ اوالصاحب؟ ترى الصحابة رضى الله عنهم كانوا اخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الاسلام والايمان وزمام خصوا باسم الصاحب يتنوا لنا هذا رزقكم الجنة . *

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه قال الله تعالى (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل) واسماعيل من اعمامه لا من آبائه وقال سبحانه وتعالى (ورفع ابو يه على العرش) وانه قد كان تقدم وقتها قالوا والمراد خالته في هذا استعمال الابوين من غير ولادة حقيقة وهو مجاز صحيح في اللسان العربي واجراء ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم والعالم والشيخ والمريد سائغ من حيث اللغة والمعنى وامان حيث الشرع فقد قال سبحانه وتعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وفي الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم «انما انالكم بمنزلة الوالد اعلمكم» فذهب بعض علمائنا الى أنه لا يقبل فيه صلى الله عليه وسلم انه أبو المؤمنين وان كان يقال في ازواجه أمهات المؤمنين ، وحجته ما ذكرت فلى هذا يقال هو مثل الأب او كالأب او بمنزلة أيتنا ولا يقال هو ابونا او والدنا ومن علمائنا من جوز ، واطلق هذا ايضا وفي ذلك للمحقق مجال بحث بطول والأحوط التورع والتحرز عن ذلك ، واما الأخ والصاحب فكل واحد منهما أخص من الآخر وأعم فإخ ليس بصاحب وصاحب ليس بإخ واذا قابلت بينهما فالأخ أعلى * واماني حق الصحابة رضى الله عنهم فانما اختير لفظ الصحبة لانها خصيصة لهم وأخوة الاسلام شاملة لهم ولغيرهم، وايضا

١ - البقرة ١٣٣

٢ - يوسف ١٠٠

٣ - الأحزاب ٤٠

فلفظ الصحابة يشعر بالأمرين اخوة الدين والصحبة لانه لا يطلق ذلك في العرف على الكافر وان صاحبه صلى الله عليه وسلم مدة والله أعلم *

﴿مسألة﴾ شخص قال من سب الصحابة رضى الله عنهم لا ينفرد له وان تاب واحتج بالحديث الذى روى «سب صحابتي ذنب لا يفر» وقال قال الشيخ عندي لا يتوب الله عليه فقيل له ان تاب تاب الله عليه فقال لا يتوب الله عليه فهل يتوب الله عليه ام لا؟ *

(اجاب) رضى الله عنه اخطأ هذا القائل - في قوله وفي احتجاجه - خطأ فاحشاً، أما خطؤه في قوله فانه نفي مغفرة الله تعالى لهذا المذنب من غير توبه ومع التوبة وهو مخطىء مبتدع فاحطاً وابتدع في الموضوعين، اما اذا الميئب فلأن السب ذنب دون الشرك وكل ذنب دون الشرك فيجوز أن يفر الله تعالى لفاعله وان لم يمتب إمامه سبحانه ابتداءً أو بشفاعة الشافعين او بأن يرزق حظاً من الحسنات التي يذهب السيئات شهيد بذلك دليل النصوص وغيرها ومن قال في شيء من الذنوب التي هي دون الشرك ان الله تعالى لا يفر لفاعله فقد تقول على الله بذلك وتعرض لعقابه واما اذا تاب فانه ليس شيء من الذنوب لا توبة منها، وليس هذا باعظم من الشرك ثم لا يقال الشرك لا توبة منه فان اسلام الكافر حاصله التوبة من الشرك واجمت الأمة على ان الله تعالى لم يجعل فيما خلق ذنباً لا توبة منه اصلاً ونصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك غير انه ينبغي ان يعلم ان التوبة من ذنب السب لا يكفي فيها توبة السباب فيما بينه وبين الله تعالى فان سب الصحابة رضى الله عنهم ظلم لهم والتوبة من مظالم المباد طريقها البراءة اليهم باحلامهم أو غيره وذلك متعذر فيمن مات ومع هذا فطريق الخلاص غير منسد على التواب من سب الصحابة من وجوه: احدها الاستغفار لهم والدعاء لهم بالرحمة والرضوان لاسيما في اعقاب الصلوات، الثاني أن يكثر من الأعمال الصالحة حتى يقع بعض حسناته عوضاً عن هذه المظلمة ويفضل له ما يسعد به ان شاء الله تعالى، الثالث أن يلجأ الى الله تعالى في أن يضمن عنه تبعاته ويرضى عنه من فضله من ظلمه بالسب وغيره فهو سبحانه وتعالى جدير باجابة دعائه وهذه الوجوه لها أصول مروية: منها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذنب لسانه على أهله فقال عاجلاً «أين انت عن الاستغفار»؟ أخرجه النسائي وغيره، وحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه المخرج في الصحيح في الشخص الذي قتل مائة نفس ثم تاب وعاجله الموت بين القريتين فليطلب هذا (م ٤ - فتاوى ابن الصلاح)

التائب نفساً فان الرحمة واسعة فقد جعل الاستغفار والتوبة في هذين الحديثين مخلصاً من مظالم العباد وهو خارج على أحد الوجوه المذكورة * وأما خطأ هذا الرجل في حجته ففي موضعين أيضاً أحدهما أن الحديث الذي ذكره من أحاديث العوام التي لأصل لها يعرف والثاني (أنه احتج بالشيخ عندي) وهذا من العجائب عند أهل المعرفة فانه لا يخفى على مسلم انه لا حجة في دين الله سبحانه وتعالى الا فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى معرفة ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم الا بنقل الثقات من أهل العلم والاخذ عنهم فمن لم يكن من أهل ذلك كان جاهلاً وان كان زاهداً فان الزهد لا يجعله نبياً يوحى اليه والقلوب لا يتعرف منها احكام الدين وشرائع الاسلام ومن انتسب الى العلم الذي يزعم انه يطلعه على الصواب ويمتنع من الخطأ سألناه عن شيء من احكام القرآن المعلومه والسنن الصحيحة واظهرنا بهذا اخلاقه فانه لو كان كما يزعم لم يجعل ذلك وان جهل ذلك فهو بغيره اجمل فليتق الله به هذا القائل ولا يقلد دينه من لا علم له ونستغفر الله مما جرى منه غفر الله له ولناو لجميع المسلمين *

* (مسألة) * رجل اغتاب رجلاً مسلماً وجاء اليه وقال له قد اغتبتك وقلت عنك كذا وكذا اجعلني في حل فاقبل بجمله في حل . هل هو مخطئ بكونه لم يجعله في حل؟ وهذا الذي اغتابه بقى عليه تبعه منه أم لا؟ *

* (اجاب) * رضى الله عنه ليس عليه ان يجعله في حل ولكن حرم نفسه فائدة العفو ومثوبة اسماف السائل والتبعة باقية على الغتاب وينبغي أن يكتر من ان يقول اللهم اغفر لي ولن اغتبتك ولن ظلمت وقد روي في حديث لا أعلم بقوى اسناده « كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبتك » وان لم يثبت فله اصل والله أعلم *

* (مسألة) * فن اغتاب هل الاستغفار كفارة الغيبة والحديث عنه صلى الله عليه وسلم (كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبتك) مع أن الحديث غير ثابت وان كان اسناده قوي فله اصل في الكتاب العزيز والحديث الصحيح؟ وهل يجوز اذا كانوا جماعة قد اجتمعوا على الخير وبينهم اخ من الاخوان وطريقته طريفة دبرها يجتمع ببعض الاخوان ويقول قد وجهني اليك يقول لك حدثني بما عندك ومراده بهذا ان يبصر ما عنده وما يكون ذلك وجهه الا كذب من عنده ويحیی الى المشايخ يمتحنهم ويدخل عليهم بالكذب ويقول أنت شيخى ويقول للاخر أنت شيخى ويخرج من عندهم ويقتابهم ويؤذيهم بلسانه فهل يجوز ان يحذر الناس والمشايخ والاخوان من هذا الرجل؟ *

* (اجاب) * رضى الله عنه الاستغفار لمن اغتتبه كفارة ذلك والحديث وان لم نعرف له اسنادا يثبت فعناه يثبت بالكتاب والسنة الممتدة أما الكتاب فقوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) وان كان هذا نزل في الصلوات فهو عام والعام لا يختص بالسبب وقد بين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما ذرى الله عنه «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وأما السنة منها هذا، ومنها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانه على أهله فقال له «اين أنت من الاستغفار»؟ وذرب اللسان على الغير اخوالفنية فان كلاهما أو كلاهما جنايات اللسان على الغير، وأما التحذير من الرجل الموصوف فحسن بشرط أن يكون المقصود نصيحة المخدور وما هو من الاغراض الدينية الصحيحة من غير ان يشوبه غير ذلك مثل أن يتصد التفكك بعرضه أو التشفي منه ونحو هذا والله أعلم *

* (مسألة) * هل يجوز للانسان ان يقرأ القرآن ويهديه لوالديه ولأقاربه خاصة ولأموات المسلمين عامة؟ وهل تجوز القراءة من البعد والقرب أم على القبر خاصة؟ وهل يجوز للشخص ان يسمع كلام المظلوم على الظالم وهو ان يقول لآخيه أو لصديقه ياخى ظلمنى وأخذ من عرضى وشتمنى ذلك الفاعل الصانع وتكلم في حقه بما لايجل فهل يجوز لى سماعه أم لا؟ *

* (اجاب) * رضى الله عنه اما هذا القرآن فيه خلاف بين الفقهاء والذي عليه عمل اكثر الناس تجوز ذلك وينبى أن يقول اذا اراد ذلك اللهم أوصل ثواب قراءته لفلان ولنى ير يد فيجمله دعاء ولا يختلف في ذلك القرب والبعد وأما سماع كلام المظلوم في ظلاله فهو فرع على كلام المظلوم فاجاز للمظلوم ان يقول فجاز لتسيره سماعه ومالا فلا يجوز الاصفاء اليه والنقل الذى هو جاز للمظلوم ما يدعو حاجته اليه على وجه الشكابة أو على وجه الايضاح لكونه قد ظلمه او على وجه آخر من الاحتجاج لنفسه عليه مثل قول أحد المتخاصمين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجمل اليمين على خصمه يا رسول الله انه فاجر لا يتورع عن شىء والله أعلم *

* (مسألة) * قول لا إله إلا الله في دفع الوسوسة نافعة هل على ذلك دليل؟ *

* (اجاب) * رضى الله عنه قول لا إله إلا الله له أثر بين في تنوير القلب ولذلك اختاره جماعة من المشايخ لاهل الخلوة وقد علم أن الشيطان الوسواس الخناس اذا ذكر الابد الله تعالى يخنس أى يتأخر ويمد ولا إله إلا الله في أول درجات الذكرفانه التوحيد الناصع

الباهر والله اعلم *

﴿مسألة﴾ في رجل يمدح فتفرح نفسه ويذم فتتألم نفسه ورجل اذا مدح بما فيه يكره ذلك فهل هذا الفرح مقبول من النفس في الشرع أو مذموم التقبل له؟ والذى يكره المدح في نفسه لا يجب ان يمدح فهل هذا موافق في الشرع؟ *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا كله يختلف باختلاف مستنده في السرور والكرامة فاذا سر بالمدح لمادل عليه من انعام الله تعالى عليه بالستر والقبول مع عدم الاعجاب وغيره من الأخلاق الذمومة فلا بأس وكذلك اذا تآذى بالذم كما يتأذى بذيره من انواع البلاء مع سلامته من السخط ونحوه فلا بأس به واذا كره المدح تخوفا من الفتنة والمعجب ونحو ذلك فلا بأس والله أعلم *

﴿مسألة﴾ في تحمل المن بأى شىء نزول مع كون الانسان فقيرا ماله شىء فاذا جاءه شىء من الناس كيف الطريق فيه ان يأخذه ولا يكون عليه منة من اعطاه؟ وعند موت المسلم الذى يرى به عند الموت واذا رآه عرفه في الدار الآخرة بتلك الرؤية الأولية او يطريق اخرى بين لنا هذا بدليل من الكتاب والسنة والاجماع وهل يجوز ان يعطى الله سبحانه لولى من اوليائه انه من اهل الجنة بالهام يلهمه الله سبحانه وتعالى اياه أو يخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو طريق آخر؟ بين لنا الطريق ووضح دلالة لاشك فيها ولا ريب، والالهام الذى هو من الله تعالى عرفنا ماهيته في الانسان كيف هو؟ حتى يعرف *

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه يتفقد حال المعطى فاذا وجده معطيا لله تعالى فاخذه من الله تعالى لامنه وعده مجرد سبب وحقق النظر الى المسبب ذهبت المنه وطاحت ان شاء الله تعالى، واما رؤية المؤمن ربه تعالى بعد موته فخالف لرؤيته له تبارك وتعالى في الآخرة فان تلك رؤية البصر من العين الجسدانية بخلاف هذه التى هي ادراك من الروح فحسب والدم عند الله تعالى، ويجوز أن يعرف المؤمن كونه من اهل الجنة بخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم كما في النفر الذى شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وهم المشرة . واهل بدر وعائشة ، وثابت بن قيس بن شماس ، وخديجة في سادة آخرين ، وأما تفسير ذلك فكلا وانما يرجو رجاء مرحوم تخوف ، وقد اختلفوا في أن الولي هل يجوز أن يعرف كونه وليا ففهم من قال يجوز ذلك لكن قال ليس من شرط الولاية سلامة العافية فاذا لم يلزم على هذا من معرفته لكونه وليا معرفته لكونه من اهل الجنة، وأما الهام فهو حق خاطر من الحق

سبحانه وتعالى فن علاماته ان ينشرح له الصدر ولا يمارضه معارض من خاطر آخر والله أعلم *
 * (مسألة) * كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره وكان السائل عن هذا منكم ماسمع
 من ذلك وكان يجالس شيخا من المفتين فخرى ذلك في مجلسه فابتدأ الشيخ يقول قال كالمستحسن
 لكلام الصوفية، وقال أيضا لم لا يريدون تفسير القرآن وانما هي معاني يجدونها عند التلاوة،
 وقال أيضا يقولون (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) قالوا هي النفس *
 وكان الشيخ المفتي يشرح ذلك ويقول أمرنا بتل من يلينا لانهم أقرب إلينا واقرب شر إلى
 الانسان نفسه، وقال الشيخ أيضا يقولون اننا أرسلنا نوحا إلى قومه يتهولون نوح العقل والغرض
 أنهم يلقي الله عندهم من كلامه ما ينتفعون به هذا قد صدر عن اكابرهم الجهم الغفير واتم بذلك
 اعلم والسائل هكذا ليس مجاهر وليس عزمه الاعتضاد بما يسمع من الشيخ تقى الدين ايده
 الله تعالى واحدا لا يجمل ان قوله سبحانه وتعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ليس المراد
 به النفس وأن المراد ظاهر ومن قال غير ذلك فهو مخطئ *

* (أجاب) * رضى الله عنه وحدث عن الامام أبي الحسين الواحدى المفسر رحمه الله
 تعالى أنه قال صنف ابو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قدا اعتقد ان ذلك تفسير فقد
 كفر، وأما أقوال الظن عن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك انه لم يذكره تفسير او لا
 ذهب به مذهب الشرح للكاهة المذكورة من القرآن العظيم فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا
 مسالك الباطنية وانما ذلك ذكر منهم لتظير ما ورد به القرآن فان التظير يذكر بالتظير فن ذلك
 قال النفس في الآية المذكورة فكانه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع
 ذلك فيا ليبتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الايهام والالتباس والله أعلم *

* (مسألة) * رجل طلب العلم وهاجر اليه من وطنه فسمع داءا إلى الزهد في الدنيا وله
 نفس جموح وخوف أن لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الامارة بالسوء فالحيلة في نجاته؟ وبم
 يكون العلاج للنفس الجموح؟ وماذا يقرب من الله الزهد والعلم والسياسة او العزلة؟ *

* (أجاب) * رضى الله عنه سبيله والله الموفق الهادى ان يزهد في الدنيا ولكن زهد
 الراشدين العالمين لازهد الجاهلين فيطلب العلم مخلصا لله تعالى متقربا به اليه ولا يترك السبب
 الذى يقنيه عن الحاجة الى الناس ولا يمتثل الناس بل يقيم بينهم صابرا عليهم مصححا آيتيه
 فى ذلك فان هذه طريقة الأنبياء والخلفاء وأئمة المتقين ويجاهد نفسه بالعلم وآدابها وتسدده
 وتقويمه وليس الطريق الى السلامة من الآفات الهرب من الناس ولا متابسة القوم الذين

تظاهر وا بالفقر والزهد، وغير ملتفتين الى الشر بمة المطهرة وآدابها بل مرضين عن ذلك وعمّا شرّ حناه، معتمدين على خواطرهم، متمسكين برسوم لا أصل لها في الشر بمة معترضين بأحوال لم يأت بها كتاب ولا سنة، زاعمين أنهم مع الحقيقة وليس عليهم الوقوف مع الشر بمة فان هذا سبيل المرورين المفتونين وطريق المضلين الدجالين والسالك لمسلكهم قارع لباب الاحاد وهو والجفية عن قريب شهد بما ذكرته اعلام العلوم والمعارف وبراينها والله أعلم*

﴿مسألة﴾ رجل قال ان الله لا يسمع دعاء ملحونا قيل وما الدعاء الملحون؟ قال ان يدعو الانسان بالجزم ويقول بالرفع قال له الآخر بل هو ان يقول يارب قصر عمر فلان او قصر رزق فلان او خذ من جملة الدعاء الملحون*.

﴿اجاب﴾ رضى الله عنه ليس ما ذكره الثاني من الدعاء الملحون نعم هو من الاعتداء في الدعاء الذي ورد النهي عنه اذا كان قصده بالدعاء على فلان غير صحيح فان كان صحيحاً بان كان في قصر عمره صلاح للمسلمين لظلمه أو نحو ذلك فليس اعتداء ثم ان الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غير الملحون لا يقدر في الدعاء و يندرفيه والله اعلم*.

﴿مسألة﴾ قراءة القرآن بمد صلاة الصبح أفضل أو بمد صلاة المغرب أى الوقتين أفضل؟*
 ﴿اجاب﴾ رضى الله عنه في كل واحد من الوقتين فضل وفي ادراك الأفضل عسر و يظهر أنه بمد صلاة الصبح أفضل لما يرجح ان ياحقه بركاً عاصمه له في نهاره الذي هو مظنة تصرفاته وتقليباته والله أعلم*.

﴿مسألة﴾ رجل له والد والوالد غير مفتقر اليه في القيام باموره من انفاق عليه أو مباشرة لخدمة بل لا يمكن ولده من ذلك فأحب الولد الا تقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته في قرية لعله ان مقامه في البلدة لا يسلم فيه من المأثم لمخالطة الناس الابعثاق يضعف عزمه عن تجشها ووالده يكره مفارقتة و يتألم لها مع ان له اولاداً يأنس بهم غير هذا الولد فهل يحل له مخالفة الوالد والانتقال الى القرية بنية طلب سلامة دينه والتفرغ للعبادة أم لا يحل له مخالفته في ذلك؟ وسيتبع هذه المسألة ثلاث مسائل* احداها لو كان دينه في المقام سالماً لكنه في الانتقال أكثر توفر على العبادة هل الأولى المقام أو الانتقال مع مخالفة الوالد؟*

﴿المسألة﴾ الثانية لو كان الانتقال لطلب الراحة والتزهد هل له مخالفته في ذلك أم لا هذا كله مع تهتده لوالديه بالزيارة في المسائل المذكورة كلها والسؤال في ذلك عن تعريف الباح والاولى مفصلاً*.

﴿المسألة الثالثة تعرف العقوق ما هو؟﴾

(أجاب) رضى الله عنه لا يحل له ذلك ومخالفة الوالدين ذلك مع تأله لها محرمة وعليه الطوعية له في الاقامة والحالة هذه ثم ليجاهد نفسه في التصوف بما يحرم دينه بسبب مخالطة الناس فلا يخالط من جانب الطريق المحمودة ولا يجالس من شأنه الفرية وايكن مع الناس بين المتقبض والمنبسط بلغنا عن الامام الشافعي رضى الله عنه انه قال الاتقياض عن الناس مكسبة للمداوة والانبساط مجلبة لقرناء السوء فكن بين المتقبض والمنبسط وليصح نيته في مواتاة والده وطاعته فانها من أسباب السعادة في الدارين وثبت في الحديث الصحيح أن بر الوالدين يقدم على الجهاد فكيف لا يقدم على ما ذكرناه هذامع أن ما يرجوه في القرية يناله في البلدة بحضرة والده ان استمسك وانما هذا خاطر فاسد من عمل الشيطان وتسويله، وقد جاء ان أوسا القرني فوت صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والمسير اليه من اليمن بسبب براه بامه وحمد على ذلك، وفي هذا جواب المسألة الثانية وايضاح لكون المقام اولى وكذلك المسألة الثالثة فلا تحل مخالفته مع تأله بها بسبب التنزه أصلا* وأمان العقوق ما هو فانا قائلون فيه ان العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالدان او نحوه تأذيا ليس بالهين مع كونه مالىس بمحصية ومخالفته أمرها في كل ذلك عقوق وقد أوجب كثير من العلماء طاعتها في الشبهات وليس قول من قال من علمائنا يجوز له السفر في طلب العلم وفي التجارة بغير اذنها مخالف لما ذكرته فان هذا كلام مطلق وفيما ذكرته بيان لتقييد ذلك المطلق

﴿مسألة﴾ رجل تصدق بصدقة التطوع على صلحاء علماء الأمة وسبق الى الآخذ الأخذ من الله تعالى لامن معطى الصدقة فايها أفضل يد المعطى ام الآخذ؟*
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه المعطى عطاء يمد من الله تعالى خير من الآخذ اخذاً يمد من الله وان غفل عن السبب ولحظ السبب في الجائين دون الآخر فالأفضل هو الذى وجد فيه ذلك والله أعلم *

﴿القسم الثالث فيما يتعلق بالعقائد والاصول﴾

فمن ذلك *

﴿مسألة﴾ امام الحرمين والامام الغزالي والامام أبو اسحق رضى الله عنهم هل بلغ أحد من هؤلاء الأئمة المذكورين درجة الاجتهاد في المذهب على الاطلاق أم لا؟ وما حقيقة الاجتهاد على المذهب؟ وهل بلغ أحد منهم درجة الاجتهاد على الاطلاق؟*

﴿ اجاب ﴾ رضي الله عنه لم يكن لهم الاجتهاد المطلق وبلغوا الاجتهاد المقيد في مذهب الشافعي رضي الله عنه ودرجة الاجتهاد المطلق تحصل بتمكنه من تعرف الاحكام الشرعية من ادلتها استدلالا من غير تقليد والاجتهاد المقيد درجة تحصل بالتبحر في مذهب امام من الائمة بحيث يتمكن من الحاق ما لا ينص عليه ذلك الامام بما نص عليه متبرا قواعد مذهبه واصوله *

﴿ مسألة ﴾ كتاب من كتب اصول الفقه ليس فيه شيء من علم الكلام ولا منطق ولا ما يتعلق بنبر اصول الفقه فهل يحرم الاشتغال فيه او يكره وهل يسوغ انكار الاشتغال به وحالته ماذا كرسوى ذلك؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضي الله عنه لا يحرم ولا يكره اذ لم يكن فيه مع ذلك تقرير بدعة او امالة الى فلسفة بان يكون مصنفه من أهلها وكلامه في كتابه في اصول الفقه يؤثر بحسن كلامه حتى في الفلسفة كما وقع في كلام هذا التابع في عصرنا او نحو هذا وشبهه فاذا سلم عن كل ذلك فلا اشتغال به يكون مع صحة العقيدة وكيف لا وهو باب التحقيق في الفقه وعماده والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ ما الفرق بين القياس والاستدلال فانه يتفرع على ما يتفرع عليه القياس فان كان مدلول الاسمين واحدا فواجه تنويع الاسمين؟ وان كان اثنين فخال كل واحد من القياس والاستدلال بمحصره *

﴿ اجاب ﴾ رضي الله عنه الفرق بين القياس والاستدلال أن القياس يشتمل على اصول وفروع يجمع بينهما بجامع والاستدلال ليس كذلك من اللازم الذي هو مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والله أعلم *

﴿ مسألة ﴾ هل كان داود الظاهري صاحب المذهب رضي الله عنه ممن يمتدبه في انقراض الاجماع في زمانه ام لا؟ وهل كان بحيث اذا حدثت حادثة في زمانه تخالف فيها وحده بمدخارها للاجماع وكذلك من لم يرتقض الوضوء بالنوم الا اذا اخبر بخروج الحدث كسعيد بن المسيب وابي موسى الأشعري وهل ينقض الاجماع بدونهم أم لا؟ *

﴿ اجاب ﴾ رضي الله عنه اما الاعتداد بدادورحه الله في الاجماع وفاقا وخلافا مما وقع فيه الاختلاف بين الفقهاء والاصوليين منا ومن غيرنا فذكر الاستاذ الامام ابواسحق الاسفرايني رحمه الله ان أهل الحق اختلفوا فذهب الجمهور منهم الى أن قاعة القياس لا يلغون منزلة الاجتهاد ولا يجوز توليهم القضاء وهذا ينفي الاعتداد بدادود في الاجماع ونقل

صاحبه الاستاذ ابو منصور البغدادي عن ابن علي بن ابي هريرة وطائفة من متأخري الشافعيين انه لا اعتبار بخلافه وسائر نقاة القياس في فروع الفقه لكن يعتبر خلافهم في الأصوليات، وقال الامام ابو المالئ ابن الجويني ما ذهب اليه ذوو التحقيق انالانعد منكرى القياس من علماء الأمة وجملة الشريعة فانهم اولامباهتون على عبادتهم فيما ثبت استفاضة وتواترا، وايضا فان معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لاتبى بالمشر من معشار الشريعة فهو لا يلتحقون بالعموم وكيف يدعون مجتهدين ولا اجتهاد عندهم؟ وهذا منه نوع افراط، وكان أبو بكر الرازي من أئمة المحققين يذهب في داود وأضرابه الى نحو هذا المذهب وبنلوفذ كرداود في مقدمة كتابه في احكام القرآن ومال عليه وقال فيما قال لوتكلم داود في مسألة حادثة في عصره وخالف فيها بمض اهل زمانه لم يكن خلافا عليهم قال وكان ينسئ حجج المقول ومشهور انه كان يقول بل على المقول: وقال بعد كلام كثير لاجل ذلك لم يعد خلافة احد من الفقهاء ولم يذ كروه في كتبهم فقد انقعد الاجماع على اطراحه وترك الاعتداده هكذا رأى الرازي فيه وهو كما ترى لا يخلو عن نوع من الحيف الذي قد كان منه وكان شديد الميل والمصيبة على من خالفه من حيث انه وصف داود في هذا الموضوع من كبائر مما ياباه عنه الثابت المعروف من زهده وتحريره والذي اختاره الاستاذ ابو منصور في هذا وذ كر أنه الصحيح من المذهب انه يعتبر خلافة في الفقه الذي استقر عليه الامر آخرها فيما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة التأخرين من الذين اوردوا مذاهب داود في اثبات مصنفاتهم المشهورة في الفروع كالشيخ أبي حامد الاسفراينى وصاحبه الحامل وغيرهم فانهم قالوا لولا اعتدادهم بخلافه لما اوردوا مذاهبه في امثال مصنفاتهم هذه لنافة موضوعها لذلك، وبهذا أوجب مستخيرا لله تعالى مستعينا بما بناه داود من مذاهبه على أصله في نقي القياس الجلى ومما اجمع عليه القياسيون من انواعه أو على غيره من أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها فانفاق من عداه في مثله على خلافه اجماع منقعد، وقوله في مثله معدود خارقا للاجماع وكذلك قوله في التلوط في الماء الراكد وتلك المسائل التسمية فيه فخلافه في هذا وامثاله غير معتد به لكونه مبنا على ما قطع يطلانه والاجتهاد الواقع على خلاف الدليل القاطع كاجتهاد من ليس من أهل الاجتهاد في انزالها بمنزلة ما لا يعتد به وينقض الحكم به وهذا الذي اخترته (٥٢ - فتاوى ابن الصلاح)

يثبت بدليل القول بحجرير تجزء منصب الاجتهاد وقد تقرر جواز ذلك فان العالم قد يكون مجتهدا في نوع دون غيره والعلم عند الله تعالى :ثم لافرق فيما ذكرناه بين زمانه وما بعده فان المذاهب لا تموت بموت اصحابها، فاما من لم يرتض وضوء النائم الا اذا اخبر بخروج حدث كما في موسى الاشعري وسعيد بن المسيب رضى الله عنهما ان كان سعيد قال كذلك فانه غير معروف عنه فالاجماع لا ينعقد مع خلافا فان ابا موسى احد فقهاء الصحابة من المتقين في عصرهم وكان سعيد صدرا في العلم والفتيا وغيرهما في ذلك الصدر ويرجع على اجلاء التابعين وكان السؤال عن انعقاد الاجماع في هذه المسألة خاصة على خلاف هذا القول فعدم انعقاده فيها في ذلك العصر لازم من هذا واما فيما بعده فقد اجمع على خلافه فمن قال ان الاجماع بعد عصر المختلفين على احد قولهم اجماع صحيح رافع للخلاف فقد تحقق عنده انعقاد الاجماع في المسألة على خلاف ذلك القول ومن قال انه لا يرفع الخلاف فلا اجماع في هذه المسألة مطلقا وهذا هو المذهب الصحيح في ذلك والله اعلم *

(مسألة) جماعة من المسلمين المنتسبين الى اهل العلم والتصوف هل يجوز لهم ان يشتغلوا بتصنيف ابن سينا وان يطالعوا في كتبه، وهل يجوز لهم ان يقتدوا أنه كان من العلماء أم لا؟ *

(أجاب) رضى الله عنه لا يجوز لهم ذلك ومن فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض للفتنة العظمى ولم يكن من العلماء بل كان شيطانا من شياطين الانس وكان حيران في كثير من امره ينشد كثيرا *

ان كنت ادرى فعلى بدنه من كثرة التخطيط انى من أنه

(مسألة) فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعلموا وتلميها وهل المنطق جملة وتفصيلا مما اباح الشارع تعلمه وتعليمه والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون والسلف الصالحون ذكروا ذلك أو اباحوا الاشتغال به أو سوغوا الاشتغال به أم لا؟ وهل يجوز ان تستعمل في اثبات الأحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية أم لا؟ وهل الاحكام الشرعية مفتقرة الى ذلك في اثباتها أم لا؟ وما الواجب على من تلبس بتعليمه وتعلمه متظاهرا به؟ ما الذى يجب على سلطان الوقت في أمره واذا وجد في بعض البلاد شخص من أهل الفلسفة معروفا بتعليمها واقراءها والتصنيف فيها وهو مدرس في مدرسة من مدارس العلم فهل يجب على سلطان تلك البلدة عزله وكفاية الناس شره؟ *

* (أجاب) * رضی الله عنه الفلاسفة أس السفه والانحلال. ومادة الحيرة والضلال. ومثار الزيف والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة، المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تلباسا وتعلما قارنه الخذلان والحرامان، واستحوذ عليه الشيطان، وأى فن أخزى من فن يعنى صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلا غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستتيرة حتى لقد اتدب بمض الملاء لاستقصائها فجمع منها ألف معجزة وعددناه مقصرا اذ فوق ذلك باضفاف لا تحصى فانها ليست محصورة على ما وجدناها في عصره صلى الله عليه وسلم بل تتجدد بعده صلى الله عليه وسلم على تماقب المصور وذلك ان كرامات الأولياء من امته واجابات المتوسلين به في حوائجهم واناثهم عقيب توسلهم به في شدائهم براهين له قواطع ومعجزات له سواطع ولا يدها عاد ولا يحصرها حد اعادنا الله من الزيف عن ملته، وجعلنا من المهتدين المهادين بهديه وستته * وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما اباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به من اعلام الامة وساداتها وان كان الامة وقادتها قد برأ الله الجميع من معرفة ذلك وادناسه فطهرهم من اوصابه، واما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة والرقعات المستحذثة وليس بالأحكام الشرعية والحمد لله افتقار الى المنطق اصلا وما يزعمه المنطق للمنطق من أمرا الحد والبرهان فمما قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسبابا من خدم نظريات العلوم الشرعية ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطلق ولا فلسفة ولا فلاسفة ومن زعم انه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به فالواجب على السلطان ان يدفع عن المسلمين شر هؤلاء الدياشيم ويخرجهم عن المدارس ويعدم ويماقب على الاشتغال بفنهم ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الاسلام لتخمد نارهم وتمحى آثارها وآثارهم يسر الله ذلك وعجله ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أهل الفلسفة والتصنيف فيها والاقراء لها ثم سجنه والزامه منزله وان زعم انه غير متقدم لمئاتهم فان حاله يكذبه والطريق في قلع الشر قلع اصوله واتصاب مثله مدرس من المعانم حملة، والله تعالى ولي التوفيق والمعصية وهو أعلم *

﴿ مسألة ﴾ قول بعض المصنفين مستدلاً على اثبات القياس بخوض الصحابة رضی الله عنهم في حوادث جمة واختلافهم فيها وذكر من جملتها مسألة الجد والاختوة قائلاً انهم قضوا فيها بقضايا مختلفة وصرحوا فيها بالشبه بالحوصين والخليجين ما وجه الشبه وما ضبط اللفظين الشبه بها وقول بعضهم بلغ الاعلى مراتب الاعيان فليبلغ المسلم فيه أعلى مراتب الديون ما المراتب المشار اليها في اصل القياس وفرعه؟*

﴿ اجاب ﴾ رضی الله عنه اما الشبه بالخليجين فن عن رضی الله عنه انه أتى رد القول من اسقط الأخ بالجد فشبه ذلك بواد سال عمائه فان شعبة فيه شعبة ثم انشعبت الشعبة شمبتين فلو سدت احدي هاتين الشمبتين لرجع ماؤها على الشعبة الباقية من الشمبتين وعلى الشعبة التي هي أصلها فلذلك اذا مات احد الأخوين اخذ ميراثه اخوه الباقي والجد الذي هو اصلهما جميعاً، وشبه ذلك زيد بن ثابت رضی الله عنه بشجرة خرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصنان ولو قطع احد الغصنين لرجع ماؤه على الغصن الباقي من الغصنين وعلى الغصن الذي هو أصلهما لتلك من خلفه البيت من اخوته مع الجد الذي هو أصلهم فأما ما ذكر من التشبه بالحوصين فوجود في المستصفي في أصول الفقه وذلك لا يعرف ولا أراه إلا تصحيحاً من الخوطين، والخوط بضم الخاء المنقوطة والطاء المهملة وهو الغصن الناعم فاعلم ذلك والله أعلم، وأما قول القائل بلغ رأس المال الى آخره فهذا دليل يذكر من المنع من السلم الحال وأعلى مراتب الاعيان أن ينضم الى العينية القبض في مجالس المقدم، وأعلى مراتب الديون أن ينضم الى الدينية وصف الأجل ثم انه لا يتوقف صحة العبارة على تبيين الزيادة على مرتبتين فلسنا تكافئه والله أعلم*

﴿ مسألة ﴾ قال بعضهم عن الامام مالك رضی الله عنه انه جمع بين السنة والحديث ﴿ اجاب ﴾ رضی الله عنه السنة هنا ضد البدعة وقد يكون الانسان من أهل الحديث وهو مبتدع ومالك رضی الله عنه جمع بين السنتين فكان عالماً بالسنة أى الحديث ومعتقد السنة أى كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة والله أعلم*

﴿ مسألة ﴾ في لفظ الاسلام هل هو مخصوص بهذه الأمة أم يطلق على كل من آمن بنبيه من أمة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى نبينا وتسليمه؟ فاذا جاز إطلاقه على كل من آمن بنبيه من سائر الأمم فهل إطلاقه عليه شرعي أم لغوي؟ من حيث

أنه متقاد مطيع فاذا جاز إطلاقه على كل من آمن بنبيه في زمن نبيه شرعاً فما فائدة قوله عز وجل (ورضيت لكم الاسلام ديناً) إذ كل منهم يسمى مسلماً وهل قول القائل في زمن موسى صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله موسى رسول الله ؟ كقول أحد هذه الأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان ويكون لفظه شاملاً لها ويسمى كل منهما مسلماً *

﴿ أجب رضى الله عنه ﴾ بل يطلق على الجميع وهو اسم لكل دين حق لفة وشرعاً فقد ورد ذلك بألفاظ راجعة الى هذا في كتاب الله تعالى ، منها (ورضيت لكم الاسلام ديناً) لا يبنى أن يرضاه لغيرهم ديناً، وقول القائل في زمن موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لا إله إلا الله موسى رسول الله إسلام كئله الآن والله أعلم *
﴿ مسألة ﴾ فيمن يمتد أن في ملك الله تعالى ما لا يرضاه ولا يريد به فهل هو مخطئ أو مصيب في هذا القول والاعتقاد أم لا *

﴿ أجب رضى الله عنه ﴾ أصاب في قوله يوجد ما لا يرضاه تبارك وتعالى مثل الكفر قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وضل وابتدع في قوله انه يوجد ما لا يريد به بل ذلك محال ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قد فرق بين الرضا والارادة ، ثم مالكم وللخوض في هذا البحر المفرق عليكم بالدمل ففيه شغل شاغل والله أعلم *
﴿ مسألة ﴾ طائفة يمتقدون ان الحروف التي في المصحف قديمة والصوت الذى يظهر من الأدمى حالة القراءة قديم كيف يحل هذا ومذهب السلف بخلاف هذا ؟ ومذهب أر باب التأويل بخلاف هذا، والمراد أن يفرق الانسان بين الصفة القديمة والصفة المحدثة حتى لا يتطرق الى النفس والعقل بسببه أن يفضى إلى الضلال أعاذنا الله من ذلك يبنوا لنا هذا بالدليل العقلي والدليل الشرعى *

﴿ أجب ﴾ رضى الله عنه الذى يدين من يقتدى به من السالفين والخالفين واختاره عباد الله الصالحون ان لا يخاض في صفات الله تعالى بالتكليف ومن ذلك القرآن العزيز فلا يقال: تكلم بكذا وكذا بل يقتصر فيه على ما انتصر فيه السلف رضى الله عنهم القرآن كلام الله غير مخلوق ويقولون في كل ما جاء به من التشابهات : آمنا به مقتصرين على الايمان جملة من غير تفصيل وتكليف ويمتقدون على الجملة ان الله

سبحانه وتعالى له في كل ذلك ما هو الكمال المطلق من كل وجه وبمضون عن الخوض خوفا من أن تزل قدم بمد ثوبتها فيهم فاقصدوا تسلموا، وإلى هذا الطريق رجع كثير من كتاب المتكلمين المصنفين بمدان امتعضوا بما نالهم من آفات الخوض فيها ورد عليك شيء من هذه المسائل فاعتقد فيها لله تعالى ما هو الكمال المطلق والتزبه المطلق ولا تخض فيما وراءه بحرى الايمان المرسل والتصديق الجميل والله اعلم *

* (مسألة) * رجل يعتقدان يزيد بن معاوية رضي الله عنه امر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما واختار ذلك ورضيه طوعا منه لا كرها ويورد في ذلك احاديث مروية عن قتله ذلك الامر وهو مصر عليه ويسبه ويلعنه على ذلك والمسؤل خطوط السادة العلماء ليكون رادعاه او حجة له *

* (اجاب) * رضي الله عنه لم يصح عندنا انه امر بقتله رضي الله عنه والمحفوظ ان الامر بقتاله المفضى الى قتله كرمه الله انما هو عبيد بن زياد وإلى العراق اذ ذاك من شأن المؤمنين وان صح انه قتله أو امر بقتله وقد ورد في الحديث المحفوظ ان لمن السلم كقتله وقتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وانما ارتكب عظيما وانما يكفر بالقتل من قتل نبيا من الانبياء والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تجبه وتتولاه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به سائر ملوك الاسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وشبههم، وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة جعلنا الله من خيار أهلها آمين *

* (مسألة) * المبتدع، والفاسق، والغضب، والنل بين لنا هذا المجموع ؟ *

* (اجاب) * رضي الله عنه كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدع والمراد الذي تخرجه بدعته عن الاسلام وهذا لان البدعة فساد في العمل مع سلامة العقيدة والغضب مفارق للنل وما يفترقان فيه أن قد يكون يؤمر به كالغضب على العاصي لله تعالى من أجله والنل لا يؤمر به وأيضا فالنل فساد في القلب يتعلق بالغير مثل الحقد والحسد والبغض وإن لم يكن من ذلك الغير سبب عامل به صاحب النل أثاره عليه وأما الغضب فمن شرطه أن يكون من المفضوب عليه جنابة يمدها الذي غضب جنابة موجبة لغضبه والله اعلم *

* تمت مجموعة فتاوى العلامة ابن الصلاح والحمد لله ويتلوها فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني *

الجواب الكافي عن السؤال الخافي . تأليف الشيخ الامام
العالم العلامة شيخ الاسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر
العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ رحمه الله تعالى والمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما يقول) سيدنا
ومولانا قاضي القضاة نفع الله المسلمين ببركة علومه في الميت اذا اُخد في قبره وغاب عن
البصر وجاءه منكر ونكير (هل) يقدمو يسأل او يسأل وهو راقد؟ (وهل) تلبس الروح
الجنة كما كانت الحياة ام لا؟ وكيف الحال؟ وبعد السؤال اين تقيم الروح؟ (وهل) تقيم على القبر
ابداً ام احياناً تصمد وتأتي؟ (وهل) اذا أهيل عليه التراب ولقن من فوق القبر هل
يسمع كلام من يلقنه وبينه وبين الميت مسافة بعيدة (وهل) يعلم الميت من يزوره
ويفرح بذلك؟ (وهل) اذا جاءه منكر ونكير ماذا يقولان له؟ (وهل) يكشف له في الحال
حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له مات قول في هذا الرجل؟ (وهل) عذاب
القبر على الروح ام على الجنة ام عليهما؟ (واذا) ثبت اقامة الروح على القبر اين تكون
على اللحد ام على قافية القبر؟ (وهل) يفرس الريحان والجريد على متن القبر ام على قافية
اللحد ام كيف الحال؟ (واذا) قرأ رجل غريب واهدى تلك القراءة للميت هل يصل من
تلك القراءة للميت شيء؟ (وهل) للانسان تصرف في الاعمال كما نقله ابن عبد السلام
ام كيف الحال؟ (واذا) نقل الميت من مكان الى مكان هل تنتقل روحه الى القبر الثاني
ام لا؟ (وهل) اذا دفنت الرقبة في مكان والجنة في مكان اين تكون الروح في المكانين؟
(وهل) للانسان اذا احتضر هل الافضل كثرة الدعاء ام عدمها؟ (وهل) تارك الصلاة
ومانع الزكاة وتارك صوم رمضان هل يحبس على جسر من جسور جهنم حتى يؤديها؟

(وهل) في القيامة هل ام كيف الحال؟ (وما تقول) في رجل مؤدب اطفال في فؤاده مرض لا يستطيع أن يقيم بلا حدث اكثر من اداء الفريضة ثم يحدث ولو توطأ كلما أحدث لاستغرق اليوم كله فهل يرخس له أن يمس المصحف لاجل الضرورة ام لا؟ (وهل) الملائكة الكرام الكاتبون يجلسان على قبر الميت ويستغفران له كما رواه الترمذي؟ (وهل) هما الملكان اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه سائق وشهيد ام غيرهما؟ (وهل) يكون يوم الحشر على كل قدم سبعون الف قدم (١)؟ (وهل) تدنو الشمس من رؤس الخلائق كما قيل؟ (وهل) هذه الأجساد اذ ابلت وفنيت واراد الله تعالى اعادتها هل يبيدها كما كانت أو انه يخلق للناس اجساداً أخر غير الأجساد الأولى؟ (وهل) تكون العيان في الرأس ام في الوجه؟ (وهل) يكون الخلق كلهم طولا واحدا ام مختلفين كما نحن الآن الوانا ام كيف الحال؟ (وهل) تحشر الناس في القيامة بشعور أم بغير شعور؟ (وهل) يعرف الناس بعضهم بعضا أم لا؟ (وهل) يميت الله المصاة من هذه الامة إمامة صغرى أم كيف الحال؟ وما حكم الله في ذلك؟ افتونا ماجورين أنا بكم الله الجنة بمنه وكرمه*

قال الشيخ تصفحت الاسئلة والجواب عليها وبالله التوفيق

(اما السؤال الاول) وهو هل يقعدان الميت أم يسألانه وهو راقد (فالجواب) انها يسألانه وهو قاعد كما جاء في حديث البراء المشهور وصححه ابو عوانة واخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (واما السؤال الثاني) وهو هل تلبس الروح الجنة كما كانت اولا (فالجواب) نعم لكن ظاهر الحديث انها تحمل في نصفه الأعلى (واما السؤال الثالث) وهو اين تقيم روحه بعد السؤال (فالجواب) ان ارواح المؤمنين في عليين و ارواح الكفار في سجين ولكل روح اتصال وهو اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا بل أشبه شيء به حال النائم انفصالا وشبهه بعضهم بالشمس أي بشعاع الشمس وهذا مجمع ما افترق من الاخبار ان محل الأرواح في عليين وفي سجين ومن كون أفتية الأرواح عند أفتية قبورهم كما نقله ابن عبد البر عن الجمهور (وأما الرابع) هو هل يسمع الميت التلقين (فالجواب) نعم لوجود الاتصال الذي أشرنا اليه ولا يقاس ذلك على حال الحي اذا

(١) لم يجاب عن هذا السؤال المصنف رحمه الله*

كان في قبر بئر ردم فانه لا يسمع من هو على البئر (واما الخامس) وهو هل يعلم الميت من زوره (فالجواب) نعم اذ قد يعلم اذا اراد الله تعالى ذلك فان الارواح مأذون لها في التصريف فتأوى الى عملها في عليين أو سجين كما جاء في الحديث الصحيح «ان ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة» وهو في الصحيح، وجاء عن أحمد بن حنبل مثل ذلك في ارواح المؤمنين، وفي رواية في الصحيح «تأوى إلى قناديل تحت العرش» وكل ذلك لا يمنع الاتصال الذي تقدم ذكره ومن يستبعد ذلك فسيه قياسه على الشاهد من أحوال الدنيا، وأحوال البرزخ بخلاف ذلك (وأما السادس) وهو هل المذاب على الروح أو الجسد (فالجواب) أنه عليهما لكن حقيقته على الروح ويتألم الجسد مع ذلك ويتم مع ذلك لكن لا يظهر أثر ذلك لمن يشاهده من أهل الدنيا حتى لو نبش على الميت لوجد كهيته يوم وضع (وأما السابع) وهو ما يقول منكر ونكير (فالجواب) أنه مصرح به في حديث البراء الطويل عن أحمد بن حنبل في مسنده، وفي حديث أبي هريرة عند ابن حبان (وأما الثامن) وهو هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم الخ (فالجواب) أن هذا لم يرد في خبر صحيح وإنما ادعاه من لا يحتاج به بنير مستند إلا من جهة قوله في هذا الرجل وان الإشارة بلفظة هذا تكون للحاضر وهذا لا معنى له لانه حاضر في الذهن (وأما السؤال التاسع) وهو أين مقر الروح فقد تقدم ذكره، والحاصل أن لها اتصالاً معنواً تتألم بتأله وتتمم بتنممه كما قررناه أولاً (وأما الماشر) وهو موضع غرس الجريد والريمان (فالجواب) أنه ورد في الحديث الصحيح مطلقاً فيحصل المقصود بأي موضع غرس في القبر (وأما الحادى عشر) وهو هل يصل ثواب القراءة للميت في مسألة مشهورة وقد كتبت فيها كرامة، والحاصل أن أكثر المتقدمين من العلماء على الوصول وان المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والاكتفاء منه (وأما الثاني عشر) وهو هل للانسان تصرف في الأعمال كما قاله ابن عبد البر (فجوابه) يعرف من الذي قبله (وأما الثالث عشر) وهو نقل الميت (فالجواب) نعم قد قدمنا أن الروح وان لم تكن داخله في جسد الميت لكن لها منه اتصال فالى أى موضع نقل فنلك الاتصال مستمر (وأما الرابع عشر) وهو اذا فرق بين الجسد والرقبة (فالجواب) ان الروح متصلة بكل

(٦٢ - فتاوى ابن حجر)

منهما ولو فرق بعدد أعضاء الميت فالجواب كذلك (وأما الخامس عشر) وهو هل يشرع في علاج المحتضر (فالجواب) انه اذا انتهى الى حركة المذبوح فترك العلاج أفضل وإلا فالعلاج مشروع و ربك على كل شيء قدير (وأما السادس عشر) وهو حال من أخل بشيء من العبادات هل يقضيها يوم القيامة (فالجواب) أنه لا قضاء هناك بالمقل وإما قضاؤه أن يؤخذ من نوافل ذلك العمل فيكمل به ما وقع الخلل من فرائضه فان لم يكن له نوافل فمن حسناته من جنس آخر فان لم يكن له حسنات فيطرح عليه بمقدار ما بقى عليه من السيئات إلا أن يمفو الله ويسمح (وأما السابع عشر) فجوابه يعرف من الذي قبله (وأما الثامن عشر) وهو مؤدب الأطفال (فالجواب) أنه يسامح مثله لما ذكر من المشقة ولكن يتيم فان زمنه أسهل من زمن الوضوء فان استمرت المشقة فلا حرج والله أعلم (وأما التاسع عشر) وهو هل للملكان اللذان يجلسان عند القبر هما الكاتبان كما رواه الترمذي (فالجواب) أن الذي يظهر ان كان الحديث ثابتاً أنهما اللذان كانا يكتبان في الدنيا الأعمال ومنه يخرج الجواب عن السؤال (وأما العشرون) وهما الملكان اللذان قال الله تعالى فيهما (سائق وشهيد) فمنده أنهما هما بخلاف من فسرها بغيرها وقد اختلف في ذلك على أقوال ذكرها الطبري وغيره (وأما السؤال الحادى والعشرون) وهو هل تدنو الشمس من الرأس يوم القيامة (فالجواب) نعم هو حق ورد به الحديث الصحيح فوجب الايمان به (وأما الثاني والعشرون) وهو هل في القيامة شمس (فالجواب) نعم لكن في الموقف ثم تطرح الشمس والقمر بمد ذلك في النار اذا انقضى أمد الموقف (وأما الثالث والعشرون) وهو هل يخوض الناس في المرق (فالجواب) نعم ثبت ذلك في الحديث الصحيح أن منهم من يلجمه العرق الجاما ومنهم من يصل الى صدره والى ركبتيه وغير ذلك على قدر أعمالهم (وأما الرابع والعشرون) وهو هل تعود الأجساد كما كانت أو لا (فالجواب) نعم ان الذي يبيده الله تعالى هي الأجساد الأولى لا غيرها وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندى فقد أخطأ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث (وأما السؤال الخامس والعشرون) وهو هل عمل العينين (فالجواب) أنهما في الوجه كما كانت في دار الدنيا وورد أنهما في الرأس ولكن ظاهر الحديث ان جوابه صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حيث استعظمت كشف الموراث

فأجابها صلى الله عليه وسلم بأن (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه) عن النظر الى غيره ففيه إشارة الى أن الميتين في الوجه كما كانت في الأول والله أعلم (وأما السادس والمشرون) وهو طول الناس في الموقف (فالجواب) أن كل واحد منهما يكون على مامات عليه وعند دخول الجنة يصيرون طول واحد في الحديث يمث كل عبد على مامات عليه وفي الحديث في صفات أهل الجنة ما ذكر (وأما السابع والمشرون) وهو هل لهم شمور (فالجواب) نعم يمشون كذلك ثم يدخلون الجنة جردا مردا كما ثبت في الحديثين المذكورين (وأما الثامن والمشرون) وهو هل يمث الله العصاة من هذه الأمة الخ (فالجواب) نعم ثبت ذلك في الصحيحين بل في الصحيح أن من يدخل النار من عصاة هذه الأمة يمثهم الله إمامة صغرى ثم يخرجهم بالشفاعة فيلقون في نهر الحياة حما ينبتون كما ثبت الحبة في جميل السيل *

انتهى آخر الأسئلة والأجوبة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين *

منظومة في التصوف

للامام العالم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعيد

الأخضري المغربي رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول راجي رحمة المقتدر
بمحمد رب العالمين أبتدى
يا طالباً علا كمال قدسه
إعلم بأن الجوهر الانساني
منشؤه في العالم الملوى
لانه في الأصل من جنس الملك
فهذه الجوهرة النفسية
دائرة التطهير والكمال
شيان منها حجاب ظاهر
فالظاهر الموائد الجسميه
من شهوة رياسة ودهوى
فأول يدعى الحجاب الحسى
فمن يكن لنفسه مككبياً
إذ تمجج المرأة بالصداء
ومن أجاد الصقل بالمجاهده
وصار في طى النفوس باديا
وظهرت خوارق العادات
وعادت الحقيقة النفسية
وطهر القلب من الأدغال
لكن أنواع المجاهدات
تقواه وإستقامة وكشف
فأى من اشد للحزم عرى

الذنب العبد الذليل الأخضري
ثم صلته على محمد
وقاصداً الى علاج نفسه
وهو الذى يدعونه الروحاني
مستودع في القالب الجسمي
فصار مركزاً بمالم الحلك
بالأصل في الدائرة القدسيه
وعاتها عن ذاك الاتصال
وباطن في النفس أى ساتر
والباطن الموائق النفسية
وتزغة الشيطان وهى البلوى
والثاني يدعى بالحجاب النفسى
على هواها لم يزل محتجبا
عن انطباع صور الأشياء
رقى مقام الكشف والمشاهدة
جميع ما كان لها عاذيا
عليه من صقالة المرأة
لأصلها في الحضرة القدسيه
إذ حل في درجة الكمال
بحسب المقام للسادات
وذاك مابه القلوب تصفو
وضل برضى النفوس مؤثرا

حتى إذا صحت مياه القدس
حينئذ تبدو شمس النيب
وانطلعت في وسط الرآة
وازخرت حدائق القلوب
ووابل الأسرار بالقلب انسجم
واعلم بأن رتبة الكمال
مطوية في النفس طى الحبفى
من مدارعاد الرعود السائقه
حتى إذا شربت الأشجار
ولانت الاعراق بارتوائها
واهتزت الاغصان بالرياح
والقصد عند القوم بالرعود
ثم انسكاب مطر الوعظ على
حتى يلين قلبه للفكرة
حتى اذا هبت رياح الحال من
واستخرجت ثمار غصن القلب
يبدو لقاح العلم والأعمال
فيبد ما تحصل اللقاح
وظهر الأزهار فى الاغصان
وجالت الرياح فى الأشجار
حينئذ تنعقد الأزهار
كذلك من بعد لقاح العلم
وهو ظهور السلم والعبادة
لان من صح له الاخلاص
وحكمة تجرى على لسانه
وربما هبت على الاعمال
فتجبط الجبل من الطافات

بترد مركوم سحاب الحس
مشرقة برصات القلب
صور (١) الأمور الملكوتيات
بثمرات الكشف والنيوب
وانفجرت منه ينابيع الحكم
وخارق العادات فى المثال
أكامه ظهوره منها ينفى
ثم انسكاب المصبرات الرائقه
وزال عن أغصانها النيار
وسريان الماء فى أرجائها
تنبأ الثمار للقاح
قدح رعود الوعد والوعيد
بصيرة المرء لكى يمتثلا
وينتفى عنه غبار الغفلة
خزانة الوعظ عن القلب الفطن
بزهرا فيبد هذا الخصب
يقدر ما للقلب من كمال
إذ هب فى أرجائها الرياح
وكان الاعتدال فى الزمان
وسقط الجبل من الثمار
وازخرت بمجها الاشجار
والعمل الازهار عند القوم
على الجوارح مع الزيادة
صح له التحصيل واخلاص
وطاعة تجرى على أركانه
ريح الرياء الموبق الرجال
وهذه من أعظم الآفات

فالاملون فى الورى كثير
 والمقد للامال فى الطريقة
 وربما هبت رباح العجب
 فاسقطت من ذلك الكثير
 الا قليلا من عباد الله
 الذمواهل شهود المنه
 وبعد ان ثبت ذا المقدارا
 فان جناها رهبا بالشهرة
 وحيث بالظول قد أخفاها
 تمت من بعد كمال الطيب
 بترك الاعتزاز والأمان
 تزخرت وحسنت الزاد
 وان يكن أهملها فتقرب
 وآل كده إلى الضياع
 وهذه طريقة القطاع
 ماحل منها بسلام الطور
 واعلم بان طرق التطهير
 اقربها تقما طريق الذكر
 لكن بشرط الخوف والحضور
 فمن تك الغفلة والأمان
 وحال بينه وبين زبه
 واحدقت بقلبه غشاوة
 كم باذل قواه فى الاذكار
 وذاك من وساوس الشيطان
 فسالج الخواطر الرديه
 هيات أن يطمع فى الابصار
 هل يرتقى بسلم المعالي

والثابتون عملا يسير
 ثبوتها بالحال والحقيقة
 ونحوه فى عرصات القلب
 وتركت منه زها يسيرا
 تمسكوا فيها بمجل الله
 الطاعنو القطاع بالأسنة
 ففى الصلاح يأخذ الثمارا
 لم يكمل الطيب لتلك الثمرة
 تبلنت فى الطيب منهاها
 ان صانها بالحفظ والترتيب
 ورفع صور محكم البيان
 ونال منها غاية الراد
 ثمارها كل يد فتخرب
 إذ ماله فيه من انتفاع
 ما جابها غير فقى شجاع
 إلا امرؤ مؤيد بالنور
 كثيرة عند ذوى التنوير
 بسرعة يزيل كل ستر
 مع اذكار هية المذكور
 فى ذكره حجب الشيطان
 يتمنغه وساوساً فى قلبه
 فلم ينق بالذكر من حلاوه
 ولم يجد للذكر من ثمار
 يهيج بالغفلة والامان
 بالدفع ففى حجب قوه
 من قلبه فى الهديان جارى
 من قلبه فى عالم الخيال

لن يستقيم القلب للتوجيه
 كيف يصح فتح باب القدس
 لن يصل العبد الى مولاه
 حتى اذا نهاره تجلى
 فاجعل أخى همك هما واحداً
 ومن شروط الذكر ان لا يستعطا
 في البعض من مناسك الشريعة
 والرقص والصراخ والتصفيق
 وانما المطلوب في الاذكار
 وغير ذلك حركة نفسه
 فواجب تنزيه ذكر الله
 عن كل ما تقوله اهل البدع
 فقد رأينا فرقة ان ذكروا
 وصنعوا في الذكر صنعاً منكرًا
 خلوا من اسم الله حرف الهاء
 لقد أتوا والله شيئاً إذا
 والالف المحذوف قبل الهاء
 وغرهم اسقاطه في الخط
 قد غيروا اسم الله جل وعلا
 تفرم مذاقة طبيعية
 فزعموا ان لهم أسراراً
 وزعموا ان لهم احوالاً
 والقوم لا يدرون ما الأحوال
 حاشا بساط القدس والكمال
 قد ادعوا من الكمال منتهى
 والجاهلون كالحجير الموكفه
 وهل يرى بساحل الأنوار
 مادام هذا الهديان فيه
 مادام في القلب غبار النفس
 مدة ما ليل الهوى ينشاه
 بفتح باب الملكوت الألى
 تكن لما تطلبه مشاهدا
 بمض حروف الاسم أو يفرطاً
 عمداً فذلك بدعة شنيعة
 عمداً بذكر الله لا يابق
 لذكر بالخشوع والوقار
 الا مع الغلبة القوية
 على اللبيب الذاكر الأواه
 ويقتدى بفعل ارباب الورع
 تبتدعوا وربما قد كفروا
 صعباً جهادهم جهاداً أكبراً
 فأخذوا في اعظم الأسماء
 تخز منه الشاغحات هدا
 قد اسقطوه وهو ذو اخفاء
 وكل من يتركه فخطيء
 وزعموا نيل الراتب الملا
 سببها حركة نفسية
 وان في قلوبهم انواراً
 وانهم قد بلنوا الكمالاً
 فكونها لثلمهم محال
 تطلوه حوافر الجهال
 يكل عن تحصيله اولوالنهي
 والعارفون سادة مشرفه
 من لج في بحر الغلام سارى

وقال بعض السادة التبعة ويدكرون الله بالتفكير
وينبسون النبع كالكلاب وينبسون النبع كالكلاب
قلت وشاع امر الاشتباه قلت وشاع امر الاشتباه
فمن يكن مشتهراً بالذكر فمن يكن مشتهراً بالذكر
جرى لسانه على الأذكار جرى لسانه على الأذكار
حتى إذا مزجت الأذكار حتى إذا مزجت الأذكار
تأنس القلب بذكر الله تأنس القلب بذكر الله
حتى إذا استتارت السريرة حتى إذا استتارت السريرة
وغرست في وسط الجنان وغرست في وسط الجنان
دائمة الظلال والثمار دائمة الظلال والثمار
وانقطعت علائق الشيطان وانقطعت علائق الشيطان
ونقشت في قلبه علوم ونقشت في قلبه علوم
ولان قلبه وقد اصابا ولان قلبه وقد اصابا
فأى من اتى فعال النفس فأى من اتى فعال النفس
وأنس النور بذاك الوادى وأنس النور بذاك الوادى
أفك بالواد المقدس طوى أفك بالواد المقدس طوى
وربما يزجى به سحابا وربما يزجى به سحابا
فيرمى الصب عليه شرابا فيرمى الصب عليه شرابا
وربما خامره التملى وربما خامره التملى
اذ ذاك فليزرع اى الصلاة اذ ذاك فليزرع اى الصلاة
اياه ان يضره الخيال اياه ان يضره الخيال
فرب سالك رأى سرايا فرب سالك رأى سرايا
يا جاهلا بمنصب الكمال يا جاهلا بمنصب الكمال
الست ذا عقل وذا بصيره؟ الست ذا عقل وذا بصيره؟
في رجز يهجو به البتدعه في رجز يهجو به البتدعه
ويشطجون الشطح كالحير ويشطجون الشطح كالحير
طريقهم ليست على الصواب (١) طريقهم ليست على الصواب (١)
في المتذاكرين باسم الله في المتذاكرين باسم الله
فشرطه من خشية وفكر فشرطه من خشية وفكر
ومطرت سحائب الانوار ومطرت سحائب الانوار
بالقلت واستتارت الافكار بالقلت واستتارت الافكار
وصار طول الدهر غير ساه وصار طول الدهر غير ساه
وانبت معنى الذكرفى البصيرة وانبت معنى الذكرفى البصيرة
شجرة ترويق كل جان شجرة ترويق كل جان
وتحتها جداول الانهار وتحتها جداول الانهار
وطهرت بصيرة الانسان وطهرت بصيرة الانسان
وابديت فى سره فهم وابديت فى سره فهم
فى القلب نحو اللسكوت بابا فى القلب نحو اللسكوت بابا
إذ حل فى شاطىء وادى القدس إذ حل فى شاطىء وادى القدس
يفوز من شجرة النادى يفوز من شجرة النادى
فيكتسى من حلل النور قوى فيكتسى من حلل النور قوى
يفيض من ارجائه شرابا يفيض من ارجائه شرابا
فيستز يد طربا وجبا فيستز يد طربا وجبا
فتمتريه صعقة التجلى فتمتريه صعقة التجلى
فانها تفضى الى النجاة فانها تفضى الى النجاة
فيزدري بقلبه الختال فيزدري بقلبه الختال
بقيمة يظنه شرابا بقيمة يظنه شرابا
وطالبا حفيظ الانسفال وطالبا حفيظ الانسفال
الم تكن منور السريه؟ الم تكن منور السريه؟

(١) وفي نسخة زيادة

وليس فيهم من قى مطيع فلمنة الله على الجميع

حجبت بالملائق النفسية عن هذه المراتب القدسية
 رضيت بالمراتب الخسيسه يجهلك المراتب النفيسه
 دوائر الحس عليك مطبقه وحضرة الكمال عنك منلقه
 يامولما بالالم الجسماني فكم خدمت الجسم يا بطل (١)
 هلا خدمت الروح يامغرورا هيهات قدحجبت عنك النورا
 يا جاهلا بمالم الارواح حجب (٢) عنك السر بالاشباح
 فلو علمت هذه التجاره لم تعتبر من دونها خساره
 يا جاهلا بقلبه وما حوى مشتغلا بالشهوات والهوى
 لو غصت في بحرك يامغرورا وجدت فيه لؤلؤا مثنورا
 ولو تركت العالم الجسماني لذقت سر العالم الروحاني
 وكل مشغول بمالم الجسد فذاك محجوب عن الله الصمد
 فلتشتغل بالمالم الروحاني وارك سبيل العالم الجسماني
 واخرق حجاب النفس بمالم الجسم ترى الكمال في بساط العلم
 فمن سعى في خدمة الموضوع فذاك محجوب من الطلوع
 اذ اول السلوك ترك ذلك وبمده يسلك في المسالك
 نعم بقدر القوة النفسية لم تتصل بالحضرة القدسية
 فابذل قواك في علاج النفس من كل وصمة بها ولبس
 حتى اذا صحت سماء القدس بانسها عن طبقات النفس
 فمئنه شمس شهود الحق مشرقة على بروج الصدق
 هيهات ان يطا (٣) بساط القدس مكبل بشهوات النفس
 هيهات ان يطا البساط الاحق كيف ينال السر من لا يصدق
 هيهات ان يرقى المقام العالي من كان للنفس مطيما باليا
 وهل يطا مساجد الانابه من لم يزل بمحدث الجنابه
 كيف قفيد الشكل مرآة الصدا ام كيف تمشوقلغنها القذى
 عجبت من مسافر يشكو الظما وحوله عذب فوات ايما

(١) بطل على وزن حزام يفتح اوله كثير البطالة (٢) بتشديد الجيم (٣) بدون

إثبات الهمزة لوزن وكذلك في البيت الثاني بمده *

(٧ م) — منظومة الأخرى في التصوف

ما حل وفد الراصدين مرصدا
 الا باخماس البطون والسفر
 والزهد في الدنيا وتقصير الامل
 والخوف والذكر بكل حال
 وفعل انواع المعاملات
 من بعد تحصيل فروض المين
 فأين حال هؤلاء القوم
 قد ادعوا مراتباً جليسه
 قد بنذوا شريمة الرسول
 لم يدخلوا دائرة الحقيقة
 لم يقتدوا بسيد الأنام
 لم يدخلوا دائرة الشريمة
 لم يعملوا بمقتضى الكتاب
 قد ملكت قلوبهم أوهام
 كفاك في جميعهم خيانه
 واتهكوا محارم الشريمة
 من كان في نيل الكمال راجيا
 فانه مبلس مفتون
 هذا محال لا يصح أبدا
 وقال بعض السادة الصوفيه
 اذا رأيت رجلا يطير
 ولم يقف عند حدود الشرع
 واعلم بأن الخارق الروحاني
 والفرق بين الافك والصواب
 والشرع ميزان الأمور كلها
 والشرع نور الحق منه قد بدا
 وقال بعض اولياء الله
 من ادعى مراتب الجمال
 ورام حزب الواردين موردا
 والصمت والمزلة عن كل البشر
 وفكرة القلب واكثر العمل
 والصبر والقوت من الحلال
 وفعل اركان المجاهدات
 علما واعمالا بغير مين
 من سوء حال فقراء اليوم؟
 والشرع قد تجنبوا سيبله
 والقوم قد حادوا عن السبيل
 كلا ولا دائرة الطريقة
 فخرجوا عن ملة الاسلام
 وأولعوا يسدع شنيمة
 وسنة الهادي الى الصواب
 فالقوم إبليس لهم إمام
 ان اخطوا الذي بالديانة
 وسلكوا مسالك الخديمة
 وعن شريمة الرسول نائيا
 أو عقله مخبل مجنون
 لان سيد الورى باب الهدى
 مقالة جليلة صفيه
 او فوق ماء البحر قد يسير
 فانه مستدرج وبدعي
 لتابع السنة والقرآن
 يعرف بالسنة والكتاب
 وشاهد بفرعها وأصلها
 وانفجرت منه ينابيع الهدى
 السالكين لصراط الله
 ولم يتم بأدب الجلال

فارفضه انه الفتى الدجال
 ومن تحلى بجلى المالى
 ففر منه انه الشيطان
 يا صاح لا تعباً بهؤلاء
 باؤا بسخط وضلال وقلى
 ان تنظر البهيموت بالعرش يناط
 هذا زمان كثرت فيه البدع
 وخسفت شمس الهدى واقلت
 والدين قد تهدمت اركانه
 وظلمات الزور والبهتان
 لم يبق من دين الهدى إلا اسمه
 هيئات قد غاضت بنابيع الهدى
 اين دعاة الدين اهل الدلم
 وماجت الطائفة الدجاجة
 وكثرت اهل الدعاوى الكاذبه
 فالقوم إذ زاغوا أزاغ الله
 وجاء فى الحديث عن خير الورى
 حتى تقوم قبله دجاجة
 من لم يلىج بالنهج المحمدى
 هيئات ان يطمع فى نيل الوفا
 فانه هو السراج الأنور
 فكل من يرغب عن سنته
 من حاد عن سنته فقد غوى
 والمصطفى خير وسيلة الى
 صلى عليه الله ما هب الصبا
 يا ايها المنول فى سجن الهوى
 وجد كل الجد فى إصفائه
 ولازم التفويض والانا به
 ليس له التحقيق والكمال
 وبمحدود الله لم يسأل
 مخادع ملبس خوان
 ذوى الخنا والزور والاهواء
 لم يلفوا مراتب المجد الى
 اويلج الجمل فى سم الخياط
 واضطربت عليه امواج الخدع
 من بعد ما قد بزغت وكذت
 والزور طابق الهوى دخانه
 تزخرت فى جملة الأوطان
 ولا من القرآن إلا رسمه
 وفاض بحر الجهل والزيف بنا
 قد سلفوا والله قبل اليوم
 السالكون للطريق الباطله
 وصارت البدعة فيهم غايه
 قلوبهم فانسخوا وتاهوا
 لن يخرج الدجال اعنى الأكرابا
 كل يلوذ بطريق باطله
 باء بسخط الله طول الأمد
 من حاد عن شرع النبي المصطفى
 وباب حضرة الاله الأكبر
 فليس عند الله من امته
 وفى غيابات الضلال قد هوى
 إلهنا رب السموات الملى
 وما اليه قلب عاشق صبا
 أقبل لما عليه قلبك انطوى
 تستخرج المكنوز من ارجائه
 فهذه طريقة الصحابه

تآنت قلبهم بالله فاطلصوا اوقاتهم لله
 واستغرقوا اوقاتهم بالطاعة على بساط القدس والضراعة
 الناس في جوف الظلام هجموا والقوم فيه سجد وركع
 حثوا مطايا الحزم في جوف الدجى تطلع شمسهم اذ الليل سجا
 ففي النجاة لهم كؤوس نجيا بها الارواح والنفوس
 هم الهداة بهداهم اقتد الى مراتب الوصول تهتدى
 واكشف حجاب السر بالتفريد بالعالم الاسنى مع التجريد
 ترى الغيوب كلها جليه وترقى للحضرة العلية
 مازال عن مرآته كشف الفضا من لم يزل في حسه مشبطا
 فأي من أدمن قرع الباب منقطعاً عن جملة الاسباب
 فانه يرتقب الفتوحا حتى يصير صدره مشروحا
 من قطع الملائق النفسيه ولج باب الحضرة القدسيه
 فاشدد ازار الحزم والمجاهده عساك ترقى منبر المشاهده
 وقف على باب الكريم باكيا وكن هناك خائفا وراجيا
 مترفا بالذنب والنجاية عساه ان يمن بالهدايه
 فليس بالباب الكريم غالقا اذا توجه الريد صادقا
 والصدق والاخلاص في الامور شرط به يكون قدح النور
 يا عاشقا في الدرجات العاليه اعلم بان الصفقات غاليه
 ماناها ذو المعجز والتواني الابدكد النفس والاذعان
 فارحل الى اليمين القدوس وابن على تزكية النفوس
 قد اظحن والله من زكاها يوما كما قد خاب من دساها
 واخرق حجاب السبمة الاطوار لكي ترى دقائق الاسرار
 ترى من السر المصون عجبا وترقى في الدرجات رتبا
 وتبصر النفوس مستيره جارية في فلك البصيره
 القلب كالرآة للتجلى يصفوها صقالة التخلى
 القلب عرش سره الرباني وحضرة لا قرب والتداني
 القلب فهو لوحك المحفوظ يا أيها القرب الملحوظ
 فاقرا سطور لوحك المكنون بريك سر أمره المصون

القلب سر الله في الانسان وهو من عرش السماء أكبر أعنى حديث الوسع للتجلى القلب مشكاة التجليات القلب كثر من كنوز الله القلب من عجائب الرحمن فالروح باب الحضرة القدسية وانما يفتح بالاذكار اذا اعتراك سقم في القلب فان تكن لم تنتفع بالذكر فاخلع نعال الكون جملة وجي كيف تنادى للتناجي في طوى لوذهبت عن الحجا اكداره فن رأى بواطن الاواني من غير ما كسب له يمانى والنيب محجوب عن النفوس لن يستفيد المرء علما بالاله فان ترد معرفة بالرب ولا تعد غيره موجودا وكن على بصيرة في الدين وكن على حدوده محافظا إذ ذاك فلتفرع الى التخلي ولازم الذكر بكل حال فان تخف شيأ من الأنفاس ولا تزال واقفاً بالباب حتى ترى الهمة قد تجمعت وكل ما ينشاه في السبيل وذكر أهل الفضل والبصائر

وعرشه المحيط بالاكوان وذاك معنى في الحديث يذكر فاعرف زمام قلبك الاجل مها خلا من جملة الآفات وفيه باب ملكوت الله أودعه في عالم الابدان تحجبه الملائق النفسية لجازم بالليل والنهار فافزع الى الذكر ولذبالرب فاندب على نفسك طول الدهر تكن على طور الناجاة نجى والقلب تحت قهر سلطان الهوى لجا بد ليله نهاره وفهم الاسرار والساني فذلك المخصوص بالتداني بهذيان العالم المحسوس وفي الحجا لمة لمن سواه فارغب اليه صادقا بالقلب فتمتدى عن بابه مطرودا بالعلم والتحقيق واليقين وكن لهذا الهذيان رافضا وبعده فافزع الى التجلى وفر من طوارق الخيال فذاك من علامة الافلاس وذا كراً للملك الوهاب وفكرة الانسان قد توسمت من وارد فانقله للدليل بوارق الثلاثة الدوائر

دائرة الاسلام والايمان فوقها دائرة الاحسان
 وذاك باللسان والجنان والروح وهو منصب الاحسان
 فالقلب ترجمانه اللسان والروح ترجمانه الجنان
 فلا يزال باللسان يذكر حتى يصير أبداً لا يفتر
 حتى اذا ما استفرق اللسان فيه اليه التفت الجنان
 حتى يصير القلب ليس يفتر فيصمت اللسان وهو يذكر
 حتى اذا استولى عليه الذكر ولم يكن له عليه صبر
 واتسمت دائرة الأفكار وأومضت سواطع الأنوار
 توجه القلب الى مولاه ولم يلد بأحد سواه
 ولا يزال ذاكراً بقلبه وجامعاً همته لربه
 حتى يصير لفظه منتسحاً ويرجع المعنى به مرآسحاً
 وصار كالغذاء للقلوب كالجسم بالطعوم والمشروب
 فتستفيق الروح من إغمائها إذ بث نور الذكر في أرجائها
 حينئذ تنقح الأنوار وتظهر النيوب والأسرار
 وان للحقيقة النفسية رجوعها للحضرة القدسية
 ولاح أنوار المغيبات وذاك مبدأ الكاشفات
 وهائنا مواقف عظيمه وفن خطوبها جسيمه
 تزل في خلالها الأقدام وكم تضل عندها الأحلام
 فان يقف بها اسرؤ منها سلب وعن جميع الدرجات قد حجب
 وكم أخى جهل بذاك طردا والله يهدى من يشاء للهدا
 فن يقف لفن البدايه حجب (١) عن مراتب النهايه
 فان يكن مقصوده متحدا ولم يكن ملتقناً لما بدا
 فذاك بالغ الى مقصوده وواقف بين يدي معبوده
 فيكشف الحجاب عن بصيرته وتقذف الأنوار في سريرته
 ولا يزال جملة الأوقات يجوب أطوار التجليات
 حتى يحمل بسنام الطور فينتهي من لحظة السطور
 فصار إذ ذاك يتاجى ربه فزج في بحر الموم قلبه
 وفتح الباب له في قلبه فصار منه آخذاً عن ربه

فرد نحو مركز البدايه
 وصار باب الله في عباده
 وصار وارثاً على الحقيقه
 فهذه طريقة الرجال
 وكثر اللبسون فيها
 وآسفاً على الطريق السابله
 قد أحدثوا طريقة بدعيه
 يا عجباً لرافض الشريمه
 وكيف يرقى سلم الحقيقه
 واحسرتا على الطريق المستقيم
 قد أشرفوا على كهوف الكفر
 واتخذوا مشايخاً جهالاً
 لم يقفوا عند حدود الله
 فنفروهم من دعاة الدين
 فأعرضوا عن سبل الرحمن
 وهدموا قواعد الاسلام
 وعكسوا حقائق الأمور
 وجعلوا ملء البطون اصلهم
 بدءاً لقوم ألدوا في الدين
 واولعوا بالافك والتليس
 وآسفاً على حماة الدين
 آه على طريقة قد ذهبت
 وهاج إفك المدعين فيها
 آه على طريقة الكمال
 آه على طريق أهل الله
 طريقة أفسدها اهل البدع
 طريقة أفسدها الفجار
 وظهرت في جملة البلاد
 إذ حل في درجة الولايه
 يستخرج الحكمة من فؤاده
 ومرشداً لسائر الخليقه
 وآل أمرها الى الزوال
 وصار ذو البدعة يدعيها
 أفسدها الطائفة الدجاجله
 ورفضوا الطريقة الشرعيه
 ويدعى درجة رفيعه
 مخالفاً لسيد الخليقه
 قد ادعاه كل أفك أئيم
 وستروا بدعتهم بالفقر
 لم يعرفوا الحرام والحلالا
 وسنة الهادى رسول الله
 اولى التقى والمسلم واليقين
 واتبعوا مسالك الشيطان
 واعتبروا خراف الأوهام
 ونصبوا حبال الفجور
 بنوا عليه امرهم وسبلهم
 واشتغلوا بطاعة اللعين
 تأسياً بشيخهم إبليس
 أولى الذكا والعلم والتمكين
 وهدمت اصولها وقلبت
 وصار من يطلبها سفيها
 أفسدها طوائف الضلال
 آه على طريق حزب الله
 فتركت مهجورة لا تتبع
 فكثروا وانتشروا وثاروا
 طائفة البلع والازدراد

قد أحسن الوالد في عبارته
 فقال في أولئك الدجاجله
 (وزنتهم بالشرع فهو نأى
 وزنتهم بمنهج الحقيقه
 وكان ينميهن الى الدخان
 ياويلنا هذا زمان البدع
 واحسرتنا على الكرام البرره
 وجدنى العاذل يوماً با كيا
 وأسفا بادوا فن لى مرشدا
 يا أيها التائه فى البيداء
 أراك نائماً على الآثار
 مهلا على نفسك يامسكين
 فقلت إني يا أخى أنوح
 قد رحلوا قاطبة وذهبوا
 ولا أزال هكذا مستمسكا
 وإن أمت أموت فى هوام
 وأسفا على الرجال الكاملين
 فستروا بظلمات البدع
 وذهبوا لله فيمن ذهبوا
 ومن يرد معرفة بالبدع
 ففى كتاب شيخنا الزروقى
 ثم صلاة الله كل حين
 محمد سلطان أهل الحضرة
 فى أربع وأربعين قد نجمز
 من عشر القرون قل هذا الرجز

﴿ تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجاوبة التي بين هارون الرشيد وبين سفيان الثوري

وذكر الامام ابن بليان والنزالي وغيرهما أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم لإسفيان الثوري فانه لم يأتهم وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب اليه الرشيد كتاباً يقول فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري أما بعد يا أخي فقد علمت أن الله أخي بين المؤمنين وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها جلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على افضل المحبة وأتم الارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله تعالى لأتيتك ولو جواً لما أجدلك في قلبي من المحبة وانه لم يبق أحد من إخواني واخوانك الا زارني وهنأني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم المواهب السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وقد استبطأتك وقد كتبت كتاباً مني اليك أعطيتك بالشوق الشديد اليك وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فالجعل الجعل ثم أعطى الكتاب لبياد الطالقاني وامره بايصاله اليه وأن يحصى عليه بسمه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به قال عباد فانطلقت الى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده فلما رأيته على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق بطرق الابخير قال فنزلت عن فرسي يباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه ، الى قال فبقيت واقفاً ومامنهم أحد يمرض على الجلوس وقد علمتني من هيئتهم الرعدة

(٢ - ٨ فتاوى ابن الصلاح)

فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه وأخذه وقلبه بيده ورماه الى من كان خلفه وقال ليقرأه بعضكم فاني استغفر الله ان أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فد بعضهم يده اليه وهو يرتد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفیان يتبسم تبسم التمجيب فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في يياض نقي لكان أحسن فقالوا كتبوا للظالم في ظهر كتابه فان كانا كتسبه من حلال فسوف يجزي به وان كانا كتسبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب اليه؟ قال اكتبوا له ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من العبد الميت سفیان الى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الايمان ولذة قراءة القرآن أما بعد فاني كتبت اليك أعلمك أني قد صرمت جملك وقطعت ودك وإنك قد جملتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته بنير حكمه ولم ترض بما فعلته وأنت ناه عنى حتى كتبت الى تشهدني على نفسك فأما أنا فاني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك وسؤدى الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بنير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم بنى العاملين؟ أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟ أم رضى بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك وأعد للسائلة جواباً وللبلاء جلباباً واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فاتق الله في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً يا هارون قدمت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستوراً دون بابك وتشبهت بالحجة رب العالمين، ثم أقدمت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويمجدون الشارب ويزنون ويمجدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق ويقتلون ويقتلون القاتل أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المنادى من قبل الله

أحشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم امام أو سائق الى النار؟ وكأني بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاتق الله ياهرون في رعيتك واحفظ عمداً صلى الله عليه وآله وسلم في أمته واعلم أن هذا الأمر لم يصير اليك إلا وهو صائر الى غيرك وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد فمنهم من تزداد نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإياك ثم إياك أن تكتب الى بعد هذا فاني لا أجيئك والسلام وألقى الكتاب منشوراً من غير طي ولا ختم فأخذه وأقبلت به الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبي فنادت يا أهل الكوفة من يشتري رجلاً هرب الى الله فأقبلوا إلى الدرهم والدنانير فقلت لا حاجة لي بالمال ولكن جية صوف وعباءة قطوانية فأتيت بذلك فترعت ما كان على من الثياب التي كنت أجلس بها أمير المؤمنين وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي الى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً فهزأ بي من كان على الباب ثم استؤذن لي فلما رأني على تلك الحالة قام وقدم وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول اتفجع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا والملك يزول عنى سر يما فألقيت الكتاب اليه مثل مادفع إلى فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفیان فلو وجهت اليه فأقلته بالحديد وضيق عليه السجن فخطته عبرة لغيره فقال هرون اتركوا سفیان وشأنه ياعبيد الدنيا الغرور من غررتموه والشقى والله حقاً من جالستموه ان سفیان أمة وحده ولم يزل كتاب سفیان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويكي حتى توفي رحمه الله تعالى •

فهرست

فتاوى ابن الصلاح

صحيفة	صحيفة
٩	٢
تفسير قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) ماهو الذكرو وما مقداره ؟	ترجمة المؤلف
٩	٤
تفسير قوله تعالى (فويل للمصلين) الآية من الساهون والمراؤن	بيان من جمع هذه الفتاوى
٩	٥
تفسير قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها) الآية امرنا بالنظر الى الأثر ولم يأمرنا بالنظر الى الرحمة	القسم الاول فى شرح آيات من كتاب الله عز وجل
١٠	٥
تفسير قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى الآية) فالمراد بالبقرة فى قوله تعالى (انها بقرة) هل هى أثنى أم ذكر ؟	تفسير قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) الآية ومذاهب العلماء فى ذلك
١٠	٦
تفسير قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى الآية) فان ويبقى الآية	ضابط حسن لتعبير الرؤيا
١١	٧
تفسير قوله تعالى (انها بقرة) هل هى أثنى أم ذكر ؟	تفسير قول الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) والجمع بينها وبين آية (فاتقوا الله ما استطعتم)
١١	٧
تفسير قوله تعالى (ولنبؤنكم حتى نعلم المجاهدين منكم) الآية هل علمه جل ذكره يتجدد ؟	تفسير قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية
١٢	٨
القسم الثانى فى شرح أحاديث وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	أقوال العلماء فى الصغائر والكبائر
١٢	٨
تفسير قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا ما سعى) وهل يصل ثواب القرآن الى الميت ؟	تفسير قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا ما سعى) وهل يصل ثواب القرآن الى الميت ؟

صحيفة	م	م	صحيفة
١٤	١٤	١٢	١٢
مافنى قوله صلى الله عليه وسلم «انها من الطوافين عليكم؟» تفسير حديث «ان احدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً» الحديث الوارد في الصحيحين والجمع بينه وبين الروايات الأخرى	مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم «يوتى بالعالم يوم القيامة فيقال انما تعلمت ليقال كذا وكذا» الحديث	١٣	١٣
١٦	١٦	١٣	١٣
مسألة قوله صلى الله عليه وآله وسلم «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» هل هو في الصحيحين وهل يصير في عقب التوبة كمن لا ذنب له أم لا بد من اصلاح العامل بعد التوبة الى مدة معلومة	مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» هل هو في الصحيحين وهل يصير في عقب التوبة كمن لا ذنب له أم لا بد من اصلاح العامل بعد التوبة الى مدة معلومة	١٣	١٣
١٦	١٦	١٣	١٣
مسألة قوله صلى الله عليه وآله وسلم «يتزل ربكم في كل ليلة الى سماء الدنيا» الحديث هل هو على ظاهره أم على ضرب من التأويل	مسألة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تدخل فقراء أمتي قبل أغنيائها بنصف يوم، مال المراد بالفقير هنا؟	١٣	١٣
١٧	١٧	١٤	١٤
مسألة قوله صلى الله عليه وآله وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث هل هي فطرة الاسلام او الفطرة التي هي الخلق، والابداع، والاختراع	مسألة قوله صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم» الحديث مال الفرق بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير صحته «أمتي كالنيت لا يدرى أوله خير أم آخره» ومافنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه» ماهي الفرحة؟	١٤	١٤
١٧	١٧		
مسألة في معنى قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي (لم يكن الذين كفروا) بامر الله تعالى مال المراد بذلك وماوجه تخصيص هذه السورة بالذكر وما الحكمة في ذلك			

صحيفة	صحيفة
٢٠	١٧
مسألة روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ودرعه مرهونه عند يهودى على صاع من شعير أو صاعين ، وورد انه مات وله حصون وارض فهل هذه الاحاديث صحاح ، وهل الفقير الصابر أعلى من الغنى الشاكر ؟	مسألة قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر » فهل هذا السوق قبل موت الخلق او بعد خروجه من الاجداث
٢١	١٨
مسألة صوم رجب كله هل على صائمه اثم ام له اجر وهل صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان جهنم لتسمر من الحول الى الحول لصوام رجب »	مسألة فباروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لعن الله من اكرم غنيا لغناه واهان فقيرا لفقره » وقوله عليه السلام « لعن الله من اكرم بالغنى واهان بالفقر » هل يدخل تحت هذا اللعن شيخ يزار بحبه الفقير والغنى وابناء الدولة وهو من ذوى الولايات والتسلط فيتكاف لابناء الدنيا ويحضر للفقير ما تيسر ام لا ؟
٢١	١٩
مسألة من اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايمانهم وانهم من اهل الجنة هل يأمنون المكركر هل الانبياء يدخلون الجنة ؟ اولاً وحدهم ام كل نبى مع أمته ومن يدخل الجنة اولاً	مسألة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلاً من اهل الصفة مات فوجد معه ديناران فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « كيتان » فامعنى ذلك مع أن الدينارين لاحق فيهما لله تعالى
٢٢	١٩
مسألة من اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايمانهم وانهم من اهل الجنة هل يأمنون المكركر هل الانبياء يدخلون الجنة ؟ اولاً وحدهم ام كل نبى مع أمته ومن يدخل الجنة اولاً	مسألة اراد على المصنف فى مقدمته فى علوم الحديث والحواب عنه
٢٢	٢٠
حكاية عيسى ابن مريم عليها السلام لما رأى رجلاً سرق فقال له أسرت خلف انه لم يسرق فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عيني مامعنى ذلك ما الفرق بين الخبر الذى لا يتطرق اليه النسخ والخبر الذى يدخله الامر فيتطرق اليه النسخ	مسألة فى رجل يقرأ الحديث على المحدث ويقول فى كل حديث و بالاسناد حدثنا فلان عن فلان ولا يقول قال حدثنا فلان بضح هذا السماع ام لا
٢٣	
مسألة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر ايها افضل	

صفحة	صفحة
٢٧	٢٣
مسألة هل قول لا إله إلا الله في دفع الوسوسة نافع ثابت بدليل	مسألة هل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه
٢٨	٢٨
مسألة في رجل عمد ففترح نفسه و يذم فتأمل	على كل قدم من الانبياء صلوات الله عليه وسلامه ولى من اولياء الله تعالى، وما الابدال والنقباء
٢٨	٢٣
مسألة في اى شىء يزول تحمل المن مع كون الانسان فقيرا ماله شىء	والاوتاهل لذلك اصل ام لا
٢٩	٢٤
مسألة ما حكم كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره واخراج القرآن عن ظاهره المفهوم منه نصالى تاويلات بعيدة جدا	مسألة هل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في علماء الباطن الذين اقامهم الله تعالى كترية الاحوال والمقامات الشريفة وليوصلوا المريد الى الله بقوتهم ودعوتهم المجابة
٢٩	٢٤
مسألة رجل طلب العلم وهاجر اليه من وطنه فسمع داعيا الى الزهد فى الدنيا وله نفس جموح وخاف ان لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الامارة بالسوء فما الحيلة فى نجاته؟	هل يجوز اطلاق الأب فى الكتاب العزيز والحديث الصحيح على الأب من غير صلب، وما الفرق بين آدم أبى البشر و ابراهيم الخليل صلوات الله عليهما فى ذلك
٣٠	٢٥
مسألة رجل قال ان الله لا يسمع دعاء ملحونا وما هو الدعاء الملحون	مسألة هل من سب الصحابة وتاب لم ينفرد له ولم تقبل توبته؟
٣٠	٢٦
مسألة قراءة القرآن بعد صلاة الصبح افضل او بعد صلاة المغرب اى الوقتين افضل؟	مسألة فى رجل اغتاب رجلا وجاء اليه يستسمحه فما قبل
٣٠	٢٦
مسألة رجل له والد ووالده غير مفترقيه فى القيام باموره فاحب الولد الاقطاع الى الله فى قرية بعيدة عن والده ليسلم من المآثم ووالده يكره مفارقتها كيف الحال ويتبع ذلك مسائل؟	مسألة هل الاستغفار كفارة النية
	٢٧
	مسألة هل يجوز للانسان ان يقرأ القرآن ويهديه لوالديه ولاقاربه خاصة ولا موات المسلمين عامة وهل تجوز القراءة من قرب وبعدا وعلى القبر خاصة

صحيفة	صحيفة
والتابون والائمة المجتهدون والسلف الصالحون ، وهل يجوز ان تستعمل في اثبات الاحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية ، وهل الاحكام الشرعية مفتقرة الى ذلك وما الواجب على من تابس بتعليمه وتعلمه واقرائه	٣١ مسألة رجل تصدق بصدقة التطوع على صلحاء علماء الامة وسبق الى الآخذ الأخدمن الله تعالى لامن معطى الصدقة فأيها افضل؟ القسم الثالث فيما يتعلق بالعقائد والاصول
٣٦ مسألة قول بعض المصنفين مستدلا على اثبات القياس بخوض الصحابة في حوادث حجة واختلافهم فيها	٣١ مسألة هل بلغ امام الحرمين والغزالي وابواسحاق درجة الاجتهاد في المذهب ام درجة الاجتهاد مطلقا وما الفرق بين الاجتهادين؟
٢٦ مسألة الامام ماثت امام المذهب جمع بين السنة والحديث	٣٢ مسألة كتاب من كتب اصول الفقه ليس فيه منطوق ولا فلسفة هل يجوز الاشتغال به
٢٦ مسألة هل الاسلام مخصوص بيده الامة ام يطلق على كل من آمن بنييه	٣٢ مسألة ما الفرق بين القياس والاستدلال
٣٧ مسألة فيمن يمتقدان في ملك الله تعالى ما لا يرضاه ولا يريد مسألة في ان الحروف التي في المصحف قديمة وما اعتقاد السلف في صفات الله كلها	٣٢ مسألة هل كان داود الظاهري صاحب المذهب بمن يعتد بمخلافه في انقاد الاجماع واقوال الائمة فيه
٣٨ مسألة في يزيد بن معاوية هل هو امر يقتل الحسين بن علي رضي الله عنهم وهل يجوز لمنه الفرق بين المبتدع والفاسق والغضب والنل	٣٤ مسألة هل يجوز لمن اتسب الى العلم والتصوف الاشتغال بتصنيف ابن سينا ومطالمة كتبه وهل كان ابن سينا من العلماء
٣٩ فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني رسالة الامام الاخضري في التصوف جوابهاون الرشيد	٣٤ مسألة فيمن اشتغل بالمنطق والفلسفة تعلمها وتعلمها وهل المنطق جملة وتفصيلا بما اباح الشارع تعلمه وتعليمه والصحابة
٥٧	

التحفة العراقية

٢١

الأعمال القليلة

للشيخ الامام العلامة خاتمة السلف وقدوة الخلف شيخ
الاسلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم
المشهور بابن نيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية

غيت بنشرها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها للمرة الأولى

إدارة الطباعة النيرتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم *

أما بعد فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من اصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكبتها وكل ما عجلان *

فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين، والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مأمور وفعل محذور . والمقتصد المؤدى الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين . واما بحسنات ما حية واما بمصائب مكفرة واما بغير ذلك وكل

من الصنفين المقتصدین والسابقين من اولياء الله الذين ذكرهم في كتابه (ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبيا والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخارى في صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب اليّ عبدي بمثل اداما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألتى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه وما ترددت عن شيء انا فاعل ترددى عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه» وأما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره. فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة الاسلام واهل السنة والجماعة الذين يقولون انه لا يدخل في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان. وأما القائلون بالتخليد كالحوارج والمعتزلة القائلون انه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وانه لا شفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب

وعقاب وحسنات وسيئات بل من أتىب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب ودلائل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع الامة كثير ليس هذا موضعه قد بسطناه في موضعه. وينبى على هذا امور كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقى فلا بد ان يكون معه من هذه الأعمال بقدر ايمانه وان كان له ذنوب كما رواه البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ان رجلا كان يسمي حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلده النبي صلى الله عليه وسلم فأتى به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلغنه فانه يحب الله ورسوله » فهذا بين ان المذنب بالشراب وغيره قد يكون محبا لله ورسوله وحب الله ورسوله أوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما في قلبه من بدعة ونفاق مسخوطا عند الله ورسوله من ذلك الوجه كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث على ابن ابي طالب وأبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الخوارج فقال « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم بقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين على بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح « تمرق مارقة على خير فرقتمن المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين » ولهذا قال ائمة المسلمين كسفيان الثورى ان البدعة احب الى إبليس من

المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب مادام يراه حسناً لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او انه ترك حسناً مأموراً به امر اجاب او امر استجاب ليتوب ويفعله فيما دام يري فعله حسناً وهو سيء في نفس الامر فانه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف اهل البدع والضلال وهذا يكون بان يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى (والذين اهتمدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (ولو انهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً واذلاً آتيناهم من لدنا اجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) الآية . وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة . وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاهلواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) الآية . وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقال تعالى (وأقسموا بالله جهدايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم بها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم)

- ١ - محمد ١٧
- ٢ - النساء ٩٦
- ٣ - الحديد ٢٨
- ٤ - البقرة ٢٥٧
- ٥ - المائدة ١٥ - ١٦
- ٦ - الصف ٥
- ٧ - البقرة ١٠
- ٨ - الأنعام ١٠٩ - ١١٠

الآية وهذا استفهام نفي وانكاراي وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ انها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جيران من ثواب الحسنة الحسنه بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البروان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فآخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق أصل يستلزم البروان الكذب يستلزم الفجور . وقد قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) ولهذا كان بعض المشائخ اذا امر متبعيه بالتوبة واحب ان لا ينفر ويتعب قلبه أمره بالصدق. ولهذا يكثر في كلام مشائخ الدين وائمة ذكر الصدق والاخلاص حتى يقولون قل لمن لا يصدق لا يتبعني ويقولون الصدق سيف الله في الارض ما وضع على شىء الا قطعته ويقول يوسف بن اسباط وغيره ما صدق الله عبد الا صنع له وأمثال هذا كثير. والصدق والاخلاص هما تحقيق الايمان والاسلام فان المظهرين الاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق كما في قوله (قالت الأعراب آمنوا ولكن لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).
وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم
الصادقون) فأخبر ان الصادقين في دعوى الايمان هم المؤمنون الذين
لم يتعقب ايمانهم به وجاهدوا في سبيله باموالهم وأنفسهم وذلك ان هذا
هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى (واذا أخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم
إصري) الآية. قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن
بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على
أمة ليؤمنن به ولينصرنه. وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه
بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله
قوى عزيز) فذكر تعالى انه انزل الكتاب والميزان وانه انزل الحديد لاجل
القيام بالقسط وليعلم الله من ينصره ورسوله ولهذا كان قوام الدين بكتاب
يهدى وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وان
اشتركا في الانزال فلا يمنع ان يكون احدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر
من حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم) وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
خبير) وقال (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) والحديد أنزل
من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذي

١ - الحجرات ١٥

٢ - الحشر ٨

٣ - آل عمران ٨١

٤ - الحديد ٢٥

٥ - الزمر ١

٦ - هود ١

٧ - النمل ٦

هو جماع الدين في قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين) الى قوله (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) واما المنافقون فوصفهم بالكذب في آيات متعددة لقوله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب عذاب اليم بما كانوا يكذبون) وقوله (اذا جاءك المنافقون قال نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) ونحو ذلك من القرآن كثير *

ومما ينبغي أن يعرف ان الصدق والتصديق يكون في الأقوال والاعمال كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لاحالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والقلب يتمى وبشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه » ويقال حملوا على العدو حمله صادقت اذا كان ارادتهم القتال ثابتة صادقة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك . ولهذا يريد بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذي يكون كاذباً في خبره أو كاذباً في عمله كالمرائي في عمله . قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس) الآيتين ❊

وأما الاخلاص فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام

- ١ - البقرة ١٧٧
- ٢ - البقرة ١٠
- ٣ - المنافقون ١
- ٤ - التوبة ٧٧
- ٥ - النساء ١٤٢

لله لا لغيره كما قال تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان) الآية . فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الاسلام والاسلام ضد انشرك والكبر . وذلك في القرآن كثير . ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً سواه كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) وهذا الذي ذكرنا مما بين ان أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والاعمال وان الاعمال الظاهرة لاتنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه احمد في مسنده « الاسلام علانية والايمان في القلب » ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحلال بين وبين ذلك أمور مشتهيات لا يعلمن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لفرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمى الاوان حمى الله محارمه الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد وهي القلب » وعن ابى هريرة قال « القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث خبث جنوده »

فصل

وهذه الاعمال الباطنة كحجة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضاعنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامه لا يكون تركها محمودا في حال واحد وان ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد هي عنه في مواضع وان تعلق امر الدين به كقوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا واتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) وقوله (ولا تحزن عليهم ولانك في ضيق مما يمكرون) وقوله (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وقوله (ولا يحزنك قولهم) وقوله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وأمثال ذلك كثيرة. وذلك انه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالافائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا ياتم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب» ومنه قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبنفس الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الضبر والجهاد و جلب منفعة ودفع مضرة منهي عنها والا كان حسب صاحبه رفع الائم عنه من

١ - آل عمران ٣٩

٢ - النحل ١٣٧

٣ - التوبة ٤٠

٤ - يونس ٦٥

٥ - الحديد ٢٣

جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله
ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة
أخرى . واما المحبة والتوكل والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير
محض وهى حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد
غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها
مؤمن قط واما يخرج عنها كافر ومنافق . وقد تكلم بعضهم بكلام بين غلط
فيه (١) وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه
ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فللخاصة
خاصها وللعامة عامها مثال ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكل مناضلة
عن النفس في طلب القوت والخاص لا يناضل عن نفسه وقالوا المتوكل
يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الامور بفروعها منها
فلا يطلب شيئا فيقال اما الأول فان التوكل اعم من المتوكل في مصالح
الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه
وارادته وهذا اهم الامور اليه ولهذا يناجى ربه في كل صلاة بقوله
(اياك نعبد و اياك نستعين) كما في قوله (فاعبده وتوكل عليه)
وقوله (عليه توكلت و اليه انيب) فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في
عدة مواضع لان هذين بجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من
السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل
وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله

(١) هكذا الاصل فليأمل فيه والمعنى من حيث هو ظاهر

١ - الفاتحة ٤

٢ - هود ١٢٢

٣ - هود ٨٨

(اياك نعبد واياك نستعين) وهاتان الكلمتان الجامعتان اللتان للرب والعبد كما في الحديث الصحيح الذي في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهو لاء لعبدي ولعبدي ما سأل » فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فايك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه قال (كنت رديفا للنبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به » والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبه ورضاه كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الحب لله ونهايته فالحب الخلى عن ذل والذل الخلى عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العباد

لا تصلح الا لله وهى وان كانت منفعتها للعبد والله غنى عنها فهمى له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقدر لراحته عليها طعامه وشرابه في الارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحتله وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطانها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كاللحاء والمسئلة. وقد روى الطبرانى في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التي هى لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التي بينى وبينك فنك الدعاء وعلى الاجابة واما التي بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب أن يأتوا اليك وكون هذا لله وهذا للعبد هو اعتبار تعلق المحبة والرضاء ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد ما يراه مملأنا له والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه ووجه الوسيلة تبعاً لذلك والافكل ما مور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك محبة الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به الاحظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية أعظم. وأيضاً التوكل في الامور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو

فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله كما أن الورع المشروع هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات فإمامنا ينفع في الدار الآخرة بنفسه أو على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) كما إن الاشتغال بفضول المباحة هو ضد الزهد المشروع فإن اشتغل بها عن واجب أو فعل محرم كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقرين إلى درجة المقتصدين وأيضا فالتوكل هو محبوب لله مرضى مأمور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتصدين دون المقرين فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم المتوكل لا يطلب حظوظه ❦

وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء أنه لا حاجة إليه لأن المطلوب إن كان مقدرًا فلا حاجة إليه وإن لم يكن مقدرًا لم ينفع وهذا القول من أفسد الأقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة وإن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وإن كان قاله طائفة من المشائخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء إنما هو عبادة محضة فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا إن كون الأمور مقدرًا مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرًا أيضا نكون من العبد ولم يعلموا إن الله سبحانه يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم

يوجب تعطيل الاعمال بالكفاية وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن
 هذا مرات فأجاب عنه كما أخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال
 « قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار
 قال نعم قالوا فقيم العمل قال كل ميسر لما خلق له » وفي الصحيحين
 عن علي بن ابي طالب قال « كما في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جلس ومعه محضرة فجعل ينكت بالمحضرة في الارض ثم رفع
 رأسه وقال ما من نفس منقوسة الا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة
 الا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يا نبي الله
 افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من اهل السعادة ليكون
 الى السعادة ومن كان من اهل الشقاوة ليكون الى الشقاوة قال اعملوا
 فكل ميسر لما خلق لها أما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل
 الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
 (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من
 بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أخرجه الجماعة في
 الصحاح والسنن والمسند . وروى الترمذي « أن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى
 نسترقى بها وتقى تنقيها أترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله »
 وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث
 فيبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي
 لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال
 السيئة فانه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم

أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقى يشقى بالأعمال السيئة فمن كان سعيداً ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضى السعادة ومن كان شقيماً ييسر للأعمال السيئة التي تقتضى الشقاوة كلاهما ميسر لما خفف له وهو ما بصير اليه من مشيئة الله العامة المونسية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمر بموجبياتها فذلك مذكورة في قوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والأمر والارادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو ديني موافقة لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي وما هو كونى موافق لمشيئته الكونية مثال ذلك انه قال في الأمر الديني (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى) وقال تعالى (ان الله بأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) ونحو ذلك. وقال في الكونى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكذلك قوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقال في الارادات الكونية (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال (من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام (ولا ينفعكم

- ١ - هود ١١٨ - ١١٩
 ٢ - الذاريات ٥٦
 ٣ - النمل ٩٠
 ٤ - النساء ٥٨
 ٥ - يس ٨٢
 ٦ - الاسراء ١٦
 ٧ - البقرة ١٨٥
 ٨ - النساء ٣٦
 ٩ - المائدة ٦
 ١٠ - البقرة ٢٥٢
 ١١ - الأنعام ١٢٥

نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يعوِّبكم) وقال (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقال في الاذن الديني (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله) وقال في الكوني (وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله) وقال في القضاء الديني (وقضى ربك الا تعبدوا الاياه) أى أمر. وقال في الكوني (فقضاهن سبع سموات في يومين) وقال في الحكم الديني (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما بتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد) وقال (ذلكم حكم الله بحكم بينكم) وقال في الكوني عن ابن يعقوب (فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين) وقال (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) وقال في التحريم الديني (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم) الآية ١٠ وقال في التحريم الكوني (فانها محرمة عليهم أربعين سنة تتيهون في الارض) وقال في الكلمات الدينية (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمن) وقال في الكونية (وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي اسرائيل بما صبروا) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر» ومن المعلوم أن هذا هو الكوني الذي لا يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه وأما الكلمات الدينية فقد خالفها الكفار بمعصيته

والمقصود هنا أنه صلى الله عليه وسلم بين أن العواقب التي خلق لها الناس سعادة وشقاوة يسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك

(م ٣ تحفة)

- ١ - هود ٢٤
- ٢ - يس ٨٢
- ٣ - الخشر ٥
- ٤ - البقرة ١٠٢
- ٥ - الاسراء ٢٣
- ٦ - فصلت ١٢
- ٧ - المائدة ١
- ٨ - الممتحنة ١٠
- ٩ - يوسف ٨٠
- ١٠ - الانبياء ١١٢
- ١١ - المائدة ٣
- ١٢ - النساء ٢٣
- ١٣ - المائدة ٢٦
- ١٤ - البقرة ١٢٤
- ١٥ - الاعراف ١٣٧

كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه خلق الولد وسائر الحيوان في الإرحام بما يقدره من اجتماع الأبوين على النكاح واجتماع المائتين في الرحم فلو قال الانسان أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فإن كان قد قضى بولده والام يوجد ولا حاجة الى وطءه كان أحق بخلاف ما إذا وطى وعزل الماء فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاء الله إذ قد يخرج به واختياره وقد ثبت في الصحيح عن أبي سبيد الحدرى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فاصبنا سرايا من العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عليكم إلا تفضلوا فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة» وفي صحيح مسلم عن جابر «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها» وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير أبوين كما خلق آدم ومن خلقه من أم فقط كما خلق جوارح من ضلع آدم القصير ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة وهذا الموضوع وإن كان إنما يجحد الزنادقة المطلقون للشرائع فقد وقع في كثير من (١) وكثير من المشائخ العظميين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به وهي عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل وتجري مع الحقيقة القدرية وبحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع الله

كالميت بين يدي الناس يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذي يفرق به بين ما أمر الله به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور » وأمثال ذلك حتى يفضى الأمر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوي الالهي الفرقاني الشرعي الذي دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجوه من الأحوال التي تجرى على أيدي الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله وقدره وربوبيته واراادته العامة وأنه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الديني وأهل المعصية الذين عصوا هذا الأمر ويشهدون في ذلك بكلمات جملة نقلت عن بعض الأشياخ أو بعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل ارادة الذين يريدون وجهه

١ - الجاهلية ٢١

٢ - القلم ٣٥ - ٣٦

٣ - ص ٢٨

٤ - الزمير ١

٥ - فاطر ١٩ - ٢٢

فانه قد دخل بسبب اهل ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من اهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من اهل العلو في الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها في ذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبباً لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني وبعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم بكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يبيبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاته اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاءهم اولياء الله الذين قال الله فيهم (الان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فان كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتصدین وان كانوا موافقين فيما اوجبه واجبه فهم من المقرين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبغى الله به عبده من الشر بنخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولا هو انه عليه بل قد يسعد بها اقوام اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما

اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا) ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة أقسام . قسم ترتفع درجاتهم بمخرق العادة اذا استعملوها في مطاعة . وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوه في معصية الله كبلعام وغيره . وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذى انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله اولحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذى ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» وفي سنن أبى داود «أن رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبى الله ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل» فأمر النبى صلى الله عليه عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله (اياك نعبد و اياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح: قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث

الصحيح لسعد « انك لن تفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا زددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذي ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمن بفعله فان ذلك بنافي القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينافي القدرة المقدمة التي هي مناط الامر والنهي فان الاستطاعة التي توجب الفعل وتكون مقارنة له لا تصلح الالمقدورها كما ذكرها في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) وقوله (وكانوا لا يستطيعون سماعا) وأما الاستطاعة التي يتعلق بها الامر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن كما في قوله (والله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر « أن صل قائما فان لم تستطع فقايدا فان لم تستطع فعلى جنبك »

فهذا الموضوع قد انقسم الناس فيه على أربعة أقسام قوم ينظرون الى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالوهيته سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظروا إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفهمة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله واشعاره يغلب عليهم الضعف والعجز والحذلان والاستعانة بالله والتوكل عليه واللجاء اليه والدعاء له هي التي تقوى العبدوتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته في التوراة انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزلا من اللامين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ

١ - هود ٢٠

٢ - الكهف ١٠١

٣ - آل عمران ١٧

ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويغفر ولن أقبضه حتي أقيم به الملة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا اله الا الله، ولهذا روى أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله. وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم «إنها كنز من كنوز الجنة» قال تعالى (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الي قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس في قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل حين القى في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم

وقسم ثمان بشهدون ربوية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين الي حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبه وهذا حال كثير من المتفكرة والمتصوفة ولهذا كثير اما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته فيعودون الي تعطيل الامر والنهي ويسعون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة الأمرية الدينية هي التي تحوى مرضات الرب ومحبه وأمره ونهيه ظاهر او باطنا وهؤلاء كثير اما يسلبون أحوالهم وقد يعودون الي نوع من المعاصي والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه ناراً من بدعة

يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ما ذم به
المشركين في سورة الانعام ذكر ما ابتدعوه في الدين وجعلوه شرعة
كما قال تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) وقد فهم على ان حرموا ما لم يحرمه الله
وان شرعوا ما لم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله (لو شاء
الله ما اشركنا ولا ابائونا ولا حرهنا من شيء) ونظيرها في النحل ويس
والزخرف وهو (ء يكون فيهم شبهة في هذا وهذا)

وأما القسم الثالث وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به
فهؤلاء شر الاقسام

والقسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد
واياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) فاستعانوا به على طاعته
وشهدوا انه المهم الذي لا يجوز ان يعبد الاياه وطاعة رسوله وانهم
الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وانه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) قل افرأيت ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته)
ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد، ومحو
الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية
قدح في الشرع وانما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل
والشرع فقد بين ان من ظن التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد
غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشايخ كصاحب علل المقامات

- ١ - الاعراف ٢٨
- ٢ - الأنعام ١٤٨
- ٣ - الفاتحة ٤
- ٤ - هود ١٢٢
- ٥ - فاطر ٢
- ٦ - يونس ١٠٧
- ٧ - الزمر ٢٨

وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وأظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لافائدة له في تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك كمن اشتغل بالتوكل على ما يجب عليه من الأسباب التي هي عبادة الله وطاعة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب المأمور بها التي هي داخله في قوله (فاعبهه وتوكل عليه) كغلط الاول في ترك التوكل المأمور به الذي هو داخل في قوله (فاعبهه وتوكل عليه) لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة . قال الله تعالى (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال تعالى (ان ينصرم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصرمكم من بعده) وقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الى قوله (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبي الله في جلب المنفعة تارة وفي دفع المضرة أخرى فالاولى قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية. والثانية قوله «الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وفي قوله (م : التحفة)

١ - هود ١٢٢

- يونس ٨٤

- آل عمران ١٦٠

- آل عمران ١٢٢

- الزمر ٢٨

- الزمر ٢٨

- التوبة ٥٩

- آل عمران ١٧٢

وان يريدوا أن نخدموك فإن حسبك الله) وقوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضاء والتوكل يكتفان المقذور فالتوكل قبل وقوعه والرضاء بعد وقوعه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك ظمئة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع اللهم اني أسألك الرضاء بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقاتك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» رواه احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر* وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لاحقيقة للرضا ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد أمر أيتموه وأنتم تنظرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أي الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية أو يقدم على بلد فيه طاعون

كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة فانك إن اعطيتها عن مسألة وطلت اليها وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال في الطاعون « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وثبت في الصحيحين أنه قال « لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ولكن اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » وأمثال ذلك مما يقتضى أن الانسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء فيبخل بالوفاء كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهداً على أمور . وغالب هؤلاء يتلون بنقض العهود . وينبغي أن الانسان اذا ابتلى فعليه أن يصبر ويثبت ولا يكمل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات . ولا بد في جميع ذلك من الصبر . ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات . ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يخرج ، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه . وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾ وقوله (واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل) الى قوله (واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح

١ - البقرة ٤٥

٢ - البقرة ١٥٢

٣ - هود ١١٤

٤ - هود ١١٥

محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﷺ فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك) الآية . وجعل الامامة في الدين موروثه عن الصبر
واليقين بقوله (وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون) فان الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لا بد فيه من الصبر بل
وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه
لله عبادة ومعرفة خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة
ومذاكرته تسييح به يعرف الله ويعبد به يعجد ويوحد يرفع الله بالعلم
اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم . فجعل
البحث عن العلم من الجهاد ولا بد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى
(والعصران الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا
بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق
ويعقوب اولى الايدي والابصار) فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل
بالحق هو الرشاد وضد الاول هو الضلال وضد الثاني هو الغي والضلال
العمل بغير علم والغي اتباع الهوى . قال تعالى (والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى) فلا ينال الهدى الا بالعلم ولا ينال الرشاد الا بالصبر
ولهذا قال على الان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع
الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال الا لايمان لمن لا صبر له ﷺ

١ - طه ١٣٠

٢ - غافر ٥٥

٣ - السجدة ٢٤

٤ - العصر ١ - ٣

٥ - ص ٤٥

٦ - النجم ١ - ٢

واما الرضا فقد تنازع العلماء والمشائخ من اصحاب الامام احمد
وغيرهم في الرضا بالقضاء هل هو واجب او مستحب على قولين فعلى
الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثاني يكون من اعمال المقربين
قال عمر بن عبد العزيز الرضا عزيز ولكن معول المؤمن . وقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس « ان استطعت ان تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . ولهذا لم يجيء في القرآن الا مدح الراضين لا يجاب ذلك وهذا في الرضا فيما يفعله الرب بعبد من المصائب كالمرض والفقر والزوال كما قال تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) فالبأساء في الاموال والضراء في الابدان والزلال في القلوب . وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وهو من توابع المحبة كما سنذكره ان شاء الله تعالى . وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) الآية . وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) ومن النوع الأول ما رواه احمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من سعادته ان يرضى بما قسم الله له ورضاه بما قسم الله له . ومن شقاوته ان يترك ما قسم الله له وسخطه بما يقسم الله له » وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها اذ

١ - البقرة ١٧٧

٢ - البقرة ٢١٤

٣ - النساء ٦٥

٤ - التوبة ٥٩

٥ - محمد ٢٨

٦ - التوبة ٥٤

هي كما لا تشرع محبتها فان الله سبحانه لا يرضاه ولا يحبها وان كان قدرها وقضاها كما قال سبحانه (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) بل يسخطها كما قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة الى الله خلقاً وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد فعلا وكسباً . وهذا لا ينافي الذي قبله بل هما يعودان الى أصل واحد وهو سبحانه قدر الاشياء لحكمة فهي لا اعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة . اذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح « ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » وأما من قال بالرضاء بالقضاء الذي هو وصف الله وفعله لا بالمقتضى الذي هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام . فان الكلام ليس بالرضاء فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله وإنما الكلام في الرضاء بمفعولاته ، والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضوع . والرضاء وان كان من أعمال القلوب فكأله هو الحمد ، حتى أن بعضهم فسر الحمد بالرضاء . ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن بمقتضياته . وفي الحديث « أول من يدعى الى الجنة الحمدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان اذا اتاه الامر يسره قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا اتاه الامر الذي يسوءه قال الحمد لله على كل حال » وفي مسند

١ - البقرة ٢٠٥

٢ - الزمر ٧

٣ - محمد ٢٨

الامام احمد عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا قبض ولد العبد يقول الله ملائكته أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجعك فيقول ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ونبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد ، وأمتهم الحمدون الذين يحمدون الله على السراء والضراء . والرضا والحمد على الضراء يوجه شاهدان . أحدهما علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه فانه أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم . والثاني علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذي نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له » فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له . قال تعالى (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وذكرها في أربعة مواضع من كتابه . فأما من لا يصبر على البلاء ، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له . ولهذا أجت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصي بجوابين : أحدهما : ان هذا انما يتناول ما أصاب العبد لامأفعله العبد كما في قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله) أى من سراء (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى من ضراء . وكقوله (وبلوناهم

بالحسنيات والسيئات لعلهم يرجعون) أي بالسراء والضراء كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال (ان تمسكم حسنة نسوهم وان تصبم سيئة يفرحوا بها) يراد بها المسار والمضار ، ويراد بها الطاعات والمعاصي . والجواب الثاني أن هذا في حق المؤمن الصبار الشكور . والذنوب تنقص الايمان ، فاذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة . قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة . وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأعمال بالحوائم » والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبته تندفع عنه بعشرة أسباب . أن يتوب فيتوب الله عليه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنة تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويشفعون له حياً وميتاً ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به ، أو يشفع فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يتليه في الدنيا مصائب تكفر عنه . أو يتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ؛ أو يتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه ؛ أو يرحمه أرحم الراحمين فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله « يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله

١ - الاعراف ١٦٨

٢ - الأنبياء ٣٥

٣ - آل عمران ١٢٠

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه ، فان كان المؤمن يعلم أن القضاء خير اذا كان صباراً شكوراً وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قدر رضى بما هو خير له . وفي الحديث الصحيح عن علي قال « ان الله يقضى بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا أكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر م اذا كان القضاء مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث « المصاب من حرم الثواب » فالأثر الذي رواه الشافعي في مسنده « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلوا يقول يا اباي رسول الله أن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فتقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب) ولهذا لم تؤمر بالحزن المنافي للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعني عنه اذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا يناهى الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا تعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال « ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » وان هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت ان الله قضى فأحييت أن أرى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة الى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا (م - التحفة الراقية)

بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكل . قال تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة

والناس أربعة أقسام . منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس . وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من نواجع المحبة له وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثاني وهو الرضا لعمله بأن المقضى خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه أن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد له على ما يستحقه بنفسه وحمد على احسانه لعبده فالنوعان للرضا كالتوعين للمحبة . وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (١)

وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول ❦

فصل

محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أصوله وأجل قواعده بل هي كل عمل من أعمال الايمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الثبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذا العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً بل جميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن محبة الله فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى أنا أعنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً

استأذنا الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثارتك على أعراض الدنيا ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله «وجدت أي أصاب فلذلك اكتفى بفعال واحد وهو قوله حلاوة الايمان . ومضى أنقذه الله خالصه ونجاه ❦ والحكمة في كون حلاوة الايمان في هذه الاشياء الثلاثة أن هذه الامور هي عنوان كمال الايمان المحصل لتلك اللذة لانه لا يتم ايمان امرئ حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا معطى ولا مانع سواه وما عداه تعالى وسائط لا نفع له ولا ضرر . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الشفوق العطوف الساعى في صلاح شأنه وذلك يقتضى أن يتوجه بكلية نحوه ولا يجب ما يجبه الا لكونه وسطاً بينه وبين الله تعالى وأن يتيقن أن جملة ما أوعدو وعد حق يتقنا نخيل اليه الموعود كالواقع نسأل الله التوفيق والهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين . والله أعلم

فأشرك فيه غيري فانا منه برىء وهو كله للذي أشرك) وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار « القارىء المرائى والمجاهد المرائى والمتصدق المرائى » بل اخلاص الدين لله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فهو الذى بعث به الاولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب وانفق عليه أئمة أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) (ألا لله الدين الخالص) والسورة كلها عامتها في هذا المعنى في قوله (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى) الى قوله (أليس الله بكاف عبدهم وخوفونك بالذين من دونه) الى قوله (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) الآية. الى قوله (أم اتخنون من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قابوس الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) الى قوله (قل أفتغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) الى قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وأبليس أنقال (فبغزتك لاغونهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على

١ - الزمر ١

٢ - الزمر ٢

٣ - الزمر ٣

٤ - الزمر ١١ - ١٢

٥ - الزمر ١٤

٦ - الزمر ٣٦

٧ - الزمر ٢٨

٨ - الزمر ٤٣ - ٤٤

٩ - الزمر ٤٥

١٠ - الزمر ٦٤

١١ - الزمر ٦٦

١٢ - ص ٨٣

١٣ - الحجر ١٣

الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فيين أن سلطان الشيطان
 واغواؤه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف (كذلك
 لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وأتباع الشيطان
 هم أصحاب النار كما قال تعالى (لاملائن جهنم منك ومن تبعك منهم
 أجمعين) وقد قال سبحانه (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
 ذلك لمن يشاء) وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك
 وقبل ما سواه بالمسيئة فانه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه وما دونه يغفره
 لمن يشاء. وأما قوله (قل يا عبادي الدين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
 من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فتلك في حق التائبين ولهذا
 عم وأطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد أخبر سبحانه
 أن الاولين والآخرين انما أمروا بذلك في غير موضع كالسورة التي
 قرأها النبي صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يقرأ عليه قراءةً بلاغاً وسماع
 خصوصه فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما
 جاءتهم الينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء) الآية
 وهذا حقيقة قول لاله الا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى (وما
 أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال
 (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
 يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت) وجميع الأنبياء افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح
 عليه السلام «اعبدوا الله ما لكم من اله غيره» وكذلك هود وصالح
 وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل بقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

١ - النحل ٩٩ - ١٠٠
 ٢ - يوسف ٢٤
 ٣ - ص ٨٥
 ٤ - النساء ١١٦
 ٥ - الزمر ٥٣
 ٦ - البينة ٤ - ٥
 ٧ - الأنبياء ٢٥
 ٨ - الزخرف ٤٥
 ٩ - النحل ٣٦
 ١٠ - الاعراف ٥٩

لاسيما أفضل الرسل الذين آخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهما
 السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه وأنشده بهما فإبراهيم
 هو الامام الذي قال الله فيه « انى جاعلك للناس إماما » وفي ذريته جعل
 النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك
 الله عليهم قال سبحانه « واذ قال ابراهيم لايه وقومه اتى براءماتعبدون
 الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)
 فهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا
 من الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب يس (ومالى لأعبد الذى فطرني
 واليه ترجعون) آخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني
 شفاعتهم شيئا ولا ينقذون » وقال تعالى في قصته بعد أن ذكر ما بين
 ضلال من آخذ بعض الكواكب ربا يعبد من دون الله قال « فلما أفلت
 قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر
 السموات والارض خيفا وما أنا من المشركين » الى قوله (ولا تخافون
 انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) وقال ابراهيم الخليل عليه
 السلام (أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون فانهم عدوى
 الارب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقيني
 واذا مرضت فهو يشفين) وقوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم
 والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله
 كفرنا بكم) الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أقام الله به الدين
 الحالى لله دين التوحيد ووقع به المشركين من كان مشركا
 في الاصل من الذين كفروا من أهل الكتب وقال صلى الله عليه وسلم

- ١ - البقرة ١٢٤
- ٢ - الزخرف ٢٦
- ٣ - يس ٢٢ - ٢٣
- ٤ - الأنعام ٧٨ - ٧٩
- ٥ - الأنعام ٨١
- ٦ - الشعراء ٧٥
- ٧ - المتحنة ٤

فيما رواه الامام وغيره (١) « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » وقد تقدم بعض ما انزل الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقال تعالى (والصفات صفا) الى قوله (ان الهكم لواحد) الى قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لنتال شاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الى قوله (اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون) الى ما ذكره من قصص الانبياء في التوحيد واخلاص الدين لله الى قوله (سبحان الله عما يصفون الاعباد الله المحلصين) وقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) وفي الجملة فهذا الأصل في سورة الأنعام والأعراف والنور وطسم وحم وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية وكثير من السور المدنية كثير ظاهر فهو اصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد . وهاتان السورتان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتي التطوع كركعتي الطواف وسنة الفجر وهما متضمنتان للتوحيد فاما قل يا أيها الكافرون فهي متضمنة للتوحيد العملي الارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا . وأما سورة قل هو الله احد فمتضمنة للتوحيد القولي العملي كما ثبت في الصحيحين عن عائشة ان رجلا كان

١ - الصفات ١

٢ - الصفات ٤

٣ - الصفات ٣٥ - ٣٧

٤ - الصفات ٤١ - ٤٢

٥ - الصفات ١٥٩ - ١٦٠

٦ - النساء ١٤٥ - ١٤٦

(١) الحديث رواه الامام احمد في مسنده وابو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن عمر

يقراً قل هو الله احد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لانها صفة الرحمن فانا احبها فقال اخبروه ان الله يحبه، ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذي جاء بنى قول أهل التعطيل واهل التمثيل ما صارت به هي الاصل المعتمد في مسائل الذات كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وذكرنا اعتماد الائمة عليها على ما تضمنته في تفسير الأحد كما جاء تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملي وهو إخلاص الدين لله وان كان احد التوعين مرتباً بالآخر فلا يوجد احد من أهل التعطيل الجهمية واهل التمثيل المشبهة الا وفيه نوع من الشرك العملي اذا صل قورهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين خلقه او بينه وبين المدومات كما يسوى المعطلة بينه وبين المدومات في الصفات السلبية التي لا تستلزم مدحا ولا ثبوت كمال أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات النقص وكما يثبتون اذا اثبتوا هم^(١) ومن ضاهاهم من الممثلة مساواة بينه وبين المخلوقات في حقائقها حتي يعبدوها فيعدلون عن ربهم ويجعلون له أندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين واليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقص التي يجب تنزيهه عنها وهي من صفات خلقه والنصارى يعدلون المخلوق بالخالق حتي جعلوا في المخلوق من نعوت الربوبية وصفات الالهية ويجوزون له مالا يصلح الا للخالق سبحانه وتعالى عما

(١) هكذا الاصل تاثير

يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالانابة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، وفي هذه الامة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لتبتعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن، (١) والحديث في الصحيحين فاذا كان أصل العمل الديني هو اخلاص الدين لله وهو ارادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة لكن أكثر ما جاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحسوب الذي لا يعظم ولا يبذل له لا يكون معبودا والمعظم الذي لا يعظم لا يكون معبوداً ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

(١) السنن بفتح السين السيل والمنهاج وروى بعضها . والقذة جمعها قذ ريش السهم أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع يضرب مثلا للشيتين يستويان ولا يتفاوتان . والجحر بضم الجيم كل شيء يحفره الهوام والسباع لانفسها . والغيب هودوية . وتخصيص جحر الضب بالذكر لشدة ضيقه وردائه ومع ذلك فانهم لا يقفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوه على ذلك وانظر ما بلغ هذا التشبيه والتشيل . وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فتجد أكثر المسلمين المنهكين في شهوات فروجهم وبطونهم لا يتلذذون الا اذا قلوا الاجنبى في كل فعل قبيح وعمل مضر . وقوله فمن، هو بفتح الفاء والميم وسكون النون استفهام على وجه الانكار أي ليس المراد غيرهم والله أعلم

أشد حبا لله) منهم ومن آباءهم لان المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم وان المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم ان ذلك أفضل . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا) الآية . واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره فلماذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والانابة اليه والتقبل له ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين ان محبته أصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكاملها ونقصه بنقصها فان النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » فاخبر ان الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه . وقد قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) الى قوله (أجر عظيم) والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت انه أفضل ما تطوع به العبد . والجهاد لازم المحبة الكاملة . قال تعالى (قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) الآية . وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين (يا أيها الذين آمنوا من يرئد مثكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فان المحبة مستلزمة للجهاد ولان المحب يحب

- ١ - البقرة ١٦٥
- ٢ - الزمر ٢٩
- ٣ - التوبة ١٩
- ٤ - التوبة ٢٢
- ٥ - التوبة ٢٤
- ٦ - المائدة ٥٤

وقد يقال انه اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد النوعين فان ذلك ممتنع
والقاتل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنسك كالحلاجية
ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شئ بعينه . وأما الاتحاد المطلق الذي
هو قول أهل وحدة الوجود والذين يزعمون ان وجود المخلوق هو
عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحوده وهو جامع لكل
شرك فكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون
بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شئ
وهم الجهمية الذين يقولون ان ذات الله في كل مكان . وقد
يقع لبعض المعطلين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه
وحبه ويغيب بمدكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن
وجوده حتى لا يشهد الا بمحبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله
وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع في اليم فالقي الحب نفسه
خلفه فقال أنا وقعت فانت ما الذي أوقعك فقال غبت بك عنى فظننت
انك أنا فلا ريب ان هذا خطأ وضلال لكن ان كان هذا لقوة المحبة
والذكر من غير أن يحصل عن سبب محذور زال به عقله كان معذورا
في زواله فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال
التي زال فيها عقله بغير سبب محذور كما قيل في عقلاء المجانية انهم قوم
آتاهم الله عقولا وأحوالاً فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم وأسقط ما
فرض بما سلب وأما اذا كان السبب الذي به زوال العقل محظورا لم يكن
السكران معذورا وان كان لا يحكم بكفره في أصح القولين كما لا يقع
طلاقه في أصح القولين وان كان الزرع في (١) مشهور قد بسطنا

الكلام في هذا وفيمن يسلم له حاله ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالغناء الذي يفضى بصاحبه الى مثل هذا حال ناقص وان كان صاحبه غير مكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لهؤلاء في صقع موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة تامة موافقة لمحبة المحبوب في محبوبه ومكروهه في هذه الأمة وولايته وعداوته فمن المعلوم ان من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض اعداءه ولا بد ان يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى (ان الله يبذنب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) والمحبة التامة لا يؤثر فيه لوم اللائم وعند العاقل بل ذلك يعرفه بملازمة المحبة كما قدأكثر الشعراء في ذلك وهو لأمهم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان الملام على ذلك كثير واما الملام على فعل ما بكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم يحق بحق وليس من ذلك المحمود الصر على هذا الملام بل الرجوع الى الحق خير من التهادي في الباطل وبهذا يحصل الفرق بين الملامة على ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك ❦

فصل

واذا كانت المحبة اصل كل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه

والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب. قال تعالى (أولئك الذين يدعون
 يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه)
 الآية . وقال (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
 أولئك يرجون رحمة الله) ورحمته اسم جامع لسكل خير . وعذابه اسم
 لسكل شر . ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ودار العذاب الخالص هي النار
 وأما الدنيا فدار استدراج فالرجاء وان تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم
 جامع لكل نعيم وأعلاه الظر الى وجه الله كما في صحيح مسلم عن عبد
 الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
 دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد
 ان ينجزكموه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا ألم تنقل موازيننا وتدخلنا
 الجنة وتتجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فمأعطاهم
 شيئاً أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ومن هنا يتبين زوال الاشتباه
 في قول من قال ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك
 شوقا الى رؤيتك فان هذا القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل
 في مساهمها الا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسمع ونحو ذلك مما فيه
 التمتع بالمخلوقات كما يوافق على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية أو
 من يقربها ويزعم انه لا يتمتع في نفس رؤية الله كما يقوله طائفة من المتفهمة
 فهؤلاء متفقون على ان مسمى الجنة والآخرة لا يدخل فيه الا التمتع
 بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشائخ لما سمع قوله (منكم من يريد
 الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) قال فأين من يريد الله وقال آخر (ان الله اشترى
 من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) قال اذا كانت النفوس والاموال

١ - الاسراء ٥٧

٢ - البقرة ٢١٨

٣ - آل عمران ١٥٢

٤ - التوبة ١١١

بالجنة فإين الناظر ون اليه وكل هذا الظنهم ان الجنة لا يدخل فيها النظر والتحقيق ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار وانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن هذا قائل القول اذا كان عارفاً بما يقول فإنا قصده انك لو لم تخلق ناراً او تخلق جنة لكان يجب ان تعبد وبجب التقرب اليك كما قال عمر رضى الله عنه نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه أى هو لم يعصه ولو لم يخفه فان اجلاله واكرامه لله يمنع من معصيته. والراجى الخائف اذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتعم بتجليه فمعلوم ان هذا من أنواع محبته له فالمحبة هي اوجبت محبته بالتجلى والخوف من الاحتجاب . وان تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة الله محبته لله وحدها أحلى من كل محبة ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما في الحديث ان أهل الجنة يلهمون التسبيح كما تلهمون وهو يبين غاية نفعهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه الى محبة الله التي هي الاصل وهذا كله ينبنى على اصل المحبة فيقال قد نطق الكتاب والسنة بمحبة العباد المؤمنين كما في قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره ان يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن بلقي في

النار، بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت بمحبة الله كما في قوله (أحب إليكم من الله ورسوله) وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال «والله يا رسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله لانت أحب الى من نفسي، وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الانصار» وقال «لا يبغيض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» وقال على رضى الله عنه «انه لهدى النبي الامى الى ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغيضني الا منافق» وفي السنن انه قال للعباس «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبونكم لله ولقرابتي» يعنى بنى هاشم وقدروى حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال «احبوا الله لما يفتنوكم به من نعمه وأحبوني محب الله وأحبوا اهل بيتي لاجلي^(١)»

وأما محبة الرب لعبده فقال تعالى (وأتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (بلى من أوفى بعهده وأتقى فان الله يحب المتقين) وأما محبة الاعمال التي يحبها الله

(١) الحديث رواه الترمذى والحاكم

- ١ - التوبة ٢٤
- ٢ - النساء ١٢٥
- ٣ - المائدة ٥٤
- ٤ - البقرة ١٩٥
- ٥ - الحجرات ٩
- ٦ - التوبة ٤
- ٧ - التوبة ٧
- ٨ - الصف ٤
- ٩ - آل عمران ٧

الواجب والمستحبات الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة وكذلك جهنم
 لله وهم المؤمنون أولياء الله المتقون وهذه العجة كما نطق بها الكتاب والسنة
 والذي عليه سلف الامة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ
 الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته عجة حقيقة بل هي اكل
 عجة فلها كما قال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وكذلك هو سبحانه
 يحب ما يحب عباده المؤمنون وما هو في الله عجة حقيقة. وأنكر الجهمية
 حقيقة العجة من الطرفين زعموا منهم أن العجة لا تكون الا مناسبة بين المحب
 والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والحديث توجب محبته وقاسوا به العجة
 وكان أول من أحدث هذا في الاسلام الجعد بن درهم في أوائل المائة
 الثالثة فضحى به خالد بن عبد الله القشيري أمير العراق والمشرق بواسط
 خطب الناس يوم الاضحى فقال أيها الناس ضحوا بقبل الله ضحايا لم
 فاني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم
 يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه فكانه قد أخذ هذا المذهب عن الجعد
 بن صفوان فأظهره عليه واليه أضيف قول الجهمية فقتله مسلم بن أحوز
 أمير خراسان بها ثم قتل ذلك الى المعتزلة عمرو بن عبيد وأظهر قولهم
 في زمن الخليفة للملقب بالمأمون حتى امتحن أئمة الاسلام ودعوا الى
 الموافقة لهم على ذلك. وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من
 البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب
 ليس له ثبوتية أصلا وهؤلاء هم أعداء ابراهيم الخليل عليه السلام وهم
 يعبدون الكواكب وبينون الهياكل في المعقول والنجوم وغيرهما وهم
 ينكرون في الحقيقة أن يكون ابراهيم خليلا وموسى كليما وأن الحلة

هي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخلت مسلك الروح مني ﷺ وبذا سمي الخليل خليلاً
ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا اتخذت أباً
بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» يعني نفسه . وفي رواية «انى أبرأ
الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا اتخذت
أباً بكر خليلاً» وفي رواية «ان الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ ابراهيم
خليلاً» فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين
خليلاً وأنه لو يكون ذلك لكان أحق الناس بها أباً بكر الصديق رضى الله
عنه مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كما قال
لمعاذ «انى لأحبك» وكذلك قوله للانصار وكان زيد بن حارثة حبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ابنه أسامة حبه وأمثال ذلك ﷺ وقال عمرو
ابن العاص «أبي الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال
قال أبوها» . وقال لفاطمة رضى الله عنها «ألا تحبين ما أحب قلت بلى قال
فأحبي عائشة» وقال للحسن «اللهم انى أحب فأحبه وأحب من يحبه . وأمثال
هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الأشخاص وقال «انى أبرأ الى كل خليل
من خلته ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً»
فعلم أن الحجة أخص من مطلق المحبة بحيث هي من كمالها وتخللها المحب
يكون المحبوب بها محبوباً لذاته لا لشيء آخر والمحبوب لشيء غيره هو
موجب في المحبة عن ذلك الغير^(١) ومن كمالها لا تقبل الشركة المتراحمة

(١) هكذا الاصل ولم يكن لدينا غير هذه النسخة وهي سقيمة جداً فتنبه

لتخللها الحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب • ومن الخلة أيضا تان في المزاحمة
وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته لا يزاحمه فيها غيره وهذه
عجة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه غيره فيما يستحقه وهو
محبوب لذاته وكل ما يحب غيره اذا كان محبوبا بحق فاما يحب
لاجله وكل ما أحب لغيره فمحبتته باطلة في الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله تعالى . فاذا كانت الخلة كذلك فمن المعلوم ان من
انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر مخالته . وكذلك ايضا ان انكر محبته
لاحد من عباده فقد انكر ان يتخذ خليلا بحيث يجب الرب العبد على
الكل ما يصلح للعبادة . وكذلك تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يكون به
صفة من الصفات او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او
قدرة أو علم او ان يستوى أو أن يجيء فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم
فهذا حقيقة قولهم (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)
لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقرآن متلوا لا يمكن جحد من اظهر الاسلام
أخذوا يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا عجة
العباد له بمجرد محبتهم لطاعته والتقرب اليه وهذا جهل عظيم فان التقرب
اليه تابع لمحبه وفرع عليه فمن لا يجب الشيء لا يمكن ان يجب التقرب اليه
اذ التقرب وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان تكون الوسيلة
الى المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة . وكذلك العبادة والطاعة اذا
قيل في المطاع المعبود ان هذا يجب طاعته وعبادته فان محبته ذلك تبع
لمحبته والا فمن لا يجب لا يجب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا
لموض يناله منه او لدفع عقوبة فانه يكون معاوضاله او مقتديا منه

ولا يكون محباً له . ولا يقال ان هذا يحبه . وتفسير ذلك محبته طاعته وعبادته
فان محبة المقصود ان استلذت محبة الوسيلة أو غير محبة المقصود عن (١)
محبته الوسيلة فان ذلك يقتضى ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة
عن محبة العمل أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض الا ترى
ان من استأجر اجيراً بعوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد
يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يفضه وكذلك من افتدى نفسه
بعمل من عذاب معذب لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضاً له فعمل أن ما
وصف الله به من عباده المؤمنين من أنهم يحبونه تمتع ان يكون معناه
بمجرد محبة العمل الذى ينالون به بغض الأغراض المحبوبة من غير ان يكون
رهبهم محبوباً لا يحب اصلاً . وأيضاً فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل
كما تقدم ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات . احدها
العلاقة فهو تعلق القلب بالمحجوب . ثم الصباية وهو انصباب القلب اليه . ثم
الغرام وهو الحب اللازم . ثم المشق و آخر المراتب هو التيم وهو التبعيد
للمحجوب والمتميم للمعبود وتيم الله عبد الله فان المحب يبقى ذا كرا
معبداً مذلاً لمحجوبه وايضاً فلم الانابة اليه يقتضى المحبة ايضاً
وما أشبه ذلك من الاسماء كما تقدم وايضاً فلو كان الذى قالوه
حقاً لكان ذلك مجازاً لما فيه من الحذف والاضمار والمجاز لا يطلق الا
بقريئة تبيين المراد ومعلوم ان في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفى
أن يكون الله محبوا وان لا يكون محبوباً الا بالأعمال في الدلالة المتصلة ولا
المنفصلة ولا في العقل ايضاً من علامات المجاز صحة اطلاق نفسه فيجب ان

(١) هكذا الاصل والمضى ظلم الا ان التركيب ركبك

يصح اطلاق القول بان الله لا يحب ولا يحب كما اطلق امامهم الجمع بن درهم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وان هذا امتنع باجماع المسلمين فلم دلالة الاجماع على ان هذا ليس اجماعا بل هي حقيقة وايضا قد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله (احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) فلو كان المراد بمحبته ليس محبة الاصل لكان هذا تكريرا ومن باب الخاص على العام وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير اليه الا بدلالة تبين المراد. وكما ان محبته لا يجوز ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه امر لا يعرف في اللغة حقيقة ولا مجاز احمّل الكلام عليه تحريف محض. وقد قررنا في موضع من القواعد الكبار انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مراداً لذاته كما لا يجوز ان يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله ولا اله غيره والاله هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته وبه ظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فانه سبحانه فطر القلوب على ان ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن اليه الا الله وحده وان كل ما أحبه المحبوب فمطعوم وملبوس ومنظور وملبوس يجب من نفسه وان قلبه يطلب سواه ويجب أمراً غيره بتأله وبصمد اليويرى ما يشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه (أبذكر الله تطمئن القلوب) وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال «ابى خلقت عبادى خفآء فاجتالهم الشياطين وحرمت

عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» وايضا فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فانه هو المستحق لكل الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار ان يكون الها معبودا كما ان انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه ربا خالقا فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا قول اهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندهم من أمور وأحكام موسى وعيسى ان أعظم الوصية التي أتانا بها موسى أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الخيفية التي هي ملة ابراهيم التي هي أصل في التوراة والانجيل والقرآن وانكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذ عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل امام الخفاء (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فلهم عدو لي الا رب العالمين) وقال أيضا (لا أحب الآفلين) وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) وهو السليم من الشرك. وأما قولهم انه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وينعنه بالنظر اليه فهذا

١ - الشعراء ٧٥ - ٧٧

٢ - الأنعام ٧٦

٣ - الشعراء ٨٨ - ٨٩

الكلام مجمل فان أرادوا بالمناسبة أنه ليس بوالد فهذا حق وان أرادوا أن ليس بينهما من المناسبة ما بين الناح والمنكوح والآكل والمأكول ونحو ذلك فهذا أيضا حق وان أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبباً فهذا هو رأس المسألة والاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفي في ذلك المنع. ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة الا المناسبة التي بين الخلق والخالق الذي لا اله غيره الذي هو في السماء اله وفي الأرض اله وله المثل الأعلى في السموات والأرض. وحقيقة قول هؤلاء أنهم جحدوا كون الله معبودا في الحقيقة ولهذا وافق على هذه المسألة طوائف من الصوفية المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبا في الحقيقة فأقروا بكونه محبوا ومنعوا كونه محبا لأنهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة فأخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة فأما محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارا. ومنكروها قسما. قسم يتأولونها بنفس العقولات التي يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه وقسم يجعلونها نفس ارادته لتلك العقولات وقد بسطنا الكلام في ذلك في قواعد الصفات والقدر فليس هذا موضعها. ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة واتفاق الامة على أن الله يجب ويرضي ما أمر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن ذلك موجودا على أنه قد يريد وجود أمور ييغضها من الاعيان والافعال كالفسق والكفر وقد قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والمقصود هنا انما هو في ذكر محبة الله ﷻ وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الايمان ولم يتبين بين

١ - البقرة ٢٠٥

٢ - الزمر ٧

أحد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان نزاع في ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن يحركه به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقاني، قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) الى آخر السورة ثم انه لما طال الأمد صار في طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة. وصار في بعض المتصوفة من ينكر ان يطلب تحريكها بانواع من سماع الحديث كالتغيير (١) وسماع المكاهم والتصدية فيسمعون من الاقوال والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوتار والعلماء والاخوان والأوطان والمدان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمان ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والحلان وربما اشترطوا له الشيخ يحرس به من الشيطان ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا في ذلك الى نوع من المعاصي بل الى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على انواع من الاشعار التي فيها الكفر والاحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد وينتج ذلك اهم من الاحوال بحسبه كما ينتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها والذي عليه حققوا المشائخ انه كما قال الجنيد رحمه الله فمن تكلف السماع فتن به ومن صادفه استراح به ومنع ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ ديناً

(١) ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس ان المفيرة قوم يغيرون ذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تعبيراً. وقال كان الشافعي يكره التعبير اه وفي تركيب الكلام هنا من الحفاء ما يتبناه

وقربة وأن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما انه لاحرام الا ما حرمه الله لادين الا ما شرعه الله . قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ولهذا قال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لهبة الله لهم قال أبي ابن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله الاتحات خطاياها كما يتحات الورق اليباس عن الشجرة وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من مخافة الله الا لم تمسه النار ابدا وان اقتصادا في سبيل سنة خير من اجتهاد في غير سبيل سنة فاحرصوا ان تكون اعمالكم اقتصادا واجتهادا على منهاج الانبياء وسنتهم وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود والمحجوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه ومن المعلوم انه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرني الذي بعثت فيه ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم» لافي الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا في مصر ولا في خراسان احد من اهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب ولهذا كرهه الامام احمد وغيره وعده الشافعي من احداث الزنادقة حين قال خلفت ببغداد شيئا حدثه الزنادقة يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن وأماما لا يقصده الانسان من الاستماع لا يترتب عليه نهى ولا ذم باتفاق الائمة ولهذا انما

يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسماع له من غير قصد لا يثاب على ذلك اذا الاعمال بالنيات. وكذلك ما ينهى عن استماعه من الملاهي لو سمعه السامع بدون قصد لم يضره ذلك فلو استمع السامع بيتا يناسب بعض حاله تحرك ساكته المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك ونحو ذلك لم يكن ذلك مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله الى التي تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه كالذي اجتاز بيت فسمع قائلا يقول * كل يوم تتلون * غير هذا بك أجمل * فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارة من باب القياس والاعتبار وضرب الامثال ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين تحصيل بالسماع الايماني القرآني النبوي النبي الشرعي الذي هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين. قال الله تعالى (أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الى قوله (اذاتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقال تعالى (ان الذين أتوا العلم من قبله اذابتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) الى قوله (ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (واذا سمعوا ما نزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذتلى عليهم آياته زداتهم ايمانا) الآية وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية وكما مدح المقبلين على هذا السماع فتد ذم المعرضين عنه في مثل قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) الى قوله (واذا

١ - مريم ٥٨

٢ - مريم ٥٨

٣ - الاسراء ١٠٧

٤ - الاسراء ١٠٩

٥ - المائدة ٨٣

٦ - الأنفال ٢

٧ - الزمر ٢٣

٨ - لقمان ٦

تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها) الآية. وقال تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) الآية. وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) ومثل هذا كثير في القرآن وهذا سماع سلف الأمة واكابر مشائخها وأئمتها كالصحابه والتابعين ومن بعدهم من المشايخ كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وامثال هؤلاء. وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى الأشعري يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون ويبكون. وكان أصحاب محمد إذا اجتمعوا امرؤا واحدا منهم ان يقرأ القرآن والباقي يستمعون. وقد ثبت في الصحيح «ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي موسى الأشعري وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد أوتيت هذا زمرا من مزامير داود فقال مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تسمع لجرتك تلك تجثوا، أي لحسنه لك نحسينا وقال «زينوا القرآن بأصواتكم» وقال «الله أشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته» اذنا أي استماعا كقولها (وأذنت لربها وحقت) أي استمعت وقال صلى الله عليه وسلم «ما اذن الله لشيء ما اذن لني حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به» وقال «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والاذواق الكريمة ومزيد المعارف والأحوال الجسمية ما لا يسهه خطاب ولا يحويه كتاب كما ان في تدبر القرآن وتدبر بيانه تفهمه من مزيد العلم

١ - لقمان ٧

٢ - الفرقان ٧٣

٣ - الأنفال ٢٣

٤ - فصلت ٢٦

٥ - المدثر ٤٣ - ٥٠

٦ - الانشقاق ٢

والإيمان مالا يحيط به بيان. وما ينبغي التفتن له ان الله سبحانه قال في كتابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية. فيس سبحانه ان محبته توجب اتباع الرسول وان اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله فان هذا الباب يكش فيه الدعاوى والاشتباه ولهذا يروى عن ذى النون المصرى انهم تكلموا في مسألة المحبة عنده فقال استواعن هذه المحبة لانسمعها النفوس فتدعيها. وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. وذلك لان مجرد دعواه تنبسط النفوس فيه حتى يتسع في اهوائها اذا لم يدعها وادعى الخشية لله حتى قالت النصارى (نحن ابناء الله واحباؤه) ويوجد في مدعى المحبة من مخالفة الشريعة مالا يوجد في اهل الخشية ولهذا قرن الخشية بها في قوله (هذاماتو عدون لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته باطنا وظاهرا هي توجب محبة الله كما ان الجهاد في سبيله وموالاته اوليائه ومعاداة اعدائه هو حقيقتها كما في الحديث «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله» وفي الحديث «من احب الله وابغض لله واعطى لله فممنوع لله فقد استكمل المحبة» وكثير من يدعى المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن

١ - آل عمران ٣١

٢ - المائدة ١٨

٣ - ق ٢٢ - ٢٤

الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعى مع ذلك كمال طريق المحبة من غيره لزمه ان طريق المحبة لله ليس فيه غيرة ولا غضب لله وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا في الحديث المأثور «يقول الله تعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي» فقوله ابن المتحابون بجلال الله تنبيه على ما في قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الايمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث «حقت محبتي للمتحابين في وحق محبتي للمتجالسين في وحق محبتي للمتزاورين في وحق محبتي للمتبادلين في» والاحاديث في المتحابين لله كثيرة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله شاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات نسب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين» وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان احدهما وهو الذي يقال له محبة العامة لاجل احسانه الى عباده وهذه المحبة على هذا الاصل لا ينكرها احد فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها والله سبحانه هو المنعم المحسن على عبده بالحقيقة فانه المتفضل بجميع النعم وان جرت بواسطة اذ هو ميسر الوسائل ومسبب الأسباب لكن هذه المحبة اذا لم تجذب القلب الى محبة الله نفسه فما احب العبد في الحقيقة

الانفسه وهذا ليس بمنموم بل محمود. وهذه المحبة هي المشار اليه بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا أهلي بحبي» والمقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ان يحبه الا الاحسان اليه وهذا كما قالوا ان الحمد لله على نوعين . حمد هو شكر وذلك لا يكون الاعلي نعمه . وحمد هو ثناء عليه وهو مما يستحقه لنفسه سبحانه فكذلك الحب فان الأصل الثاني هو محبته لما هو أهل هذا حب من عرف من الله ما يستحق ان يحب لاجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف بها مما دلت اسماؤه وصفاته الا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتي جميع مفعولاته اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق ان يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر الى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بجبل يقال به جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يا رسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفي رواية أخرى قال (المستهمرون بذكر الله يضع الذكر عنهم أنقالهم فيأتون يوم القيامة وهم خفافا» وفي حديث هارون بن عسرة عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «قال موسى يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال أي عبادك أعلم قال الذي يطلب علم الناس الى علمه ليجد كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى قال أي عبادك أحكم

قال الذي يحكم على نفسه كالذي يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه ، فذكر في هذا الحب والعلم والعدل وذلك جماع الخير ومما ينبغي التفتن له أنه لا يجوز أن يظن في باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره مما هو من جنس التجنى والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتى يتمثلون في حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب أو يبعد من يتقرب إليه وإن غلط في ذلك من غلط من المتمثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم إقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة . وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى « أهل ذكرى أهل مجالسة وأهل شكري أهل زيارتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لأبسهم من رحمتي وإن تابوا فإنا حبيهم لأن الله يحب التوابين وإن لم يتوبوا فإنا طبيهم ابتليهم بالمصائب حتى اطهرهم من المصائب وقد قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قيل الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسنات نفسه . وقال تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضى الله عنه قال « يقول الله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم

يا عبادى عبادى كلكم جئتم الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا
عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اُكسكم يا عبادى انكم
تذنبون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب ولا اُبالي فاستغفرونى اغفر لكم
يا عبادى انتم لم تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتتفغوني يا عبادى لو
ان اولكم و آخركم و انسكم و جنم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في
ملكي شيئا يا عبادى لو ان اولكم و آخركم و انسكم و جنم كانوا على اُفجر قلب
رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادى انما هي اُعمالكم احصيا لكم
ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من الا
نفسه « وما رواه البخارى عن شداد بن اوس « قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا
انت خلقتى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من
شر ما صنعت ابؤلك بنعمتك على وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها
اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد دائما بين نعمته من
الله يحتاج فيها الى شكر وذنوب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من
هذين من الامور اللازمة للعبد دائما فانه لا يزال يتقلب في نعم من الله
وآلائه ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم
وامام المتقين يستغفر في جميع الاحوال . وقال صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح الذي رواه البخارى « ايها الناس توبوا الى ربكم فانى
أتوب الى الله في اليوم مائة مرة » وقال عبد الله بن عمر « كنا نعد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب على انك

أنت التواب الرحيم مائة مرة» وقال « انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اثنين وسعين مرة» وفي صحيح مسلم « انه قال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة» ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال. قال تعالى (والمستغفرين بالأسحار) وفي الصحيح « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » وقال تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الى قوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) وقد أمر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وانى بما أمر الله به مما لم يصل اليه عمره فقال (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيح بحمد ربك واستغفروه انه كان توابا) ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الاتصدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا) الآية. وقال تعالى (فاستقيموا اليه واستغفروه) وقال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ولهذا جاء في الحديث « يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار » وقال يونس (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) وكان النبي صلى الله عليه وسلم « اذا ركب دابته بحمد الله ثم يكبر ثلاثا ويقول لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى » وكفارة المجلس التى كان يختم بها المجلس والوضوء « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك » والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم .

١ - آل عمران ١٧

٢ - البقرة ١٧٨

٣ - البقرة ١٧٩

٤ - النصر ١ - ٣

٥ - هود ١ - ٣

٦ - فصلت ٦

٧ - محمد ١٩

فهرست
(التحفة العراقية)

صفحة	صفحة
١٤	٢ بيان أن الناس في الاعمال القلبية على
١٦	ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان
١٧	على ثلاث درجات
١٧	٤ بيان أن العبد الزاهد قد يكون مسخوطا
٢٠	عند الله ورسوله لما في قلبه من بدعة ونفاق
٢١	٤ الأمر بقسط الحوارج والمارقين من
٢٠	الدين كملحدي زماننا
٢١	٥ بيان أن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم
٢٢	٦ الصدق يستلزم البر والكذب يستلزم
٢٢	الفجور
٢٤	٨ الصدق والتصديق يكونان في الأقوال
٢٤	والأعمال
٢٤	٩ أصل الدين في الحقيقة هو الامور الباطنة
٢٥	من المعلوم والاعمال وأن الاعمال
٢٧	الظاهرة لا تنفع بدونها والدليل على ذلك
٢٧	١٠ فصل بيان أن محبة الله والأخلاص له
٢٨	والتوكل عليه والرضاعنه ونحو ذلك من
٢٨	الاعمال الباطنة كلها مأمور بها في حق
٢٩	الخاصة والعامه
٢٩	١٢ بيان ما حق الله على العباد وحق العباد
٣١	على الله
٣٢	١٣ التوكل والاستعانة للعبدها الوسيلة
٣٢	والطريق الذي ينال به مقصوده
٣٢	ومطلوبه من العباده

فهرست التحفة العراقية

صفحة	صفحة
٤٩	٣٣ من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط
٥١	٣٤ تقسيم الناس الى أربعة أنواع بحسب الصبر وغيره
٥٤	٣٥ فصل من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله واجل قواعده محبة الله ورسوله
٥٥	٣٧ حقيقة قول لا اله الا الله
٥٦	٣٩ حديث من تشبه بقوم فهو منهم
٥٧	٤٠ النصارى واليهود يشبهون المخلوق بالخالق ومن ضاهاهم من الممثلة
٥٨	٤١ اتباع الامة المحمدية الامم السالفة حذوا القذة بالقذة
٥٩	٤٢ صفة المحبين المحبوبين
٦٠	٤٣ يحب الله ما يحب عبده ويكره ما يكرهه
٦١	٤٤ الانحاد نوعان نوعى ووصفى
٦٢	٤٥ فصل في أن المحبة أصل عمل دينى فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها
٦٤	٤٨ حديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين
٤٩	زعم الجمد بن درهم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما والرد عليه
٥١	انكار الجهمية الصفات وتأويلهم المحبة الواردة في القرآن والسنة والرد عليهم
٥٤	كل مولود يولد على الفطرة
٥٥	كلام الصوفية في المحبة وما كان عليه الأقدمون منهم وما ابتدعه المتأخرون
٥٦	سماع ما يحرك المحبة ومعنى التغير والمغيرة
٥٧	محبة الله موجبة لمتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
٥٨	المقاصد المطلوبة للمريد من تحصل بالسماع الايماني القرآنى النبوى الدينى الشرعى الذى هو جماع النبيين والعارفين والمؤمنين
٥٩	مشروعية تحسين الصوت في القرآن
٦٠	اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطنا وظاهرا توجب محبة الله
٦١	حديث سبعة يظلهم في ظله يوم القيامة
٦٢	تقسيم حمد الله على نوعين
٦٤	كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم مائة مرة

قد نهت غير مرة أصحاب المطابع على خطئهم الناشء من عدم
الاعتناء والمبالاة في صنعهم فلذلك لا يخلو كتاب أو رسالة من وقوع
خطأ فيه .

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
فأت	قأت	١١	٣٣	وزادهم	زادهم	٩	٥
قائل هذا القول	هذا قائل القول	٤	٤٧	صادقت	صادقة	١٥	٨
يجب	يحت	١٧	٤٨	وأولو	وأولوا	٩	٩
السييل	السييل	٧	٥٧	بين وبين	بين والخرام بين	١٤	٩
وزيدهم	وزيديهم	١٥	٥٨	العباد	العبادة	٢١	١٢
لجبرتهك تحميراً	لجبرتهك تحميراً	١٤	٥٩	المباحات	المباحة	٧	١٤
في	قى	٢٠	٦٠	مطاعة	مطاعة	٣	٢١
ان تابوا	وان تابوا	١٤	٦٣	واذا	واذا	٣	٢٤
				الناس	قد الناس ان الناس قد	٢٠	٢٥

